مطبوعات دار المأمون
الدكتور أحمد فريد رفاعي
مدير إدارة الصحافة والنشر والثقافة
المصرية
الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة
الأدبية

سلسلة المصادر العربية

نفح الطيب

تأليف العلامة أحمد المقري المغربي المالكي الأشعري

مضبوطة ومشروحة ومعلقا عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء الخامس

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد

فقد قال العماد الأصفهاني

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

العماد الأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

***

« وَأَمَّا » مَسْجِدُ قُرْطُبَةَ فَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ فِيهِ ، وَلَكِنْ نَذْكُرُ مِنْ أَوْصَافِهِ ، وَنَنْشُرُ[1] مِنْ أَحْوَالِهِ مَالَا بُدَّ مِنْهُ ، فَنَقُولُ : قَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : لَيْسَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِنْهُ وَلَا أَعْجَبُ بِنَاءً ، وَأَتْقَنُ صَنْعَةً وَكُلَّمَا اجْتَمَعَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ سَوَارِي[2] كَانَ رَأْسُهَا وَاحِدًا ثُمَّ صَفُّ رُخَامٍ مَنْقُوشٍ بِالذَّهَبِ وَاللَّازَوَرْدِ فِي أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ . انْتَهَى . وصف مسجد قرطبة

---

(١) فى بعض النسخ « ولنشر من أحواله الى مالا بد منه ». (٢) الأولى أربع سوار « أحمد يوسف نجاتى »

وَكَانَ ٱلَّذِى ٱبْتَدَأَ بِنَاءَ هٰذَا ٱلْمَسْجِدِ ٱلْعَظِيمِ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱبْنُ مُعَاوِيَةَ ٱلْمَعْرُوفُ بِالدَّاخِلِ ، وَلَمْ يَكْمُلْ فِى زَمَانِهِ وَكَمَّلَهُ ٱبْنُهُ هِشَامٌ ، ثُمَّ تَوَالَى ٱلْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِى أُمَيَّةَ عَلَى ٱلزِّيَادَةِ فِيهِ حَتَّى صَارَ ٱلْمَثَلُ مَضْرُوبًا بِهِ . وَٱلَّذِى ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ كُلُّ خَلِيفَةٍ يَزِيدُ فِيهِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ إِلَى أَنْ كَمَلَ عَلَى يَدِ نَحْوِ ٱلثَّمَانِيَةِ مِنَ ٱلْخُلَفَاءِ . وَقَالَ بَعْضُ ٱلْمُؤَرِّخِينَ : إِنَّ عَبْدَ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلدَّاخِلَ لَمَّا ٱسْتَقَرَّ أَمْرُهُ وَعَظُمَ بَنَى ٱلْقَصْرَ بِقُرْطُبَةَ ، وَبَنَى ٱلْمَسْجِدَ ٱلْجَامِعَ وَأَنْفَقَ عَلَيْهِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَبَنَى بِقُرْطُبَةَ ٱلرُّصَافَةَ تَشْبِيهًا بِرُصَافَةِ جَدِّهِ هِشَامٍ بِدِمَشْقَ . وَقَالَ بَعْضٌ : إِنَّهُ أَنْفَقَ عَلَى ٱلْجَامِعِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَٱشْتَرَى مَوْضِعَهُ - إِذْ كَانَ كَنِيسَةً - بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، فَاللّٰهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْمُؤَرِّخِينَ فِى تَرْجَمَةِ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلدَّاخِلِ مَا صُورَتُهُ : إِنَّهُ لَمَّا تَمَهَّدَ مُلْكُهُ شَرَعَ فِى تَعْظِيمِ قُرْطُبَةَ ،

فَجَدَّدَ مَغَانِيَهَا(١) ، وَشَيَّدَ مَبَانِيَهَا ، وَحَصَّنَهَا بِالسُّورِ ، وَٱبْتَنَى قَصْرَ ٱلْإِمَارَةِ وَٱلْمَسْجِدَ ٱلْجَامِعَ وَوَسَّعَ فِنَاءَهُ ، وَأَصْلَحَ مَسَاجِدَ ٱلْكُوَرِ ، ثُمَّ ٱبْتَنَى مَدِينَةَ ٱلرُّصَافَةِ مُتَنَزَّهًا لَهُ ، وَٱتَّخَذَ بِهَا قَصْرًا حَسَنًا وَجِنَانًا وَاسِعَةً ، نَقَلَ إِلَيْهَا غَرَائِبَ ٱلْغِرَاسِ وَكَرَائِمَ ٱلشَّجَرِ مِنْ بِلَادِ ٱلشَّامِ وَغَيْرِهَا مِنَ ٱلْأَقْطَارِ . ٱنْتَهَى

وَكَانَتْ أُخْتُهُ أُمُّ ٱلْأَصْبَغِ تُرْسِلُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلشَّامِ بِالْغَرَائِبِ مِثْلَ ٱلرُّمَّانِ ٱلْعَجِيبِ ٱلَّذِى أَرْسَلَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ دِمَشْقِ ٱلشَّامِ كَمَا مَرَّ . وَسَيَأْتِى كَلَامُ ٱبْنِ سَعِيدٍ بِمَا هُوَ أَتَمُّ مِنْ هٰذَا . وَلَمَّا ذَكَرَ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ زِيَادَةَ ٱلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِى عَامِرٍ فِى جَامِعِ قُرْطُبَةَ قَالَ : وَمِنْ أَحْسَنِ مَا عَايَنَهُ ٱلنَّاسُ فِى بُنْيَانِ هٰذِهِ ٱلزِّيَادَةِ ٱلْعَامِرِيَّةِ أَعْلَاجُ ٱلنَّصَارَى مُصَفَّدِينَ(٢) فِى ٱلْحَدِيدِ مِنْ أَرْضِ قَشْتَالَةَ وَغَيْرِهَا ، وَهُمْ

(١) جمع مغنى: اسم مكان من غنى بالمكان « كرضى » اذا أقام به

(٢) صفده : وأصفده وصفده اذا شده وقيده وأوثقه فى الحديد وغيره

كانُوا يَتَصرَّفُونَ فِي الْبُنْيَانِ عِوَضًا مِنْ رَجَّالَةِ الْمُسْلِمِينَ إِذْلالًا لِلشِّرْكِ وَعِزَّةً لِلإِسْلَامِ . وَلَمَّا عَزَمَ عَلَى زِيَادَتِهِ هٰذِهِ جَلَسَ لِأَرْبَابِ الدُّورِ الَّتِي نَقَلَ أَصْحَابَهَا عَنْهَا بِنَفْسِهِ ، فَكَانَ يُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَنْزِلِ فَيَقُولُ لَهُ : إِنَّ هٰذِهِ الدَّارَ الَّتِي لَكَ يَا هٰذَا أُرِيدُ أَنْ أَبْتَاعَهَا لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَالِهِمْ وَفَيْئِهِمْ لِأَزِيدَهَا فِي جَامِعِهِمْ وَمَوْضِعِ صَلَاتِهِمْ ، فَشَطِّطْ[1] وَاطْلُبْ مَا شِئْتَ ، فَإِذَا ذَكَرَ لَهُ أَقْصَى الثَّمَنِ أَمَرَ أَنْ يُضَاعَفَ لَهُ وَأَنْ تُشْتَرَى لَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ دَارٌ عِوَضًا مِنْهَا ، حَتَّى أُتِيَ بِامْرَأَةٍ لَهَا دَارٌ بِصَحْنِ الْجَامِعِ فِيهَا نَخْلَةٌ ، فَقَالَتْ: لَا أَقْبَلُ عِوَضًا إِلَّا دَارًا بِنَخْلَةٍ ، فَقَالَ: تُبْتَاعُ لَهَا دَارٌ بِنَخْلَةٍ وَلَوْ ذَهَبَ فِيهَا بَيْتُ الْمَالِ ، فَاشْتُرِيَتْ لَهَا دَارٌ بِنَخْلَةٍ وَبُولِغَ فِي الثَّمَنِ . وَحَكَى ذٰلِكَ ابْنُ حَيَّانَ أَيْضًا . وَقِيلَ: إِنَّ إِنْفَاقَ الْحَكَمِ فِي زِيَادَةِ

(١) كذا بالأصل ،والأولى أن تكون : فأشطط يقال شط فى سلعته يشط شططا اذا جاوز القدر المحدود وتباعد عن الحق ، وشط عليه فى السوم وأشط اذا أبعد ، وتجاوز الحد فى بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك ، مشتق من شطت الدار اذا بعدت « أحمد يوسف نجاتى »

الْجَامِعِ كَانَ مِائَةَ أَلْفٍ وَوَاحِدًا وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَنَيِّفًا ، وَكُلُّهُ مِنَ الْأَخْمَاسِ . وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ « مَجْمُوعِ الْمُفْتَرِقِ » وَكَانَ سَقْفُ الْبَلَاطِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ قَبْلَ الزِّيَادَةِ مِائَتَيْنِ وَخَمْسًا وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا ، وَالْعَرْضُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ قَبْلَ الزِّيَادَةِ مِائَةَ(١) ذِرَاعٍ وَخَمْسَةَ أَذْرُعٍ(٢)، ثُمَّ زَادَ الْحَكَمُ فِي طُولِهِ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَخَمْسَةَ أَذْرُعٍ ، فَكَمَلَ الطُّولُ ثَلَثَمِائَةِ ذِرَاعٍ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا . وَزَادَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بِأَمْرِ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي عَرْضِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ ثَمَانِينَ ذِرَاعًا ، فَتَمَّ الْعَرْضُ مِائَتَيْ ذِرَاعٍ وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا . وَكَانَ عَدَدُ بَلَاطِهِ أَحَدَ عَشَرَ بَلَاطًا عَرْضُ أَوْسَطِهَا سِتَّةَ عَشَرَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ

(١) بالأصل « مائتا » ويعلم أن صوابها « مائة » مما يأتي بعد كما مر

(٢) لعل الأصل مائة ذراع وخمسون ذراعا ــ فسيأتي أنه لما زيد فيه ثمانون ذراعا صار عرضه ٢٣٠ ذراعا، والذراع يؤنث ويذكر، وهو هنا في ألفاظ الأعداد يراعي الأمران وان كان التأنيث أفصح وأكثر بل لم يعرف الأصمعي فيها التذكير، فالأحسن أن يقال خمس أذرع «أحمد يوسف نجاتي»

اَللَّذَيْنِ يَلِيَانِهِ غَرْبًا وَاللَّذَيْنِ يَلِيَانِهِ شَرْقًا أَرْبَعَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنَ السِّتَّةِ الْبَاقِيَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ ذِرَاعًا. وَزَادَ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ فِيهِ ثَمَانِيَةً عَرْضُ كُلٍّ وَاحِدٍ عَشْرُ أَذْرُعٍ. وَكَانَ الْعَمَلُ فِي زِيَادَةِ الْمَنْصُورِ سَنَتَيْنِ وَنِصْفًا ، وَخَدَمَ فِيهِ بِنَفْسِهِ. وَطُولُ الصَّحْنِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَثَمَانٍ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ مِائَةُ ذِرَاعٍ وَخَمْسُ أَذْرُعٍ ، وَعَرْضُ كُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنَ السَّقَائِفِ الْمُسْتَدِيرَةِ بِصَحْنِهِ عَشْرُ أَذْرُعٍ ، فَتَكْسِيرُهُ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ ذِرَاعٍ وَمِائَةٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا. وَعَدَدُ أَبْوَابِهِ تِسْعَةٌ : ثَلَاثَةٌ فِي صَحْنِهِ غَرْبًا وَشَرْقًا وَجَوْفًا ، وَأَرْبَعَةٌ فِي بَلَاطَاتِهِ اثْنَانِ شَرْقِيَّانِ وَاثْنَانِ غَرْبِيَّانِ ، وَفِي مَقَاصِيرِ النِّسَاءِ مِنَ السَّقَائِفِ بَابَانِ ، وَجَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْمِدَةِ أَلْفُ عَمُودٍ وَمِائَتَا عَمُودٍ وَثَلَاثَةٌ وَتِسْعُونَ عَمُودًا رُخَامًا كُلُّهَا ، وَبَابُ مَقْصُورَةِ الْجَامِعِ ذَهَبٌ ، وَكَذَلِكَ جِدَارُ الْمِحْرَابِ وَمَا يَلِيهِ ، قَدْ أُجْرِيَ فِيهِ

ٱلذَّهَبُ عَلَى ٱلْفُسَيفِسَاءِ[(١)] ، وَثُرَيَّاتُ ٱلْمَقْصُورَةِ فِضَّةٌ مَحْضَةٌ وَٱرْتِفَاعُ ٱلصَّوْمَعَةِ ٱلْيَوْمَ - وَهِيَ مِنْ بِنَاءِ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ بْنِ مُحَمَّدٍ - ثَلاثٌ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا إِلَى أَعْلَى ٱلْقُبَّةِ ٱلْمُتَفَتِّحَةِ ٱلَّتِي يَسْتَدْبِرُهَا[(٢)] ٱلْمُؤَذِّنُ ، وَفِي رَأْسِ هٰذِهِ ٱلْقُبَّةِ تَفَافِيحُ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَدَوْرُ كُلِّ تُفَّاحَةٍ ثَلاثَةُ أَشْبَارٍ وَنِصْفٌ ، فَٱثْنَتَانِ مِنَ ٱلتَّفَافِيحِ ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ وَوَاحِدَةٌ فِضَّةٌ ، وَتَحْتَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَفَوْقَهَا سَوْسَنَةٌ قَدْ هُنْدِسَتْ بِأَبْدَعِ صَنْعَةٍ ، وَرُمَّانَةُ ذَهَبٍ صَغِيرَةٌ عَلَى رَأْسِ ٱلزُّجِّ ، وَهِيَ إِحْدَى غَرَائِبِ ٱلْأَرْضِ . وَكَانَ بِٱلْجَامِعِ ٱلْمَذْكُورِ فِي بَيْتِ مِنْبَرِهِ مُصْحَفٌ

(١) هى ألوان من الخرز يؤلف بعضها الى بعض ثم تركب فى حيطان البيوت من داخل كأنه نقش مصور ، وهذه الكلمة رومية الأصل Psephosis وقد كانت وجهة المحراب مصنوعة من الفسيفساء الدقيقة المتقنة الصنع قد أحكمتها يد حاذقة صناع من قطع رخامية ذات ألوان مختلفة فى أثنائها قطع صدفية وأخرى ذهبية ، وصيغت على شكل عجيب يتألف منه صورة بديعة اذا نظرت اليها من جهة اليمين رأيت مشاهد غير التى تبصرها جهة الشمال لانعكاس أشعة الضوء فيها ، فكانت آية فى الفن واتقان الصنع، تأخذ بمجامع العقول ، وتستولى بجمالها على الأفئدة

(٢) فى بعض المراجع « يستدير بها » « أحمد يوسف نجاتى »

أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ ٱلَّذِى خَطَّهُ بِيَدِهِ(١) ، وَعَلَيْهِ حِلْيَةُ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٌ بِالدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ وَعَلَيْهِ أَغْشِيَةُ ٱلدِّيبَاجِ ، وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّ ٱلْعُودِ ٱلرَّطْبِ بِمَسَامِيرِ ٱلذَّهَبِ

***

ارة المسجد « رَجْعٌ إِلَى ٱلْمَنَارَةِ » وَٱرْتِفَاعُ ٱلْمَنَارَةِ إِلَى مَكَانِ ٱلْأَذَانِ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ كُلِّ حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِهَا عَلَى ٱلْأَرْضِ ثَمَانَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا . انْتَهَى بِحُرُوفِهِ .

وَفِيهِ بَعْضُ مُخَالَفَةٍ لِمَا ذَكَرَهُ ابْنُ ٱلْفَرَضِيِّ وَبَعْضُهُمْ إِذْ قَالَ فِي تَرْجَمَةِ ٱلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مَا صُورَتُهُ : وَكَانَ مِنْ أَخْبَارِ ٱلْمَنْصُورِ الدَّاخِلَةِ فِي أَبْوَابِ ٱلْبِرِّ وَٱلْقُرَبِ بُنْيَانُ

(١) هذا محل نظر ، ولى فيه وقفة شك ـ ولما استولى الموحدون على الأندلس نقل هذا المصحف الى مراكش سنة ٥٥٢ عبد المؤمن بن على واحتفل بدخوله الى المغرب احتفالا عظيما ، و بقى هذا المصحف الشريف موضع اجلال لدى ملوك المغرب يتبركون به و يأخذونه معهم فى غزواتهم حتى وصل الى بنى مرين ، و بينما كان السلطان أبو الحسن المرينى عائدا من مدينة تونس في سفينة بالبحر الأبيض سنة ٧٥٠ غرقت سفنه وابتلعها الماء وكان فيها هذا المصحف الكريم فكان ذلك آخر العهد به « أحمد يوسف نجاتى »

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْجَامِعِ وَٱلزِّيَادَةُ فِيهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلٰثِمِائَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا زَادَ ٱلنَّاسُ بِقُرْطُبَةَ، وَٱنْجَلَبَ إِلَيْهَا قَبَائِلُ ٱلْبَرْبَرِ مِنَ ٱلْعُدْوَةِ وَإِفْرِيقِيَةَ، وَتَنَاهَى حَالُهَا فِي ٱلْجَلَالَةِ، ضَاقَتِ ٱلْأَرْبَاضُ وَغَيْرُهَا، وَضَاقَ ٱلْمَسْجِدُ ٱلْجَامِعُ عَنْ حَمْلِ[1] ٱلنَّاسِ فَشَرَعَ ٱلْمَنْصُورُ فِي ٱلزِّيَادَةِ بِشَرْقِيِّهِ حَيْثُ تَتَمَكَّنُ ٱلزِّيَادَةُ ـ لِاتِّصَالِ ٱلْجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ بِقَصْرِ ٱلْخِلَافَةِ ـ فَبَدَأَ ٱبْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي هٰذِهِ ٱلزِّيَادَةِ عَلَى بَلَاطَاتٍ تَمْتَدُّ طُولًا مِنْ أَوَّلِ ٱلْمَسْجِدِ إِلَى آخِرِهِ، وَقَصَدَ ٱبْنُ أَبِي عَامِرٍ فِي هَذِهِ ٱلزِّيَادَةِ ٱلْمُبَالَغَةَ فِي ٱلْإِتْقَانِ وَٱلْوَثَاقَةَ دُونَ ٱلزَّخْرَفَةِ، وَلَمْ يُقَصِّرْ مَعَ هَـذَا عَنْ سَائِرِ ٱلزِّيَادَاتِ جَوْدَةً ـ مَا عَدَا زِيَادَةَ ٱلْحَكَمِ ـ وَأَوَّلُ مَا عَمِلَهُ ٱبْنُ أَبِي عَامِرٍ تَطْيِيبُ نُفُوسِ أَرْبَابِ ٱلدُّورِ ٱلَّذِينَ ٱشْتُرِيَتْ مِنْهُمْ لِلْهَدْمِ لِهٰذِهِ ٱلزِّيَادَةِ بِإِنْصَافِهِمْ مِنَ ٱلثَّمَنِ، وَصَنَعَ فِي صَحْنِهِ ٱلْجُبَّ ٱلْعَظِيمَ قَدْرُهُ ٱلْوَاسِعَ فِنَاؤُهُ. وَهُوَ ـ أَعْنِي ٱبْنَ أَبِي عَامِرٍ ـ هُوَ ٱلَّذِي رَتَّبَ إِحْرَاقَ ٱلشَّمَعِ بِٱلْجَامِعِ زِيَادَةً لِلزَّيْتِ، فَتَطَابَقَ بِذَلِكَ ٱلنُّورَانِ. وَكَانَ عَدَدُ

(١) في بعض النسخ «جمل» وكأنه جمع جملة أي جميع ه «أحمد يوسف نجاتي»

سَوَارِى اُلْجَامِعِ اُلْحَامِلَةِ لِسَمَائِهِ[١] وَاُللَّاصِقَةِ بِمَبَانِيهِ وَقِبَابِهِ وَمَنَارِهِ بَيْنَ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ أَلْفَ سَارِيَةٍ وَأَرْبَعمِائَةِ سَارِيَةٍ وَسَبْعَ عَشْرَةَ سَارِيَةً ، وَقِيلَ أَكْثَرَ . وَعَدَدُ ثُرَيَّاتِ اُلْجَامِعِ مَا بَيْنَ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ مِائَتَانِ وَثَمَانُونَ ثُرَيًّا ، وَعَدَدُ اُلْكُؤُوسِ سَبْعَةُ آلَافِ كَأْسٍ وَأَرْبَعُمِائَةِ كَأْسٍ وَخَمْسٌ وَعِشْرُونَ كَأْسًا ، وَقِيلَ عَشَرَةُ آلَافٍ وَثَمَانُمِائَةٍ وَخَمْسُ كُؤُوسٍ ، وَزِنَةُ مَشَاكِى[٢] اُلرَّصَاصِ لِلْكُؤُوسِ اُلْمَذْكُورَةِ عَشَرَةُ أَرْبَاعٍ أَوْ نَحْوُهَا ، وَزِنَةُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ اُلْكَتَّانِ لِلْفَتَائِلِ فِي كُلِّ شَهْرِ رَمَضَانَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ اُلْقِنْطَارِ ، وَجَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ اُلْجَامِعُ مِنَ اُلزَّيْتِ فِي اُلسَّنَةِ خَمْسُمِائَةِ رُبْعٍ أَوْ نَحْوُهَا ، يُصْرَفُ مِنْهُ فِي رَمَضَانَ خَاصَّةً نَحْوُ نِصْفِ اُلْعَدَدِ ،

---

(١) أى سقفه (٢) جمع مشكاة ، واختلف فى معناها ، والمراد بها هنا الحديدة أو الرصاصة التى يكون فيها الفتيل ، أو العمود الذى يكون المصباح على رأسه ، أو قصبة الزجاجة التى يستصبح فيها وهى موضع الفتيلة ، أو الحديدة التى يعلق بها القنديل — والمشكاة فى قوله تعالى « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » المراد بها — والله أعلم — الكوة فى الحائط غير النافذة ، وهى أجمع للضوء ، والمصباح فيها يكون أكثر انارة وأعظم اضاءة منه فى غيرها . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَمِمَّا كَانَ يَخْتَصُّ بِهِ رَمَضَانُ ٱلْمُعَظَّمُ ثَلَاثَةُ قَنَاطِيرَ مِنَ ٱلشَّمَعِ ، وَثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ ٱلْقِنْطَارِ مِنَ ٱلْكَتَّانِ ٱلْمُقَطَّنِ لِإِقَامَةِ ٱلشَّمَعِ ٱلْمَذْكُورِ ، وَٱلْكَبِيرَةُ مِنَ ٱلشَّمَعِ ٱلَّتِي تُؤْخَذُ بِجَانِبِ ٱلْإِمَامِ يَكُونُ وَزْنُهَا مِنْ خَمْسِينَ إِلَى سِتِّينَ رِطْلًا يَحْتَرِقُ بَعْضُهَا بِطُولِ ٱلشَّهْرِ . وَيَعُمُّ ٱلْحَرْقُ لِجَمِيعِهَا لَيْلَةَ ٱلْخَتْمَةِ . وَكَانَ عَدَدُ مَنْ يَخْدُمُ ٱلْجَامِعَ ٱلْمَذْكُورَ بِقُرْطُبَةَ فِي دَوْلَةِ ٱبْنِ أَبِي عَامِرٍ وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ أَئِمَّةٍ وَمُقْرِئِينَ وَأُمَنَاءَ وَمُؤَذِّنِينَ وَسَدَنَةٍ[1] وَمُوقِدِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ ٱلْمُتَصَرِّفِينَ مِائَةً وَتِسْعَةً وَخَمْسِينَ شَخْصًا ، وَيُوقَدُ مِنَ ٱلْبَخُورِ لَيْلَةَ ٱلْخَتْمَةِ أَرْبَعُ أَوَاقٍ مِنَ ٱلْعَنْبَرِ ٱلْأَشْهَبِ ، وَثَمَانِي أَوَاقٍ مِنَ ٱلْعُودِ ٱلرَّطْبِ . ٱنْتَهَى .

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْمُؤَرِّخِينَ : كَانَ لِلْجَامِعِ كُلَّ لَيْلَةِ[2] جُمُعَةٍ رِطْلُ عُودٍ وَرُبْعُ رِطْلِ عَنْبَرٍ يُتَبَخَّرُ بِهِ . ٱنْتَهَى .

(١) جمع سادن وهو من يقوم بخدمة المسجد ويتولى أمره ويفتح أبوابه ويغلقها(٢) فى بعض المراجع « كل جمعة » بدل « كل ليلة جمعة »

وقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ نَقْلًا عَنِ ابْنِ بَشْكُوَالَ : طُولُ جَامِعِ قُرْطُبَةَ الْأَعْظَمِ الَّذِى هُوَ بِدَاخِلِ مَدِينَتِهَا مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْجَوْفِ ثَلَثُمِائَةٍ وَثَلَاثُونَ ذِرَاعًا ، الصَّحْنُ الْمَكْشُوفُ مِنْهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مُقَرْمَدٌ(١) ، وَعَرْضُهُ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ مِائَتَانِ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَعَدَدُ أَبْهَائِهِ(٢) عِنْدَ اكْتِمَالِهَا بِالشَّمَالِيَّةِ الَّتِى زَادَهَا الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِى عَامِرٍ بَعْدَ هَذَا تِسْعَةَ عَشَرَ بَهْوًا ، وَتُسَمَّى الْبَلَاطَاتِ ، وَعَدَدُ أَبْوَابِهِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ بَابًا . فِى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ تِسْعَةُ أَبْوَابٍ ؛ مِنْهَا وَاحِدٌ كَبِيرٌ لِلنِّسَاءِ يُشْرَعُ إِلَى مَقَاصِيرِهِنَّ ، وَفِى الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ تِسْعَةُ أَبْوَابٍ ؛ مِنْهَا لِدُخُولِ الرِّجَالِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، وَفِى الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ ، مِنْهَا لِدُخُولِ الرِّجَالِ بَابَانِ كَبِيرَانِ وَبَابٌ لِدُخُولِ النِّسَاءِ إِلَى مَقَاصِيرِهِنَّ ، وَلَيْسَ لِهَذَا الْجَامِعِ فِى الْقِبْلِيِّ سِوَى بَابٍ

(١) بناء مقرمد أى مبنى بالآجر والحجارة (٢) جمع بهو وهو البيت المقدم أمام البيوت

وَاحِدٍ بِدَاخِلِ الْمَقْصُورَةِ الْمُتَّخَذَةِ فِي قِبْلَتِهِ مُتَّصِلٍ بِالسَّابَاطِ(١) الْمُفْضِي إِلَى قَصْرِ الْخِلَافَةِ ، مِنْهُ كَانَ السُّلْطَانُ يَخْرُجُ مِنَ الْقَصْرِ إِلَى الْجَامِعِ لِشُهُودِ الْجُمُعَةِ ، وَجَمِيعُ هَذِهِ الْأَبْوَابِ مُلَبَّسَةٌ بِالنُّحَاسِ الْأَصْفَرِ بِأَغْرَبِ صَنْعَةٍ ، وَعَدَدُ سَوَارِي هَذَا الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْحَامِلَةِ لِسَمَائِهِ وَاللَّاصِقَةِ بِمَبَانِيهِ وَقِبَابِهِ وَمَنَارِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِ بَيْنَ كِبَارٍ وَصِغَارٍ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ سَارِيَةٍ وَتِسْعُ سَوَارٍ ، مِنْهَا بِدَاخِلِ الْمَقْصُورَةِ مِائَةٌ وَتِسْعَ عَشْرَةَ سَارِيَةً .

وَذَكَرَ الْمَقْصُورَةَ الْبَدِيعَةَ الَّتِي صَنَعَهَا الْحَكَمُ الْمُسْتَنْصِرُ فِي هَذَا الْجَامِعِ فَقَالَ : إِنَّهُ خَطَرَ بِهَا عَلَى خَمْسِ بَلَاطَاتٍ مِنَ الزِّيَادَةِ الْحَكَمِيَّةِ ، وَأَطْلَقَ حِفَافَيْهَا(٢) عَلَى السِّتَّةِ الْبَاقِيَةِ ثَلَاثَةٍ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ، فَصَارَ طُولُهَا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ خَمْسًا وَسَبْعِينَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهَا مِنْ جِدَارِ الْخَشَبِ إِلَى سُورِ الْمَسْجِدِ بِالْقِبْلَةِ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا ، وَارْتِفَاعُهَا فِي السَّمَاءِ إِلَى حَدِّ شُرُفَاتِهَا ثَمَانِيَ أَذْرُعٍ ،

(١) تقدم القول فى الساباط (٢) الحفاف : الجانب ، وجمعه أحفة

وَٱرْتِفَاعُ كُلِّ شُرْفَةٍ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ ، وَلِهَذِهِ ٱلْمَقْصُورَةِ ثَلَاثَةُ أَبْوَابٍ بَدِيعَةِ ٱلصَّنْعَةِ عَجِيبَةِ ٱلنَّقْشِ شَارِعَةٌ(١) إِلَى ٱلْجَامِعِ شَرْقِيٌّ وَغَرْبِيٌّ وَشَمَالِيٌّ . ثُمَّ قَالَ : وَذَرْعُ ٱلْمِحْرَابِ فِي ٱلطُّولِ مِنَ ٱلْقِبْلَةِ إِلَى ٱلْجَوْفِ ثَمَانِي أَذْرُعٍ وَنِصْفٌ ، وَعَرْضُهُ مِنَ ٱلشَّرْقِ إِلَى ٱلْغَرْبِ سَبْعُ أَذْرُعٍ وَنِصْفٌ ، وَٱرْتِفَاعُ قَبْوِهِ فِي ٱلسَّمَاءِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَنِصْفٌ ، وَٱلْمِنْبَرُ إِلَى جَنْبِهِ مُؤَلَّفٌ مِنْ أَكَارِمِ ٱلْخَشَبِ مَا بَيْنَ آبَنُوسٍ وَصَنْدَلٍ وَنَبْعٍ وَبُقَّمٍ وَشَوْحَطٍ(٢) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . وَمَبْلَغُ ٱلنَّفَقَةِ فِيهِ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ وَسَبْعُمِائَةِ دِينَارٍ وَخَمْسَةُ دَنَانِيرَ وَثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ ، وَعَدَدُ دَرَجِهِ تِسْعُ دَرَجَاتٍ ، صَنَعَهُ ٱلْحَكَمُ ٱلْمُسْتَنْصِرُ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ ـ .

---

(١) أى نافذة ومفتوحة اليه (٢) النبع من أشجار الجبال ينبت فى قلتها وهو أصفر العود رزينه ثقيله فى اليد، واذا طال عليه العهد احمر ،تصنع منه القسى الجيدة التى تكرم كل ما اتخذ من غيرها لشدة النبع ولينه ، ولا يكون العود كريما حتى يكون كذلك ، وتتخذ السهام من أغصانه ، والبقم خشب شجره عظام، وورقه كورق اللوز ، وساقه أحمر يصبغ بطبيخه ، والبقم شجرة جوز مائل، والشوحط ضرب من شجر الجبال «جبال السراة» تتخذ منه القسى ـ أو هو ضرب من شجر النبع ينبت فى سفح الجبل

وَذُكِرَ أَنَّ عَدَدَ ثُرَيَّاتِ ٱلْجَامِعِ ٱلَّتِي تُسْرَجُ فِيهَا ٱلْمَصَابِيحُ بِدَاخِلِ ٱلْبَلَاطَاتِ خَاصَّةً سِوَى مَا مِنْهَا عَلَى ٱلْأَبْوَابِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ ثُرَيًّا جَمِيعُهَا مِنْ لَاطُونٍ(١) مُخْتَلِفَةُ ٱلصَّنْعَةِ ، مِنْهَا أَرْبَعُ ثُرَيَّاتٍ كِبَارٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ٱلْبَلَاطِ ٱلْأَوْسَطِ ، أَكْبَرُهَا ٱلضَّخْمَةُ ٱلْمُعَلَّقَةُ فِي ٱلْقُبَّةِ ٱلْكُبْرَى ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْمَصَاحِفُ حِيَالَ ٱلْمَقْصُورَةِ ، وَفِيهَا مِنَ ٱلسُّرُجِ -فِيمَا زَعَمُوا- أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَأَرْبَعَةٌ وَخَمْسُونَ ، تُسْتَوْقَدُ هٰذِهِ ٱلثُّرَيَّاتُ ٱلضِّخَامُ فِي ٱلْعَشْرِ ٱلْأَخِيرَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، تُسْقَى كُلُّ ثُرَيَّا مِنْهَا سَبْعَةَ أَرْبَاعٍ فِي ٱللَّيْلَةِ ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَا يُنْفَقُ مِنَ ٱلزَّيْتِ عَلَى جَمِيعِ ٱلْمَصَابِيحِ فِي هَذَا ٱلْمَسْجِدِ فِي ٱلسَّنَةِ أَيَّامَ تَمَامِ وَقُودِهِ فِي مُدَّةِ ٱبْنِ أَبِي عَامِرٍ مُكَمَّلَةً بِالزِّيَادَةِ ٱلْمَنْسُوبَةِ أَلْفَ رُبْعٍ ، مِنْهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَبْعُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ رُبْعاً . قَالَ: وَفِي بَعْضِ ٱلتَّوَارِيخِ ٱلْقَدِيمَةِ: كَانَ عَدَدُ ٱلْقَوَمَةِ بِالْمَسْجِدِ ٱلْجَامِعِ بِقُرْطُبَةَ فِي زَمَنِ ٱلْخُلَفَاءِ

(١) اللاطون : هو النحاس الأصفر

وَفِي زَمَنِ ٱبْنِ أَبِي عَامِرٍ ثَلَثَمِائَةٍ . انْتَهَى ، وَفِيهِ مُخَالَفَةٌ لِبَعْضِ مَا تَقَدَّمَ .

وَذَكَرَ بَعْضُهُمُ ٱلزَّيْتَ ـ وَلٰكِنَّ قَوْلَهُ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ لِنَقْلِهِ عَنِ ٱبْنِ بَشْكُوَالَ ، وَلِمَعْرِفَةِ ٱبْنِ سَعِيدٍ بِمِثْلِ هَذَا وَتَحْقِيقِهِ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ ، ـ وَٱللهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ ـ فَقَالَ : أَلْفُ رُبْعٍ وَثَلَاثُونَ رُبْعًا، مِنْهَا فِي رَمَضَانَ خَمْسُمِائَةِ رُبْعٍ ، وَفِي ٱلثُّرَيَّاتِ ٱلَّتِي مِنَ ٱلْفِضَّةِ ـ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ ـ ٱثْنَانِ وَسَبْعُونَ رِطْلًا، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ. ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فِي لَيْلَةِ وَقْدِهَا ، وَقَالَ فِي ٱلْمِنْبَرِ : إِنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ وُصْلٍ[1] ، قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِسَبْعَةِ دَرَاهِمَ فِضَّةٍ ، وَسُمِّرَتْ بِمَسَامِيرِ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ، وَفِي بَعْضِهَا نَفِيسُ ٱلْأَحْجَارِ ، وَٱتَّصَلَ ٱلْعَمَلُ فِيهِ تِسْعَةً[2] . ثُمَّ قَالَ : وَدَوْرُ ٱلثُّرَيَّا ٱلْعَظِيمَةِ خَمْسُونَ شِبْرًا ، وَتَحْتَوِي عَلَى أَلْفِ كَأْسٍ وَأَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، كُلُّهَا مُوَشَّاةٌ بِالذَّهَبِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْغَرَائِبِ.

(١) الوصل « بكسر الواو وضمها » المفصل وجمعه أوصال (٢) لعلها « تسع سنين »

***

وصف ابراهيم الولبى لجامع قرطبة

«وَكَتَبَ ٱلْفَقِيهُ ٱلْكَاتِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ إِبْرَاهِيمُ بْنُ صَاحِبِ ٱلصَّلَاةِ ٱلْوَلْبِيُّ» يَصِفُ جَامِعَ قُرْطُبَةَ بِمَا نَصُّهُ: عَمَّرَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِشُمُولِ ٱلسَّعَادَةِ رَسْمَكَ، وَوَفَّرَ مِنْ جَزِيلِ ٱلْكَرَامَةِ قِسْمَكَ، وَلَا بَرِحَتْ سَحَائِبُ ٱلْإِنْعَامِ تَهْمِي عَلَيْكَ ثَرَّةً[1]، وَأَنَامِلُ ٱلْأَيَّامِ تُهْدِي إِلَيْكَ كُلَّ مَسَرَّةٍ. لَئِنْ كَانَ — أَعَزَّكَ ٱللهُ — طَرِيقُ ٱلْوِدَادِ بَيْنَنَا عَامِرًا، وَسَبِيلُ ٱلْمَحَبَّةِ غَامِرًا[2]، لَوَجَبَ أَنْ نَفُضَّ خَتْمَهُ، وَنَرْفُضَ كَتْمَهُ، وَلَاسِيَّمَا فِيمَا يُدِرُّ أَخْلَافَ ٱلْفَضَائِلِ، وَيَهُزُّ أَعْطَافَ ٱلشَّمَائِلِ، وَإِنِّي شَخَصْتُ إِلَى حَضْرَةِ قُرْطُبَةَ — حَرَسَهَا ٱللهُ تَعَالَى — مُنْشَرِحَ ٱلصَّدْرِ، لِحُضُورِ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ، وَٱلْجَامِعُ — قَدَّسَ ٱللهُ تَعَالَى بُقْعَتَهُ وَمَكَانَهُ، وَثَبَّتَ

(١) همى المطر اذا سال متتابعا، وثرة: غزيرة (٢) يريد الغمر المملوء — وقد كانت له مندوحة عن استعمال هذه الكلمة لولا الشغف بالسجع والجناس، فان الطريق الغامر أكثر مايستعمل في الخراب ضد العامر

أَسَاسَهُ وَأَرْكانَهُ ـ قَدْ كُسِيَ بِبُرْدَةِ الِازْدِهاءِ ، وَجُلِيَ[1] فِي مِعْرَضِ الْبَهَاءِ ، كَأَنَّ شُرُفَاتِهِ فُلُولٌ[2] فِي سِنَانٍ ، أَوْ أُشُرٌ[3] فِي أَسْنَانٍ ، وَكَأَنَّمَا ضُرِبَتْ عَلَى سَمَائِهِ كِلَلٌ[4] ، أَوْ خُلِعَتْ عَلَى أَرْجَائِهِ حُلَلٌ ، وَكَأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ خَلَّفَتْ فِيهِ ضِيَاءَهَا ، وَنَسَجَتْ[5] عَلَى أَقْطَارِهِ أَفْيَاءَهَا ، فَتَرَى نَهَارًا قَدْ أَحْدَقَ بِهِ لَيْلٌ ، كَمَا أَحْدَقَ بِرَبْوَةٍ سَيْلٌ ، لَيْلٌ دَامِسٌ ، وَنَهَارٌ شَامِسٌ ، وَلِلذُّبَالِ تَأَلُّقٌ كَنَضْنَضَةِ[6]

---

(١) « جلى » أبرز وأظهر كما تجلى العروس ، المعرض الثوب الذى تجلى فيه ، وفى الأصل « وحل » محرفة (٢) جمع فل وهو الثلم والكسر فى حد السنان ، وهو دليل الشجاعة كما قال النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

(٣) أشر الأسنان التحزيز الذى فيها، وهو تحديد أطرافها ، يكون ذلك خلقة ويكون مصنوعا ، وانما يكون الأشر فى أسنان الأحداث (٤) جمع كلة : ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض « الناموسية » (٥) قد يكون محرفا عن « نسخت » والعرب تقول نسخت الشمس الظل أى أزالته وحلت محله (٦) الذبالة : الفتيلة التى تسرج ، ونضنضت الحية : أخرجت لسانها وحركته ـ والجملتان من قول الشاعر « أبى جعفر البنى »

وقنديل كأن الضوء منه ... سناوجه الحبيب اذا تجلى

أشار الى الدجا بلسان أفعى ... فشمر ذيله هربا وولى

ٱلْحَيَّاتِ ، أَوْ إِشَارَةِ ٱلسَّبَّابَاتِ(١) فِي ٱلتَّحِيَّاتِ ، قَدْ أُتْرِعَتْ مِنَ ٱلسَّلِيطِ(٢) كُؤُوسُهَا ، وَوُصِلَتْ بِمَحَاجِنِ(٣) ٱلْحَدِيدِ رُؤُوسُهَا ، وَنِيطَتْ بِسَلَاسِلَ كَالْجُذُوعِ ٱلْقَائِمَةِ ، أَوْ كَالثَّعَابِينِ ٱلْعَائِمَةِ ، عُصِبَتْ بِهَا تُفَّاحٌ مِنَ ٱلصُّفْرِ ، كَاللُّقَّاحِ(٤) ٱلصُّفْرِ ، بُولِغَ فِي صَقْلِهَا وَجَلَائِهَا ، حَتَّى بَهَرَتْ بِحُسْنِهَا وَلَأْلَائِهَا(٥) ، كَأَنَّهَا جُلِيَتْ بِاللَّهَبِ، وَأُشْرِبَتْ مَاءَ ٱلذَّهَبِ ، إِنْ سَمَتَّهَا(٦) طُولًا رَأَيْتَ مِنْهَا سَبَائِكَ عَسْجَدٍ ، أَوْ قَلَائِدَ زَبَرْجَدٍ ، وَإِنْ أَتَيْتَهَا عَرْضًا رَأَيْتَ مِنْهَا أَفْلَاكًا وَلَكِنَّهَا غَيْرُ دَائِرَةٍ ، وَنُجُومًا وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِسَائِرَةٍ ، تَتَعَلَّقُ

(١) من قول أبي الحسن محمد بن عمران الأنباري البغدادي وقد اقترح عليه عضد الدولة وصف شموع موقدة بين يديه :

كأن الشموع وقد أظهرت ... من النار في كل رأس سنانا

أصابع أعدائك الخائفين ... تضرع تطلب منك الأمانا

(٢) أي الزيت (٣) جمع محجن يريد به هنا ماتعلق به المصابيح (٤) عدل عن « كأنها جمالة صفر » الى اللقاح لترصيع السجع وموازنته وفي بعض المراجع « كاللفاح » (٥) الضياء واللمعان والاشراق.

(٦) من السمت وهو قصد الشيء والطريق ، وهو يسمت سمته أي ينحو نحوه ، وسمت الطريق :قصده، وسمت يسمت ،وتسمته : اذا قصد نحوه وتعمده «أحمد يوسف نجاتي »

تَعَلُّقَ ٱلْقُرْطِ مِنَ ٱلذِّفْرَى (١) ، وَتَبْسُطُ شُعَاعَهَا بَسْطَ ٱلْأَدِيمِ حِينَ يُفْرَى (٢) ، وَٱلشَّمْعُ قَدْ رُفِعَتْ عَلَى ٱلْمَنَارِ رَفْعَ ٱلْبُنُودِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهَا عَرْضَ ٱلْجُنُودِ ، لِيَجْتَلِيَ طَلَاقَةَ رُوَائِهَا (٣) ٱلْقَرِيبُ وَٱلْبَعِيدُ ، وَيَسْتَوِيَ فِي هِدَايَةِ ضِيَائِهَا ٱلشَّقِيُّ وَٱلسَّعِيدُ ، وَقَدْ قُوبِلَ مِنْهَا مُبْيَضٌّ بِمُحْمَرٍّ ، وَعُورِضَ مُخْضَرٌّ بِمُصْفَرٍّ ، تَضْحَكُ بِبُكَائِهَا وَتَبْكِي بِضَحِكِهَا ، وَتَهْلِكُ بِحَيَاتِهَا وَتَحْيَا بِهُلْكِهَا ، وَٱلطِّيبُ تَفْغَمُ (٤) أَفْوَاحُهُ ، وَتَتَنَسَّمُ أَرْوَاحُهُ ، وَقُتَارُ ٱلْأَلَنْجُوجِ (٥) وَٱلنَّدِّ ، يَسْتَرْجِعُ مِنْ رُوحِ ٱلْحَيَاةِ مَا نَدَّ (٦) ، وَكُلَّمَا تَصَاعَدَ وَهُوَ مُحَاصَرٌ ، أَطَالَ مِنَ ٱلْعُمُرِ مَا كَانَ تَقَاصَرَ ، فِي صُفُوفِ مَجَامِرَ ، كَكُعُوبِ (٧)

---

(١) القرط : الحلق ، والذفرى أصل الأذن (٢) الأديم: الجلد أو الأحمر منه ، وجمعه آدمة ، وفراه يفريه أى شقه وقطعه (٣) الرواء : حسن المنظر (٤) فغمه الطيب « كمنع » سد خياشيمه وملأه ، وفاح المسك فوحا: انتشرت رائحته ، وفى الأصل «تفعم » (٥) القتار ـ بضم القاف ـ ريح البخور وهذه الكلمة مكتوبة فى الأصل هكذا: «فتام» محرفة ناقصة ، والألنجوج: عود الطيب وهو البخور ، وكذلك الند (٦) أى بعد وغاب (٧) الكعب الذى يلعب به هو فص النرد ، وأكثر ما يجمع على كعاب ، وجمعه هنا على فعول لموازنة صفوف فى الفقرة قبلها . « أحمد يوسف نجاتى »

مُقَامِرٍ ، وَظُهُورُ الْقِبَابِ(١) مُؤَلَّلَةً ، وَبُطُونُهَا مُهَلَّلَةً(٢) كَأَنَّهَا تِيجَانٌ ، رُصِّعَ فِيهَا يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ ، قَدْ قُوِّسَ مِحْرَابُهَا أَحْكَمَ تَقْوِيسٍ ، وَوُشِمَ بِمِثْلِ رِيشِ الطَّوَاوِيسِ(٣) ، حَتَّى كَأَنَّهُ بِالْمَجَرَّةِ مُقَرْطَقٌ(٤) ، وَبِقَوْسِ قُزَحَ مُمَنْطَقٌ ، وَكَأَنَّ اللَّازَوَرْدَ حَوْلَ وُشُومِهِ ، وَبَيْنَ رُسُومِهِ ، نُتَفٌ مِنْ قَوَادِمِ

(١) مؤللة أى محددة الطرف ، وألل الشيء : حدد طرفه وحرفه ، وأذن مؤللة أى محددة منصوبة ملطفة (٢) أى مقوسة محنية كالهلال .

(٣) أى بألوان مختلفة جميلة زاهية (٤) قرطقه فتقرطق فهو مقرطق أى ألبسه القرطق ، وهو لباس قصير شبيه بالقباء «معرب عن كرته بالفارسية» والعامة تسميه شاية ، والمولدون يسمونه حنيني ، قال ابن نباتة :

لما تبدى فى حنيني تحاربا قلبي وعيني
فاعجب لها من غزوة جاءت ببدر فى حنيني

وقد صرف المولدون لفظ القرطق فى أشعارهم كثيرا ، ومنه قول ابن المعتز :

ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة فى درة بيضاء

وأخطأ عمر الوداعي « أو ابن الوردى » فظن أن المقرطق ذو القرط فى قوله :

قلت لهم لما بدا مقرطق يحكى القمر
هذا أبو لؤلؤة منه خذوا ثار عمر

وكان حقه أن يقول مقرط ، وأراد باللؤلؤة القرط ، وورى عن ذى القرط اللؤلؤ باسم أبى لؤلؤة المجوسى قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه — وفى « عمر » كذلك تورية . « أحمد يوسف نجاتى » .

اَلْحَمَامِ ، أَوْ كِسَفٌ(١) مِنْ ظُلَلِ اَلْغَمَامِ ، وَاَلنَّاسُ أَخْيَافٌ(٢) فِي دَوَاعِيهِمْ ، وَأَوْزَاعٌ(٣) فِي أَغْرَاضِهِمْ وَمَرَامِيهِمْ ، بَيْنَ رُكَّعٍ وَسُجَّدٍ ، وَأَيْقَاظٍ وهُجَّدٍ ، وَمُزْدَحِمٍ عَلَى اَلرِّقَابِ يَتَخَطَّاهَا ، وَمُقْتَحِمٍ عَلَى اَلظُّهُورِ يَتَمَطَّاهَا ، كَأَنَّهُمْ بَرَدٌ خِلَالَ قَطْرٍ ، أَوْ حُرُوفٌ عَلَى عُرْضِ سَطْرٍ ، حَتَّى إِذَا قَرَعَتْ أَسْمَاعَهُمْ رَوْعَةُ اَلتَّسْلِيمِ(٤) ، تَبَادَرُوا بِالتَّكْلِيمِ ، وَتَجَاذَبُوا بِالْأَثْوَابِ ، وَتَسَاقَوْا بِالْأَكْوَابِ ، كَأَنَّهُمْ حُضُورٌ طَالَ عَلَيْهِمْ غِيَابٌ ، أَوْ سَفْرٌ أُتِيحَ لَهُمْ إِيَابٌ . وَصَفِيُّكَ مَعَ إِخْوَانِ صِدْقٍ ، تَنْسَكِبُ اَلْعُلُومُ بَيْنَهُمْ اِنْسِكَابَ اَلْوَدْقِ ، فِي مَكَانٍ كَوَكْرِ اَلْعُصْفُورِ ـ أَسْتَغْفِرُ اَللّٰهَ ـ أَوْ كَكِنَاسِ اَلْيَعْفُورِ(٥) ، كَأَنَّ إِقْلِيدِسَ قَدْ قَسَّمَ بَيْنَنَا مِسَاحَتَهُ بِالْمَوَازِينِ

---

(١) جمع كسفة أى قطعة ، ومنه قوله تعالى : « أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا » ـ وظلل: جمع ظلة وهى السحابة التى تظل ـ وهو من قوله تعالى : « هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » أى يأتيهم عذابه (٢) أى مختلفون، والأخياف: الضروب المختلفة فى الأخلاق والأشكال (٣) الأوزاع : الفرق من الناس والجماعات (٤) أى التسليم الذى تختم به الصلاة (٥) اليعفور : الظبى ، أو ولد البقرة الوحشية ، وكناسه : مأواه ومنزله الذى يكنس فيه أى يقيم ويختفى . « أحمد يوسف نجاتى »

وَأرْتَبَطْنَا فِيهِ أرْتِبَاطَ ٱلْبَيَادِقِ[1] بِالْفَرَازِينِ ، حَتَّى صَارَ عِقْدُنَا لَا يُحَلُّ ، وَحَدُّنَا لَا يُفَلُّ ، بِحَيْثُ نَسْمَعُ سُوَرَ ٱلتَّنْزِيلِ كَيْفَ تُتْلَى ، وَنَتَطَلَّعُ صُوَرَ ٱلتَّفْصِيلِ كَيْفَ تُجْلَى ، وَٱلْقَوَمَةُ حَوَالَيْنَا يَجْهَدُونَ فِي دَفْعِ ٱلضَّرَرِ ، وَيَعْمِدُونَ إِلَى قَرْعِ

(١) من اصطلاحات الشطرنج — والبيدق فى الشطرنج معروف ، وأصل معناه الراجل وجمعه بيادقة « تعريب بياده » قال الفرزدق :

منعتك ميراث الملوك وتاجهم　　وأنت لدرعى بيدق فى البيادق

أى وأنت راجل تعدو لدى — ويطلق البيدق على أصغر أصناف البازى ويصيد العصافير ، قال أبو الفتح كشاجم :

حسبى من البزاة والبيادق　　ببيدق يصيد صيد الباشق
مؤدب مدرب الخلائق　　أصيد من معشوقة لعاشق
يسبق فى السرعة كل سابق　　ليس له فى صيده من عائق
ربيته وكنت غير واثق　　أن الفرازين من البيادق

وفرزان الشطرنج كذلك أعجمى معرب فرزين ، ومن المجاز تفرزنت البيادق ، وما ألطف قول الشاعر :

وفتية زهر الآداب بينهم　　أبهى وأنضر من زهر الرياحين
راحوا الى الراح مشى الرخ وانصرفوا
والراح تمشى بهم مشى الفرازين

أى أنهم راحوا اليها صاحين مستقيمى السير ، وعادوا ثملين تتقاذفهم الطرق ويتلوى سيرهم فى كل جهة . « أحمد يوسف نجاتى » .
وقال آخر :

يقولون ساد الأرذلون بأرضنا　　وصار لهم مال وخيل سوابق
فقلت لهم شاخ الزمان وانما　　تفرزن فى أخرى الدسوت البيادق

اُلْعُمُدِ بِالدِّرَرِ[١] ، فَإِذَا سَمِعَ بِهَا اُلصِّبْيَانُ قَدْ طَبَّقَتِ اُلْخَافِقَيْنِ وَسَرَتْ نَحْوَهُمْ سُرَى اُلْقَيْنِ[٢] ، تَوَهَّمُوا أَنَّهَا إِلَى أَعْطَافِهِمْ وَاصِلَةٌ ، وَفِي أَقْحَافِهِمْ حَاصِلَةٌ ، فَفَرُّوا بَيْنَ اُلْأَسَاطِينِ ، كَمَا تَفِرُّ مِنَ اُلنُّجُومِ اُلشَّيَاطِينُ ، كَأَنَّمَا ضَرَبَهُمْ أَبُو جَهْمٍ[٣] بِعَصَاهُ ، أَوْ حَصَبَهُمْ عُمَيْرُ بْنُ ضَابِئٍ بِحَصَاهُ[٤] ، فَأَكْرِمْ بِهَا

(١) جمع درة وهي مايضرب به كالسوط والمقرعة (٢) يريد سرى موهوما خيله الخوف ، وهو من المثل « اذا سمعت بسرى القين فاعلم أنه مصبح » يضرب مثلا للرجل يعرف بالكذب حتى يرد صدقه — وأصله أن القين أى الحداد ينتقل فى مياه البادية فيقيم بالموضع أياما فيكسد عليه عمله فيشيع فى أهل الماء انه مرتحل الليلة وهو ينوى الاقامة ليستخدمه من له حاجة اليه ، فكثر ذلك منه حتى صار لا يصدق، وضرب به المثل ، قال نهشل بن حرى

وعهد الغانيات كعهد قين ونت عنه الجعائل مستذاق
كبرق لاح يعجب من بعيد ولا يشفى الحوائم من لماق

ونت عنه الجعائل أى قصرت فلم تبلغه ، والجعائل جمع جعالة أى أجرة عمله ، والمستذاق : المجرب ، والحوائم : العطاش ، ومن لماق أى من شىء « أحمد يوسف نجاتى » .

(٣) هو أبو جهم بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب القرشى العدوى ، قيل اسمه عامر ، وقيل عبيد ابن حذيفة ، أسلم عام الفتح وصحب النبى صلى الله عليه وسلم، وكان معظما فى قريش مقدما فيهم، وكان مهيبا مرهوبا فيه وفى بنيه شدة وعرامة، وقوة وشهامة، وتوفى زمن سيدنا معاوية عن عمر طويل، ووفد ابنه اسمعيل على هشام ابن عبد الملك وكان أكبر القوم سنا — وقتل ابنه محمد بن أبى الجهم يوم الحرة . « أحمد يوسف نجاتى » . (٤) فى الأصل «عين بن صاف»

مِنْ مَسَاعٍ تَسُوقُ إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ، وَتَهُونُ فِي السَّعْيِ إِلَيْهَا الطَّوَارِفُ وَالتُّلْدُ، تَعْظِيماً لِشَعَائِرِ اللهِ، وَتَنْبِيهاً لِكُلِّ سَاهٍ وَلَاهٍ، حِكْمَةٌ تَشْهَدُ لِلهِ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَطَاعَةٌ تَذِلُّ بِهَا كُلُّ نَفْسٍ أَبِيَّةٍ. فَلَمْ أَرَ - أَدَامَ اللهُ سُبْحَانَهُ عِزَّكَ - مَنْظَرًا مِنْهَا أَبْهَى، وَلَا مَخْبَرًا أَشْهَى، وَإِذَا لَمْ تَتَأَمَّلْهُ عِيَانًا، فَتَخَيَّلْهُ بَيَانًا، وَإِنْ كَانَ حَظُّ مَنْطِقِي مِنَ الْكَلَامِ، حَظَّ السَّفِيحِ (١)

بدل «عمير بن ضابىء» وهو تحريف ضال، وتصحيف خاطىء. وعمير ابن ضابى بن الحرث البرجمى التميمى أدرك أبوه النبي صلى الله عليه وسلم ثم جنى جناية فى زمن سيدنا عثمان فحبسه، فجاء ابنه عمير وأرادالفتك بعثمان رضى الله عنه ثم جبن عنه، وفى ذلك يقول:

همت ولم أفعل وكدت وليتنى ... تركت على عثمان تبكى حلائله

ثم لما قتل عثمان يوم الدار وثب عليه عمير هذا فكسر ضلعين من أضلاعه ولما ولى الحجاج بن يوسف الكوفة وقدمها أميرا وصعد المنبر ليخطب مكث ساعة لا يتكلم، فقال عمير بن ضابىء ألا أحصبه لكم؟ فقالوا أمهل حتى تنظر، ثم خطبهم الحجاج خطبته القاسية المشهورة التى تقطر عباراتها دما، ثم نزل فأقبل عليه عمير وهو شيخ يرعش كبرا يستأذنه أن يأخذ ابنه مكانه فى حرب الخوارج فقبل، فلما علم أنه ممن حضر قتل عثمان وأنه وطىء بطنه وهو مقتول وكسر ضلعين من أضلاعه قتله، وأمر أن يرمى برأسه الى البراجم وكانوا قد أقبلوا ولهم ضوضاء يريدون نصرته فولوا هاربين

(١) السفيح: قدح من قداح الميسر مما لا نصيب له، وهو الرابع من القداح الغفل التى ليست لها فروض ولا أنصباء، فليس لها غنم وليس عليها غرم

مِنَ ٱلْأَزْلَامِ ، لٰكِنَّ مَا بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ أَكَّدْنَا وَسَائِلَهَا ، وَذِمَّةٍ تَقَلَّدْنَا حَمَائِلَهَا(١) ، يُوجِبُ قَبُولَ أَتْحَافِي سَمِينًا وَغَثًّا(٢) وَلُبْسَ أَلْطَافِي جَدِيدًا وَرَثًّا(٣) لَازِلْتَ لِزِنَادِ ٱلنُّبْلِ مُورِيًا(٤) وَإِلَى آمَادِ ٱلْفَضْلِ مُجْرِيًا ، وَٱلتَّحِيَّةُ ٱلْعَبِقَةُ ٱلرَّيَّا(٥) ، ٱلْمُشْرِقَةُ

وانما يثقل بها القداح و يتكثر بها اتقاء النهمة ، وأولها المصدر ، ثم المضعف ثم المنيح ، ثم السفيح ، والزلم قدح لاريش له ، والأزلام سهام كانوا يستقسمون بها فى الجاهلية ، وكانت لقريش مكتوب عليها أمر ، ونهى ، وافعل ، ولا تفعل ، وقد زلمت أى سويت و وضعت فى الكعبة يقوم بها سدنة البيت فاذا أراد الرجل سفرا أو زواجا أو غير ذلك أتى السادن وقال أخرج لى زلما ، فيخرجه و ينظر اليه ، فاذا خرج قدح الأمر مضى على ماعزم عليه ، وان خرج قدح النهى قعد عما أراد ، وقد حرم الاسلام أن يستقسموا بالأزلام :

لم يزجر الطير أن مرت به سنحا ولايفيض على قسم بأزلام

(١) الذمة : العهد والحرمة ، والحمائل جمع حمالة وهى علاقة السيف ، شبه مابينهما من الصلة والعهد بسيف لأنه يقى من النكث ويمنع من الخيانة (٢) الغث : المهزول ضد السمين ، وفعله غث يغث « كفرح وضرب » غثاثة وغثوثة (٣) اللطفة واللطف : التحفة والهدية وجمعه ألطاف ، وألطفه بكذا الطافا اذا أتحفه به و بره — والرث : القديم الخلق البالى (٤) ورى الزند : خرجت ناره واتقد ، أوراه و وراه ، واستوراه اذا أوقده ، والزند الوارى الذى تخرج ناره سريعا (٥) عبق الطيب : لزق و بقى ، وفاح وانتشر ، و رجل عبق وامرأة عبقة اذا تطيبا بأدنى طيب لم يذهب عنهما أياما و بقى شذاهما أرجا عاطرا ، والريا : الرائحة — والمحيا الوجه « أحمد يوسف نجاتى »

ٱلْمُحَيَّا ، عَلَيْكَ مَا طَلَعَ قَمَرٌ ، وَأَيْنَعَ ثَمَرٌ ، وَرَحْمَةُ ٱللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ . ٱنْتَهَى .

***

« وَذَكَرَ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ » أَنَّ ٱلْحَكَمَ ٱلْمُسْتَنْصِرَ هَدَمَ ٱلْمِيضَأَةَ ٱلْقَدِيمَةَ ٱلَّتِي كَانَتْ بِفِنَاءِ ٱلْجَامِعِ وَٱلَّتِي[1] يُسْتَسْقَى لَهَا ٱلْمَاءُ مِنْ بِئْرِ ٱلسَّانِيَةِ[2] ، وَبَنَى مَوْضِعَهَا أَرْبَعَ مِيضَآتٍ ، فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَانِبَيِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلشَّرْقِيِّ وَٱلْغَرْبِيِّ مِنْهَا ٱثْنَتَانِ ، كُبْرَى لِلرِّجَالِ وَصُغْرَى لِلنِّسَاءِ ، أَجْرَى فِي جَمِيعِهَا ٱلْمَاءَ مِنْ قَنَاةٍ ٱجْتَلَبَهَا مِنْ سَفْحِ جَبَلِ قُرْطُبَةَ إِلَى أَنْ صَبَّتْ مَاءَهَا فِي أَحْوَاضِ رُخَامٍ لَا يَنْقَطِعُ جَرَيَانُهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ، وَأَجْرَى فَضْلَ هٰذَا ٱلْمَاءِ ٱلْعَذْبِ إِلَى سِقَايَاتٍ[3] ٱتَّخَذَهُنَّ عَلَى أَبْوَابِ هٰذَا ٱلْمَسْجِدِ بِجِهَاتِهِ ٱلثَّلَاثِ ٱلشَّرْقِيَّةِ وَٱلْغَرْبِيَّةِ وَٱلشَّمَالِيَّةِ ، أَجْرَاهَا هُنَالِكَ إِلَى ثَلَاثِ جَوَابٍ[4] مِنْ حِيَاضِ

---

(١) فى الأصل « الذى » محرفة وحذفها هنا حسن (٢) السانية: الغرب « الدلو العظيمة » وأداته ، وسنى القوم يسنون اذا استقوا .
(٣) السقاية : الاناء يسقى به (٤) جمع جابية وهى الحوض الضخم يجبى

اَلرُّخَامِ اُسْتَقْطَعَهَا بِمَقْطَعِ اُلْمُنَسْتِيرِ[١] بِسَفْحِ جَبَلِ قُرْطُبَةَ بِالْمَالِ اُلْكَثِيرِ ، وَأَلْقَاهُ اُلرُّخَامِيُّونَ هُنَالِكَ ، وَاُحْتَفَرُوا أَجْوَافَهَا بِمَنَاقِيرِهِمْ فِي اُلْمُدَّةِ اُلطَّوِيلَةِ حَتَّى اُسْتَوَتْ فِي صُوَرِهَا اُلْبَدِيعَةِ لِأَعْيُنِ اُلنَّاسِ ، فَخَفَّفَ ذَلِكَ مِنْ ثِقَلِهَا ، وَأَمْكَنَ مِنْ إِهْبَاطِهَا إِلَى أَمَاكِنِ نَصْبِهَا بِأَكْنَافِ اُلْمَسْجِدِ اُلْجَامِعِ ، وَأَمَدَّ اُللهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ بِمَعُونَتِهِ ، فَتَهَيَّأَ حَمْلُ اُلْوَاحِدَةِ مِنْهَا فَوْقَ عَجَلَةٍ كَبِيرَةٍ اُتُّخِذَتْ مِنْ ضِخَامِ خَشَبِ اُلْبَلُّوطِ عَلَى فَلَكٍ[٢] مُوَثَّقَةٍ بِالْحَدِيدِ اُلْمُثَقَّفِ[٣] مَحْفُوفَةٍ

---

(١) Al-Monastir اسم لهذا المقطع بسفح جبل قرطبة اليه الماء ويجمع فيه Monastére معناه بالفرنسية الدير . ومنستير أيضا : موضع بين المهدية وسوسة بافريقية بينه وبين كلتيهما مرحلة كانت خمسة قصور يحيط بها سور واحد يسكنها قوم من أهل العلم والعبادة والزهد، وفيه جماعة من الصالحين المرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والوطن ـ والمنستير أيضا فى شرقى الأندلس بين لقنت وقرطاجنة، وحصن من حصون اشبيلية كان يقرىء به أبو بكر محمد بن عبيد بن ملطون الأموى المقرى الشنترينى سكن اشبيلية وتوفى فى نواحيها فى نحو سنة ٦٠٠ هـ « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) فى الأصل « قلل » وهو تحريف فاسد ، والعجلة هذه الآلة التى تجرها الدواب ، سميت بذلك لسرعة مرها ، وخشب تؤلف تحمل عليها الأثقال وهى المسماة « عربة » وأفلاكها ما يسمى « عجلاتها » (٣) ثقفه إذا سواه وعدله وقومه « أحمد يوسف نجاتى »

بِوِثَاقِ(١) ٱلْحِبَالِ قُرِنَ(٢) لِجَرِّهَا سَبْعُونَ دَابَّةً مِنْ أَشَدِّ ٱلدَّوَابِّ ، وَسُهِّلَتْ قُدَّامَهَا ٱلطُّرُقُ وَٱلْمَسَالِكُ . وَسَهَّلَ ٱللّٰهُ تَعَالَى حَمْلَهَا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى عَلَى هَذِهِ ٱلصِّفَةِ فِي مُدَّةِ ٱثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا ، فَنُصِبَتْ فِي ٱلْأَقْبَاءِ ٱلْمَعْقُودَةِ لَهَا . قَالَ : وَٱبْتَنَى ٱلْمُسْتَنْصِرُ فِي غَرْبِيِّ ٱلْجَامِعِ دَارَ ٱلصَّدَقَةِ ، وَٱتَّخَذَهَا مَعْهَدًا لِتَفْرِيقِ صَدَقَاتِهِ ٱلْمُتَوَالِيَةِ ، وَٱبْتَنَى لِلْفُقَرَاءِ ٱلْبُيُوتَ قُبَالَةَ بَابِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْكَبِيرِ ٱلْغَرْبِيِّ . ٱنْتَهَى .

***

اعتماد عمل قرطبة بالمغرب

وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لِعِظَمِ أَمْرِ قُرْطُبَةَ كَانَ عَمَلُهَا حُجَّةً بِالْمَغْرِبِ حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي ٱلْأَحْكَامِ : هَذَا مِمَّا جَرَى بِهِ عَمَلُ قُرْطُبَةَ . وَفِي هَذِهِ ٱلْمَسْأَلَةِ نِزَاعٌ كَثِيرٌ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ

(١) جمع وثيق أى متين محكم مبرم (٢) قرن بين الدابتين اذا جمعهما فى حبل واحد ، والقرن : حبل يجمع بين البعيرين ، والبعير المقرون بآخر كالقرين ، وخيط من سلب يشد فى عنق الفدان يفتل ويوثق على عنق كل واحد من الثورين ثم توثق فى وسطهما اللؤمة «وهى جماعة آلة الفدان حديدها وعيدانها » والفدان اسم لهذه الآلة وجمعه أفدنة ، والعدان ، والفدان اسم للثور الذى تحرث به الأرض ، أيهما كما تسمى بهما الآلة ، ثم استعير هذا اللفظ لجزء من الأرض معلوم مقداره ٢٤ قيراطا

نَذْكُرَ مَالَا بُدَّ مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ قَالَ ٱلْإِمَامُ ٱبْنُ عَرَفَةَ(١) ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ فِي ٱشْتِرَاطِ ٱلْإِمَامِ عَلَى ٱلْقَاضِي ٱلْحُكْمَ بِمَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ وَإِنْ خَالَفَ مُعْتَقَدَ ٱلْمُشْتَرِطِ ٱجْتِهَادًا أَوْ تَقْلِيدًا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ : ٱلصِّحَّةُ لِلْبَاجِيِّ(٢) وَلِعَمَلِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ

(١) ابن عرفة هو الامام أبو عبدالله محمد بن محمد بن عرفة التونسى المالكى ولد بتونس سنة ٧٣٢ كان عالما جليل القدر ضليعا فى علوم الشريعة واللغة وآدابها مع الزهد والورع والاشتغال بالعلم والتعليم، ولم يكن فى زمنه بالمغرب من يجرى مجراه فى التحقيق ولا من اجتمع له من العلوم ما اجتمع له، وله مؤلفات ممتعة مفيدة ، ولما ملك تونس السلطان أبو الحسن المرينى سنة ٧٤٨ كان الامام ابن عرفة ممن تلقاه بظاهر تونس مع وفد تونس وشيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى فآتوه طاعتهم ، وكان قدم فى حملة السلطان أبى الحسن جماعة من أعلام المغرب، وتوفى ابن عرفة سنة ٧٨٣ (٢) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجى القاضى فقيه محدث امام عالم متكلم جليل القدر ، روى عن جماعة من الأندلس ثم رحل الى المشرق سنة ٤٢٦ وروى فأكثر وتفقه ففقه ، وأقام ببغداد مدة يدرس الفقه ويروى الحديث، ثم عاد الى الأندلس وقد نال حظا وافرا من العلم وروى عنه جماعة من الأئمة منهم الحافظ أبو بكر الطرطوشى وغيره ، وكان علم عصره علما وفقها وديانة توفى سنة ٤٧٤ رحمه الله ــ وأبو محمد عبد الله بن محمد بن على بن شريعة المعروف بالباجى ، أصله من باجة القيروان لا باجة الأندلس وسكن اشبيلية ، وهو فقيه محدث جليل، توفى سنة ٣٧٨ « أحمد يوسف نجاتى »

وَلِظَاهِرِ شَرْطِ سُحْنُونَ(١) عَلَى مَذْهَبِ مَنْ وَلَّاهُ الْحُكْمَ بِمَذْهَبِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ـ قَالَ الْمَازَرِيُّ(٢) : مَعَ احْتِمَالِ كَوْنِ الرَّجُلِ مُجْتَهِدًا ـ الثَّانِي الْبُطْلَانُ لِلطَّرْطُوشِيِّ(٣) إِذْ قَالَ فِي شَرْطِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ : هَذَا جَهْلٌ عَظِيمٌ ، الثَّالِثُ تَصِحُّ التَّوْلِيَةُ وَيَذْهَبُ الشَّرْطُ تَخْرِيجًا عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ فِي الشَّرْطِ الْفَاسِدِ فِي الْبَيْعِ ـ لِلْمَازَرِيِّ عَنْ بَعْضِ النَّاسِ . انْتَهَى مُخْتَصَرًا .

قَالَ ابْنُ غَازِي : إِنَّ ابْنَ عَرَفَةَ نَسَبَ لِلطَّرْطُوشِيِّ الْبُطْلَانَ مُطْلَقًا ، وَابْنُ شَاسٍ إِنَّمَا نَسَبَ لَهُ التَّفْصِيلَ . انْتَهَى .

وَلَمَّا ذَكَرَ مَوْلَايَ الْجَدُّ الْإِمَامُ قَاضِي الْقُضَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِفَاسَ ـ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللهِ

(١) سحنون هو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخي الافريقي من أئمة المالكية. صحب الامام مالكا مدة ثم قدم بمذهبه الى افريقية فأظهره فيها، وتوفى سنة ٢٤١ وسحنون اسم طائر بالمغرب حديد الذهن ، لقب الامام عبد السلام به لشدة ذكائه وقوة ذهنه (٢) هو الامام أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري أحد أئمة المالكية وشارح صحيح مسلم المسمى « المعلم » وهو من شيوخ القاضي عياض ، توفى سنة ٥٣٦ وهو منسوب الى مازر بلد بالمغرب بجزيرة صقلية ، ينسب اليها أيضا أبو عبد الله محمد بن مسلم المازري الأصولي (٣) تقدمت ترجمته وهو الامام المشهور صاحب الضريح بالاسكندرية توفى سنة ٥٢٥ . « أحمد يوسف نجاتي »

اُلْمَقَّرِیُّ[١] اُلتِّلِمْسَانِیُّ فِی کِتَابِهِ اُلْقَوَاعِدِ شَرْطَ أَهْلِ قُرْطُبَةَ اُلْمَذْکُورَ قَالَ بَعْدَهُ مَا نَصَّهُ : وَعَلَی هَذَا اُلشَّرْطِ تَرَتَّبَ عَمَلُ اُلْقُضَاةِ بِالْأَنْدَلُسِ ثُمَّ اُنْتَقَلَ إِلَی اُلْمَغْرِبِ ، فَبَیْنَمَا نَحْنُ نُنَازِعُ اُلنَّاسَ فِی عَمَلِ اُلْمَدِینَةِ، وَنَصِیحُ بِأَهْلِ اُلْکُوفَةِ مَعَ کَثْرَةِ مَنْ نَزَلَ بِهَا مِنْ عُلَمَاءِ اُلْأُمَّةِ کَعَلِیٍّ وَاُبْنِ مَسْعُودٍ وَمَنْ کَانَ مَعَهُمَا

* لَیْسَ اُلتَّکَحُّلُ فِی اُلْعَیْنَیْنِ کَالْکَحَلِ *

سَنَحَ لَنَا بُغْضُ اُلْمَجْهُودِ وَمَوَدَّةُ اُلتَّقْلِیدِ[٢]

اَللّٰهُ أَخَّرَ مُدَّتِی فَتَأَخَّرَتْ

حَتَّی رَأَیْتُ مِنَ اُلزَّمَانِ عَجَائِبَا

---

(١) هو القاضی الجلیل محمد بن محمد بن أحمد كان من أعیان قضاة السلطان أبی عنان المرینی المتوفی سنة ٧٥٩ (٢) هذه الجملة جواب بینما وقد كانت هذه العبارة فی الأصل هكذا (سنح لی بعض الجمود ومعدن التقلید) ومن هذا وأمثاله تعرف كیف كان التصحیف یشوه الكتاب ، ویشوك طریق القارئ الی الاستفادة منه ، ویسدل حجابا كثیفا دون فهم المعانی المقصودة والأغراض المرادة المستترة فی ظلمات تلك العبارات المصحفة والألفاظ المحرفة ، حتی آذن الله بهتك هذه الحجب فأسفرت المعانی مشرقة الطلعة واضحة الجبین تأنس النفوس الیها وترتاح الأفهام لها ، وذلك بمعونة المراجع المختلفة ومنها القطعة المطبوعة بأوربة « وهی ذات قیمة علی ما بها»

يَا لَلّهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ ! ذَهَبَتْ قُرْطُبَةُ وَأَهْلُهَا ، وَلَمْ يَبْرَحْ مِنَ النَّاسِ جَهْلُهَا ! مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْعَى فِي مَحْوِ الْحَقِّ فَيُنْسِيهُ ، وَالْبَاطِلُ لا زَالَ يُلَقِّنُهُ وَيُلْقِيهِ ، أَلَا تَرَى خِصَالَ الْجَاهِلِيَّةِ : كَالنِّيَاحَةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ وَالطَّعْنِ وَالتَّفْضِيلِ وَالْكَهَانَةِ وَالنُّجُومِ وَالْخَطِّ[1] وَالتَّشَاؤُمِ وَمَا

وغيرها من كتب التراجم والتواريخ الأندلسية وسواها — هذا الى بذل الجهد المضنى والامعان فى النظر والتفكير وتقليب كثير من الكلمات على كل وجوهها الممكنة واستنطاق العبارات عما يراد منها وحسن التأتى لما يمكن به أن تبوح بأسرارها ، ولايعلم الا الله كم أنفقنا فى ذلك من وقت ثمين وجهد كبير أحيينا به الليالى الطوال سهرا وتنقيبا وبحثا ومراجعة فتجافت جنوبنا فيها عن المضاجع ولم نطعم الغمض بها الا غرارا أو مضمضة ، وقد نام الخلى ملء جفونه حتى أعان الله بتوفيقه وأتم الاخلاص فى العمل لوجهه ، ومنه تعالى نستمد دوام المعونة ونسأله أن يمدنا بروح من عنده وهداية ترافقنا حتى التمام ، وصواب يحالفنا الى النهاية والكمال .
« أحمد يوسف نجاتى » .

(١) كان الزاجر فى الجاهلية يخط فى الأرض خطا بأصبعه ثم يزجر ، قال البعيث :

ألا انما أزرى بجارك عامدا سويع كخطاط الخطيطة أسحم

الخطيطة هنا هى الرملة التى يخط عليها الزاجر ، وأسحم : اسم خط من خطوط الزاجر ، وهو علامة الخيبة عندهم ، وذلك أن يأتى الى أرض رخوة وله غلام معه ميل فيخط الأستاذ خطوطا كثيرة بالعجلة لئلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحو على مهل خطين خطين ، فان بقى من الخطوط خطان فهما

أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَأَسْمَاءِهَا كَالْعَتَمَةِ(١) وَيَثْرِبَ(٢) ، وَكَذَا التَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ وَغَيْرُهُ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ(٣) ، وَحُذِّرَ مِنْهُ ، كَيْفَ لَمْ تَزُلْ مِنْ أَهْلِهَا ، وَانْتَقَلَتْ إِلَى غَيْرِهِمْ مَعَ تَيَسُّرِ أَمْرِهَا ؟ حَتَّى كَأَنَّهُمْ لَا يَرْفَعُونَ بِالدِّينِ رَأْسًا ، بَلْ يَجْعَلُونَ الْعَادَاتِ الْقَدِيمَةَ أُسًّا ، وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ الشِّعْرِ وَالتَّلْحِينِ وَالنَّسَبِ(٤) ، وَمَا انْخَرَطَ فِي هَذَا السِّلْكِ ثَابِتَةُ الْمَوْقِعِ مِنَ

علامة النجح وقضاء الحاجة ، وان بقى خط واحد فهو علامة الخيبة — ويقال فلان يخط فى الأرض ، اذا كان يفكر فى أمره ويدبره (١) كان الأعراب فى الجاهلية يسمون وقت العشاء بالعتمة « وهى ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق أو وقت صلاة العشاء الآخرة » ، وفى الحديث : « لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم العشاء فان اسمها فى كتاب الله العشاء وانما يعتم بحلاب الابل » أى لا تسموا صلاة العشاء بالعتمة كما يسميها الأعراب كانوا يحلبون ابلهم اذا أعتموا ولكن سموها كما سماها الله تعالى ، وفيه النهى عن الاقتداء بهم فيما يخالف السنة ، أو أراد لا يغرنكم فعلهم هذا فتؤخروا صلاتكم ولكن صلوها اذا حان وقتها ، والتأويل الأول أظهر « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) يثرب اسم — كان — للناحية التى منها المدينة ، أو اسم للمدينة نفسها وقد نهى فى الحديث عن تسمية المدينة يثرب وسماها طيبة ، كأنه كره الثرب لأنه فساد فى كلام العرب ، أو كراهة التثريب وهو اللوم والتعيير (٣) قال تعالى : « ولا تنابزوا بالألقاب » (٤) قد تكون محرفة عن النسيب أو مراده التفاخر بالنسب

ٱلْقُلُوبِ ، وَٱلشَّرْعُ فِينَا مُنْذُ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً ، لَا نَحْفَظُهُ إِلَّا قَوْلًا ، وَلَا نَحْمِلُهُ إِلَّا كَلًّا[1] . ٱنْتَهَى

وَقَالَ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ غَازِي – بَعْدَ ذِكْرِ كَلَامِ مَوْلَايَ ٱلْجَدِّ مَا نَصُّهُ : وَحَدَّثَنِي ثِقَةٌ مِمَّنْ لَقِيتُ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مَدِينَةَ فَاسَ ٱلْعَلَّامَةُ أَبُو يَحْيَى ٱلشَّرِيفُ ٱلتِّلِمْسَانِيُّ ، وَتَصَدَّى لِإِقْرَاءِ ٱلتَّفْسِيرِ بِالْبَلَدِ ٱلْجَدِيدِ ، وَأَمَرَ ٱلسُّلْطَانُ أَبُو سَعِيدٍ ٱلْمَرِينِيُّ[2] ٱلْحَفِيدُ أَعْيَانَ ٱلْفُقَهَاءِ بِحُضُورِ مَجْلِسِهِ كَانَ مِمَّا أَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ مَنْزَعُ ٱلْمَقَّرِيِّ هٰذَا ، فَبَالَغُوا فِي إِنْكَارِهِ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا مَعْدِلَ عَمَّا عَوَّلَ عَلَيْهِ زُعَمَاءُ ٱلْفُقَهَاءِ كَابْنِ رُشْدٍ وَأَصْحَابُ ٱلْوَثَائِقِ

---

(١) الكل : أى الثقل ، وفى حديث البخارى : « انك لتحمل الكل » أى الثقل من كل مايتكلف (٢) تقدم التعريف به وأنه ولى الأمر سنة ٧١٠ وهو السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق . وفى سنة ٧٢٠ أمر السلطان أبو سعيد ببناء المدرسة التى بفاس الجديد فبنيت أحسن بناء وأتقنه ورتب فيها الطلبة والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والوظائف الكافية فى كل شهر ، وحبس عليها الرباع والضياع ابتغاء وجه الله ورغبة فيما عنده . وفى سنة ٧٢٣ أمر أيضا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس وهى المعروفة بمدرسة العطارين . وحضر السلطان حفلة الشروع فى تأسيسها بنفسه فجاءت من أعظم الأبنية وأفخم المصانع ، وعنى بأمرها ووقف

كَالْمتيْطِيِّ[١] مِنَ اعْتِمَادِ عَمَلِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . انْتَهَى .

***

مدن قرطبة

« وَقَالَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ » حِينَ ذَكَرَ قُرْطُبَةَ مَامُلَخَّصُهُ هِيَ قَاعِدَةُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَدَارُ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ ، وَأَهْلُهَا أَعْيَانُ الْبِلَادِ وَسَرَاةُ النَّاسِ فِي حُسْنِ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَاكِبِ وَعُلُوِّ الْهِمَمِ ، وَبِهَا أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ ، وَسَادَاتُ الْفُضَلَاءِ ، وَأَجْلَادُ[٢] الْغُزَاةِ وَأَنْجَادُ الْحُرُوبِ ، وَهِيَ فِي تَقْسِيمِهَا خَمْسُ مُدُنٍ يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْمَدِينَةِ سُورٌ عَظِيمٌ حَصِينٌ حَاجِزٌ ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ مُسْتَقِلَّةٌ بِنَفْسِهَا ، وَفِيهَا مَا يَكْفِي أَهْلَهَا مِنَ الْحَمَّامَاتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالصِّنَاعَاتِ ، وَطُولُ قُرْطُبَةَ ثَلَاثَةُ

مايكفي النفقة على طلبتها والقائمين بالدراسة من العلماء فيها (١) انظر فلعل الـكلمة محرفة عن « المتيجي » نسبة الى متيجة Mattiga بلد في أواخر افريقية من أعمال بني حماد، ينسب اليها أبو محمد عبدالله بن ابراهيم بن عيسى المتيجي

(٢) أجلاد: جمع جلد وهو القوى الشديد ذو الصبر والصلابة . والأنجاد جمع نجد، وهو الشجاع الشديد البأس السريع الاجابة الى مايدعى اليه .

أَمْيَالٍ فِي عَرْضِ مِيلٍ وَاحِدٍ ، وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ مُطِلٍّ عَلَيْهَا ، وَفِي مَدِينَتِهَا الثَّالِثَةِ ـ وَهِيَ الْوُسْطَى ـ الْقَنْطَرَةُ وَالْجَامِعُ الَّذِي لَيْسَ فِي مَعْمُورِ الْأَرْضِ مِثْلُهُ ، وَطُولُهُ مِائَةُ ذِرَاعٍ فِي عَرْضِ ثَمَانِينَ ، وَفِيهِ مِنَ السَّوَارِي الْكِبَارِ أَلْفُ سَارِيَةٍ ، وَفِيهِ مِائَةٌ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ ثُرَيَّا لِلْوُقُودِ ، أَكْبَرُهَا تَحْمِلُ أَلْفَ مِصْبَاحٍ ، وَفِيهِ مِنَ النُّقُوشِ وَالرُّقُومِ مَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى وَصْفِهِ ، وَبِقِبْلَتِهِ صِنَاعَاتٌ تُدْهِشُ الْعُقُولَ ، وَعَلَى فُرْجَةِ الْمِحْرَابِ سَبْعُ قِسِيٍّ قَائِمَةٍ عَلَى عُمُدٍ ، طُولُ كُلِّ قَوْسٍ فَوْقَ الْقَامَةِ ، قَدْ تَحَيَّرَ الرُّومُ وَالْمُسْلِمُونَ فِي حُسْنِ وَضْعِهَا ، وَفِي عِضَادَتَيِ[1] الْمِحْرَابِ أَرْبَعَةُ أَعْمِدَةٍ اثْنَانِ أَخْضَرَانِ وَاثْنَانِ لَازَوَرْدِيَّانِ ، لَيْسَ لَهَا قِيمَةٌ لِنَفَاسَتِهَا ، وَبِهِ مِنْبَرٌ لَيْسَ عَلَى مَعْمُورِ الْأَرْضِ أَنْفَسُ مِنْهُ وَلَا مِثْلُهُ فِي حُسْنِ صَنْعَتِهِ ، وَخَشَبُهُ سَاجٌ وَآبِنُوسٌ وَبَقَّمٌ وَعُودٌ قَاقُلِيٌّ ، وَيُذْكَرُ

(١) العضادتان : الناحيتان ، وعضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله .

فِي تَارِيخِ بَنِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ أُحْكِمَ عَمَلُهُ وَنَقْشُهُ فِي سَبْعِ سِنِينَ ، وَكَانَ يَعْمَلُ فِيهِ ثَمَانِيَةُ صُنَّاعٍ ، لِكُلِّ صَانِعٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ نِصْفُ مِثْقَالٍ مُحَمَّدِيٍّ ، فَكَانَ جُمْلَةُ مَا صُرِفَ عَلَى الْمِنْبَرِ لَا غَيْرُ عَشَرَةَ آلَافِ مِثْقَالٍ وَخَمْسِينَ مِثْقَالًا ، وَفِي الْجَامِعِ حَاصِلٌ كَبِيرٌ مَلْآنُ مِنْ آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ لِأَجْلِ وَقُودِهِ . وَبِهَذَا الْجَامِعِ مُصْحَفٌ يُقَالُ إِنَّهُ عُثْمَانِيٌّ . وَلِلْجَامِعِ عِشْرُونَ بَابًا مُصَفَّحَاتٌ بِالنُّحَاسِ الْأَنْدَلُسِيِّ مُخَرَّمَةٌ تَخْرِيمًا عَجِيبًا يُعْجِزُ الْبَشَرَ وَيَبْهَرُهُمْ ، وَفِي كُلِّ بَابٍ حَلْقَةٌ فِي نِهَايَةِ الصَّنْعَةِ وَالْحِكْمَةِ ، وَبِهِ الصَّوْمَعَةُ الْعَجِيبَةُ الَّتِي ارْتِفَاعُهَا مِائَةُ ذِرَاعٍ بِالْمَكِّيِّ الْمَعْرُوفِ بِالرَّشَاشِيِّ ، وَفِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الصَّنَائِعِ الدَّقِيقَةِ مَا يَعْجِزُ الْوَاصِفُ عَنْ وَصْفِهِ وَنَعْتِهِ . وَبِهَذَا الْجَامِعِ ثَلَاثَةُ أَعْمِدَةٍ حُمْرٍ مَكْتُوبٌ عَلَى الْوَاحِدِ اسْمُ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى الْآخَرِ صُورَةُ عَصَا مُوسَى وَأَهْلِ الْكَهْفِ ، وَعَلَى الثَّالِثِ صُورَةُ غُرَابِ نُوحٍ ، وَالْجَمِيعُ خِلْقَةٌ رَبَّانِيَّةٌ .

***

وَأَمَّا ٱلْقَنْطَرَةُ ٱلَّتِي بِقُرْطُبَةَ فَهِيَ بَدِيعَةُ ٱلصَّنْعَةِ عَجِيبَةُ ٱلْمَرْأَى . فَاقَتْ قَنَاطِرَ ٱلدُّنْيَا حُسْنًا ، وَعِدَّةُ قِسِيِّهَا سَبْعَ عَشْرَةَ قَوْسًا ، سَعَةُ كُلِّ قَوْسٍ مِنْهَا خَمْسُونَ شِبْرًا ، وَبَيْنَ كُلِّ قَوْسَيْنِ خَمْسُونَ شِبْرًا . وَبِالْجُمْلَةِ فَمَحَاسِنُ قُرْطُبَةَ أَفْضَلُ ٱلْمَحَاسِنِ ، وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ نُحِيطَ بِهَا وَصْفًا . ٱنْتَهَى مُلَخَّصًا ، وَهُوَ وَإِنْ تَكَرَّرَ بَعْضُهُ مَعَ مَا قَدَّمْتُهُ فَلَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ زَائِدَةٍ ، وَٱللهُ ٱلْمُوَفِّقُ . وَمَا ذَكَرَهُ فِي طُولِ ٱلْمَسْجِدِ وَعَرْضِهِ مُخَالِفٌ لِمَا مَرَّ ، وَيُمْكِنُ ٱلْجَوَابُ بِأَنَّ هَذَا ٱلذِّرَاعَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ — كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ هُوَ فِي أَمْرِ ٱلصَّوْمَعَةِ — وَكَذَا مَا ذَكَرَهُ فِي عَدَدِ ٱلسَّوَارِي ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ مَا تَقَدَّمَ بِٱعْتِبَارِ ٱلصِّغَارِ وَٱلْكِبَارِ ، وَهَذَا ٱلْعَدَدُ ٱلَّذِي ذَكَرَهُ هُنَا إِنَّمَا هُوَ لِلْكِبَارِ فَقَطْ — كَمَا صَرَّحَ بِهِ وَٱللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَأَمَّا ٱلثُّرَيَّاتُ فَقَدْ خَالَفَ فِي عَدِّهَا مَا تَقَدَّمَ ، مَعَ أَنَّ ٱلْمُتَقَدِّمَ هُوَ قَوْلُ ثِقَاتِ مُؤَرِّخِي ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَنَحْنُ جَلَبْنَا ٱلنَّقْلَ مِنْ مَوَاضِعِهِ وَإِنِ ٱخْتَلَفَتْ طُرُقُهُ وَمَضْمُونَاتُهُ . وَقَالَ فِي ٱلْمُغْرِبِ — عِنْدَ تَعَرُّضِهِ لِذِكْرِ جَامِعِ

قنطرة قرطبة

قُرْطبَةَ مَا نَصُّهُ : اُعْتَمَدْتُ فِيمَا نَقَلْتُهُ فِي هَذَا ٱلْفَصْلِ عَلَى كِتَابِ ٱبْنِ بَشْكُوَالَ ، فَقَدِ ٱعْتَنَى بِهَذَا ٱلشَّأْنِ أَتَمَّ ٱعْتِنَاءٍ وَأَغْنَى عَنِ ٱلِاسْتِطْلَاعِ إِلَى كَلَامِ غَيْرِهِ ؛ عَنِ ٱلرَّازِيِّ أَنَّهُ لَمَّا ٱفْتَتَحَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْأَنْدَلُسَ ٱمْتَثَلُوا مَا فَعَلَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ ٱلْجَرَّاحِ وَخَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ عَنْ رَأْيِ عُمَرَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ بِالشَّامِ مِنْ مُشَاطَرَةِ ٱلرُّومِ فِي كَنَائِسِهِمْ مِثْلِ كَنِيسَةِ دِمَشْقَ وَغَيْرِهَا مِمَّا أَخَذَهُ صُلْحًا ، فَشَاطَرَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَعَاجِمَ قُرْطُبَةَ كَنِيسَتَهُمُ ٱلْعُظْمَى ٱلَّتِي كَانَتْ دَاخِلَ مَدِينَتِهَا تَحْتَ ٱلسُّورِ ـ وَكَانُوا يُسَمُّونَهَا بِسَنْتْ بِنْجَنْتْ (١) وَٱبْتَنَوْا فِي ذَلِكَ ٱلشَّطْرِ مَسْجِدًا جَامِعًا ، وَبَقِيَ ٱلشَّطْرُ ٱلثَّانِي بِأَيْدِي ٱلنَّصَارَى ، وَهُدِّمَتْ عَلَيْهِمْ سَائِرُ ٱلْكَنَائِسِ بِحَضْرَةِ قُرْطُبَةَ ، وَٱقْتَنَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ إِلَى أَنْ كَثُرُوا ، وَتَزَيَّدَتْ عِمَارَةُ قُرْطُبَةَ ، وَنَزَلَهَا أُمَرَاءُ ٱلْعَرَبِ ، فَضَاقَ عَنْهُمْ ذَلِكَ ٱلْمَسْجِدُ ، وَجَعَلُوا يُعَلِّقُونَ مِنْهُ سَقِيفَةً بَعْدَ سَقِيفَةٍ

(١) في الأصل « سنت تنجنت » وأراها محرفة عن « سنت بنجنت Saint-Benjamites أي القديس بنيامين . « أحمد يوسف نجاتي »

يَسْتَكِنُّونَ بِهَا ، حَتَّى كَانَ ٱلنَّاسُ يَنَالُونَ فِي ٱلْوُصُولِ إِلَى دَاخِلِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَعْظَمِ مَشَقَّةً لِتَلَاصُقِ تِلْكَ ٱلسَّقَائِفِ وَقِصَرِ أَبْوَابِهَا وَتَطَامُنِ سَقْفِهَا ، حَتَّى مَا يُمْكِنُ أَكْثَرَهُمُ ٱلْقِيَامُ عَلَى ٱعْتِدَالٍ لِتَقَارُبِ سَقْفِهَا مِنَ ٱلْأَرْضِ ، وَلَمْ يَزَلِ ٱلْمَسْجِدُ عَلَى هَذِهِ ٱلصِّفَةِ إِلَى أَنْ دَخَلَ ٱلْأَمِيرُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱبْنُ مُعَاوِيَةَ ٱلْمَرْوَانِيُّ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَٱسْتَوْلَى عَلَى إِمَارَتِهَا وَسَكَنَ دَارَ سُلْطَانِهَا قُرْطُبَةَ وَتَمَدَّنَتْ بِهِ ، فَنَظَرَ فِي أَمْرِ ٱلْجَامِعِ ، وَذَهَبَ إِلَى تَوْسِعَتِهِ وَإِتْقَانِ بُنْيَانِهِ ، فَأَحْضَرَ أَعَاظِمَ ٱلنَّصَارَى وَسَامَهُمْ بَيْعَ مَا بَقِيَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ كَنِيسَتِهِمْ لِصْقَ ٱلْجَامِعِ لِيُدْخِلَهُ فِيهِ ، وَأَوْسَعَ لَهُمُ ٱلْبَذْلَ وَفَاءً بِالْعَهْدِ ٱلَّذِي صُولِحُوا عَلَيْهِ ، فَأَبَوْا مِنْ بَيْعِ مَا بِأَيْدِيهِمْ ، وَسَأَلُوا بَعْدَ ٱلْجَهْدِ بِهِمْ أَنْ يُبَاحُوا بِنَاءَ كَنِيسَتِهِمُ ٱلَّتِي هُدِّمَتْ عَلَيْهِمْ بِخَارِجِ ٱلْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّوْا لِلْمُسْلِمِينَ عَنْ هَذَا ٱلشَّطْرِ ٱلَّذِي طُولِبُوا بِهِ ، فَتَمَّ ٱلْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ ، فَٱبْتَنَى عِنْدَ ذَلِكَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلْمَسْجِدَ ٱلْجَامِعَ عَلَى صِفَةٍ ذَكَرَهَا لَا حَاجَةَ إِلَى تَفْسِيرِ ٱلزِّيَادَةِ فِيهِ ، وَإِنَّمَا ٱلْحَاجَةُ فِي وَصْفِهِ بِكَمَالِهِ . وَفِي بِنَائِهِ لِهَذِهِ ٱلزِّيَادَةِ يَقُولُ دِحْيَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلْبَلَوِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَأَنْفَقَ فِي دِينِ ٱلْإِلَهِ وَوَجْهِهِ
ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجَدِ
تَوَزَّعَهَا فِي مَسْجِدٍ أُسُّهُ ٱلتُّقَى
وَمَنْهَجُهُ دِينُ ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدِ
تَرَى ٱلذَّهَبَ ٱلنَّارِيَّ فَوْقَ سُمُوكِهِ
يَلُوحُ كَبَرْقِ ٱلْعَارِضِ ٱلْمُتَوَقِّدِ

قَالَ : وَكَمَلَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ . ثُمَّ ذَكَرَ زِيَادَةَ ٱبْنِهِ هِشَامٍ ٱلرِّضَا وَمَا جَدَّدَهُ فِيهِ وَأَنَّهُ بَنَاهُ مِنْ خُمْسِ فَيْءِ أَرْبُونَةَ ، ثُمَّ زِيَادَةَ ٱبْنِهِ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلْأَوْسَطِ لَمَّا تَزَايَدَ ٱلنَّاسُ ، قَالَ : وَهَلَكَ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّ ٱلزَّخْرَفَةَ فَأَتَمَّهَا وَلَدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ . ثُمَّ رَمَّ ٱلْمُنْذِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا وَهَى مِنْهُ ؛ وَذَكَرَ مَا جَدَّدَهُ خَلِيفَتُهُمُ ٱلنَّاصِرُ وَنَقْضَهُ

لِلصَّوْمَعَةِ ٱلْأُولَى وَبُنْيَانَهُ لِلصَّوْمَعَةِ ٱلْعَظِيمَةِ . قَالَ : وَلَمَّا وَلِيَ ٱلْحَكَمُ ٱلْمُسْتَنْصِرُ بْنُ ٱلنَّاصِرِ ـ وَقَدِ ٱتَّسَعَ نِطَاقُ قُرْطُبَةَ وَكَثُرَ أَهْلُهَا ، وَتَبَيَّنَ ٱلضِّيقُ فِي جَامِعِهَا ـ لَمْ يُقَدِّمْ شَيْئاً عَلَى ٱلنَّظَرِ فِي ٱلزِّيَادَةِ، فَبَلَغَ ٱلْجُهْدَ وَزَادَ ٱلزِّيَادَةَ ٱلْعُظْمَى ، قَالَ: وَبِهَا كَمُلَتْ مَحَاسِنُ هَذَا ٱلْجَامِعِ ، وَصَارَ فِي حَدٍّ يَقْصُرُ ٱلْوَصْفُ عَنْهُ . وَذَكَرَ حُضُورَهُ لِمُشَاوَرَةِ ٱلْعُلَمَاءِ فِي تَحْرِيفِ ٱلْقِبْلَةِ إِلَى نَحْوِ ٱلْمَشْرِقِ حَسْبَمَا فَعَلَهُ وَالِدُهُ ٱلنَّاصِرُ فِي قِبْلَةِ جَامِعِ ٱلزَّهْرَاءِ ـ لِأَنَّ أَهْلَ ٱلتَّعْدِيلِ يَقُولُونَ بِٱنْحِرَافِ قِبْلَةِ ٱلْجَامِعِ ٱلْقَدِيمَةِ إِلَى نَحْوِ ٱلْغَرْبِ ـ فَقَالَ لَهُ ٱلْفَقِيهُ أَبُو إِبْرَاهِيمَ (١) : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدْ صَلَّى إِلَى هَذِهِ ٱلْقِبْلَةِ خِيَارُ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ مِنْ أَجْدَادِكَ ٱلْأَئِمَّةِ وَصُلَحَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَائِهِمْ مُنْذُ ٱفْتُتِحَتِ ٱلْأَنْدَلُسُ إِلَى هَذَا ٱلْوَقْتِ

---

(١) أظنه أبا ابراهيم اسحق بن ابراهيم بن مسرة من أهل قرطبة «وأصله من طليطلة وهو من موالى بعض أهلها» كان من أئمة الفقهاء المالكية مشاورا فى الأحكام صدرا فى الفتيا وقورا مهيبا جليلا توفى ـ رحمه الله ـ سنة ٣٥٢ بطليطلة عن ٧٥ سنة وكان قد خرج غازيا مع الخليفة المستنصر بالله . « أحمد يوسف نجاتى » .

مُتَأَسِّينَ بِأَوَّلِ مَنْ نَصَبَهَا مِنَ ٱلتَّابِعِينَ كَمُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ وَحَنَشٍ ٱلصَّنْعَانِيِّ وَأَمْثَالِهِمْ ـ رَحِمَهُمُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ ، وَإِنَّمَا فَضُلَ مَنْ فَضُلَ بِالِاتِّبَاعِ ، وَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ بِالِابْتِدَاعِ . فَأَخَذَ ٱلْخَلِيفَةُ بِرَأْيِهِ وَقَالَ : نِعْمَ مَا قُلْتَ ! وَإِنَّمَا مَذْهَبُنَا ٱلِاتِّبَاعُ . قَالَ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ : وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْمُسْتَنْصِرِ أَنَّ ٱلنَّفَقَةَ فِي هٰذِهِ ٱلزِّيَادَةِ وَمَا ٱتَّصَلَ بِهَا ٱنْتَهَتْ إِلَى مِائَتَيْ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَحَدٍ وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ وَسَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ دِينَارًا وَدِرْهَمَيْنِ وَنِصْفٍ ، ثُمَّ ذَكَرَ ٱلصَّوْمَعَةَ نَقْلًا عَنِ ٱبْنِ بَشْكُوَالَ فَقَالَ : أَمَرَ ٱلنَّاصِرُ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ بِهَدْمِ ٱلصَّوْمَعَةِ ٱلْأُولَى سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَأَقَامَ هٰذِهِ ٱلصَّوْمَعَةَ ٱلْبَدِيعَةَ ، فَحَفَرَ فِي أَسَاسِهَا حَتَّى بَلَغَ ٱلْمَاءَ مُدَّةً مِنْ ثَلَاثَةٍ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَلَمَّا كَمَلَتْ رَكِبَ ٱلنَّاصِرُ إِلَيْهَا مِنْ مَدِينَةِ ٱلزَّهْرَاءِ ، وَصَعِدَ فِي ٱلصَّوْمَعَةِ مِنْ أَحَدِ دَرَجَيْهَا وَنَزَلَ مِنَ ٱلثَّانِي ، ثُمَّ خَرَجَ ٱلنَّاصِرُ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فِي ٱلْمَقْصُورَةِ وَٱنْصَرَفَ . قَالَ : وَكَانَتِ ٱلْأُولَى

ذَاتَ مَطْلَعٍ وَاحِدٍ ، فَصَيَّرَ لِهٰذِهِ مَطْلَعَيْنِ فَصَلَ بَيْنَهُمَا الْبِنَاءُ فَلَا يَلْتَقِي الرَّاقُونَ فِيهَا إِلَّا بِأَعْلَاهَا ، تَزِيدُ مَرَاقِي كُلِّ مَطْلَعٍ مِنْهَا عَلَى مِائَةٍ سَبْعًا . قَالَ : وَخَبَرُ هٰذِهِ الصَّوْمَعَةِ مَشْهُورٌ فِي الْأَرْضِ ، وَلَيْسَ فِي مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ صَوْمَعَةٌ تَعْدِلُهَا . قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : قَالَ ابْنُ بَشْكُوَالَ هٰذَا لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ صَوْمَعَةَ مُرَّاكُشَ وَلَا صَوْمَعَةَ إِشْبِيلِيَةَ اللَّتَيْنِ بَنَاهُمَا الْمَنْصُورُ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، فَهُمَا أَعْظَمُ وَأَطْوَلُ ـ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ طُولَ صَوْمَعَةِ قُرْطُبَةَ إِلَى مَكَانِ مَوْقِفِ الْمُؤَذِّنِ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَإِلَى أَعْلَى الرُّمَّانَةِ الْأَخِيرَةِ بِأَعْلَى الزُّجِّ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهَا فِي كُلِّ تَرْبِيعٍ مِنْهَا ثَمَانِيَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَذَلِكَ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ ذِرَاعًا ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : وَطُولُ صَوْمَعَةِ مُرَّاكُشَ مِائَةٌ وَعَشْرُ أَذْرُعٍ ، وَذَكَرَ أَنَّ صَوْمَعَةَ قُرْطُبَةَ بِضِخَامِ الْحِجَارَةِ الْفَظِيعَةِ(١) مُنَجَّدَةً غَايَةَ التَّنْجِيدِ ،

(١) كذا بالأصل ولعله يريد الهائلة التي جاوزت الحد فى العظم والضخامة وفى بعض النسخ « القطعية » و « القطيعة » أى المقطوعة من الجبال ـ ونجده اذا سواه وحسنه وصقله « أحمد يوسف نجاتي »

وَفِى أَعْلَى ذِرْوَتِهَا ثَلَاثُ شَمَسَاتٍ[١] يُسَمُّونَهَا رُمَّانَةً ـ مُلْصَقَةٌ فِى ٱلسَّفُّودِ[٢] ٱلْبَارِزِ فِى أَعْلَاهَا مِنَ ٱلنُّحَاسِ ، ٱلثِّنْتَانِ مِنْهَا ذَهَبٌ إِبْرِيزٌ ، وَٱلثَّالِثَةُ مِنْهَا وُسْطَى بَيْنَهُمَا مِنْ فِضَّةٍ إِكْسِيرٍ[٣] وَفَوْقَهَا سَوْسَنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ مُسَدَّسَةٌ ، فَوْقَهَا رُمَّانَةُ ذَهَبٍ صَغِيرَةٌ فِى طَرَفِ ٱلزُّجِّ ٱلْبَارِزِ بِأَعْلَى ٱلْجَوِّ ، وَكَانَ تَمَامُ هٰذِهِ ٱلصَّوْمَعَةِ فِى ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا . وَذَكَرَ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ فِى رِوَايَةٍ أَنَّ مَوْضِعَ ٱلْجَامِعِ ٱلْأَعْظَمِ بِقُرْطُبَةَ كَانَ حُفْرَةً عَظِيمَةً يَطْرَحُ فِيهَا أَهْلُ قُرْطُبَةَ قُمَامَتَهُمْ وَغَيْرَهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ـ صَلَّى ٱللّٰهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا ـ وَدَخَلَ قُرْطُبَةَ قَالَ لِلْجِنِّ : أَرْدِمُوا هٰذَا ٱلْمَوْضِعَ وَعَدِّلُوا مَكَانَهُ ، فَسَيَكُونُ فِيهِ بَيْتٌ يُعْبَدُ ٱللّٰهُ فِيهِ ، فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَبُنِيَ فِيهِ بَعْدَ ذَٰلِكَ ٱلْجَامِعُ ٱلْمَذْكُورُ . قَالَ : وَمِنْ فَضَائِلِهِ أَنَّ ٱلدَّارَاتِ[٤]

(١) جمع شمس شبهت الرمانة بها فى الاشراق والضوء (٢) السفود فى الأصل حديدة ذات شعب معقفة يشوى بها اللحم أطلقه هنا على ما يشبهه .
(٣) يريد الفضة الخالصة النقية ، والذهب الابريز أيضا هو الخالص (٤) الدارة هي الدائرة ، والمائلة أى الشاخصة البارزة .

ٱلْمَاثِلَةَ فِي تَزَاوِيقِ سَمَائِهِ مَكْتُوبَةٌ كُلُّهَا بِالذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ إِلَى غَيْرِهِ بِأَحْكَمِ صَنْعَةٍ . ٱنْتَهَى .

***

مصحف عثمان رضى الله عنه

وَذَكَرَ مُصْحَفَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ـ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ ٱلَّذِي كَانَ فِي جَامِعِ قُرْطُبَةَ وَصَارَ إِلَى بَنِي عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ فَقَالَ : هُوَ مُصْحَفُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ـ رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ مِمَّا خَطَّهُ بِيَمِينِهِ ، وَلَهُ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ شَأْنٌ عَظِيمٌ . ٱنْتَهَى . وَسَنَذْكُرُ فِيهِ زِيَادَةً عَلَى هٰذَا .

***

مدينة الزهراء ومسجدها

وَأَمَّا ٱلزَّهْرَاءُ فَهِيَ مَدِينَةُ ٱلْمُلْكِ ٱلَّتِي ٱخْتَرَعَهَا أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلنَّاصِرُ لِدِينِ ٱللهِ ـ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ـ وَهِيَ مِنَ ٱلْمُدُنِ ٱلْجَلِيلَةِ ٱلْعَظِيمَةِ ٱلْقَدْرِ . قَالَ ٱبْنُ ٱلْفَرَضِيِّ وَغَيْرُهُ : كَانَ يَعْمَلُ فِي جَامِعِهَا حِينَ شُرِعَ فِيهِ مِنْ حُذَّاقِ ٱلْفَعَلَةِ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفُ نَسَمَةٍ ؛ مِنْهَا ثَلَثُمِائَةِ بَنَّاءٍ وَمِائَتَا نَجَّارٍ وَخَمْسُمِائَةٍ مِنَ ٱلْأُجَرَاءِ وَسَائِرِ ٱلصُّنَّاعِ ، فَٱسْتَتَمَّ بُنْيَانُهُ وَإِتْقَانُهُ فِي مُدَّةٍ مِنْ ثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَجَاءَ فِي غَايَةِ

ٱلْإِتْقَانِ مِنْ خَمْسَةِ أَبْهَاءٍ عَجِيبَةِ ٱلصَّنْعَةِ ، وَطُولُهُ مِنَ ٱلْقِبْلَةِ إِلَى ٱلْجَوْفِ ـ حَاشَا ٱلْمَقْصُورَةَ ـ ثَلَاثُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ ٱلْبَهْوِ ٱلْأَوْسَطِ مِنْ أَبْهَائِهِ مِنَ ٱلشَّرْقِ إِلَى ٱلْغَرْبِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُ كُلِّ بَهْوٍ مِنَ ٱلْأَرْبَعَةِ ٱلْمُكْتَنِفَةِ لَهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ صَحْنِهِ ٱلْمَكْشُوفِ مِنَ ٱلْقِبْلَةِ إِلَى ٱلْجَوْفِ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ مِنَ ٱلشَّرْقِ إِلَى ٱلْغَرْبِ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَجَمِيعُهُ مَفْرُوشٌ بِالرُّخَامِ ٱلْخَمْرِيِّ ، وَفِي وَسَطِهِ فَوَّارَةٌ يَجْرِي فِيهَا ٱلْمَاءُ ، فَطُولُ هَذَا ٱلْمَسْجِدِ أَجْمَعَ مِنَ ٱلْقِبْلَةِ إِلَى ٱلْجَوْفِ سِوَى ٱلْمِحْرَابِ سَبْعٌ وَتِسْعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ مِنَ ٱلشَّرْقِ إِلَى ٱلْغَرْبِ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا ، وَطُولُ صَوْمَعَتِهِ فِي ٱلْهَوَاءِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهَا عَشْرُ أَذْرُعٍ فِي مِثْلِهَا . وَأَمَرَ ٱلنَّاصِرُ لِدِينِ ٱللهِ بِاتِّخَاذِ مِنْبَرٍ بَدِيعٍ لِهَذَا ٱلْمَسْجِدِ ، فَصُنِعَ فِي نِهَايَةٍ مِنَ ٱلْحُسْنِ ، وَوُضِعَ فِي مَكَانِهِ مِنْهُ ، وَحُظِرَتْ[1] حَوْلَهُ

(١) من الحظيرة وهي كل ماأحاط بالشيء خشباأوقصبا أوغيرهما ، والحظار كل ماحال بينك وبين الشيء ، وكل حاجز بين شيئين

مَقْصُورَةٌ عَجِيبَةُ ٱلصَّنْعَةِ ، وَكَانَ وَضْعُ هَـذَا ٱلْمِنْبَرِ فِي مَـكَانِهِ مِنْ هَـذَا ٱلْمَسْجِدِ عِنْدَ إِكْمَالِهِ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ . قَالَ: وَفِي صَدْرِ هَذِهِ ٱلسَّنَةِ كَمَلَ لِلنَّاصِرِ بُنْيَانُ ٱلْقَنَاةِ ٱلْغَرِيبَةِ ٱلصَّنْعَةِ ٱلَّتِي أَجْرَاهَا ، وَجَرَى فِيهَا ٱلْمَاءُ ٱلْعَذْبُ مِنْ جَبَلِ قُرْطُبَةَ إِلَى قَصْرِ ٱلنَّاعُورَةِ غَرْبِيَّ قُرْطُبَةَ فِي ٱلْمَنَاهِرِ[1] ٱلْمُهَنْدَسَةِ وَعَلَى ٱلْحَنَايَا ٱلْمَعْقُودَةِ ، يَجْرِي مَاؤُهَا بِتَدْبِيرٍ عَجِيبٍ وَصَنْعَةٍ مُحْـكَمَةٍ إِلَى بِرْكَةٍ عَظِيمَةٍ عَلَيْهَا أَسَدٌ عَظِيمُ ٱلصُّورَةِ بَدِيعُ ٱلصَّنْعَةِ شَدِيدُ ٱلرَّوْعَةِ ، لَمْ يُشَاهَدْ أَبْهَى مِنْهُ فِيمَا صَوَّرَ ٱلْمُلُوكُ فِي غَابِرِ ٱلدَّهْرِ ، مَطْلِيٌّ بِذَهَبٍ إِبْرِيزٍ ، وَعَيْنَاهُ جَوْهَرَتَانِ لَهُمَا وَبِيصٌ[2] شَدِيدٌ ، يَجُوزُ هَذَا ٱلْمَاءُ إِلَى عَجُزِ هَذَا ٱلْأَسَدِ فَيَمُجُّهُ فِي تِلْكَ ٱلْبِرْكَةِ مِنْ فِيهِ ، فَيَبْهَرُ ٱلنَّاظِرَ بِحُسْنِهِ وَرَوْعَةِ مَنْظَرِهِ وَثَجَاجَةِ[3] صَبِّهِ ، فَتُسْقَى مِنْ مُجَاجِهِ[4] جِنَانُ

(١) أصل المنهر موضع فى النهر يحتفره الماء ، وموضع النهر (٢) وبص البرق وغيره يبص وبيصا اذا لمع وبرق ، والوباص البراق اللون . وفى بعض النسخ « وميض » وهو مثله (٣) ثج الماء : أساله ، وثج الماء اذا كثر صبه وسيله (٤) مج الماء من فيه اذا لفظه وألقاه ، والمجاج اسم لهذا الماء الذى يرمى من الفم

هَذَا ٱلْقَصْرِ عَلَى سَعَتِهَا ، وَيَسْتَفِيضُ عَلَى سَاحَاتِهِ وَجَنَبَاتِهِ ، وَيَمُدُّ ٱلنَّهْرَ ٱلْأَعْظَمَ بِمَا فَضَلَ مِنْهُ ، فَكَانَتْ هَذِهِ ٱلْقَنَاةُ وَبِرْكَتُهَا وَٱلتِّمْثَالُ ٱلَّذِي يَصُبُّ فِيهَا مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ ٱلْمُلُوكِ فِي غَابِرِ ٱلدَّهْرِ ؛ لِبُعْدِ مَسَاقِهَا ، وَٱخْتِلَافِ مَسَالِكِهَا ، وَفَخَامَةِ بُنْيَانِهَا وَسُمُوِّ أَبْرَاجِهَا ٱلَّتِي يَتَرَقَّى ٱلْمَاءُ مِنْهَا ، وَيَتَصَوَّبُ[1] مِنْ أَعَالِيهَا ، وَكَانَتْ مُدَّةُ ٱلْعَمَلِ فِيهَا مِنْ يَوْمَ ٱبْتُدِئَتْ مِنَ ٱلْجَبَلِ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ ــ أَعْنِي ٱلْقَنَاةَ ــ إِلَى هَــذِهِ ٱلْبِرْكَةِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ ٱنْطِلَاقُ ٱلْمَاءِ فِي هَذِهِ ٱلْبِرْكَةِ ٱلِانْطِلَاقَ ٱلَّذِي ٱتَّصَلَ وَٱسْتَمَرَّ يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ غُرَّةَ جُمَادَى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلسَّنَةِ ، وَكَانَتْ لِلنَّاصِرِ فِي هَذَا ٱلْيَوْمِ بِقَصْرِ ٱلنَّاعُورَةِ دَعْوَةٌ حَسَنَةٌ ، أَفْضَلَ فِيهَا عَلَى عَامَّةِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَوَصَلَ ٱلْمُهَنْدِسِينَ وَٱلْقُوَّامَ بِٱلْعَمَلِ بِصِلَاتٍ حَسَنَةٍ جَلِيلَةٍ جَزِيلَةٍ .

وَأَمَّا مَدِينَةُ ٱلزَّهْرَاءِ فَٱسْتَمَرَّ ٱلْعَمَلُ فِيهَا مِنْ عَامِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى آخِرِ دَوْلَةِ ٱلنَّاصِرِ وَٱبْنِهِ ٱلْحَكَمِ ، وَذَلِكَ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا فُرِغَ مِنْ بِنَاءِ مَسْجِدِ

(١) صاب الشيء وتصوب اذا نزل من علو الى سفل وانحدر .

اَلزَّهْرَاءِ عَلَى مَا وُصِفَ كَانَتْ أَوَّلُ جَمَاعَةٍ صُلِّيَتْ فِيهِ صَلَاةَ اَلْمَغْرِبِ مِنْ لَيْلَةِ اُلْجُمُعَةِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ، وَكَانَ اُلْإِمَامُ اَلْقَاضِيَ أَبَا عَبْدِ اُللهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اُللهِ بْنِ أَبِي عِيسَى (١) ،

(١) هو محمد بن عبد الله بن يحي بن يحي بن كثير الليثى « وجده يحي ابن يحي الليثى توفى سنة ٣٠٣ » ولى قضاء الجماعة بقرطبة وكان فقيها جليلا موصوفا بالعقل والعدل والصلابة فى الحق والاعتصام بحبل الدين حسن التهذيب قويم الثقافة، يجمع الى العلم أدبا وظرفا ، والى الدين مروءة وبلاغة والى الفقه والقضاء كتابة وشعرا، مع رقة حاشية، ودماثة طبع ،ولين كنف ناهيك منه بطبع ألطف من الهواء ، وشمائل أعذب من زلال الماء، وخلق أرق من نسمات الأسحار ، اذا غازلت عذبات الأشجار ، تغرد فوقها بلابل الأطيار. ناهيك بقاض عدل، وفقيه أديب كان عذب الروح خفيف الظل. اذا أقبل لم تر بين الناس — مع هيبتهم له — الافؤادا راقصا ، وطرفا شاخصا حدث القاضى أبو الوليد يونس بن عبد الله قاضى الجماعة بقرطبة عن أبيه عبد الله بن محمد بن مغيث أنه شاهد قاضى الجماعة محمد بن أبى عيسى فى دار رجل من بنى حدير مع أخيه أبى عيسى فى ناحية مقابر قريش وقد خرجوا لحضور جنازة وجارية للحدير تغنى بهذه الأبيات :

طابت بطيب لثاتك الأقداح ... وزهت بحمرة خدك التفاح

واذا النسيم تنسمت أرواحه ... طابت بطيب نسيمك الأرواح

واذا الحنادس ألبست ظلماءها ... فضياء وجهك فى الدجى مصباح

فكتبها القاضى فى يده ثم خرجوا ، قال يونس بن عبد الله فلقد رأيته يكبر للصلاة على الجنازة والأبيات مكتوبة على باطن كفه وتوفى سنة ٣٣٩، رحمه الله . قلت هذا وربك يسر الدين يتجلى فى معرض الأدب ، والعلم الغزير ينمو بالدأب على الطلب ، وهذا هو الصلاح الجم يبسم فى طلاقة وبشر ، ويرى أن الدين متين ليس فيه عسر ، وكذلك كان ابن عباس

وَمِنَ ٱلْغَدِ صَلَّى ٱلنَّاصِرُ فِيهِ ٱلْجُمُعَةَ ، وَأَوَّلُ مَنْ خَطَبَ بِهِ ٱلْقَاضِي ٱلْمَذْكُورُ .

***

قصر الزهراء

وَلَمَّا بَنَى ٱلنَّاصِرُ قَصْرَ ٱلزَّهْرَاءِ ٱلْمُتَنَاهِيَ فِي ٱلْجَلَالَةِ وَٱلْفَخَامَةِ أَطْبَقَ ٱلنَّاسُ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُبْنَ مِثْلُهُ فِي ٱلْإِسْلَامِ ٱلْبَتَّةَ ، وَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ ٱلْبِلَادِ ٱلنَّائِيَةِ وَٱلنِّحَلِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ مِنْ مَلِكٍ وَارِدٍ وَرَسُولٍ وَافِدٍ وَتَاجِرٍ جِهْبِذٍ(١) ـ وَفِي هَذِهِ ٱلطَّبَقَاتِ مِنَ ٱلنَّاسِ تَكُونُ ٱلْمَعْرِفَةُ وَٱلْفِطْنَةُ ـ إِلَّا وَكُلُّهُمْ قَطَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرَ لَهُ شِبْهاً ، بَلْ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ ، بَلْ لَمْ يَتَوَهَّمْ كَوْنَ مِثْلِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ أَعْجَبَ مَا يُؤَمِّلُهُ(٢) ٱلْقَاطِعُ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ فِي تِلْكَ ٱلْعُصُورِ ٱلنَّظَرُ إِلَيْهِ وَٱلتَّحَدُّثُ عَنْهُ . وَٱلْأَخْبَارُ عَنْ هَذَا تَتَّسِعُ جِدًّا ، وَٱلْأَدِلَّةُ عَلَيْهِ تَكْثُرُ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا ٱلسَّطْحُ ٱلْمُمَرَّدُ(٣) ٱلْمُشْرِفُ عَلَى ٱلرَّوْضَةِ ٱلْمُبَاهِي بِمَجْلِسِ ٱلذَّهَبِ ، وَٱلْقُبَّةُ وَعَجِيبُ

حبر هذه الأمة وغيره ممن فهم حقيقة الدين ، لاما يسوم الناس تجشمه من عابسي المتنطعين ، والمتجهمين من غلاة المتزمتين «أحمد يوسف نجاتي»

(١) في الأصل « وجهيد » وهو تحريف ـ والجهبذ هو النقاد الخبير بغوامض الأمور البارع العارف بطرق النقد « وهو لفظ معرب »(٢) في الأصل « يوصله » وهو تحريف (٣) بناء ممرد أي مطول مسوى مملس

مَا تَضَمَّنَهُ مِنْ إِتْقَانِ ٱلصَّنْعَةِ وَفَخَامَةِ ٱلْهِمَّةِ وَحُسْنِ ٱلْمُسْتَشْرَفِ وَبَرَاعَةِ ٱلْمَلْبَسِ وَٱلْحِلْيَةِ. مَا بَيْنَ مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ(١) ، وَذَهَبٍ مَوْضُونٍ(٢) وَعُمُدٍ كَأَنَّمَا أُفْرِغَتْ فِي ٱلْقَوَالِبِ ، وَنُقُوشٍ كَالرِّيَاضِ ، وَبِرَكٍ عَظِيمَةٍ مُحْكَمَةِ ٱلصَّنْعَةِ وَحِيَاضٍ ، وَتَمَاثِيلَ عَجِيبَةِ ٱلْأَشْخَاصِ ، لَا تَهْتَدِي ٱلْأَوْهَامُ إِلَى سَبِيلِ ٱسْتِقْصَاءِ ٱلتَّعْبِيرِ عَنْهَا لَكَفَى. فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي أَقْدَرَ هٰذَا ٱلْمَخْلُوقَ ٱلضَّعِيفَ عَلَى إِبْدَاعِهَا وَٱخْتِرَاعِهَا مِنْ أَجْزَاءِ ٱلْأَرْضِ ٱلْمُنْحَلَّةِ ، كَيْمَا يُرِيَ ٱلْغَافِلِينَ عَنْهُ مِنْ عِبَادِهِ مِثَالًا لِمَا أَعَدَّهُ لِأَهْلِ ٱلسَّعَادَةِ فِي دَارِ ٱلْمُقَامَةِ ٱلَّتِي لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا ٱلْفَنَاءُ ، وَلَا تَحْتَاجُ إِلَى ٱلرَّمِّ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمُنْفَرِدُ بِٱلْكَرَمِ .

---

(١) المسنون أى المملس ، قال عبدالرحمن بن حسان بن ثابت :

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ـراء تمشى فى مرمر مسنون

«وتروى هذه الأبيات لأبى دهبل الجمحى » (٢) فى الأصل « مصون » محرفة ــ وضن الشيء يضنه « كوعد» إذا ضاعفه ونضده، والدرع الموضونة المنسوجة بالجواهر ، والوضن: نسج السرير أو الثياب بالدر ، وسرير موضون مضاعف النسج ، ومنه قوله تعالى : « على سرر موضونة » .

« وَذَكَرَ ٱلْمُؤَرِّخُ » أَبُو مَرْوَانَ بْنُ حَيَّانَ(١) صَاحِبُ ٱلشُّرْطَةِ أَنَّ مَبَانِيَ ٱلزَّهْرَاءِ ٱشْتَمَلَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ سَارِيَةٍ مَا بَيْنَ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ وَمَحْمُولَةٍ – وَنَيِّفٍ عَلَى ثَلَثِمِائَةِ سَارِيَةٍ هُوَ سِتَّ عَشْرَةَ(٢) . قَالَ : مِنْهَا مَا جُلِبَ مِنْ مَدِينَةِ رُومَةَ ، وَمِنْهَا مَا أَهْدَاهُ صَاحِبُ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ – وَأَنَّ مَصَارِيعَ أَبْوَابِهَا صِغَارَهَا وَكِبَارَهَا كَانَتْ تُنِيفُ عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ بَابٍ ، وَكُلُّهَا مُلَبَّسَةٌ بِالْحَدِيدِ وَٱلنُّحَاسِ ٱلْمُمَوَّهِ ، وَٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَهْوَلِ مَا بَنَاهُ ٱلْإِنْسُ وَأَجَلِّهِ خَطَرًا وَأَعْظَمِهِ شَأْنًا . ٱنْتَهَى

قُلْتُ : فَسَّرَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ ٱلنَّيِّفَ فِي كَلَامِهِ بِثَلَاثَ عَشْرَةَ(٣) . وَٱللّٰهُ أَعْلَمُ .

---

(١) هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان مولى الأمير عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان ، من أهل قرطبة وصاحب التاريخ الكبير فى أخبار الأندلس كان ذا حظ عظيم من العلم والأدب والمعرفة والبيان والبراعة والبلاغة وصدق الايراد والتحرى للصواب فيما ينقله ويكتبه ، ولد سنة ٣٧٧ وتوفى سنة ٤٦٩ (٢) كانت هذه العبارة فى الأصل مشوهة مهوشة بالتحريف والتقديم والتأخير ، والذى يقصده أن عدد السوارى كان ٤٣١٦ سارية (٣) فيكون مجموع عدد السوارى على ذلك ٤٣١٣ سارية « أحمد يوسف نجاتى »

« وَقَالَ بَعْضُ مَنْ أَرَّخَ ٱلْأَنْدَلُسَ » : كَانَ عَدَدُ ٱلْفِتْيَانِ بِالزَّهْرَاءِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ فَتًى وَسَبْعَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ فَتًى ، وَدِخَالَتُهُمْ مِنَ ٱللَّحْمِ كُلَّ يَوْمٍ ـ حَاشَا أَنْوَاعِ ٱلطَّيْرِ وَٱلْحُوتِ ـ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ ، وَعِدَّةُ ٱلنِّسَاءِ بِقَصْرِ ٱلزَّهْرَاءِ ٱلصِّغَارِ وَٱلْكِبَارِ وَخَدَمِ ٱلْخِدْمَةِ سِتَّةُ آلَافٍ وَثَلَثُمِائَةِ امْرَأَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ . ٱنْتَهَى .

وَقِيلَ إِنَّ عَدَدَ ٱلصِّبْيَانِ(١) ٱلصَّقَالِبَةِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَسَبْعُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ . وَجَعَلَ بَعْضٌ مَكَانَ ٱلْخَمْسِينَ سَبْعَةً وَثَمَانِينَ . « وَقَالَ آخَرُ » سِتَّةُ آلَافِ صَقْلَبِيٍّ وَسَبْعَةٌ وَثَمَانُونَ ، وَٱلْمُرَتَّبُ مِنَ ٱلْخُبْزِ لِحِيتَانِ بُحَيْرَةِ ٱلزَّهْرَاءِ ٱثْنَا عَشَرَ أَلْفَ خُبْزَةٍ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيُنْقَعُ لَهَا مِنَ ٱلْحِمَّصِ ٱلْأَسْوَدِ سِتَّةُ أَقْفِزَةٍ كُلَّ يَوْمٍ . ٱنْتَهَى .

ثُمَّ قَالَ ٱلْأَوَّلُ : وَكَانَ لِهٰؤُلَاءِ مِنَ ٱللَّحْمِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ ، تُقَسَّمُ مِنْ عَشَرَةِ أَرْطَالٍ لِلشَّخْصِ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ

(١) فى بعض النسخ « الفتيان » وهو المألوف المعروف .

سِوَى ٱلدَّجَاجِ وَٱلْحَجَلِ وَصُنُوفِ ٱلطَّيْرِ وَضُرُوبِ ٱلْحِيتَانِ. ٱنْتَهَى.

« وَقَالَ ٱبْنُ حَيَّانَ » : أَلْفَيْتُ بِخَطِّ ٱبْنِ دَحُّونَ(١) ٱلْفَقِيهِ: قَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْعَرِيفُ ٱلْمُهَنْدِسُ: بَدَأَ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلنَّاصِرُ لِدِينِ ٱللهِ بِعِمَارَةِ ٱلزَّهْرَاءِ أَوَّلَ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَثَلٰثِمِائَةٍ ، وَكَانَ مَبْلَغُ مَا يُنْفَقُ فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنَ ٱلصَّخْرِ ٱلْمَنْحُوتِ ٱلْمَنْجُورِ ٱلْمُعَدَّلِ سِتَّةَ آلَافِ صَخْرَةٍ سِوَى ٱلصَّخْرِ ٱلْمُنْصَرِفِ فِي ٱلتَّبْلِيطِ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي هٰـذَا ٱلْعَدَدِ ، وَكَانَ يَخْدُمُ فِي ٱلزَّهْرَاءِ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةِ

(١) فى الأصل « دجون » وهو تحريف — وأرى أن ابن دحون هذا من ذرية أبى سليمان حبيب بن الوليد بن حبيب « الداخل الى الأندلس » ابن عبد الله بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، من أهل قرطبة ويلقب بدحون ، كان فقيها عالما وشاعرا محسنا فى أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، وابنه بشر بن حبيب كان فقيها عالما ، وجده حبيب والد جماعة الحبيبيين من قريش بالأندلس، ومنهم محمد بن سليمان ابن أحمد بن حبيب بن الوليد بن عمر بن حبيب بن عبد الملك بن عمر ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم المعروف بالحبيبي توفى سنة ٣٢٨ وسوف نوفى هؤلاء الجماعة حقهم من البيان ، فقد كان لهم ولذريتهم أثر حميد فى العلم والفقه والأدب بالأندلس . « أحمد يوسف نجاتى »

بَغْلٍ ، وَقِيـــلَ أَكْثَرُ ، مِنْهَا أَرْبَعُمِائَةٍ زَوَامِلُ(١) النَّاصِرِ لِدِينِ اللهِ ، وَمِنْ دَوَابِّ الْأَكْرِيَةِ(٢) الرَّاتِبَةِ لِلْخِدْمَةِ أَلْفُ بَغْلٍ ، لِكُلِّ مِنْهَا ثَلَاثَةُ مَثَاقِيلَ فِي الشَّهْرِ ، يَجِبُ لَهَا فِي الشَّهْرِ ثَلَاثَةُ آلَافِ مِثْقَالٍ . وَكَانَ يَرِدُ الزَّهْرَاءَ مِنَ الْجِيرِ وَالْجِصِّ فِي كُلِّ ثَالِثٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَلْفٌ وَمِائَةُ حِمْلٍ ، وَكَانَ فِيهَا حَمَّامَانِ وَاحِدَةٌ لِلْقَصْرِ(٣) وَثَانِيَةٌ لِلْعَامَّةِ . وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ

(١) جمع زاملة وهي التي يحمل عليها الطعام والشراب والزاد والمتاع في السفر من الابل وغيرها ، من الزمل وهو الحمل (٢) الأكرية جمع كراء وهو أجرة المستأجر ، وفي بعض النسخ « أكرياء » جمع كرى وهو المكاري الذى يكرى دابته « ولعل هذه النسخة أصح ، فان جمع كرى أولى من جمع كراء لأن كراء مصدر كارى مكاراة وكراء ، وفي جمع المصدر مافيه — والراتب : الثابت المقيم . ورتب الشيء « كقعد » اذا ثبت ودام ولزم ، ورتبه ترتيبا : أثبته (٣) أنث الحمام والمعروف أنه مذكر « وهو أحد ماجاء من الأسماء على وزن فعال نحو قذاف وجبان » قال سيبويه : جمعوه بالألف والتاء « حمامات » وان كان مذكرا حين لم يكسر جعلوا ذلك عوضا عن التكسير ، اه ومما يدل على تذكيره قول عبيد الله بن القرط الأسدى

نهيتهما عن نورة أحرقتهما ‎ ‎ وحمام سوء ماؤه يتسعر

وأنشد أبو العباس المبرد لرجل من مزينة:

خليلى بالبوباة عوجا فلا أرى ‎ ‎ بها منزلا الا جديب المقيد
نذق برد نجد بعد مالعبت بنا ‎ ‎ تهامة في حمامها المتوقد

وذكر أبو محمد بن برى تأنيثه في بيت زعم الجوهرى أنه يصف حماما وهو

فاذا دخلت سمعت فيها رجة ‎ ‎ لغط المعاول في بيوت هداد

الْخِدْمَةِ فِي الزَّهْرَاءِ أَنَّهُ أَنَّهُ قَدَّرَ النَّفَقَةَ فِيهَا فِي كُلِّ عَامٍ بِثَلثِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ مُدَّةَ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ دَوْلَةِ النَّاصِرِ مِنْ حِينَ ابْتَدَأَهَا - لِأَنَّهُ تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسِينَ فَحَصَّلَ جَمِيعَ الْإِنْفَاقِ فِيهَا فَكَانَ مَبْلَغُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ بَيْتَ مَالٍ . قَالَ: وَجَلَبَ إِلَيْهَا الرُّخَامَ مِنْ قَرْطَاجَنَّةَ وَإِفْرِيقِيَّةَ وَتُونُسَ ، وَكَانَ الَّذِينَ يَجْلِبُونَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ يُونُسَ عَرِيفُ الْبَنَّائِينَ وَحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ ، وَكَانَ النَّاصِرُ يَصِلُهُمْ عَلَى كُلِّ رُخَامَةٍ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ بِعَشَرَةِ دَنَانِيرَ . انْتَهَى .

وَقَالَ بَعْضُ ثِقَاتِ الْمُؤَرِّخِينَ : إِنَّهُ كَانَ يَصِلُهُمْ عَلَى كُلِّ رُخَامَةٍ صَغِيرَةٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ، وَعَلَى كُلِّ سَارِيَةٍ بِثَمَانِيَةِ دَنَانِيرَ ، قِيلَ : وَكَانَ عَدَدُ السَّوَارِي الْمَجْلُوبَةِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ أَلْفَ سَارِيَةٍ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سَارِيَةً ، وَمِنْ بِلَادِ الْإِفْرَنْجِ تِسْعَ عَشْرَةَ سَارِيَةً ، وَأَهْدَى إِلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ سَارِيَةً ، وَسَائِرُهَا مِنْ مَقَاطِعِ الْأَنْدَلُسِ ؛ تَرَّكُونَةَ وَغَيْرِهَا ، فَالرُّخَامُ الْمُجَزَّعُ مِنْ رَيَّةَ ، وَالْأَبْيَضُ مِنْ غَيْرِهَا ،

وَٱلْوَرْدِيُّ وَٱلْأَخْضَرُ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ مِنْ كَنِيسَةِ سَفَاقُسَ . وَأَمَّا ٱلْحَوْضُ ٱلْمَنْقُوشُ ٱلْمُذَهَّبُ ٱلْغَرِيبُ ٱلشَّكْلِ ٱلْغَالِي ٱلْقِيمَةِ فَجَلَبَهُ إِلَيْهِ أَحْمَدُ ٱلْيُونَانِيُّ مِنَ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ رَبِيعٍ ٱلْأَسْقُفِّ ٱلْقَادِمِ مِنْ إِيلِيَاءَ ، وَأَمَّا ٱلْحَوْضُ ٱلصَّغِيرُ ٱلْأَخْضَرُ ٱلْمَنْقُوشُ بِتَمَاثِيلِ ٱلْإِنْسَانِ فَجَلَبَهُ أَحْمَدُ مِنَ ٱلشَّامِ وَقِيلَ مِنَ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ رَبِيعٍ ٱلْأَسْقُفِّ أَيْضًا ، وَقَالُوا إِنَّهُ لَا قِيمَةَ لَهُ لِفَرْطِ غَرَابَتِهِ وَجَمَالِهِ ، وَحُمِلَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى وَصَلَ فِي ٱلْبَحْرِ ، وَنَصَبَهُ ٱلنَّاصِرُ فِي بَيْتِ ٱلْمَنَامِ فِي ٱلْمَجْلِسِ ٱلشَّرْقِيِّ ٱلْمَعْرُوفِ بِالْمُؤْنِسِ ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ ٱثْنَيْ عَشَرَ تِمْثَالًا مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْأَحْمَرِ مُرَصَّعَةً بِالدُّرِّ ٱلنَّفِيسِ ٱلْغَالِي مِمَّا عُمِلَ بِدَارِ ٱلصِّنَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ : صُورَةُ أَسَدٍ إِلَى جَانِبِهِ غَزَالٌ إِلَى جَانِبِهِ تِمْسَاحٌ ، وَفِيمَا يُقَابِلُهُ ثُعْبَانٌ ، وَعُقَابٌ وَفِيلٌ ، وَفِي ٱلْمُجَنَّبَتَيْنِ⁽¹⁾ حَمَامَةٌ وَشَاهِينٌ وَطَاوُوسٌ وَدَجَاجَةٌ وَدِيكٌ وَحِدَأَةٌ وَنَسْرٌ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ بِالْجَوْهَرِ

(١) أى فى الجانبين الأيمن والأيسر — والمجنب «كمنبر» الستر .

ٱلنَّفِيسِ ، وَيَخْرُجُ ٱلْمَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهَا ، وَكَانَ ٱلْمُتَوَلِّيَ لِهَذَا ٱلْبُنْيَانِ ٱلْمَذْكُورِ ٱبْنُهُ ٱلْحَكَمُ ، لَمْ يَتَّكِلْ فِيهِ ٱلنَّاصِرُ عَلَى أَمِينٍ غَيْرِهِ ، وَكَانَ يُخْبَزُ فِي أَيَّامِهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِرَسْمِ حِيتَانِ ٱلْبُحَيْرَاتِ ثَمَانُمِائَةِ خُبْزَةٍ - وَقِيلَ أَكْثَرُ - إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ تَتَبُّعُهُ . وَكَانَ ٱلنَّاصِرُ كَمَا قَدَّمْنَا قَسَّمَ ٱلْجِبَايَةَ أَثْلَاثًا : ثُلُثٌ لِلْجُنْدِ ، وَثُلُثٌ لِلْبِنَاءِ ، وَثُلُثٌ مُدَّخَرٌ ، وَكَانَتْ جِبَايَةُ ٱلْأَنْدَلُسِ يَوْمَئِذٍ مِنَ ٱلْكُوَرِ وَٱلْقُرَى خَمْسَةَ آلَافِ أَلْفٍ[1] وَأَرْبَعمِائَةِ أَلْفٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَمِنَ ٱلسُّوقِ[2] وَٱلْمُسْتَخْلَصِ سَبْعِمِائَةِ أَلْفٍ وَخَمْسَةً وَسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَمَّا أَخْمَاسُ ٱلْغَنِيمَةِ فَلَا يُحْصِيهَا دِيوَانٌ . وَقَدْ سَبَقَ هَذَا كُلُّهُ ، وَإِنَّمَا كَرَّرْتُهُ لِقَوْلِ بَعْضِهِمْ إِثْرَ حِكَايَتِهِ لَهُ مَا صُورَتُهُ : وَقِيلَ : إِنَّ مَبْلَغَ تَحْصِيلِ ٱلنَّفَقَةِ فِي بِنَاءِ ٱلزَّهْرَاءِ مِائَةُ مُدْيٍ مِنَ ٱلدَّرَاهِمِ ٱلْقَاسِمِيَّةِ بِكَيْلِ

(١) فى الأصل كلمة ألف زائدة أى مكررة ثلاث مرات فجعلت العدد كأنه غير معقول ولا مقبول (٢) فى الأصل « السدوق » محرفة .

قُرْطُبَةَ ، وَقِيلَ إِنَّ مَبْلَغَ النَّفَقَةِ فِيهَا بِالْكَيْلِ الْمَذْكُورِ ثَمَانُونَ مُدْيًا وَسَبْعَةُ(١) أَقْفِزَةٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ الْمَذْكُورَةِ ، وَاتَّصَلَ بُنْيَانُ الزَّهْرَاءِ أَيَّامَ النَّاصِرِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً شَطْرَ خِلَافَتِهِ ، ثُمَّ اتَّصَلَ بَعْدَ وَفَاتِهِ خِلَافَةَ ابْنِهِ الْحَكَمِ كُلَّهَا - وَكَانَتْ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا وَأَشْهُرًا - فَسُبْحَانَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ الْخَلْقِ ، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . انْتَهَى .

***

« وَقَالَ ابْنُ أَصْبَغَ الْهَمْدَانِيُّ(٢) وَالْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ »

كَانَ النَّاصِرُ كَلِفًا بِعِمَارَةِ الْأَرْضِ وَإِقَامَةِ مَعَالِمِهَا وَاسْتِنْبَاطِ مِيَاهِهَا(٣) وَاسْتِجْلَابِهَا مِنْ أَبْعَدِ بِقَاعِهَا ، وَتَخْلِيدِ

(١) فى بعض النسخ «ستة» (٢) فى الأصل « البديع الهمذانى » وهو تصحيف بديع - وابن أصبغ الهمدانى هو أبو بكر عباس بن أصبغ بن عبد العزيز بن غصن الهمدانى من أهل قرطبة ، كان عالما فاضلا ثقة ذا دين وعفة وصيانة ولد سنة ٣٠٦ وتوفى سنة ٣٨٦ . « أحمد يوسف نجاتى ».

(٣) فى الأصل « وانبساط مجاهلها » والقصد يأباه وان وجد الطباق بين المعالم والمجاهل، وفى بعض النسخ «وانبساط مياهها » ولا بأس به ، وانبسط يعنى اتسع ، وأرى أن خيرا منهما أن تكون « وانباط مياهها » أو «استنباط - » يقال أنبط البئر اذا استخرج ماءها، وأنبط الحافر واستنبط اذا بلغ الماء ، وكل ما أظهر بعد اخفاء فقد أنبط واستنبط - ومنه استنبط

الْآثَارِ الدَّالَّةِ عَلَى قُوَّةِ الْمُلْكِ وَعِزَّةِ السُّلْطَانِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ، فَأَفْضَى بِهِ الْإِغْرَاقُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنِ ابْتَنَى مَدِينَةَ الزَّهْرَاءِ الْبِنَاءِ الشَّائِعَ ذِكْرُهُ ، الذَّائِعَ خَبَرُهُ ، الْمُنْتَشِرَ فِي الْأَرْضِ أَثَرُهُ (١) وَاسْتَفْرَغَ جُهْدَهُ فِي تَنْمِيقِهَا ، وَإِتْقَانِ قُصُورِهَا ، وَزَخْرَفَةِ مَصَانِعِهَا ، وَانْهَمَكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى عَطَّلَ شُهُودَ الْجُمُعَةِ بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الَّذِي اتَّخَذَهُ ثَلَاثَ جُمَعٍ مُتَوَالِيَاتٍ ، فَأَرَادَ الْقَاضِي مُنْذِرٌ أَنْ يَغُضَّ مِنْهُ بِمَا يَتَنَاوَلُهُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ بِفَصْلِ الْخِطَابَةِ ، وَالْحِكْمَةِ وَالتَّذْكِيرِ بِالرُّجُوعِ وَالْإِنَابَةِ (٢) ، فَابْتَدَأَ فِي خُطْبَتِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ (٣)

الفقيه ، أى استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده ، قال تعالى : «لعلمه الذين يستنبطونه منهم» . أى يستخرجونه، وأصله من النبط وهو الماء الذى يخرج من البئر أول ماتحفر . وفى المطمح : وتكثير مياهها (١) فى الأصل « الزائد المنتشر صيته فى الأرض » والزائد محرف عن الذائع ، والباقى لاغبار عليه، غير أن ما نقلناه عن المطمح للفتح ابن خاقان أولى بالاتباع لحسن العبارة عليه ووفائها بحق السجع الذى يتحراه مثل الكاتب مع انارة المعنى ووضوحه . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) أناب الى الله أى رجع وعاد الى طاعته وأقبل عليه تائبا (٣) الريع : المرتفع من الأرض ، أو كل فج أو طريق، أو الطريق المنفرج عن الجبل

إِلَى قَوْلِهِ مِنَ ٱلْوَاعِظِينَ » ثُمَّ وَصَلَهُ بِقَوْلِهِ « قُلْ مَتَاعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ لِمَنِ ٱتَّقَى » وَهِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ وَمَكَانُ ٱلْجَزَاءِ ، وَمَضَى فِي ذَمِّ تَشْيِيدِ ٱلْبُنْيَانِ وَٱلِاسْتِغْرَاقِ فِي زَخْرَفَتِهِ وَٱلْإِسْرَافِ فِي ٱلْإِنْفَاقِ عَلَيْهِ بِكُلِّ كَلَامٍ جَزْلٍ وَقَوْلٍ فَصْلٍ[1] ، فَجَرَى فِيهِ طَلَقاً[2] وَٱنْتَزَعَ فِيهِ قَوْلَهُ تَعَالَى « أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ » إِلَى آخِرِ ٱلْآيَةِ، وَأَتَى بِمَا يُشَاكِلُ ٱلْمَعْنَى مِنَ ٱلتَّخْوِيفِ بِٱلْمَوْتِ ، وَٱلتَّحْذِيرِ مِنْ فَجْأَتِهِ ، وَٱلدُّعَاءِ إِلَى ٱلزُّهْدِ فِي هَذِهِ ٱلدَّارِ ٱلْفَانِيَةِ ، وَٱلْحَضِّ عَلَى ٱعْتِزَالِهَا ، وَٱلرَّفْضِ لَهَا ، وَٱلنَّدْبِ إِلَى ٱلْإِعْرَاضِ عَنْهَا ، وَٱلْإِقْصَارِ عَنْ طَلَبِ ٱللَّذَّاتِ ، وَنَهْيِ ٱلنَّفْسِ عَنِ ٱتِّبَاعِ ٱلشَّهَوَاتِ ، فَأَسْهَبَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ مِنْ آيِ ٱلْقُرْآنِ مَا يُطَابِقُهُ ، وَجَلَبَ مِنَ ٱلْحَدِيثِ وَٱلْأَثَرِ مَا يُشَاكِلُهُ وَيُوَافِقُهُ ، حَتَّى أَذْكَرَ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ ٱلنَّاسِ وَخَشَعُوا وَرَقُّوا، وَٱعْتَرَفُوا وَبَكَوْا وَضَجُّوا، وَدَعَوْا وَأَعْلَنُوا

(١) فى المطمح بعد ذلك : جاش به صدره ، وقذف به على لسانه بحره
(٢) الطلق بفتح اللام : الشوط والغاية التى يجري اليها الفرس .

ٱلتَّضَرُّعَ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى فِي ٱلتَّوْبَةِ وَٱلِابْتِهَالَ فِي ٱلْمَغْفِرَةِ ، وَأَخَذَ خَلِيفَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ بِأَوْفَرِ حَظٍّ ـ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ ٱلْمَقْصُودُ بِهِ ـ فَبَكَى وَنَدِمَ عَلَى مَا سَلَفَ لَهُ[1] مِنْ فَرَطِهِ وَٱسْتَعَاذَ بِاللهِ مِنْ سَخَطِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ وَجَدَ[2] عَلَى مُنْذِرٍ لِغِلَظِ مَا قَرَّعَهُ[3] بِهِ ، فَشَكَا ذَلِكَ لِوَلَدِهِ ٱلْحَكَمِ بَعْدَ ٱنْصِرَافِ مُنْذِرٍ وَقَالَ : وَٱللهِ لَقَدْ تَعَمَّدَنِي مُنْذِرٌ بِخُطْبَتِهِ ، وَمَا عَنَى بِهَا غَيْرِي ، فَأَسْرَفَ عَلَيَّ وَأَفْرَطَ فِي تَقْرِيعِي ، وَأَسْرَفَ فِي تَفْزِيعِي وَتَرْوِيعِي ، وَلَمْ يُحْسِنْ ٱلسِّيَاسَةَ فِي وَعْظِي ، فَزَعْزَعَ قَلْبِي وَكَادَ بِعَصَاهُ يَقْرَعُنِي ، وَٱسْتَشَاطَ غَيْظًا عَلَيْهِ ، فَأَقْسَمَ أَلَّا يُصَلِّيَ خَلْفَهُ صَلَاةَ ٱلْجُمُعَةِ خَاصَّةً ، فَجَعَلَ يَلْتَزِمُ صَلَاتَهَا وَرَاءَ

---

(١) فى الأصل : على ماناله ـ وفرط فى الأمر فرطا اذاقصرفيه ، والفرط الاسم من الأفراط وهو مجاوزة الحد فى الأمر ، والفرط: تجاوز الحد فى الأمر أيضا ومنه قوله تعالى : « وكان أمره فرطا » (٢) أى غضب وحقد (٣) فى الأصل تقرعه ، وهو تحريف ، فليس هناك تقرعه ، والتقريع التعنيف واللوم والتثريب والايجاع فى ذلك ، ويقال النصح بين الملأ تقريع . وقرعه اذا وبخه وخذله ، ويقال قرعنى فلان بلومه فلم أرتقع به ، أى لم أكترث به . «أحمد يوسف نجاتى»

أَحْمَدَ بْنِ مُطَرِّفٍ[1] صَاحِبِ ٱلصَّلَاةِ بِقُرْطُبَةَ وَيُجَانِبُ ٱلصَّلَاةَ بِالزَّهْرَاءِ ، وَقَالَ لَهُ ٱلْحَكَمُ : فَمَا ٱلَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ عَزْلِ مُنْذِرٍ عَنِ ٱلصَّلَاةِ بِكَ وَأَنْ تَسْتَبْدِلَ غَيْرَهُ[2] مِنْهُ إِذْ كَرِهْتَهُ ؟ فَزَجَرَهُ وَٱنْتَهَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَمِثْلُ مُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ فِي فَضْلِهِ وَخَيْرِهِ وَعِلْمِهِ – لَا أُمَّ لَكَ – يُعْزَلُ لِإِرْضَاءِ نَفْسٍ نَاكِبَةٍ عَنِ ٱلرُّشْدِ ، سَالِكَةٍ غَيْرَ ٱلْقَصْدِ ؟ هٰذَا مَالَا يَكُونُ ، وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ ٱللهِ أَلَّا أَجْعَلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي صَلَاةِ ٱلْجُمُعَةِ شَفِيعاً مِثْلَ مُنْذِرٍ فِي وَرَعِهِ وَصِدْقِهِ ، وَلٰكِنَّهُ أَحْرَجَنِي فَأَقْسَمْتُ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أَجِدُ سَبِيلًا إِلَى كَفَّارَةِ يَمِينِي بِمُلْكِي ، بَلْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ حَيَاتَهُ وَحَيَاتَنَا إِنْ شَاءَ ٱللهُ

(١) هو أبو عمر أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم بن علقمة بن جابر بن بدر الأزدي من أهل قرطبة و يعرف بابن المشاط، كان فقيها محدثا وعالما جليلا فاضلا ذا منزلة رفيعة لدى أولي الأمر يشاورونه فيمن يصلح لتقلد شؤون الأعمال والقضاء و يرجعون اليه في ذلك لسداد رأيه وصدوره فيه عن اخلاص ومراعاة للمصلحة العامة والدين مع زهده وورعه وعدله وولي الصلاة بجامع قرطبة بعد الامام محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المتقدم ذكره الى أن توفي سنة ٣٥٣ رحمه الله ، وكان جده قد رحل مع عبد الرحمن بن معاوية الداخل في الجند الشاميين . « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) في الأصل : والاستبدال بغيره منه ، وهو استعمال يعدل عنه فصيح اللغة

تَعَالَى ـ فَمَا أَظُنُّنَا نَعْتَاضُ مِنْهُ أَبَدًا . وَقِيلَ إِنَّ ٱلْحَكَمَ أَعْتَذَرَ عَمَّا قَالَ مُنْذِرٌ وَقَالَ: يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ وَمَاأَرَادَإِلَّا خَيْرًا ، وَلَوْ رَأَى مَاأَنْفَقْتَ(١) وَحُسْنَ تِلْكَ ٱلْبِنْيَةِ(٢) لَعَذَرَكَ ، فَأَمَرَ حِينَئِذٍ ٱلنَّاصِرُ بِالْقُصُورِ فَفُرِشَتْ ، وَفُرِشَ ذَلِكَ ٱلْمَجْلِسُ بِأَصْنَافِ فُرُشِ ٱلدِّيبَاجِ ، وَأَمَرَ بِالْأَطْعِمَةِ وَقَدْ أُحْضِرَ ٱلْعُلَمَاءُ وَغَصَّ بِهِمُ ٱلْمَجْلِسُ ، فَدَخَلَ مُنْذِرٌ فِي آخِرِهِمْ ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ ٱلنَّاصِرُ أَنْ يَقْعُدَ بِقُرْبِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا يَقْعُدُ ٱلرَّجُلُ حَيْثُ ٱنْتَهَى بِهِ ٱلْمَجْلِسُ وَلَا يَتَخَطَّى ٱلرِّقَابَ ، فَجَلَسَ فِي آخِرِ ٱلنَّاسِ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ . ثُمَّ ذَكَرَ هَذَا ٱلْقَائِلُ بَعْدَ هَذَا كَلَامًا مِنْ كَلَامِ ٱلْمُنْذِرِ يَأْتِي قَرِيبًا . وَقَحَطَ(٣) ٱلنَّاسُ آخِرَ مُدَّةِ ٱلنَّاصِرِ فَأَمَرَ ٱلْقَاضِيَ مُنْذِرًا ٱلْمَذْكُورَ بِالْبُرُوزِ إِلَى ٱلِاسْتِسْقَاءِ بِالنَّاسِ ، فَتَأَهَّبَ لِذَلِكَ وَصَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَيَّامًا ثَلَاثَةً تَنَفُّلًا وَإِنَابَةً وَرَهْبَةً ، وَٱجْتَمَعَ لَهُ ٱلنَّاسُ فِي مُصَلَّى ٱلرَّبَضِ

---

(١) قد تكون « ماأتقنت » (٢) البنية مابنيته وجمعه بنى وبنى ـ أما البنية « بالتشديد » فهى الكعبة سميت بذلك لشرفها فأنها أشرف مبنى

(٣) القحط الجدب واحتباس المطر .

بِقُرْطُبَةَ بَارِزِينَ إِلَى ٱللهِ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ ، وَصَعِدَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلنَّاصِرُ فِي أَعْلَى مَصَانِعِهِ ٱلْمُرْتَفِعَةِ مِنَ ٱلْقَصْرِ لِيُشَارِفَ(١) ٱلنَّاسَ وَيُشَارِكَهُمْ فِي ٱلْخُرُوجِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى وَٱلضَّرَاعَةِ لَهُ ، فَأَبْطَأَ ٱلْقَاضِي حَتَّى ٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ وَغَصَّتْ بِهِمْ سَاحَةُ ٱلْمُصَلَّى ، ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَهُمْ مَاشِياً مُتَضَرِّعًا ، مُخْبِتاً(٢) مُتَخَشِّعاً ، وَقَامَ لِيَخْطُبُ ، فَلَمَّا رَأَى بِدَارَ(٣) ٱلنَّاسِ إِلَى ٱرْتِقَائِهِ وَٱسْتِكَانَتَهُمْ مِنْ خِيفَةِ ٱللهِ وَإِخْبَاتَهُمْ لَهُ وَٱبْتِهَالَهُمْ إِلَيْهِ رَقَّتْ نَفْسُهُ ، وَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ فَٱسْتَعْبَرَ(٤) وَبَكَى حِيناً ، ثُمَّ ٱفْتَتَحَ خُطْبَتَهُ بِأَنْ قَالَ : يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ سَكَتَ وَوَقَفَ شِبْهَ ٱلْحَصِرِ(٥) ـ وَلَمْ يَكُ مِنْ عَادَتِهِ ـ فَنَظَرَ ٱلنَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ لَا يَدْرُونَ مَا عَرَاهُ وَلَا مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ ، ثُمَّ ٱنْدَفَعَ تَالِياً قَوْلَهُ تَعَالَى « كَتَبَ رَبُّكُمْ

---

(١) شارفه وأشرف عليه اذا اطلع عليه من فوق ، واسم ذلك المكان مشرف (٢) أخبت : خشع وتواضع ، وأخبتوا الى ربهم أى اطمأنوا اليه وتواضعوا بين يديه (٣) بادر مبادرة وبدارا اذا عجل الى فعل مايرغب فيه (٤) استعبر اذا جرت عبرته « أى انهملت دموعه بدون أن يسمع البكاء » (٥) الحصر : العى فى المنطق ، وأن يحاول المرء الكلام فيستعصى

عَلَى نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ » إِلَى قَوْلِهِ رَحِيمٌ ، ثُمَّ قَالَ « ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا » «ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» وَتَزَلَّفُوا(١) بِالْأَعْمَالِ ٱلصَّالِحَةِ لَدَيْهِ ، قَالَ ٱلْحَاكِي : فَضَجَّ ٱلنَّاسُ بِالْبُكَاءِ ، وَجَأَرُوا(٢) بِالدُّعَاءِ ، وَمَضَى عَلَى تَمَامِ خُطْبَتِهِ ، فَقَرَعَ(٣) ٱلنُّفُوسَ بِوَعْظِهِ ، وَٱنْبَعَثَ ٱلْإِخْلَاصُ بِتَذْكِيرِهِ ، فَلَمْ يَنْقَضِ ٱلنَّهَارُ حَتَّى أَرْسَلَ ٱللهُ ٱلسَّمَاءَ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، رَوَّى ٱلثَّرَى ، وَطَرَدَ ٱلْمَحْلَ ، وَسَكَّنَ ٱلْأَزْلَ(٤) ، وَٱللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ . وَكَانَ لِمُنْذِرٍ فِي خُطَبِ ٱلِاسْتِسْقَاءِ ٱسْتِفْتَاحٌ عَجِيبٌ ، وَمِنْهُ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا ـ وَقَدْ سَرَّحَ طَرْفَهُ فِي مَلَإِ ٱلنَّاسِ عِنْدَمَا شَخَصُوا(٥) إِلَيْهِ بِأَبْصَارِهِمْ فَهَتَفَ بِهِمْ كَالْمُنَادِي : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ـ وَكَرَّرَهَا عَلَيْهِمْ(٦) ـ مُشِيرًا بِيَدِهِ فِي نَوَاحِيهِمْ ـ « أَنْتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللهِ » إِلَى بِعَزِيزٍ ، فَٱشْتَدَّ وَجْدُ

عليه ، ويدعو القول فينفر منه (١) تقربوا (٢) جأر الداعى « كمنع » اذا رفع صوته بالدعاء ، وجأر الى الله تضرع بالدعاء وضج واستغاث . (٣) أو « ففزع » أى خوف ، وفى المطمح « فأفزع » (٤) الأزل : الضيق والشدة والقحط ، والأزل الداهية أيضا لشدتها (٥) شخص بصره « كمنع » اذا فتح عينيه وجعل لايطرف (٦) فى بعض النسخ « ثلاثا »

ٱلنَّاسِ ، وَٱنْطَلَقَتْ أَعْيُنُهُمْ بِالْبُكَاءِ ، وَمَضَى فِي خُطْبَتِهِ .

وَقِيلَ إِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ ٱلنَّاصِرَ خَرَجَ مَرَّةً لِلِاسْتِسْقَاءِ وَٱشْتَدَّ عَزْمُهُ عَلَيْهِ[1] فَتَسَابَقَ ٱلنَّاسُ لِلْمُصَلَّى ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ - وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّ ٱلنَّاسِ - :[2] لَيْتَ شِعْرِي[3] مَا ٱلَّذِي يَصْنَعُهُ ٱلْخَلِيفَةُ سَيِّدُنَا ؟ فَقَالَ لَهُ : مَا رَأَيْنَاهُ قَطُّ أَخْشَعَ مِنْهُ فِي يَوْمِنَا هَذَا ، إِنَّهُ مُنْتَبِذٌ[4] حَائِرٌ مُنْفَرِدٌ بِنَفْسِهِ ، لَابِسٌ أَخَسَّ[5] ٱلثِّيَابِ ، مُفْتَرِشٌ ٱلتُّرَابَ ، وَقَدْ رَمَى[6] بِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى لِحْيَتِهِ وَبَكَى وَٱعْتَرَفَ بِذُنُوبِهِ - وَهُوَ يَقُولُ : هٰذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ أَتُرَاكَ تُعَذِّبُ بِي ٱلرَّعِيَّةَ وَأَنْتَ أَحْكَمُ ٱلْحَاكِمِينَ ؟ ! لَنْ يَفُوتَكَ شَيْءٌ مِنِّي . قَالَ ٱلْحَاكِي : فَتَهَلَّلَ وَجْهُ ٱلْقَاضِي مُنْذِرٍ عِنْدَ مَا سَمِعَ قَوْلَهُ ، وَقَالَ يَا غُلَامُ : ٱحْمِلِ ٱلْمِطَرَ[7] مَعَكَ فَقَدْ

(١) في بعض المراجع «وقيل ان الخليفة الناصر طلبه مرة للاستسقاء واشتد عزمه عليه الخ» أي ألح في طلب ذلك منه ، وهو أظهر لقوله بعد : فقال للرسول الخ (٢) في المطمح وكان من خواص حلفاء الصفاء اليه (٣) أي ليتني أعلم وأعرف (٤) الانتباذ التنحي والاعتزال ، يقال انتبذ عن قومه اذا تنحى ، وانتبذ فلان الى ناحية أي تنحى منفردا قال تعالى في قصة مريم : «فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا» (٥) يجوز أن تكون أخشن (٦) في الأصل «رمد» وهو تحريف ، ولم أجد رمد من الرماد (٧) كذا بكل الأصول

أَذِنَ ٱللهُ تَعَالَى بِالسُّقْيَا ، إِذَا خَشَعَ جَبَّارُ ٱلْأَرْضِ فَقَدْ رَحِمَ جَبَّارُ ٱلسَّمَاءِ ، وَكَانَ كَمَا قَالَ ، فَلَمْ يَنْصَرِفِ ٱلنَّاسُ إِلَّا عَنِ ٱلسُّقْيَا . وَكَانَ مُنْذِرٌ شَدِيدَ ٱلصَّلَابَةِ فِي أَحْكَامِهِ ، وَٱلْمَهَابَةِ فِي أَقْضِيَتِهِ ، وَقُوَّةِ ٱلْحُكُومَةِ(١) ، وَٱلْقِيَامِ بِالْحَقِّ فِي جَمِيعِ مَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ ، لَا يَهَابُ فِي ذٰلِكَ ٱلْأَمِيرَ ٱلْأَعْظَمَ فَمَنْ دُونَهُ .

« وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْحَسَنِ ٱلنَّبَاهِيُّ(٢) » ـ وَأَصْلُهُ فِي ٱلْمَطْمَحِ وَغَيْرِهِ ـ وَمِنْ أَخْبَارِ مُنْذِرٍ ٱلْمَحْفُوظَةِ لَهُ مَعَ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلنَّاصِرِ فِي إِنْكَارِهِ عَلَيْهِ ٱلْإِسْرَافَ فِي ٱلْبِنَاءِ أَنَّ ٱلنَّاصِرَ كَانَ قَدِ ٱتَّخَذَ لِسَطْحِ ٱلْقُبَيْبَةِ ٱلْمُصَغَّرَةِ ٱلِاسْمِ لِلْخُصُوصِيَّةِ ٱلَّتِي

ولعلها محرفة عن المطر وهو ثوب من صوف يلبس فى المطر ليتقى به ـ كأنه لثقته بنزول الغيث أخذ يستعد لما يتوقى به انهماره فى الطريق . « أحمد يوسف نجاتى » (١) الحكم والقضاء ، وفى المطمح « وقوة القلب فى القيام بالحق » (٢) أبو على الحسن بن محمد بن الحسن النباهى الجذامى من أهل مالقة ومن ذوى أحسابها وأهل المكانة والمنزلة بها ، ومن أعيانها النابهين وقضاتها العاملين ، وبيته بيت قضاء وعلم ونباهة وجلالة لم يزالوا يرثون ذلك كابرا عن كابر ، واستقضى المنصور بن أبى عامر جده الحسن وولى هو قضاء غرناطة أيضا ، وكان نبيلا ذا دين وفضل وصلاح وتوفى سنة ٤٧٢ «أحمد يوسف نجاتى»

كَانَتْ مَاثِلَةً عَلَى ٱلصَّرْحِ ٱلْمُمَرَّدِ ٱلْمَشْهُورِ شَأْنُهُ بِقَصْرِ ٱلزَّهْرَاءِ قَرَامِيدَ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ أَنْفَقَ عَلَيْهَا مَالًا جَسِيمًا وَقَرْمَدَ سَقْفَهَا بِهِ ، وَجَعَلَ سُقُفَهَا صَفْرَاءَ فَاقِعَةً ، إِلَى بَيْضَاءَ نَاصِعَةٍ ، تَسْتَلِبُ ٱلْأَبْصَارَ بِأَشِعَّةِ نُورِهَا(١) ، وَجَلَسَ فِيهَا إِثْرَ تَمَامِهَا يَوْمًا لِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، فَقَالَ لِقَرَابَتِهِ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ ٱلْوُزَرَاءِ وَأَهْلِ ٱلْخِدْمَةِ مُفْتَخِرًا عَلَيْهِمْ بِمَا صَنَعَهُ مِنْ ذٰلِكَ مَعَ مَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنَ ٱلْبَدَائِعِ ٱلْفَتَّانَةِ : هَلْ رَأَيْتُمْ أَوْ سَمِعْتُمْ مَلِكًا كَانَ قَبْلِي فَعَلَ مِثْلَ هٰذَا أَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ ؟ فَقَالُوا : لَا وَٱللّٰهِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّكَ لَأَوْحَدُ فِي شَأْنِكَ كُلِّهِ ، وَمَا سَبَقَكَ إِلَى مُبْتَدَعَاتِكَ هٰذِهِ مَلِكٌ رَأَيْنَاهُ ، وَلَا ٱنْتَهَى إِلَيْنَا خَبَرُهُ ، فَأَبْهَجَهُ قَوْلُهُمْ وَسَرَّهُ ، وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ(٢) إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ ٱلْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ وَاجِمًا (٣)

---

(١) فى المطمح : تسلب الأبصار بمطارح أنوارها المشعشعة .

(٢) فى المطمح زيادة « سارضاحك » (٣) فى الأصل « واهما » ، وفى القطعة الأوربية « وهو ناكس الرأس » وفى المطمح « واجما » أما ، وهم « كوجل » فمعناه غلط وسها ، ووهم فى الشىء « كوعد » ذهب وهمه اليه وهو يريد غيره ، وكلا المعنيين غير مناسب هنا . أما « وجم » كوعد

نَاكِسَ الرَّأْسِ(١) ، فَلَمَّا أَخَذَ مَجْلِسَهُ قَالَ لَهُ كَالَّذِى قَالَ لِوُزَرَائِهِ مِنْ ذِكْرِ السَّقْفِ الْمُذَهَّبِ وَاقْتِدَارِهِ عَلَى إِبْدَاعِهِ ، فَأَقْبَلَتْ(٢) دُمُوعَ الْقَاضِى تَنْحَدِرُ عَلَى لِحْيَتِهِ وَقَالَ لَهُ : وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا ظَنَنْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ يَبْلُغُ مِنْكَ هٰذَا الْمَبْلَغَ ، وَلَا أَنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ قِيَادِكَ هٰذَا التَّمْكِينَ ـ مَعَ مَا آتَاكَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَفَضَّلَكَ بِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ ـ حَتَّى يُنْزِلَكَ مَنَازِلَ الْكَافِرِينَ ، قَالَ فَانْفَعَلَ(٣) عَبْدُ الرَّحْمٰنِ لِقَوْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ : انْظُرْ مَاتَقُولُ ، وَكَيْفَ أَنْزَلَنِى مَنَازِلَهُمْ ؟ قَالَ: نَعَمْ: أَلَيْسَ اللهُ تَعَالَى يَقُولُ «وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» الْآيَةَ(٤)

وجما ، ووجوما فهو واجم فمعناه أطرق لشدة الحزن ، والواجم أيضا من أسكنه الهم وعلته كآبة لحزن أو خوف حتى أمسك عن الكلام ، وهذا هو المعنى المناسب الذى أراه وأوثره . « أحمد يوسف نجاتى » . (١) فى المطمح « واجما ناكسا ذقنه » (٢) فى المطمح «فجرت» (٣) فى المطمح « فاقشعر » (٤) هى قوله تعالى فى سورة الزخرف : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين »

فَوَجَمَ ٱلْخَلِيفَةُ وَأَطْرَقَ مَلِيًّا[١] وَدُمُوعُهُ تَتَسَاقَطُ خُشُوعًا لِلّٰهِ تَعَالَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مُنْذِرٍ وَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ ٱللّٰهُ يَاقَاضِي عَنَّا وَعَنْ نَفْسِكَ خَيْرًا ، وَعَنِ ٱلدِّينِ وَٱلْمُسْلِمِينَ أَجَلَّ جَزَائِهِ ، وَكَثَّرَ فِي ٱلنَّاسِ أَمْثَالَكَ ، فَالَّذِي قُلْتَ هُوَ ٱلْحَقُّ ، وَقَامَ عَنْ مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ وَهُوَ يَسْتَغْفِرُ ٱللّٰهَ تَعَالَى وَأَمَرَ بِنَقْضِ سَقْفِ الْقُبَّةِ ، وَأَعَادَ قَرَامِدَهَا تُرَابًا عَلَى صِفَةِ غَيْرِهَا . ٱنْتَهَى مَا حَكَاهُ ٱبْنُ ٱلْحَسَنِ ٱلنَّبَاهِيُّ ، وَلْنَذْكُرْ هٰذِهِ ٱلْحِكَايَةَ وَغَيْرَهَا وَإِنْ خَالَفَ ٱلسِّيَاقُ مَا سَبَقَ — وَهَذَا مَنْقُولٌ مِنْ كَلَامِ ٱلْحِجَارِيِّ فِي « ٱلْمُسْهِبِ فِي أَخْبَارِ ٱلْمَغْرِبِ » فَإِنَّهُ أَتَمُّ فَائِدَةً ، إِذْ قَالَ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ : دَخَلَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ يَوْمًا عَلَى ٱلنَّاصِرِ بِأَبِي ٱلزَّهْرَاءِ وَهُوَ مُكِبٌّ عَلَى ٱلاشْتِغَالِ بِالْبُنْيَانِ فَوَعَظَهُ ، فَأَنْشَدَهُ عَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ ٱلنَّاصِرُ :

هِمَمُ ٱلْمُلُوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا
مِنْ بَعْدِهِمْ فَبِأَلْسُنِ ٱلْبُنْيَانِ

---

(١) الملى : الوقت والساعة الطويلة ، ومنه قوله تعالى : « واهجرني مليا » أي طويلا . « أحمد يوسف نجاتي » .

أَوَمَا تَرَى ٱلْهرَمَيْنِ قَدْ بَقِيَا وَكَمْ
مُلْكٍ مَحَاهُ حَوَادِثُ ٱلْأَزْمَانِ ؟
إِنَّ ٱلْبِنَاءَ إِذَا تَعَاظَمَ شَأْنُهُ
أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ ٱلشَّانِ

قَالَ : فَمَا أَدْرِى أَهَذَا شِعْرُهُ أَمْ تَمَثَّلَ بِهِ ؟ فَإِنْ كَانَ شِعْرَهُ فَقَدْ بَلَغَ بِهِ غَايَةَ ٱلْإِحْسَانِ ، وَإِنْ كَانَ تَمَثَّلَ بِهِ فَقَدْ أَسْتَحَقَّهُ بِالتَّمَثُّلِ بِهِ فِى هَذَا ٱلْمَكَانِ . وَكَانَ مُنْذِرٌ يُكْثِرُ تَعْنِيفَهُ عَلَى ٱلْبُنْيَانِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً وَهُوَ فِى قُبَّةٍ قَدْ جَعَلَ قَرْمَدَهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَأُحْتَفَلَ فِيهَا أُحْتِفَالًا ظَنَّ أَنَّ أَحَدًا مِنَ ٱلْمُلُوكِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، فَقَامَ خَطِيباً ـ وَٱلْمَجْلِسُ قَدْ غَصَّ بِأَرْبَابِ ٱلدَّوْلَةِ ـ فَتَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى « وَلَوْلَا أَنْ يَكُونُ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ » ٱلْآيَةَ وَأَتْبَعَهَا بِمَا يَلِيقُ بِذَلِكَ ، فَوَجَمَ ٱلْمَلِكُ وَأَظْهَرَ ٱلْكَآبَةَ ، وَلَمْ يَسَعْهُ إِلَّا ٱلِاحْتِمَالُ لِمُنْذِرِ بْنِ سَعِيدٍ ، لِعِظَمِ قَدْرِهِ فِى

عَمَلِهِ وَدِينِهِ . وَحَضَرَ مَعَهُ يَوْمًا فِي الزَّهْرَاءِ فَقَامَ الرَّئِيسُ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ إِدْرِيسَ(١) ، فَأَنْشَدَ النَّاصِرَ قَصِيدَةً مِنْهَا :

سَيَشْهَدُ مَا أَبْقَيْتَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ
مُضِيعًا وَقَدْ مَكَّنْتَ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا
فَبِالْجَامِعِ الْمَعْمُورِ لِلْعِلْمِ وَالتُّقَى
وَبِالزَّهْرَةِ الزَّهْرَاءِ لِلْمُلْكِ وَالْعُلْيَا

فَاهْتَزَّ النَّاصِرُ وَابْتَهَجَ ، وَأَطْرَقَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ سَاعَةً ، ثُمَّ قَامَ مُنْشِدًا :

يَا بَانِيَ الزَّهْرَاءِ مُسْتَغْرِقًا ... أَوْقَاتَهُ فِيهَا أَمَا تُمْهِلُ(١)

(١) هو الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيي بن ادريس كان وافر الأدب كثير الشعر ، ومن شعره في الورد :

تخلت من الورد الأنيق حدائقه ... وبان حميد الأنس والعهد رائقه
أقام كرجع الطرف لم يشف غلة ... ولم يرو مشتاق الجوانح شائقه
فما كان الا الطيف زار مسلما ... فسر ملاقيه وسيء مفارقه
على الورد من إلف التعاني تحية ... وان صدمت إلف التصابي علائقه
ويهنا الخدود الناضرات انفرادها ... بورد الحياء المستجد شقائقه

وكان جليل المنزلة ولا سيما في أيام عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب بالناصر الأمير بعد أخيه الملك والمتوفى سنة ٣٩٩ . « أحمد يوسف نجاتي »

(١) من المهل والمهلة وهو التؤدة والرفق ، وأمهله اذا انظره و وفق به ولم يعجل عليه ومثل البيت الثاني :

لِلّٰهِ مَا أَحْسَنَهَا رَوْنَقًا لَوْ لَمْ تَكُنْ زَهْرَتُهَا تَذْبُلُ

فَقَالَ ٱلنَّاصِرُ : إِذَا هَبَّ عَلَيْنَا نَسِيمُ ٱلتَّذْكَارِ وَٱلْحَنِينِ ، وَسَقَتْهَا مَدَامِعُ ٱلْخُشُوعِ — يَا أَبَا ٱلْحَكَمِ — لَا تَذْبُلُ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى ، فَقَالَ مُنْذِرٌ : ٱللَّهُمَّ أَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَثَثْتُ مَا عِنْدِي وَلَمْ آلُ نُصْحًا(١) . أنْتَهَى .

وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلْقَاضِي مُنْذِرٌ — رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى — فِيمَا قَالَ فَإِنَّهَا ذَبُلَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي ٱلْفِتْنَةِ ، وَقُلِبَ(٢) مَا كَانَ فِيهَا مِنْ مِنْحَةٍ مِحْنَةً ، وَذٰلِكَ عِنْدَ مَا وَلِيَ ٱلْحِجَابَةَ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱبْنُ ٱلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ ٱلْمُلَقَّبُ بِشَنْجُولَ(٣) وَتَصَرَّفَ

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للانسان

ليس فيما علمتـه فيك عيب كان فى الناس غير أنك فان

(١) ماألوت الشيء ألوا وألوا « كعلو » أي ماتركته وماقصرت فيه ، وماألوت جهدا أى لم أدعه ، ولا آلوك نصحا أى لم أفتر ولم أقصر (٢) فى الأصل « وقلما » وهو تحريف ، والمنحة العطية والهبة والنعمة ، والمحنة مايمتحن به الانسان من بلية « نستجير بكرم الله منها » ومحنه « كمنعه اذا ضربه أو اختبره » . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) شنجول ، أو سنجول ، أو سانكول أو سانكو الصغير اسم عرف به فى التاريخ ، وذلك لأن أمه كانت ابنة رجل مسيحى من أهل تلك البلاد يسمى «شانجة» أو «سانكو» فلكراهة القوم لعبد الرحمن « الملقب بالمأمون » أطلقوا عليه اسم صهره تهكما وضاعف من بغضهم له سوء أخلاقه وضعف تدبيره وقلة خبرته السياسية وعجزه عن ادارة الملك بكفاية ودراية . « أحمد يوسف نجاتى » .

فِي ٱلدَّوْلَةِ مِثْلَ مَا تَصَرَّفَ أَخُوهُ ٱلْمُظَفَّرُ وَأَبُوهُمَا ٱلْمَنْصُورُ ، فَأَسَاءَ ٱلتَّدْبِيرَ ، وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ ٱلْفَتِيلِ وَٱلنَّقِيرِ(١) ، فَدَسَّ إِلَى ٱلْمُؤَيَّدِ هِشَامِ بْنِ ٱلْحَكَمِ مَنْ خَوَّفَهُ مِنْهُ حَتَّى وَلَّاهُ عَهْدَهُ ـ كَمَا بَيَّنَّا نَصَّ ٱلْعَهْدِ فِيمَا سَبَقَ ـ فَأَطْبَقَ ٱلْخَاصَّةُ وَٱلْعَامَّةُ عَلَى بُغْضِهِ وَإِضْمَارِ ٱلسُّوءِ لَهُ ، وَذٰلِكَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَلٰثِمِائَةٍ ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ هِشَامِ ٱبْنِ عَبْدِ ٱلْجَبَّارِ بْنِ ٱلنَّاصِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ ، وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ ، وَخَلَعَ ٱلْمُؤَيَّدَ وَحَبَسَهُ ، وَأَسْلَمَتِ(٢) ٱلْجُيُوشُ شَنْجُولَ ، فَأُخِذَ وَأُسِرَ وَقُتِلَ .

***

خلافة المهدى وزوال دولة بنى عامر

« قَالَ ٱبْنُ ٱلرَّقِيقِ » : وَمِنْ أَعْجَبِ مَا رُئِيَ أَنَّهُ مِنْ نِصْفِ نَهَارِ يَوْمِ ٱلثُّلَاثَاءِ لِأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَى ٱلْآخِرَةِ

(١) الفتيل : السحاة التى تكون فى شق النواة ، وبه فسر قوله تعالى « ولا يظلمون فتيلا » وقال ابن السكيت : النقير النكتة فى ظهر النواة كأن ذلك الموضع نقر منها ، ومنه قوله تعالى : « ولايظلمون نقيرا » ، والفتيل ما كان فى شق النواة ، والقطمير القشرة الرقيقة على النواة ، وهذه الأشياء يضرب بها المثل للشيء التافه الحقير القليل . وفى بعض المراجع « بين القبيل والدبير » ويأتى شرحهما (٢) أي خذلته ولم تعن بنصرته .

إِلَى نِصْفِ نَهَارِ يَوْمِ ٱلْأَرْبِعَاءِ فُتِحَتْ قُرْطُبَةُ ، وَهُدِمَتِ ٱلزَّهْرَاءِ ، وَخُلِعَ خَلِيفَةٌ وَهُوَ ٱلْمُؤَيَّدُ ، وَوُلِّىَ خَلِيفَةٌ وَهُوَ ٱلْمَهْدِىُّ ، وَزَالَتْ دَوْلَةُ بَنِي عَامِرٍ ٱلْعَظِيمَةُ ، وَقُتِلَ وَزِيرُهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَسْقَلَاجَةَ[1] ، وَأُقِيمَتْ جُيُوشٌ مِنَ ٱلْعَامَّةِ ، وَنُكِبَ خَلْقٌ مِنَ ٱلْوُزَرَاءِ، وَوَلِىَ ٱلْوِزَارَةَ آخَرُونَ ، وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ عَلَى يَدِ عَشَرَةِ رِجَالٍ فَحَّامِينَ وَجَزَّارِينَ وَزَبَّالِينَ وَهُمْ جُنْدُ ٱلْمَهْدِيِّ هٰذَا . ٱنْتَهَى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ بَعْضُ ٱلْكَلَامِ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ هَذَا ، وَهُوَ ٱلَّذِى قِيلَ فِيهِ لَمَّا قَامَ عَلَى ٱلدَّوْلَةِ :

قَدْ قَامَ مَهْدِيُّنَا وَلٰكِنْ بِعِلَّةِ ٱلْفِسْقِ وَٱلْمُجُونِ
وَشَارَكَ ٱلنَّاسَ فِي حَرِيمٍ لَوْلَاهُ مَا زَالَ بِالْمَصُونِ

---

(١) فى الأصل « علاجة » وهو تحريف وسقط . وابن عسقلاجة كان ابن عم المنصور بن أبى عامر و زيره ، ويكنى أباحفص ، وأبا الحكم ، وهو أديب شاعر ، أرسله المنصور الى المغرب لمحاربة الحسن بن كنون الادريسى آخر ملوك الأدارسة بالمغرب ومن معه من قبائل البربر ، فاستولى على مدينة فاس سنة ٣٧٥ وعلى عدوة الأندلس ، وخطب بها لبنى أمية ، وعاد الى الأندلس ، فكان عونا لابن أبي عامر وابنيه من بعده حتى قتل فى هذه الفتنة . « أحمد يوسف نجاتى » .

مَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ ذَا أَجَمَّا فَالْيَوْمَ قَدْ صَارَ ذَا قُرُونِ

وَمِنْ شِعْرِ الْمَهْدِيِّ هٰـذَا وَقَدْ حَيَّاهُ فِي مَجْلِسِ شَرَابِهِ غَلَامٌ بِقَضِيبِ آسٍ :

أَهْدَيْتَ شِبْهَ قَوَامِكَ الْمَيَّاسِ
غُصْنًا رَطِيبًا نَاعِمًا مِنْ آسِ[1]
وَكَأَنَّمَا يَحْكِيكَ فِي حَرَكَاتِهِ
وَكَأَنَّمَا تَحْكِيهِ فِي الْأَنْفَاسِ

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا سَبَقَ فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ خَبَرَ الْمَهْدِيِّ هٰـذَا وَقَتْلَهُ ، وَلَقَدْ كَانَ قِيَامُهُ مَشْئُومًا عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، فَإِنَّهُ فَاتِحُ أَبْوَابِ الْفِتْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَالْمَاحِي مَعَالِمَهَا ، حَتَّى تَفَرَّقَتْ الدَّوْلَةُ ، وَانْتَشَرَ السِّلْكُ، وَكَثُرَ[2] الرُّؤَسَاءُ ، وَتَطَاوَلَ الْعَدُوُّ إِلَيْهَا ، وَأَخَذَهَا شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى مُحِيَ اسْمُ الْإِسْلَامِ مِنْهَا — أَعَادَهَا اللهُ تَعَالَى — وَقَدْ أَلَمَّ الْوَلِيُّ ابْنُ خَلْدُونَ فِي

(١) ماس يميس ميسا وميسانا اذا تبختر واختال وتهادى فهو مائس وميوس ومياس — والآس هذا النبت المعروف، وخضرته دائما أبدا ، وقد ينمو حتى يكون شجرا عظاما (٢) فى الأصل « كسر » وهو تصحيف .

تَارِيخِهِ بِذِكْرِ ٱلزَّهْرَاءِ فِي جُمْلَةِ مَبَانِي ٱلنَّاصِرِ فَقَالَ مَا نَصُّهُ :

***

وصف ابن خلدون لمدينة الزهراء

وَلَمَّا ٱسْتَفْحَلَ مُلْكُ ٱلنَّاصِرِ صَرَفَ نَظَرَهُ إِلَى تَشْيِيدِ ٱلْقُصُورِ وَٱلْمَبَانِي، وَكَانَ جَدُّهُ ٱلْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلْأَوْسَطُ وَجَدُّهُ ٱلْحَكَمُ قَدِ ٱحْتَفَلُوا فِي ذٰلِكَ، وَبَنَوْا قُصُورَهُمْ عَلَى أَكْمَلِ ٱلْإِتْقَانِ وَٱلضَّخَامَةِ، وَكَانَ فِيهَا ٱلْمَجْلِسُ ٱلزَّاهِرُ وَٱلْبَهْوُ،(١) وَٱلْكَامِلُ، وَٱلْمُنِيفُ، فَبَنَى هُوَ إِلَى جَانِبِ ٱلزَّاهِرِ قَصْرَهُ ٱلْعَظِيمَ وَسَمَّاهُ دَارَ ٱلرَّوْضَةِ، وَجَلَبَ ٱلْمَاءَ إِلَى قُصُورِهِمْ مِنَ ٱلْجَبَلِ، وَٱسْتَدْعَى عُرَفَاءَ ٱلْمُهَنْدِسِينَ وَٱلْبَنَّائِينَ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ، فَوَفَدُوا عَلَيْهِ حَتَّى مِنْ بَغْدَادَ وَٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، ثُمَّ أَخَذَ فِي بِنَاءِ ٱلْمُتَنَزَّهَاتِ؛ فَٱتَّخَذَ مُنْيَةَ ٱلنَّاعُورَةِ خَارِجَ ٱلْقُصُورِ، وَسَاقَ لَهَا ٱلْمَاءَ مِنْ أَعْلَى ٱلْجَبَلِ عَلَى أَبْعَدِ مَسَافَةٍ، ثُمَّ ٱخْتَطَّ مَدِينَةَ ٱلزَّهْرَاءِ، وَٱتَّخَذَهَا دَارًا لِنُزُلِهِ وَكُرْسِيًّا لِمُلْكِهِ، وَأَنْشَأَ فِيهَا مِنَ ٱلْمَبَانِي وَٱلْقُصُورِ وَٱلْبَسَاتِينِ مَا عَفَّى عَلَى مَبَانِيهِمُ ٱلْأُولَى، وَٱتَّخَذَ فِيهَا مَحَلَّاتٍ

(١) في الأصل « والبهور » ولعله اسم أخذ من بهره اذا علاه وغلبه، وبهرت فلانة النساء اذا فاقتهن حسنا. وبهر الشيء بهورا اذا أضاء.

لِلْوَحْشِ فَسِيحَةَ ٱلْفِنَاءِ ، مُتَبَاعِدَةَ ٱلسِّيَاجِ (١) وَمَسَارِحَ لِلطُّيُورِ مُظَلَّلَةً بِالشِّبَاكِ ، وَٱتَّخَذَ فِيهَا دُورًا لِصِنَاعَةِ ٱلْآلَاتِ مِنْ آلَاتِ ٱلسِّلَاحِ لِلْحَرْبِ وَٱلْحُلِيِّ لِلزِّينَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْمِهَنِ ، وَأَمَرَ بِعَمَلِ ٱلظُّلَّةِ عَلَى صَحْنِ ٱلْجَامِعِ بِقُرْطُبَةَ وِقَايَةً لِلنَّاسِ مِنْ حَرِّ ٱلشَّمْسِ . ٱنْتَهَى .

***

وَأَمَّا ٱلزَّاهِرَةُ فَهِيَ مِنْ مَبَانِي ٱلْمَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مدينة الزهراء

« قَالَ ٱبْنُ خَلْدُونَ » فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ عَلَى ٱلْمَنْصُورِ مَا صُورَتُهُ : وَٱبْتَنَى لِنَفْسِهِ مَدِينَةً لِنُزُلِهِ سَمَّاهَا ٱلزَّاهِرَةَ وَنَقَلَ إِلَيْهَا جُزْءًا مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَسْلِحَةِ . ٱنْتَهَى .

« وَقَالَ غَيْرُهُ » ـ وَأَظُنُّهُ صَاحِبَ ٱلْمَطْمَحِ ـ : وَفِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَثَلَٰثِمِائَةٍ أَمَرَ ٱلْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بِبِنَاءِ ٱلزَّاهِرَةِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ مَا تَكَامَلَ وَٱسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ ، وَٱتَّقَدَ جَمْرُهُ (٢) ، وَظَهَرَ ٱسْتِبْدَادُهُ ، وَكَثُرَ حُسَّادُهُ ، وَأَضْدَادُهُ وَأَنْدَادُهُ ، وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ فِي ٱلدُّخُولِ إِلَى قَصْرِ ٱلسُّلْطَانِ ،

(١) السياج : الحائط والسور يحيط بالمباني أو نحوها ، وجمعه أسوجة وسوج (٢) مجاز عن رفعة شأنه وعلو أمره وظهوره مثل : شبت ناره . « أحمد يوسف نجاتي » .

وَخَشِيَ أَنْ يَقَعَ فِي أَشْطَانٍ(١) ، فَتَوَثَّقَ لِنَفْسِهِ(٢) ، وَكُشِفَ لَهُ مَا سُتِرَ عَنْهُ فِي أَمْسِهِ ، مِنَ الِاعْتِزَازِ عَلَيْهِ ، وَرَفْعِ الِاسْتِنَادِ(٣) إِلَيْهِ ، وَسَمَا إِلَى مَا سَمَتْ إِلَيْهِ الْمُلُوكُ مِنِ اخْتِرَاعِ قَصْرٍ يَنْزِلُ فِيهِ ، وَيَحُلُّهُ بِأَهْلِهِ وَذَوِيهِ ، وَيَضُمُّ إِلَيْهِ رِيَاسَتَهُ ، وَيُتِمُّ بِهِ تَدْبِيرَهُ وَسِيَاسَتَهُ ، وَيَجْمَعُ فِيهِ فِتْيَانَهُ ، وَغِلْمَانَهُ ، فَارْتَادَ(٤) مَوْضِعَ مَدِينَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالزَّاهِرَةِ ، الْمَوْصُوفَةِ بِالْقُصُورِ الْبَاهِرَةِ ، وَأَقَامَهَا بِطَرَفِ الْبَلَدِ عَلَى نَهْرِ قُرْطُبَةَ الْأَعْظَمِ ، وَنَسَّقَ(٥) فِيهَا كُلَّ اقْتِدَارٍ مُعْجِزٍ وَنَظَّمَ ، وَشَرَعَ فِي بِنَائِهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمُؤَرَّخَةِ ، وَحَشَدَ الصُّنَّاعَ وَالْفَعَلَةَ ، وَجَلَبَ إِلَيْهَا الْآلَاتِ الْجَلِيلَةَ ، وَسَرْبَلَهَا بَهَاءً يَرُدُّ الْأَعْيُنَ كَلِيلَةً(٦) وَتَوَسَّعَ فِي اخْتِطَاطِهَا ، وَتَوَلَّعَ بِانْتِشَارِهَا فِي الْبَسِيطَةِ وَانْبِسَاطِهَا ، وَبَالَغَ فِي رَفْعِ أَسْوَارِهَا ، وَثَابَرَ عَلَى تَسْوِيَةِ أَنْجَادِهَا وَأَغْوَارِهَا(٧) ، فَاتَّسَعَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ فِي

(١) جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد الفتل ، وشطنه اذا شده به يريد أنه خشى أن تنصب له حبائل المكايد (٢) أى أخذها بالثقة وحسن الحزم والحيطة (٣) أى ازالة الاعتماد عليه والثقة به (٤) أى طلب واختار (٥) أى نظم ورتب (٦) كل بصره كلولا اذا نبا وتعب ولم يحقق المنظور اليه فهو كليل (٧) النجد فى الأصل : المكان المرتفع ضد الغور

الْمُدَّةِ الْقَرِيبَةِ ، وَصَارَ بِنَاؤُهَا مِنَ الْأَنْبَاءِ الْغَرِيبَةِ ، وَبَنَى مُعْظَمَهَا فِي عَامَيْنِ .

***

نزول المنصور بالزاهرة واستبداده بالحكم

وَفِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ انْتَقَلَ الْمَنْصُورُ إِلَيْهَا وَنَزَلَهَا بِخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، فَتَبَوَّأَهَا[1] وَشَحَنَهَا بِجَمِيعِ أَسْلِحَتِهِ وَأَمْوَالِهِ وَأَمْتِعَتِهِ ، وَاتَّخَذَ فِيهَا الدَّوَاوِينَ وَالْأَعْمَالَ ، وَعَمِلَ فِي دَاخِلِهَا الْأَهْرَاءَ[2] وَأَطْلَقَ بِسَاحَتِهَا الْأَرْحَاءَ ، ثُمَّ أَقْطَعَ مَا حَوْلَهَا لِوُزَرَائِهِ وَكُتَّابِهِ ، وَقُوَّادِهِ وَحُجَّابِهِ ، فَابْتَنَوْا بِهَا كِبَارَ الدُّورِ ، وَجَلِيلَاتِ الْقُصُورِ ، وَاتَّخَذُوا خِلَالَهَا الْمُسْتَغَلَّاتِ الْمُفِيدَةَ ، وَالْمَنَازِهَ الْمَشِيدَةَ ، وَقَامَتْ بِهَا الْأَسْوَاقُ ، وَكَثُرَتْ فِيهَا الْأَرْفَاقُ[3] ، وَتَنَافَسَ النَّاسُ بِالنُّزُولِ بِأَكْنَافِهَا ، وَالْحُلُولِ بِأَطْرَافِهَا ، لِلدُّنُوِّ مِنْ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ، وَتَنَاهَى الْغُلُوُّ[4] فِي الْبِنَاءِ حَوْلَهُ ، حَتَّى اتَّصَلَتْ أَرْبَاضُهَا بِأَرْبَاضِ قُرْطُبَةَ ، وَكَثُرَتْ بِحَوْزَتِهَا

(١) سكنها وأقام فيها (٢) الأهراء جمع هرى « بضم الهاء وكسر الراء وتشديد الياء » وهو بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان وتخزن فيه الحبوب (٣) أى المرافق وهى المنافع وما يستعان به من لوازم الحياة ومطالب العيش (٤) أو « العلو بالعين المعجمة » « أحمد يوسف نجاتى »

الْعِمَارَةُ، وَاسْتَقَرَّتْ فِي بُحْبُوحَتِهَا(١) الْإِمَارَةُ، وَأَفْرَدَ(٢) الْخَلِيفَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ الاسْمِ الْخِلَافِيِّ، وَصَيَّرَ ذَلِكَ هُوَ الرَّسْمُ(٣) الْعَافِي، وَرَتَّبَ فِيهَا جُلُوسَ وُزَرَائِهِ، وَرُؤُوسَ أُمَرَائِهِ، وَنَدَبَ إِلَيْهَا كُلَّ ذِي خُطَّةٍ بِخُطَّتِهِ، وَنَصَبَ بِبَابِهَا كُرْسِيَّ شُرْطَتِهِ، وَأَجْلَسَ عَلَيْهِ وَالِيًا عَلَى رَسْمِ كُرْسِيِّ الْخَلِيفَةِ، وَفِي صِفَةِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْمُنِيفَةِ(٤)، وَكَتَبَ إِلَى الْأَقْطَارِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعُدْوَةِ بِأَنْ تُحْمَلَ إِلَى مَدِينَتِهِ تِلْكَ أَمْوَالُ الْجِبَايَاتِ، وَيَقْصِدَهَا أَصْحَابُ الْوِلَايَاتِ، وَيَنْتَابَهَا(٥) طُلَّابُ الْحَوَائِجِ، وَحَذَّرَ أَنْ يَعُوجَ عَنْهَا إِلَى دَارِ الْخَلِيفَةِ عَائِجٌ(٦)، فَاقْتُضِيَتْ لَدَيْهَا اللُّبَانَاتُ(٧) وَالْأَوْطَارُ، وَانْحَشَدَ النَّاسُ إِلَيْهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَقْطَارِ، وَتَمَّ لِمُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ مَا أَرَادَ، وَانْتَظَمَ بِلَبَّةِ(٨) أَمَانِيهِ الْمُرَادُ،

---

(١) أي سعتها و وسطها، وتبحبح الرجل اذا تمكن فى المقام والحلول، وتوسط المنزل (٢) الضمير فى أفرد راجع الى المنصور محمد بن أبى عامر (٣) رسم الدار أثرها أو بقية الأثر منها — وعفا الرسم اذا محى و زالت معالمه (٤) الرفيعة العالية ذات القدر والشرف (٥) يقصدها و يتردد عليها (٦) عاج بالمكان اذا أمر به وقصده، وفى بعض النسخ « باب» بدل « دار » (٧) اللبانة : الحاجة والغرض كالوطر (٨) اللبة : موضع القلادة من الصدر

وَعطَّلَ قَصْرَ الْخَلِيفَةِ مِنْ جَمِيعِهِ ، وَصَيَّرَهُ بِعَزْلٍ مِنْ سَامِعِهِ وَمُطِيعِهِ ، وَسَدَّ بَابَ قَصْرِهِ عَلَيْهِ ، وَجَدَّ فِي خَبَرٍ أَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَ فِيهِ ثِقَةً مِنْ صَنَائِعِهِ يَضْبطُ الْقَصْرَ ، وَيَبْسُطُ فِيهِ النَّهْيَ وَالْأَمْرَ ، وَيُشْرِفُ مِنْهُ عَلَى كُلِّ دَاخِلٍ ، وَيَمْنَعُ مَا يَحْذَرُهُ مِنَ الدَّوَاخِلِ[1] ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ الْحُرَّاسَ وَالْبَوَّابِينَ ، وَالسُّمَّارَ[2] وَالْمُنْتَابِينَ ، يُلَازِمُونَ حِرَاسَةَ مَنْ فِيهِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَيُرَاقِبُونَ حَرَكَاتِهِمْ سِرًّا وَجِهَارًا ، وَقَدْ حَجَرَ عَلَى الْخَلِيفَةِ كُلَّ تَدْبِيرٍ ، وَمَنَعَهُ مِنْ تَمَلُّكِ قَبِيلٍ أَوْ دَبِيرٍ[3] . وَأَقَامَ الْخَلِيفَةُ هِشَامٌ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ[4] ، مَحْجُورَ الْغَنَاءِ[5] ، خَفِيَّ الذِّكْرِ ، عَلِيلَ الْفِكْرِ ، مَسْدُودَ الْبَابِ ،

(١) الدواخل جمع داخلة بمعنى دخيلة : وهى الدسيسة والخديعة أوالفساد والشر

(٢) سمر يسمر سمرا وسمورا : لم ينم فهو سامر ، وهم السمار والسامرة . والسمر أيضا : حديث الليل خاصة (٣) القبيل القطن والدبير الكتان ، أو القبيل ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله ، والدبير ما أدبرت به ، والغرض أنه لا يملك كثيرا ولا قليلا (٤) من قول أبى عطاء السندى :

فان تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

(٥) فى الأصل « معجوز » ورأينا أنه تصحيف وتحريف ، فجعلنا مكانها كلمة « محجور » أى ممنوع ، فاستقام المعنى وتم له السجع المرصع والجناس ومزدوج الكلام . والغناء : النفع والكفاية . « أحمد يوسف نجاتى »

مَحْجُوبَ ٱلشَّخْصِ عَنِ ٱلْأَحْبَابِ ، لَا يَرَاهُ خَاصٌّ وَلَا عَامٌّ ، وَلَا يُخَافُ مِنْهُ بَأْسٌ وَلَا يُرْجَى إِنْعَامٌ ، وَلَا يُعْهَدُ مِنْهُ إِلَّا ٱلِاسْمُ ٱلسُّلْطَانِيُّ فِي ٱلسِّكَّةِ وَٱلدَّعْوَةِ ، وَقَدْ نَسَخَهُ وَلَبِسَ أُبَّهَتَهُ ، وَطَمَسَ بَهْجَتَهُ ، وَأَغْنَى ٱلنَّاسَ عَنْهُ ، وَأَزَالَ أَطْمَاعَهُمْ مِنْهُ ، وَصَيَّرَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ ، وَأَمَرَهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَذْكُرُونَهُ .

وَٱشْتَدَّ مُلْكُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مُنْذُ نَزَلَ قَصْرَ ٱلزَّاهِرَةِ وَتَوَسَّعَ مَعَ ٱلْأَيَّامِ فِي تَشْيِيدِ أَبْنِيَتِهَا ، حَتَّى كَمَلَتْ أَحْسَنَ كَمَالٍ ، وَجَاءَتْ فِي نِهَايَةِ ٱلْجَمَالِ ؛ نَقَاوَةَ(١) بِنَاءٍ ، وَسَعَةَ فِنَاءٍ ، وَٱعْتِدَالَ هَوَاءٍ رَقَّ أَدِيمُهُ(٢) ، وَصَقَالَةَ(٣) جَوٍّ ٱعْتَلَّ(٤) نَسِيمُهُ ، وَنَضْرَةَ بُسْتَانٍ ، وَبَهْجَةً لِلنُّفُوسِ فِيهَا ٱفْتِتَانٌ ، وَفِيهَا يَقُولُ صَاعِدٌ ٱللُّغَوِيُّ :

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمَنْصُورُ مِنْ يَمَنٍ ... وَٱلْمُبْتَنِي نَسَبًا غَيْرَ ٱلَّذِي ٱنْتَسَبَا
بِغَزْوَةٍ فِي قُلُوبِ ٱلشِّرْكِ رَائِعَةٍ ... بَيْنَ ٱلْمَنَايَا تُنَاغِي(٥) ٱلسُّمْرَ وَٱلْقُضُبَا

(١) في الأصل « تفاوت » وهو تصحيف (٢) الأديم من السماء والأرض ما ظهر منهما (٣) صقل الشيء: جلاه (٤) في الأصل « اعتدل » (٥) ناغاه حادثه وناجاه، وكلمه بما يهواه، وناغى المرأة: غازلها بالمحادثة والملاطفة ، وأراد

أَمَا تَرَى الْعَيْنَ تَجْرِى فَوْقَ مَرْمَرِهَا
زَهْوًا فَتُجْرِى عَلَى أَحْفَافِهَا الطَّرَبَا(١)

أَجْرَيْتَهَا فَطَمَا الزَّاهِى بِجَرْيَتِهَا
كَمَا طَمَوْتَ فَسُدْتَ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَا(٢)

تَخَالُ فِيهِ جُنُودَ الْمَاءِ رَافِلَةً
مُسْتَلْئِمَاتٍ تُرِيكَ الدِّرْعَ وَالْيَلَبَا(٣)

تَحُفُّهَا مِنْ فُنُونِ الْأَيْكِ زَاهِرَةٌ
قَدْ أَوْرَقَتْ فِضَّةً أَوْ أَوْرَقَتْ ذَهَبَا(٤)

بالسمر الرماح ، والقضب السيوف ــ وفى بعض المراجع « رائعة » آخر صدر البيت بدل رائعة « وهو مجاز حسن » . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) كان عجز البيت فى الأصل محرفا هكذا « هوى فيجرى على أخفافها .. » والزهو الاعجاب والحسن والاشراق ، والزهو الكبر والتيه والعظمة والفخر ، والأحفاف جمع « غير قياسى » مفرده حفاف أى جانب أو أثر (٢) طمى الماء اذا علا وارتفع ، وطمى النبت: طال وعلا (٣) رفل فى ثيابه « كنصر » اذا جر ذيله وتبختر ــ واستلأم اذا لبس اللأمة «وهى عدة السلاح كاملة ، أو الدرع الحصينة ــ واليلب الترس أو الدرق (٤) الفنون: الغصون، والأيك: الشجر الملتف الكثير واحده أيكة ، وفى بعض المراجع : قد أورقت فضة أذ أثمرت ذهبا . وهو ألطف من الأصل وأرقه اذ يرسم صورة أجمل وأبدع ، ويخيل تعليلا أحسن وأروع . «أحمد يوسف نجاتى »

بَدِيعَةُ ٱلْمُلْكِ مَا يَنْفَكُّ نَاظِرُهَا
يَتْلُو عَلَى ٱلسَّمْعِ مِنْهَا آيَةً عَجَبَا
لا يُحْسِنُ ٱلدَّهْرُ أَنْ يُنْشِي لَهَا مَثَلًا
وَلَوْ تَعَنَّتَ(١) فِيهَا نَفْسَهُ طَلَبَا

***

وصف قصر العامرية

وَدَخَلَ عَلَيْهِ ٱبْنُ أَبِي ٱلْحُبَابِ فِي بَعْضِ قُصُورِهِ مِنَ ٱلْمُنْيَةِ ٱلْمَعْرُوفَةِ بِالْعَامِرِيَّةِ ، وَٱلرَّوْضُ قَدْ تَفَتَّحَتْ أَنْوَارُهُ، وَتَوَشَّحَتْ أَنْجَادُهُ(٢) وَأَغْوَارُهُ، وَتَصَرَّفَ فِيهَا ٱلدَّهْرُ مُتَوَاضِعًا، وَوَقَفَ بِهَا ٱلسَّعْدُ خَاضِعًا ، فَقَالَ :

لَا يَوْمَ كَالْيَوْمِ فِي أَيَّامِكَ ٱلْأُوَلِ
بِالْعَامِرِيَّةِ ذَاتِ ٱلْمَاءِ وَٱلظُّلَلِ(٣)
هَوَاؤُهَا فِي جَمِيعِ ٱلدَّهْرِ مُعْتَدِلٌ
طِيبًا وَإِنْ حَلَّ فَصْلٌ غَيْرُ مُعْتَدِلِ

---

(١) أى كلفها مشقة شديدة وطلب منها مافوق الجهد . (٢) أى عمها النبت وازدانت به حتى كان لها كالوشاح (٣) الظلة وهو بناء كالصفة يستتر به من الحر والبرد ، وما أظل المرء من شجر وماستره من فوقه، وفى بعض النسخ «والقلل» وماهنا أحسن « أحمد يوسف نجاتى »

مَا إِنْ يُبَالِي ٱلَّذِي يَحْتَلُّ سَاحَتَهَا
بِالسَّعْدِ أَلَّا تَحُلَّ ٱلشَّمْسُ بِالْحَمَلِ[(١)]

وَمَا زَالَتْ هَذِهِ ٱلْمُنْيَةُ[(٢)] رَائِقَةً ، وَٱلسُّعُودُ بِلَبَّتِهَا مُتَنَاسِقَةً تُرَاوِحُهَا ٱلْفُتُوحُ وَتُغَادِيهَا ، وَتُجْلَبُ إِلَيْهَا مُنْكَسِرَةً أَعَادِيهَا لَا تَزْحَفُ عَنْهَا رَايَةٌ إِلَّا إِلَى فَتْحٍ ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْهَا تَدْبِيرٌ إِلَّا إِلَى نُجْحٍ ، إِلَى أَنْ حَانَ يَوْمُهَا ٱلْعَصِيبُ[(٣)] ، وَقُيِّضَ[(٤)] لَهَا مِنَ ٱلْمَكْرُوهِ أَوْفَرُ نَصِيبٍ ، فَتَوَلَّتْ فَقِيدَةً ، وَحُلَّتْ مِنْ بَهْجَتِهَا كُلُّ عَقِيدَةٍ[(٥)] . ٱنْتَهَى .

« وَقَدْ حَكَى ٱلْحُمَيْدِيُّ[(٦)] فِي جَذْوَةِ ٱلْمُقْتَبَسِ » هَذِهِ

(١) تحل الشمس فى الحمل أول فصل الربيع شباب الزمان وحين يرق الجو وتأخذ الأرض زخرفها وتزين، وتظهر بدائع الطبيعة وعجائب صنع الله فى خلقه (٢) فى بعض النسخ « المدينة » (٣) أى الشديد، من عصب الشىء اذا شده، أو من العصب وهو جفاف الريق و يبسه فى الفم (٤) هيء وسبب وقدر (٥) أى معقودة، والجملة مجاز عن زوال البهجة وانتقاض الأمور ، وفى بعض المراجع « وخلت » بدل « حلت » (٦) هو أبو عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح ابن عبد الله الأزدى الحميدى من أهل جزيرة ميورقة وأصله من قرطبة من ربض الرصافة منها، رحل الى المشرق سنة ٤٤٨ وحال فى بلاده وأخذ عن علمائه واستوطن بغداد، وكان ذا دين و ورع وفضل ونباهة ومعرفة واتقان ، وله كتاب ممتع فى تاريخ علماء الأندلس وتوفى سنة ٤٨٨ . « أحمد يوسف نجاتى » .

اَلْحِكَايَةَ اَلْوَاقِعَةَ لِابْنِ أَبِي اَلْحُبَابِ بِزِيَادَةٍ فَقَالَ — بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ هَذِهِ اَلْمُنْيَةَ اَلْعَامِرِيَّةَ، وَهِيَ إِلَى جَانِبِ اَلزَّهْرَاءِ — إِنَّ أَبَا اَلْمُطَرِّفِ بْنَ أَبِي اَلْحُبَابِ اَلشَّاعِرَ دَخَلَ إِلَى اَلْمَنْصُورِ فِي هَذِهِ اَلْمُنْيَةِ، فَوَقَفَ عَلَى رَوْضَةٍ فِيهَا ثَلَاثُ سَوْسَنَاتٍ(١): ثِنْتَانِ مِنْهَا قَدْ تَفَتَّحَتَا، وَوَاحِدَةٌ لَمْ تَتَفَتَّحْ، فَقَالَ:

لَا يَوْمَ كَالْيَوْمِ فِي أَيَّامِنَا اَلْأُوَلِ
بِالْعَامِرِيَّةِ ذَاتِ اَلْمَــاءِ وَاَلظُّلَلِ
هَوَاؤُهَا فِي جَمِيعِ اَلدَّهْرِ مُعْتَدِلٌ
طِيبًا وَإِنْ حَلَّ فَصْلٌ غَيْرُ مُعْتَدِلِ
مَا إِنْ يُبَالِي اَلَّذِي يَحْتَــلُّ سَاحَتَهَا
بِالسَّعْدِ أَلَّا تَحُلَّ اَلشَّمْسُ فِي اَلْحَمَلِ
كَأَنَّمَا غُرِسَتْ فِي سَاعَةٍ وَبَدَا اَلسَّوْ
سَانُ مِنْ حِينِهِ فِيهَا عَلَى عَجَلِ

---

(١) سبق وصف السوسن وماقيل فى لفظه، ومما قيل فى وصفه:

وســوسن راق مرآه ومخبره — وجل فى أعين الرائين منظره
كأنه كؤس البلور قدوضعت — مسدسات تعالى الله مظهره
و بينها ألسن قد طرقت ذهبا — من بينها قائم بالملك تؤثره

أَبْدَتْ ثَلاثًا مِنَ ٱلسَّوْسَانِ مَائِلَةً
أَعْنَاقُهُنَّ مِنَ ٱلْإِعْيَاءِ وَٱلْكَسَلِ
فَبَعْضُ نُوَّارِهَا لِلْبَعْضِ(١) مُنْفَتِحٌ
وَٱلْبَعْضُ مُنْغَلِقٌ عَنْهُنَّ فِي شُغُلِ
كَأَنَّهَا رَاحَــةٌ ضَمَّتْ أَنَامِلَهَا
مِنْ بَعْدِمَامُلِئَتْ مِنْ جُودِكَ ٱلْخَضِلِ(٢)
وَأُخْتُهَا بَسَطَتْ مِنْهَــا أَنَامِلَهَا
تَرْجُو نَدَاكَ كَمَا عَوَّدْتَهَا فَصِلِ

انْتَهَى

وَقَدْ ذَكَرَ ٱبْنُ سَعِيدٍ أَنَّ ٱبْنَ ٱلْعَرِيفِ ٱلنَّحْوِيَّ(٣) دَخَلَ عَلَى ٱلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ وَعِنْدَهُ صَاعِدٌ ٱللُّغَوِيُّ ٱلْبَغْدَادِيُّ

(١) فى بعض النسخ «بالحسن» (٢) الخضل فى الأصل الندى الرطب. شبه جوده بنبت ريان خضل قد كثرت أوراقه — وتقول هم فى خضلة من العيش أى نعمة ورفاهية وخصب ونضارة عيش، ونزلنا فى خضلة من العشب اذا كان أخضر ناعما رطبا (٣) هو أبو القاسم الحسين بن الوليد، كان اماما فى العربية والآداب مقدما فى الشعراء ذا منزلة ومكانة لدى المنصور بن أبى عامر وممن يحضر مجالسه ويقربه، رحل الى المشرق وأقام بمصر أعواما ثم عاد الى الأندلس فأدب أولاد المنصور بن أبى عامر وتوفى بمدينة طليطلة سنة ٣٩٠ .

فَأَنْشَدَهُ وَهُوَ بِالْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ بِالْعَامِرِيَّةِ مِنْ أَبْيَاتٍ :

فَالْعَامِرِيَّةُ تَزْهَى عَلَى جَمِيعِ الْمَبَانِى
وَأَنْتَ فِيهَا كَسَيْفٍ(١) قَدْ حَلَّ فِى غُمْدَانِ

فَقَامَ صَاعِدٌ ـ وَكَانَ مُنَاقِضًا لَهُ ـ فَقَالَ : ـ أَسْعَدَ اللّٰهُ تَعَالَى الْحَاجِبَ الْأَجَلَّ وَمَكَّنَ سُلْطَانَهُ ـ هَذَا الشِّعْرُ الَّذِى قَدْ أَعَدَّهُ وَرَوَّى فِيهِ أَقْدِرُ أَنْ أَقُولَ أَحْسَنَ مِنْهُ ارْتِجَالًا ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : قُلْ لِيَظْهَرَ صِدْقُ دَعْوَاكَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ طَوِيلَةٍ :

يَا أَيُّهَا الْحَاجِبُ الْمُعْ تَلِى عَلَى كَيْوَانِ(٢)
وَمَنْ بِهِ قَدْ تَنَاهَى فَخَارُ كُلِّ يَمَانِ
الْعَامِرِيَّةُ أَضْحَتْ كَجَنَّةِ الرِّضْوَانِ
فَرِيدَةً لِفَرِيدٍ مَا بَيْنَ أَهْلِ الزَّمَانِ

---

(١) يريد سيف بن ذى يزن ، من مشهورى ملوك اليمن . وغمدان القصر المعروف باليمن ، والبيت يشير الى قول أمية بن أبى الصلت من أبيات يمدح بها ذا يزن :

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا فى رأس غمدان دارا منك محلالا

(٢) تقدم القول فيه . « أحمد يوسف نجاتى » .

ثُمَّ مَرَّ فِي ٱلشِّعْرِ إِلَى أَنْ قَالَ فِي وَصْفِهَا :

أُنْظُرْ إِلَى ٱلنَّهْرِ فِيهَا يَنْسَابُ كَالثُّعْبَانِ

وَٱلطَّيْرُ يَخْطُبُ شُكْرًا عَلَى ذُرَا ٱلْأَغْصَانِ

وَٱلْقَضْبُ[1] يَلْتَفُّ سُكْرًا بِمُيَّسٍ[2] ٱلْقُضْبَانِ

وَٱلرَّوْضُ يَفْتَرُّ[3] زَهْوًا عَنْ مَبْسِمِ ٱلْأُقْحَوَانِ

وَٱلنَّرْجِسُ ٱلْغَضُّ يَرْنُو بِوَجْنَةِ ٱلنُّعْمَانِ[4]

وَرَاحَةُ ٱلرِّيحِ تَمْتَا رُ نَفْحَةَ ٱلرَّيْحَانِ[5]

فَدُمْ مَدَى ٱلدَّهْرِ فِيهَا فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ

فَاسْتَحْسَنَ ٱلْمَنْصُورُ ٱرْتِجَالَهُ ، وَقَالَ لِابْنِ ٱلْعَرِيفِ : مَالَكَ فَائِدَةٌ فِي مُنَاقَضَةِ مَنْ هٰذَا ٱرْتِجَالُهُ ، فَكَيْفَ تَكُونُ

---

(١) القضب كل شجرة طالت وسبطت أغصانها ، والقضب أيضا شجر سهلي ينبت فى مجامع الشجر له ورق كورق الكمثرى الا أنه أرق وأنعم وترعى الابل ورقه وأطرافه — والقضبان جمع قضيب وهو الغصن (٢) جمع مائس أى متثن متبختر (٣) أى يضحك اعجابا (٤) شقائق النعمان سبق وصفها (٥) تمتار : مجاز من الميرة وهى جلب الطعام ، وهو يمتار لأولاده أى يجلب لهم أقواتهم — جعل ما يعلق بالريح من طيب رائحة الريحان امتيارا لها . وفى بعض المراجع « تمتاز » « أحمد يوسف نجاتى »

رَوِيَّتُهُ ؟ فَقَالَ ٱبْنُ ٱلْعَرِيفِ: إِنَّمَا أَنْطَقَهُ وَقَرَّبَ عَلَيْهِ ٱلْمَأْخَذَ إِحْسَانُكَ ، فَقَالَ لَهُ صَاعِدٌ : فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا أَنَّ قِلَّةَ إِحْسَانِهِ لَكَ أَسْكَتَتْكَ وَبَعَّدَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَأْخَذَ ، فَضَحِكَ ٱلْمَنْصُورُ وَقَالَ : غَيْرُ هَـذِهِ ٱلْمُنَازَعَةِ أَلْيَقُ بِأَدَبِكُمَا «قُلْتُ» قَدْ ذَكَرَ مُؤَرِّخُو ٱلْأَنْدَلُسِ مُنًى كَثِيرَةً بِهَا . مِنْهَا مُنْيَةُ ٱلنَّاعُورَةِ ٱلسَّابِقَةُ ، وَمُنْيَةُ ٱلْعَامِرِيَّةِ هَذِهِ ، وَمُنْيَةُ ٱلسُّرُورِ ، وَمُنْيَةُ ٱلزُّبَيْرِ مَنْسُوبَةٌ إِلَى ٱلزُّبَيْرِ بْنِ عُمَرَ ٱلْمُلَثَّمِ مَلِكِ قُرْطُبَةَ

«قَالَ أَبُو ٱلْحَسَنِ» ٱبْنُ سَعِيدٍ أَخْبَرَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَرَجَ مَعِي إِلَى هَذِهِ ٱلْمُنْيَةِ فِي زَمَانِ فَتْحِ نُوَّارِ ٱللَّوْزِ أَبُو بَكْرِ بْنُ بَقِيٍّ ٱلشَّاعِرُ ٱلْمَشْهُورُ ، فَجَلَسْنَا تَحْتَ سَطْرِ لَوْزٍ قَدْ نَوَّرَ ، فَقَالَ ٱبْنُ بَقِيٍّ :

سَطْرٌ مِنَ ٱللَّوْزِ فِي ٱلْبُسْتَانِ قَابَلَنِي
مَازَادَ شَيْءٌ عَلَى شَيْءٍ وَلَا نَقَصَا
كَأَنَّمَا كُلُّ غُصْنٍ كُمُّ جَارِيَةٍ
إِذَا ٱلنَّسِيمُ ثَنَى أَعْطَافَهُ رَقَصَا

ثُمَّ قَالَ :

عَجِبْتُ لِمَنْ أَبْقَى عَلَى خَمْرِ دَنِّهِ
غَدَاةَ رَأَى لَوْزَ ٱلْحَدِيقَةِ نَوَّرَا

ٱنْتَهَى .

« وَذَكَرَ » بَعْضُ مُؤَرِّخِي ٱلْأَنْدَلُسِ أَنَّ ٱلْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ كَانَ يَزْرَعُ كُلَّ سَنَةٍ أَلْفَ مُدْيٍ[1] مِنَ ٱلشَّعِيرِ قَصِيلًا لِدَوَابِّهِ ٱلْخَاصَّةِ بِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ لَا يَحُلُّ عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَدْعُوَ صَاحِبَ ٱلْخَيْلِ فَيَعْلَمَ مَا مَاتَ مِنْهَا وَمَا عَاشَ ، وَصَاحِبَ ٱلْأَبْنِيَةِ لِمَا وَهَى مِنْ أَسْوَارِهِ وَمَبَانِيهِ وَقُصُورِهِ وَدُورِهِ ، قَالَ : وَكَانَ لَهُ دُخَالَةُ كُلَّ يَوْمٍ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ مِنَ ٱللَّحْمِ ـ حَاشَا ٱلصَّيْدَ وَٱلطَّيْرَ وَٱلْحِيتَانَ ـ وَكَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ عَامٍ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ تُرْسٍ عَامِرِيَّةٍ لِقَصْرِ ٱلزَّاهِرَةِ وَٱلزَّهْرَاءِ ، قَالَ وَٱبْتَنَى عَلَى طَرِيقِ ٱلْمُبَاهَاةِ وَٱلْفَخَامَةِ مَدِينَةَ ٱلْعَامِرِيَّةِ ذَاتَ ٱلْقُصُورِ وَٱلْمُتَنَزَّهَاتِ ٱلْمُخْتَرَعَةِ ؛ كَمُنْيَةِ ٱلسُّرُورِ وَغَيْرِهَا مِنْ مَنَاشِئِهِ

(١) المدى: مكيال ضخم اختلف فى تقديره ولعله نحو ثلث اردب ـ والقصل والقصالة ماعزل من البر اذا نقى فيرمى به .وفى الأصل « قصيلا »

ٱلْبَدِيعَةِ . ٱنْتَهَى . وَمِنَ ٱلْمَطْمَحِ : إِنَّ ٱلْمَنْصُورَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ ٱلزَّاهِرَةِ غَزَا غَزْوَةً وَأَبْعَدَ فِيهَا ٱلْإِيغَالَ (١) ، وَغَالَ فِيهَا مِنْ عُظَمَاءِ ٱلرُّومِ مَنْ غَالَ (٢) ، وَحَلَّ مِنْ أَرْضِهِمْ مَا لَمْ يُطْرَقْ ، وَرَاعَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُرَعْ قَطُّ وَلَمْ يَفْرَقْ (٣) ، وَصَدَرَ صَدَرًا سَمَا بِهِ (٤) عَلَى كُلِّ حَسْنَاءَ عَقِيلَةٍ ، وَجَلَا بِهِ كُلَّ صَفْحَةٍ لِلْحُسْنِ صَقِيلَةٍ ، وَدَخَلَ قُرْطُبَةَ دُخُولًا لَمْ يُعْهَدْ ، وَشُهِدَ لَهُ فِيهَا يَوْمٌ مِثْلُهُ لَمْ يُشْهَدْ ، وَكَانَ ٱبْنُ شُهَيْدٍ مُتَخَلِّفًا عَنْ هَذِهِ ٱلْغَزْوَةِ لِنِقْرِسٍ (٥) عَدَاهُ عَائِدُهُ ، وَحَدَاهُ مُنْتَجِعُهُ وَرَائِدُهُ — وَٱبْنُ شُهَيْدٍ هَذَا أَحَدُ حُجَّابِ ٱلنَّاصِرِ ، وَلَهُ عَلَى ٱبْنِ أَبِي عَامِرٍ أَيَادٍ مُحْكَمَةُ ٱلْأَوَاصِرِ ، وَهُوَ ٱلَّذِي نَهَضَ بِهِ أَوَّلَ ٱنْبِعَاثِهِ ، وَشَفَى أَمْرَهُ زَمَنَ ٱلْتِيَاثِهِ ،

(١) أوغل فى البلاد ونحوها وتوغل اذا ذهب فيها وسار فأبعد وبالغ ، وأوغلوا فى سيرهم داخلين بين ظهرانى الجبال أو فى أرض العدو (٢) غاله : أهلكه وأخذه من حيث لم يدر (٣) راعه يروعه أفزعه وخوفه ، وفرق منه « كفرح » اذا جزع وخاف وفزع (٤) صدر أى عاد من غزوته وفى الأصل « وصدر صدر أسمائه » وهو تحريف مفسد وتصحيف عجيب (٥) النقرس ورم و وجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين ، وقد يكون فى غيرهما « وأظنه الروماتيزم ، والمرجع للأطباء » وعداه اذا عاقه ومنعه

وَخَاصَمَ الْمُصْحَفِيَّ عَنْهُ بِلِسَانٍ مِنَ الْحِمَايَةِ أَلَدَّ ، وَتَوَخَّاهُ بِإِحْسَانٍ قَلَّدَهُ مِنَ الرِّعَايَةِ مَا قَلَّدَ ، وَأَسْمَى رُتْبَتَهُ ، وَحَلَّى بِأَعْظَمِ جَاهٍ جِيدَهُ وَلَبَّتَهُ(١) ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُتْحِفُهُ ، وَيَصِلُهُ وَيُلْطِفُهُ — فَلَمَّا صَدَرَ الْمَنْصُورُ مِنْ غَزْوَتِهِ هَذِهِ وَقَفَلَ ، نَسِيَ مُتَاحَفَتَهُ أَوْ غَفَلَ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ شُهَيْدٍ :

أَنَا شَيْخٌ وَالشَّيْخُ يَهْوَى الصَّبَايَا
وَبِنَفْسِي أَقِيكَ كُلَّ الرَّزَايَا
وَرَسُولُ الْإِلٰهِ أَسْهَمَ فِي الْفَيْ
ءِ لِمَنْ لَمْ يُخِبَّ فِيهِ الْمَطَايَا

وحداه أي ساقه ، والمنتجع : طالب النجعة ، والرائد طالب الكلأ ، جعل من مرض النقرس — الذي عاق ابن شهيد عن الغزو — منتجعا ورائدا « وليس الا الأجسام موضع انتجاعه وارتياده » يحدو الشاعر ليصل به الى غرض من النجعة ، وهو مجاز فيه بعض تكلف حمله عليه خيال الشعر المنثور وقصد السجع والازدواج والترصيع فيه ، فوازن عداه بحداه ، وزاوج بين عائده ورائده ، فكان من ذلك جناس مقصود أيضا — وأصل هذه العبارة في الأصل هكذا « لتفرس عداة عائده ، وحداة منتجعة ورائدة » فزاد نقط بعض الحروف فأفسدها ، وجعل العبارة قلقة غير مفهومة . « أحمد يوسف نجاتي »

(١) كانت هذه العبارة في الأصل هكذا « وحلى باعظام جاهه لبته » ولا بأس به أيضا ، وكلا المعنيين ظاهر :

فَاجْعَلَنِّي ـ فُدِيتَ ـ أَشْكُرُ مَعْرُو

فَكَ وَابْعَثْ بِهَا عِذَابَ الثَّنَايَا

فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَقِيلَةٍ مِنْ عَقَائِلِ الرُّومِ يَكْنُفُهَا ثَلَاثُ جَوَارٍ ، كَأَنَّهُنَّ نُجُومٌ سَوَارٍ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

قَدْ بَعَثْنَا بِهَا كَشَمْسِ النَّهَارِ

فِي ثَلَاثٍ مِنَ الْمَهَا أَبْكَارِ

فَاتَّئِدْ وَاجْتَهِدْ فَإِنَّكَ شَيْخٌ

سَلَخَ اللَّيْلَ عَنْ بَيَاضِ النَّهَارِ

صَانَكَ اللهُ عَنْ كَلَالِكَ فِيهَا

فَمِنَ الْعَارِ كَلَّةُ الْمِسْمَارِ

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ شُهَيْدٍ :

قَدْ فَضَضْنَا خِتَامَ ذَاكَ السِّوَارِ

وَاصْطَبَغْنَا مِنَ النَّجِيعِ الْجَارِي

وَنَعِمْنَا فِي ظِلِّ أَنْعَمِ لَيْلٍ

وَلَهَوْنَا بِالْبَدْرِ ثُمَّ الدَّرَارِي

وَقَضَى ٱلشَّيْخُ مَا قَضَى بِحُسَامٍ
ذِي مَضَاءٍ عَضْبِ ٱلظُّبَا بَتَّارِ
فَاصْطَنِعْهُ فَلَيْسَ يَجْزِيكَ كُفْرًا
وَٱتَّخِذْهُ سَيْفًا عَلَى ٱلْكُفَّارِ

ٱنْتَهَى

وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذِهِ ٱلْحِكَايَةَ فِي أَخْبَارِ ٱلْمَنْصُورِ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلثَّالِثِ ، وَلَكِنَّا أَعَدْنَاهَا هُنَا بِلَفْظِ ٱلْمَطْمَحِ لِمَا فِيهِ مِنَ ٱلْعُذُوبَةِ وَٱلْفَائِدَةِ ٱلزَّائِدَةِ . وَمِمَّنْ كَانَ فِي أَيَّامِ ٱلْمَنْصُورِ مِنَ ٱلْوُزَرَاءِ ٱلْمَشْهُورِينَ ٱلْوَزِيرُ ٱلْكَاتِبُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ إِدْرِيسَ[1] ٱلْخَوْلَانِيُّ ، قَالَ فِي ٱلْمَطْمَحِ : عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ ٱلزَّمَانِ ، وَعَيْنٌ مِنْ أَعْيَانِ ٱلْبَيَانِ ، بَاهِرُ ٱلْفَصَاحَةِ ، طَاهِرُ ٱلْجَنَابِ وَٱلسَّاحَةِ ، تَوَلَّى ٱلتَّحْبِيرَ أَيَّامَ ٱلْمَنْصُورِ وَٱلْإِنْشَاءَ ، وَأُشْعِرَ بِدَوْلَتِهِ ٱلْأَفْرَاحَ وَٱلِانْتِشَاءَ ، وَلَبِسَ ٱلْعِزَّةَ مُدَّةً ضَافِيَةَ ٱلْبُرُودِ ، وَوَرَدَ بِهَا ٱلنِّعْمَةَ صَافِيَةَ ٱلْوُرُودِ ،

(١) هو المعروف بابن الجزيرى الأزدى ، وتقدمت ترجمته ، وتوفى بالمطبق « سجن المنصور بن أبى عامر » فى سخطة المظفر عبد الملك بن أبى عامر فى ذى القعدة سنة ٣٩٤ « أحمد يوسف نجاتى »

وَأُمْتَطَى مِنْ جِيَادِ ٱلتَّوْجِيهِ[1]، أَعْنَقَ مِنْ لَاحِقٍ وَٱلْوَجِيهِ[2]،

(١) التوجيه أى التشريف ، تقول وجه الأمير فلانا وأوجهه أى صيره وجيها ، قال امرؤ القيس :

ونادمت قيصر فى ملكه فوجهنى وركبت البريدا

هذا ولايخفى مافى « لاحق ، والوجيه » من التورية والتوجيه . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) فى الأصل وفى كل المراجع « وأعنق » أو « وأعتق » ونرى فى الرواية الثانية تصحيفا وزيادة ، وفى الأولى زيادة فحسب الا أنها مفسدة ، لأنا نرى أن « أعنق » انما هو مفعول « امتطى » وأعنق أى أسرع من العنق وهو ضرب من السير فيه سرعة واستمرار ومنه قول أبى النجم :

ياناق سيرى عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا

« وفعله كفرح » وأعنق — وعنقت السحابة اذا خرجت من معظم الغيم هذا ولاحق والوجيه اسما فرسين جوادين معروفين ، ولا حق الأكبر كان لغنى بن أعصر ، ولاحق أيضا اسم فرس لعيينة بن الحرث بن شهاب ولا حق الأصغر لبنى أسد ، وهو من بناته ، قال النابغة :

فيهم بنات العسجدى ولا حق ورق مراكلها من الاضمار

وقال الكميت :

نجائب من آل الوجيه ولا حق تذكرنا أحقادنا حين تصهل

وقال طفيل الغنوى :

بنات الغراب والوجيه ولا حق وأعوج تنمى نسبة المتنسب

« العسجدى » فى بيت النابغة نسبة الى عسجد وهو اسم فحل من فحول الابل ، أو هى ابل كانت تزين للنعمان بن المنذر ، والأورق من الابل مافى لونه بياض الى سواد ، والورقة سواد فى غبرة ، ومراكل الدابة ماتصيبه رجل الراكب منها ، واضمارها : اعدادها للسباق فى المضمار « وغراب » اسم

وَتَمَادَى طَلْقُهُ(١) ، وَلَا أَحَدَ يَلْحَقُهُ ، إِلَى أَيَّامِ الْمُظَفَّرِ فَمَشَى عَلَى سَنَنِهِ(٢) ، وَتَمَادَى السَّعْدُ يَتَرَنَّمُ عَلَى فَنَنِهِ ، إِلَى أَنْ قَتَلَ الْمُظَفَّرُ صِهْرَهُ عِيسَى بْنَ الْقَطَّاعِ ، صَاحِبَ دَوْلَتِهِ وَأَمِيرَهَا الْمُطَاعَ ، وَكَانَ أَبُو مَرْوَانَ قَدِيمَ الاصْطِنَاعِ لَهُ وَالِانْقِطَاعِ ، فَاتُّهِمَ مَعَهُ ، وَكَادَ أَنْ يَذُوقَ حِمَامَهُ وَمَصْرَعَهُ(٣) ، إِلَّا أَنَّ إِحْسَانَهُ شَفَعَ ، وَبَيَانَهُ نَفَعَ(٤) وَدَفَعَ ، فَحُطَّ عَنْ تِلْكَ الرُّتَبِ ، وَحُمِلَ إِلَى طَرْطُوشَةَ عَلَى الْقَتَبِ(٥) ، فَبَقِيَ هُنَالِكَ مُعْتَقَلًا فِي بُرْجٍ مِنْ أَبْرَاجِهَا نَائِي الْمُنْتَهَى ، كَأَنَّمَا يُنَاجِي السُّهَا(٦) قَدْ بَعُدَ سَاكِنُهُ عَنِ

فرس كانت للبراء بن قيس ، واسم أخرى كانت لغنى ابن أعصر ، وكذا « أعوج » سمى أعوج لأنهم حملوه فى خرج وهو صغير وهربوا به لنفاسته عندهم وهم فى غارة شنت عليهم فاعوج فى ذلك الخرج ، ولهم فى سيرة أعوج وأخباره أمور قد تستبعد . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) الطلق: الشوط والغاية التى يجرى اليها الفرس — ولا يخفى مراعاة النظير فى الجمل الثلاث (٢) سنن الطريق نهجه وجهته ومحجته ، يقال أقام فلان على سنن واحد ، وامض على سننك أى على وجهتك التى أنت عليها (٣) فى بعض المراجع : وكاد أن يذوق الحمام ويجرعه (٤) فى نسخة « منع » بدل « نفع » وهى أليق مما بعدها (٥) القتب للجمل كالاكاف لغيره ، أو هو عام للابل وغيرها وهو الظاهر هنا (٦) السها كوكب بعيد خفى الضوء يكون مع الكوكب الأوسط من بنات نعش . « أحمد يوسف نجاتى »

ٱلْأَنِيسِ ، وَقَعَدَ مِنَ ٱلنَّجْمِ بِمَنْزِلَةِ ٱلْجَلِيسِ ، تَمُرُّ ٱلطُيُورُ دُونَهُ وَلَا تَجُوزُهُ[١] ، وَيَرَى مِنْهُ ٱلثَّرَى وَلَا يَكَادُ يَحُوزُهُ ، فَبَقِيَ فِيهِ دَهْرًا لَا يَرْتَقِي إِلَيْهِ رَاقٍ ، وَلَا يُرْجَى لِبَثِّهِ مِنْ رَاقٍ[٢] ، إِلَى أَنْ أُخْرِجَ مِنْهُ إِلَى ثَرَاهُ[٣] ، وَٱسْتَرَاحَ مِمَّا عَرَاهُ . فَمِنْ بَدِيعِ نَظْمِهِ قَوْلُهُ يَصِفُ ٱلْمَعْقِلَ ، ٱلَّذِي فِيهِ ٱعْتُقِلَ :

يَأْوِي إِلَيْـهِ كُلُّ أَعْوَرَ نَاعِقٍ
وَتَهُبُّ فِيهِ كُلُّ رِيحٍ صَرْصَرِ[٤]

---

(١) كناية عن شدة علوه الشاهق ، وجاز المكان: تعداه وفاته (٢) البث الحال والحزن الشديد والغم الذى يفضى به المرء الى صاحبه ـ و «راق» هنا « فاعل » من الرقية أى العوذة التى يرقى بها صاحب الآفة ، وقوله تعالى : « وقيل من راق » أى لاراقى يرقيه فيحميه و يصرف السوء عنه ولا بأس أن يكون « راق »مشددا اسم فاعل من رق يرق رقة « بل لعله أنسب » . « أحمد يوسف نجاتى »(٣) كناية عن موته ودفنه(٤) من معانى الأعور الضعيف الجبان البليد الذى لايدل على خير ولا يهتدى اليه ولا خير فيه ، والدليل السيء الدلالة ـ والأعور الغراب « وهو يناسب كلمة ناعق » سمى بذلك على التشاؤم به لأن الأعور عندهم مشئوم أو لأنه اذا أراد أن يصيح أغمض عينيه أو احداهما ـ ونعق الغراب اذا صاح ، والأفصح أن يقال فى الغراب « نعق » بالغين المعجمة « من بابى ضرب ومنع » نغيقا ونغاقا اذا صاح ، أو يقال « نعق » فى الخير و« نعب»

وَيَكَادُ مَنْ يَرْقَى إِلَيْـهِ مَرَّةً
مِنْ عُمْرِهِ يَشْكُو انْقِطَاعَ الْأَبْهَرِ (١)

وَدَخَلَ لَيْلَةً عَلَى الْمَنْصُورِ وَالْمَنْصُورُ قَدِ اتَّكَأَ وَارْتَفَقَ (٢)، وَتَحَلَّى بِمَجْلِسِهِ ذَلِكَ الْأُفُقُ، وَالدُّنْيَا بِمَجْلِسِهِ ذَلِكَ مَسُوقَةٌ (٣) وَأَحَادِيثُ الْأَمَانِيِّ بِهِ مَنْسُوقَةٌ، فَأَمَرَهُ بِالنُّزُولِ عِنْدَهُ فَنَزَلَ فِي جُمْلَةِ الْأَصْحَابِ، وَالْقَمَرُ يَظْهَرُ وَيَحْتَجِبُ فِي السَّحَابِ، وَالْأُفُقُ يَبْدُو بِهِ أَغَرَّ ثُمَّ يَعُودُ مُبْهَمًا (٤)، وَاللَّيْلُ يَتَرَاءَى مِنْهُ أَشْقَرَ ثُمَّ يَعُودُ أَدْهَمًا (٥)،

فى الشر، ويقال أيضا نغق فى الشر — وريح صرصر أى شديدة الصوت أو قارسة البرد (١) الأبهر: عرق يستبطن الصلب والقلب، فاذا انقطع لم تكن معه حياة، أو هو الأكحل، وهما أبهران يخرجان من القلب ثم يتشعب منهما سائر الشرايين (٢) أى اعتمد على مرفق يده متكئا أو على مخدة مثلا (٣) هذه الجملة فى الأصل هكذا: فكم أمانيا بمجلسه ذلك مسوقة. وهى ان خلت من التحريف لا تسلم من التكرار مع بعدها مع خلوها من المبالغة ووصف الملك بالأمر والنهى والتصرف فى أمور الدنيا، ويصح أن تكون «مشوقة» (٤) من قولهم: ليل بهيم أى أسود ضد الأغر «الأبيض» ومن أمثالهم: هذا أمر لا أغر ولا بهيم: اذا كان مشكلا لم تتضح جهته واستقامته ومعرفته، وطريق مبهم خفى لا يستبين (٥) الشقرة بياض تعلوه حمرة صافية — والدهمة: السواد. «أحمد يوسف نجاتى».

وَأَبُو مَرْوَانَ قَدِ انْتَشَى ، وَجَالَ فِي مَيْدَانِ الأُنْسِ وَمَشَى ، وَبُرْدُ خَاطِرِهِ قَدْ دَبَّجَهُ(١) السُّرُورُ وَوَشَى ، فَأَقْلَقَهُ ذَلِكَ الْمَغِيبُ وَالِالْتِيَاحُ(٢) ، وَأَنْطَقَهُ ذَلِكَ السُّرُورُ وَالِارْتِيَاحُ . فَقَالَ :

أَرَى بَدْرَ السَّمَاءِ يَلُوحُ حِيناً
فَيَبْدُو ثُمَّ يَلْتَحِفُ السَّحَابَا
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى
وَأَبْصَرَ وَجْهَكَ اسْتَحْيَا فَغَابَا
مَقَالٌ لَوْ نَمَى عَنِّي(٣) إِلَيْهِ
لَرَاجَعَنِي بِذَا حَقًّا جَوَابَا

وَلَهُ فِي مُدَّةِ اعْتِقَالِهِ ، وَتَرَدُّدِهِ فِي قِيلِهِ وَقَالِهِ(٤) :

(١) أي نقشه وزينه ، ووشى الثوب نقشه وحسنه (٢) من لاح النجم وألاح اذا بدا وأضاء وتلألأ قال المتلمس :

وقد ألاح سهيل بعد ماهجعوا كأنه ضرم بالكف مقبوس

(٣) فى الأصل « عندى » وهوتحريف غيرمناسب ، وفى البيتين الأولين حسن تعليل بديع ، والبيت الثالث أحفظه هكذا :

مقال لو نمى عنى اليه لراجعنى بتصديق جوابا

ونمى الحديث الى فلان اذا ارتفع اليه وبلغه . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٤) فى بعض المراجع «وتردده فى قيده وعقاله»

شَحَطَ ٱلْمَزَارُ فَلَا مَزَارَ وَنَافَرَتْ
عَيْنِي ٱلْهُجُوعَ فَلَا خَيَالٌ يَعْتَرِي (١)
أَزْرَى بِصَبْرِي وَهُوَ مَشْدُودُ ٱلْعُرَا
وَأَلَانَ عُودِي وَهُوَ صُلْبُ ٱلْمَكْسِرِ (٢)
وَطَوَى سُرُورِي كُلَّهُ وَتَلَذُّذِي
بِالْعَيْشِ طَيَّ صَحِيفَةٍ لَمْ تُنْشَرِ
هَا إِنَّمَا أَلْقَى ٱلْحَبِيبَ تَوَهُّمًا
بِضَمِيرِ تَذْكَارِي وَعَيْنِ تَذَكُّرِي
عَجَبًا لِقَلْبِي يَوْمَ رَاعَتْنِي ٱلنَّوَى
وَدَنَا وَدَاعٌ كَيْفَ لَمْ يَتَفَطَّرِ؟

(١) شحط المزار «كمنع» اذا بعد ، تقول لاأنساك على بعد الدار وشحط المزار ، وقال النابغة :

وكل قرينة ومقر ألف   مفارقه الى الشحط القرين

(٢) أزرى به أى قصر به أو عابه. ورجل صلب المكسر أى قوى شديد، والمكسر موضع الكسر أو المخبر ، ويقال فلان طيب المكسر أو ردىء المكسر ، وأصله من كسرك العود لتخبره أصلب هو أم رخو ؟ يقوله: ان بعده عن أحبابه لاعتقاله وسجنه أو هى قوة صبره بعد أن كان جلدا وأخضع نفسه وقد كان ممتنعا أبيا ، وكسر من سورته بعد أن كان لا تلينه الشدائد، والسجن قبر الأحياء، وشماتة الأعداء «أحمد يوسف نجاتى»

« رَجْعٌ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ » وَكَانَ ٱلْمَنْصُورُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا مُهِمًّا شَاوَرَ أَرْبَابَ ٱلدَّوْلَةِ وَٱلْأَكَابِرَ مِنْ خُدَّامِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْأُمَوِيَّةِ ، فَيُشِيرُونَ عَلَيْهِ بِالْوَجْهِ ٱلَّذِي عَرَفُوهُ وَجَرَتِ ٱلدَّوْلَةُ ٱلْأُمَوِيَّةُ عَلَيْهِ ، فَيُخَالِفُهُمْ إِلَى ٱلْمَنْهَجِ ٱلَّذِي ٱبْتَدَعَهُ فَيَقْضُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِالْهَلَاكِ فِي ٱلطَّرِيقِ ٱلَّذِي سَلَكَهُ وَٱلْمَهْيَعِ (١) ٱلَّذِي ٱخْتَرَعَهُ ، فَتُسْفِرُ ٱلْعَاقِبَةُ عَنِ ٱلسَّلَامَةِ ٱلتَّامَّةِ ٱلَّتِي ٱقْتَضَاهَا سَعْدُهُ ، فَيُكْثِرُونَ ٱلتَّعَجُّبَ مِنْ مَوَارِدِ أُمُورِهِ وَمَصَادِرِهَا . وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً : إِنَّ فُلَانًا مَشْئُومٌ فَلَا تَسْتَخْدِمْهُ ، فَقَالَ : أُفٍّ لِسَعْدٍ لَا يُغَطِّي عَلَى شُؤْمِهِ ! فَاسْتَخْدَمَهُ وَلَمْ يَنَلْهُ مِنْ شُؤْمِهِ ٱلَّذِي جَرَتْ بِهِ ٱلْعَادَةُ شَيْءٌ . وَحُكِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ فِي قَصْرِهِ ٱلَّذِي بِالزَّاهِرَةِ ، فَتَأَمَّلَ مَحَاسِنَهُ وَنَظَرَ إِلَى مِيَاهِهِ ٱلْمُطَّرِدَةِ ، وَأَنْصَتَ لِأَطْيَارِهِ ٱلْمُغَرِّدَةِ ، وَمَلَأَ

(١) طريق مهيع : واسع بين منبسط « وهو مفعل من التهيع وهو الانبساط والاتساع » ومن كلام سيدنا على : « اتقوا البدع والزموا المهيع » وقال الشاعر :

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق مهيع

عَيْنَهُ مِنَ الَّذِي حَوَاهُ مِنْ حُسْنٍ وَجَمَالٍ ، وَالْتَفَتَ فِي الزَّاهِرَةِ مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الشِّمَالِ ، فَانْحَدَرَتْ دُمُوعُهُ وَتَجَهَّمَ(١) وَقَالَ : وَيْلٌ لَكِ يَا زَاهِرَةُ ! فَلَيْتَ شِعْرِي مَنِ الْخَائِنُ الَّذِي يَكُونُ خَرَابُكِ عَلَى يَدَيْهِ عَنْ قَرِيبٍ ؟ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ خَاصَّتِهِ : مَا هٰذَا الْكَلَامُ الَّذِي مَا سَمِعْنَاهُ مِنْ مَوْلَانَا قَطُّ ؟ وَمَا هٰذَا الْفِكْرُ الرَّدِيءُ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِمِثْلِهِ شَغْلُ الْبَالِ ؟ فَقَالَ : وَاللهِ لَتَرَوُنَّ مَا قُلْتُ ، وَكَأَنِّي بِمَحَاسِنِ الزَّاهِرَةِ قَدْ مُحِيَتْ ، وَبِرُسُومِهَا قَدْ غُيِّرَتْ ، وَبِمَعَانِيهَا قَدْ هُدِّمَتْ وَنُحِّيَتْ ، وَبِخَزَائِنِهَا قَدْ نُهِبَتْ ، وَبِسَاحَاتِهَا قَدْ أُضْرِمَتْ بِنَارِ الْفِتْنَةِ وَأُلْهِبَتْ .

* * *

وفاة المنصور وقيام سنجول بالأمر

« قَالَ الْحَاكِي » فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ تُوُفِّيَ الْمَنْصُورُ وَتَوَلَّى الْمُظَفَّرُ ، فَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ ، فَقَامَ بِالْأَمْرِ أَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ الْمُلَقَّبُ بِشَنْجُولَ ، فَقَامَ عَلَيْهِ الْمَهْدِيُّ وَالْعَامَّةُ

---

(١) تجهم له اذا عبس واستقبله بوجه باسر كريه . « أحمد يوسف نجاتي »

وَكَانَتْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ الطَّامَّةُ[١] ، وَانْقَرَضَتْ دَوْلَةُ آلِ عَامِرٍ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ آمِرٌ :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجُونِ إِلَى الصَّفَا
أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ[٢]

(٢) الطامة: الداهية تطم أى تعلو وتغلب ماسواها (٢) الحجون جبل بمعلاة مكة على أقل من فرسخين من مكة، وكان عنده مدافن أهلها قال الأعشى:

فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا   ولا لك حق الشرب فى ماء زمزم

والبيتان من أبيات قالها عمرو بن الحرث بن مضاض الجرهمى « جاهلى قديم » يتأسف على البيت و يتشوق مكة : لما أجلتهم عنها خزاعة، وقبلهما:

وكنا ولاة البيت من بعد نابت   نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
وصاهرنا من أكرم الناس والدا   فأبناؤه منا ونحن الأصاهر

ونابت هو ابن سيدنا اسمعيل، وهو أكرم الناس والدا الذى صاهر قبيلة جرهم كما هو معروف . و بعدهما :

فأخرجنا منها المليك بقدرة   كذلك يالناس تجرى المقادر
فصرنا أحاديثا وكنا بغبطة   كذلك عضتنا السنون الغوابر
وبدل لنا كعب بها دار غربة   بها الذئب يعوى والعدو المكاشر
فسحت دموع العين تجرى لبلدة   بها حرم أمن وفيها المشاعر

وعثر جده اذا ساء حظه وانقلب سعده نحسا، وصروف الليالى : حوادثها المتغيرة وكانت جرهم قد غلبت على ولاية البيت الحرام بعد اسماعيل وابنه، ثم بغت بمكة واستحلوا أموال الكعبة وانتهكوا حرمتها فسلط الله عليهم الآفات وأجلت خزاعة من بقى منهم، فذلك معنى الأبيات بايجاز « أحمد يوسف نجاتى »

بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا

صُرُوفُ اللَّيَالِى وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ

وَخُرِّبَتَ الزَّاهِرَةُ وَمَضَتْ كَأَمْسِ الدَّابِرِ، وَخَلَتْ مِنْهَا الدُّسُوتُ(١) الْمُلُوكِيَّةُ وَالْمَنَابِرُ(٢)، وَاسْتَوْلَى النَّهْبُ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْعُدَّةِ وَالذَّخَائِرِ وَالسِّلَاحِ، وَتَلَاشَى أَمْرُهَا فَلَمْ يُرْجَ لِفَسَادِهَا صَلَاحٌ، وَصَارَتْ قَاعًا(٣) صَفْصَفًا، وَبُدِّلَتْ

(١) الدسوت: جمع دست، وهو لفظ معرب عن «دشت» أوعن «دستى» ويطلق فى العربية على أربعة معان؛ وهى اللباس والرياسة والحيلة ودست القمار «واستعمله المتأخرون بمعنى الديوان ومجلس الوزارة والرياسة» وقد جمع معانيها الحريرى فى المقامة الثالثة والعشرين فى قوله: ناشدتك الله ألست الذى أعاره الدست، فقلت لا والذى أجلسك فى هذا الدست، ماأنا بصاحب ذلك الدست، بل أنت الذى تم عليه الدست. فالدست الأول اللباس، والثانى صدر المجلس، والثالث اللعبة والحيلة، وهم يقولون لمن غلب: تم عليه الدست، وانقلب عليه الدست، ومن الأخير دست الشطرنج، ويقال فلان حسن الدست، أى شطرنجى حاذق. ويسلى نفسى قول الشاعر:

يقولون ساد الأرذلون بأرضنا وصار لهم مال وخيل سوابق
فقلت لهم شاخ الزمان وإنما تفرزن فى أخرى الدسوت البيادق

ويطلق الدست على التمكن فى المناصب، وأنسب المعانى هنا صدر المجلس وديوان الرياسة. «أحمد يوسف نجاتى».

(٢) فى الأصل «الدساكر» والمنابر أولى لفظا ومعنى (٣) القاع: أرض سهلة مطمئنة واسعة مستوية لاحزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط قد

أَيَّامَ ٱلتَّرَحِ بِأَيَّامِ ٱلْفَرَحِ وَٱلصَّفَا[1]

« وَيُرْوَى » أَنَّ بَعْضَ أَوْلِيَاءِ ذَلِكَ ٱلزَّمَانِ مَرَّ بِهَا وَنَظَرَ إِلَى مَصَانِعِهَا[2] ٱلسَّامِيَةِ ٱلْفَائِقَةِ ، وَمَبَانِيهَا ٱلْعَالِيَةِ ٱلرَّائِقَةِ ، فَقَالَ : يَا دَارُ فِيكِ مِنْ كُلِّ دَارٍ ، فَجَعَلَ ٱللّٰهُ مِنْكِ فِي كُلِّ دَارٍ .

« قَالَ ٱلْحَاكِي » فَلَمْ تَكُنْ بَعْدَ دَعْوَةِ ذَلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلصَّالِحِ إِلَّا أَيَّامٌ يَسِيرَةٌ حَتَّى نُهِبَتْ ذَخَائِرُهَا ، وَعُمَّ بِالْخَرَابِ سَائِرُهَا ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ فِي ٱلْأَنْدَلُسِ إِلَّا دَخَلَهَا مِنْ فَيْئِهَا حِصَّةٌ كَثِيرَةٌ أَوْ قَلِيلَةٌ ، وَحَقَّقَ ٱللّٰهُ تَعَالَى دُعَاءَ ذَلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي هِمَّتُهُ مَعَ رَبِّهِ جَلِيلَةٌ .

« وَلَقَدْ حُكِيَ » أَنَّ بَعْضَ مَانُهِبَ مِنْهَا بِيعَ بِبَغْدَادَ

انفرجت عنها الجبال والآكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر، وما حواليها أرفع منها — أو هو ما استوى من الأرض وصلب ولم يكن فيه نبات. والصفصف: المستوى من الأرض لا نبات فيه، ومنه قوله تعالى: « فيذرها قاعا صفصفا » (١) في الأصل « و بدلت بأيام الترح عن أيام » الخ وهو خلاف الاستعمال العربي الذي اذا اتبع — واتباعه واجب — أدى الى ضد المقصود « أحمد يوسف نجاتي » (٢) المصانع: المباني والقصور جمع مصنع أو مصنعة

وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ الْمَشْرِقِيَّةِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَزُولُ سُلْطَانُهُ وَلَا يَنْقَضِي مُلْكُهُ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ .

« وَتَذَكَّرْتُ » هُنَا مَا رَآهُ فِي الْمَنَامِ بَعْضُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ بِاللَّيْلَةِ الَّتِي انْقَرَضَ فِيهَا مُلْكُ الْمُوَحِّدِينَ أَنَّ شَخْصًا يُنْشِدُهُ :

مُلْكُ بَنِي مُؤْمِنٍ تَوَلَّى
وَكَانَ فَوْقَ السِّمَاكِ سَمْكُهُ(١)
فَاعْتَبِرُوا وَانْظُرُوا وَقُولُوا
سُبْحَانَ مَنْ لَا يَبِيدُ مُلْكُهُ
« لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ »

وَكَانَ الْمَهْدِيُّ الْقَائِمُ عَلَى الْعَامِرِيِّينَ مَاجِنًا فَاتِكًا ، قَالَ وَقَدْ حَيَّاهُ فِي مَجْلِسِ شَرَابِهِ غُلَامٌ بِقَضِيبِ آسٍ :

أَهْدَيْتَ شِبْهَ قَوَامِكَ الْمَيَّاسِ
غُصْنًا رَطِيبًا نَاعِمًا مِنْ آسٍ .

(١) يريد بني عبد المؤمن بن علي — وسمك البناء : ارتفاعه وعلوه ، والسمك أيضا : السقف ، أو هو من أعلى البيت الى أسفله . « أحمد يوسف نجاتى »

وَكَأَنَّمَا يَحْكِيكَ فِي حَرَكَاتِهِ
وَكَأَنَّمَا تَحْكِيهِ فِي الْأَنْفَاسِ

وَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ حِينَ تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ الْأُمَوِيِّينَ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِمِثْلِ الْمَهْدِيِّ الْمَذْكُورِ، فَسَلَّطَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ مَا أَسَّسَهُ الْمَنْصُورُ حَتَّى هَدَّمَهُ، وَأَخَّرَ كُلَّ مَا قَدَّمَهُ، وَلَمْ يَنْفَعْ فِي ذٰلِكَ احْتِيَاطٌ وَلَا حَزْمٌ، وَلَا رَادَّ لِلْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ الْجَزْمِ.

وَاللهُ يَحْكُمُ مَا يَشَا ءُ فَلَا تَكُنْ مُتَعَرِّضًا

وَقَدْ قَدَّمْنَا شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَنْصُورِ، وَلَا بَأْسَ أَنْ نُلِمَّ(١) هُنَا بِبَعْضِهَا وَإِنْ حَصَلَ مِنْهُ نَوْعُ تَكْرَارٍ فِي نُبْذَةٍ مِنْهَا لِارْتِبَاطِ الْكَلَامِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ

***

طرف من أخبار المنصور

« قَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ » حَجَرَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى هِشَامٍ الْمُؤَيَّدِ بِحَيْثُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مُنْذُ وَلِيَ الْحِجَابَةَ، وَرُبَّمَا أَرْكَبَهُ بَعْضَ(٢) سِنِينَ

(١) فى الأصل « تتكلم » والأولى ما أثبتناه (٢) فى بعض المراجع « بعد »

وَجعَلَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا وَعَلَى جَوَارِيهِ مِثْلُ ذَلِكَ فَلَا يُعْرَفُ مِنهُنَّ ، وَيَأْمُرُ مَنْ يُنَحِّي النَّاسَ مِنْ طَرِيقِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْمُؤَيَّدُ إِلَى مَوْضِعِ تَنَزُّهِهِ ثُمَّ يَعُودَ ، غَيْرَ أَنَّهُ أَرْكَبَهُ بِأُبَّهَةِ الْخِلَافَةِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِغَرَضٍ لَهُ كَمَا أَلْمَعْنَا بِهِ فِيمَا سَبَقَ . وَكَانَ الْمَنْصُورُ إِذَا سَافَرَ وَكَّلَ بِالْمُؤَيَّدِ مَنْ يَفْعَلُ مَعَهُ ذَلِكَ ، فَكَانَ هَذَا مِنْ فِعْلِهِ سَبَبًا لِانْقِطَاعِ مُلْكِ بَنِي أُمَيَّةَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ، وَأَخَذَ مَعَ ذَلِكَ فِي قَتْلِ مَنْ يَخْشَى مِنْهُ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ خَوْفًا أَنْ يَثُورُوا بِهِ ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ شَفَقَةً عَلَى الْمُؤَيَّدِ ، حَتَّى أَفْنَى مَنْ يَصْلُحُ مِنْهُمْ لِلْوِلَايَةِ ، ثُمَّ مَزَّقَ بَاقِيَهُمْ فِي الْبِلَادِ ، وَأَدْخَلَهُمْ زَوَايَا الْخُمُولِ عَارِينَ مِنَ الطِّرَافِ وَالتِّلَادِ ، وَرُبَّمَا سَكَنَ بَعْضُهُمُ الْبَادِيَةَ ، وَتَرَكَ مَجْلِسَ الْأُبَّهَةِ وَنَادِيَهُ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ مَنْ يَنْقِمُ عَلَى الْمَنْصُورِ ذَلِكَ الْفِعْلَ مِنْ قَصِيدَةٍ :

أَبَنِي أُمَيَّةَ أَيْنَ أَقْمَارُ الدُّجَى
مِنْكُمْ وَأَيْنَ نُجُومُهَا وَالْكَوْكَبُ ؟ !

غَابَتْ أُسُـــودٌ مِنْـكُمُ عَنْ غَابِهَا
فَلِذَاكَ حَازَ الْمُلْكَ هَذَا الثَّعْلَبُ

مَعَ أَنَّ لِلْمَنْصُورِ مَفَاخِرَ ، بَذَّ(١) بِهَا الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرَ ، مِنَ الْمُثَابَرَةِ عَلَى جِهَادِ الْعَـدُوِّ ، وَتَـكْرَارِ الذَّهَابِ بِنَفْسِهِ فِي الرَّوَاحِ وَالْغُدُوِّ ، وَلَهُ مَعَ الْمُصْحَفِيِّ وَغَيْرِهِ أَخْبَارٌ مَرَّتْ ، وَيَأْتِي بَعْضُهَا . وَلَا بَأْسَ أَنْ نُلَخِّصَ تَرْجَمَةَ الْمُصْحَفِيِّ فَنَقُولُ(٢) .

***

جعفر المصحفي «قَالَ الْفَتْحُ فِي الْمَطْمَحِ » الْحَاجِبُ جَعْفَرٌ الْمُصْحَفِيُّ : تَجَرَّدَ لِلْعُلْيَا ، وتَمَرَّدَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، حَتَّى بَلَغَ الْمُنَى ، وَتَسَوَّغَ ذَلِكَ الْجَنَى ، فَسَمَا دُونَ سَابِقَةٍ ، وَارْتَقَى(٣) إِلَى رُتْبَةٍ لَمْ تَـكُنْ لِبَيْتِهِ(٤)

(١) أى غلب وفاق وعـلا ، وفى الأصل « لذ » وهـو تصحيف . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) قد سبقت له ترجمة فى الجزء الثالث ببعض تصرف فى عبارة المطمح هذه (٣) فى الأصل « وارتمى » ومارأيناه أحسن (٤) فى بعض المراجع « لبنيته » وفى أخرى « لنفسه » وهى أبعد الروايات عندى فلم تـكن نفس المصحفى دنيئة ولاوضيعة بهذه الدرجة، وقد سبقت كلمتنا فيه وفى بعض أهل بيته ، ولعلنا نخصه هو ومن نعرفهم من أسرته بمقال خاص ، فى أثناء كلامنا على الأدب بالأندلس فى كتابنا الجامع « آداب اللغة العربية » ان شاء الله . « أحمد يوسف نجاتى » .

بِمُطَابَقَةٍ ، وَالْتَاحَ فِي أَفْيَاءِ[١] الْخِلَافَةِ ، وَارْتَاحَ[٢] إِلَيْهَا بِعِطْفِهِ كَنَشْوَانِ السُّلَافَةِ ، وَاسْتَوْزَرَهُ الْمُسْتَنْصِرُ ، وَعَنْهُ كَانَ يَسْمَعُ وَبِهِ كَانَ يُبْصِرُ ، فَأَدْرَكَ بِذَلِكَ مَا أَدْرَكَ ، وَنَصَبَ لِأَمَانِيِّهِ الْحَبَائِلَ وَالشَّرَكَ ، وَاقْتَنَى وَادَّخَرَ ، وَأَزْرَى بِمَنْ سِوَاهُ وَسَخِرَ[٣] ، وَاسْتَعْطَفَهُ الْمَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَنَجْمُهُ بَعْدُ غَائِرٌ لَمْ يَلُحْ ، وَسِرُّهُ مَكْتُومٌ لَمْ يَبُحْ ، فَمَا عَطَفَ ، وَلَا جَنَى مِنْ رَوْضَةِ دُنْيَاهُ وَلَا قَطَفَ ، فَأَقَامَ فِي تَدْبِيرِ الْأَنْدَلُسِ مَا أَقَامَ وَالْأَنْدَلُسُ مُتَغَيِّرَةٌ ، وَالْأَذْهَانُ فِي تَكَيُّفِ سَعْدِهِ مُتَحَيِّرَةٌ ، فَنَاهِيكَ مِنْ ذِكْرٍ خَلَّدَ ، وَمِنْ فَخْرٍ تَقَلَّدَ ، وَمِنْ صَعْبٍ رَاضَ[٤] ، وَجَنَاحِ فِتْنَةٍ هَاضَ[٥] ، وَلَمْ يَزَلْ بِنِجَادِ تِلْكَ الْخِلَافَةِ مُعْتَقِلًا[٦] ، وَفِي مَطَالِعِهَا مُنْتَقِلًا ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ

(١) كذا بالأصل هنا والمطمح ، وهي فيما تقدم « أفق » وهي أظهر وأحسن (٢) ارتاح الى كذا اذا اهتزله طربا وسرورا ، والارتياح الاختيال (٣) سخر منه « كفرح » هزئ به ، وسخره « كمنعه » قهره وكلفه مالا يريد (٤) راض الدابة يروضها : ذللها ووطأها (٥) هاض العظم يهيضه اذا كسره بعد الجبور ، وهو أشد مايكون من الكسر (٦) النجاد : ماوقع

ٱلْحَكَمُ ، فَانْتَقَضَ عَقْدُهُ ٱلْمُحْكَمُ ، وَٱنْبَرَتْ إِلَيْهِ ٱلنَّوَائِبُ ، وَتَسَدَّدَتْ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْخُطُوبِ سِهَامٌ صَوَائِبُ ، وَٱتَّصَلَ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ ذَلِكَ ٱلْأَمْرُ ، وَٱخْتَصَّ بِهِ كَمَا مَالَ بِيَزِيدَ أَخُوهُ ٱلْغَمْرُ (١) ، وَأَنَافَ فِي تِلْكَ ٱلْخِلَافَةِ : كَمَا شَبَّ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ عَنْ طَوْقِهِ عَمْرُو (٢) ، وَٱنْتَدَبَ لِلْمُصْحَفِيِّ بِصَدْرٍ كَانَ قَدْ أَوْغَرَهُ (٣) ، وَسَاءَهُ وَصَغَّرَهُ ، فَاقْتَصَّ مِنْ تِلْكَ ٱلْإِسَاءَةِ ، وَأَغَصَّ حَلْقَهُ كَمَا شَاءَهُ (٤) ، فَأَخْمَلَهُ وَنَكَبَهُ ،

على العاتق من حمائل السيف ، أو هو الحمائل، واعتقله اذا تقلده (١) انما أعرف الغمر بن يزيد بن عبد الملك بن مروان أخا الخليفة الوليد بن يزيد وكان عونا لأخيه الوليد فى حياته ، ومطالبا بدمه بعد مماته ، ففى سنة ١٢٦ كتب مروان بن محمد الى الغمر بن يزيد أخى الوليد يأمره بالمطالبة بدم أخيه الوليد (٢) هذا مثل وهو شطر بيت وأصله «شب عمرو عن الطوق» يضرب مثلا فى تزيين الكبير بزينة الصغير — والمثل قاله جذيمة فى عمرو بن عدى وكان أبوه عدى ينادم جذيمة ، فولد له عمرو من رقاش أخت جذيمة ، فلما كبر عمرو ونادم جذيمة بعد أبيه مالكا وعقيلا القينيين أرسل عمرا الى أمه فزينته وألبسته طوقا، فقال جذيمة «شب عمرو عن الطوق» فلما كان من أمر جذيمة ما كان قام عمرو مقامه ، فلم يزل هو وولده وهم آل المنذر بالحيرة من قبل الفرس حتى ملك قباذ فأزالهم (٣) أى ملأه وغرا أى حقدا وضغينة (٤) فى الأصل « بأى اشاءة » وهو تحريف لامعنى له ، والصواب من

وَأَرْجَلَهُ عَمَّا كَانَ ٱلدَّهْرُ أَرْكَبَهُ ، وَأَلْهَبَ جَوَانِحَهُ حَزَنًا ، وَنَهَبَ لَهُ مُدَّخَرًا وَمُخْتَزَنًا ، وَدَمَّرَ عَلَيْهِ مَا كَانَ حَاطَ(١) ، وَأَحَاطَ بِهِ مِنْ مَكْرُوهِهِ مَا أَحَاطَ ، وَغَبَرَ(٢) سِنِينَ فِي مَهْوَى تِلْكَ ٱلنَّكْبَةِ ، وَجَوَى(٣) تِلْكَ ٱلْكُرْبَةِ ، يَنْقُلُهُ ٱلْمَنْصُورُ مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ ، وَيَعْتَقِلُهُ بَيْنَ ضِيقِ ٱلْمُطْبَقِ وَلَهَوَاتِهِ(٤) ،

المطمح - وفى بعض المراجع « بأى مساءة » ولا بأس بها لولا تكرار كلمتى « اساءة ، ومساءة » فى فقرتى السجع ، وهما من مادة واحدة فى معنى واحد وان كان الأول من أساء والثانى من ساء (١) حاط الشيء يحوطه اذا حفظه وصانه ، وكلأه ورعاه ، وذب عنه وتوفر على مصالحه وتعهده (٢) غبر « كقعد » أى بقى ومكث (٣) الجوى : الحزن والحرقة وشدة الوجد من هم ، والجوى : تطاول المرض، وداء يأخذ فى الصدر والباطن لايستمرأ معه طعام ، وفعله « كرضى » - وفى الأصل « جرائى » ولعلها محرفة عن « جراء » من قولهم فعلته من جرائك أى من أجلك ، ولكن المعنى عليه غير ظاهر والسياق يأباه ، أو لعله محرف عن « حرارة » - وما اخترناه هو ما فى المطمح ، وبه تتوازن « جوى » مع « مهوى » . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٤) المطبق : سجن تحت الأرض ، من قولهم أطبق الشيء اذا غطاه ، ومنه الجنون المطبق الذى يغطى العقل ، والطبق : غطاء كل شيء - واللهوات جمع لهاة ، وهى فى الأصل الهنة المطبقة فى أقصى سقف الحلق ، قال الفرزدق يمدح بنى تميم :

ذباب طار فى لهوات ليث كذاك الليث يزدرد الذبابا

جعل الكاتب للسجن لهوات تشبيها له بالليث أو الحيوان المفترس الغائل

إِلَى أَنْ تَــكَوَّرَتْ شَمْسُهُ(١) وَفَاظَتْ(٢) بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمِحَنِ نَفْسُهُ. وَمِنْ بَدِيعِ مَا حُفِظَ لَهُ فِي نَــكْبَتِهِ، قَوْلُهُ يَسْتَرِيحُ مِنْ كُرْبَتِهِ:

صَبَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ لَمَّا تَوَلَّتِ
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَاسْتَمَرَّتِ
وَمَا النَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا الْفَتَى
فَإِنْ طَمِعَتْ تَاقَتْ وَإِلَّا تَسَلَّتِ
فَوَا عَجَبَا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتِرَافُهُ(٣)
وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ الْعِزِّ كَيْفَ اسْتَذَلَّتِ

(١) تــكورت أى سقطت، أو اضمحلت وذهبت، أو جمع ضوءها ولف فمحيت، وبكل ذلك فسر قوله تعالى: «اذا الشمس كورت» (٢) فاظت نفسه: أى خرجت روحه. وفى بعض النسخ «فاضت» (٣) ويروى «اصطباره» اعترافه: أى صبره وذله وانقياده، قال قيس بن ذريح:

فيا قلب صبرا واعترافا لما ترى ويا حبها قع بالذى أنت واقع

وهذا البيت أحفظه من قصيدة كثير عزة التى مطلعها:

خليلى هــذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وهو مشهور فيها، يعجب كثير من صبره على الذل الذى يتجرعه من هوى عزة، وخنوعه نفسه لذلك مع أنفته، فليس البيت من قطعة أبى عثمان المصحفى. «أحمد يوسف نجاتى».

وَ كَانَتْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى ٱلذُّلِّ ذَلَّتِ
فَقُلْتُ لَهَا يَانَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً
فَقَدْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّتِ

وَ كَانَ لَهُ أَدَبٌ بَارِعٌ ، وَخَاطِرٌ إِلَى نَظْمِ ٱلْقَرِيضِ يُسَارِعُ ، فَمِنْ مَحَاسِنِ نِظَامِهِ وَإِنْشَادِهِ ، ٱلَّتِي بَعَثَهَا إِينَاسُ دَهْرِهِ بِإِسْعَادِهِ ، قَوْلُهُ :

لِعَيْنَيْكَ فِي قَلْبِي عَلَيَّ عُيُونُ
وَبَيْنَ ضُلُوعِي لِلشُّجُونِ فُنُونُ
لَئِنْ كَانَ جِسْمِي مُخْلَقًا[1] فِي يَدِ ٱلْهَوَى
فَحُبُّكَ غَضٌّ فِي ٱلْفُؤَادِ مَصُونُ

« وَلَهُ » وَقَدْ أَصْبَحَ عَاكِفًا عَلَى حُمَيَّاهُ ، هَاتِفًا بِإِجَابَةِ دُنْيَاهُ ، مُرْتَشِفًا ثَغْرَ ٱلْأُنْسِ مُتَنَسِّمًا رَيَّاهُ ، وَٱلْمُلْكُ يُغَازِلُهُ بِطَرْفٍ كَحِيلٍ[2] ، وَٱلسَّعْدُ قَدْ عُقِدَ عَلَيْهِ مِنْهُ

(١) أخلق الثوب : أبلاه ، وفى الأصل « فحبك عندى » (٢) فى الأصل « كايل » وهو تصحيف مفسد « أحمد يوسف نجاتى »

إِكْلِيلٌ ، يَصِفُ لَوْنَ مُدَامِهِ ، وَمَا تَعَرَّفَ لَهُ مِنْهَا دُونَ نِدَامِهِ(١) :

صَفْرَاءُ تُطْرِقُ فِي الزُّجَاجِ فَإِنْ سَرَتْ
فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صِلٍّ لَادِغِ(٢)

(١) الندام : جمع نديم (٢) أطرق اذا سكت وسكن، يشبه الخمر « بصل » أى حية تقتل من ساعتها ، أو الصل هي الدقيقة « الصفراء » لاتنفع فيها الرقية ، وجعلها مطرقة ساكنة عن الأذى مادامت محبوسة فى زجاجها فاذا تمكنت من الجسم سرت فيه ودبت حمياها وسورتها فى كل أجزائه. وأرى البيت مع ظهور الغرض منه و بيان مراده قد يتوهم منه أنه يذم الخمر وينفر منها ولذا يروى « تشرق » و « تبرق » بدل « تطرق » — غير أن بيته الثانى جيد جدا فى معناه ، وخياله رائع فى المبالغة فى وصف الراح بشدة الصفاء ، ومثله قول البحترى :

تخفى الزجاجة لونها فكأنها ... فى الكف قائمة بغير اناء

وقول عبد المحسن الصورى :

رقت فكادت لاترى ... فى كاسها الا التماسا
لولا الحباب لخالها ... شرابها فى الكاس كاسا

وقول الناشىء :

وصفت فأحدق نورها بزجاجها ... فكأنما جعلت اناه انائها
وتكاد ان مزجت لرقة مائها ... تمتاز عند مزاجها من مائها

وألطف من هذا كله قول ابن المعتز :

وقد خفيت من لطفها فكأنها ... بقايا يقين كاد يذهبه الشك

وقول أبى نواس :

صفت وصفت زجاجتها عليها ... كمعنى دق فى ذهن لطيف

وحسبنا هذا خشية من فضولى لايفرق بين الأدب ، والغرام بابنة العنب .

« أحمد يوسف نجاتى » .

خَفِيَتْ عَلَى شُرَّابِهَا فَكَأَنَّمَا

يَجِدُونَ رِيًّا مِنْ إِنَاءٍ فَارِغِ

وَمِنْ شِعْرِهِ الَّذِى قَالَهُ فِى السَّفَرْجَلِ مُشَبِّهًا ، وَغَدَا بِهِ لِنَائِمِ الْبَدِيعِ مُنَبِّهًا ، قَوْلُهُ يَصِفُ سَفَرْجَلَةً ، وَيُقَالُ إِنَّهُ ارْتَجَلَهُ :

وَمُصْفَرَّةٍ تَخْتَالُ فِى ثَوْبِ نَرْجِسِ

وَتَعْبَقُ عَنْ مِسْكٍ ذَكِىِّ التَّنَفُّسِ

لَهَا رِيحُ مَحْبُوبٍ وَقَسْوَةُ قَلْبِهِ

وَلَوْنُ مُحِبٍّ حُلَّةَ السُّقْمِ مُكْتَسِى

فَصُفْرَتُهَا مِنْ صُفْرَتِى مُسْتَعَارَةٌ

وَأَنْفَاسُهَا فِى الطِّيبِ أَنْفَاسُ مُؤْنِسِى

وَكَانَ لَهَا ثَوْبٌ مِنَ الزُّغْبِ (١) أَغْبَرٌ

عَلَى جِسْمِ (٢) مُصْفَرٍّ مِنَ التِّبْرِ أَمْلَسِ

(١) جمع أزغب أى ذو زغب، وهو فى الأصل الشعيرات الصفر الدقيقة على ريش الفرخ ، أو صغار الشعر والريش ولينه ، وكذا ما يعلو قشر الفاكهة فى أول بروزها من أكمامها، ويروى «أخضر» بدل «أغبر» ويروى عجز البيت:

✽ يرف على جسم من التبر أملس ✽

(٢) متعلق بمحذوف تقديره نسج أو نحو ذلك

فَلَمَّا اُسْتَتَمَّتْ فِى اُلْقَضِيبِ شَبَابَهَا
وَحَاكَتْ لَهَا اُلْأَوْرَاقُ أَثْوَابَ سُنْدُسِ
مَدَدْتُ يَدِى بِاللُّطْفِ أَبْغِى اُجْتِنَاءهَا
لِأَجْعَلَهَا رَيْحَانَتِى وَسْطَ مَجْلِسِى
فَبَزَّتْ(١) يَدِى غَصْباً لَهَا ثَوْبَ جِسْمِهَا
وَأَعْرَيْتُهَا بِاللُّطْفِ مِنْ كُلِّ مَلْبَسِ
وَلَمَّا تَعَرَّتْ فِى يَدِى مِنْ بُرُودِهَا
وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا فِى غِلَالَةِ نَرْجِسِ
ذَكَرْتُ لَهَا مَنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ
فَأَذْبَلَهَا فِى اُلْكَفِّ حَرُّ اُلتَّنَفُّسِ

وَلَهُ ـ وَقَدْ أَعَادَهُ اُلْمَنْصُورُ إِلَى اُلْمُطْبَقِ ، وَاُلشُّجُونُ تُسْرِعُ إِلَيْهِ وَتَسْبِقُ ـ مُعَزِّياً لِنَفْسِهِ ، وَمُجْتَزِياً بِإِسْعَادِ أَمْسِهِ :

أُجَازِى اُلزَّمَانَ عَلَى حَالِهِ
مُجَازَاةَ نَفْسِى لِأَنْفَاسِهَا

(١) أى سلبت ، و بزه من ثيابه اذا جرده منها وغلبه عليها ــ يريد أنه قشرها ــ ولقد أجاد وأحسن فى وصف هذه السفرجلة وذكره تاريخ حياتها من أوله الى آخره . « أحمد يوسف نجاتى » .

إِذَا نَفَسٌ صَاعِدٌ شَفَّهَا (١)
تَوَارَتْ بِهِ دُونَ جُلَّاسِهَا
وَإِنْ عَكَفَتْ نَكْبَةٌ لِلزَّمَانِ
عَطَفْتُ بِنَفْسِي (٢) عَلَى رَاسِهَا

وَمِمَّا حُفِظَ لَهُ فِي اُسْتِعْطَافِهِ ، وَاُسْتِنْزَالِهِ لِلْمَنْصُورِ وَاُسْتِلْطَافِهِ ، قَوْلُهُ :

عَفَا اللهُ عَنْكَ أَلَا رَحْمَةً
تَجُودُ بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْعَدَا
لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ
فَأَنْتَ أَجَلُّ وَأَعْلَى يَدَا
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ
وَمَوْلًى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى ؟
وَمُفْسِدَ أَمْرٍ تَلَافَيْتَهُ
فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا

(١) شفه الهم : اذا هزله وأضمره حتى دق ، ومنه قول العرجى :
أنا امرؤ لج بى حب فأحرجنى حتى بليت وحتى شفنى السقم
وشفه الحزن والحب اذا لذع قلبه وأذهل عقله وأظهر ماعنده من ما الجزع
(٢) ويروى عجز البيت « عكفت بصدرى » « أحمد يوسف نجاتى »

أَقِلْنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ

يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ ٱلرَّدَى

« عَوْدٌ وَانْعِطَافٌ إِلَى أَخْبَارِ ٱلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ » رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى وَجَازَاهُ عَنْ جِهَادِهِ أَفْضَلَ ٱلْجَزَاءِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ وَطَوْلِهِ ، فَنَقُولُ : وَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ غَزْوَةٍ مِنْ غَزَوَاتِهِ ٱلْمُنِيفَةِ عَلَى ٱلْخَمْسِينَ مَفْخَرٌ مِنَ ٱلْمَفَاخِرِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ ، فَمِنْهَا أَنَّ بَعْضَ ٱلْأَجْنَادِ نَسِيَ رَايَتَهُ مَرْكُوزَةً عَلَى جَبَلٍ بِقُرْبِ إِحْدَى مَدَائِنِ ٱلرُّومِ ، فَأَقَامَتْ عِدَّةَ أَيَّامٍ لَا يَعْرِفُ ٱلرُّومُ مَاوَرَاءَهَا بَعْدَ رَحِيلِ ٱلْعَسَاكِرِ ، وَهَذَا بِلَا خَفَاءٍ مِمَّا يَفْتَخِرُ بِهِ أَهْلُ ٱلتَّوْحِيدِ عَلَى أَهْلِ ٱلتَّثْلِيثِ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا أُشْرِبَتْ قُلُوبُهُمْ خَوْفَ شِرْذِمَةِ[1] ٱلْمَنْصُورِ وَحِزْبِهِ ، وَعَلِمَ كُلٌّ مِنْ مُلُوكِهِمْ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِحَرْبِهِ ، لَجَأُوا إِلَى ٱلْفِرَارِ وَٱلتَّحَصُّنِ بِالْمَعَاقِلِ وَٱلْقِلَاعِ ، وَلَمْ يَحْصُلْ مِنْهُمْ غَيْرُ ٱلْإِشْرَافِ مِنْ بُعْدٍ وَالِاطِّلَاعِ

(١) الشرذمة : الجماعة القليلة

***

مفاخر المنصور

« وَمِنْ مَفَاخِرِ ٱلْمَنْصُورِ » فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ أَنَّهُ مَرَّ بَيْنَ جَبَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ فِي طَرِيقٍ عَرْضٍ بَرِيدٍ بِوَسَطِ بِلَادِ ٱلإِفْرَنْجِ ، فَلَمَّا جَاوَزَ ذٰلِكَ ٱلْمَحَلَّ وَهُوَ آخِذٌ فِي ٱلتَّحْرِيقِ وَٱلتَّخْرِيبِ وَٱلْغَارَاتِ وَٱلسَّبْيِ يَمِيناً وَشِمَالًا لَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ ٱلْإِفْرَنْجِ عَلَى لِقَائِهِ ، حَتَّى أَقْفَرَتِ ٱلْبِلَادِ مَسَافَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ عَادَ فَوَجَدَ ٱلْإِفْرَنْجَ قَدِ ٱسْتَجَاشُوا مِنْ وَرَائِهِ[1] ، وَضَبَطُوا ذٰلِكَ ٱلْمَدْخَلَ ٱلضَّيِّقَ ٱلَّذِي بَيْنَ جَبَلَيْنِ — وَكَانَ ٱلْوَقْتُ شِتَاءً — فَلَمَّا رَأَى مَا فَعَلُوهُ رَجَعَ ، وَٱخْتَارَ مَنْزِلًا مِنْ بِلَادِهِمْ أَنَاخَ[2] بِهِ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ ٱلْعَسَاكِرِ ، وَتَقَدَّمَ بِبِنَاءِ ٱلدُّورِ وَٱلْمَنَازِلِ وَبِجَمْعِ آلَاتِ ٱلْحَرْثِ وَنَحْوِهَا ، وَبَثَّ سَرَايَاهُ[3] فَسَبَتْ وَغَنِمَتْ ، فَٱسْتَرَقَّ ٱلصِّغَارَ ، وَضَرَبَ أَعْنَاقَ ٱلْكِبَارِ ، وَأَلْقَى جُثَثَهُمْ حَتَّى سَدَّ بِهَا ٱلْمَدْخَلَ ٱلَّذِي مِنْ جِهَتِهِ ، وَصَارَتْ سَرَايَاهُ تَخْرُجُ فَلَا تَجِدُ إِلَّا بَلَدًا خَرَابًا ، فَلَمَّا طَالَ ٱلْبَلَاءُ عَلَى

---

(١) في بعض النسخ « من ورائهم » (٢) أي أقام وثبت (٣) جمع سرية وهي قطعة من الجيش ، سميت سرية لأنها تسرى خفية ليلا لئلا ينذر بهم العدو فيحذروا .

ٱلْعَدُوِّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ فِي طَلَبِ ٱلصُّلْحِ ، وَأَنْ يَخْرُجَ بِغَيْرِ أَسْرَى وَلَا غَنَائِمَ ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذٰلِكَ ، فَلَمْ تَزَلْ رُسُلُهُمْ تَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ حَتَّى سَأَلُوهُ أَنْ يَخْرُجَ بِغَنَائِمِهِ وَأَسْرَاهُ ، فَأَجَابَهُمْ : إِنَّ أَصْحَابِي أَبَوْا أَنْ يَخْرُجُوا ، وَقَالُوا إِنَّا لَا نَكَادُ نَصِلُ إِلَى بِلَادِنَا إِلَّا وَقَدْ جَاءَ وَقْتُ ٱلْغَزْوَةِ ٱلْأُخْرَى ، فَنَقْعُدُ هٰهُنَا إِلَى وَقْتِ ٱلْغَزَاةِ فَإِذَا غَزَوْنَا عُدْنَا ، فَمَا زَالَ ٱلْإِفْرَنْجُ يَسْأَلُونَهُ إِلَى أَنْ قَرَّرَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْمِلُوا عَلَى دَوَابِّهِمْ مَا مَعَهُ مِنَ ٱلْغَنَائِمِ وَٱلسَّبْيِ ، وَأَنْ يَمُدُّوهُ بِالْمِيرَةِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَأَنْ يُنَحُّوا جِيَفَ ٱلْقَتْلَى عَنْ طَرِيقِهِ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَفَعَلُوا ذٰلِكَ كُلَّهُ وَٱنْصَرَفَ .

وَلَعَمْرِي إِنَّ هٰذَا لَعِزٌّ مَا وَرَاءَهُ مَطْمَحٌ ، وَنَصْرٌ لَا يَكَادُ ٱلزَّمَانُ يَجُودُ بِمِثْلِهِ وَيَسْمَحُ ، خُصُوصًا إِزَالَتَهُمْ جِيَفَ قَتْلَاهُمْ مِنَ ٱلطَّرِيقِ ، وَغَصَصَهُمْ(١) فِي شُرْبِ ذٰلِكَ بِالرِّيقِ .

***

مآثر المنصور

وَمِنْ مَآثِرِهِ ٱلَّتِي هِيَ فِي جَبِينِ عَصْرِهِ غُرَّةٌ ، وَلِعَيْنِ

---

(١) غص بالماء أو بالطعام « كفرح » اذا شرق به أو وقف فى حلقه فلم يكد يسيغه ، فهو غاص وغصان — وأغصه بريقه اذا أضجره أو غاظه ، وغص بريقه كناية عن الموت أو شدة القهر والاذلال « أحمد يوسف نجاتى »

دَهْرِهِ قُرَّةٌ ، أَنَّهُ لَمَّا خَتَنَ أَوْلَادَهُ خَتَنَ مَعَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ أَهْلِ دَوْلَتِهِ خَمْسَمِائَةِ صَبِيٍّ ، وَمِنْ أَوْلَادِ الضُّعَفَاءِ عَدَدًا لَا يُحْصَرُ ، فَبَلَغَتِ النَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ فِي هَـٰذَا الْإِعْذَارِ[1] خَمْسَمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَهَـٰذِهِ مَكْرُمَةٌ مُخَلَّدَةٌ ، وَمِنَّةٌ مُقَلَّدَةٌ ، فَاللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ يُجَازِيهِ عَنْ ذَٰلِكَ أَفْضَلَ الْجَزَاءِ ، وَيَجْعَلُ لِلْمُسْلِمِينَ فِي فَقْدِ مِثْلِهِ أَحْسَنَ الْعَزَاءِ . وَمِنْ مَنَاقِبِهِ الَّتِي لَمْ تَتَّفِقْ لِغَيْرِهِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي غَالِبِ الظَّنِّ ، أَنَّ أَكْثَرَ جُنْدِهِ مِنْ سَبْيِهِ ـ عَلَى مَا حَقَّقَهُ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ ـ وَذَٰلِكَ غَايَةُ الْمِنَحِ مِنَ اللهِ وَالْمَنِّ . وَمِنْ أَخْبَارِهِ ، الدَّالَّةِ عَلَى إِقْبَالِ أَمْرِهِ وَخَيْبَةِ عَدُوِّهِ وَإِدْبَارِهِ ، أَنَّهُ مَا عَادَ قَطُّ مِنْ غَزْوَةٍ إِلَّا اسْتَعَدَّ لِأُخْرَى ، وَلَمْ تُهْزَمْ لَهُ قَطُّ رَايَةٌ ـ مَعَ كَثْرَةِ غَزَوَاتِهِ شَاتِيَةً وَصَائِفَةً ، وَكَفَاهُ ذَٰلِكَ فَخْرًا . وَمِنْهَا أَنَّهُ لَقِيَتْهُ ـ وَقَدْ عَادَ مِنْ بَعْضِ غَزَوَاتِهِ ـ ، امْرَأَةٌ نَقَمَتْ[2] عَلَيْهِ بُلُوغَ مُنَاهُ وَشَهَوَاتِهِ ، وَقَالَتْ

(١) أصل الاعذار : الختان ، ثم استعمل فى الطعام الذى يصنع فى الختان ، وأعذر للقوم اذا صنع لهم طعام الختان وأعده . وأعذر الغلام : ختنه ،

(٢) فى الأصل « نعصت » وفى بعض المراجع « نقمت » ـ ونقم منه الأمر ونقم عليه « كضرب وعلم » اذا كرهه وأنكره وعابه . وقد تكون

لَهُ : يَامَنْصُورُ اُسْتَمِعْ نِدَائِى ، فَأَنْتَ فِى طِيبِ عَيْشِكَ وَأَنَا فِى بُكَائِى، فَسَأَلَهَا عَنْ مُصِيبَتِهَا الَّتِى عَمَّتْهَا وَغَمَّتْهَا، فَذَكَرَتْ لَهُ أَنَّ لَهَا ابْنًا أَسِيرًا فِى بِلَادٍ سَمَّتْهَا ، وَأَنَّهَا لَا يَهْنَأُ عَيْشُهَا لِفَقْدِهِ ، وَلَا يَخْبُو(١) ضِرَامُ قَلَقِهَا مِنْ وَقْدِهِ ، وَأَنْشَدَ لِسَانُ حَالِهَا لِذَلِكَ الْمَلِكِ الْعَلِي :

* وَيْحَ الشَّجِىِّ مِنَ الْخَلِى(٢) *

« نعت » ـ تقول : نعى عليه أعماله وهفواته « كسعى » اذا أظهرها وشهر بها، أو اذا قبحها وعابه عليها و وبخه (١) خبت النار تخبو اذا سكنت وطفئت وخمد لهيبها . ومن المجاز : خمد لهبه ، اذا سكن ثائره وسكت غضبه ، وضرام النار : اشتعالها (٢) ويح له ، و يحاله : يقال لمن وقع فى بلية لاظهار الشفقة عليه وطلب الرحمة والدعاء له بالخلاص منها ــ و رجل شج « كفرح » أى حزين ــ والشجى « بالتخفيف » المشغول القلب ، والخلى « بالتشديد » الفارغ من الهم رخى البال . وقيل بجواز التشديد فى « خلى » بمعنى المشجو من شجاه يشجوه اذا حزنه وأوقعه فى هم . وقد شدد ياؤه فى الشعر فى قول الشاعر :

نام الخليون عن ليل الشجيينا   شأن السلاة سوى شأن المحبينا

وفى بعض النسخ جعل ماأنشدته المرأة بيتا ، ونصه : وأنشد لسان حالها :

ياذلك الملك العلى   ويح الشجى من الخلى

وقد ورد المثل فى مطلع قصيدة لأبى تمام يمدح بها الحسن بن وهب :

ألا ويل الشجى من الخلى   وبالى الربع من احدى بلى

والمثل يضرب لسوء مشاركة الرجل صاحبه . ومعناه ان الخلى لايعرف بالشجى فهو لايساعده على حاله ولا يرثى لما به ، بل قد يزيد نار جواه اشتعالا بلومه وتعنيفه . « أحمد يوسف نجاتى » .

فَرَحَّبَ ٱلْمَنْصُورُ بِهَا ، وَأَظْهَرَ ٱلرِّقَّةَ بِسَبَبِهَا ، وَخَرَجَ مِنَ ٱلْقَابِلَةِ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱبْنُهَا ، وَجَاسَ أَقْطَارَهَا وَتَخَلَّلَهَا ، حَتَّى دَوَّخَهَا إِذْ أَنَاخَ عَلَيْهَا بِكَلْكَلِهِ وذَلَّلَهَا ، وَأَعْرَاهَا مِنْ حُمَاتِهَا وَبِبُنُودِ ٱلْإِسْلَامِ ٱلْمَنْصُورَةِ ظَلَّلَهَا ، وَخَلَّصَ جَمِيعَ مَنْ فِيهَا مِنَ ٱلْأَسْرَى ، وَجَلَبَتْ عَوَامِلُهُ إِلَى قُلُوبِ ٱلْكَفَرَةِ كَسْرًا ، وَٱنْقَلَبَتْ عُيُونُ ٱلْأَعْدَاءِ حَسْرَى ، وَتَلَا لِسَانُ حَالِ ٱلْمَرْأَةِ : « فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا » ، فَهٰكَذَا تَكُونُ ٱلْهِمَّةُ ٱلسُّلْطَانِيَّةُ ، وَٱلنَّخْوَةُ ٱلْإِيمَانِيَّةُ ، فَٱللهُ سُبْحَانَهُ يُرَوِّحُ تِلْكَ ٱلْأَرْوَاحَ فِي ٱلْجِنَانِ ، وَيُرَقِّي دَرَجَاتِهَا وَيُعَامِلُهَا بِمَحْضِ ٱلْفَضْلِ وَٱلِامْتِنَانِ .

***

كتاب عبد الله ابن يوسف إلى المنصور بن أبي عامر

وَقَدْ تَذَكَّرْتُ هُنَا ـ وَٱلْحَدِيثُ شُجُونٌ(١) ، وَبِذِكْرِ ٱلْمُنَاسَبَاتِ يَبْلُغُ ٱلطُّلَّابُ مَا يَرْجُونَ ـ كِتَابًا كَتَبَهُ ٱلْأَدِيبُ ٱلْكَاتِبُ أَبُو مُحَمَّدٍ(٢) ٱبْنُ ٱلْإِمَامِ ٱلْحَافِظِ مُحَدِّثِ ٱلْأَنْدَلُسِ أَبِي عُمَرَ

(١) يقال الحديث ذو شجون ، أى فنون وأغراض ، أى أنه ذو شعب وامتساك يدخل بعضه فى بعض ، و يستدعى شىء منه شيئا ، و يتفرق بالمتكلم شعبه و وجهه ، يضرب مثلا للحديث يستذكر به غيره ، جمع شجن « بالتحريك » وهو الغصن المشتبك من غصون الشجرة . والشُّعْبة من كل شىء (٢) هوالأديب عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر

أَبْنِ عَبْدِ ٱلْبَرِّ ٱلنَّمَرِيِّ إِلَى ٱلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ[١] « وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ ٱلْمَنْصُورِ ٱلْكَبِيرِ ٱلَّذِي كُنَّا نَتَحَدَّثُ فِي أَخْبَارِهِ ، يَمُتُّ[٢] إِلَيْهِ بِسَلَفِهِ وَمُعَامَلَتِهِمْ لِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ آبَائِهِ بِتَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَإِكْبَارِهِ » وَهُوَ : عَمَّرَ ٱللَّهُ بِبَقَاءِ سَيِّدِي ذِكْرَى ٱلسَّابِقِينَ[٣] بَهْجَةَ أَوْطَانِهِ ، وَمَلَّكَهُ عِنَانَ زَمَانِهِ ، وَمَدَّ عَلَيْهِ ظِلَالَ أَمَانِهِ ، إِنِّي ـ أَبْقَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكَ ٱلْكَرِيمَ ،

النمرى ، أصله من قرطبة وسكن مع أبيه مدينة بلنسية وغيرها. كان من أهل الأدب البارع والبلاغة الذائعة والتقدم فى العلم والذكاء ، وكانت له رسائل مدونة ، توفى قبل أبيه بمدينة دانية سنة ٤٥٨ وتوفى الامام الحافظ والده سنة ٤٦٣ بمدينة شاطبة ، وتوفى جده عبد الله بن محمد سنة ٣٨٠ وفى الأصل « النميرى » وهو تحريف فان الامام ينسب الى النمر بن قاسط لا الى نمير . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) هو المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور ابن أبى عامر ، وكان فى فتنة الأندلس وتغلب ملوك الطوائف عليها قد استقل بمدينة بلنسية ثم بمدينة دانية و ما كان اليها. وقام بالأمر بعده ابنه محمد ودام فيها الى أن غدر به صهره المأمون بن اسمعيل بن ذى النون وأخذ منه رياسة بلنسية فى ذى الحجة سنة ٤٥٧ فنزح عنها الى المرية وأقام بها الى أن خلع ، وكان المنصور الصغير هذا أديبا شاعرا رقيقا ، وسنعرض له فيما بعد ان شاء الله . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) أى يتوصل ويتقرب ، قال الشاعر :

نمت بأرحام اليك وشيجة ولا قرب بالأرحام مالم تقرب

(٣) فى بعض المراجع « ذى السابقتين » بدل « ذكرى السابقين »

وَالسَّيِّدَ الزَّعِيمَ ـ لَمَّا أَضَاءَتْ لِي أَهِلَّةُ مَفَاخِرِكُمْ فِي سَمَاءِ الْفَخَارِ ، وَأَشْرَقَتْ شُمُوسُ مَكَارِمِكُمْ عَلَى مَفَارِقِ الْأَحْرَارِ ، وَأَبْصَرْتُ شَمَائِلَكَ الزُّهْرَ تُهْدِي إِلَيْكَ مِنَ الْهِمَمِ مَحَامِدَهَا وَمَحَاسِنَكَ الْغُرَّ تُوقِظُ لَكَ مِنَ الْآمَالِ رَوَاقِدَهَا ، أَيْقَنْتُ أَنَّهُ بِحَقٍّ انْقَادَتْ لَكَ الْقُلُوبُ بِأَعِنَّتِهَا ، وَتَهَادَتْ إِلَيْكَ النُّفُوسُ بِأَزِمَّتِهَا ، فَآلَيْتُ أَلَّا أُلِمَّ إِلَّا بِحِمَاكَ ، وَلَا أَحُطَّ رَحْلًا إِلَّا بِفِنَائِكَ[1] ، عِلْمًا بِأَنَّكَ نَثْرَةُ[2] الْفَخْرِ ، وَغُرَّةُ الدَّهْرِ فَتَيَمَّمْتُ سَارِيًا فِي سَاطِعِ نُورِكَ ، مُتَيَمِّنًا بِيُمْنِ[3] طَائِرِكَ ، مُحَقِّقًا لِلرِّبْحِ ، مُوقِنًا بِالْفَلْجِ[4] وَالنُّجْحِ ، حَتَّى حَلَلْتُ فِي دَوْحَةِ الْمَجْدِ ، وَأَنَخْتُ بِدَوْلَةِ السَّعْدِ ، وَاسْتَشْعَرْتُ لِبْسَةَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ، وَجَعَلْتُ أَنْظِمُ مِنْ جَوَاهِرِ الْكَلَامِ ،

---

(١) فناء الدار : مااتسع من أمامها ، أو ماامتد من جوانبها ، وفى بعض المراجع «بمغناك» (٢) النثرة : كوكبان بينهماقدر شبر، وفيهما لطخ بياض كأنه قطعة سحاب ، وهى أنف الأسد ، ينزلها القمر ، وتسميها العرب نثرة الأسد ـ يريد علو منزلته فى الفخر (٣) الطائر ماتيمن به المرء أو تشاءم ، والطائر أيضا : الحظ (٤) الفلج : الظفر والفوز ، وفعله من باب نصر .
« أحمد يوسف نجاتى » .

مَا يُرْبِي عَلَى جوَاهِرِ ٱلنِّظَامِ ، وَأَنْشُرُ مِنْ عِطرِ ٱلثَّنَاءِ ، مَا يُزْرِي بِالرَّوْضَةِ ٱلْغَنَّاءِ(١) ، وَحَاشَا لِلْفَهْمِ أَنْ يُعَطِّلَ لَيْلِي مِنْ أَقمَارِكَ ، أَوْ يُخْلِيَ أُفُقِي مِنْ أَنْوَارِكَ ، فَأَرَانِي مُنْخَرِطًا فِي غَيْرِ سِلْـكِهِ ، وَمُنْحَطًّا إِلَى غَيْرِ مُلْـكِهِ ، لَا جَرَمَ أَنَّهُ مَنِ ٱسْتَضَاءَ بِالْهِلَالِ ، غَنِيَ عَنِ ٱلذُّبَالِ(٢) ، وَمَنْ ٱسْتَنَارَ بِالصَّبَاحِ ، أَلْقَى سَنَى ٱلْمِصْبَاحِ ، وَتَاللهِ مَا هَزَّتْ آمَالِي ذَوَائِبَهَا(٣) إِلَى سِوَاكَ ، وَلَا حَدَتْ(٤) أَوْطَارِي رَكَائِبَهَا إِلَى مَنْ عَدَاكَ ، لِيَكُونَ فِيَّ أَثَرُ ٱلْوَسْمِيِّ فِي ٱلْمَاحِلِ(٥) ، وَعَلَيَّ جَمَالُ ٱلْحُلِيِّ عَلَى ٱلْعَاطِلِ(٦) ، لِسِيَادَتِكَ ٱلسَّنِيَّةِ ، وَرِيَاسَتِكَ ٱلْأَوَّلِيَّةِ ، ٱلَّتِي يَقْصُرُ عَنْهَا لِسَانُ إِفْصَاحِي ، وَيَعْيَا فِي بَعْضِهَا بَيَانِي وَإِيضَاحِي ، فَالْقَرَاطِيسُ عِنْدَ بَثِّ مَنَاقِبِكَ تَفْنَى ،

---

(١) أربى عليه : زاد وفاق ،وأزرى به :أظهر فيه عيبا وقصورا ، و روضة غناء : قد التف عشبها وكثر حتى تسمع لطيرها غنة، وتمر الرياح فيها غير صافية الصوت لكثافة عشبها والتفاف أشجارها (٢) الذبالة الفتيلة التى تسرج (٣) هزت ذوائبها أى تحركت ونشطت ، وهو مأخوذ من قول الأعرابى: هززت ذوائب الرحال فلم أجد معولا الا عليك الخ (٤) حداه : ساقه (٥) مطر الربيع الأول يسم الأرض ويزينها بالنبات ، والماحل : المجدب (٦) العاطل المرأة تجرد جيدها عن الحلى والزينة « أحمد يوسف نجاتى »

وَالْأَقْلَامُ فِي رَسْمِ مَآثِرِكَ تَحْفَى ، وَمَا أَمَلُ الْمُجْدِبِ ، فِي حَيَاةِ الْمُخْصِبِ ، وَلَا جَذَلُ الْمُذْنِبِ ، بِرِضَا الْمُعْتِبِ⁽¹⁾ ، كَأَمَلِي فِي التَّعَزُّزِ بِحَوْزَتِكَ ، وَالتَّجَمُّلِ بِجُمْلَتِكَ ، وَالتَّرَفُّعِ بِخِدْمَتِكَ ، فَالسَّعِيدُ مَنْ نَشَأَ فِي دَوْلَتِكَ ، وَظَهَرَ فِي أُمَّتِكَ ، وَاسْتَضَاءَ بِغُرَّتِكَ ، لَقَدْ فَازَ بِالسَّبْقِ مَنْ لَحَظَتْهُ عَيْنُ رِعَايَتِكَ ، وَكَنَفَتْهُ حَوْزَةُ حِمَايَتِكَ ، فَأَنْتَ الَّذِي أُمِنَتْ بِعَدْلِهِ نَوَائِبُ الْأَيَّامِ ، وَقَوِيَتْ بِسُلْطَانِهِ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ، تَخْتَالُ بِكَ الْمَعَالِي اخْتِيَالَ الْعَرُوسِ ، وَتَخْضَعُ لِجَلَالِكَ أَعِزَّةُ⁽²⁾ النُّفُوسِ ، سَابِقَةٌ أَشْهَرُ مِنَ الْفَجْرِ ، وَفِطْنَةٌ أَنْوَرُ مِنَ الْبَدْرِ ، وَهِمَّةٌ أَنْفَذُ مِنَ الدَّهْرِ

لَقَدْ فَازَ مَنْ أَضْحَى بِكُمْ مُتَمَسِّكاً
يَشُدُّ عَلَى تَأْمِيلِ عِزِّكُمْ يَدَا
سَلَكْتَ سَبِيلَ الْفَخْرِ خُلْقاً مُرَكَّباً
وَغَيْرُكَ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا تَجَلُّدَا

(١) الجذل : الفرح والسرور ، وأعتبه اذا منحه العتبى أي الرضا وقبل عذره
(٢) جمع عزيز ، ويجوز « أعنة » جمع عنان « أحمد يوسف نجاتي »

فَأَنْتُمْ لِوَاءُ ٱلدِّينِ لَا زَالَ قَيِّماً
بِآرَائِكُمْ فِي ظُلْمَةِ ٱلْخَطْبِ يُهْتَدَى

لِيَهْنِكُمُ مَجْدٌ تَلِيدٌ(١) بَنَيْتُمُ
أَغَارَ سَنَاهُ فِي ٱلْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

وَمِثْلُهُ ـ أَبْقَاهُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ ـ يُسْتَثْمَرُ إِبْرَاقُهُ فَيُثْمِرُ جَنَاهُ ، وَيُسْتَمْطَرُ إِبْرَاقُهُ فَيُمْطِرُ حَيَاهُ(٢) ، وَلَا سِيَّمَا أَنِّي نَشْأَةٌ حَفَّهَا إِحْسَانُ أَوَائِلِكَ ٱلطَّاهِرِينَ ، وَأَلَّفَهَا إِنْعَامُ أَكَابِرِكَ ٱلْأَخْيَارِ ٱلطَّيِّبِينَ ، وَجَدِيرٌ بِقَبُولِكَ وَإِقْبَالِكَ ، وَبِرِّكَ وَإِجْمَالِكَ ، مَنْ أَصْلُهُ ثَابِتٌ فِي أَهْلِ مَحَبَّتِكُمْ ، وَفَرْعُهُ نَابِتٌ فِي خَاصَّتِكُمْ .

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ
وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ(٣)

(١) التليد القديم الثابت ضد الطريف (٢) الجنى ما يجنى من الثمر والحيا الغيث (٣) هذه الأبيات من قصيدة لأبي الطيب المتنبي يمدح بها كافورا الأخشيدى سنة ٣٤٦ أولها :

أود من الأيام مالا توده   وأشكو اليها بيننا وهي جنده

وقد أتى بها الكاتب هنا بغير نظامها فى قصيدة أبى الطيب ، والعسجد : الذهب فهو يقول : انه لا يرغب فى مال يناله ، فمطلبه فى الاتصال به فوق ذلك وأسمى

فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ
فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِيَ نِدُّهُ(١)
فَكُنْ فِي اصْطِنَاعِي مُحْسِناً كَمُجَرِّبٍ
يَبِنْ لَكَ تَقْرِيبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ(٢)

فانه يريد مفخرا يشرف به « ومنه يأتى الغنى والمال الجم » فقد كان يطلب منه عملا وأن يوليه ولاية . وهذا كقول الوزير المهلبي :

ياذا اليمينين لم أزرك ولم   أصحبك من خلة ولاعدم
زورك فى همة منازعة   الى جسيم من غاية الهمم

ومثله له أيضا .

لم تزرنى أبا على سنو الجد   ب وعندى بعد الكفاف فضول
غير أنى باغى الجليل من الأمـ   ـر وعند الجليل يبغى الجليل

ومثله لأبى تمام :

ومن خدم الأقوام يبغى نوالهم   فانى لم أخدمك الا لأخدما

وله أيضا :

يارب رفعة قد كنت آملها   لديك لا فضة أبغى ولاذهبا

ومثله قول الصاحب بن عباد :

نسائلكم هل من قرى لنزيلكم   بملء جفون لا بملء جفان ؟

وقد كرر أبو الطيب هذا المعنى فى قوله :

وسرت اليك فى طلب المعالى   وسار الناس فى طلب المعاش

(١) هذا قريب من بيت الصاحب المتقدم ـ والند: المثل والنظير، يقول ان نظرك الى نظير كل نوال آخذه منك أو أخذته (٢) التقريب: ضربٌ من عدو الفرس ، وقرب الجواد اذا رفع يديه معا ووضعهما معا فى العدو ،

إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ ٱلسَّيْفِ فَٱبْلُهُ
فَإِمَّا تُنَفِّيهِ وَإِمَّا تُعِدُّهُ(١)

وَمَا ٱلصَّارِمُ ٱلْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ
إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ ٱلنِّجَادُ وَغِمْدُهُ(٢)

وَلَا بَأْسَ أَنْ يَتَطَوَّلَ مَوْلَايَ بِغَرْسِ ٱلصَّنِيعَةِ فِي

وهو دون الحضر ، والشد: العدو ــ يقول جربني فى اصطناعك اياى ليبين لك أنى موضع الصنعة وأهلها ــ وانما يعرف الجواد بتجربته فيظهر تقريبه من عدوه . أو جربني ليظهر لك عظيم أمرى وصغيره وتقف على كل أحوالى فاما أن تقربني وتصطنعني، واما أن تبعدني ان لم أكن أهلا لاصطناعك فلا فضل بيني و بين غيرى ان لم تجربني وتخبر جلية أمرى(١) نفاه ونفاه بالتخفيف والتشديد أى أبعده، و بلاه اذا جربه واختبره . يقول اذا جربت السيف بان لك جوهره ، وعرفت صلاحه من فساده ،فاما أن تلقيه لأنه كهام غير صارم،واما اخترته ليكون عدة لك فى الحروب لأنه حسام قاضب ولافضل للسيف الماضى على غيره مادام خبيئا فى غمده لم تبله التجربة (٢) هذا البيت يوضح ماقبله ، والهندى القاطع من ضرب الهند ، والنجاد حمائل السيف . يقول ان السيف العضب والصارم الماضى يكون كغيره من كل سيف كليل كهام مادام كامنا فى غمده، لم تميزه عما عداه التجربة والعمل به وانما يعرف مضاؤه اذا استل من غمده وجرب، وأنا كذلك اذا لم تظهر التجربة قدرى كنت كغيرى ، ولم يعرف ماعندى ولم تظهر كفايتى وغنائى وهذا تقاض للولاية باللطف وضرب الأمثال وحسن الطلب ، وهو من قول أبى تمام :

لما انتضيتك للخطوب كفيتها والسيف لا يكفيك حتى ينتضى

أَزْكَى ٱلتُّرَبِ[(١)] ، وَوَضْعِ ٱلْهِنَاءِ مَوْضِعَ ٱلنُّقَبِ[(٢)] وَٱللهُ سُبْحَانَهُ يُبْقِي مَوْلَايَ آخِذًا بِزِمَامِ ٱلْفَخْرِ ، نَاهِضًا بِأَعْبَاءِ ٱلْبِرِّ ، مَالِكًا لِأَعِنَّةِ ٱلدَّهْرِ ، وَصَنَعَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِسَيِّدِي أَتَمَّ ٱلصُّنْعِ وَأَجْمَلَهُ ، وَأَفْضَلَهُ وَأَكْمَلَهُ ، بِمَنِّهِ لَارَبَّ سِوَاهُ . ٱنْتَهَى .

***

« رَجْعٌ إِلَى أَخْبَارِ ٱلْمَنْصُورِ ٱلْكَبِيرِ » مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ سجن المصحفى
ـ رَحِمَهُ ٱللهُ ـ ، وَكُنَّا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ قَبَضَ عَلَى ٱلْوَزِيرِ ٱلْحَاجِبِ ٱلْمُصْحَفِيِّ مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ أَتْبَاعِهِ .

---

(١) التطول: الانعام والامتنان ، وتربة زاكية أى أرض جيدة يزكو فيها النبات (٢) هذا مثل عربى ، الهناء القطران ، وهنأ الابل يهنؤها « مثلثة النون » طلاها بالهناء ـ والنقب جمع نقبة وهى أول جرب يبدأ فى البعير لأنها تنقب الجلد أى تثقبه وتخرقه ، فان لم تعالج بالقطران « الهناء » تمشت فى جسم البعير كله حتى تشربه « تملأه » ـ ويقال . هو يضع الهناء مواضع النقب ، اذا كان خبيرا ماهرا ومجربا مصيبا ومسددا يضع الأمور فى مواضعها . قال دريد بن الصمة فى الخنساء من أبيات :

متبذلا تبدو محاسنه   يضع الهناء مواضع النقب

والنقب أيضا هذه القرحة التى تخرج فى جنب البعير أو الجرب ، وهو فى بيت دريد بضم النون وسكون القاف مفردا بمعنى ثقب أو جمعا ، وفى الأصل « النوب » بدل « النقب » وهو تصحيف . « أحمد يوسف نجاتى » .

« قَالَ » صَاحِبُ كِتَابِ « رَوْضَـةِ ٱلْأَزْهَارِ وَبَهْجَةِ ٱلنُّفُوسِ وَنُزْهَةِ ٱلْأَبْصَارِ » وَلَمَّا أَمَرَ ٱلْمَنْصُورُ بْنُ أَبِى عَامِرٍ بِسِجْنِ ٱلْمُصْحَفِيِّ فِى ٱلْمُطْبَقِ بِالزَّهْرَاءِ وَدَّعَ أَهْلَهُ وَوَدَّعُوهُ وَدَاعَ ٱلْفُرْقَةِ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ : لَسْتُمْ تَرَوْنَنِى بَعْدَهَا حَيًّا، فَقَدْ أَتَى وَقْتُ إِجَابَةِ ٱلدَّعْوَةِ، وَمَا كُنْتُ أَرْتَقِبُهُ مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ؛ وَذَلِكَ أَنِّى شَارَكْتُ فِى سِجْنِ رَجُلٍ فِى عَهْدِ ٱلنَّاصِرِ وَمَا أَطْلَقْتُهُ إِلَّا بِرُؤْيَا رَأَيْتُهَا، بِأَنْ قِيلَ لِى: أَطْلِقْ فُلَانًا فَقَدْ أُجِيبَتْ فِيكَ دَعْوَتُهُ ، فَأَطْلَقْتُهُ وَأَحْضَرْتُهُ وَسَأَلْتُهُ عَنْ دَعْوَتِهِ عَلَيَّ ، فَقَالَ : دَعَوْتُ عَلَى مَنْ شَارَكَ فِى أَمْرِى أَنْ يُمِيتَهُ ٱللهُ فِى أَضْيَقِ ٱلسُّجُونِ ، فَقُلْتُ : إِنَّهَا قَدْ أُجِيبَتْ فَإِنِّى كُنْتُ مِمَّنْ شَارَكَ فِى أَمْرِكَ ، وَنَدِمْتُ حِينَ لَا يَنْفَعُ ٱلنَّدَمُ ، فَيُرْوَى أَنَّهُ كَتَبَ لِلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِى عَامِرٍ بِهَذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ :

هَبْنِى أَسَأْتُ فَأَيْنَ ٱلْعَفْوُ وَٱلْكَرَمُ
إِذْ قَادَنِى نَحْوَكَ ٱلْإِذْعَانُ وَٱلنَّدَمُ ؟

يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتِ ٱلْأَيْدِى إِلَيْهِ أَمَا
تَرْثِى لِشَيْخٍ نَعَاهُ عِنْدَكَ ٱلْقَلَمُ ؟ !
بَالَغْتَ فِى ٱلسُّخْطِ فَاصْفَحْ صَفْحَ مُقْتَدِرٍ
إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا مَا ٱسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا

فَأَجَابَهُ ٱلْمَنْصُورُ بِأَبْيَاتٍ لِعَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلْجَزِيرِىِّ(١) :

يَاجَاهِلًا بَعْدَ مَا زَلَّتْ بِكَ ٱلْقَدَمُ
تَبْغِى ٱلتَّكَرُّمَ لَمَّا فَاتَكَ ٱلْكَرَمُ
نَدِمْتَ إِذْ لَمْ تَعُدْ مِنِّى بِطَائِلَةٍ
وَقَلَّمَا يَنْفَعُ ٱلْإِذْعَانُ وَٱلنَّدَمُ
نَفْسِى إِذَا جَمَحَتْ لَيْسَتْ بِرَاجِعَةٍ
وَلَوْ تَشَفَّعَ فِيكَ ٱلْعُرْبُ وَٱلْعَجَمُ

فَبَقِىَ فِى ٱلْمُطْبِقِ حَتَّى مَاتَ ـ نَعُوذُ بِٱللهِ تَعَالَى مِنْ دَعْوَةِ ٱلْمَظْلُومِ ـ . ٱنْتَهَى .

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلْأَبْيَاتِ زِيَادَةً حَسْبَمَا

(١) تقدم شرح هاتين القطعتين ، وترجمة الوزير عبد الملك الجزيرى .

ذَكَرْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَحَلِّ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لِلْمَنْصُورِ وَهَذَا الْمُؤَرِّخُ مُصَرِّحٌ بِأَنَّهَا لِعَبْدِ الْمَلِكِ الْجَزِيرِيِّ ، وَقَدْ يُقَالُ: لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْمَنْصُورَ أَجَابَ بِالْأَبْيَاتِ، وَهَلْ هُوَ قَائِلُهَا أَمْ لَا ؟ الْأَمْرُ أَعَمُّ(١) ، فَبَيِّنْ هُنَا . وَاللهُ أَعْلَمُ .

« وَقَالَ بَعْضُ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ » إِنَّ الْحَاجِبَ الْمُصْحَفِيَّ حَصَلَ لَهُ فِي هٰذِهِ النَّكْبَةِ مِنَ الْهَلَعِ(٢) وَالْجَزَعِ مَا لَمْ يُظَنَّ أَنَّهُ يَصْدُرُ مِنْ مِثْلِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَتَبَ إِلَى الْمَنْصُورِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَقْعُدَ فِي دِهْلِيزِهِ مُعَلِّمًا لِأَوْلَادِهِ فَقَالَ الْمَنْصُورُ :ـ بِدَهَائِهِ وَحِذْقِهِ ـ إِنَّ هٰذَا الرَّجُلَ يُرِيدُ أَنْ يَحُطَّ مِنْ قَدْرِي عِنْدَ النَّاسِ ، لِأَنَّهُمْ طَالَمَا رَأَوْنِي بِدِهْلِيزِهِ خَادِمًا وَمُسَلِّمًا(٣) ، فَكَيْفَ يَرَوْنَهُ الْآنَ فِي دِهْلِيزِي مُعَلِّمًا ؟ وَكَانَ الْمَنْصُورُ يَذْهَبُ بِهِ بَعْدَ نَكْبَتِهِ مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ ،

---

(١) فى بعض النسخ « أعمى » أى مبهم غير مبين (٢) الهلع : الجزع وقلة الصبر ، أوهو أفحش الجزع وأسوأه، والهلوع هو من يجزع ويفزع من النوازل ولايصبر على تحمل المصائب (٣) فى الأصل «ومعلما» وهو تكرار مع مابعده « أحمد يوسف نجاتى »

حَتَّى إِنَّهُ حَكَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَأَى الْحَاجِبَ الْمُصْحَفِيَّ فِي لَيْلَةٍ نَهَى الْمَنْصُورُ فِيهَا النَّاسَ عَنْ إِيقَادِ النِّيرَانِ تَعْمِيَةً عَلَى الْعَدُوِّ الْكَافِرِ وَهُوَ يَنْفُخُ فَحْمًا فِي كَانُونٍ صَغِيرٍ وَيُخْفِيهِ تَحْتَ ثِيَابِهِ، أَوْ كَمَا قَالَ. فَسُبْحَانَ مُدِيلِ[1] الدُّوَلِ! لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَإِنَّ هٰذَا الْمُصْحَفِيَّ بَلَغَ مِنَ الْجَلَالَةِ وَالْعِظَمِ وَالتَّحَكُّمِ فِي الدَّوْلَةِ الْمُدَّةَ الْمَدِيدَةَ أَمْرًا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. وَاللّٰهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ.

« وَلَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَغَارِبَةِ » أَنَّ مِنْ أَعَاجِيبِ انْقِلَابِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا قِصَّةَ الْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ مَعَ الْحَاجِبِ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُصْحَفِيِّ. وَلَمْ يَزَلْ أَعْدَاءُ الْمَنْصُورِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ يَتَرَبَّصُونَ بِهِ الدَّوَائِرَ[2]، فَغَلَبَ سَعْدُهُ الَّذِي

(١) أدال الله الدولة: نقلها، وجعلها في غير من كانت له، وفي بعض النسخ « مزيل » (٢) الدائرة: السوء والشر والهزيمة، وفي القرآن الكريم: « ويتربص بكم الدوائر، عليهم دائرة السوء »، وقوله تعالى: « يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة »، ويقال: الدوائر تدور، والدوائل تدول — وتربص الشيء: انتظره وترقبه « أحمد يوسف نجاتي »

هُوَ اَلْمَثَلُ اَلسَّائِرُ ، وَرُبَّمَا هَمَسَ بَعْضُ اَلشُّعَرَاءِ بِهَجْوِهِ وَهَجْوِ اَلدَّوْلَةِ جَمِيعًا إِذْ قَالَ :

اُقْتَرَبَ اَلْوَعْدُ وَحَانَ اَلْهَلَاكْ
وَكُلُّ مَا تَحْذَرُهُ قَدْ أَتَاكْ(١)

خَلِيفَةٌ يَلْعَبُ فِي مَكْتَبِ
وَأُمُّهُ حُبْلَى ، وَقَاضٍ يُنَاكْ

يَعْنِي بِالْخَلِيفَةِ هِشَامًا اَلْمُؤَيَّدَ لِكَوْنِهِ كَانَ صَغِيرًا ، وَأُمُّهُ صُبْحُ اَلْبَشْكَنْسِيَّةُ(٢) كَانَ اَلْأَعْدَاءُ يَتَّهِمُونَ بِهَا اَلْمَنْصُورَ ، وَذَلِكَ بُهْتَانٌ وَزُورٌ ، وَأَفْظَعُ مِنْهُمْ رَمْيُهُمُ اَلْقَاضِيَ بِالْفُجُورِ ، وَاَللَّهُ عَالِمٌ بِسَرَائِرِ الْأُمُورِ ، وَنَعُوذُ بِاَللَّهِ مِنْ أَلْسِنَةِ اَلشُّعَرَاءِ اَلَّذِينَ لَا يُرَاعُونَ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً(٣) ، وَيُطْلِقُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فِي اَلْعُلَمَاءِ وَالْأَئِمَّةِ :

---

(١) من قوله تعالى : « واقترب الوعد الحق » وفى الأصل « اقترب الوقت » (٢) سبق القول فى « البشكنس » وفى السيدة صبح — وفى الأصل « البشتكية » مصحفا محرفا « أحمد يوسف نجاتى » :

(٣) الال: العهد والحلف والقرابة ، ومنه قوله تعالى : « لايرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة » ، والال: كل ماله ذمة وحق وحرمة كالقرابة والرحم والجوار والعهد ، وهو من ألَلت اذا اجتهدت فى الشىء وحافظت عليه ولم تضيعه

وَأَظْلَمُ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ مَنْ كَانَ حَاسِدًا
لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ(١)

جَدِيرٌ بِأَلَّا يُدْرِكَ مَا يُؤَمِّلُ وَيَتَطَلَّبُ ، لِأَنَّهُ يَعْتَرِضُ عَلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ فِي أَحْكَامِهِ ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ أَنْفُسِنَا وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ بِجَاهِ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ أَزْكَى صَلَوَاتِ ٱللهِ وَأَفْضَلُ سَلَامِهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ ٱلْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ كَانَ يَخْدُمُ أَوَّلًا جَعْفَرَ بْنَ عُثْمَانَ ٱلْمُصْحَفِيَّ مُدَبِّرَ مَمْلَكَةِ هِشَامٍ ٱلْمُؤَيَّدِ وَيُرِيهِ ٱلنَّصِيحَةَ ، وَأَنَّهُ مَازَالَ يَسْتَجْلِبُ ٱلْقُلُوبَ بِجُودِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ ، وَٱلْمُصْحَفِيُّ يُنَفِّرُهَا بِبُخْلِهِ وَسُوءِ خُلُقِهِ ، إِلَى

---

(١) هذا بيت للمتنبي من قصيدة فى مدح كافور أولها:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

ثم قال : وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا الخ، يقول ان أشد الظلم وأقبحه أن يحسد المرء كريما أنعم عليه، ومنعما يتقلب فى احسانه ، فهو يعيش رافلا فى حلل نعمه، ومع هذا يبيت حاسدا له ، ولن تخرج النفس الخبيثة من الدنيا حتى تسيء الى من أحسن اليها . هذاوفى بعض المراجع لم يأت بالبيت ، بل أخذ بعضه فقال : ومن كان حاسدا لمن بات فى نعمائه يتقلب جدير الخ ــ وما هنا يكون « جدير » خبرا لمبتدأ محذوف ، أى فهو جدير الخ أو والحاسد جدير ونحو ذلك . « أحمد يوسف نجاتى » .

أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى ٱلْحِجَابَةِ وَسَجَنَ ٱلْمُصْحَفِيَّ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ٱلْمُصْحَفِيُّ :

شيء من شعر المصحفي

غَرَسْتُ قَضِيبًا خِلْتُهُ عُودَ كَرْمَةٍ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ فِي ٱلْحَوَادِثِ قَيِّمَا
أُكَرِّمُهُ دَهْرِي فَيَزْدَادُ خُبْثُهُ
وَلَوْ كَانَ مِنْ أَصْلٍ كَرِيمٍ تَكَرَّمَا

وَلَمَّا يَئِسَ ٱلْمُصْحَفِيُّ مِنْ عَفْوِ ٱلْمَنْصُورِ قَالَ :

لِي مُدَّةٌ لَا بُدَّ أَبْلُغُهَا
فَإِذَا ٱنْقَضَتْ أَيَّامُهَا مُتُّ
لَوْ قَابَلَتْنِي ٱلْأُسْدُ ضَارِيَةً(١)
وَٱلْمَوْتُ لَمْ يَقْرُبْ لَمَا خِفْتُ
فَٱنْظُرْ إِلَيَّ وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ
فِي مِثْلِ حَالِكَ أَمْسِ قَدْ كُنْتُ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا نَعَى بِهِ نَفْسَهُ قَوْلُهُ ـ حَسْبَمَا تَقَدَّمَ :

---

(١) أي متعودة الصيد والافتراس ، وكلب ضار بالصيد اذا تطعم بلحمه

صَبَرْتُ عَلَى ٱلْأَيَّامِ حَتَّى تَوَلَّتِ
وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فَٱسْتَمَرَّتِ
فَوَاعَجَبًا لِلْقَلْبِ ! كَيْفَ ٱعْتِرَافُهُ
وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ ٱلْعِزِّ كَيْفَ ٱسْتَذَلَّتِ ؟
وَمَا ٱلنَّفْسُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُهَا ٱلْفَتَى
فَإِنْ طَمِعَتْ تَاقَتْ ، وَإِلَّا تَسَلَّتِ
وَكَانَتْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً
فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى ٱلذُّلِّ ذَلَّتِ
فَقُلْتُ لَهَا : يَانَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً
فَقَدْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّتِ

وَأَنْشَدَ لَهُ ٱلْفَتْحُ فِي ٱلْمَطْمَحِ ـ وَنَسَبَهُمَا غَيْرُهُ لِأَحْمَدَ بْنِ ٱلْفَرَجِ صَاحِبِ ٱلْحَدَائِقِ[1] :

كَلَّمَتْنِي فَقُلْتُ : دُرٌّ سَقِيطٌ
فَتَأَمَّلْتُ عِقْدَهَا هَلْ تَنَاثَرْ[2] ؟ .

---

(١) تقدم شرح الأبيات الماضية، كما سبق ترجمة أحمد بن الفرج. .

(٢) تشبيه قد أحسن التصرف فيه، ونقل تشبيه الحديث والثغر بالدر من

فَازْدَهَاهَا تَبَسُّمٌ ، فَأَرَتْنِي
نَظْمَ دُرٍّ مِنَ التَّبَسُّمِ آخَرْ

وَلَهُ كَمَا مَرَّ (١) :

صَفْرَاءُ تُطْرِقُ فِي الزُّجَاجِ ، فَإِنْ سَرَتْ
فِي الْجِسْمِ دَبَّتْ مِثْلَ صِلٍّ لَادِغِ
خَفِيَتْ عَلَى شُرَّابِهَا فَكَأَنَّمَا
يَجِدُونَ رَيًّا مِنْ إِنَاءٍ فَارِغِ

الابتذال لشهرته الى الغرابة بهذا الخيال البديع والتصرف الحسن . وهو من قول البحترى :

ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائى الدرحسنا ولافطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

والمصحفى قد زاد أن ربط التبسم الذى أظهر ثغرها بالحديث الذى كلمته به اذ جعل تبسمها ناشئا عن اعجابها بسروره من حديثها واعجابه به حتى التبس عليه دره بدرعقدها ، فجعل الدرين منتظمين فى عقد ملتئمين فى نسق ، والبحترى قد أحسن الصياغة أيضا وان سلك طريقا آخر بديعا. والبيت الأول مثل قول حمدونة الأندلسية فى وصف حصباء روض

تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ومن اللطيف فى ذلك قول الآخر :

وتحيرت أحسب الثغر عقدا لسليمى وأحسب العقد ثغرا
فلثمت الجميع قطعا لشكى وكذا فعل كل من يتحرى

وازدهاها ، وزهاها ، أى استخفها وحملها على الزهو أى الاعجاب والتيه .
« أحمد يوسف نجاتى » (١) سبق شرح البيتين

وَلَهُ :

يَاذَا الَّذِى أَوْدَعَنِي سِرَّهُ   لَا تَرْجُ أَنْ تَسْمَعَهُ مِنِّي
لَمْ أُجْرِهِ بَعْدَكَ فِي خَاطِرِى   كَأَنَّهُ مَا مَرَّ فِي أُذْنِي

وَأَنْشَدَ لَهُ صَاحِبُ بَدَائِعِ التَّشْبِيهَاتِ :

سَأَلْتُ نُجُومَ اللَّيْلِ هَلْ يَنْقَضِي الدُّجَى
فَخَطَّتْ جَوَابًا بِالثُّرَيَّا كَخَطِّ لَا ؟
وَكُنْتُ أَرَى أَنِّي بِآخِرِ لَيْلَتِي
فَأَطْرَقَ حَتَّى خِلْتُهُ عَادَ أَوَّلَا(١)
وَمَا عَنْ هَوًى سَامَرْتُهَا ، غَيْرَ أَنَّنِي
أَنَا فِسُهَا الْمَجْرَى إِلَى طُرُقِ الْعُلَا

انْتَهَى

(١) أطرق عليه الليل «والأكثر اطرق على وزن افتعل» اذا تراكم ظلامه وركب بعضه بعضا ، أو استعار أطرق الليل من أطرق الرجل اذا سكت وأغضى وأقبل ببصره الى صدره ساكنا لا يتحرك . وتطارق الظلام : تتابع . هذا ويصح أيضا « فأطبق » أى عم ظلامه وشمل الكون ، وأطبقت نجومه أى كثرت غير متحركة ، ويقال بات يرعى طبق النجوم أى يرعاها ويرقب حالها فى مسيرها . هذا وقد أحسن المصحفى فى تشبيه الثريا ، وفى حسن تعليله لسهره فى البيت الثالث. « أحمد يوسف نجاتى »

***

المصحف العثماني بقرطبة

« رَجْعٌ » وَكَانَ - كَمَا تَقَدَّمَ - بِقُرْطُبَةَ ٱلْمُصْحَفُ ٱلْعُثْمَانِيُّ وَهُوَ مُتَدَاوَلٌ بَيْنَ(١) أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، قَالُوا ثُمَّ آلَ أَمْرُهُ إِلَى ٱلْمُوَحِّدِينَ ، ثُمَّ إِلَى بَنِي مَرِينَ . قَالَ ٱلْخَطِيبُ ٱبْنُ مَرْزُوقٍ(٢) فِي كِتَابِ ٱلْمُسْنَدِ ٱلصَّحِيحِ ٱلْحَسَنِ مَا مُلَخَّصُهُ : وَكَانَ ٱلسُّلْطَانُ أَبُو ٱلْحَسَنِ لَا يُسَافِرُ مَوْضِعًا إِلَّا وَمَعَهُ ٱلْمُصْحَفُ ٱلْكَرِيمُ ٱلْعُثْمَانِيُّ ، وَلَهُ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَمَقَامٌ كَبِيرٌ ، وَكَيْفَ لَا ؟ قَالَ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ : أُخْرِجَ هٰذَا(٣) ٱلْمُصْحَفُ ٱلْعُثْمَانِيُّ مِنْهَا - أَيْ قُرْطُبَةَ - وَغُرِّبَ عَنْهَا ، وَكَانَ بِجَامِعِهَا ٱلْأَعْظَمِ - لَيْلَةَ ٱلسَّبْتِ ٱلْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ

---

(١) فى بعض النسخ « متواتر عند » بدل « متداول بين »

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسى ، كان خطيبا مشهورا ، واستوزره السلطان أبو سالم المرينى المتوفى سنة ٧٦٢ وألقى اليه زمام دولته . « أحمد يوسف نجاتى » . (٣) فى الأصل «ويقال ان ابن بشكوال أخرج هذا المصحف» الخ وهو تحريف وزيادة مفسدة وظلم لابن بشكوال المؤرخ الذى قص علينا حديث اخراج المصحف من قرطبة فى حياته ، وانما نقله عبد المؤمن بن على . وتقدمت ترجمة خلف ابن عبد الملك بن بشكوال ، وكان مولده سنة ٤٩٤ وتوفى سنة ٥٧٨ . وهو ثقة فى أخبار الأندلس ومعرفة رجالها ، واسع الرواية عظيم الدراية ولاسيما فيما يتعلق بمدينة قرطبة . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، فِي أَيَّامِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ وَبِأَمْرِهِ، وَهَـٰذَا أَحَدُ الْمَصَاحِفِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي بَعَثَ بِهَا عُثْمَانُ ـ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ إِلَى الْأَمْصَارِ: مَكَّةَ، وَالْبَصْرَةِ، وَالْكُوفَةِ، وَالشَّامِ. وَمَا قِيلَ مِنْ أَنَّ فِيهِ دَمَ عُثْمَانَ بَعِيدٌ، وَإِنْ يَكُنْ أَحَدَهَا فَلَعَلَّهُ الشَّامِيُّ، قَالَ(١) ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ التُّجِيبِيُّ السَّبْتِيُّ: أَمَّا الشَّامِيُّ فَهُوَ بَاقٍ بِمَقْصُورَةِ جَامِعِ بَنِي أُمَيَّةَ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ، وَعَايَنْتُهُ هُنَاكَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، كَمَا عَايَنْتُ الْمَكِّيَّ بِقُبَّةِ الْيَهُودِيَّةِ وَهِيَ قُبَّةُ الشَّرَابِ(٢)

(١) وفى نسخة «قاله» (٢) وفى نسخة «قبة التراب» وقد نقل هذا النص صاحب كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى قال: «قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبي السبتي: أما الشامي فهو باق بمقصورة جامع بني أمية بدمشق، وعاينته هنالك سنة ٦٥٧ كما عاينت المكي بقبة الشراب، قال فلعله الكوفي أو البصري» قال الخطيب ابن مرزوق في كتاب السند الصحيح الحسن: اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من الأندلس فألفيت خطهما سواء .. الى قوله .. على كتب المصحف. اهـ» وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما سقف الجامع بعد أن فرغ من بنائه قد جعل باطن أسقفه مبطنا بالذهب، فقال له بعض أهله: أتعبت الناس بعدك في حليه كل سنة ويخشى أن يخرب سريعا، فأمر الوليد أن يسقف بالرصاص، وأن يجمع الرصاص الذي في البلاد جهد الطاقة ليجعله عوض الطين، فوصل اليه، وبقي موضع لم يجد له رصاصا، فكتب الى عماله يحرضهم

« قُلْتُ » عَايَنْتُهُمَا مَعَ ٱلَّذِي بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَقَرَأْتُ فِيهِمَا . قَالَ ٱلنَّخَعِيُّ : لَعَلَّهُ ٱلْكُوفِيُّ أَوِ ٱلْبَصْرِيُّ ، وَأَقُولُ : ٱخْتَبَرْتُ ٱلَّذِي بِالْمَدِينَةِ وَٱلَّذِي نُقِلَ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ فَأَلْفَيْتُ خَطَّهُمَا سَوَاءً ، وَمَا تَوَهَّمُوهُ مِنْ أَنَّهُ خَطَّهُ بِيَمِينِهِ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ، فَلَمْ يَخُطَّ عُثْمَانُ وَاحِدًا

على طلبه ، فكتب اليه بعضهم : انا وجدنا عند امرأة يهودية شيئا منه كثيرا قد ورثته ، وأبت أن تبيعه الا بوزنه فضة ، فأمر الوليد بشرائه بما قالت ، فلما رأت المرأة الاسرائيلية ذلك قالت : هو هدية مني للجامع فاني أحب أن يكون لي فيه شيء في حب الله تعالى ، فقد كنت أظن أن صاحبكم يظلم الناس في بنائه ويأخذ أموالهم ، ولكني رأيت منكم الوفاء وعلمت أن صاحبكم مخلص في بنائه صادق في حب الله تعالى . ويقال انه كتب على الرصاص الذي أهدته تلك الاسرائيلية المحسنة «لله» مطبوعا. هذا وفي سنة ٩٢٢ حدثت ملك الشام نفسه أن في القبة الغربية في صحن المسجد مالا ففتحها فلم يجد غير أوراق مكتوبة بالخط الكوفي من القرآن الكريم وهي نسخ جزيلة، فأخذ الناس بعض ذلك وأعادوا الباقي . وكان لا يزال الى أوائل هذا القرن الهجري بعض قطع من المصاحف الشريفة بتلك القبة التي في صحن الجامع بالقلم الكوفي ، ولكنها مالبثت أن حملت الى الآستانة كلها ولم يبق منها شيء ، وفي سنة ١٣١١ احترق المسجد ولم يبق فيه شيء من الآثار ، وفي أواخر عهد السلطان عبد الحميد رحمه الله اقترحت الحكومة الألمانية على الحكومة التركية بمشورة بعض المستشرقين الألمان أن تفتح القبة التي في الشمال الغربي من صحن المسجد ، فوجد فيها بعض الصكوك والمصاحف الشريفة وبعض المخطوطات القديمة . « أحمد يوسف نجاتي »

مِنْهَا، وَإِنَّمَا جَمَعَ عَلَيْهَا بَعْضًا مِنْ ٱلصَّحَابَةِ ـ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَى ظَهْرِ ٱلْمَدَنِيِّ، وَنَصُّ مَا عَلَى ظَهْرِهِ : هَذَا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَعَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ ٱلزُّبَيْرِ ، وَسَعِيدُ بْنُ ٱلْعَاصِي . وَذَكَرَ ٱلْعَدَدَ ٱلَّذِي جَمَعَهُ عُثْمَانُ ـ رَضِيَ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ مِنَ ٱلصَّحَابَةِ ـ رَضِيَ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُمْ ـ عَلَى كَتْبِ ٱلْمُصْحَفِ. ٱنْتَهَى . وَٱعْتَنَى بِهِ عَبْدُ ٱلْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ ، وَلَمْ يَزَلِ ٱلْمُوَحِّدُونَ يَحْمِلُونَهُ فِي أَسْفَارِهِمْ مُتَبَرِّكِينَ بِهِ إِلَى أَنْ حَمَلَهُ ٱلْمُعْتَضِدُ (١) وَهُوَ ٱلسَّعِيدُ عَلِيُّ بْنُ ٱلْمَأْمُونِ أَبِي ٱلْعَلَاءِ

---

(١) اليك خلاصة تاريخ الخلفاء من الموحدين وأخبار تنقل المصحف الشريف. لما توفى المهدى سنة ٥٢٤ قام بالأمر بعده عبد المؤمن بن على الكومى « من كومية : قبيلة بربرية هم بنو عم زناتة » وتسمى سنة ٥٢٨ بأمير المؤمنين ، وتوفى سنة ٥٥٨ فتولى الأمر بعده ابنه أبو يعقوب يوسف ابن عبد المؤمن ، وتوفى سنة ٥٨٠ فبويع ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن ، وتوفى سنة ٥٩٥ فبويع لولده أبى عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله ، وتوفى سنة ٦١٠ فبويع ابنه أبو يعقوب يوسف المنتصر بالله ، وتوفى سنة ٦٢٠ فبويع للسيد أبى محمد عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المؤمن ، ولكنه خلع وتوفى سنة ٦٢١ وبويع لأبى محمد عبد الله العادل بن المنصور يعقوب . وتوفى سنة ٦٢٤ فبويع لأبى العلاء ادريس المأمون بن يعقوب المنصور ، وتوفى سنة ٦٢٩ فبويع ابنه

الرشيدعبدالواحد ، وتوفى سنة ٦٤٠ فبويع أخوه لأبيه أبو الحسن على السعيد بن المأمون بن المنصور « وهو هذا الملقب بالمعتضد بالله » وكان يغمراسن بن زيان الزناتى قد اقتطع المغرب الأوسط وأقام به الدعوة الحفصية فأراد السعيد أن يخلصه منه، فسار اليه بجيوشه ونهض من مراكش آخر سنة ٦٤٥ وقصد أولا يريد مكناسة لحرب بنى مرين وكانوا قد تغلبوا على ضواحى المغرب ، فلما انتهى من أمرهم عسكر بظاهر فاس، ثم ارتحل عنها فى المحرم سنة ٦٤٦ يريد تلمسان، و بينما كان محاصرا لها وقد ضيق الخناق عليها ركب مهجرا فى وقت القيلولة على حين غفلة من الناس ليطوف بالقلعة ويستقرى مكانها، فبصر به فارس من بنى عبدالواد يعرف بيوسف الشيطان كان بأسفل الجبل « الذى اعتمده السعيد بعسا كره » منيخا فى ساحة القلعة بقصد الحراسة ، واتفق أن يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب ابن جابر كانا قريبين منه، فعرفوا السعيد فانقضوا عليه من بعض الشعاب أمثال العقبان ، وطعنه يوسف الشيطان فكبه عن فرسه، ثم استلحموا مواليه و بعض أولاده، وذلك فى أواخر شهر صفر سنة ٦٤٦ وقضى السعيد نحبه من جراحه، وانتهب المعسكر ومافيه، واستولى بنوعبدالوادعلى ما كان فيه من الأسلاب والغنائم والأثاث الثمين، واختص يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خاصة دون قومه ، واستولى على الذخيرة التى كانت فيه ومنها هذا المصحف الشريف الذى يقال انه أحد المصاحف التى نسخت فى عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه، وانه كان فى خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ، ثم صار فى ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالأندلس ، ثم صار الى ذخائر الموحدين من يد لمتونة ، فانتقل فى هذه الحادثة الى زيان و بنى عبدالوادملوك تلمسان، ثم صار الى بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان ، وذلك عند غلب السلطان أبى الحسن المرينى على تلمسان سنة ٧٣٧ فحصل المصحف الشريف عنده ، فكان يتبرك به و يحمله فى أسفاره على العادة، الى أن أصيب فى وقعة طريف الى آخر ماهنا . وفى سنة ٧٥٠ ركب السلطان أبو الحسن البحر من تونس قافلا

الى المغرب بعد استيلائه على افريقية — وكان ذلك فى ابان ثورة البحر وهياجه—فغرقت مراكبه وهلكت نفوس كثيرة، وفقدت نفائس يعز وجود مثلها ، ومن ضمنها هذا المصحف الكريم ، فاستأثر البحر به، وكان ذلك آخر عهد المغرب ببركته. ولما توفى أبو الحسن السعيد عقد الموحدون البيعة لأبى حفص عمر بن السيد أبى ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن ولقب بالمرتضى، واستوزر أخاه السيد أبا اسحق الذى كان وزيرا لأبيهما السعيد من قبل وأسند اليه أمره ، وفى أيام المرتضى هذا استولى أبو بكر بن عبدالحق أمير بنى مرين على أكثر بلاد المغرب، واستفحل أمر بنى مرين وقويت شوكتهم ، ثم كانت خطوب لحقت المرتضى حتى قتل سنة ٦٦٥ . فبويع لابن عمه أبى العلاء ادريس« الملقب بالواثق والمكنى بأبى دبوس » ابن السيد أبى عبد الله محمد بن السيد أبى حفص عمر بن عبد المؤمن، و بعد حروب وحوادث قتل أبو دبوس فى آخر سنة ٦٦٧ واستولى بنو مرين على مراكش، وفر الموحدون الذين كانوا بها الى جبل تينملل فبايعوا اسحق بن أبى ابراهيم أخا المرتضى، فبقى الى سنة ٦٧٤ فاستولى على الأمر يعقوب بن عبدالحق المرينى، وانقرضت دولة بنى عبد المؤمن، وذهبت محاسن مراكش يومئذ بذهاب دولتهم ، والملك لله يؤتيه من يشاء . وكان السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق سيد بنى مرين، ودامت أيامه حتى توفى سنة ٦٨٤ وقام بالأمر بعده السلطان الناصر لدين الله ابنه يوسف ، وتوفى سنة ٧٠٦ فقام بالأمر بعده السلطان أبو ثابت عامر بن عبدالله بن يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق، وتوفى سنة ٧٠٨ فتولى بعده السلطان أبو الربيع سليمان بن أبى عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، وتوفى سنة ٧١٠ فقام بالأمر بعده السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، وتوفى سنة ٧٣١ فقام بالأمر بعده السلطان المنصور بالله أبو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، وهو أرقى ملوك بنى مرين وأعزهم سلطانا وأضخمهم ملكا وأعظمهم أبهة، وأكثرهم آثارا بالمغربين والأندلس وكان الفرنج قد استردوا بعض بلاد الأندلس وثغورها فاستعادها السلطان

إِدْرِيسَ بْنِ يَعْقُوبَ ٱلْمَنْصُورِ حِينَ تَوَجَّهَ لِتِلِمْسَانَ آخِرَ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَقُتِلَ قَرِيباً مِنْ تِلِمْسَانَ « وَقُدِّمَ ٱبْنُهُ إِبْرَاهِيمُ ثُمَّ قُتِلَ » وَوَقَعَ ٱلنَّهْبُ فِي ٱلْخَزَائِنِ وَٱسْتَوْلَتِ ٱلْعَرَبُ وَغَيْرُهُمْ عَلَى مُعْظَمِ ٱلْعَسْكَرِ ، وَنُهِبَ ٱلْمُصْحَفُ وَلَمْ يُعْلَمْ مُسْتَقَرُّهُ ، وَقِيلَ إِنَّهُ فِي خِزَانَةِ مُلُوكِ تِلِمْسَانَ . قُلْتُ لَمْ يَزَلْ هَذَا ٱلْمُصْحَفُ فِي خِزَانَةِ بَنِي عَبْدِ ٱلْوَادِ مُلُوكِ تِلِمْسَانَ إِلَى أَنِ ٱفْتَتَحَهَا إِمَامُنَا أَبُو ٱلْحَسَنِ أَوَاخِرَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، فَظَفِرَ بِهِ وَحَصَلَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أُصِيبَ فِي وَقْعَةِ طَرِيفٍ ، وَحَصَلَ فِي بِلَادِ بُرْتُقَالَ ، وَأَعْمَلَ أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلْحِيلَةَ فِي ٱسْتِخْلَاصِهِ

أبو الحسن، وقد تقدم بيان ذلك وأنهم استولوا على جبل الفتح « جبل طارق » سنة ٧٠٩ فاسترد سنة ٧٣٣ وتقدمت وقعة طريف التى محص الله فيها المسلمين، وفيها قتل الأمير أبو مالك أمير الثغور الأندلسية ابن السلطان أبى الحسن سنة ٧٤٠ واحتوى الأعداء على معسكره بمافيه من أموال وذخائر، وكانت ملوك الفرنج قد احتشدوا وظاهرهم صاحب البرتقال وغرب الأندلس، وأتوا أعمالا تبرأ منها الشهامة وتأنف منها المدنية من قتل نساء المسلمين وأطفالهم ، وتوفى السلطان أبو الحسن سنة ٧٥٢ وفى دولته ألف الخطيب ابن مرزوق كتابه المسمى « المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن » « أحمد يوسف نجاتى » .

حَتَّى وَصَلَ إِلَى فَاسَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ عَلَى يَدِ أَحَدِ تُجَّارِ آزْمُّورَ(١) وَاسْتَمَرَّ بَقَاؤُهُ فِي خِزَانَتِهِ إِلَى أَنِ اسْتَوْلَى عَلَى إِفْرِيقِيَّةَ . انْتَهَى بِاخْتِصَارٍ . وَاعْتَنَى بِهِ مُلُوكُ الْمُوَحِّدِينَ غَايَةَ الِاعْتِنَاءِ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ رُشَيْدٍ فِي رِحْلَتِهِ ، وَلَا بَأْسَ أَنْ أَذْكُرَ كَلَامَهُ بِجُمْلَتِهِ وَالرِّسَالَةَ فِي شَأْنِ الْمُصْحَفِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْفَائِدَةِ . وَنَصُّ مَحَلِّ الْحَاجَةِ مِنْهُ : أَنْشَدَنِي الْخَطِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ(٢) بْنُ بُرْطُلَةَ مِنْ لَفْظِهِ ، وَكَتَبْتُهُ مِنْ خَطِّهِ ، قَالَ أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ

(١) قال ياقوت : أزمورة « بثلاث ضمات متوالية وتشديد الميم » بلد بالمغرب فى جبال البربر ، اه قلت كذا ضبطها ياقوت ، ولكن المشهور الذى يؤخذ من قول الشعراء فيها أنها بعد الهمزة ، ومنها الشيخ القدوة أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجى الملقب بسارية الورع الزاهد المتوفى سنة ٥٦١ وفيه يقول صاحب كتاب الاستقصاء من قصيدة طويلة :

بدر عدا فى سماء المجد مكتملا … به علا ذكر آزمور فى الوطن

وأقول : وآزمور هذه هى التى التجأ اليها السلطان المرتضى بن السلطان أبى الحسن السعيد لما قوى عليه ابن عمه أبو دبوس ، ونزل فيها على صهر له من بنى عطوش كان واليا عليها من قبله وكان متزوجا بابنة المرتضى ، وبناحية آزمور قتل المرتضى سنة ٦٦٥ وكان بها كثير من قبائل صنهاجة « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن موسى بن سليمان بن على بن عبد الملك

عَبْدُ اَلرَّحْمٰنِ بْنُ كَاتِبِ اَلْخِلَافَةِ أَبِي عَبْـدِ اَللّٰهِ بْنِ عَيَّاشٍ لِأَبِيهِ[١] ـ رَحِمَهُمُ اَللّٰهُ تَعَالَى ـ مِمَّا نَظَمَهُ وَقَدْ أَمَرَ أَمِيرُ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْمَنْصُورُ بِتَحْلِيَةِ اَلْمُصْحَفِ :

وَنَفَّلْتَهُ[٢] مِنْ كُلِّ مُلْكٍ ذَخِيرَةً
كَأَنَّهُمُ كَانُوا بِرَسْمِ مَكَاسِبِهْ

ابن يحيى بن عبد الملك بن الحسن بن محمد بن عميرة بن طريف الأزدى من أهل مرسية ولد سنة ٤٨١ وكان شيخا جليلا عالما صالحا ، ورحل الى المشرق سنة ٥١٠ فأدى الفريضة وأخذ عن كثير من العلماء ، وعاد الى مرسية بلده فولى الصلاة بمسجدها الجامع حتى توفى بها سنة ٥٦٣ وابنه أبو بكر عبدالرحمن كان ذا علم وصلاح، تولى قضاء مدينة دانية مدة، وولى الصلاة بجامع مرسية كأبيه، وكان حافظا للحديث راوية متقنا ذا حظ عظيم من الأدب وعلوم اللغة والفقه بليغا نبيلا ، ولد سنة ٥٤٧ وتوفى سنة ٥٩٩ بمدينة مرسية . « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو أبو عبـد الله محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش التجيبى من أهل برشانة من عمل المرية وسكن مراكش ، ولد سنة ٥٥٠ كان عالما فاضلا ذا عناية بالآداب رئيسا فى صناعة الكتابة خطيبا مصقعا بليغا مفوها شاعرا أديبا واستكتبه السلطان بالمغرب سنه ٥٨٦ فدل على كفاية، ونال دنيا عريضة وجاها عظيما ،وتوفى بمراكش سنة ٦١٨ . وابنه أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد كان فقيها فاضلا، ولى قضاء مرسية وغرناطة وغيرهما، وكان كأبيه خطيبا مصقعا ولسنا بليغا ، ولد سنة ٥٨١ وتوفى سنة ٦٣٦ بمدينة مالقة . «أحمد يوسف نجاتى» (٢) نفلته أى نفلك الله اياه ووهبه لك وآثرك به ويجوز أن يقرأ : وَنَفَّلْتَهُ مِنْ كُلِّ مُلْكٍ ذَخِيرَةٍ (باضافة ملك الى ذخيرة)

فَإِنْ وَرِثَ ٱلْأَمْلَاكُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَكَمْ قَدْ أَخَلُّوا جَاهِلِينَ بِوَاجِبِهْ
وَكَيْفَ يَفُوتُ ٱلنَّصْرُ جَيْشًا جَعَلْتَهُ
أَمَامَ قَنَاهُ فِي ٱلْوَغَى وَقَوَاضِبِهْ!؟
وَأَلْبَسْتَهُ ٱلْيَاقُوتَ وَٱلدُّرَّ حِلْيَةً
وَغَيْرُكَ قَدْ رَوَّاهُ مِنْ دَمِ صَاحِبِهْ(١)

***

كيف وصل المصحف الى دولة الموحدين

وَعَلَى ذِكْرِ هٰذَا ٱلْمُصْحَفِ ٱلْكَرِيمِ فَلْنَذْكُرْ كَيْفِيَّةَ ٱلْأَمْرِ فِي وُصُولِهِ إِلَى ٱلْخَلِيفَةِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ، وَمَا أَبْدَى فِي ذَلِكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْغَرِيبَةِ ٱلَّتِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا فِي سَالِفِ ٱلدَّهْرِ حَسْبَمَا أَطْرَفَنَا بِهِ ٱلْوَزِيرُ ٱلْأَجَلُّ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ طُفَيْلٍ ٱلْقَيْسِيُّ - حَفِظَهُ ٱللّٰهُ وَشَكَرَهُ - مِمَّا ٱسْتَفَادَهُ وَأَفَادَهُ لَنَا مِمَّا لَمْ نَسْمَعْ بِهِ قَبْلُ، عَنْ كِتَابِ جَدِّهِ ٱلْوَزِيرِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ طُفَيْلٍ ٱلْمَذْكُورِ، مِمَّا تَضَمَّنَهُ مِنْ وَصْفِ قِصَّةِ ٱلْمُصْحَفِ

(١) يشير الى يوم الدار وحادثة قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه وهو يقرأ فى المصحف الشريف. « أحمد يوسف نجاتى »

فَقَالَ : وَصَلَ إِلَيْهِمْ - أَدَامَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَأْيِيدَهُمْ - قَمَرَا ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلنَّيِّرَانِ ، وَأَمِيرَاهَا ٱلْمُتَخَيَّرَانِ ، ٱلسَّيِّدَانِ ٱلْأَجَلَّانِ ، أَبُو سَعِيدٍ وَأَبُو يَعْقُوبَ(١) - أَيَّدَهُمَا ٱللهُ - وَفِي صُحْبَتِهِمَا مُصْحَفُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ - رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنْهُ - وَهُوَ ٱلْإِمَامُ ٱلَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ مُخْتَلِفٌ ، وَمَا زَالَ يَنْقُلُهُ خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ ، وَقَدْ حُفِظَ شَخْصُهُ عَلَى كَثْرَةِ ٱلْمُتَنَاوِلِينَ ، وَذَخَرَهُ ٱللهُ لِخَلِيفَتِهِ ٱلْمَخْصُوصِ بِمَنْ سُخِّرَ لِخِدْمَتِهِ مِنَ ٱلْمُتَدَاوِلِينَ ، وَلَهُ مِنْ غَرَائِبِ ٱلْأَنْبَاءِ ، وَمُتَقَدَّمِ ٱلْإِشْعَارِ بِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنَ ٱلْإِيمَاءِ(٢) مَا مُلِئَتْ بِهِ ٱلطُّرُوسُ(٣) ، وَتَحَفَّظَهُ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلرَّائِسُ وَٱلْمَرْءُوسُ ، فَتُلُقِّيَ عِنْدَ وُصُولِهِ بِٱلْإِجْلَالِ وَٱلْإِعْظَامِ ، وَبُودِرَ إِلَيْهِ بِمَا يَجِبُ مِنَ ٱلتَّبْجِيلِ وَٱلْإِكْرَامِ ، وَعُكِفَ عَلَيْهِ أَطْوَلَ ٱلْعُكُوفِ وَٱلْتُزِمَ أَشَدَّ ٱلِٱلْتِزَامِ ، وَكَانَ فِي وُصُولِهِ ذَلِكَ ٱلْوَقْتَ مِنْ عَظِيمِ ٱلْعِنَايَةِ وَبَاهِرِ ٱلْكَرَامَةِ مَا هُوَ مُعْتَبَرٌ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ

(١) هما ولدا السلطان أمير المسلمين عبد المؤمن بن على (٢) فى الأصل « الأثمار » (٣) الطروس : جمع طرس وهو كل ما يكتب فيه

وَبَلَاغٌ فِى الْإِغْرَابِ وَالْإِعْجَابِ ، وَذَلِكَ أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ[١] - أَدَامَ اللهُ لَهُ عَوائِدَ النَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ - كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ قَدْ جَرَى ذِكْرُهُ فِى خَاطِرِهِ الْكَرِيمِ ، وَحَرَّكَتْهُ إِلَيْهِ دَوَاعِى خُلُقِهِ الْعَظِيمِ وَتَرَاءَى[٢] مَعَ نَفْسِهِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَسَجَايَاهُ الْحَسَنَةِ الرَّضِيَّةِ ، فِى مَعْنَى اجْتِلَابِهِ مِنْ مَدِينَةِ قُرْطُبَةَ مَحَلِّ مَثْوَاهُ الْقَدِيمِ ، وَوَطَنِهِ الْمُوَصَّلِ بِحُرْمَتِهِ لِلتَّقْدِيمِ ، فَتَوَقَّعَ أَنْ يَتَأَذَّى أَهْلُ ذَلِكَ الْقُطْرِ بِفِرَاقِهِ ، وَيَسْتَوْحِشُوا لِفِقْدَانِ إِضَاءَتِهِ فِى أُفُقِهِمْ وَإِشْرَاقِهِ ، فَتَوَقَّفَ عَنْ ذَلِكَ لِمَا جُبِلَ عَلَيْهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَإِشْفَاقِهِ ، فَأَوْصَلَهُ اللهُ إِلَيْهِ تُحْفَةً سَنِيَّةً ، وَهَدِيَّةً هَنِيَّةً ، وَتَحِيَّةً مِنْ عِنْدِهِ مُبَارَكَةً زَكِيَّةً ، دُونَ أَنْ يُكَدِّرَهَا مِنَ الْبَشَرِ اكْتِسَابٌ ، أَوْ يَتَقَدَّمَهَا اسْتِدْعَاءٌ أَوِ اجْتِلَابٌ ، بَلْ أَوْقَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى نُفُوسِ أَهْلِ ذَلِكَ الْقُطْرِ مِنَ الْفَرَحِ بِإِرْسَالِهِ إِلَى مُسْتَحِقِّهِ ، وَالتَّبَرُّعِ بِهِ إِلَى الْقَائِمِ

---

(١) هو عبد المؤمن بن على (٢) فى نسخة « وتروى » وخيرمنهما (وروى) أى فكر « أحمد يوسف نجاتى »

إِلَى ٱللهِ تَعَالَى بِحَقِّهِ ، مَا ٱطُّلِعَ بِالْمُشَاهَدَةِ وَٱلتَّوَاتُرِ عَلَى صِحَّتِهِ وَصِدْقِهِ ، وَعَضَدَتْ مَخَايِلَ بَرْقِهِ سَوَاكِبُ وَدْقِهِ(١) ، وَكَانَ ذٰلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا ٱلْخَلِيفَةِ مَعْدُودًا ، وَإِلَى أَمْرِهِ ٱلَّذِى هُوَ أَمْرُ ٱللهِ مَرْدُودًا ، وَٱجْتَمَعَ عِنْدَ ذٰلِكَ بِحَضْرَةِ مُرَّاكِشَ(٢) — حَرَسَهَا ٱللهُ تَعَالَى — سَائِرُ ٱلْأَبْنَاءِ ٱلْكِرَامِ ، وَٱلسَّادَةِ ٱلْأَعْلَامِ ، بُدُورِ ٱلْآفَاقِ ، وَكَوَاكِبِ ٱلْإِشْرَاقِ ، وَأَهْلِ ٱلِاسْتِئْهَالِ(٣) لِلْمَقَامَاتِ ٱلرَّفِيعَةِ وَٱلِاسْتِحْقَاقِ ، فَٱنْتَظَمَ عِنْدَ ذَلِكَ هٰذَا ٱلْقَصِيدُ مُشِيرًا إِلَى ٱجْتِمَاعِ هٰذِهِ ٱلدَّرَارِىِّ ٱلزَّاهِرَةِ ، وَٱلْتِئَامِ خُطُوطِهَا عَلَى مَرْكَزِ ٱلدَّائِرَةِ ، وَوُصُولِ

---

(١) مخايل الشيء علاماته وأماراته ، والودق المطر (٢) كذا ضبطها صاحب كشف الظنون وصاحب كتاب الاستقصاء ، وضبطها ياقوت فى معجمه مراكش بفتح الميم وضم الكاف (٣) استأهل الشيء : استحقه واستوجبه « وقد أنكر استعماله كثير من اللغويين » وقبله بعضهم ولكن نفى فصاحته ، وقالوا الاستئهال انما هو من الاهالة وهى الشحم ، يقال استأهل اهالته وأحسن اياالته ، ولكن صرح الأزهرى والزمخشرى وغيرهما من أئمة التحقيق بجودة هذه اللغة ، ونطق بها الأعراب ، وتلقاها عنهم الأدباء والشعراء ، ولأبى الهيثم خالد الكاتب يخاطب ابراهيم بن المهدى لما بويع له بالخلافة :

كن أنت للرحمة مستأهلا ان لم أكن منك بمستأهل
أليس من آفة هذا الهوى بكاء مقتول على قاتل

ٱلْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ ، ٱلْمَشْهُورِ فِي جَمِيعِ ٱلْمَعْمُورِ أَمْرُهُ ، وَهُوَ هٰذَا :

دَرَارِيُّ مِنْ نُورِ ٱلْهُدَى تَتَوَقَّدُ
مَطَالِعُهَا فَوْقَ ٱلْمَجَرَّةِ أَسْعُدُ(١)

وَأَنْهَارُ جُودٍ كُلَّمَا أَمْسَكَ ٱلْحَيَا
أَمَدَّ بِهَا طَامِي ٱلْغَوَارِبِ مُزْبِدُ(٢)

وَآسَادُ حَرْبٍ غَابُهَا شَجَرُ ٱلْقَنَا
وَلَا لِبَدٌ إِلَّا ٱلْعَجَاجُ ٱلْمُلَبَّدُ(٣)

مَسَاعِيرُ فِي ٱلْهَيْجَا ، مَسَارِيعُ لِلنَّدَى
بِأَيْدِيهِمُ يُحْمَى ٱلْهَجِيرُ وَيَبْرُدُ(٤)

---

(١) الكوكب الدرى هو الثاقب المضىء، منسوب الى الدر لصفائه وحسنه وبهائه وبياضه وشدة إنارته — وسعود النجوم الكواكب التى يقال لكل منها سعد وهي عشرة (٢) طما الماء علا وارتفع ، والبحر الطامى: الغزير ، وغارب كل شىء أعلاه ، وغوارب الماء أعالى موجه ، يقال بحر ذو غوارب ، شبه بغوارب الابل ، وأزبد البحر : ثار زبده وهاج موجه (٣) لبدة الأسد: الشعر المتدلى مترا كبا بين كتفيه وعجاج ملبد أى متكاثف مجتمع بعضه الى بعض (٤) يقال فلان مسعر حرب اذا أرثها وأوقد نارها أى تحمى به الحرب وتشعل، والهيجاء الحرب — وفى الأصل «مساعير للندى» بدل «مساريع» وهو تحريف غير مناسب «أحمد يوسف نجاتى»

تُشَبُّ بِهِمْ نَارَانِ لِلْحَرْبِ وَالْقِرَى
وَيَجْرِي بِهِمْ سَيْلَانِ جَيْشٌ وَعَسْجَدُ
وَيَسْتَمْطِرُونَ الْبَرْقَ، وَالْبَرْقُ عِنْدَهُمْ
سُيُوفٌ عَلَى أُفْقِ الْعُدَاةِ تُجَرَّدُ
إِذَا مَنَّ سِجْفَ السَّارِيَاتِ مَضَاؤُهَا
فَمَاذَا الَّذِي يُغْنِي الْحَدِيدُ الْمُسَرَّدُ(١)
وَيَسْتَرْشِدُونَ النَّجْمَ، وَالنَّجْمُ عِنْدَهُمْ
نُصُولٌ إِلَى حَبِّ الْقُلُوبِ تُسَدَّدُ

(١) فى هذا البيت تصحيف فى بعض كلماته فى كثير من نسخ الأصل ففى بعضها «عن» وفى بعضها «من» وكذلك « الساريات » و « السائرات » ومن الشيء قطعه، والسجف: الستر. والسارية القوم يسرون ليلا كالسرية ، وكأنه يقول اذا هتكت هذه السيوف حجب هذه الجيوش ومزقت جموعها السارية لم ينفعها ماتدرىء به من الدروع، ويجوز أن يريد بالساريات السحب فيكون المعنى قريبا من بيت بشار :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية
هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

أى اذا مزقت ستار الغيوم بيريقها ، أو هتكت حجب الظلام باشراقها فكشفت عن السرايا لم يغنها دروعها التى أحكمت نسجها وقدرت سردها — ولعل هذا المعنى الأخير أقرب للمراد ، وللقارىء الكريم أن يفهم منه بذكائه مايشاء . « أحمد يوسف نجاتى »

تَزَاحَمُ فِي جَوِّ ٱلسَّمَاءِ كَأَنَّمَا
عَوَامِلُهَا فِي ٱلْأُفْقِ صَرْحٌ مُمَرَّدُ (١)

تَخَازَرُ (٢) أَلْحَاظُ ٱلْكَوَاكِبِ دُونَهَا
وَيَفْرَقُ مِنْهَا ٱلْمِرْزَمَانِ وَفَرْقَدُ

أَلَمْ تَرَهَا فِي ٱلْأُفْقِ خَافِقَةَ ٱلْحَشَا
كَمَا تَطْرِفُ ٱلْعَيْنَانِ، وَٱلْقَلْبُ يُزْأَدُ (٣)

وَلَيْسَ ٱحْمِرَارُ ٱلْفَجْرِ مِنْ أَثَرِ ٱلسَّنَى
وَلَـٰكِنَّهُ ذَاكَ ٱلنَّجِيعُ ٱلْمُوَرَّدُ (٤)

وَمَا ٱنْبَسَطَتْ كَفُّ ٱلثُّرَيَّا فَدَافَعَتْ
وَلَـٰكِنَّهَا فِي ٱلْحَرْبِ شِلْوٌ (٥) مُقَدَّدُ

---

(١) عامل الرمح وعاملته صدره دون السنان ، وجمعه عوامل ، وقد يسمى السنان عاملا ، ونصل الرمح حديدته ـ والصرح : القصر أو كل بناء عال. ومرد البناء :سواه وعظمه وجعله أملس ناعما (٢) تخازر اذا نظر بمؤخر عينيه ، أو ضيق جفنه ليحدد النظر ، وفرق « كفرح » خاف ، والمرزمان نجمان مع الشعريين أحدهما فى الشعرى والآخر فى الذراع، وهما من نجوم المطر ،والفرقد النجم الذى يهتدون به، وهما فرقدان نجمان فى السماء لايغربان، وقد جاء الفرقد فى الشعر مثنى وموحدا ومجموعا (٣) زأده « كمنع » اذا أفزعه وذعره (٤) النجيع الدم ، والمورد الأحمر (٥) الشلو : العضو، أو جسد الانسان بعد بلاه وتفرق أجزائه ، وقدد

وَحَطَّ سُهَيْلاً ذُعْرُهُ عَنْ سُمُيِّهِ
فَأَضْحَى عَلَى أُفْقِ الْبَسِيطَةِ يُرْعَدُ(١)

وَلَمَّا رَأَى نَسْرٌ وُقُوعَ أَلِيفِهِ
تَطَايَرَ مِنْ خَوْفٍ فَمَا زَالَ يَجْهَدُ(٢)

مَوَاقِعُ أَمْرِ اللهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ
يَكَادُ لَهَا رَأْسُ الثَّرَى يَتَمَيَّدُ(٣)

أَهَابَ بِأَقْصَى الْخَافِقَيْنِ فَنُظِّمَتْ
وَهَيَّبَ جَمْعَ الْمُخْفِقِينَ فَبُدِّدُوا(٤)

وَأَضْفَى عَلَى الدُّنْيَا مَلَابِسَ رَحْمَةٍ
نَضَارَتُهَا فِي كُلِّ حِينٍ تَجَدَّدُ(٥)

الشيء أو بدده: فرقه وقطعه (١) لعلها: وحط سهيلا ذعره عن «سموه» أى رفعته، وأرعده فارتعد أى اضطرب، وأرعد اذا أخذته الرعدة وأرعدت فرائصه عند الفزع (٢) يشير بقوله «وقوع أليفه» الى النسر الواقع، وسبق القول فى النسرين الطائر والواقع (٣) الثرى الأرض وتميد تضطرب وتزلزل (٤) أهاب بهم: دعاهم، والخافقان المشرق والمغرب أو أفقاهما، وقد تكون «فنظما» أو جمع ضمير الخافقين باعتبار أجزائهما، وهيب أى خوف، والمخفق من أخفق الرجل اذا غزا فلم يغنم، ومن لم يدرك حاجته وخاب فى غرضه (٥) ثوب ضاف أى سابغ، وأضفاه أسبغه وأطاله «أحمد يوسف نجاتى»

وَأَخْضَلَ أَرْجَاءَ الرُّبَا فَكَأَنَّمَا
عَلَيْهَا مِنَ النَّبْتِ النَّضِيرِ زَبَرْجَدُ(١)
فَمِنْ طَرَبٍ مَا أَصْبَحَ الْبَرْقُ بَاسِماً
وَمِنْ فَرَحٍ مَا أَضْحَتِ الْمُزْنُ تُرْعِدُ
وَغَنَّى عَلَى أَفْنَانِ كُلِّ أَرَاكَةٍ
غَذَاهَا حَيَا النُّعْمَى حَمَامٌ مُغَرِّدُ
وَكَبَّرَ ذُو نُطْقٍ ، وَسَبَّحَ صَامِتٌ
وَكَادَ بِهِ الْمَعْدُومُ يُحْيَا وَيُوجَدُ

(١) أخضلها أى جعلها خضلة ندية ذات خصب ورى ونعمة وخضرة ناضرة ــ هذا وقد افتن الشاعر أولا وحلق فى سماء الخيال، واستعمل بديع حسن التعليل ولطيف التخييل فى صفات الكواكب وخواصها وأحوالها التى كانت تراها العرب عليها، فالتمس لكل منها علة ترجع الى هيبة الممدوح ورفعة قدره، بعد أن أثنى عليه وعلى بنيه بما رآهم أهلا له من البأس والكرم ، وجعل سيوفهم ورماحهم وأسنتهم بمنزلة ظواهر الطبيعة من برق ورعد ونجم، فهى تعمل عملها وتغنى غناءها ، لا بل انه فضلها عليها وجعل الكواكب تفزع منها على عادة الشعراء فى المبالغة والجرى وراء الخيال ، ثم بين بدائع صنع الله فى خلقه وأسرار حكمته فيها ، وكيف زان الطبيعة بما جعلها باسمة ضاحكة طربة تسبح بحمده وتثنى على آلائه ، ثم تخلص من ذلك الى عودته لمقام الممدوح وذكر فضائله، وبدأ بمؤسس دولة الموحدين الامام محمد المهدى بن تومرت الذى خلفه عبد المؤمن بن على ، فاسمع له بعد ذلك « أحمد يوسف نجاتى »

وَأَبْرَزَ لِلأَذْهَانِ مَا كَانَ غَائِباً
فَسِيَّانِ فِيهَا مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدُ

سَلاَمٌ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، أَمَّا قَضَاؤُهُ
فَحَتْمٌ ، وَأَمَّا أَمْرُهُ فَمُؤَكَّدُ

إِمَامُ الْوَرَى ، عَمَّ الْبَسِيطَةَ عَدْلُهُ
عَلَى حِينِ وَجْهُ الْأَرْضِ بِالْجَوْرِ أَرْبَدُ (١)

بَصِيرٌ رَأَى الدُّنْيَا بِعَيْنٍ جَلِيَّةٍ
فَلَمْ يُغْنِهِ إِلَّا الْمَقَامُ الْمُحَمَّدُ (٢)

وَلَمَّا مَضَى ـ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ
وَبُلِّغَ مَأْمُولٌ وَأُنْجِزَ مَوْعِدُ

تَرَدَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رِدَاءَهُ
وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالنَّاسُ هُجَّدُ (٣)

بِعَزْمَةِ شَيْحَانِ الْفُؤَادِ (٤) مُصَمِّمٍ
يَقُومُ بِهِ أَقْصَى الْوُجُودِ وَيَقْعُدُ

(١) الربدة: الغبرة (٢) يشير الى قوله تعالى « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » وفى الأصل « الممجد » بدل « المحمد » أى الذى يكثر الناس حمده والثناء عليه (٣) الهجود: النوم والراحة (٤) الشيحان الغيور الحذر

مَشِيئَتُهُ مَا شَاءَهُ ٱللّٰهُ ، إِنَّهُ
إِذَ هَمَّ فَٱلْحُكْمُ ٱلْإِلٰهِيُّ يُسْعِدُ
كَتَائِبُهُ مَشْفُوعَةٌ بِمَلَائِكٍ
تُرَادِفُهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَتُرْفِدُ (١)
وَمَا ذَاكَ إِلَّا نِيَّةٌ خَلَصَتْ لَهُ
فَلَيْسَ لَهُ فِيمَا سِوَى ٱللّٰهِ مَقْصِدُ
إِذَا خَطَبَتْ رَايَاتُهُ وَسْطَ مَحْفِلٍ
تَرَى قِمَمَ ٱلْأَعْدَاءِ فِي ٱلتُّرْبِ تَسْجُدُ
وَإِنْ نَطَقَتْ بِالْفَصْلِ فِيهِمْ سُيُوفُهُ
أَقَرَّ بِأَمْرِ ٱللّٰهِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
مُعِيدُ عُلُومِ ٱلدِّينِ بَعْدَ ٱرْتِفَاعِهَا
وَمُبْدِي عُلُومٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تُعْهَدُ
وَبَاسِطُ أَنْوَارِ ٱلْهِدَايَةِ فِي ٱلْوَرَى .
وَقَدْ ضَمَّ قُرْصَ ٱلشَّمْسِ فِي ٱلْغَرْبِ مَلْحَدُ (٢)

الجاد فى الأمور القوى النفس (١) ترادفها تتبعها : وترفدها، تعينها. وفى الأصل « تزاد بها » بدل « ترادفها » ولا بأس بها لو لا فوات الجناس مع ترفد « وهو مقصد للشاعر » ومعنى المرادفة الاتباع والملازمة (٢) الملحد القبر،

وَقَدْ كَانَ ضَوْءُ ٱلشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا
يُغَانُ بِأَكْنَانِ ٱلضَّلَالِ وَيُغْمَدُ (١)
فَمَا زَالَ يَجْلُو عَنْ مَطَالِعِهَا ٱلصَّدَا
وَيُبْرِزُهَا بَيْضَاءَ وَٱلْجَوُّ أَسْوَدُ
جَزَى ٱللهُ عَنْ هَذَا ٱلْأَنَامِ خَلِيفَةً
بِهِ شَرِبُوا مَاءَ ٱلْحَيَاةِ فَخُلِّدُوا
وَحَيَّاهُ مَا دَامَتْ مَحَاسِنُ ذِكْرِهِ
عَلَى مَدْرَجِ ٱلْأَيَّامِ تُتْلَى وَتُنْشَدُ (٢)
بِمُصْحَفِ عُثْمَانَ ٱلشَّهِيدِ وَجَمْعِهِ
تَبَيَّنَ أَنَّ ٱلْحَقَّ بِالْحَقِّ يعضد

جعل ما كان عليه الغرب من الضلال ظلاما حالكا حتى كأن الشمس فيه قد قبرت أو غربت فيه ثم لم تشرق ، فأخرجت هدايته الناس من الظلمات الى النور « والملحد العادل عن الحق المدخل فيه ماليس منه »

(١) الغين: الغيم، وأغان الغيم السماء اذا ألبسها وغطاها ، وغانت السماء اذا طبقها الغيم وحجبها السحاب ، والأكنان جمع كن وهو الستر ، هذا وقد كان عجز البيت بالأصل هكذا « يغار بأكناف » ولعل ما رأيناه أحسن وأظهر وأكثر ملاءمة للكلام « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) على مدرج الأيام أى مسيرها وانقضائها وانطوائها ــ ومنه الريح الدروج وهى السريعة المرور ، والمدرج: المسلك والمذهب والممر

تَحَامَتْهُ أَيْدِي ٱلرُّومِ بَعْدَ ٱنْتِسَافِهِ
وَقَدْ كَادَ لَوْلَا سَعْدُهُ يَتَبَدَّدُ
فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَمَرَّسَ صَارِخٌ
بِدَعْوَتِهِ ٱلْعُلْيَا فَصِينَ ٱلْمُبَدَّدُ (١)
وَجَاءَ وَلِيُّ ٱلثَّأْرِ يَرْغَبُ نَصْرَهُ
فَلَبَّاهُ مِنْهُ عَزْمُهُ ٱلْمُتَجَرِّدُ
رَأَى أَثَرَ ٱلْمَسْفُوحِ فِي صَفَحَاتِهِ
فَقَامَ لِأَخْذِ ٱلثَّأْرِ مِنْهُ مُؤَيَّدُ
وَشَبَّهَهُ بِالْبَدْرِ وَقْتَ (٢) خُسُوفِهِ
فَلِلَّهِ تَشْبِيهٌ لَهُ ٱلشَّرْعُ يَشْهَدُ
زَمَانَ ٱرْتِفَاعِ ٱلْعِلْمِ كَانَ خُسُوفُهُ
وَقَدْ عَادَ بِالْمَهْدِيِّ وَٱلْعَوْدُ أَحْمَدُ (٣)

---

(١) تمرس به : اذا تمسح واختلط — ويقال أيضا تمرس فلان بدينه اذا لعب به وتعبث «وما بفلان متمرس اذا نعت بالجلد والشدة حتى لا يقاومه من مارسه لأنه قد مارس النوائب والخصومات» (٢) فى الأصل «قبل» (٣) يريد أن المصحف الشريف كالبدر مادام ظاهرا بين المسلمين فهم على هدى ونور ، فاذا غاب عنهم واختفى كانوا كأنهم فى خسوف وظلام ، ولما استرد السلطان المصحف

أَتَتْكَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَلُوكَةٌ (١)
مِنَ ٱلْحَرَمِ ٱلْأَقْصَى لِأَمْرِكَ تَمْهَدُ
سُيُوفُ بَنِي عَيْلَانَ قَامَتْ شَهِيرَةً (٢)
لِدَعْوَتِكَ ٱلْعَلْيَاءِ تَهْدِي وَتُرْشِدُ
وَطَافَتْ بِبَيْتِ ٱللهِ ، فَاشْتَدَّ شَوْقُهُ
إِلَيْكَ ، وَلَبَّى مِنْهُ حِجْرٌ وَمَسْجِدُ
وَحَجَّ إِلَيْكَ ٱلرُّكْنُ وَٱلْمَرْوُ وَٱلصَّفَا
فَأَنْتَ لِذَاكَ ٱلْحَجِّ حَجٌّ وَمَقْصِدُ
مَشَاعِرُهَا ٱلْأَجْسَامُ ، وَٱلرُّوحُ أَمْرُكُمْ
وَمِنْكُمْ لَهَا يَرْضَى ٱلْمَقَامُ ٱلْمُخَلَّدُ ؟
فَلِلّٰهِ حَجٌّ وَٱعْتِمَارٌ وَزَوْرَةٌ
أَتَتْنَا وَلَمْ يَبْرَحْكَ بِالْغَرْبِ مَشْهَدُ

أعاد البدر الى بزوغه واشراقه ، فعاد العلم للناس بعد أن كان قد ارتفع وعمهم جهل حالك سواده (١) الألوكة : الرسالة ، ومهد الفراش « كمنع » بسطه ووطأه وأعده ، ومهد لنفسه اذا كسب وعمل ، وتمهيد الأمر تسويته واصلاحه (٢) عيلان أبو قيس وهو الياس بن مضر بن نزار ، وسيوف شهيرة أي مشهورة مستلة من أغمادها « أحمد يوسف نجاتي »

وَلِلّٰهِ سَبْعٌ نَيِّرَاتٌ تَقَارَنَتْ
بِهَا فِئَةُ ٱلْإِسْلَامِ تُحْمَى وَتَسْعَدُ (١)
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِنَاءَكَ عِصْمَةٌ
فَمَاذَا ٱلَّذِى يَرْجُو ٱلْقَصِىُّ ٱلْمُبَعَّدُ!؟
فَدُمْ لِلْوَرَى غَيْثًا وَعِزًّا وَرَحْمَةً
فَقُرْبُكَ فِى ٱلدَّارَيْنِ مُنْجٍ وَمُسْعِدُ
وَزَادَتْ بِكَ ٱلْأَعْيَادُ حُسْنًا وَبَهْجَةً
كَأَنَّكَ لِلْأَعْيَادِ زِىٌّ مُجَدَّدُ
وَلَا زِلْتَ لِلْأَيَّامِ تُبْلِى جَدِيدَهَا
وَعُمْرُكَ فِى رَيْعَانِهِ (٢) لَيْسَ يَنْفَدُ

***

انتخاب كسوة المصحف

ثُمَّ إِنَّهُمْ ـ أَدَامَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ تَأْيِيدَهُمْ ، وَوَصَلَ سُعُودَهُمْ ـ لِمَا أَرَادُوا مِنَ ٱلْمُبَالَغَةِ فِى تَعْظِيمِ ٱلْمُصْحَفِ ٱلْمَذْكُورِ ، وَٱسْتِخْدَامِ ٱلْبَوَاطِنِ وَٱلظَّوَاهِرِ فِيمَا يَجِبُ لَهُ مِنَ ٱلتَّوْقِيرِ وَٱلتَّعْزِيرِ (٣) ، شَرَعُوا فِى ٱنْتِخَابِ كُسْوَتِهِ ،

(١) يريد أبناء السلطان عبد المؤمن وفى نسخة « تحيا » مكان « تحمى »
(٢) ريعان الشباب : أوله ومقتبله وريعان كل شيء أفضله (٣) التعزير : التعظيم والتوقير، وفى التنزيل «فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه» الآية
« أحمد يوسف نجاتى »

وَأَخَذُوا فِي اخْتِيَارِ حِلْيَتِهِ ، وَتَأَنَّقُوا فِي اسْتِعْمَالِ أَحْفِظَتِهِ ، وَبَالَغُوا فِي اسْتِجَادَةِ أَصْوِنَتِهِ[1] ، فَحَشَرُوا لَهُ الصُّنَّاعَ الْمُتْقِنِينَ وَالْمَهَرَةَ الْمُتَفَنِّنِينَ ، مِمَّنْ كَانَ بِحَضْرَتِهِمُ الْعَلِيَّةِ ، وَسَائِرِ بِلَادِهِمُ الْقَرِيبَةِ وَالْقَصِيَّةِ ، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ حُذَّاقُ كُلِّ صِنَاعَةٍ وَمَهَرَةُ كُلِّ طَائِفَةٍ ؛ مِنَ الْمُهَنْدِسِينَ وَالصَّوَّاغِينَ، وَالنَّظَّامِينَ وَالْحَلَّائِينَ[2] وَالنَّقَّاشِينَ وَالْمُرَصِّعِينَ، وَالنَّجَّارِينَ وَالزَّوَّاقِينَ[3] وَالرَّسَّامِينَ وَالْمُجَلِّدِينَ ، وَعُرَفَاءِ الْبَنَّائِينَ ، وَلَمْ يَبْقَ مَنْ يُوصَفُ بِبَرَاعَةٍ ، أَوْ يُنْسَبُ إِلَى الْحِذْقِ فِي صِنَاعَةٍ ، إِلَّا أُحْضِرَ لِلْعَمَلِ فِيهِ ، وَالِاشْتِغَالِ بِمَعْنًى مِنْ مَعَانِيهِ ، فَاشْتَغَلَ أَهْلُ الْحِيَلِ الْهَنْدَسِيَّةِ بِعَمَلِ أَمْثِلَةٍ مُخْتَرَعَةٍ ، وَأَشْكَالٍ مُبْتَدَعَةٍ ، وَضَمَّنُوهَا مِنْ غَرَائِبِ الْحَرَكَاتِ ، وَخَفِيِّ إِمْدَادِ الْأَسْبَابِ لِلْمُسَبَّبَاتِ ، مَا بَلَغُوا فِيهِ مُنْتَهَى طَاقَتِهِمْ ، وَاسْتَفْرَغُوا فِيهِ جُهْدَ قُوَّتِهِمْ ، وَالْهِمَّةُ الْعَلِيَّةُ

(١) الأصونة جمع صنوان وهو ما يصان فيه الشيء، كالأحفظة جمع حفاظ

(٢) الذين يصنعون الحلية (٣) في الأصل « الزراقين » مصحفة « أحمد يوسف نجاتي » .

أَدَامَ اللهُ سُمُوَّهَا- تَتَرَقَّى فَوْقَ مَعَارِجِهِمْ (١) ، وَتَتَخَلَّصُ كَالشِّهَابِ الثَّاقِبِ وَرَاءَ مَوَالِجِهِمْ (٢) ، وَتُنِيفُ عَلَى مَا ظَنُّوهُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى مِنْ لَطِيفِ مَدَارِجِهِمْ ، فَسَلَكُوا مِنْ عَمَلِ هٰذِهِ الْأَمْثِلَةِ كُلَّ شِعْبٍ، وَرَأَبُوا مِنْ مُنْتَشِرِهَا كُلَّ شَعْبٍ (٣) وَأَشْرَفُوا عِنْدَ تَحْقِيقِهَا وَإِبْرَازِ دَقِيقِهَا عَلَى كُلِّ صَعْبٍ ، فَكَانَتْ مِنْهُمْ وَقْفَةٌ كَادَتْ لَهَا النَّفْسُ تَيْأَسُ عَنْ مَطْلَبِهَا ، وَالْخَوَاطِرُ تَكِرُّ رَاجِعَةً عَنْ خَفِيِّ مَذْهَبِهَا ، حَتَّى أَطْلَعَ اللهُ خَلِيفَتَهُ فِي خَلْقِهِ، وَأَمِينَهُ الْمُرْتَضَى لِإِقَامَةِ حَقِّهِ ، عَلَى وَجْهٍ انْقَادَتْ فِيهِ تِلْكَ الْحَرَكَاتُ بَعْدَ اعْتِيَاصِهَا (٤) ، وَتَخَلَّصَتْ أَشْكَالُهَا عَنِ الِاعْتِرَاضِ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِ خَلَاصِهَا ، أَلْقَوْا ذٰلِكَ- أَيَّدَهُمُ اللهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَدَّهُمْ بِمَعُونَتِهِ وَيُسْرِهِ- إِلَى الْمُهَنْدِسِينَ وَالصُّنَّاعِ فَقَبِلُوهُ أَحْسَنَ الْقَبُولِ ، وَتَصَوَّرُوهُ بِأَذْهَانِهِمْ

(١) عرج في السلم ونحوه، والمعرج الدرجة والسلم ونحوها «كقعد» عروجا ومعرجا اذا ارتقى (٢) جمع مولج اسم مكان من ولج ولوجا اذا دخل، وهوهنا مكان معنوي يريد به مايصلون اليه من نتيجة تفكيرهم ، ومايهتدون اليه من بحثهم وعنايتهم (٣) الشعب «بالكسر» الطريق، والشعب «بالفتح» التفرق والصدع ، ورأبه أصلحه (٤) اعتاص الشيء : صعب ولم ينقد ، واعتاص الأمر اشتد والتوى ولم يهتد للصواب فيه.

فَرَأَوْهُ عَلَى مُطَابَقَةِ ٱلْمَأْمُولِ ، فَوَقَفَهُمْ حُسْنُ تَنْبِيهِهِ مِمَّا جَهِلُوهُ عَلَى طَوْرٍ غَرِيبٍ مِنْ مُوجِبَاتِ ٱلتَّعْظِيمِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْفَضْلَ لِلّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللّٰهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ .

وَسَيَأْتِي بَعْدَ هٰـذَا إِشَارَةٌ إِلَى تَفْصِيلِ تِلْكَ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلْمُسْتَغْرَبَةِ ، وَٱلْأَشْـكَالِ ٱلْمُونِقَةِ ٱلْمُعْجِبَةِ ـ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ مِمَّا صُنِعَ لِلْمُصْحَفِ ٱلْعَظِيمِ مِنَ ٱلْأَصْوِنَةِ ٱلْغَرِيبَةِ ، وَٱلْأَحْفِظَةِ ٱلْعَجِيبَةِ ، أَنَّهُ كُسِيَ كُلُّهُ بِصِوَانٍ وَاحِدٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ذِي صَنَائِعَ غَرِيبَةٍ مِنْ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِـهِ لَا يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، قَدْ أُجْرِيَ فِيـهِ مِنْ أَلْوَانِ ٱلزُّجَاجِ ٱلرُّومِيِّ مَا لَمْ يُعْهَدْ لَهُ فِي ٱلْعَصْرِ ٱلْأَوَّلِ مِثَالٌ ، وَلَا عُمِرَ قَبْـلَهُ بِشِبْهِهِ خَاطِرٌ وَلَا بَالٌ ، وَلَهُ مَفَاصِلُ تَجْتَمِعُ إِلَيْهَا أَجْزَاؤُهُ وَتَلْتَئِمُ ، وَتَتَنَاسَقُ عِنْدَهَا عَجَائِبُهُ وَتَنْتَظِمُ ، قَدْ أُسْلِسَتْ(١) لِلتَّحَرُّكِ أَعْطَافُهَا ، وَأُحْـكِمَ إِنْشَاؤُهَا عَلَى ٱلْبُغْيَةِ وَٱنْعِطَافُهَا ، وَنُظِمَ عَلَى صَفْحَتِهِ(٢) وَجَوَانِبِهِ مِنْ فَاخِرِ ٱلْيَاقُوتِ وَنَفِيسِ

---

(١) أسلست أي جعلت سلسة أي سهلة لينة ذات انقياد ، وفي الأصل « أميلت » (٢) صفحة كل شيء جانبه ووجهه وعرضه ، وفي بعض النسخ «صحيفته» ولا بأس بها، وصحيفة الوجه: بشرة جلده «أحمد يوسف نجاتي»

ٱلدُّرِّ وَعَظِيمِ ٱلزُّمُرُّدِ مَا لَمْ تَزَلِ ٱلْمُلُوكُ ٱلسَّالِفَةُ وَٱلْقُرُونُ ٱلْخَالِيَةُ تَتَنَافَسُ فِي أَفْرَادِهِ ، وَتَتَوَارَثُهُ عَلَى مُرُورِ ٱلزَّمَنِ وَتَرْدَادِهِ ، وَتَظُنُّ ٱلْعِزَّ ٱلْأَقْعَسَ(١) وَٱلْمُلْكَ ٱلْأَنْفَسَ فِي ٱدِّخَارِهِ وَإِعْدَادِهِ ، وَتُسَمِّي ٱلْوَاحِدَ مِنْهَا بَعْدَ ٱلْوَاحِدِ بِالِاسْمِ ٱلْعَلَمِ لِشُذُوذِهِ فِي صِنْفِهِ(٢) وَٱتِّحَادِهِ ، فَٱنْتَظَمَ عَلَيْهِ مِنْهَا مَا شَا كَلَهُ زُهْرُ ٱلْكَوَاكِبِ فِي تَلَأْلُؤِهِ وَٱتِّقَادِهِ ، وَأَشْبَهَهُ ٱلرَّوْضُ ٱلْمُزَخْرَفُ غِبَّ سَمَاءٍ أَقْلَعَتْ عَنْ إِمْدَادِهِ(٣) وَأَتَى هَذَا ٱلصِّوَانُ ٱلْمَوْصُوفُ رَائِقَ ٱلْمَنْظَرِ ، آخِذًا بِمَجَامِعِ ٱلْقَلْبِ وَٱلْبَصَرِ ، مُسْتَوْلِيًا بِصُورَتِهِ ٱلْغَرِيبَةِ عَلَى جَمِيعِ ٱلصُّوَرِ ، يُدْهِشُ ٱلْعُقُولَ بَهَاءً ، وَيُحَيِّرُ ٱلْأَلْبَابَ رُوَاءً(٤) وَيَكَادُ يُعْشِي(٥) ٱلنَّاظِرَ تَأَلُّقًا وَضِيَاءً ، فَحِينَ تَمَّتْ خِصَالُهُ ، وَٱسْتُرْكِبَتْ أَوْصَالُهُ(٦) ، وَحَانَ ٱرْتِبَاطُهُ بِالْمُصْحَفِ ٱلْعَظِيمِ وَٱتِّصَالُهُ

---

(١) عز أقعس ثابت ، وعزة قعساء « والأقعس الرجل العزيز المنيع » .

(٢) فى الأصل « صنعه » وشذوذه : انفراده وخروجه عن نظائره فى الحسن والنفاسة (٣) غب : بعد ، وأقلعت : أمسكت وكفت ، ولا يخفى ما فى الفقرتين من التشبيه المقلوب وحسنه (٤) الرواء جمال الشكل وحسن المنظر (٥) أعشى بصره : أضعفه ، وجعله أعشى ، وعشا عن الشيء يعشو اذا ضعف بصره عنه ، وعشا عن النار : أعرض ومضى عن ضوئها (٦) جمع وصل « بكسر الواو وضمها » أى مفصل .

رَأَوْا ـ أَدَامَ ٱللهُ تَأْيِيدَهُمْ وَأَعْلَى كَلِمَتَهُمْ ـ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللهُ تَعَالَى مِنْ مُلَاحَظَةِ ٱلْجِهَاتِ ، وَٱلْإِشْرَافِ عَلَى جَمِيعِ ٱلثَّنِيَّاتِ ، أَنْ يُتَلَطَّفَ فِي وَجْهٍ يَكُونُ بِهِ هَـذَا ٱلصِّوَانُ ٱلْمَذْكُورُ طَوْرًا مُتَّصِلًا ، وَطَوْرًا مُنْفَصِلًا ، وَيَتَأَتَّى بِهِ لِلْمُصْحَفِ ٱلشَّرِيفِ ٱلْعَظِيمِ أَنْ يَبْرُزَ تَارَةً لِلْخُصُوصِ مُتَبَذِّلًا ، وَتَارَةً لِلْعُمُومِ مُتَجَمِّلًا ، إِذْ مَعَارِجُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلِاسْتِبْصَارِ تَخْتَلِفُ ، وَكُلٌّ لَهُ مَقَامٌ إِلَيْهِ يَنْتَهِي وَعِنْـدَهُ يَقِفُ ، فَعُمِلَ فِيهِ عَلَى مُشَاكَلَةِ[1] هٰذَا ٱلْمَقْصِدِ ، وَتُلُطِّفَ فِي تَتْمِيمِ هٰذَا ٱلْغَرَضِ ٱلْمُعْتَمَدِ ، وَكُسِيَ ٱلْمُصْحَفُ ٱلْعَزِيزُ بِصِوَانٍ لَطِيفٍ مِنَ ٱلسُّنْدُسِ ٱلْأَخْضَرِ ، ذِي حِلْيَةٍ عَظِيمَةٍ خَفِيفَةٍ تُلَازِمُهُ فِي ٱلْمَغِيبِ وَٱلْمَحْضَرِ ، وَرُتِّبَ تَرْتِيبًا يَتَأَتَّى مَعَهُ أَنْ يُكْسَى بِالصِّوَانِ ٱلْأَكْبَرِ ، فَيَلْتَئِمُ بِهِ ٱلْتِئَامًا يُغَطِّي عَلَى ٱلْعَيْنِ مِنْ هٰذَا ٱلْأَثَرِ ، وَكَمَلَ ذٰلِكَ كُلُّهُ عَلَى أَجْمَلِ ٱلصِّفَاتِ وَأَحْسَنِهَا وَأَبْدَعِ ٱلْمَذَاهِبِ وَأَتْقَنِهَا ، وَصُنِعَ لَهُ مَحْمِلٌ غَرِيبُ ٱلصَّنْعَةِ

---

(١) في بعض النسخ «شاكلة» ولعلها ألطف أخذا من قوله تعالى : « قل كل يعمل على شاكلته » والشاكلة : الشكل والطريقة والجهة «أحمد يوسف نجاتي»

بَدِيعُ ٱلشَّكْلِ وَٱلصِّبْغَةِ(١) ، ذُو مفَاصِلَ يَنْبُو عَنْ دِقَّتِهَا ٱلْإِدْرَاكُ ، وَيَشْتَدُّ(٢) بِهَا ٱلِارْتِبَاطُ بَيْنَ ٱلْمَفْصِلَيْنِ وَيَصِحُّ ٱلْإِشْتِرَاكُ، مُغَشًّى كُلُّهُ بِضُرُوبٍ مِنَ ٱلتَّرْصِيعِ ، وَفُنُونٍ مِنَ ٱلنَّقْشِ ٱلْبَدِيعِ ، فِي قِطَعٍ مِنَ ٱلآبِنُوسِ وَٱلْخَشَبِ ٱلرَّفِيعِ ، لَمْ تُعْمَلْ قَطُّ فِي زَمَانٍ مِنَ ٱلْأَزْمَانِ ، وَلَا ٱنْتَهَتْ قَطُّ إِلَى أَيْسَرِهِ نَوَافِذُ(٣) ٱلْأَذْهَانِ ، مُدَارٌ بِصَنْعَةٍ قَدْ أُجْرِيَتْ فِي صَفَائِحِ ٱلذَّهَبِ ، وَٱمْتَدَّتْ ٱمْتِدَادَ ذَوَائِبِ ٱلشُّهُبِ ، وَصُنِعَ لِذَلِكَ ٱلْمَحْمِلِ كُرْسِيٌّ يَحْمِلُهُ عِنْدَ ٱلِانْتِقَالِ ، وَيُشَارِكُهُ فِي أَكْثَرِ ٱلْأَحْوَالِ ، مُرَصَّعٌ مِثْلُ تَرْصِيعِهِ ٱلْغَرِيبِ ، وَمُشَاكِلٌ لَهُ فِي جَوْدَةِ ٱلتَّقْسِيمِ وَحُسْنِ ٱلتَّرْتِيبِ ، وَصُنِعَ لِذَلِكَ كُلِّهِ تَابُوتٌ يَحْتَوِي عَلَيْهِ ٱحْتِوَاءَ ٱلْمِشْكَاةِ عَلَى أَنْوَارِهَا ، وَٱلصُّدُورِ عَلَى مَحْفُوظِ أَفْكَارِهَا ، مُكَعَّبُ ٱلشَّكْلِ سَامٍ فِي ٱلطُّولِ ، حَسَنُ ٱلْجُمْلَةِ وَٱلتَّفْصِيلِ ، بَالِغٌ مَا شَاءَ مِنَ ٱلتَّتْمِيمِ

(١) أو «والصيغة» يعني الصنع أوالهيئة (٢) في الأصل « و يشهـد » ولا بأس بها الأن « يشتد » أولى هنا (٣) أي الأذهان النافذة في الأشياء المتوقدة ذكاء تنفذ الى حجب الغيب فتدركها . وفي الأصل « تواقد »

فِي أَوْصَالِهِ وَٱلتَّكْمِيلِ ، جَارٍ مَجْرَى ٱلْمَحْمِلِ(١) فِي ٱلتَّزْيِينِ وَٱلتَّجْمِيلِ ، وَلَهُ فِي أَحَدِ غَوَارِبِهِ بَابٌ رُكِّبَتْ عَلَيْهِ دَفَّتَانِ(٢) قَدْ أُحْكِمَ ٱرْتِتَاجُهُمَا(٣) ، وَيُسِّرَ بَعْدَ ٱلْإِبْهَامِ ٱنْفِرَاجُهُمَا ، وَلِانْفِتَاحِ هَذَا ٱلْبَابِ وَخُرُوجِ هَذَا ٱلْكُرْسِيِّ مِنْ تِلْقَائِهِ وَتَرَكُّبِ ٱلْمَحْمِلِ عَلَيْهِ مَا دُبِّرَتِ ٱلْحَرَكَاتُ ٱلْهَنْدَسِيَّةُ ، وَتُلُقِّيَتِ ٱلتَّنْبِيهَاتُ ٱلْقُدْسِيَّةُ ، وَٱنْتَظَمَتِ ٱلْعَجَائِبُ ٱلْمَعْنَوِيَّةُ وَٱلْحِسِّيَّةُ ، وَٱلْتَأَمَتِ ٱلذَّخَائِرُ ٱلنَّفِيسَةُ وَٱلنَّفْسِيَّةُ ، وَذَلِكَ أَنَّ بِأَسْفَلِ هَاتَيْنِ ٱلدَّفَّتَيْنِ فَيْصَلًا(٤) فِيهِ مَوْضِعٌ قَدْ أُعِدَّ لَهُ مِفْتَاحٌ لَطِيفٌ يَدْخُلُ فِيهِ ، فَإِذَا أُدْخِلَ ذَلِكَ ٱلْمِفْتَاحُ فِيهِ وَأُدِيرَتْ بِهِ ٱلْيَدُ ٱنْفَتَحَ ٱلْبَابُ بِانْعِطَافِ

---

(١) مع صحة المعنى بكلمة «المحمل» يخيل الى أن الأولى أن تكون «المثل» مراعاة لقوله : التتميم ، والتكميل ، والجملة ، والتفصيل ، لأنه يلمح الى ما هو معروف من أنواع الأطناب وأسمائها الاصطلاحية ، ومنها التذييل الجارى مجرى المثل ، ومنها التتميم والتكميل والتفصيل بعد الاجمال ، والمعنى مع هذا أبلغ كما لا يخفى «أحمد يوسف نجاتى» (٢) دفتان أى صفحتان وجانبان ، ومنه ما بين دفتى المصحف كلام الله تعالى (٣) أى اغلاقهما ، وفى الأصل «ارتجاجهما» (٤) كذا بالأصل ، ولعله «فصيلا» والفصيل القطعة ، وقد يصح أن يكون مأخوذا من الفصيل وهو حائط قصير دون الحصن أو دون سور البلد ، والفصيل : الفاصل . «أحمد يوسف نجاتى»

ٱلدَّفَّتَيْنِ إِلَى دَاخِلِ ٱلدَّفَّتَيْنِ مِنْ تِلْقَائِهِمَا، وَخَرَجَ ٱلْكُرْسِيُّ مِنْ ذَاتِهِ بِمَا عَلَيْهِ إِلَى أَقْصَى غَايَتِهِ ، وَفِي خِلَالِ خُرُوجِ ٱلْكُرْسِيِّ يَتَحَرَّكُ عَلَيْهِ ٱلْمَحْمِلُ حَرَكَةً مُنْتَظِمَةً مُقْتَرِنَةً بِحَرَكَتِهِ ، يَأْتِي بِهَا مِنْ مُؤَخَّرِ ٱلْكُرْسِيِّ زَحْفاً إِلَى مُقَدَّمِهِ فَإِذَا كَمَلَ ٱلْكُرْسِيُّ بِٱلْخُرُوجِ وَكَمَلَ ٱلْمَحْمِلُ بِالتَّقَدُّمِ عَلَيْهِ ٱنْغَلَقَ ٱلْبَابُ بِرُجُوعِ ٱلدَّفَّتَيْنِ إِلَى مَوْضِعِهِمَا مِنْ تِلْقَائِهِمَا دُونَ أَنْ يَمَسَّهُمَا أَحَدٌ[1] ، وَتَرْتِيبُ هَذِهِ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلْأَرْبَعِ عَلَى حَرَكَةِ ٱلْمِفْتَاحِ فَقَطْ دُونَ تَكَلُّفِ شَيْءٍ آخَرَ ، فَإِذَا أُدِيرَ ٱلْمِفْتَاحُ إِلَى خِلَافِ ٱلْجِهَةِ ٱلَّتِي أُدِيرَ إِلَيْهَا أَوَّلًا ٱنْفَتَحَ « أَوَّلًا[2] » ٱلْبَابُ ، وَأَخَذَ ٱلْكُرْسِيُّ فِي ٱلدُّخُولِ وَٱلْمَحْمِلُ فِي ٱلتَّأَخُّرِ عَنْ مُقَدَّمِ ٱلْكُرْسِيِّ إِلَى مُؤَخَّرِهِ ، فَإِذَا عَادَ كُلٌّ إِلَى مَكَانِهِ ٱنْسَدَّ ٱلْبَابُ بِالدَّفَّتَيْنِ أَيْضًا مِنْ تِلْقَائِهِ ، كُلُّ ذَلِكَ يَتَرَتَّبُ عَلَى حَرَكَةِ ٱلْمِفْتَاحِ كَالَّذِي كَانَ فِي حَالِ خُرُوجِهِ ، وَصَحَّتْ هٰذِهِ ٱلْحَرَكَاتُ ٱللَّطِيفَةُ عَلَى أَسْبَابٍ وَمُسَبَّبَاتٍ غَائِبَةٍ عَنِ ٱلْحِسِّ فِي بَاطِنِ

(١) فى بعض النسخ « وترتبت » (٢) كلمة « أولا » ليست فى كثير من النسخ « أحمد يوسف نجاتى »

ٱلْكُرْسِيِّ ، وَهِيَ مِمَّا يَدِقُّ وَصْفُهَا وَيَصْعُبُ ذِكْرُهَا ، أَظْهَرَتْهَا بَرَكَاتُ هَذَا ٱلْأَمْرِ ٱلسَّعِيدِ ، وَتَنْبِيهَاتُ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا ٱلْخَلِيفَةِ ـ أَدَامَ ٱللهُ تَعَالَى أَمْرَهُمْ ، وَأَعَزَّ نَصْرَهُمْ ـ .

***

بناء المسجد الجامع

وَفِي خِلَالِ ٱلِاشْتِغَالِ ، بِهَذِهِ ٱلْأَعْمَالِ ، ٱلَّتِي هِيَ غُرَرُ ٱلدَّهْرِ ، وَفَرَائِدُ[1] ٱلْعُمُرِ ، أَمَرُوا ـ أَدَامَ ٱللهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُمْ ـ بِبِنَاءِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْجَامِعِ بِحَضْرَةِ مُرَّاكُشَ ـ حَرَسَهَا ٱللهُ تَعَالَى ـ فَبُدِئَ بِبِنَائِهِ وَتَأْسِيسِ قِبْلَتِهِ فِي ٱلْعَشْرِ ٱلْأُوَلِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَكَمَلَ مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ ٱلْمُكَرَّمِ مِنَ ٱلْعَامِ ٱلْمَذْكُورِ عَلَى أَكْمَلِ ٱلْوُجُوهِ وَأَغْرَبِ ٱلصَّنَائِعِ وَأَفْسَحِ ٱلْمِسَاحَةِ وَأَبْعَدِ ٱلْبِنَاءِ وَٱلنِّجَارَةِ ، وَفِيهِ مِنْ شَمْسِيَّاتِ ٱلزُّجَاجِ وَدَرَجَاتِ ٱلْمِنْبَرِ وَسِيَاجِ ٱلْمَقْصُورَةِ مَا لَوْ عُمِلَ فِي ٱلسِّنِينَ ٱلْعَدِيدَةِ لَاسْتُغْرِبَ تَمَامُهُ ، فَكَيْفَ فِي هَذَا ٱلْأَمَدِ ٱلْيَسِيرِ ٱلَّذِي

---

(١) الفريدة : الجوهرة النفيسة كأنها مفردة فى نوعها . والشذرة تفصل بين اللؤلؤ والذهب فى نحو العقد ، والفريد الدر اذا نظم وفصل بغيره وهو هنا مستعار لأنفس شىء عمل فى العمر وأثمن ماصنع فيه ، وفى بعض النسخ « فوائد » . « أحمد يوسف نجاتى »

لَمْ يَتَخَيَّلْ أَحَدٌ مِنَ الصُّنَّاعِ أَنْ يَتِمَّ فِيهِ فَضْلًا عَنْ بِنَائِهِ وَصُلِّيَتْ فِيهِ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ الْمَذْكُورِ ، وَنَهَضُوا ـ أَدَامَ اللهُ سُبْحَانَهُ تَأْيِيدَهُمْ ـ عَقِبَ ذَلِكَ لِزِيَارَةِ الْبُقْعَةِ الْمُكَرَّمَةِ ، وَالرَّوْضَةِ الْمُعَظَّمَةِ ، بِمَدِينَةِ تِينْمَلَّلَ(١) ـ أَدَامَ اللهُ رِفْعَتَهَا ـ فَأَقَامُوا بِهَا بَقِيَّةَ شَعْبَانَ الْمُكَرَّمِ ، وَأَكْثَرَ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعَظَّمِ ، وَحَمَلُوا فِي صُحْبَتِهِمْ الْمُصْحَفَ الْعَزِيزَ وَمَعَهُ مُصْحَفُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمَعْلُومِ ـ رَضِيَ اللهُ

(١) تينملل: جبال بالمغرب كان بها قرى ومزارع يسكنها البربر، بين أولها ومراكش كان سرير ملك بني عبد المؤمن بن علي، وبها كان أول خروج المهدي محمد بن تومرت الذي أقام الدولة . ولما توفي صارت لعبد المؤمن ثم لولده كما تقدم . وتجد ترجمة المهدي في وفيات الأعيان لابن خلكان ، ويقال انه كان قد اطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت عثر عليه عند أبي حامد الغزالي ، وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله ويكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه ت ي، ن م ل ل ، وتوفي سنة ٥٢٤ ودفن بذلك الجبل، وكان قبره هناك مشهورا مقصودا بالزيارة ، وكان له شعر ، منه قوله :

فكم أنت تنهى ولا تنتهي ... وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر السن حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع

والبيت الثاني مثل جيد لمن يعظ غيره ولا يعظ نفسه «أحمد يوسف نجاتي»

تَعَالَى عَنْهُ ـ فِى ٱلتَّابُوتِ ٱلْمَوْصُوفِ ، إِذْ كَانَ قَدْ صُنِعَ لَهُ غُرْفَةٌ فِى أَعْلَاهُ ، وَأُحْكِمَتْ فِيهِ إِحْكَامًا كَمَلَ بِهِ مَعْنَاهُ ، وَٱجْتَمَعَ فِى مِشْكَاتِهِ فَعَادَ ٱلنُّورُ إِلَى مُبْتَدَاهُ ، وَخُتِمَ ٱلْقُرْآنُ ٱلْعَزِيزُ فِى مَسْجِدِ ٱلْإِمَامِ ٱلْمَعْلُومِ خَتَمَاتٍ كَادَتْ لَا تُحْصَى لِكَثْرَتِهَا . وَهُنَا ٱنْتَهَى مَا وَجَدْنَاهُ مِنْ هَـذَا ٱلْمَكْتُوبِ . ثُمَّ قَالَ ٱبْنُ رُشَيْدٍ بَعْدَ إِيرَادِ مَا تَقَدَّمَ مَا صُورَتُهُ : نَجَزَتِ ٱلرِّسَالَةُ فِى ٱلْمُصْحَفِ ٱلْعَظِيمِ ، وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . ٱنْتَهَى مَحَلُّ ٱلْحَاجَةِ مِنْهُ .

***

وداع أهل قرطبة

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ٱلشَّيْخِ ٱلْإِمَامِ أَبِى مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱلْحَقِّ ٱبْنِ غَالِبِ بْنِ عَطِيَّةَ[1] يَسْتَوْدِعُ أَهْلَ قُرْطُبَةَ :

---

(١) تقدمت ترجمته فى أثناء كلامنا فى بنى عطية بالجزء الثانى ، وهو فقيه حافظ محدث أديب شاعر بليغ عالم جليل ، ومن شعر أبيه له وقد غاب عنه مجاهدا :

يانازح الدار لم يحفل بمن نزحت	دموعـه طارقات الهم والفكر
غيبت شخصك عن عينى فما ألفت	من بعد مرآك غير الدمع والسهر
قد كان أولى جهـاد فى مواصلتى	لاسيما عنـد ضعف الجسم والكبر
اعتل سمعى وجال الضر فى بصرى	بالله كن أنت لى سمعى وكن بصرى

ومن شعر أبى محمد عبد الحق :

داء الزمان وأهله	داء يعز له العلاج

أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ أَهْلَ قُرْطُبَـةٍ
حَيْثُ عهِدْتُ ٱلْحَيَاءَ وَٱلْـكَرَمَا
وَٱلْجَامِـعَ ٱلْأَعْظَمَ ٱلْعَتِيقَ وَلَا
زَالَ مَدَى ٱلدَّهْرِ مَأْمَنًا حَرَمَا

***

حديث أبي الحسن الأشعرى القرطبي

وَقَالَ أَبُو ٱلرَّبِيعِ بْنُ سَالِمٍ (١) حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَبُو ٱلْحَسَنِ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ بْنُ رَبِيعٍ (٢) ٱلْأَشْعَرِيُّ، قَالَ: أَنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ

أطلعت فى ظلمانه رأيا كما سطع الزجاج
لمعاشر أعيا ثقا فى من قناتهم اعوجاج
كالدر ما لم تختبر فاذا اختبرت فهم زجاج

وكنا وعدنا باستقصاء القول فى بنى عطية، وسننجز وعدنا قريبا ان شاء الله. وتوفى عبد الحق سنة ٥٤١. «أحمد يوسف نجاتى».

(١) أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميرى الكلاعى البلنسى، كان اماما محدثا مؤرخا أديبا كاتبا بليغا شاعرا خطيبا مفوها مبرزا فى فنون كثيرة، ذا جاه وحسن شارة، وجيها عند الملوك يتكلم عنهم فى مجالسهم وينبيء عما يريدون على المنابر وفى المحافل، فهو لسانهم الناطق وخطيبهم المؤثر، وله تآليف ممتعة فى الحديث والأدب والأخبار وتراجم الرجال ويعدهو آخر الحفاظ والبلغاء المترسلين بالأندلس، ولد سنة ٥٦٥ واستشهد بالقرب من بلنسية مقبلا غير مدبر سنة ٦٣٤ رحمه الله «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعرى

ٱبْنُ عَطِيَّةَ لِنَفْسِهِ ـ فَذَكَرَهُمَا بَعْدَ أَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَمَّا أَزْمَعَ ٱلْقَاضِى أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَطِيَّةَ ٱلِارْتِحَالَ عَنْ قُرْطُبَةَ قَصَدَ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْجَامِعَ وَأَنْشَدَ ٱلْبَيْتَيْنِ ـ ٱنْتَهَى . وَقَالَ ٱبْنُ عَطِيَّةَ أَيْضًا ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ :

بِأَرْبَعٍ فَاقَتِ ٱلْأَمْصَارَ قُرْطُبَةٌ
وَهُنَّ قَنْطَرَةُ ٱلْوَادِى وَجَامِعُهَا

هَاتَانِ ثِنْتَانِ ، وَٱلزَّهْرَاءُ ثَالِثَةٌ
وَٱلْعِلْمُ أَكْبَرُ شَىْءٍ وَهُوَ رَابِعُهَا

وَقَدْ تَقَدَّمَ إِنْشَادُنَا لِهَذَيْنِ ٱلْبَيْتَيْنِ مِنْ غَيْرِ نِسْبَتِهِمَا لِأَحَدٍ . وَمِمَّا يَدْخُلُ فِى أَخْبَارِ ٱلزَّاهِرَةِ مِنْ غَيْرِ مَا قَدَّمْنَاهُ مَا حَكَاهُ عَنْ نَفْسِهِ ٱلْوَزِيرُ ٱلْكَاتِبُ أَبُو ٱلْمُغِيرَةِ بْنُ حَزْمٍ (١) قَالَ: نَادَمْتُ يَوْمًا ٱلْمَنْصُورَ بْنَ أَبِى عَامِرٍ فِى مُنْيَةِ ٱلسُّرُورِ

القرطبي كان شيخا جليلا محدثا فقيها ، له تأليف مفيد فى مشيخته ومن أخذعنه ، ولما أزمع القاضى أبو محمد عبدالحق بن عطية الارتحال عن قرطبة قصد المسجد الجامع متبركا ومودعا ، وكان أبو الحسن هذا ممن مشى معه فأنشده البيتين المذكورين بالجامع ارتجالا ، ولد ابن ربيع سنة ٥١٩ وتوفى سنة ٥٨٥ . « أحمد يوسف نجاتى » . (١) تقدمت ترجمته

بِالزَّاهِرَةِ ذَاتِ ٱلْحُسْنِ ٱلنَّضِيرِ ، وَهِيَ جَامِعَةٌ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ ، فَلَمَّا تَضَمَّخَ ٱلنَّهَارُ بِزَعْفَرَانِ ٱلْعَشِيِّ ، وَرَفْرَفَ غُرَابُ ٱللَّيْلِ ٱلدَّجُوجِيِّ(١) ، وَأَسْبَلَ ٱللَّيْلُ جُنْحَهُ ، وَتَقَلَّدَ ٱلسِّمَاكُ(٢) رُمْحَهُ ، وَهَمَّ ٱلنَّسْرُ بِالطَّيَرَانِ ، وَعَامَ فِي ٱلْأُفُقِ زَوْرَقُ ٱلزِّبْرِقَانِ(٣) ، أَوْقَدْنَا مَصَابِيحَ ٱلرَّاحِ ، وَٱشْتَمَلْنَا مُلَاءَ ٱلِارْتِيَاحِ ، وَلِلدَّجْنِ(٤) فَوْقَنَا رُوَاقٌ مَضْرُوبٌ ، فَغَنَّتْنَا عِنْدَ ذَلِكَ جَارِيَةٌ تُسَمَّى أُنْسَ ٱلْقُلُوبِ ، وَقَالَتْ :

قَدِمَ ٱللَّيْلُ عِنْدَ سَيْرِ ٱلنَّهَارِ
وَبَدَا ٱلْبَدْرُ مِثْلَ نِصْفِ سِوَارِ(٥)

---

(١) شديد السواد (٢) يريد السماك الرامح ، وسبق وصفه (٣) القمر قال الشاعر :

تضيء له المنابر حين يرقى … عليها مثل ضوء الزبرقان

(٤) الدجن: ظل الغيم فى اليوم المطير ، أو المطر الكثير (٥) تذكرت هنا قول الشاعر وأحسن :

قلت لما انثنت لمغربها الشمـ … ـس ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه الغرب دينا … را فأعطى الرهان نصف سوار

وهو خيال بديع ، لايفوقه الا صوت أنس القلوب بهذا الشعر الرائق . « أحمد يوسف نجاتى » .

فَكَأَنَّ ٱلنَّهارَ صَفْحَةُ خَدٍّ
وَكَأَنَّ ٱلظَّلامَ خَطُّ عِذارِ
وَكَأَنَّ ٱلْكُؤُوسَ جامِدُ ماءٍ
وَكَأَنَّ ٱلْمُدامَ ذائِبُ نارِ
نَظَرِى قَدْ جَنَى عَلَىَّ ذُنُوباً
كَيْفَ مِمَّا جَنَتْهُ عَيْنِى ٱعْتِذارِى!؟
يا لَقَوْمِى تَعَجَّبُوا مِنْ غَزالٍ
جائِرٍ فِى مَحَبَّتِى وَهُوَ جارِى
لَيْتَ لَوْ كانَ لِى إِلَيْهِ سَبِيلٌ
فَأُقَضِّى مِنَ حُبِّهِ أَوْطارِى

قالَ: فَلَمَّا أَكْمَلَتِ ٱلْغِنَا، أَحْسَسْتُ بِالْمَعْنَى، فَقُلْتُ:

كَيْفَ كَيْفَ ٱلْوُصُولُ لِلأَقْمارِ
بَيْنَ سُمْرِ ٱلْقَنا وَبِيضِ ٱلشِّفارِ(١)
لَوْ عَلِمْنا بِأَنَّ حُبَّكِ حَقٌّ
لَطَلَبْنا ٱلْحَياةَ فِيكِ(٢) بِثارِ

(١) جمع شفر: وشفرة السيف حده. (٢) فى نسخة «منك»

وَإِذَا مَا ٱلْـكِرَامُ هَمُّوا بِشَىْءٍ
خَاطَرُوا بِالنُّفُوسِ فِى ٱلْأَخْطَارِ

***

قَالَ : فَعِنْدَذٰلِكَ بَادَرَ ٱلْمَنْصُورُ لِحُسَامِهِ، وَغَلَّظَ فِى كَلَامِهِ المنصور والجارية
وقَالَ لَهَا : قُولِى وَٱصْدُقِى إِلَى مَنْ تُشِيرِينَ ، بِهٰـذَا ٱلشَّوْقِ وَٱلْحَنِينِ ! فقَالَتِ ٱلْجَارِيَةُ : إِنْ كَانَ ٱلْـكَذِبُ أَنْجَى ، فَالصِّدْقُ أَحْرَى وَأَوْلَى ، وَٱللّٰهِ مَا كَانَتْ إِلَّا نَظْرَةٌ ، وَلَّدَتْ فِى ٱلْقَلْبِ فِـكْرَةً ، فَتَـكَلَّمَ ٱلْحُبُّ عَلَى لِسَانِى ، وَبَرَّحَ ٱلشَّوْقُ بِكِتْمَانِى ، وَٱلْعَفْوُ مَضْمُونٌ لَدَيْكَ عِنْدَ ٱلْمَقْدِرَةِ ، وَٱلصَّفْحُ مَعْلُومٌ مِنْكَ عِنْـدَ ٱلْمَعْذِرَةِ ، ثُمَّ بَـكَتْ فَـكَأَنَّ دَمْعَهَا دُرٌّ تَنَاثَرَ مِنْ عِقْـدٍ ، أَوْ طَلٌّ تَسَاقَطَ مِنْ وَرْدٍ ، وَأَنْشَدَتْ :

أَذنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَـكَيْفَ مِنْهُ ٱعْتِذَارِى
وَٱللّٰهُ قَدَّرَ هَـٰذَا وَلَمْ يَـكُنْ بِاخْتِيَارِى
وَٱلْعَفْوُ أَحْسَنُ شَىْءٍ يَـكُونُ عِنْـدَ ٱقْتِدَارِ

قَالَ فَعِنْدَ ذٰلِكَ صَرَفَ ٱلْمَنْصُورُ وَجْهَ ٱلْغَضَبِ إِلَىَّ ،

وَسَلَّ سَيْفَ ٱلسُّخْطِ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ : ـ أَيَّدَكَ ٱللهُ تَعَالَى ـ إِنَّمَا كَانَتْ هَفْوَةً جَرَّهَا ٱلْفِكْرُ ، وَصَبْوَةً[1] أَيَّدَهَا ٱلنَّظَرُ ، وَلَيْسَ لِلْمَرْءِ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ ، لَا مَا ٱخْتَارَهُ وَأَمَّلَهُ ، فَأَطْرَقَ ٱلْمَنْصُورُ قَلِيلًا ، ثُمَّ عَفَا وَصَفَحَ ، وَتَجَاوَزَ عَنَّا وَسَمَحَ ، وَخَلَّى سَبِيلِي ، فَسَكَنَ وَجِيبُ[2] قَلْبِي وَغَلِيلِي ، وَوَهَبَ ٱلْجَارِيَةَ لِي فَبِتْنَا بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ ، وَسَحَبْنَا فِيهَا لِلصِّبَا ذَيْلَهُ ، فَلَمَّا شَمَّرَ ٱللَّيْلُ غَدَائِرَهُ ، وَسَلَّ ٱلصَّبَاحُ بَوَاتِرَهُ ، وَتَجَاوَبَتِ ٱلْأَطْيَارُ بِضُرُوبِ ٱلْأَلْحَانِ ، فِي أَعَالِي ٱلْأَغْصَانِ ، ٱنْصَرَفْتُ بِٱلْجَارِيَةِ إِلَى مَنْزِلِي ، وَتَكَامَلَ سُرُورِي .

***

الرشيد والجارية

قَالَ بَعْضُهُمْ : ذَكَّرَتْنِي حِكَايَةُ أَبِي ٱلْمُغِيرَةِ هٰذِهِ حِكَايَةً قَرَأْتُهَا فِي ٱلنَّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ ٱلْقَالِيِّ ٱلْبَغْدَادِيِّ حَذَتْ فِي ٱلظَّرْفِ حَذْوَهَا ، وَزَهَتْ فِي ٱلْإِغْرَابِ زَهْوَهَا ، وَهِيَ مَا أَسْنَدَهُ عَنْ مَنْصُورٍ ٱلْبَرْمَكِيِّ أَنَّهُ كَانَتْ لِلرَّشِيدِ جَارِيَةٌ غُلَامِيَّةٌ ، وَكَانَ ٱلْمَأْمُونُ

(١) ميل الى اللهو وهوى النفس ورقة الغزل (٢) وجيب القلب: خفقانه واضطرابه من نحو فزع ورعب .

يَمِيلُ إِلَيْهَا - وَهُوَ إِذْ ذَاكَ أَمْرَدُ ، فَوَقَفَتْ تَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى يَدِ الرَّشِيدِ مِنْ إِبْرِيقٍ مَعَهَا - وَالْمَأْمُونُ خَلْفَ الرَّشِيدِ ؛ فَأَشَارَ إِلَيْهَا يُقَبِّلُهَا، فَأَنْكَرَتْ ذٰلِكَ بِعَيْنِهَا، وَأَبْطَأَتْ فِي الصَّبِّ عَلَى قَدْرِ نَظَرِهَا لِلْمَأْمُونِ وَإِشَارَتِهَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ مَاهٰذَا ؟ ضَعِي الْإِبْرِيقَ مِنْ يَدِكِ ، فَفَعَلَتْ . فَقَالَ لَهَا : وَاللّٰهِ لَئِنْ لَمْ تَصْدُقِينِي لَأَقْتُلَنَّكِ ، فَقَالَتْ : يَاسَيِّدِي أَشَارَ إِلَيَّ كَأَنَّهُ يُقَبِّلُنِي، فَأَنْكَرْتُ ذٰلِكَ عَلَيْهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْمَأْمُونِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مَيِّتٌ لِمَا دَاخَلَهُ مِنَ الْجَزَعِ وَالْخَجَلِ ، فَرَحِمَهُ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ : يَاعَبْدَ اللّٰهِ أَتُحِبُّهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : هِيَ لَكَ فَاخْلُ بِهَا فِي تِلْكَ الْقُبَّةِ ، فَفَعَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي هٰذَا الْأَمْرِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَاسَيِّدِي ، وَأَنْشَدَ :

ظَبْيٌ كَنَيْتُ[1] بِطَرْفِي ... مِنَ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ
قَبَّلْتُهُ مِنْ بَعِيدٍ ... فَاعْتَلَّ مِنْ شَفَتَيْهِ
وَرَدَّ أَخْبَثَ رَدٍّ ... بِالْكَسْرِ مِنْ حَاجِبَيْهِ
فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي ... حَتَّى قَدَرْتُ عَلَيْهِ

(١) ويروى « كتبت » «أحمد يوسف نجاتي » .

وَفِى هَـذَا ٱلْمَعْنَى يَقُولُ بَعْضُ ٱلْبُلَغَاءِ : ٱللَّحْظُ يُعْرِبُ عَنِ ٱللَّفْظِ .

« وَقَالَ آخَرُ » رُبَّ كِنَايَةٍ تُغْنِى عَنْ إِيضَاحٍ ، وَرُبَّ لَحْظٍ يَدُلُّ(١) عَلَى ضَمِيرٍ ، وَنَظَمَهُ ٱلشَّاعِرُ فَقَالَ :

جَعَلْنَا عَلَامَاتِ ٱلْمَوَدَّةِ بَيْنَنَا
دَقَائِقَ لَحْظٍ هُنَّ أَمْضَى مِنَ ٱلسِّحْرِ
فَأَعْرِفُ مِنْهَا ٱلْوَصْلَ فِى لِينِ لَحْظِهَا
وَأَعْرِفُ مِنْهَا ٱلْهَجْرَ بِالنَّظَرِ ٱلشَّزْرِ

« وَفِى هَذَا قَالَ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ » ٱلْعَيْنُ بَابُ ٱلْقَلْبِ ، فَمَا فِى ٱلْقَلْبِ يَظْهَرُ فِى ٱلْعَيْنِ . وَقَالَ ٱلشَّاعِرُ(٢) :

---

(١) فى الأصل « لفظ » وأراه تصحيفا غير مناسب للمقام (٢) أظنه عمارة ابن عقيل بن بلال بن جرير ، وأحفظ مع البيتين تتمة لهما :

ان البغيض له عين يصد بها   لايستطيع لما فى القلب كتمانا
وعين ذى الود لاتنفك مقبلة   ترى لها محجرا بشا وانسانا

و يعجبنى قول أبى تمام :

ولذاك قيل من الظنون جبلة   علم وفى بعض القلوب عيون

وقول محمد بن شبل :

والعين تقرأ من لحاظ جليسها   ماخط منـه فى ضمير الخاطر

أَلْعَيْنُ تُبْدِي أَلَّذِي فِي نَفْسِ صَاحِبِهَا
مِنَ أَلْمَحَبَّةِ أَوْ بُغْضٍ إِذَا كَانَا
فَأَلْعَيْنُ تَنْطِقُ وَأَلْأَفْوَاهُ صَامِتَةٌ
حَتَّى تَرَى مِنْ ضَمِيرِ أَلْقَلْبِ تِبْيَانَا
انْتَهَى

***

أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم

« وَأَبُو أَلْمُغِيرَةِ بْنُ حَزْمٍ * قَالَ فِي حَقِّهِ فِي أَلْمَطْمَحِ

ولكم قطوب عن وداد خالص وتبسم عن غل صدر واغر
واذا تعارفت القلوب تألفت ويصد منها نافر عن نافر
فتوق من يأباه قلبك انه سيبين باطنه بأمر ظاهر

والقول فى هذا المعنى كثير ، وسبق لك شئ منه فى الأجزاء السالفة .
« أحمد يوسف نجاتى » .

* ترجم له فى كتاب الصلة لابن بشكوال « ج ١ ص ٣٧٤ » من المكتبة الأندلسية بما يأتى :

عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم من أهل قرطبة، يكنى أبا المغيرة، له سماع من أبى القاسم الوهرانى وغيره، وكان حسن الخط ، ذكره الحميدى وقال : هو من المقدمين فى الأدب والشعر والبلاغة وهو ابن عم أبى محمد بن حزم والد أبى الخطاب ، وشعره كثير مجموع وأنشدنى له غير واحد من أصحابنا قريضا مذكورا فى نفح الطيب عند ترجمته نكتفى بالاشارة اليه .

قال ابن حيان: توفى بعسكر ابن ذى النون صاحب طليطلة فى مستهل صفر من سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، ودفن بطليطلة رحمه الله تعالى.

مَا نَصُّهُ » : اُلْوَزِيرُ اُلْكَاتِبُ أَبُو اُلْمُغِيرَةِ عَبْدُ اُلْوَهَّابِ بْنُ حَزْمٍ ، وَبَنُو حَزْمٍ فِتْيَةُ عِلْمٍ وَأَدَبٍ ، وَثَنِيَّةُ[(١)] مَجْدٍ وَحَسَبٍ وَأَبُو اُلْمُغِيرَةِ هٰذَا فِي اُلْكِتَابَةِ أَوْحَدُ ، لَا يُنْعَتُ وَلَا يُحَدُّ ، وَهُوَ فَارِسُ اُلْمِضْمَارِ ، حَامِي ذٰلِكَ اُلذِّمَارِ[(٢)] ، وَبَطَلُ اُلرَّعِيلِ[(٣)] وَأَسَدُ ذَلِكَ اُلْغِيلِ[(٤)] ، نَسَقَ اُلْمُعْجِزَاتِ ، وَسَبَقَ فِي اُلْمُعْضِلَاتِ اُلْمُوجِزَاتِ ، إِذَا كَتَبَ وَشَّى اُلْمَهَارِقَ[(٥)] وَدَبَّجَ ، وَرَكِبَ مِنْ بَحْرِ اُلْبَلَاغَةِ اُلثَّبَجَ[(٦)] ، وَكَانَ هُوَ وَأَبُو عَامِرِ اُبْنُ شُهَيْدٍ خَلِيلَيْ صَفَاءٍ ، وَحَلِيفَيْ وَفَاءٍ ، لَا يَنْفَصِلَانِ فِي

(١) كان الأصل هكذا « وأبو حزم فقيه علم وأدب و نبيه » والأولى ما أثبتناه بدليل السياق ، فانه يثنى على بنى حـزم عامة ويخص من بينهم أبا المغيرة . والثنية المكان المرتفع ، والثنية من الجبـل مايحتاج فى قطعه وسلوكه الى صعود وحدور ـ شبههم بالثنية فى الشهرة والرفعة و نيلهم درجة لايصل اليها غيرهم الا بعناء ، وقال الشاعر :

اذا مارأونى طالعا من ثنية يقولون من هذا وقد عرفونى

ويجوز أن تكون « بنية » أى بناء أو بيت (٢) الذمار مايلزم الانسان حفظه وحياطته وحمايته ، وان ضيعه لزمه اللوم (٣) الرعيل: القطعة من الخيل أو الجيش وجماعة الفرسان (٤) الأجمة ومأوى الأسد (٥) المهارق جمع مهرق وهو الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، وهو فارسى معرب (٦) ثبج البحر : وسطه ومعظمه وأعلاه ، والثبج علو وسط البحر اذا تلاقت أمواجه،

رَوَاحٍ(١) وَلَا مَقِيلٍ ، وَلَا يَفْتَرِقَانِ كَمَالِكٍ وَعَقِيلٍ(٢) ، وَكَانَا بِقُرْطُبَةَ رَافِعَيْ أَلْوِيَةِ الصَّبْوَةِ ، وَعَامِرَيْ أَنْدِيَةِ السَّلْوَةِ ، إِلَى أَنِ اتُّخِذَ أَبُو عَامِرٍ فِي حِبَالَةِ الرَّدَى وَعَلِقَ ، وَغَدَا رَهْنُهُ فِيهَا وَغَلِقَ(٣) ، فَانْفَرَدَ أَبُو الْمُغِيرَةِ بِذَلِكَ الْمَيْدَانِ ، وَاسْتَرَدَّ

وأعالى الأمواج ، وفى حديث الزهرى : كنت اذا فاتحت عروة بن الزبير فتقت به ثبج بحر (١) فى الأصل « رواد » (٢) مالك وعقيل نديما جذيمة الأبرش، يضرب بهما المثل فى الملازمة وطول الاصطحاب ، وكان عمرو بن عدى ابن أخت جذيمة فقد زمانا، ثم ظفر به مالك وعقيل فعرفاه وأكرماه وقدمابه على جذيمة فجعلهما نديميه، ولم ينادمه أحد قبلهما، وكان يزعم أنه ليس فى الدنيا من يصلح لمادمته ذهابا بنفسه وفرط اعتداد بها . وفيهما يقول متمم بن نويرة فى رثاء أخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال آخر :

تقول أراه بعد عروة لاهيا ... وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبى أنى تناسيت عهده ... ولكن صبرى يا أميم جميل
ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا ... خليلا صفاء مالك وعقيل

ومن هنا أخذ صاحب المطمح عبارته . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٣) فى نسخة « وغدا رهنه فيها قد غلق » غلق الرهن : استحقه المرتهن وذلك اذا لم يفتك فى الوقت المشروط ، قال زهير يذكر امرأته :

وفارقتك برهن لافكاك له ... يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

وقال عمارة بن صفوان الضبى :

أجارتنا من يجتمع يتفرق ... ومن يك رهنا للحوادث يغلق

مِنْ سَبْقِهِ مَا فَاتَهُ مُنْذُ زَمَانٍ ، فَلَمْ تُذْكَرْ لَهُ مَعَ أَبِي عَامِرٍ حَسَنَةٌ ، وَلَا سَارَتْ[1] لَهُ فَقْرَةٌ «وَإِنْ كَانَتْ» مُسْتَحْسَنَةٌ ، لِتَعَذُّرِ ذَلِكَ وَامْتِنَاعِهِ ، بِشُفُوفِ[2] أَبِي عَامِرٍ وَامْتِدَادِ بَاعِهِ ، وَأَمَّا شِعْرُ أَبِي الْمُغِيرَةِ فَمُرْتَبِطٌ بِنَثْرِهِ ، وَمُخْتَلِطٌ زَهْرُهُ بِدُرِّهِ وَقَدْ أَثْبَتُّ لَهُ مِنْهُ فُنُونًا ، تُجَنُّ بِهَا الْأَفْهَامُ جُنُونًا ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

ظَعَنَتْ وَفِي أَحْدَاجِهَا مِنْ شَكْلِهَا
عِينٌ فَضَحْنَ بِحُسْنِهِنَّ الْعِينَا[3]
مَا أَنْصَفَتْ فِي جَنْبِ تُوضِحَ إِذْ قَرَتْ
ضَيْفَ الْوِدَادِ بَلَا بِلَا وَشُجُونَا[4]

(١) فى الأصل « سرت » (٢) الشفوف : الفضل والزيادة (٣) الأحداج جمع حدج وهو مركب للنساء نحو الهودج تركبه نساء الأعراب ، والعين جمع عيناء مؤنث أعين من العين وهو عظم سواد العين فى سعة ، والعين : بقر الوحش وهو صفة غالبة لها و بها شبهت النساء (٤) توضح اسم مكان وهو كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء ، أوقرية من قرى اليمامة ، وفيه يقول يحيى بن طالب الحنفى :

أيا أثلاث القاع من بطن توضح حنينى الى أفيائكن طويل
ويا أثلاث القاع قلبى موكل بكن ، وجدوى خيركن قليل

أَضْحَى ٱلْغَرَامُ قَطِينَ رَبْعِ فُؤَادِهِ
إِذْ لَمْ يَجِـدْ بِالرَّقْمَتَيْنِ قَطِينَا(١)

« وَلَهُ » :

لَمَّا رَأَيْتُ ٱلْهِـلاَلَ مُنْطَوِيًا
فِي غُرَّةِ ٱلْفَجْرِ قَارَنَ ٱلزُّهْرَهْ
شَبَّهْتُهُ وَٱلْعِيَانُ يَشْهَدُ لِي
بِصَوْلَجَانِ ٱنْثَنَى لِضَرْبِ كُرَهْ

انْتَهَى

وقرى الضيف: أضافه وقدم اليه الطعام ومايحتاج اليه — والبلابل جمع بلبال وهو شدة الهم والوساوس فى الصدر، تقول : متى أخطرتك بالبال وقعت فى بلبال . والشجون جمع شجن وهوالهم والحزن — هذا وأحفظ للأبيات رابعا وهو :

صن البدور بظل جثل فاحم   وغرسن فى كثبانهن غصونا

الجثل : الشعر الكثير الأسود الكثيف (١) الرقمتان موضع قرب البصرة وهما منزل مالك بن الريب المازنى، وفيهما يقول :

فلله درى يوم أترك طائعا   بنى بأعلى الرقمتين وماليا

وقد أكثر الشعراء من ذكرها والتغزل بساكناتهما، قال زهير :

ودار لهـا بالرقمتين كأنها   مراجيع وشم فى نواشر معصم

وقد جارى ابن حزم الأعراب فى شعرهم، وحذا حذوهم فى غزلهم، فجعل غادته وصواحبها يركبن الأهداج ، و يسكن توضح والرقمتين، لألفة هذه

***

أبو عامر أحمد الأشجعى

« وَأَبُو عَامِرِ بْنُ شُهَيْدٍ الْمَذْكُورُ قَالَ فِي حَقِّهِ مَا صُورَتُهُ »

الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ شُهَيْدٍ الْأَشْجَعِيُّ عَالِمٌ بِأَقْسَامِ الْبَلَاغَةِ وَمَعَانِيهَا، حَائِزٌ قَصَبَ السَّبْقِ فِيهَا ، لَا يُشْبِهُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَلَا يَنْسُقُ(١) مَا نَسَقَ

الأماكن والتبرك بذكرها ، ونحن الآن انما تصبينا كل هيفاء :

محلتهـا غـربى مصر وقصرها على النيل لا أكناف سلع ولا الهضب
وحلت بأكناف الزمالك روضة يروح ويغدو بين أرجائها الحب

وعسى أن يكن فى وفا. الأعرابيات بنات الفطرة والطبيعة وفى تصونهن « أحمد يوسف نجاتى » .

* ترجم له فى سلم الوصول « ج١ ص ٩٩ » بما يأتى :

أحمد بن عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد ابن عيسى المعروف بابن شهيد الأشجعى الأندلسى القرطبي .

المتوفى بها فى جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة عن أربع وأربعين سنة ، له رسائل ونظم ، وكان بارعا متفننا ، وبينه وبين ابن حزم مكاتبات وصنف كشف الدك وايضاح الشك ، والتوابع والزوابع ، وكتاب الحكايات والنوادر ، ذكره ابن خلكان نقلا عن ابن بسام .

(١) نسق الكلام : أتى به على نظام واحد من الحسن ، وأنسق المتكلم اذا تكلم سجعا ، واذا كان الكلام مسجعا قيل له نسق حسن . والتنسيق التنظيم ، وهذا كلام متناسق : حسن النظم جيد السياق

« أحمد يوسف نجاتى »

مِنْ دُرِّ ٱلْبيَانِ وجُمَانِهِ(١) ، تَوَغَّلَ(٢) فِي شِعَابِ ٱلْبَلاغَةِ وَطُرُقِهَا ، وَأَخَذَ عَلَى مُتَعَاطِيهَا مَا بَيْنَ مَغْرِبِهَا وَمَشْرِقِهَا ، لَا يُقَاوِمُهُ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ(٣) ؛ وَلَا تَرَاهُ يَغْتَرِفُ إِلَّا مِنْ بَحْرٍ ، مَعَ ٱنْطِبَاعٍ(٤) ، مَشَى فِي طَرِيقِهِ بِأَمَدِّ بَاعٍ(٥) ، وَلَهُ ٱلْحَسَبُ ٱلْمَشْهُورُ ، وَٱلْمَكَانُ ٱلَّذِي لَمْ يَعْدُهُ(٦) ظُهُورٌ ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ ٱلْوَضَّاحِ ، ٱلْمُتَقَلِّدِ تِلْكَ ٱلْمَفَاخِرَ وَٱلْأَوْضَاحَ(٧) ، وَصَاحِبِ ٱلضَّحَّاكِ يَوْمَ ٱلْمَرْجِ ، وَرَاكِبِ ذَلِكَ ٱلْهَرْجِ ،

(١) الجمان : اللؤلؤ (٢) توغل فى البلاد والمكان والعلم اذا ذهب و بالغ وسار فأبعد . والشعاب جمع شعب وهو فى الأصل الطريق فى الجبل ، أو ما انفرج بين الجبلين (٣) يريد به الجاحظ امام البلاغة المشهور (٤) يريد السهولة ومجىء الكلام عفو الطبع غير متكلف (٥) أمد أفعل تفضيل من مد ، أى أطول (٦) أى لم تتجاوزه شهرة (٧) الوضح فى الأصل بياض الصبح ، وقد يراد به مطلق الضوء والبياض ، و يطلق على الشية والغرة والتحجيل فى القوائم وهو هنا مستعار للأعمال المشهورة والخصال الكريمة الواضحة المعروفة . والوضاح جد أبى عامر بن شهيد هو الوضاح بن رزاح الذى كان مع الضحاك بن قيس الفهرى يوم مرج راهط . والوضاح هذا هو جد بنى وضاح الذين كانوا من أعيان أهل مرسية ، وهو من أشجع من قيس عيلان ابن مضر ، وأسر الوضاح بن رزاح فى يوم المرج ، ومن عليه مروان بن الحكم ، و واقعة مرج راهط مشهورة بين قيس وتغلب وكانت سنة ٦٥ﻫ وتقدم موجز القول فيها ، وانتهت بقتل الضحاك بن قيس واستقامة الأمر

وَأَبُو عَامِرٍ حَفِيدُهُ هَذَا مِنْ ذَلِكَ اُلنَّسَبِ ، وَنَبْعٌ(١) لَا يُرَاشُ إِلَّا مَعَ ذَلِكَ اُلْغَرَبِ(٢) ، وَقَدْ أَثْبَتُّ لَهُ مَا هُوَ بِالسِّحْرِ لَاحِقٌ ، وَلِنُورِ اُلْمَحَاسِنِ مَاحِقٌ « فَمِنْ ذَلِكَ » قَوْلُهُ :

إِنَّ اُلْكَرِيمَ إِذَا نَابَتْهُ مَخْمَصَةٌ
أَبْدَى إِلَى اُلنَّاسِ رِيًّا وَهْوَ ظَمْآنُ
يَحْنِي اُلضُّلُوعَ عَلَى مِثْلِ اُللَّظَى حُرَقًا
وَاُلْوَجْهُ غَمْرٌ بِمَاءِ اُلْبِشْرِ رَيَّانُ(٣)

لمروان ــ ومرج راهط موضع فى الغوطة من دمشق، وفى واقعة مرج راهط يقول زفر بن الحرث الكلابى من قصيدته الطويلة الشهيرة :

لعمرى لقد أبقت وقيعة راهط　　لمروان صدعا بيننا متنائيا

وقال ابراهيم بن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان:

أبوك غداة المرج أورثك العلى　　وخاض الوغى اذ سال بالموت راهط

هذا و راهط الذى ينسب اليه المرج رجل من قضاعة «أحمد يوسف نجاتى»

(١) النبع : شجر من أشجار الجبال رزين العود صلب، كانوا يتخذون منه القسى الجيدة ، قال أبو حنيفة: وكل القسى اذا ضمت الى قوس النبع كرمتها قوس النبع لأنها أجمع القسى للشدة واللين، ولايكون العود كريما حتى يكون كذلك ، وتتخذ السهام من أغصانه (٢) فى الأصل «الزغب» وفى المطمح «الغرب» وهو المناسب ، و راش السهم ألزق عليه الريش ــ والغرب شجر صلب تسوى منه الأقداح ، وهو من أكرم الأعواد كالنبع قال الشاعر :

لما بعدت عجمت الصبر أخبره　　فلم أجد عوده نبعا ولا غربا

يريد صاحب المطمح أن ابن شهيد فرع كريم كأصله، وأن هذا الشبل من ذاك الأسد (٣) المخمصة : الجوع ــ والغمر المملوء ، والبيتان فى معنى

وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ ٱلشَّرِيفِ ٱلرَّضِيِّ :

مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَعْشَرٍ صَبَرُوا
عِزًّا عَلَى ٱلْأَزَلَاتِ وَٱلْأَزْمِ (١)

بَسَطُوا ٱلْوُجُوهَ وَبَيْنَ أَضْلُعِهِمْ
حَرُّ ٱلْجَوَى وَمَآلِمُ ٱلْكَلْمِ (٢)

قوله تعالى : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » يقول ان الكريم اذا افتقر كتم عن الناس سوء حاله، وأظهر لهم التجمل وحسن الحال حتى لايتوهم أحد أنه يريد سؤاله اذا أظهر له سوء ماهو عليه، فهو يضمر فى نفسه شدته و يكتمها ، ولكنه يظهر للناس ذا غبطة طلق الوجه ضاحك الثغر :

يبسم الثغر غير أن فؤادى يعلم الله كل ماهو فيه

والقول فى هذا المعنى كثير متداول. وعجز البيت فى بعض المراجع : أبدى الى الناس شبعا وهو طيان، والطيان الجائع والطوى الجوع «أحمد يوسف نجاتى»

(١) عجز البيت فى الديوان « لقوارع اللزبات والأزم » واللزبة: الشدة والقحط ،واللزب الضيق والجدب ، والأزل أيضا الضيق والشدة والقحط وأزم عليهم العام أزما وأزوما اذا اشتد قحطه وقل خيره ، وسنة آزمة وأزومة: مجدبة شديدة القحط والمحل (٢) فى الديوان« حرق الجوى . . » والجوى الحرقة وشدة الوجد والحزن، ومآلم جمع مألم أى ألم ووجع، والكلم الجرح ، مستعار هنا لنوائب الدهر وشدائد الأيام ، و بعد هذين البيتين ثالث وهو :

جمحت بهم خيل الأسى فثنوا أعناقها بأعنة الحزم

وَلَهُ أَيْضًا :

كَلِفْتُ بِالْحُبِّ حَتَّى لَوْ دَنَا أَجَلِي
لَمَا وَجَدْتُ لِطَعْمِ الْمَوْتِ مِنْ أَلَمِ
كِلَا النَّدَى وَالْهَوَى قِدْمًا وَلِعْتُ بِهِ
وَيْلِي مِنَ الْحُبِّ أَوْ وَيْلِي مِنَ الْكَرَمِ (١)

***

الوزير أبو الحسين ابن سراج

« وَأَخْبَرَنِي » الْوَزِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سِرَاجٍ (٢) - وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرِ بْنِ شُهَيْدٍ ، وَكَانَ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي مَدَى غَايَةِ الْبَيَانِ ، وَمِنَ الْفَصَاحَةِ فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ التِّبْيَانِ ، وَكُنَّا نَحْضُرُ مَجْلِسَ شَرَابِهِ ، وَلَا نَغِيبُ عَنْ بَابِهِ ، وَكَانَ لَهُ بِبَابِ الصَّوْمَعَةِ مِنَ الْجَامِعِ مَوْضِعٌ لَا يُفَارِقُهُ أَكْثَرَ

(١) تقدم شرحهما ، وفى نسخة « ألمت بالحب » بدل « كلفت » (٢) فى الأصل : أبو الحسن بن سراج الدين ، هذا ورأيت فى بعض المراجع أصل العبارة هكذا : وأخبرنى الوزير أبو الحسين بن سراج أن منزل الوزير أبى عامر بن شهيد كان منتدى الأعيان ، ومسرى البيان ، وكان كل شاعر أو كاتب ، منه ما بين صلة أو راتب ، وكانوا يحضرون مجلس شرابه ، ولا ينفصلون ساعة عن بابه ، الخ وفى المطمح : أبو الحسين بن سراج ، وهو المعروف ، يريد الوزير الأستاذ أبا الحسين سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج القرطبي الأديب اللغوى الشاعر الرقيق ، كان مع علو جاهه حسن الخلق كامل المروءة

نَهَارِهِ ، وَلَا يُخْلِيهِ مِنْ نَثْرِ دُرَرِهِ وَأَزْهَارِهِ ، فَقَعَدَ فِيهِ لَيْلَةَ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ فِي لُمَّةٍ(١) مِنْ إِخْوَانِهِ ، وَأَئِمَّةِ سُلْوَانِهِ ، وَقَدْ حَفُّوا بِهِ ، لِيَقْتَطِفُوا نُخَبَ(٢) أَدَبِهِ وَهُوَ يَخْلِطُ لَهُمُ الْجِدَّ بِهَزْلٍ ، وَلَا يُفْرِطُ فِي انْبِسَاطٍ مُشْتَهِرٍ وَلَا انْقِبَاضٍ جَزْلٍ ، وَإِذَا بِجَارِيَةٍ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ قُرْطُبَةَ مَعَهَا مِنْ جَوَارِيهَا، مَنْ يَسْتُرُهَا وَيُوَارِيهَا ، وَهِيَ تَرْتَادُ مَوْضِعاً لِمُنَاجَاةِ رَبِّهَا ، وَتَبْتَغِي مَنْزِلًا لِاسْتِغْفَارِ ذَنْبِهَا، وَهِيَ مُتَنَقِّبَةٌ ، خَائِفَةٌ مِمَّنْ يَرْمُقُهَا مُتَرَقِّبَةٌ ، وَأَمَامَهَا طِفْلٌ لَهَا كَأَنَّهُ غُصْنُ آسٍ ، أَوْ ظَبْيٌ يَمْرَحُ(٣) فِي كِنَاسٍ ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُهَا عَلَى أَبِي عَامِرٍ وَلَّتْ سَرِيعَةً ، وَتَوَلَّتْ مَرُوعَةً(٤) ، خِيفَةَ أَنْ

وبيت سراج بيت وزارة ونباهة وعلم وأدب وفضل ، وقد سبقت لنا كلمة فى هذه الأسرة فارجع اليها ، وتوفى الوزير أبو الحسين فى جمادى الآخرة سنة ٥٠٨ وكان مولده سنة ٤٣٩ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) لمة الرجل: أصحابه واخوانه ومن يأنس اليهم (٢) فى الأصل « ليقطعوا تحت » وقد أثبتنا مافى المطمح فهو أظهر ، والنخبة من الشيء مختاره وجمعه نخب (٣) مرح : تبختر ونشط واختال ، والمرح أيضا: الفرح والتوسع فيه حتى يجاوز قدره . والكناس مأوى الظبي وحيث يستقر فى الشجر (٤) أى خائفة « أحمد يوسف نجاتى »

يُشَبِّبَ[1] بِهَا ، أَوْ يُشْهِرَهَا بِاسْمِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَهَا ، قَالَ قَوْلًا فَضَحَهَا بِهِ وَشَهَرَهَا :

وَنَاظِرَةٍ تَحْتَ طَيِّ ٱلْقِنَاعِ
دَعَاهَا إِلَى ٱللَّهِ بِالْخَيْرِ دَاعِي
سَعَتْ خِفْيَةً تَبْتَغِي مَنْزِلًا
لِوَصْلِ ٱلتَّبَتُّلِ وَٱلْإِنقِطَاعِ [2]
فَجَاءَتْ تَهَادَى كَمِثْلِ ٱلرَّءُومِ
تُرَاعِي غَزَالًا بِرَوْضِ ٱلْبِقَاعِ [3]

(١) شبب بالمرأة تغزل: بها وذكرها في شعره (٢) التبتل : الانقطاع الى الله قال تعالى : « وتبتل اليه تبتيلا » ومنه البتول وهي المرأة المنقطعة عن الرجال لارغبة لها فيهم ، و به سميت السيدة مريم العذراء ــ والبتول أيضا المنقطعة عن الدنيا الى الله تعالى (٣) تهادى أصله تتهادى ، وتهادت المرأة: تمايلت في مشيتها اعجابا ودلالا . والرءوم الأم ترأم ولدها أي تعطف عليه وتلازمه وتحبه ــ وهذا البيت ليس في المطمح لتكرار كلمة البقاع قافية فيه مع مابعده ، فلعلها مصحفة عن «اليفاع» وهو المرتفع من الأرض كالربوة . أو يكون « للبقاع » الأول معنى آخر حتى يستقيم النظم و يخلو من الايطاء المعيب، فيجوز أن يكون جمع «بقعة» بفتح الباء وهي المكان يستنقع فيه الماء ــ أما البقاع في البيت الثاني فجمع بقعة «وقد تفتح الباء» وهي القطعة من الأرض على غير هيئة القطعة التي الى جنبها ، وقد يطلق على مطلق القطعة . ويروى « تناغي » بدل « تراعي » وناغى المرأة

وَجَالَتْ بِمَوْضِعِنَا جَـوْلَةً
فَحَلَّ ٱلرَّبِيعُ بِتِلْكَ ٱلْبِقَاعِ
أَتَتْنَا تَبَخْـتَرُ فِي مَشْيِهَا
فَحَلَّتْ بِوَادٍ كَثِيرِ ٱلسِّبَاعِ (١)
وَرِيعَتْ حِذَارًا عَلَى طِفْلِهَا
فَنَادَيْتُ : يَا هَـذِهِ لَا تُرَاعِي
غَزَالُكِ تَفْرَقُ مِنْـهُ ٱللُّيُوثُ
وَتَفْزَعُ مِنْهُ كُمَاةُ ٱلْمَصَاعِ (٢)

اذا داناها أو غازلها ولاطفها. والمناغاة أيضا تكليمك الصبي بما يهواه .قال :

ولم يك فى بؤس اذا بات ليلة　　يناغي غزالا فاتر الطرف أكحلا

وناغت الأم صبيها لاطفته وشاغلته . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) أراد بالسباع هؤلاء اللمة من الأدباء ، الذين يفتنهم مثل هذه الغادة الهيفاء ، فتكاد عيونهم تكون نطاقا لخصرها ، وتكاد أحداقهم تنهبها بنظراتها (٢) الفرق: الخوف والفزع، والكماة جمع كمى وهو الشجاع يتكمى فى سلاحه أى يتغطى. وصاع فلانا خوفه وأفزعه، فانصاع : خاف ونكص. وصاع الكمى أقرانه اذا حازهم من نواحيهم، وحمل عليهم ففرق جمعهم — وصاع القوم: حمل بعضهم على بعض . ومصع فلانا:ضربه بالسيف وماصعوا مصاعا اذا قاتلوا وجالدوا بالسيوف. وتماصعوا : تضاربوا — ويروى « وتنصاع » بدل « وتفزع ». « أحمد يوسف نجاتى »

فَوَلَّتْ وَلِلْمِسْكِ فِي ذَيْلِهَا
عَلَى ٱلْأَرْضِ خَطٌّ كَظَهْرِ ٱلشُّجَاعِ [١]

انْتَهَى ٱلْمَقْصُودُ مِنْهُ .

« رَجْعٌ » وَمِمَّا يَنْخَرِطُ فِي سِلْكِ أَخْبَارِ ٱلزَّهْرَاءِ مَا حَكَاهُ ٱلْفَتْحُ فِي تَرْجَمَةِ ٱلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي ٱلْوَزِيرُ أَحْمَدُ بْنُ سِرَاجٍ [٢] أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ ٱلْوُزَرَاءِ وَٱلْكُتَّابِ بِالزَّهْرَاءِ فِي يَوْمٍ قَدْ غَفَلَ عَنْهُ ٱلدَّهْرُ فَلَمْ يَرْمُقْهُ [٣] بِطَرْفٍ ، وَلَمْ يَطْرُقْهُ بِصَرْفٍ [٤] ، أَرْخَتْ [٥] بِهِ ٱلْمَسَرَّاتُ عَهْدَهَا ، وَأَبْرَزَتْ لَهُ ٱلْأَمَانِيُّ خَدَّهَا وَنَهْدَهَا [٦] ، وَأَرْشَفَتْ فِيهِ لَمَاهَا [٧] ، وَأَبَاحَتْ لِلزَّائِرِينَ حِمَاهَا ، وَمَا زَالُوا يَتَنَقَّلُونَ مِنْ قَصْرٍ إِلَى قَصْرٍ ، وَيَبْتَذِلُونَ ٱلْغُصُونَ بِجَنًى وَهَصْرٍ [٨] ،

---

(١) الشجاع : الحية أوضرب منها دقيق (٢) فى قلائد العقيان : وأخبرنى الوزير الفقيه أبو الحسن بن سراج (٣) رمقه : نظره ولحظه (٤) صرف الدهر حدثانه ونوائبه لأنه يصرف الأشياء عن وجوهها (٥) قد يكون « أوفت » (٦) يعنى برزت له الأمانى والآمال فى أحسن مناظرها وأجمل هيئاتها فنال منها أطيب مايصبو اليه (٧) اللمى سمرة فى الشفه كانوا يستحسنونها ، فهو ألمى وهى لمياء ، ولثة لمياء أيضا اذا كانت رقيقة (٨) ابتذل الشئ: أهانه بالاستعمال ، ضد صان ، وهصر الغصن أدناه اليه وأماله : والانهصار والاهتصار: سقوط الغصن على الغصن

وَيَتَوَقَّلُونَ (١) فِي تِلْكَ ٱلْغُرُفَاتِ ، وَيَتَعَاطَوْنَ ٱلْكُؤُوسَ بَيْنَ تِلْكَ ٱلشُّرُفَاتِ (٢) ، حَتَّى ٱسْتَقَرُّوا بِالرَّوْضِ مِنْ بَعْدِ مَا قَضَوْا مِنْ تِلْكَ ٱلْآثَارِ أَوْطَارًا ، وَأَوْقَرُوا (٣) بِالِاعْتِبَارِ قِطَارًا ، فَحَلُّوا مِنْهُ فِي دَرَانِكِ (٤) رَبِيعٍ مُفَوَّفَةٍ بِالْأَزْهَارِ ، مُطَرَّزَةٍ بِالْجَدَاوِلِ وَٱلْأَنْهَارِ ، وَٱلْغُصُونُ تَخْتَالُ فِي أَدْوَاحِهَا (٥) ، وَتَتَثَنَّى فِي أَكُفِّ أَرْوَاحِهَا (٦) ، وَآثَارُ ٱلدِّيَارِ قَدْ أَشْرَفَتْ عَلَيْهِمْ كَثَكَالَى يَنُحْنَ عَلَى خَرَابِهَا ، وَٱنْقِرَاضِ أَتْرَابِهَا وَأَطْرَابِهَا ، وَٱلْوَهَى (٧) بِمَشِيدِهَا لَاعِبٌ ، وَعَلَى كُلِّ جِدَارٍ غُرَابٌ نَاعِبٌ ، وَقَدْ مَحَتِ ٱلْحَوَادِثُ ضِيَاءَهَا ، وَقَلَّصَتْ (٨) ظِلَالَهَا وَأَفْيَاءَهَا ، وَطَالَمَا أَشْرَقَتْ بِالْخَلَائِفِ (٩) وَٱبْتَهَجَتْ ،

---

(١) توقل فى الجبل ونحوه اذا صعد فيه وعلا ، والتوقل أيضا : الاسراع فى الصعود ، وفلان يتوقل مصاعد الشرف اذا أسرع فى الارتقاء اليهـا . (٢) الشرفات التى تعلو المنازل من الأمام وتطل على الطريق أوعلى ساحة الدار « البلكونات » (٣) أوقره : أثقله وحمله (٤) جمع درنوك وهو ضرب من البسط ذو خمل، وكانوا يشبهون به فروة البعير والأسد ، وكذا « الدرنيك » والدرنك ، وبرد مفوف: رقيق موشى ذو خطوط ونقش. وفى الأصل « محفوفة » بدل « مفوفة » (٥) الدوحة الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة ، وجمعها دوح وأدواح (٦) جمع ريح (٧) الضعف والخراب (٨) جمعته وقبضته «كناية عن تهدمها» (٩) جمع خليفة

وَفَاحَتْ مِنْ شَذَاهُمْ وَتَأَرَّجَتْ ، أَيَّامَ نَزَلُوا خِلَالَهَا ، وَتَفَيَّئُوا ظِلَالَهَا ، وَعَمَرُوا حَدَائِقَهَا وَجَنَّاتِهَا ، وَنَبَّهُوا الْآمَالَ مِنْ سِنَاتِهَا[1] ، وَرَاعُوا اللُّيُوثَ فِي آجَامِهَا[2] ، وَأَخْجَلُوا الْغُيُوثَ عِنْدَ انْسِجَامِهَا[3] ، فَأَضْحَتْ وَلَهَا بِالتَّدَاعِي تَلَفُّعٌ وَاعْتِجَارٌ[4] ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِهَا إِلَّا نُؤْيٌ[5] وَأَحْجَارٌ ، قَدْ وَهَتْ قِبَابُهَا ، وَهَرِمَ شَبَابُهَا ، وَقَدْ يَلِينُ الْحَدِيدُ ، وَيَبْلَى عَلَى طَيِّهِ الْجَدِيدُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَعَاطَوْنَهَا صِغَارًا وَكِبَارًا ، وَيُدِيرُونَهَا أُنْسًا وَاعْتِبَارًا ، إِذَا بِرَسُولِ الْمُعْتَمِدِ قَدْ وَافَاهُمْ بِرُقْعَةٍ فِيهَا :

***

رقعة المعتمد

حَسَدَ الْقَصْرُ فِيكُمُ الزَّهْرَاءَ
وَلَعَمْرِي وَعَمْرُكُمْ مَا أَسَاءَ

---

(١) السنة النوم (٢) جمع أجمة وهى الغابة مأوى الأسد (٣) انسجم الغيث: توالى هطله وانسكابه (٤) التداعى: السقوط والانهيار ، وتلفعت المرأة اذا لبست كساءها « الأسود » واللفاع: الرداء ، وكل مايتلفع به من رداء أولحاف أو قناع يخلل به الجسد كله ، والاعتجار: لى الثوب على الرأس ، ولبسة للمرأة شبه الالتحاف — والغرض أن التداعى قد شملها والانهيار قد عمها وسرى فى كل أجزائها (٥) النؤى: الحفير تحت الخباء أو الخيمة يمنع السيل .

قَدْ طَلَعْتُمْ بِهَا شُمُوسًا صَبَاحًا

فَاطْلُعُوا عِنْـدَنَا بُدُورًا مَسَاءَ

فَسَارُوا إِلَى قَصْرِ الْبُسْتَانِ بِبَابِ الْعَطَّارِينَ(١) فَأَلْفَوْا مَجْلِسًا قَدْ حَارَ فِيهِ الْوَصْفُ ، وَاحْتَشَدَ فِيهِ اللَّهْوُ وَالْقَصْفُ(٢) ، وَتَوَقَّدَتْ نُجُومُ مُدَامِهِ ، وَتَأَوَّدَتْ قُدُودُ(٣) خُدَّامِهِ ، وَأَرْبَى عَلَى الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ ، وَأَبْدَى صَفْحَةَ الْبَـدْرِ مِنْ أَزْرَارِ الْمُدِيرِ(٤) ، فَأَقَامُوا لَيْلَتَهُمْ مَا عَرَاهُمْ نَوْمٌ ، وَلَا

---

(١) من أبواب قرطبة ، وعنده كان يسكن أبو محمد قاسم بن موسى بن يونس بن موسى الضبى - و بقربه كان مسجد النخيلة ، وفيه نزل أبو محمد مكى بن أبى طالب القيسى المقرى القير وانى أول قدومه الى قرطبة فأقرأ به ثم نقله المظفر عبد الملك بن أبى عامر الى جامع الزاهرة ، وتوفى سنة ٤٣٧ « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) احتشد: اجتمع ، والقصف هنا معناه اللهو واللعب والحلبة والاعلان بهما ، وفى الأساس هو الرقص مع الحلبة ، مأخـوذ من قصف العيـدان الصغيرة أى كسرها ، ورعد قاصف فى صوته تـكسر ، ومنه قيل لصوت المعازف قصف ، ثم تجوز به المولدون فى كل لهو ، ولعفيف الدين التلمسانى يصف البان :

تبسم زهر البان عن طيب نشره وأقبل فى حسن يجل عن الوصف

هلمـوا اليـه بين قصف ولذة فان غصون البان تصلح للقصف

(٣) تأودت : تثنت وتمايلت كغصون البان (٤) أى مدير الـكاس والساقى

كأنما الشمس من لباته طلعت حسنا أو البدر من أزراره طلعا

عَدَاهُمْ عَنْ طِيبِ اللَّذَّاتِ سَوْمٌ [١] ، وَكَانَتْ قُرْطُبَةُ مُنْتَهَى أَمَلِهِ ، وَكَانَ رَوْمُ أَمْرِهَا أَشْهَى عَمَلِهِ ، وَمَا زَالَ يَخْطُبُهَا بِمُدَاخَلَةِ أَهْلِيهَا ، وَمُوَاصَلَةِ وَالِيهَا ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي مُنَازَلَتِهَا قَائِدٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا إِلَّا حِيَلٌ وَمَكَايِدُ ، لِاسْتِمْسَاكِهِمْ بِدَعْوَةِ خُلَفَائِهَا ، وَأَنَفَتِهِمْ مِنْ طُمُوسِ رُسُومِ الْخِلَافَةِ وَعَفَائِهَا [٢] ، وَحِينَ اتَّفَقَ لَهُ تَمَلُّكُهَا ، وَأَطْلَعَهُ فَلَكُهَا ، وَحَصَلَ فِي قُطْبِ دَارَتِهَا [٣] ، وَوَصَلَ إِلَى تَدْبِيرِ رِيَاسَتِهَا وَإِدَارَتِهَا ، قَالَ :

مَنْ لِلْمُلُوكِ بِشَأْوِ الْأَصْيَدِ الْبَطَلِ

هَيْهَاتَ جَاءَتْكُمُ مَهْدِيَّةُ الدُّوَلِ [٤]

وفى معنى ماهنا قول الشاعر :

وأسكر القوم دور كأس   وكان سكرى من المدير

وصفحة البدر وجهه وعرضه وجانبه (١) أصل السوم فى المبايعة عرض السلعة على البيع ، وسام بها سوما اذا غالى ، والسوم أيضا سرعة المر ، وسامت الماشية سوما : رعت حيث شاءت، وسام فلانا الأمر سوما كلفه اياه، وعداه عن الشىء : صرفه ومنعه . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) طمس الرسم وعفا اذا درس وامحى وزال أثره (٣) الدارة: ماأحاط بالشىء كالدائرة ، وهالة القمر التى حوله (٤) الشأو : السبق والغاية والأمد: والأصيد الملك ذو القوة والبذخ، وفى الأصل « مهدية الأول » وفى بعض

خَطبْتُ قُرْطُبَةَ اُلْحسْنَاءَ إِذْ مَنَعَتْ
مَنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا بِالْبِيضِ وَاُلْأَسَلِ (١)
وَكَمْ غَدَتْ عَاطِلًا حَتَّى عَرَضْتُ لَهَا
فَأَصْبَحَتْ فِي سَرِيِّ اُلْحَلْيِ وَاُلْحُلَلِ (٢)
عُرْسُ اُلْمُلُوكِ لَنَا فِي قَصْرِهَا عُرُسٌ
كُلُّ اُلْمُلُوكِ بِهِ فِي مَأْتَمِ اُلْوَجَلِ (٣)

المراجع «مهرية الدول» (١) البيض السيوف، والأسل الرماح (٢) العاطل المرأة يخلو جيدها من الحلى، والشيء السرى النفيس الثمين (٣) العرس «بضم العين وسكون الراء وضمها» وليمة الاملاك والزفاف والاحتفال بهما أو طعامه خاصة ــ والعرس أيضا جمع عروس. واسم من الاعراس وهو الدخول بالعروس ــ هذا والبيت فى كل الأصول والمراجع كما ترى، وقد تكون «عرس» أول البيت مصحفة عن «عــرش» يعنى أن عرش الملوك الذين كانوا بقرطبة من قبل أصبح للمعتمد عرسا سارا له جارا على غيره من الملوك الوجل، فهو فى عرس وهم فى مأتم لخــوفهم على عروشهم أن يثلها ويستوى عليها، وان بقيت «عرس» كما هى فاكسر عينها مريدا بها قرطبة نفسها جعلت عرسا للملوك لأنها كانت أبهى مدائن الأندلس، ثم أخبر بأن له فى قصرها عرائس أو اعراسا وزفافا «وهذا أظهر على ما أرى» أو ضمها والمعنى قريب من المكسورة، وهذا كله جناية الولوع بالبديع والجناس، وان كان الخطب سهلا. و «به» فى عجز البيت: يروى: لها، ويروى «بها». «أحمد يوسف نجاتى».

فَرَاقِبُوا عَنْ قَرِيبٍ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ
هُجُومَ لَيْثٍ بِدِرْعِ الْبَأْسِ مُشْتَمِلِ

وَلَمَّا انْتَظَمَتْ فِي سِلْكِهِ ، وَاتَّسَمَتْ بِمُلْكِهِ ، أَعْطَى ابْنَهُ الظَّافِرَ زِمَامَهَا ، وَوَلَّاهُ نَقْضَهَا وَإِبْرَامَهَا ، فَأَفَاضَ فِيهَا نَدَاهُ ، وَزَادَ عَلَى أَمَدِهِ وَمَدَاهُ ، وَجَمَّلَهَا بِكَثْرَةِ حِبَائِهِ[1] ، وَاسْتَقَلَّ بِأَعْبَائِهَا عَلَى فَتَائِهِ[2] ، وَلَمْ يَزَلْ فِيهَا آمِرًا وَنَاهِيًا ، غَافِلًا عَنِ الْمَكْرِ سَاهِيًا ، حُسْنَ ظَنٍّ بِأَهْلِهَا اعْتَقَدَهُ ، وَاغْتِرَارًا بِهِمْ مَارَوَّاهُ وَلَا انْتَقَدَهُ ، وَهَيْهَاتَ كَمْ مِنْ مَلِكٍ كَفَنُوهُ فِي دِمَائِهِ ، وَدَفَنُوهُ بِذَمَائِهِ[3] ، وَكَمْ مِنْ عَرْشٍ ثَلُّوهُ[4] ، وَكَمْ مِنْ عَزِيزِ مُلْكٍ أَذَلُّوهُ ، إِلَى أَنْ ثَارَ فِيهَا ابْنُ عُكَّاشَةَ[5]

(١) الحباء : العطاء (٢) استقل بالشيء اذا نهض به وقوى على حمله والاضطلاع بأموره ، والفتاء حداثة السن والشباب (٣) الذماء بقية النفس، و بقية الرو ح فى المذبوح (٤) هدموه وقوضوه ، والجملة كناية عن ازالة الملك كما قال الشاعر :

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحرث بن شهاب

وفى الأصل « فلوه » مصحفة (٥) خلاصة هذه الحادثة « وقد تقدمت » ان المعتمد بن عباد كان قد اتسع ملكه وشمخ سلطانه، وملك كثيرا من بلاد الأندلس ومنها قرطبة، و ولى عليها ابنه الظافر بالله، فبلغ خبر ملكه لها الى الأمير المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة فحسده عليها، فضمن

لَيْلًا ، وَجَرَّ إِلَيْهَا حَرْباً وَوَيْلًا ، فَبَرَزَ الظَّافِرُ مُنْفَرِدًا عَنْ كُمَاتِهِ ، عَارِياً مِنْ حُمَاتِهِ ، وَسَيْفُهُ فِي يَمِينِهِ « وَهَادِيهِ فِي الظَّلْمَاءِ نُورُ جَبِينِهِ » فَإِنَّهُ كَانَ غُلَامًا قَدْ بَلَّلَهُ الشَّبَابُ بِأَنْدَائِهِ ، وَأَلْحَفَهُ الْحُسْنُ بِرِدَائِهِ ، فَدَافَعَهُمْ أَكْثَرَ لَيْلِهِ ، وَقَدْ مَنَعَ مِنْهُ تَلَاحُقَ رَجْلِهِ وَخَيْلِهِ ، حَتَّى أَمْكَنَتْهُمْ مِنْهُ

له جرير بن عكاشة « أو موسى » ابن عكاشة « وأصله من البربر » أن يجعل ملكها له — وكان ابن عكاشة قبل ذلك متغلبا على قرطبة فغلبه عليها الأمير الظافر أبو القاسم محمد بن عباد سنة ٤٧١ — وسار الى قرطبة وأقام بها يسعى فى ذلك وهو ينتهز الفرصة ، فاتفق فى بعض الليالى أن هطل مطر عظيم ومعه ريح شديدة ورعد وبرق ، فثار جرير بن عكاشة فيمن معه ووصل الى قصر الامارة فلم يجد من يمانعه ، فدخل صاحب الباب الى الظافر وأعلمه ، فخرج بمن معه من العبيد والحرس — وكان صغير السن — وحمل عليهم ودفعهم عن الباب ، ثم انه عثر فى بعض كرانه فسقط فوثب عليه بعض من يقاتله وقتله ، ولم يبلغ الخبر الى الأجناد وأهل البلد الا والقصر قد ملك ، وتلاحق بابن عكاشة أصحابه وأشياعه ، وترك الظافر طريحا على الأرض وهو عريان ، فمر عليه بعض أهل قرطبة فأبصره على تلك الحال ، فنزع عنه رداءه وألقاه عليه ، ولم يزل المعتمد يسعى فى أخذها حتى أعاد ملكها وترك ولده المأمون فيها ، فأقام بها حتى استولى عليها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٤ وأخذت اشبيلية من أبيه المعتمد ، وبقى محبوسا فى أغمات الى أن توفى بها سنة ٤٨٨ . وكان رحمه الله تعالى هو وأولاده جميعا الرشيد والمأمون والراضى وأبوه وجده علماء أدباء فضلاء شعراء «أحمد يوسف نجاتى»

عَثْرَةً لَمْ يُقَلْ لَهَا لَعًا(١) ، وَلَا اُسْتَقَالَ مِنْهَا وَلَا سَعَى ، فَتُرِكَ مُلْتَحِفاً بِالظَّلْمَاءِ ، تَحْتَ نُجُومِ اُلسَّمَاءِ ، مُعَفَّرًا فِي وَسَطِ اُلْحِمَاءِ(٢) تَحْرُسُهُ اُلْكَوَاكِبُ ، بَعْدَ اُلْمَوَاكِبِ(٣) ، وَيَسْتُرُهُ اُلْحِنْدِسُ(٤) ، بَعْدَ اُلسُّنْدُسِ ، فَمَرَّ بِمَصْرَعِهِ سَحَرًا أَحَدُ أَئِمَّةِ اُلْجَامِعِ اُلْمُغَلِّسِينَ(٥) فَرَآهُ وَقَدْ ذَهَبَ مَا كَانَ عَلَيْهِ وَمَضَى ، وَهُوَ أَعْرَى مِنَ اُلْحُسَامِ اُلْمُنْتَضَى(٦) ، فَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ وَنَضَاهُ(٧) ، وَسَتَرَهُ بِهِ سَتْرًا أَقْنَعَ اُلْمَجْدَ(٨) وَأَرْضَاهُ ، وَأَصْبَحَ لَا يُعْلَمُ رَبُّ تِلْكَ اُلصَّنِيعَةِ ، وَلَا يُعْرَفُ فَتُشْكَرَ لَهُ يَدُهُ اُلرَّفِيعَةُ ، فَكَانَ اُلْمُعْتَمِدُ إِذَا تَذَكَّرَ صَرْعَتَهُ ، وَسَعَّرَ(٩) اُلْحُزْنُ لَوْعَتَهُ ، رَفَعَ بِالْعَوِيلِ

---

(١) يقال للعاثر : لعالك ، دعاء له بأن ينتعش من سقطته ، فاذادعى عليه قيل : لالعاله أى لا أقاله اللهولاأنهضه ،وفى بعض النسخ « استقل » أى نهض ، واستقال طلب الاقالة (٢) جمع حمأة وهى الطين الأسود « وفى الأصل « أكماء » (٣) جمع موكب وهو الجماعة من الناس ركبانا أومشاة أوجماعة الفرسانللزينةوالتنزه(٤)الليل المظلم الشديدالظلمة أوالظلمة نفسها (٥) غلس اذا صار بالغلس وهو ظلمة آخر الليلاذا اختلطت بضوءالصباح (٦) انتضى السيف اذا استله من غمده (٧)نضا ثوبه عنه اذا نزعه (٨)فى الأصل « المجدب » وهى زيادة مفسدة (٩) سعر النار أوقدها وهيجها واللوعة حرقة فى القلب وألم يشعر به الانسان من نحوهمأوحزن أومرض

نِدَاءَهُ ، وَأَنْشَدَ :

* وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ(١) *

والعويل رفع الصوت بالبكاء والصياح ، « وقد يكون العويل حرارة وجد الحزين من غير نداء ولا بكاء ، وقد يكون صوتا من غير بكاء »(١) هذا صدر بيت من أبيات لأبى خراش الهذلى ، وهو :

ولم أدر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض

وأبو خراش هو خويلد بن مرة شاعر فحل مخضرم، أدرك الجاهلية والاسلام فأسلم، وتوفى فى خلافة عمر بن الخطاب، وكان بنو كنانة قد أسروا عروة ابن مرة أخا أبى خراش ، فسعى أبو خراش حتى أطلق ، ثم خرج عروة وخراش بن أبى خراش مرة فى جماعة مغيرين على بنى ثمالة طمعا أن يظفروا من أموالهم بشئ ، فظفر بهما الثماليون ، واختلفت بطون ثمالة فأما بنو رزام فنهوا عن قتلهما، وأبى بنو بلال الا قتلهما، حتى كاد يكون بينهم شر ، فألقى رجل من القوم ثوبه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ثم قال له انج بنفسك، وانحرف القوم بعد قتلهم عروة إلى الرجل وكانوا قد أسلموه اليه فقالوا له: أين خراش؟ فقال: أفلت منى، فذهب فسعى القوم فى أثره فأعجزهم، فقال أبو خراش فى ذلك يرثى أخاه عروة، ويذكر خلاص ابنه:

حمدت الهى بعد عروة اذ نجا خراش، وبعض الشر أهون من بعض
فو الله لاأنسى قتيلا رزئته بجانب قوسى ماحييت على الأرض
بلى ، انها تعفو الكلوم ، وانما نوكل بالأدنى وان جل مايمضى
ولم أدر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض
ولم يك مثلوج الفؤاد مهبلا أضاع الشباب فى الربيلة والخفض
ولكنه قد نازعته مجاوع على أنه ذو مرة صادق النهض

«قوسى» بلد بالسراة به قتل عروة أخو أبى خراش ، والمثلوج الفؤاد: البليد والمهبل ، من يدعى عليه بالهبل أى بالفقد والهلاك لقلة غنائه ، والربيلة السمن والخفض والدعة والنعمة ، ويروى « مهيجا » بدل مهبلا ، والمرة

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حُزَّ رَأْسُهُ وَرُفِعَ عَلَى سِنِّ رُمْحٍ وَهُوَ يُشْرِقُ كَنَارٍ عَلَى عَلَمٍ ، وَيَرْشُقُ نَفْسَ كُلِّ نَاظِرٍ بِأَلَمٍ ، فَلَمَّا رَمَقَتْهُ الْأَبْصَارُ ، وَتَحَقَّقَتْهُ الْحُمَاةُ وَالْأَنْصَارُ ، رَمَوْا أَسْلِحَتَهُمْ ، وَسَوَّوْا لِلْفِرَارِ أَجْنِحَتَهُمْ ، فَمِنْهُمْ مَنِ اخْتَارَ فِرَارَهُ وَجَلَاهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَتَتْ بِهِ إِلَى حَيْنِهِ(١) رِجْلَاهُ ، وَشُغِلَ الْمُعْتَمِدُ عَنْ رِثَائِهِ بِطَلَبِ ثَارِهِ ، وَنَصْبِ الْحَبَائِلِ لِوُقُوعِ ابْنِ عُكَّاشَةَ وَعِثَارِهِ ، وَعَدَلَ عَنْ تَأْبِينِهِ ، إِلَى الْبَحْثِ عَنْ مَفْرِقِهِ وَجَبِينِهِ ، فَلَمْ تُحْفَظْ لَهُ فِيهِ قَافِيَةٌ ، وَلَا كَلِمَةٌ لِلَوْعَتِهِ شَافِيَةٌ ، إِلَّا إِشَارَتَهُ إِلَيْهِ ، فِي تَأْبِينِ أَخَوَيْهِ ، الْمَأْمُونِ وَالرَّاضِي الْمَقْتُولَيْنِ فِي أَوَّلِ النَّائِرَةِ(٢) ، وَالْفِتْنَةِ الثَّائِرَةِ(٣) . انْتَهَى .

القوة — يصف أخاه بأنه ممن هذبته الشدائد فظهرت غناءه وقوة نفسه وصدق عزيمته ، وليس من الشبان الذين أبطرهم الغنى وأفسدتهم النعمة والفراغ حتى بلدا احساسهم، وفقدوا قوة نفوسهم، فاستحقوا سخط الناس ومقتهم وتمنيهم هلاكهم . « أحمد يوسف نجاتى » . (١) الحين : الهلاك ، والعبارة من المثل : أتتك بحائن رجلاه ، مثل : سعى الى حتفه بظلفه . (٢) النائرة الفتنة الحادثة ، ونار الحرب ونائرتها: شرها وهيجها (٣) من ذلك الرثاء قوله من قصيدة :

يقولون صبرا ! لاسبيل الى الصبر سأبكي وأبكي ما تطاول من عمرى
نرى زهرها فى مأتم كل ليلة يخمشن لهفا وسطه صفحة البدر
ينحن على نجمين أثكلن ذا وذا فياصبر ما للقلب فى الصبر من عذر

***

مجالس الأنس بمتنزهات قرطبة

« وَقَدْ رَأَيْتُ » أَنْ أَزِيدَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِمَّا قَصَدْتُ جَلْبَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نُبْذَةً مِنْ كَلَامِ الْفَتْحِ فِي ذِكْرِ مُتَنَزَّهَاتِ

مدى الدهر فليبك الغمام مصابه ... بصنو يه يعذر فى البكاء مدى الدهر
بعين سحاب وا كف قصر دمعها ... على كل قبر حل فيه أخو القطر
و برق ذكى النار حتى كأنما ... يسعر مما فى فؤادى من الجمر
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه ... يزيد، فهل بعد الكواكب من صبر؟!
أفتح لقد فتحت لى باب رحمة ... كما بيزيد الله قد زاد فى أجرى
هوى بكما المقدار عنى ولم أمت ... وأدعى وفيا ! قد نكصت الى الغدر
توليتما والسن بعد صغيرة ... ولم تلبث الأيام أن صغرت قدرى
فلو عدتما لاخترتما العود فى الثرى ... اذا أنتما أبصرتمانى فى الأسر
يعيد على سمعى الحديد نشيده ... ثقيلا ، فتبكى العين بالجس والنقر
معى الأخوات الهالكات عليكما ... وأمكما الثكلى المضرمة الصدر
فتبكى بدمع ليس للقطر مثله ... وتزجرها التقوى فتصغى الى الزجر
أبا خالد أورثتنى البث خالدا ... أبا النصر مذ ودعت ودعنى نصرى
وقبلكما ما أودع القلب حسرة ... تجدد طول الدهر ثكل أبى عمرو

وانما سقنا هذه الأبيات مع طولها لما اشتملت عليه من عواطف الأبوة الحزينة الملتاعة بحر الوجد ، فكانت جد مؤثرة ، تثير الشجون ، وتستدر شآبيب العيون ، وتستنزف ماء الشؤون - قلت: وأحد الولدين اللذين يرثيهما هو المأمون ، وكان ينوب عن والده فى قرطبة ، فحصر بها أيام الفتنة حتى قتل ، والثانى يزيد الراضى وكان أيضا نائبا عنه فى مدينة « رندة » وهى من الحصون المنيعة ، فنازلوه وأخذوها وقتلوا الراضى، ولست ترى ما يفتت الأكباد، و يسعر الجمر فى الفؤاد، مثل فقد البنين والأولاد ، جعل الله من فقدناه منهم لنا فرطا وذخرا حسنا . « أحمد يوسف نجاتى » .

قُرْطُبَةَ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَوَصْفِ مَجَالِسِ الْأُنْسِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مِمَّا تَنْشَرِحُ لَهُ الْأَنْفُسُ ، وَوَقَعَ ذِكْرُ غَيْرِ قُرْطُبَةَ وَالزَّهْرَاءِ لَهُمَا تَبَعًا ، وَلَا يَخْلُو ذَلِكَ مِنْ عِبْرَةٍ بِحَالِ مَنْ جَعَلَ فِي اللَّهْوِ مَصِيفًا وَمُرْتَبَعًا ، ثُمَّ طَوَاهُ الدَّهْرُ طَيَّ السِّجِلِّ ، وَمَحَا آثَارَهُ الَّتِي كَانَتْ تَسْمُو وَتَجِلُّ ، وَمَا قَصَدْنَا ـ عَلِمَ اللهُ ـ غَيْرَ الِاعْتِبَارِ ، بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ ، لَا الْحَثَّ عَلَى الْحَرَامِ ، وَتَسْهِيلَ الْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْمَرَامِ ، وَالْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَاللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ كَفِيلٌ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ بِبُلُوغِ الْأُمْنِيَّاتِ ، وَتَعْوِيضِنَا عَنْ هَذِهِ النِّعَمِ الْفَانِيَاتِ بِالنِّعَمِ الْبَاقِيَاتِ السَّنِيَّاتِ .

***

الوزير ابن سراج

« قَالَ الْفَتْحُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى » فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ مَا صُورَتُهُ : وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ الْفَقِيهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سِرَاجٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ أَنَّهُ[1] فِي وَقْتِ

(١) رأيت فى بعض المراجع هذه العبارة هكذا : أنه أيام تواريه ، وجريه

فِرَارِهِ أَضْحَى ، غَدَاةَ ٱلْأَضْحَى ، وَقَدْ ثَارَ بِهِ ٱلْوَجْدُ بِمَنْ كَانَ يَأْلَفُهُ وَٱلْغَرَامُ ، وَتَرَاءَتْ لِعَيْنَيْهِ تِلْكَ ٱلظِّبَاءُ ٱلْأَوَانِسُ وَٱلْآرَامُ(١) ، وَقَدْ كَانَ ٱلْفِطْرُ وَافَاهُ ، وَٱلشَّقَاءُ قَدِ ٱسْتَوْلَى عَلَى رَسْمِ عَافِيَتِهِ حَتَّى عَفَّاهُ(٢) ، فَلَمَّا عَادَهُ مِنْهُمَا مَا عَادَ ، وَأَعْيَاهُ ذَلِكَ ٱلنَّكَدُ(٣) ٱلْمُعَادُ ، ٱسْتَرَاحَ إِلَى ذِكْرِ عَهْدِهِ ٱلْحَسَنِ ، وَأَرَاحَ جُفُونَهُ ٱلْمُسَهَّدَةَ بِتَوَهُّمِ ذَلِكَ ٱلْوَسَنِ(٤) وَذَكَرَ مَعَاهِدَ كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهَا فِي ٱلْعِيدِ ، وَيَتَفَرَّجُ بِهَا مَعَ أُولَئِكَ ٱلْغِيدِ ، فَقَالَ :

خَلِيلَيَّ لَا فِطْرٌ يَسُرُّ وَلَا أَضْحَى
فَمَا حَالُ مَنْ أَمْسَى مَشُوقًا كَمَا أَضْحَى

أمام الطلب وتباريه ، أضحى الخ (١) الآرام جمع رئم : وهو الظبي الخالص البياض (٢) محاه وأزال أثره (٣) فى القلائد « الـكد » (٤) السهد : الأرق ، وسهده الهم والوجع اذا أرقه وأسهر ليله — والوسن : شدة النوم أو أوله ، أو النعاس من غير نوم ، وقيل السنة نعاس يبدأ فى الرأس ، فاذا صار الى القلب فهو نوم ، وقال عدى بن الرقاع العاملى :

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة وليس بنائم

لَئِنْ شاَقَنِي «شَرْقُ اُلعُقَابِ» فَلَمْ أَزَلْ
أَخُصُّ بِمَحْضِ اُلْهَوَى ذَلِكَ «اُلسَّفْحَا»(١)

وَمَا اُنْفَكَّ «جَوْفِيُّ اُلرُّصَافَةِ» مُشْعِرِى
دَوَاعِيَ بَثٍّ تُعْقِبُ اُلْأَسَفَ اُلْبَرْحَا(٢)

وَيَهْتَاجُ «قَصْرُ اُلْفَارِسِيِّ» صَبَابَةً
لِقَلْبِيَ لا تَأْلُو زِنَادَ اُلْأَسَى قَدْحَا(٣)

وَلَيْسَ ذَمِيماً عَهْدُ «مَجْلِسِ نَاصِحٍ»
فَأَقْبَلَ فِي فَرْطِ اُلْوَلُوعِ بِهِ نُصْحَا

كَأَنِّيَ لَمْ أَشْهَدْ لَدَى «عَيْنِ شَهْدَةٍ»
نِزَالَ عِتَابٍ كَانَ آخِرُهُ اُلْفَتْحَا

وَقَائِعُ جَانِيهَا اُلتَّجَنِّى، فَإِنْ مَشَى
سَفِيرُ خُضُوعٍ بَيْنَنَا أَكَّدَا اُلصُّلْحَا(٤)

(١) العقاب : موضع بقرب قرطبة، وسفح الجبل عرضه حيث يسفح فيه الماء ، ومحوض الهوى : خالصه وصرفه (٢) تقدم شرح « جوفى الرصافة » والبرح أصله العذاب والشدة، وصف به هنا على معنى الشاق الشديد المؤلم. والبث الوجد والحزن والغم يفضى به المرء الى صاحبه (٣) قدح الزند : استخرج ناره ، ولا تألو :لا تمنع ــ وفى بعض المراجع « محبس ناصح » بدل مجلس فى البيت الذى بعــده (٤) جعل مايدور بينهما عند « عين

وَأَيَّامَ وَصْلٍ « بِالْعَقِيقِ » اقْتَضَيْتُهُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِيعَادُهُ الْعِيدَ فَالْفِصْحَا
وَآصَالَ لَهْوٍ فِي « مُسَنَّاةِ مَالِكٍ »
مُعَاطَاةَ نَدْمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْ سَبْحَا(١)
لَدَى رَاكِدٍ تُصْبِيكَ مِنْ صَفَحَاتِهِ
قَوَارِيرُ خُضْرٌ خِلْتَهَا مُرِّدَتْ صَرْحَا(٢)
مَعَاهِدُ لَذَّاتٍ ، وَأَوْطَانُ صَبْوَةٍ
أَجَلْتُ الْمُعَلَّى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحَا(٣)

شهدة» من العتاب نزالا جناه التجنى والدلال، ثم يسفر عن الفتح، و ينتهى خضوع المحب الى الصلح (١) المسناة : السد يبنى فى وسط الوادى لاحتجاز الماء والتصرف فيه بما تقتضيه المصلحة ، له أبواب تفتح لاطلاق الماء عند الحاجة ــ يذكر أوقات الأصائل وهى أطيب أوقات النهار التى كان يقضيها لاهيا لاعبا عند هذا السد. فان شاء تساقى مع الندمان الراح ، وان شاء نزل فى النهر للعوم والسباحة. والبيت يعطيك صورة كالتى نراها على الشواطىء وقرب الجسور فى أيام الصيف أو الربيع (٢) مرد البناء سواه وملسه، والصرح الساحة و بلاط يتخذ من قوارير القصر ــ شبه سطح الماء الراكد فى خضرته واستوائه وصفائه بالقوارير التى جعلت صرحا ممردا (٣) القدح السهم من السهام التى كانوا يستقسمون بها الجزور فى الميسر ، وكان المعلى أوفرها حظا له سبعه أجزاء من الجزور « يقول ان هذه المعاهد نال فيها آماله، وظفر بأغراضه، فكان سهمه فيها رابحا أعظم ربح ، فما رام مآربا الا أسفر سعيه

أَلَاهَلْ إِلَى «الزَّهْرَاءِ» أَوْبَةُ نَازِحٍ
تَقَضَّى تَنَائِيهَا مَدَامِعَهُ نَزْحَا ؟! (١)

مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَبَاتُهَا
فَخِلْنَا الْعِشَاءَ الْجُونَ أَثْنَاءَهَا صُبْحَا (٢)

يُمَثِّلُ قُرْطَيْهَا لِيَ الْوَهْمُ جَهْرَةً
فَقُبَّتَهَا، فَالْكَوْكَبَ الرَّحْبَ، فَالسَّطْحَا (٣)

مَحَلُّ ارْتِيَاحٍ يُذْكِرُ الْخُلْدَ طِيبُهُ
إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى (٤)

عن حوز النجح، وفوز القدح (١) الأوبة العودة، والنازح البعيد المفارق وتقضى: تقاضى وطالب، أو أخذ وتناول واستوفى، يقول ان تنائى الزهراء عنه استوفى حقه من مدامعه حتى نزفها، فكأنه غريم تقاضى دينه وهو انتزاح ماء الجفون، واستنفاد الدموع من العيون. وفى الأصل « نقضت مبانيها مدامعها » وفيه أوبة « ناصح » بدل « نازح » وهو تصحيف بعيد وتحريف فاسد، وكم كان فيه من مثل هذا العبث والعيث «أحمد يوسف نجاتى» (٢) فى الأصل « شرفت » بدل «أشرقت » والجون الأسود هنا (٣) يريد أن توهم هذه الأماكن وتخيلها يصورها فى نفسه فكأنه يراها عيانا وفى الأصل « يمثل قرطبها الى الوهم جمرة » !؟ و « الجون » فى عجز البيت بدل « الرحب » ولا بأس به اذا أريد منه « الأبيض » (٤) يصدى يعطش، ويضحى يبرز للشمس ويتعرض لحرها. وعز امتنع وشق — والبيت مأخوذ من وصف الجنة فى قوله تعالى « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى » وفى بعض النسخ « عن » بدل « عز »

هُنَاكَ ٱلْجِمَامُ(١) ٱلزُّرْقُ تَنْـدَى حِفَافُهَا
ظِلَالٌ عَهِدْتُ ٱلدَّهْرَ فِيهَا فَتًى سَمْحَا
تَعَوَّضْتُ مِنْ شَدْوِ ٱلْقِيَانِ خِـلَالَهَا
صَدَى فَلَوَاتٍ قَدْ أَطَارَ ٱلْـكَرَى ضَبْحَا(٢)
وَمِنْ حَمْلِيَ ٱلْـكَأْسَ ٱلْمُفَدَّى مُدِيرُهَا
تَقَحُّمَ أَهْوَالٍ حَمَلْتُ لَهَا ٱلرُّمْحَا(٣)
أَجَلْ إِنَّ لَيْلِي فَوْقَ « شَاطِىءِ بَيْطَةٍ »
لَأَقْصَرُ مِنْ لَيْلِي بِآنَةَ وَٱلْبَطْحَا(٤)

وَهٰذِهِ مَعَاهِدُ بَنِي أُمَيَّةَ قَطَعُوا بِهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ، وَظَلَّتْ فِيهَا ٱلْحَوَادِثُ عَنْهُمْ نِيَامًا ، فَهَامُوا بِشَرْقِ ٱلْعُقَابِ ، وَشَامُوا

(١) الجمام جمع جمة وهومكان اجتماع الماء وغزارته، وحفافهاجوانبهاومايحيط بها : يقول ان هذه المياه الصافية يمتد على شواطئها الظل فيكون نديارطبا ينعش النفس ويهب به النسيم عليلا بليلا . وفى بعض النسخ «هناك الحمام الورق تندى جفافها » وفى الأصل « هناك الحمام الرزق تبدى خفافها »
(٢) الضبح : صوت الخيل، وقد يطلق على صوت غيرها كما استعاره هنا لما يتردد فى الفلوات من الأصداء المزعجة المرهوبة ، وفى الأصل « صبحا» وقد كان فى صدر البيت « شرق» بدل« شدو »وهو تصحيف وتحريف
(٣) يقول ان الدهر أبدله من حمله الكأس التى يديرهاساق يفدى بالنفس حمله أهوالا يقتحم شدائدها محاربا (٤) بيطة وآنة والبطحاء مواضع كانت

بِهِ بَرْقًا يَبْدُو مِنْ نِقَابٍ ، وَنَعِمُوا بِجَوْفِيِّ الرُّصَافَةِ ، وَطَعِمُوا عَيْشًا تَوَلَّى الدَّهْرُ جَلَاءَهُ وَزِفَافَهُ ، وَأَبْعَدُوا نُصْحَ النَّاصِحِ ، وَحَمِدُوا أُنْسَ « مَجْبَسِ نَاصِحٍ » ، وَعَمُوا بِالزَّهْرَاءِ ، وَصَمُّوا عَنْ نَبَإٍ صَاحِبِ الزَّوْرَاءِ(١) ، حَتَّى رَحَّلَهُمْ(٢) الْمَوْتُ عَنْهَا وَقَوَّضَهُمْ ، وَعَوَّضَهُمْ عَنْهَا مَا عَوَّضَهُمْ ، فَصَارُوا أَحَادِيثَ وَأَنْبَاءً ، وَلَمْ يَتَزَوَّدُوا مِنْهَا إِلَّا حَنُوطًا(٣) وَكِبَاءً ، وَغَدَتْ تِلْكَ الْمَعَاهِدُ تُصَافِحُهَا أَكُفُّ الْغِيَرِ ، وَتُنَاوِحُهَا(٤) نَعَبَاتُ الطِّيَرِ ، (٥)

بقرطبة وفى الأصل « نيطة ، ... ببانة » (١) الزوراء اسم لعدة مواضع مماينا سب منها هنا مدينة المنصور ببغداد وكانت فى الجانب الغربى ، سميت الزوراء لأنه جعل أبوابها الداخلة مزورة أى منحرفة عن أبوابها الخارجة وليست على سمتها ، واسم دار عثمان بن عفان رضى الله عنه بالمدينة ، واسم دار كان النعمان بن المنذر قد بناها بالحيرة ، وقيل ان المنصور هدمها . وكانت رصافة هشام بن عبد الملك تسمى الزوراء ، وكانت من قبله للنعمان « وهى غير التى بالحيرة » وهى أدنى بلاد الشام الى الشيح والقيصوم (٢) فى بعض النسخ « راح بهم » (٣) الحنوط كل طيب يخلط للميت يطيب به أكفانه وجسده ، والكباء عود البخور أوضرب منه :

قد ضعت ما بينكم وكم بلد   يعد عود الكباء من حطبه

(٤) التناوح التقابل ، وقد يكون من النواح — وفى بعض النسخ « وتراوحها » ونعب الغراب وغيره « كمنع وضرب » نعيبا ونعبا ونعابا اذا صاح وصوت (٥) الطيرة ما يتطير به أى يتشاءم به من الفأل الردىء ، أخذ اسمها من « الطير » لأن العرب كانت تتطير بالطيور من نحو نعيق الغراب أو أخذها

وَرَاحَتْ بَعْدَ الزِّينَةِ سُدًى[١] ، وَأَمْسَتْ مَسْرَحًا لِلْبُومِ وَمَلْعَبًا لِلصَّدَى ، يُسْمَعُ لِلْجِنِّ بِهَا عَزِيفٌ[٢] ، وَيُصْرَعُ فِيهَا الْبَطَلُ الْبَاسِلُ وَالنَّزِيفُ[٣] ، وَكَذَا الدُّنْيَا أَعْمَالُهَا خَرَابٌ ، وَآمَالُهَا آلٌ وَسَرَابٌ[٤] ، أَهْلَكَتْ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ[٥] ، وَأَذْهَبَتْ مَا كَانَ بِمَأْرِبٍ[٦] مِنْ حِيَازَاتٍ وَحُدُودٍ . انْتَهَى .

« وَقَالَ الْفَتْحُ بَعْدَ كَلَامٍ مَا صُورَتُهُ » : وَلَمَّا عَضَّتْهُ أَنْيَابُ الِاعْتِقَالِ ، وَرَضَّتْهُ[٧] تِلْكَ النُّوَبُ الثِّقَالُ ، وَعُوِّضَ بِخَشَانَةِ الْعَيْشِ مِنَ اللِّينِ ، وَكَابَدَ قَسْوَةَ خَطْبٍ لَا يَلِينُ ، تَذَكَّرَ

ذات اليسار إذا أثاروها . و يصح أن تكون «الطير» فيكون آخر السجعة من الفقرة التي قبلها «الغير» بفتح فسكون في كلا اللفظين «أحمد يوسف نجاتي»

(١) سدى أي مهملة عاطلة ، وفي بعض النسخ « للسيد » أي الذئب بدل « للبوم » (٢) العزيف والعزف: صوت الجن وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل ، ولعله صوت الرياح في الجو فتوهمه أهل البادية صوت الجن (٣) من معاني النزيف من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه (٤) الآل : السراب أو هو خاص بما في أول النهار مذ غدوة الى ارتفاع الضحى الأعلى، ثم هو سراب سائر اليوم ، والسراب الذي يجري على وجه الأرض لاصقابها كأنه الماء الجاري وهو نصف النهار (٥) من قوله تعالى «قتل أصحاب الأخدود» وهو الحفرة المستطيلة الغامضة في الأرض (٦) مأرب من بلاد اليمن ، وقد تكون «حدود» مصحفة عن «سدود» وسد مأرب معروف مشهور ، وكذا حديث سيل العرم (٧) رضه ادا دقه وكسره

عَهْدَ عَيْشِهِ الرَّقِيقِ، وَمَرَاحَهُ بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْعَقِيقِ، وَحَنَّ إِلَى سَعْدٍ زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهُ، وَاسْتَهْدَى نَسِيمَ عَيْشٍ طَابَ لَهُ هُبُوبُهُ، وَتَأَسَّى بِمَنْ بَاتَتْ لَهُ النَّوَائِبُ بِمِرْصَادٍ، وَرَمَتْهُ بِسِهَامٍ ذَاتِ إِقْصَادٍ[1]، فَقَالَ :

الْهَوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ
وَالْمُنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ
سَرَّنَا عَيْشُنَا الرَّقِيقُ الْحَوَاشِي
لَوْ يَدُومُ السُّرُورُ لِلْمُسْتَدِيمِ[2]
وَطَرٌ مَا انْقَضَى إِلَى أَنْ تَقَضَّى
زَمَنٌ مَا ذِمَامُهُ بِالذَّمِيمِ[3]
أَيُّهَا الْمُؤْذِنِي بِظُلْمِ اللَّيَالِي   لَيْسَ يَوْمِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظَلُومِ[4]

---

(١) أقصد السهم : أصاب فقتل مكانه ، وأقصد فلانا : طعنه أورماه بسهم فلم يخطىء مقاتله. وفى بعض المراجع زيادة سجعة أخرى قبل الشعر وهى : وضيم من عهد الأحص الى ذات الاصاد ، والأحص مكان كان بنجد حماه كليب وائل، والأحص أيضا اسم لكورة كبيرة كانت مشهورة ذات قرى ومزارع قبلى حلب ، وقد خربت وبادت . وذات الأصاد موضع فى بلاد فزارة ، وبه كان مجرى داحس والغبراء «أحمد يوسف نجاتى» (٢) عيش رقيق الحواشى أى ناعم ذو دعة وخفض (٣) الوطر : المأرب، والغرض، والذمام العهد (٤) يقول ان أيامه القاسية الظالمة كثيرة طال عهده بها فليس يومه واحدا

مَا تَرَى ٱلْبَدْرَ إِنْ تَأَمَّلْتَ وَٱلشَّمْ
سَ هُمَا يُكْسَفَانِ دُونَ ٱلنُّجُومِ (١)

وَهُوَ ٱلدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُّ يَنْحُو
بِالْمُصَابِ ٱلْعَظِيمِ نَحْوَ ٱلْعَظِيمِ (٢)

« وَقَالَ ٱلْفَتْحُ أَيْضًا فِي شَأْنِ ٱبْنِ زَيْدُونَ مَا صُورَتُهُ » .

وَلَمَّا تَعَذَّرَ فِكَاكُهُ ، وَعُفِّرَ فَرْقَدُهُ (٣) وَسِمَاكُهُ ، وَعَاوَدَتْهُ ٱلْأَوْهَامُ وَٱلْفِكَرُ ، وَخَانَهُ مِنْ أَبِي ٱلْحَزْمِ (٤) ٱلصَّارِمُ ٱلذَّكَرُ ، قَالَ يَصِفُ مَا بَيْنَ مَسَرَّاتِهِ وَكُرُوبِهِ ، وَيَذْكُرُ بُعْدَ طُلُوعِ سَعْدِهِ مِنْ غُرُوبِهِ ، وَيَبْكِي لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ ٱلتَّعْذِيرِ ، وَيَعْذِرُ أَبَا ٱلْحَزْمِ وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ مِنْ عَذِيرٍ (٥) ، وَيَتَعَزَّى

منها: ومن كلام سيدنا علي : مايومي من مرادبو احد، يعني أنه لاقى منها أياما كثيرة

(١) نحوه :

وفى السماء نجوم لاعداد لها — وليس يكسف الا الشمس والقمر

ومثله :

ان الرياح اذا اشتدت عواصفها — فليس ترمى سوى العالى من الشجر

(٢) لأبى العلاء المعرى :

والخطب يهتاج الجليل وكم شكا — نبأ على ماشكاه قنبر

قنبر خادم سيدنا على « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) سبق القول فى هذين الكوكبين (٤) هو ابن جهور (٥) العذير العاذر والنصير — والتعذير هنا بمعنى الاذلال والاهانة — وعذره الدار تعذيرا : طمس آثارها

بِإِنْحَاءِ[1] ٱلدَّهْرِ عَلَى ٱلْأَحْرَارِ، وَإِلْحَاحِهِ عَلَى ٱلتَّمَامِ بِالسِّرَارِ[2]، وَيُخَاطِبُ وَلَّادَةَ بِوَفَاءِ عَهْدِهِ، وَيُقِيمُ لَهَا ٱلْبَرَاهِينَ عَلَى أَرَقِهِ وَسُهْدِهِ :

مَاجَالَ بَعْدَكِ لَحْظِى فِى سَنَى ٱلْقَمَرِ
إِلَّا ذَكَرْتُكِ ذِكْرَ ٱلْعَيْنِ بِالْأَثَرِ[3]
وَلَا اُسْتَطَلْتُ ذَمَاءَ ٱللَّيْلِ مِنْ أَسَفٍ
إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ ٱلْقِصَرِ[4]
فِى نَشْوَةٍ مِنْ شَبَابِ ٱلْوَصْلِ مُوهِمَةٍ
أَنْ لَامَسَافَةَ بَيْنَ ٱلْوَهْنِ وَٱلسَّحَرِ[5]

---

(١) أنحى عليهم الدهر : أتى عليهم وأهلكهم ، وأنحى عليه ضربا: أقبل
(٢) السرار من الشهر : آخر ليلة منه
(٣) جعل سنى القمر أثرا من آثار ولادة يذكره بها (٤) يريد بذماء الليل البقية الباقية منه ، فقد جعله طويل النفس قوى الروح ، يقول انما استطال الليل لأنه مضى فى هم وأسف على لياليه الماضية القصيرة « أى السارة »

فقصارهن مع الهموم طويلة   وطوالهن مع السرور قصار

(٥) الوهن نحو من نصف الليل أو حين يدبر ، أو هو ساعة تمضى منه . وقد يخيل الى أن « شباب » هنا ربما كانت مصحفة عن « سلاف » يعنى أنه لنشوته بسكر الوصال يستقصر الليل حتى كأن لم تكن هناك مسافة بين سحره وموهنه :

يَا لَيْتَ ذَاكَ ٱلسَّوَادَ ٱلْجَوْنَ مُتَّصِلٌ
قَدِ ٱسْتَعَارَ سَوَادَ ٱلْقَلْبِ وَٱلْبَصَرِ (١)
يَا لَلرَّزَايَا ! لَقَدْ شَافَهْتُ مَنْهَلَهَا
غَمْرًا، فَمَا أَشْرَبُ ٱلْمَكْرُوهَ بِالْغُمَرِ (٢)
لَا يَهْنَأِ ٱلشَّامِتَ ٱلْمُرْتَاحَ خَاطِرُهُ
أَنِّى مُعَنَّى ٱلْأَمَانِى ضَائِعُ ٱلْخَطَرِ (٣)

يا ليلة كاد من تقاصرها يعثر فيها العشاء بالسحر

أو الأصل من «سنات الدهر» أى غفلته عنه وعدم تنبهه له ، وفى الأصل « فى ليلة من شباب الوصل مرهقة » ومعناها — ان كان لها معنى — متعسف غث متكلف (١) يتمنى أن يطول سواد الليل بما يستعيره له من سواد عينه وسويداء قلبه، وهما أثمن نفيس عند المرء ، وهو مأخوذ من قول أبى العلاء المعرى :

يود أن ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر

(٢) المنهل المورد حيث يشرب الانسان والحيوان وينهل — والغمر : الماء الكثير ومعظم البحر — وشافهه : داناه وأدنى شفته منه ، والغمر قدح صغير . قال أعشى باهلة فى رثاء أخيه المنتشر بن وهب الباهلى :

تكفيه حزة فلذ إن ألم بها من الشواء ويروى شربه الغمر

يقول ابن زيدون انه صار يكرع من منهل الرزايا كثير الماء بفيه ويعب منه حتى يفيض عنه، وليس يتجرع منها باناء صغير ، فذلك شأن من أعوزهم منها الكثير (٣) الخطر : الشأن والقدر والشرف والمنزلة، ومعناه: أتعبه أو حبسه « أحمد يوسف نجاتى »

هَلِ الرِّيَاحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ (١)
أَمِ الْكُسُوفُ لِغَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ؟؟
إِنْ طَالَ فِي السِّجْنِ إِيدَاعِي فَلَا عَجَبٌ
قَدْ يُودَعُ الْجَفْنَ حَدُّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ (٢)
وَإِنْ يُثَبِّطْ أَبَا الْحَزْمِ الرِّضَا قَدَرٌ
عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتْبٌ عَلَى الْقَدَرِ
مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأَنِّيهِ عَلَى ثِقَةٍ
وَلَمْ أَبِتْ مِنْ تَجَنِّيهِ عَلَى حَذَرِ (٣)

وَلَهُ يَتَغَزَّلُ ، وَيُعَاتِبُ مَنْ يَسْتَعْطِفُهُ وَيَتَنَزَّلُ :

يَا مُسْتَخِفًّا بِعَاشِقِيهِ   وَمُسْتَغِشًّا لِنَاصِحِيهِ
وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِينَا   حَتَّى أَطَعْنَا السُّلُوَّ فِيهِ

(١) النجم مالا ساق له من النبات « وفيه مع الشمس والقمر ـ ايهام تناسب » (٢) الجفن : غمـد السيف (٣) التأنى التمهل ، والتجنى ادعاء ذنب لم يجنه ـ يقول انى عـلى ثقة من تفـكير الوزير الجليل فى أمرى وتأنيه فى شأنى حتى تتجلى له براءتى، واست أخاف أن يتجنى على فشيمته عدل وانصاف . وفى الأصل « من تدانيه » ولا بأس لولا أن يفوت على الناظم الترصيع والازدواج بين « تأنيه ، وتجنيه » وهو يقصد مثل هذا الجناس وتلك الموازنة . « أحمد يوسف نجاتى»

اَلْحَمْـدُ لِلّٰهِ إِذْ أَرانِى
تَـكْذِيبَ مَا كُنْتَ تَدَّعِيهِ
مِنْ قَبْـلِ أَنْ يُهْزَمَ اَلتَّسَلِّى وَيَغْلِبَ اَلشَّوْقَ مَا يَلِيـهِ

انْتَهَى

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ اَبْنِ زَيْدُونَ اَلْمَذْكُورِ فِي قَصِيدَتِهِ اَلنُّونِيَّةِ اَلشَّهِيرَةِ :

غَصَّ اَلْعِدَا مِنْ تَسَاقِينَا اَلْهَوَى فَدَعَوْا
بِأَنْ نَغَصَّ فَقَالَ اَلدَّهْـرُ آمِينَا (١)

***

وَمِنْ أَغْرَبِ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مُوَشَّحَةٌ لِاَبْنِ اَلْوَكِيلِ دَخَلَ فِيهَا عَلَى أَعْجَازِ نُونِيَّةِ اَبْنِ زَيْدُونَ، وَهِيَ : موشحة ابن الوكيل

غَـــدَا مُنَادِينَا مُحَــكِّماً فِيـــنَا
يَقْضِي عَلَيْنَا اَلْأَسَى لَوْلَا تَنَاسِينَا (٢)

---

(١) فى الديوان وغـيره : غيظ العدا ــ وغص بالماء اذا شرق به أو وقف فى حلقه فلم يكد يسيغه ، أو غص بالطعام وشرق بالشراب، وغصصت يا آكل أو ياشارب تغص « كفرح » غصصا ، ويقال غص فلان بمكان فلان اذا غاظه ماوصل اليه ونال منه حسدا حتى آلمه (٢) الرواية المشهورة

تـكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الأسى لولاتأسينا

بَحْرُ ٱلْهَوَى يُغْرِقْ مَنْ فِيهِ جُهْدَهْ عَامْ
وَنَارُهُ تُحْرِقْ مَنْ هَمَّ أَوْ قَدْ هَامْ
وَرُبَّمَا يُقْلِقْ فَتًى عَلَيْهِ نَامْ
قَدْ غَيَّرَ ٱلْأَجْسَامْ وَصَيَّرَ ٱلْأَيَّامْ
سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ بِيضًا لَيَالِينَا(١)

***

يَا صَاحِبَ ٱلنَّجْوَى قِفْ وَٱسْتَمِعْ مِنِّي
إِيَّاكَ أَنْ تَهْوَى إِنَّ ٱلْهَوَى يُضْنِي
لَا تَقْرَبِ ٱلْبَلْوَى ٱسْمَعْ وَقُلْ عَنِّي
بِحَارُهُ مُرَّهْ خُضْنَا عَلَى غِرَّهْ
حِينًا فَقَامَ بِهَا لِلنَّعْيِ نَاعِينَا(٢)

أى تعزينا وأن كان انا أسوة فى غيرنا :

ولولا الأسى ماعشت فى الناس ساعة
ولكن اذا ماشئت جاوبنى مثلى

وقال ابن الفارض :

ياجنة فارقتها النفس مكرهة لولا التأسى بدار الخلد مت أسى

وقال :

وان الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

(١) أصل صدر البيت فى القصيدة : حالت لبعدكم أيامنا فغدت(٢)أصل البيت فى القصيدة :

مَنْ هَامَ بِالْغِيدِ لَاقَى بِهِمْ هَمَّا
بَذَلْتُ مَجْهُودِى لِأَحْوَرٍ أَلْمَى
يَهُمُّ بِالْجُودِ وَرَدَّ مَا هَمَّا
وَعِنْدَ مَا قَدْ جَادْ بِالْوَصْلِ أَوْ قَدْ كَادْ
أَضْحَى ٱلتَّنَائِى بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا

***

بِحَقِّ مَا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِلَّا
أَقْرَرْتُمُ عَيْنِى فَتَجْمَعُوا ٱلشَّمْلَا
فَالْعَيْنُ(١) بِالْبَيْنِ بِفَقْدِكُمْ أَبْلَى
جَدِيدَ مَا قَدْ كَانْ بِالْأَهْلِ وَٱلْإِخْوَانْ
وَمَوْرِدُ ٱللَّهْوِ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا(٢)

***

يَاجِيرَةً بَانَتْ عَنْ مُغْرَمٍ صَبٍّ

ألا وقد حان صبح البين صبحنا حين فقام بنا للبين ناعينا
والحين الهلاك ــ والناعى من يخبر بموت من مات (١) فى بعض المراجع « فالعيش » .
(٢) صدر البيت فى القصيدة :
* اذ جانب العيش طلق من تألفنا *

لِعَهْــدِهِ خَانَتْ مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبِ
مَا هَــكَذَا كَانَتْ عَــوَائِدُ الْعُرْبِ
لَاتَحْسَبُوا الْبُعْدَا يُغَيِّرُ الْعَهْـدَا
إِذْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْ يُ الْمُحِبِّينَا (١)

***

يَا نَازِلًا بِالْبَانْ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
وَالنَّمْلِ وَالْفُرْقَانْ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِى
وَسُورَةِ الرَّحْمٰنْ وَالنَّحْلِ وَالْحِجْرِ
هَلْ حَلَّ فِي الْأَدْيَانْ أَنْ يُقْتَلَ الظَّمْآنْ
مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى
وَالْوُدِّ يَسْــقِينَا (٢)

***

يَا سَائِلَ الْقَطْرِ عَرِّجْ عَلَى الْوَادِى

(١) صدره :

* لاتحسبوا نأ يكم عنا يغيرنا *

(٢) صدره :

* ياسارى البرق غاد القصر واسق به *

مِنْ سَاكِنِي بَدْرِ وَقِفْ بِهِمْ نَادِى
عَسَى صَباً تَسْرِى لِمُغْـرَمٍ صَـادِى
إِنْ شِئْتَ تُحْيِينَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا
مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْـدِ حَيَّا كَانَ يُحْـيِينَا (١)

***

وَافَتْ لَنَا أَيَّامْ كَأَنَّهَا أَعْـوَامْ
وَكَانَ لِى أَعْوَامْ كَأَنَّهَا أَيَّامْ
تَمُرُّ كَالْأَحْلَامْ بِالْوَصْلِ لِى لَوْ دَامْ
وَالْـكَاسُ مُتْرَعَةٌ حُثَّتْ مُشَعْشَعَةً
فِينَا الشَّمُولُ وَغَنَّانَا مُغَنِّينَا (٢)

---

(١) صدره :

✡ ويانسيم الصبا بلغ تحيتنا ✡

وقد تـكون « تحيتنا » هنا محرفة عن « تحايينا » جمع تحية كتهانى جمع تهنئة ، وتعازى جمع تعزية (٢) صدره :

✡ نأسى عليك اذا حثت مشعشعة ✡

والمشعشعة : الممزوجة « أحمد يوسف نجاتى »

***

قصيدة أبى بكر ابن القبطرنة

« رَجْعٌ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِقُرْطُبَةَ » قَالَ ٱلْوَزِيرُ أَبُو بَكْرِ ٱبْنُ ٱلْقَبْطُرْنَةِ (١) يُخَاطِبُ ٱلْوَزِيرَ أَبَا ٱلْحُسَيْنِ بْنَ سِرَاجٍ وَيَذْكُرُ لُمَّةً مِنْ إِخْوَانِهِ بِقُرْطُبَةَ :

يَا سَيِّدِى وَأَبِى هُدًى وَجَلَالَةً
وَرَسُولَ وُدِّى إِنْ طَلَبْتُ رَسُولَا

عَرِّجْ بِقُرْطُبَةٍ، وَلُذْ إِنْ جِئْتَهَا
بِأَبِى ٱلْحُسَيْنِ، وَنَادِهِ تَعْوِيلَا

فَإِذَا سَعِدْتَ بِنَظْرَةٍ مِنْ وَجْهِهِ
فَاهْدِ ٱلسَّلَامَ لِكَفِّهِ تَقْبِيلَا

(١) تقدمت منا كلمة فى بنى القبطرنة . منهم هذا : أبو بكر عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز من أهل اشبيلية ، كان من جلة الأدباء وأعيان الكتاب ورؤسائهم شاعرا بليغا، وكتب للمتوكل بن الأفطس، ولابن تاشفين من بعده ، وكان يقال : أبو بكر بن القبطرنة وأبو محمد بن عبدون هما أديبا غرب الأندلس ، وتوفى أبو بكر بعد سنة ٥٢٠ وتقدمت أبياته وشرحها ، والبيت الأول فيه فى الأصل «هوى» بدل « هدى » . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَاُذْكُرْ لَهُ شُكْرِى وَشَوْقِى مُجْمَلًا
وَلَوِ اُسْتَطَعْتُ سَرَدْتُهُ تَفْصِيلَا
بِتَحِيَّةٍ تُهْدَى إِلَيْهِ كَأَنَّمَا
جَرَّتْ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ ذُيُولَا
وَأَشِمَّ مِنْهَا اُلْمُصْحَفِيَّ عَلَى اُلنَّوَى
نَفَسًا يُنَسِّى اُلسَّوْسَنَ اُلْمَبْلُولَا(١)
وَإِلَى أَبِى مَرْوَانَ مِنْهُ نَفْحَةً
تُهْدِى لَهُ نَوْرَ اُلرُّبَا مَطْلُولَا(٢)

(١) هذا المصحفى الذى اكتفى له الوزير أبو بكر بن القبطرنة برائحة السلام والتحية يشمها « وان كانت أرجة متضوعة تفغم العاطس » هو أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن هشام بن محمد بن عثمان ابن نصر بن عبد الله بن حميد بن سلمة بن عباد بن يونس القيسى المصحفى كان فقيها عالما أديبا لغويا من أهل بيت وزارة ورياسة ونباهة ووجاهة مع دماثة أخلاق وحسن حديث وعناية بالعلم وصيانة وجلالة وسعة معرفة ومثابرة على الجد والمطالعة، ولد سنة ٣٩٣ وتوفى سنة ٤٨١ وحضر جنازته المأمون الفتح بن محمد بن عباد — وأبوه هشام بن محمد أبو الوليد كان عالما باللغات والآداب ذا ذكاء وفهم ومعرفة بالفقه والحديث، ولد سنة ٣٦٠ وتوفى سنة ٤٤٠ — وجده أبو بكر محمد بن هشام بن محمد كان ذا علم باللغة وعناية بالآداب العربية ومعرفة بمعانى الشعر العربى القديم وأغراضه، وكان أبوه هشام بن محمد بن عثمان واليا على طرطوشة « أحمد يوسف نجاتى »
(٢) مطلولا أى قد نزل عليه الطل والندى فرطب وابتل عاطرا، وأظنه يعنى بأبى

وَإِذَا لَقِيتَ الْأَخْطِيَّ فَسَقِّهِ
مِنْ صَفْوِ وُدِّى قَرْقَفاً وَشَمُولَا[١]
وَأَبُو عَلِيٍّ سَقِّ[٢] مِنْهَا رَبْعَهُ
مِسْكاً بِمَاءِ غَمَامَةٍ مَحْلُولَا
وَاذْكُرْ لَهُمْ زَمَناً يَهُبُّ نَسِيمُهُ
أُصُلًا كَنَفْثِ الرَّاقِيَاتِ عَلِيلَا[٣]
مَوْلًى وَمُولِى نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ
وَأَخَا إِخَاءٍ مُخْلِصًا وَخَلِيلَا

مروان عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الأديب العالم اللغوي توفى سنة ٤٨٩ وهو والد أبي الحسن المكتوب اليه ـ لا بل أظنه يعنى أبا مروان بن أبي الخصال الكاتب الشهير « وهو ابن أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال الكاتب القدير والأديب المعروف » وأبو مروان هو عبد الملك بن محمد بن أبي الخصال الغافقي من أهل قرطبة ، توفى نحو سنة ٥٢٨ شهيدا وثكله أبوه وله فيه رثاء حار ينم عن حزن أليم ووجد شديد، وأبو مروان عبد الملك بن « أبي الخصال » مسعود بن فرج بن خلصة الغافقي الكاتب أخو أبي عبد الله كان أديبا حافلا كاتبا بليغا، وولاه ملوك لمتونة وولاتها وأمراؤها الكتابة بمراكش وفاس وغيرهما، وكانت له رسائل بديعة توفى سنة ٥٣٩ . « أحمد يوسف نجاتى » . (١) القرقف: الخمر وكذا الشمول (٢) فى بعض النسخ «بل» بدل «سق» (٣) الأصل جمع أصيل ، والنفث النفخ القليل اللطيف كما تنفخ النفاثات فى العقد

بِالْخَيْرِ مَا عَبَسَتْ هُنَاكَ غَمَامَةٌ
إِلَّا تُضَاحِكُ إِذْخِرًا وَجَلِيلَا (١)
يَوْمًا وَلَيْلًا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ
سَحَرًا وَهَـذَا بُكْرَةً وَأَصِيلَا (٢)
لَا أَدْرَكَتْ تِلْكَ الْأَهِلَّةُ دَهْرَهَا
نَقْصًا وَلَا تِلْكَ النُّجُومُ أُفُولَا

قَالَ أَبُو نَصْرٍ : اَلْخَيْرُ الَّذِى ذُكِرَ هُنَا هُوَ حَيْرُ (٣) اَلزَّجَّالِيِّ خَارِجَ بَابِ الْيَهُودِ بِقُرْطُبَةَ الَّذِى يَقُولُ فِيهِ أَبُو عَامِرِ بْنُ شُهَيْدٍ :

(١) الاذخر حشيش أخضر طيب الريح كانت العرب تسقف به بيوتها فوق الخشب ، وقد يطحنونه فيخلطونه بالطيب . والجليل « ويسمى الثمام » نبت ضعيف كانوا يحشون به خصاص بيوتهم ، قال بلال رضى الله عنه « أو تمثل » :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بمكة حولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

ومجنة جبل قرب مكة بجنب طفيل ، ويجاورهما أيضا جبل شامة . « أحمد يوسف نجاتى » . (٢) يشير الى معنى قوله :

أيام صفو كلهن أصائل لك والليالى كلها أسحار

(٣) الحير والحائر البستان « وأصله المكان يجتمع فيه الماء » فكأنه يحار فيه ويقف ويتردد ويرجع أقصاه الى أدناه ولايدرى كيف يجرى — وتقدم البيتان وشرحهما والقول فى باب اليهود ، والزجالى الذى ينسب اليه الحير

لَقَدْ أَطْلَعُوا عِنْـدَ بَابِ ٱلْيَهُو
دِ شَمْسًا أَبَى ٱلْحُسْنُ أَنْ تُـكْسَفَا
تَرَاهُ ٱلْيَهُودُ عَلَى بَابِهَا أَمِيرًا فَتَحْسَبُهُ يُوسُفَا

وَهَذَا ٱلْخَيْرُ مِنْ أَبْدَعِ ٱلْمَوَاضِعِ وَأَجْمَلِهَا ، وَأَتَمِّهَا حُسْنًا وَأَكْمَلِهَا ، صَحْنُهُ مَرْمَرٌ صَافِي ٱلْبَيَاضِ ، يَخْتَرِقُهُ جَـدْوَلٌ كَالْحَيَّةِ ٱلنَّضْنَاضِ(١) ، بِهِ جَابِيَةٌ ، كُلُّ لُجَّةٍ فِيهَا(٢) كَابِيَةٌ ، قَدْ قُرْنِصَتْ بِالذَّهَبِ وَٱللَّازَوَرْدِ سَمَاؤُهُ ، وَتَأَزَّرَتْ بِهِمَا جَوَانِبُهُ وَأَرْجَاؤُهُ ، وَٱلرَّوْضُ قَدِ ٱعْتَـدَلَتْ أَسْطَارُهُ ، وَٱبْتَسَمَتْ مِنْ كَمَائِمِهَا أَزْهَارُهُ ، وَمَنَعَ ٱلشَّمْسَ أَنْ تَرْمُقَ

اما أن يكون هو الكاتب الأديب والشاعر البليغ محمد بن سعيد الزجالي كان فى أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم « ٢٠٦ — ٢٣٨ » وكان يلقب بالأصمعي لذكائه وكثرة حفظه ، وأصله من البربر ، وأعقب ابنا اسمه حامد كان كأبيه أدبا وحضور بديهة وحسن جواب ، وكان معاصراً للحاجب عيسى بن شهيد الجد الأكبر لذى الوزارتين أبى عامر أحمد ابن عبد الملك بن شهيد ، وأما أبو بكر عبد الله بن عبد الرحمن بن عبدالله الزجالي من أهل قرطبة استوزره المستنصر بالله ، وكان خيرا فاضلا أديبا طاهرا عالما كثير البر جم المعروف متوفرا على التقوى والصلاح ، توفى سنة ٣٧٥ ودفن بالمقبرة المنسوبة الى الزجالية ، أو هو أبو مروان المحدث عنه بعد . « أحمد يوسف نجاتى » . (١) حية نضناض : لاتستقر فى مكان لشدتها ونشاطها ، أو التى أخرجت لسانها تنضنضه أى تحركه حركة دائمة (٢) الجابية حوض ضخم يجبي فيه الماء أى يجتمع ، وكابية أى مرتفعة عالية أو متعثرة تذهب الى حافة الغدير ثم ترتد « أحمد يوسف نجاتى »

ثَرَاهُ ، وَتَعطَّرَ ٱلنَّسِيمُ بِهُبُوبِهِ عَلَيْهِ وَمَسْرَاهُ ، شَهِدَتْ بِهِ لَيَالِيَ وَأَيَّامًا كَأَنَّمَا تَصَوَّرَتْ مِنْ لَمَحَاتِ ٱلْأَحْبَابِ ، أَوْ قُدَّتْ مِنْ صَفَحَاتِ أَيَّامِ ٱلشَّبَابِ ، وَكَانَتْ لِأَبِي عَامِرِ بْنِ شُهَيْدٍ بِهِ فُرَجٌ وَرَاحَاتٌ ، وَغَدَوَاتٌ وَرَوْحَاتٌ ، أَعْطَاهُ فِيهَا ٱلدَّهْرُ مَا شَاءَ ، وَوَالَى عَلَيْهِ ٱلصَّحْوَ وَٱلِانْتِشَاءَ[1] ، وَكَانَ هُوَ وَصَاحِبُ ٱلرَّوْضِ ٱلْمَدْفُونُ بِإِزَائِهِ أَلِيفَيْ صَبْوَةٍ ، وَحَلِيفَيْ نَشْوَةٍ ، عَكَفَا فِيهِ عَلَى جِرْيَالِهِمَا[2] ، وَتَصَرَّفَا بَيْنَ زَهْوِهِمَا وَٱخْتِيَالِهِمَا ، حَتَّى رَدَّاهُمَا ٱلرَّدَى ، وَعَدَاهُمَا ٱلْحِمَامُ عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَدَى، فَتَجَاوَرَا فِي ٱلْمَمَاتِ ، تَجَاوُرَهُمَا فِي ٱلْحَيَاةِ ، وَتَقَلَّصَتْ عَنْهُمَا وَارِفَاتُ تِلْكَ ٱلْفَيْئَاتِ[3] ، وَإِلَى ذٰلِكَ ٱلْعَهْدِ أَشَارَ ٱبْنُ شُهَيْدٍ وَبِهِ عَرَّضَ ، وَبِشَوْقِهِ صَحَّحَ وَمَا مَرَّضَ[4] حَيْثُ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ يُخَاطِبُ أَبَا مَرْوَانَ صَاحِبَهُ وَأَمَرَ أَنْ يُدْفَنَ بِإِزَائِهِ وَيُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ :

يَا صَاحِبِي قُمْ فَقَدْ أَطَلْنَا ... أَنَحْنُ طُولَ ٱلْمَدَى هُجُودُ!؟

(١) الانتشاء ضد الصحو ، ونشى من الشراب « كعلم » نشوا ونشوة وانتشى وتنشى اذا سكر ، أو الانتشاء أول السكر ومقدماته (٢) الجريال: الخمر أو الحمراء منها (٣) الفيء الظل ، والوارف الممتد السابغ (٤) من المجاز التمريض في الأمور: التوهين فيها وألا يحكمها ، ومرض الرجل في كلامه اذا ضعفه ولم يتقنه ، ومرض في الأمر اذا لم يبالغ فيه « أحمد يوسف نجاتي »

فَقَالَ لِي لَنْ تَقُومَ مِنْهَا ... مَا دَامَ مِنْ فَوْقِنَا الصَّعِيدُ
تَذْكُرُ كَمْ لَيْلَةً نَعِمْنَا ... فِي ظِلِّهَا وَالزَّمَانُ عِيدُ ؟
وَكَمْ سُرُورًا هَمَى عَلَيْنَا ... سَحَابُهُ ثَرَّةً تَجُودُ(١) ؟ !
فَخَيْرُهُ مُسْرِعًا تَقَضَّى ... وَشُؤْمُهُ حَاضِرٌ عَتِيدُ(٢)
حَصَّلَهُ كَاتِبٌ حَفِيظٌ ... وَضَمَّهُ صَادِقٌ شَهِيدُ(٣)
يَا وَيْلَنَا إِنْ تَنَكَّبَتْنَا(٤) ... رَحْمَةُ مَنْ بَطْشُهُ شَدِيدُ !
يَارَبِّ عَفْوًا فَأَنْتَ مَوْلًى ... قَصَّرَ فِي شُكْرِكَ الْعَبِيدُ

انْتَهَى

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : وَرَكِبَ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْقَبْطُرْنَةِ إِلَى سُوقِ الدَّوَابِّ بِقُرْطُبَةَ ، وَمَعَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ سِرَاجٍ فَنَظَرَ إِلَى أَبِي الْحَكَمِ بْنِ حَزْمٍ غُلَامًا كَمَا عَقَّ(٥) تَمَائِمَهُ ، وَهُوَ يَرُوقُ كَأَنَّهُ زَهْرٌ فَارَقَ كَمَائِمَهُ ، فَسَأَلَ أَبَا الْحُسَيْنِ ابْنَ سِرَاجٍ أَنْ يَقُولَ فِيهِ ، فَأُرْتِجَ عَلَيْهِ ، وَثَنَى عِنَانَ الْقَوْلِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :

---

(١) ثرة : غزيرة الماء (٢) عتيد حاضر مهيأ ، وفى بعض النسخ « كل كأن لم يكن تقضى الخ » (٣) حصله : جمعه وأثبته وميزه (٤) أى جاوزتهم وفاتتهم وعدلت عنهم (٥) عق أى قطع ، وعق التمائم كناية عن مفارقة الطفولة الى الحداثة والشباب

بلاد بها عق الشباب تمائمى ... وأول أرض مس جلدى ترابها

رَأَى صَاحِبِي عَمْرًا فَكَلَّفَ وَصْفَهُ
وَحَمَّلَنِي مِنْ ذَاكَ مَا لَيْسَ فِي الطَّوْقِ
فَقُلْتُ لَهُ : عَمْرٌو كَعَمْرٍو ، فَقَالَ لِي:
صَدَقْتَ وَلٰكِنْ ذَا أَشَبُّ(١) عَلَى الطَّوْقِ

انْتَهَى

***

شهرة بني القبطرنة بالأندلس

وَكَانَ بَنُو الْقَبْطُرْنَةِ بِالْأَنْدَلُسِ أَشْهَرَ مِنْ نَارٍ عَلَى عَلَمٍ ، وَقَدْ تَصَرَّفُوا فِي الْبَرَاعَةِ وَالْقَلَمِ ، وَلَهُمُ الْوِزَارَةُ الْمَذْكُورَةُ ، وَالْفَضَائِلُ الْمَشْكُورَةُ ، وَلِذَا قَالَ أَبُو نَصْرٍ(٢) فِي حَقِّهِمْ مَا صُورَتُهُ : هُمْ لِلْمَجْدِ كَالْأَثَافِي(٣) ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَوْفُورُ الْقَوَادِمِ وَالْخَوَافِي(٤) ، إِنْ ظَهَرُوا ، زَهَرُوا(٥) ، وَإِنْ تَجَمَّعُوا ،

والتمائم جمع تميمة وهي خرزة رقطاء كانوا ينظمونها في سير ثم يعقدونها في عنق الطفل «أحمد يوسف نجاتي» (١) يشير الى المثل المشهور : شب عمرو عن الطوق، وهو عمرو بن عدى بن نصر بن أخت جذيمة الأبرش ملك الحيرة ، وقد تقدم شرح المثل . والطوق في البيت الأول بمعنى الطاقة والجهد ، ويروى عجز البيت الثاني : «صدقت ولكن ذاك شب عن الطوق» (٢) أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان صاحب كتابي قلائد العقيان ومطمح الأنفس، توفي سنة ٥٣٥ (٣) جمع أثفية وهي الحجر توضع عليه القدر ، يعني أنهم أساس المجد وعماده لا ينهض الا بهم (٤) القوادم والخوافي من ريش الطائر تقدم شرحهما، يريد أنهم ذوو قدرة كاملة على المجد والأدب وقوة تامة لا يحتاج معها الى معين (٥) أشرقوا وأضاءوا .

تَضَوَّعُوا(١) ، وَإِنْ نَطَقُوا ، صَدَقُوا ، مَاؤُهُمْ صَفْوٌ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ لِصَاحِبِهِ كُفْوٌ ، أَنَارَتْ بِهِمْ نُجُومُ الْمَعَالِي وَشُمُوسُهَا ، وَدَانَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُهَا وَنُفُوسُهَا ، وَلَهُمُ النِّظَامُ الصَّافِي الزُّجَاجَةِ(٢) ، الْمُضْمَحِلُّ الْعَجَاجَةِ(٣) . انْتَهَى

***

ولع المتوكل بمنية البديع

ثُمَّ قَالَ : وَبَاتَ مِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ(٤) مَعَ أَخَوَيْهِ فِي أَيَّامِ صِبَاهُ ، وَاسْتِطَابَتِهِ جَنُوبَ الشَّبَابِ وَصَبَاهُ ، بِالْمُنْيَةِ الْمُسَمَّاةِ بِالْبَدِيعِ ، وَهُوَ رَوْضٌ كَانَ الْمُتَوَكِّلُ يَكْلَفُ بِمُوَافَاتِهِ ، وَيَبْتَهِجُ بِحُسْنِ صِفَاتِهِ ، وَيَقْطُفُ رَيَاحِينَهُ وَزَهَرَهُ ، وَيَقِفُ عَلَيْهِ إِغْفَاءَهُ وَسَهَرَهُ ، وَيَسْتَفِزُّهُ الطَّرَبُ مَتَى ذَكَرَهُ ، وَيَنْتَهِزُ فُرَصَ الْأُنْسِ فِيهِ رَوْحَاتِهِ وَبُكَرَهُ ، وَيُدِيرُ حُمَيَّاهُ عَلَى ضَفَّةِ نَهْرِهِ ، وَيَخْلَعُ سِرَّهُ فِيهِ لِطَاعَةِ جَهْرِهِ ، وَمَعَهُ أَخَوَاهُ

(١) تضوع الطيب : انتشرت رائحته الذكية (٢) كناية عن صفاء الديباجة واشراق معنى الكلام ، شبهه بالخمر فى آثاره فى النفوس ولعبه بالألباب ، ولولا ولوعه بلزوم مالا يلزم فى السجع لقلت ان «الزجاجة» هنا مصحفة عن «الديباجة» (٣) العجاجة : الغبار وفى نسخة «والنثر المضمحل الخ» يريد ليس به مايحجب معانيه و يسترحسنه وصفاءه أو يكدر حسنه وبهاءه
(٤) هو طلحة بن سعيد بن عبد العزيز أحد الأدباء الأذكياء والبلغاء النابغين فى عصره ، توفى فى حياة أخيه أبى بكر عبد العزيز بن سعيد

فَطَارَدُوا اللَّذَّاتِ حَتَّى أَنْضَوْهَا[1] ، وَلَبِسُوا بُرُودَ السُّرُورِ وَمَا نَضَوْهَا[2] ، حَتَّى صَرَعَتْهُمُ الْعُقَارُ ، وَطَلَّحَتْهُمْ[3] تِلْكَ الْأَوْقَارُ فَلَمَّا هَمَّ رِدَاءُ الْفَجْرِ أَنْ يَنْدَى[4] ، وَجَبِينُ الصُّبْحِ أَنْ يَتَبَدَّى قَامَ الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ :

يَا شَقِيقِي وَافَى الصَّبَاحُ بِوَجْهٍ
سَتَرَ اللَّيْلَ نُورُهُ وَبَهَاؤُهْ
فَاصْطَبِحْ وَاغْتَنِمْ مَسَرَّةَ يَوْمٍ
لَسْتَ تَدْرِي بِمَا يَجِيءُ مَسَاؤُهْ

ثُمَّ اسْتَيْقَظَ أَخُوهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ :

يَا أَخِي قُمْ تَرَ النَّسِيمَ عَلِيلًا
بَاكِرِ الرَّوْضَ وَالْمُدَامَ شَمُولَا
لَا تَنَمْ وَاغْتَنِمْ مَسَرَّةَ يَوْمٍ
إِنَّ تَحْتَ التُّرَابِ نَوْمًا طَوِيلًا
فِي رِيَاضٍ تَعَانَقَ الزَّهْرُ فِيهَا
مِثْلَ مَا عَانَقَ الْخَلِيلُ الْخَلِيلَا

---

(١) أنضى الدابة : أجهدها في السير (٢) نضا ثوبه عنه اذا نزعه (٣) أعيتهم وأتعبتهم : والأوقار ، جمع وقر وهو الحمل (٤) يبتل بالندى ويرطب بالطل

ثُمَّ اُسْتَيْقَظَ أَخُوهُمَا أَبُو اُلْحَسَنِ ، وَقَدْ هَبَّ مِنْ غَفْلَةِ اُلْوَسَنِ ، فَقَالَ :

يَاصَاحِبَيَّ ذَرَا لَوْمِي وَمَعْتَبَتِي
قُمْ نَصْطَبِحْ خَمْرَةً مِنْ خَيْرِ مَاذَخَرُوا

وَبَادِرَا غَفْـلَةَ اُلْأَيَّامِ وَاُغْتَنِمَا
فَالْيَوْمَ خَمْرٌ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَبَرُ (١)

وَسَاقَ صَاحِبُ اُلْبَدَائِعِ (٢) هٰذِهِ اُلْقِصَّةَ فَقَالَ : وَذَكَرَ اُلْفَتْحُ مَا هٰـذَا مَعْنَاهُ : إِنَّهُ خَرَجَ اُلْوُزَرَاءُ بَنُو اُلْقَبْطُرْنَةِ إِلَى اُلْمُنْيَةِ اُلْمُسَمَّاةِ بِالْبَدِيعِ ، وَهُوَ رَوْضٌ قَدِ اُخْضَرَّتْ مَسَارِحُ نبَاتِهِ ، وَاُخْضَلَّتْ (٣) مَسَارِي هَبَّاتِهِ ، وَدَمَعَتْ بِالطَّلِّ عُيُونُ أَزْهَارِهِ ، وَذَابَ عَلَى زَبَرْجَدِهِ بَلُّورُ أَنْهَارِهِ ، وَتَجَمَّعَتْ فِيهِ اُلْمَحَاسِنُ اُلْمُتَفَرِّقَةُ ، وَأَضْحَتْ مُقَلُ اُلْحَوَادِثِ عَنْهُ مُطْرِقَةً ، فَخُيُولُ اُلنَّسِيمِ تَرْكُضُ فِي مَيَادِينِهِ فَلَا تَـكْبُو ، وَنُصُولُ

(١) يشير للمثل المشهور : اليوم خمر وغدا أمر (٢) كتاب بدائع البدائه لابن ظافر الأزدى (٣) ابتلت وندبت مع خضرة ونضرة .

السَّوَاقِي تَصُولُ لِحَسْمِ أَدْوَاءِ الشَّجَرِ فَلَا تَنْبُو[1] ، وَالزُّرُوعُ قَدْ نَقَّبَتْ وَجْهَ الثَّرَى ، وَحَجَبَتِ الْأَرْضَ عَنِ الْعُيُونِ فَمَا تُبْصَرُ وَلَا تُرَى . وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ بْنُ الْأَفْطَسِ[2] يَعُدُّهُ غَايَةَ الْأَرَبِ ، وَيُعِدُّهُ مَشْهَدًا لِلطَّرَبِ ، وَمَدْفَعًا لِلْكَرْبِ ، فَبَاتُوا فِيهِ لَيْلَتَهُمْ يُدِيرُونَ لُمَعَ لَهَبٍ يَتَمَنَّوْنَ فِيهِ الْخُلُودَ ،

(١) يريد الماء الذى تصبه السواقى لسقى الأشجار ، فشبهه بالنصول أى السيوف فى الاستطالة والصفاء وتموج الماء وأن كلا منهما يحسم الداء الذى يستعمل له « فالسيوف تشفى رؤوس من يشكو الصداع ونحوه وتحسم أدواء النزاع والشقاق » وهذا الماء يزيل ما يعرض للأشجار من ذبول ونحوه وفى نسخة «السوافى» أى الرياح ، ومن هذه الفقرات ترى أن هذا الروض قد استوفى شروط الجمال من الماء والخضرة ، والنعيم والنضرة ، والنسيم العليل ، والزهر الندى البليل

(٢) هو المتوكل على الله أبو حفص عمر بن محمد المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس « وتقدم التعريف ببنى الأفطس » وكان المتوكل ذا عناية بالأدب والشعر يحف به من أدباء الأندلس جماعة اشتهروا بالرقة وجودة البديهة ، وقد نتعرض لشىء من سيرته الأدبية عند المناسبة ، وقتله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٩ باغراء المعتمد بن عباد به كما قيل ، وكان للمتوكل قدم راسخة فى صناعة النظم والنثر مع شجاعة مفرطة وفروسية تامة ، وكان لا يغب الغزو ولا يشغله عنه شىء من أنسه ، وامتاع نفسه ، واتصلت مملكته الى أن قتله المرابطون وقتلوا ولديه الفضل والعباس صبرا ، وكانت أيام بنى المظفر بن الأفطس بغرب الأندلس أعيادا ومواسم ، وكانوا ملجأ لأهل الآداب ، خلدت فيهم ولهم قصائد سائرة شادت مآثرهم ، وأبقت على غابر الدهر حميد ذكرهم . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَيَتَحَسَّوْنَ(١) ذَوْبَ ذَهَبٍ لَا يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، حَتَّى تَرَكَتْهُمُ ابْنَةُ الْخَابِيَةِ(٢) ، كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ(٣) ، فَلَمَّا هَزَمَ رُومِيُّ الصَّبَاحِ زَنْجِيَّ الظَّلَامِ ، « وَنَادَى الدِّيكُ حَيَّ عَلَى الْمُدَامِ » انْتَبَهَ كَبِيرُهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ مُسْتَعْجِلًا ، وَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا ، يَا شَقِيقِي الخ . فَانْتَبَهَ أَخُوهُ أَبُو بَكْرٍ لِصَوْتِهِ ، وَتَخَوَّفَ لِذَهَابِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَفَوْتِهِ ، وَأَنْبَهَ أَخَاهُمَا أَبَا الْحَسَنِ وَهُوَ يَرْتَجِلُ : يَاأَخِي قُمْ تَرَى النَّسِيمَ إِلَى آخِرِهِ . فَانْتَبَهَ أَخُوهُ لِكَلَامِهِ ،

---

(١) تحسى الشراب ونحوه واحتساه اذا شربه شيئاً فشيئاً — وفى معنى الفقرة قول الشاعر :

وخمارة من بنات اليهود ترى الدن فى بيتها مائلا
وزنا لها ذهبا جامدا فكالت لنا ذهبا سائلا

وفيها اشارة الى قوله تعالى : « يصهر به مافى بطونهم والجلود » (٢) الخابية اناء كبير « الحب » « كالمسمى بالزير » وابنة الخابية كناية عن الخمر (٣) من القرآن الكريم يعنى أن الخمر صرعتهم : وفى معنى ذلك قول ابن زهر الأندلسى من أبيات :

والخمر تعرف كيف تأخذ ثارها انى أملت اناءها فأمالنى

رَافِضًا[1] لَذَّةَ مَنَامِهِ ، لِلَذَّةِ قِيَامِهِ ، وَٱرْتَجَلَ : يَا صَاحِبَيَّ ذَرَا الخ . ٱنْتَهَى .

***

استقبال أبي الحسن ذي الوزارتين ابن اليسع

« قَالَ ٱلْفَتْحُ » وَلَمَّا أَمَرَ ٱلْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ أَبَا بَكْرِ ٱبْنَ ٱلْقَبْطُرْنَةِ ٱلسَّابِقَ ٱلذِّكْرِ مَعَ ٱلْوَزِيرِ أَبِي ٱلْحُسَيْنِ ٱبْنِ سِرَاجٍ بِلِقَاءِ ذِي ٱلْوِزَارَتَيْنِ أَبِي ٱلْحَسَنِ بْنِ ٱلْيَسَعِ[2] ٱلْقَائِدِ وَٱلْمَشْيِ إِلَيْهِ ، وَٱلنُّزُولِ عَلَيْهِ ، تَنْوِيهًا بِمَقْدَمِهِ ، وَتَنْبِيهًا عَلَى حُظْوَتِهِ لَدَيْهِ وَتَقَدُّمِهِ ، فَصَارَا إِلَى بَابِهِ ، فَوَجَدَاهُ مُقْفِرًا مِنْ حُجَّابِهِ ، فَٱسْتَغْرَبَا خُلُوَّهُ مِنْ خَوَلٍ[3] وَظَنَّ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَتَأَوَّلَ ، ثُمَّ أَجْمَعَا عَلَى قَرْعِ ٱلْبَابِ وَرَفْعِ ذَلِكَ ٱلِارْتِيَابِ ، فَخَرَجَ وَهُوَ دَهِشٌ ، وَأَشَارَ إِلَيْهِمَا

(١) فى الأصل « دافعا » (٢) ذكره الفتح فى القلائد ووصفه بالأدب والانهماك فى اللهو مهملا أمور الملك، ولهذا ثار به أهل مرسية حتى خلع ، وكان رئيسا شاعرا وقائدا أديبا ، وكان قد قدم الى المعتمد بن عباد ليعرض عليه الاستيلاء على مدينة لورقة بعد موت صاحبها ابن ليون ، فأكرم المعتمد وفادته وأحسن مثواه (٣) الخول : الحاشية ونحوهم من العبيد والأماء ، مأخوذ من التخويل بمعنى التمليك — وقد يقال انهم وجدوا عنده بعد أن دخلوا عليه « خولا » ممن يتوارى بالحجاب ، لا لاستقبال الوافدين وحراسة الباب ! « أحمد يوسف نجاتى »

بِالتَّحِيَّةِ وَيَدُهُ تَرْتَعِشُ ، وَأَنْزَلَهُمَا خَجِلًا ، وَمَشَى بَيْنَ أَيْدِيهِمَا عَجِلًا ، وَأَشَارَ إِلَى شَخْصٍ فَتَوَارَى بِالْحِجَابِ ، وَبَارَى الرِّيحَ سُرْعَةً فِي الِاحْتِجَابِ ، فَقَعَدُوا وَمُقْلَةُ الْخِشْفِ[1] ، تَرْمُقُ مِنْ خِلَالِ السِّجْفِ ، فَانْصَرَفَا عَنْهُ ، وَعَزَمَا أَنْ يَكْتُبَا إِلَيْهِ بِمَا فَهِمَا مِنْهُ ، فَكَتَبَا إِلَيْهِ :

***

كتاب المستقبلين إلى ذي الوزارتين ورده

سَمِعْنَا خَشْفَةَ الْخِشْفِ وَشِمْنَا طَرْفَةَ الطَّرْفِ[2]
وَصَدَّقْنَا وَلَمْ نَقْطَعْ وَكَذَّبْنَا وَلَمْ نَنْفِ
وَأَغْضَيْنَا لِأَجْلَالِ لِكَ عَنْ أُكْرُومَةِ الظَّرْفِ[3]
وَلَمْ تُنْصِفْ وَقَدْ جِئْنَا كَ مَا نَنْهَضُ مِنْ ضَعْفِ
وَكَانَ الْحُكْمُ أَنْ تَحْمِ لَ أَوْ تُرْدِفَ فِي الرِّدْفِ[4]

فَرَاجَعَهُمَا فِي الْحِينِ بِقِطْعَةٍ مِنْهَا :

أَيَا أَسَفِي عَلَى حَالٍ سُلِلْتُ بِهَا مِنَ الظَّرْفِ

---

(١) الخشف : ولد الظبية ــ والخشف الصوت والحركة ، والحس الخفي ــ والسجف الستر (٢) خشف « كضرب ونصر » اذا سمع له صوت وحس وحركة ، وخشف في السير أسرع ــ والطرفة من طرف بعينيه اذا لحظ وحرك جفنيها ، وشام : نظر (٣) الأكرومة المكرمة فعل الكريم ويطلق على كريم القوم وكريمتهم مثل كريمة (٤) أردفه وردفه اذا تبعه

وَيَا لَهْفِي عَلَى جَهْلِي بِضَيْفٍ كَانَ مِنْ صِنْفِ[1]

انْتَهَى .

***

وصف الأندلسيين لمغاني الأندلس

وَلِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي مَغَانِي الْأُنْسِ الْحِسَانِ ، مَا لَا يَفِي بِهِ لِسَانٌ . وَقَالَ الْفَتْحُ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ أَبِي الْفَضْلِ أَبْنِ حَسْدَايَ[2] بَعْدَ كَلَامٍ مَا صُورَتُهُ : فَمِنْهَا هَذِهِ الْقِطْعَةُ الَّتِي أَطْلَعَهَا نَيِّرَةً ، وَتَرَكَ الْأَلْبَابَ بِهَا مُتَحَيِّرَةً ، فِي يَوْمٍ كَانَ عِنْدَ الْمُقْتَدِرِ بِاللهِ[3] مَعَ عِلْيَةٍ ، قَدِ اتَّخَذُوا الْمَجْدَ

وصار ردفاله ، وأردفه اذا أركبه خلفه ، وردف كل شيء مؤخره ، والكفل والعجز ، وأردف الشيء بالشيء وأردفه عليه اتبعه عليه (١) أي من صنف معهود عنده ، صنف أي صنف يوافقه ويستريح اليه . وفي المطمح «وكان الحق الخ» (٢) تقدمت ترجمته ، ويأتي شيء من سيرته ، وهو حسداي بن يوسف بن حسداي ، وقد ذكره الفتح في قلائد العقيان وأثنى عليه ، وكان من مدينة سرقسطة ، ومن بيت شرف اسرائيلي بالأندلس وأسرة يهودية نبيلة ، عني بالعلوم على مراتبها ، وتناول المعارف من طرقها ، فأحكم علم لسان العرب ، ونال حظا جزيلا من صناعة الشعر والكتابة والبلاغة ، وبرع في علوم الرياضة والفلك والطب وأتقن علم المنطق ، وكان له نظر في الطب . وجملة القول أنه كان نابغة في العربية وآدابها وفي العلوم العقلية والفنون الجميلة ، وكان في سن الشباب في سنة ٤٥٨ ووزر للمقتدر بن هود وابنه المؤتمن وابنه المستعين وتوفي حوالي سنة ٥٠٠ هـ « أحمد يوسف نجاتي »

(٣) هو المقتدر بن هود أحمد بن سليمان بن محمد بن هود بن عبد الله بن

حِلْيَةً ، وَالْأَمَلُ قَدْ سَفَرَ لَهُمْ عَنْ مُحَيَّاهُ ، وَعَبِقَ لَهُمْ رَيَّاهُ ، فَصَافَحَهُ الْكُلُّ مِنْهُمْ وَحَيَّاهُ ، وَشَمْسُ الرَّاحِ ، دَائِرَةٌ عَلَى فَلَكِ الرَّاحِ[1] ، وَالْمَلِكُ يَنْشُرُ فَضْلَهُ ، وَيَنْثُرُ وَابِلَهُ وَطَلَّهُ[2] ، يُسْدِي الْعُلَا ، وَيَهَبُ الْغَنَاءَ وَالْغِنَى ، فَصَدَحَتِ الْغَوَانِي ، وَأَفْصَحَتِ الْمَثَالِثُ وَالْمَثَانِي[3] ، بِمَا اسْتَنْزَلَ مِنْ مَرْقَبِ[4] الْوَقَارِ ، وَسَرَى فِي النُّفُوسِ مَسْرَى الْعُقَارِ :

تَوْرِيدُ خَدِّكَ لِلْأَحْدَاقِ لَذَّاتُ
عَلَيْهِ مِنْ عَنْبَرِ الْأَصْدَاغِ لَامَاتُ[5]

موسى مولى أبي حذيفة الجذامي من ملوك الطوائف ، كان صاحب سرقسطة بعد أبيه المتوفى سنة ٤٣٨ وتوفى أحمد المقتدر سنة ٤٧٩ فتولى الأمر بعده ابنه « المؤتمن يوسف » المتوفى سنة ٤٧٨ فتولى بعده أحمد المستعين وتوفى سنة ٥٠٣ وقتل شهيدا فى زحف الفرنج اليها . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) جمع راحة وهى اليد أو الكف ، وفى الأصل « الأفراح » (٢) أصل الوابل المطر الغزير ، والطل أقل منه (٣) يريد آلات الطرب ، والمثانى من أوتار العود الذى بعد الأول ، واحده مثنى ، وقال الشاعر :

يقولون تب والكاس فى يد أغيد ... وصوت المثانى والمثالث عالى
فقلت لهم : لو كنت أزمعت توبة ... وأبصرت هذا كله لبدا لى

(٤) المرقب : المكان العالى المرتفع ، وفى القلائد « موقف »

(٥) أصل الصدغ ما بين لحظ العين الى أصل الاذن ، ثم أطلق على الشعر الذى

نِيرَانُ هَجْرِكَ لِلْعُشَّاقِ نَارُ لَظًى
لَكِنَّ وَصْلَكَ إِنْ وَاصَلْتَ جَنَّاتُ

كَأَنَّمَا الرَّاحُ وَالرَّاحَاتُ تَحْمِلُهَا
بُدُورُ تِمٍّ وَأَيْدِي الشَّرْبِ هَالَاتُ(١)

حُشَاشَةٌ مَا تَرَكْنَا الْمَاءَ يَقْتُلُهَا
إِلَّا لِتَحْيَا بِهَا مِنَّا حُشَاشَاتُ(٢)

يتدلى على هذا الموضع ، وقدجرت عادة الشعراء أن يشبهوه بالعقرب وبالواو والدال واللام من الأحرف الهجائية لمافيها من الاعوجاج والثنى ، كما قيل فى ذلك :

وقلوا يصير الشعر فى الماء حية — اذاالشمس حادته فماخلته صدقا
فلماالتوى صدغاه فى شمس وجهه — وقد لسعا قلبي تيقنته حقا

وقال آخر :

عسى عطفة بالوصل ياواو صدغه — فانى رأيت الواو فى الوصل تعطف

وقال غيره

أرى فى صدغك المعوج د الا — ولكن نقطت من مسك خالك
فصارت داله بالنقط ذالا — وانى هالك من أجل ذلك

(١) الشرب الجماعة يشربون ، وهو اسم جمع لشارب كركب وراكب « القوم يجتمعون للشراب » ـ والهالة دارة القمر (٢) هذا ينظر الى قول حسان :

ان التى ناولتنى فرددتها — قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

قَدْ كَانَ فِي كَاسِهَا مِنْ قَبْلِهَا ثِقَلٌ
فَخَفَّ إِذْ مُلِئَتْ مِنْهَا ٱلزُّجَاجَاتُ[١]

عَهْدٌ لِلُبْنَى تَقَاضَتْهُ ٱلْأَمَانَاتُ
بَانَتْ وَمَا قُضِيَتْ مِنْهَا لُبَانَاتُ[٢]

يُدْنِى ٱلتَّوَهُّمُ لِلْمُشْتَاقِ مُنْتَزَحًا
مِنَ ٱلْأُمُورِ، وَفِى ٱلْأَوْهَامِ رَاحَاتُ[٣]

---

(١) مثل هذا قول الشاعر :

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا   حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت   وكذا الجسوم تخف بالأرواح

(٢) لبنى علم امرأة – و يروى « عهد المنى قد ... » والامانة الحاجة والغرض والوطر – و بانت بعدت والتقاضى الطلب والمطالبة بالدين ، وقد يطلق على قبضه واستيفائه ، ومن هنا أخذ جمال الدين بن نباتة مطلع قصيدته :

قضى وماقضيت منكم لبانات   متيم عبثت فيه الصبابات

(٣) الانتزاح : البعد ، وفى معنى البيت :

يدنى مزارك حين شط به النوى   وهم أكاد به أقبل فاك

وقول الآخر :

يابعيدا يدنيه لى الفكر حتى   يتراءى توهما كالعيان

وفى هذا المعنى يقول أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم فأحسن ماشاء :

لئن راح عن عينى أحمد غائبا   لما هو عن عين الضمير بغائب

تُقْضَى عِدَاتٌ إِذَا دَبَّ ٱلْكَرَى، وَإِذَا
هَبَّ ٱلنَّسِيمُ فَقَدْ تُهْدَى تَحِيَّاتُ(١)
زُورٌ يُعَلِّلُ قَلْبُ ٱلْمُسْتَهَامِ بِهِ
دَهْرًا، وَقَدْ بَقِيَتْ فِي ٱلنَّفْسِ حَاجَاتُ(٢)

له صورة فى القلب لم تقصها النوى ولم تتخطفها أكف النوائب
اذا ساءنى منه نزوح دياره وضاقت على فى نواه مذاهبى
عطفت على شخص له غير نازح محلته بين الحشا والترائب

والقارىء الكريم يوازن بين نظم ابن حسداى وهذا الشعر.
« أحمد يوسف نجاتى » .

(١) الكرى النوم : يعلل نفسه بنيل أمانيه ووفاء محبوبته بوعدها فى عالم المنام . ويكتفى منها بالنسيم يفد من جهتها أو يذهب اليها ، وفى معناه قول الطائى :

ضن عنى بالنزر اذا أنا يقظا ن وأعطى كثيره فى المنام

وقوله :

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه فى النوم غير مصرد محسوب

(٢) ماأرق قول الشريف الرضى وأجزله :

وزور زارنى والليل داج فعللنى بباطل ذاك حينا
يرينى أنه يأتى وسادى مضاجعة وزور مايرينا
نعمت بباطل ويود قلبى ودادا لو يكون له يقينا

وقوله أيضا :

وزور تخطى جنوب الملا فناديت أهلا بذا الزائر
أتى فى عدو وعين الرقيـ ـب مطروفة بالكرى الغامر .
وأحبب به يسعف الها جعين وتحرمه مقلة الساهر

لَعَلَّ عَتْبَ اللَّيَالِي أَنْ يَعُودَ إِلَى عُتْبَى[1] فَتُبْلَغَ أَوْطَارٌ وَلَذَّاتُ
حَتَّى نَفُوزَ بِمَا جَادَ الْخَيَالُ بِهِ فَرُبَّمَا صَدَقَتْ تِلْكَ الْمَنَامَاتُ

***

زواج المستعين بنت وزيره

وَلَمَّا أَعْرَسَ الْمُسْتَعِينُ بِاللهِ بِبِنْتِ الْوَزِيرِ الْأَجَلِّ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ[2] احْتَفَلَ أَبُوهُ الْمُؤْتَمَنُ فِي ذَلِكَ احْتِفَالًا شَهَرَهُ، وَأَبْدَعَ فِيهِ إِبْدَاعًا رَاقَ مَنْ حَضَرَهُ وَبَهَرَهُ، فَإِنَّهُ أَحْضَرَ فِيهِ مِنَ الْآلَاتِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْأَدَوَاتِ الْمُخْتَرَعَةِ، مَا بَهَرَ الْأَلْبَابَ، وَقَطَعَ بِذَكَائِهِ دُونَ مَعْرِفَتِهَا الْأَسْبَابَ، وَاسْتَدْعَى إِلَيْهِ جَمِيعَ أَعْيَانِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ دَانٍ وَقَاصٍ، وَمُطِيعٍ وَعَاصٍ، فَأَتَوْهُ مُسْرِعِينَ، وَلَبَّوْهُ مُتَبَرِّعِينَ وَكَانَ مُدِيرَ تِلْكَ الْآرَاءِ[3] وَمُدَبِّرَهَا، وَمُنْشِئَ مُخَاطَبَاتِهَا وَمُحَبِّرَهَا، الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْفَضْلِ، وَصَدَرَتْ عَنْهُ فِي

وعهدى بتمويه عين المحب تم على قلبه الظاهر
ولما التقينا برغم الرقا دموه قلبي على ناظرى

هذا هو الشعر لاالتقليد المتكلف والنظم المتعسف. «أحمد يوسف نجاتى»

(١) العتبى الرضا، وهو الرجوع عن الاساءة الى مايرضى العاتب، وأعتبه اذا منحه العتبى وعاد الى مسرته ورجع الى الرضا بعدالسخط (٢) هو من أعيان بنى عبد العزيز، وسيأتى حديث عنهم صفحة ٢٩٨ (٣) فى بعض النسخ «الاراغة» بدل الآراء، وأراغ أى أراد وطلب ودعا. «أحمد يوسف نجاتى»

ذَلِكَ الْوَقْتِ كُتُبٌ ظَهَرَ إِعْجَازُهَا، وَبَهَرَ اقْتِضَابُهَا وَإِيجَازُهَا، فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَاطَبَ بِهِ صَاحِبَ الْمَظَالِمِ (١) أَبَا عَبْدِ اللهِ بْنَ طَاهِرٍ :

***

كتاب الوزير أبى الفضل الى ابن طاهر

مَحَلُّكَ ـ أَعَزَّكَ اللهُ ـ فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ (٢) ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتِ الدَّارُ، وَعِيَانُكَ فِي أَحْنَاءِ (٣) الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارُ، فَالنَّفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحَظِّ (٤)، وَالْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تُمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِنَظَرِ اللَّحْظِ (٥)

---

(١) فى الأصل «صاحب المظاهر» ولعل ذلك الوهم سرى الى هذه النسخة لمراعاة السجع والجناس مع « ابن طاهر » وليس هذا التحريف من جرائر تكلف السجع ببكر ولا ثنى ـ وكذا فى الأصل أبو « عبد الله » وفى القلائد « صاحب المظالم أبو عبد الرحمن بن طاهر » وهذا هو الذى أعرفه ـ وهو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن اسحق بن طاهر من أهل مرسية ، كان من بيوتات الرفعة والرياسة والنباهة ، ومن ذوى العناية بالأدب كاتبا شاعرا وجيها، توفى سنة ٥٠٨ « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) الجوانح : الضلوع تحت الترائب مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر جمع جانحة، سميت بذلك لجنوحها على القلب ، ويكنى بما بين الجوانح عن القلب (٣) جمع حنو « بكسر الحاء وفتحها» كل ما فيه اعوجاج أو شبهه من البدن ، وشحط بعد كنزح (٤) مثل قوله :

يمثلك الشوق الشديد لناظرى وأطرق إجلالا كأنك حاضر

(٥) فى بعض النسخ « بظاهر » بدل « بنظر » يريد أن يقول ان العين تميل أن تظفر برؤيته عيانا ومشاهدة ، كما فازت النفس بتمثله تصورا ، فهو بحيث يراه قلبه وان غيب شخصه عن عينه

يرينيك عين الذكر حتى كأنما أناجيك عن قرب وان لم تكن قربى

فَلَا عَائِدَةَ[١] أَسْبَغُ بُرْدًا ، وَلَا مَوْهِبَةَ أَسْوَغُ وِرْدًا ، مِنْ تَفَضُّلِكَ بِالْخُفُوفِ[٢] إِلَى مَأْنَسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ الْتِئَامُهُ ، وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ انْتِظَامُهُ ، وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ[٣] ، بِالْإِمْتَاعِ مِنْ ذَٰلِكَ بِأَعْظَمِ الْآمَالِ ، وَأَنَا ــ أَعَزَّكَ اللّٰهُ ــ عَلَى شَرَفِ سُؤْدُدِكَ حَاكِمٌ ، وَعَلَى مَشْرَعِ سَنَائِكَ حَائِمٌ[٤] ، وَحَسْبِي مَا تَتَحَقَّقُهُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي ، وَتَتَيَقَّنُهُ مِنْ تَطَلُّعِي

ونحو هذا قول عبد الصمد بن المعذل :

بأبى غائب بشوقى وفكرى   فيه ألقاه حين لا ألقاه
مثلته المنى لقلبى وطرفى   فكأنى أراه اذ لا أراه

وقول عبد الملك بن سعيد المرادى :

ياأقرب الناس من وهمى ومن ذكرى
وان تغيب منه الشخص عن بصرى
ان غاب عنى ولم أظفر برؤيته   فانه قائم التمثال فى فكرى

والقول فى هذا المعنى كثير جدا « أحمد يوسف نجاتى »

(١) العائدة: الفائدة والصلة، وأسبغ: أطول وأضفى ، يقول ان تفضله بحضوره وشخصه يكون أحسن نعمة وأجمل منة وأتم منحة يهبها الله للكاتب أو الداعى (٢) فى الأصل «باللحوق» وخف الى الداعى اذا نهض الى اجابته وأسرع الى تلبية دعوته (٣) أجمل : صنع جميلا وأسدى معروفا (٤) حام على الأمر اذا رامه وطلبه. والمشرع: المورد ، وحام الطائر حول الماء اذا دار حوله من العطش ، والسناء: الشرف ، ومعنى هذه الفقرة كمعنى سابقتها ، وفى القلائد « حالم » بدل حاكم، وقد تكون محرفة عن «هائم» والأصل « بشرف سؤددك هائم» « أحمد يوسف نجاتى »

وَتَتَوُّقِ ، وَقَدْ تَمَكَّنَ ٱلِارْتِيَاحُ بِاسْتِحْكَامِ ٱلثِّقَةِ ، وَٱعْتَرَضَ ٱلِانْشِرَاحُ بِارْتِقَابِ ٱلصِّلَةِ[1] ، وَأَنْتَ ـ وَصَلَ ٱللّٰهُ سَعْدَكَ ـ بِسَمَاحَةِ شِيَمِكَ[2] ، وَبَارِعِ كَرَمِكَ ، تُنْشِئُ لِلْمُؤَانَسَةِ عَهْدًا ، وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا[3] ، وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا ، لَا زِلْتَ مُهَنَّأً[4] بِالسُّعُودِ ٱلْمُقْتَبَلَةِ[5] مُسَوَّغًا[6] ٱجْتِلَاءَ غُرَرِ ٱلْأَمَانِيِّ ٱلْمُتَهَلِّلَةِ ، بِمَنِّهِ . ٱنْتَهَى .

***

وصف الوزير لبعض نزه المستعين

« ثُمَّ قَالَ » بَعْدَ هَذَا بِيَسِيرٍ مَا نَصُّهُ : وَرَكِبَ ٱلْمُسْتَعِينُ بِاللّٰهِ يَوْمًا نَهْرَ سَرَقُسْطَةَ يُرِيدُ طِرَادَ لَذَّتِهِ[7] ، وَٱرْتِيَادَ نُزْهَتِهِ ،

(١) فى الأصل «واعترض الاقتراح باستحباب» وفى القلائد « واعترض الانتزاح بارتقاب » وفى بعض المراجع ما أثبتناه فآثرناه « أحمد يوسف نجاتى »
(٢) الشيمة: الطبيعة والخلق ، والسماحة :السهولة واللين (٣) أورى الزند أو قدح واستخرج ناره، ويكنى بايراء الزناد عن النجاح والظفر وادراك المرام وسرعة قضاء الحاجات ، والمكارمة المعاملة بالكرم ،وأصل المكارمة أن تهدى الى الانسان شيئا ليكافئك عليه، وهى مفاعلة من الكرم (٤) فى الأصل « مضيئا » وهو تصحيف (٥) اقتبل أمره استأنفه واستقبل ما يأتى منه ، وفى بعض النسخ « المقبلة » (٦) سوغ فلان الطعام أو الشراب ونحوهما وأساغه اذا هنأه وتمتع به خالصا صافيا ، وسوغ له الشىء أباحه وتركه يتمتع به ، واجتلى الهلال والعروس وغيرهما اذا نظر اليهما مجلوين، واجتلاها: عرضها عليه مجلوة ، وغرة الشىء خالصه (٧) جعل لذته كالصيد يطارده فيسر ببلوغه والوصول اليه :

وَٱفْتِقَادَ أَحَدِ حُصُونِهِ ٱلْمُنْتَظِمَةِ بِلَبَّتِهِ[1] ، وَٱجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مَنِ ٱخْتَصَّهُ لِاسْتِصْحَابِهِ ، وَفِيهِمْ أَبُو ٱلْفَضْلِ مُشَاهِدًا لِانْفِرَاجِهِمْ ، سَالِكاً لِمِنْهَاجِهِمْ ، وَٱلْمُسْتَعِينُ قَدْ أَحْضَرَ مِنْ آلَاتِ إِينَاسِهِ ، وَأَظْهَرَ مِنْ أَنْوَاعِ ذٰلِكَ وَأَجْنَاسِهِ ، مَا رَاقَ مَنْ حَضَرَ ، وَفَاقَ حُسْنُهُ ٱلرَّوْضَ ٱلْأَنْضَرَ ، وَٱلزَّوَارِقُ قَدْ حَفَّتْ بِهِ ، وَٱلْتَفَّتْ بِجَوَانِبِهِ ، وَنَغَمَاتُ ٱلْأَوْتَارِ تَحْبِسُ

لولا طراد الصيد لم تك لذة   فتطاردى لى بالوصال قليلا

هذا الشراب أخو الحياة وماله   من لذة حتى يصيب عليلا

(١) افتقد الشيء اذا تعاهده و بحث عنه وأراد تعرف حاله ، واللبة موضع القلادة من النحر ، جعل الحصون التى على النهر كحبات عقد انتظم فى لبته ــ وقد أورد صاحب البدائع هذه الحكاية بأسلوب أحسن من هذا ، قال : ركب المستعين يوما نهر سرقسطة لتفقد بعض معاقله المنتظمة بجيد ساحله ، وهو نهر رق ماؤه وراق ، وأربى على نيل مصر ودجلة العراق ، قد اكتنفته البساتين من جانبيه ، وألقت ظلالها عليه ، فما تكاد عين الشمس تنظر اليه ، هذا على اتساع عرضه ، و بعد سطح الماء من أرضه ، وقد توسط زورقه زوارق حاشيته توسط البدر للهالة ، وأحاطت به احاطة الطداوة بالغزالة ، وقد أعدوا من مكايد الصيد ما استخرج ذخائر الماء ، وأخاف حتى حوت السماء ، وأهلة الهالات طالعة من الموج فى سحاب ، وقانصة من بنات الماء كل طائرة كالشهاب ، فلا ترى الا صيودا كصيد الصوارم ، وقدود اللهاذم ، ومعاصم الأبكار النواعم . فقال أبو الفضل ابن حسداى والطرب قد استهواه ، و بديع ذلك المرأى قد استرق هواه . الأبيات . اهـ « أحمد يوسف نجاتى »

ٱلسَّائِرَ عَنْ عَدْوِهِ ، وَتُخْرِسُ ٱلطَّائِرَ ٱلْمُفْصِحَ بِشَدْوِهِ ، وَٱلسَّمَكُ تُثِيرُهَا ٱلْمَكَايِدُ ، وَتَغُوصُ إِلَيْهَا ٱلْمَصَايِدُ ، فَتَبْرُزُ مِنْهَا لِلْعَيْنِ ، قُضْبَانُ دُرٍّ أَوْ سَبَائِكُ لُجَيْنٍ ، وَٱلرَّاحُ لَا يُطْمَسُ لَهَا لَمْعٌ ، وَلَا يُبْخَسُ مِنْهَا بَصَرٌ وَلَا سَمْعٌ ، وَٱلدَّهْرُ قَدْ غَضَّتْ صُرُوفُهُ ، وَأُقْتَصَّ مِنْ مُنْكَرِهِ مَعْرُوفُهُ ، فَقَالَ .

لِلّٰهِ يَوْمٌ أَنِيقٌ وَاضِحُ ٱلْغُرَرِ
مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ ٱلْآصَالِ وَٱلْبُكَرِ
كَأَنَّمَا ٱلدَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أَعْتَبَنَا
فِيهِ بِعُتْبَى وَأَبْدَى صَفْحَ مُعْتَذِرِ
نَسِيرُ فِي زَوْرَقٍ حَفَّ ٱلسَّفِينُ بِهِ
مِنْ جَانِبَيْهِ بِمَنْظُومٍ وَمُنْتَثِرِ
مُدَّ ٱلشِّرَاعُ بِهِ نَشْرًا عَلَى مَلِكٍ
بَذَّ[1] ٱلْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ ٱلْأُخَرِ
هُوَ ٱلْإِمَامُ ٱلْهُمَامُ ٱلْمُسْتَعِينُ حَوَى
عَلْيَاءَ مُؤْتَمَنٍ فِي هَدْيِ مُقْتَدِرِ

(١) بذ : فاق وعلا

تَحْوِى اُلسَّفِينَةُ مِنْهُ آيَةً عَجَباً
بَحْرًا تَجَمَّعَ حَتَّى صَارَ فِي نَهَرِ
تُثَارُ مِنْ قَعْرِهِ اُلنِّينَانُ(١) مُصْعِدَةً
صَيْدًا كَمَا ظَفِرَ اُلْغَوَّاصُ بِالدُّرَرِ

(١) فى الأصل «تصاد» وفى القلائد والبدائع «تثار» وهى أحسن — والنينان الحيتان جمع نون ، وهو جمع غير معروف ، فان كلمة «نون» لم يجئ جمعها على نينان ، وقد كان الأخفش لحن بشار بن برد فى قوله فى وصف السفينة :

تـلاعب نينان البحور وربما
رأيت نفوس القوم من جريها تجرى

فغيره بشار بتيار البحور « وان لم ينج الأخفش من هجو بشار » فانه لما بلغه طعن الأخفش قال : ويلى على القصار ابن القصارين متى كانت اللغة والفصاحة فى بيوت القصارين ؟! دعونى واياه — فجزع الأخفش جزعا شديدا وتشفع اليه أن يكف عنه غرب لسانه فقال : وهبت للذم عرضه ، وحمل هذا الأخفش على أن يتملق بشارا فكان يحتج فى كتبه بشعره ليبلغه ذلك فيسكت عنه ، وكان قد بلغ بشارا عن سيبويه أيضا شىء من ذلك فهجاه . ولكن هذا كله لم يمنع بشارا أن يخضع لقوانين اللغة فعدل عما لم يسمع منها ، وان كنت أرى أنه قد يسهله «حوت وحيتان» فهو مثله لفظا ووزنا ومعنى ، وقد قال أبو الطيب المتنبى يصف خيلا :

فهن مع السيدان فى البر عسل وهن مع النينان فى البحر عوم

السيدان جمع سيد وهو الذئب ، والعسل جمع عاسل « كراكع وركع » من عسلان الذئب وهو الاسراع — ولم يعدل أبو الطيب عن نينان « أحمد يوسف نجاتى »

وَلِلنَّـدَامَى بِهِ عَبٌّ وَمُرْتَشَفٌ
كَالرِّيقِ يَعْذُبُ فِي وِرْدٍ وَفِي صَدَرِ
وَالشُّرْبُ فِي وُدِّ مَوْلًى خُلْقُهُ زَهَرٌ
يَذْكُو، وَغُرَّتُهُ أَبْهَى مِنَ الْقَمَرِ

انْتَهَى

⁂

وصف الوزير لأبي محمد البطليوسي

« وَقَالَ » فِي تَرْجَمَـةِ الْعَلَّامَةِ الْـكَبِيرِ الْأُسْتَاذِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ السِّيدِ الْبَطَلْيَوْسِيِّ[1] شَارِحِ أَدَبِ الْـكُتَّابِ وَسِقْطِ الزَّنْدِ وَغَيْرِهِمَا مَا صُورَتُهُ : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ[2] فِي مَجْلِسِ النَّاعُورَةِ بِالْمُنْيَةِ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد ، كان اماما فى اللغة عالما بالآداب مقدما فى ذلك ، وتآليفه فيهما دالة على رسوخه واتساعه، ونفوذه وامتداد باعه منها الاقتضاب فى شرح أدب الـكتاب، وقد طبع بمصر ، وقد شرح سقط الزند لأبى العلاء المعرى شرحا استوفى فيه مقاصده، و بين أسراره ودقائقه وهو أجود من شرح أبى العلاء صاحب الديوان الذى سماه ضوء السقط وله غير ذلك كثير ــ وله مع هذا نثر ونظم جيدان، وفى قلائد العقيان شىء منهما مختار ، ولد ابن السيد سنة ٤٤٤ وتوفى سنة ٥٢١ بمدينة بلنسية . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو أبو الحسن يحيى بن الظافر اسمعيل بن عبـد الرحمن بن ذى النون الهوارى من ملوك الطوائف صاحب طليطلة، ولى الملك بعد أبيه سنة ٤٢٩ واستفحل ملـكه ، وعظم بين ملوك

ٱلَّتِي تَطْمَحُ إِلَيْهَا ٱلْمُنَى ، وَمَرْآهَا هُوَ ٱلْمُقْتَرَحُ وَٱلْمُتَمَنَّى ، وَٱلْمَأْمُونُ قَدِ ٱحْتَبَى،(١) وَأَفَاضَ ٱلْحِبَا ، وَٱلْمَجْلِسُ يَرُوقُ كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ فِي أُفُقِهِ ، وَٱلْبَدْرُ كَالتَّاجِ فِي مَفْرَقِهِ(٢) ، وَٱلنَّوْرُ عَبِقٌ(٣) ، وَعَلَى مَاءِ ٱلنَّهْرِ مُصْطَبِحٌ وَمُغْتَبِقٌ(٤) ، وَٱلدُّولَابُ يَئِنُّ كَنَاقَةٍ إِثْرَ ٱلْحُوَارِ(٥) ، أَوْ كَثَكْلَى مِنْ حَرِّ ٱلْأُوَارِ(٦) ، وَٱلْجَوُّ قَدْ عَنْبَرَتْهُ أَنْوَاؤُهُ(٧) ، وَٱلرَّوْضُ قَدْ رَشَّتْهُ أَنْدَاؤُهُ(٨) ، وَٱلْأُسْدُ قَدْ فَغَرَتْ(٩) أَفْوَاهَهَا ، وَمَجَّتْ أَمْوَاهَهَا ، فَقَالَ :

الطوائف سلطانه ، وغلب على بلنسية وقرطبة، وتوفى سنة ٤٦٧ فولى بعده حفيده القادر يحيى بن اسمعيل بن المأمون يحيى بن ذى النون ، فملك ادفونش ملك الفرنج منه مدينته سنة ٤٧٨ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) احتبى بالثوب : اشتمل ، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، وغرضه أنه جلس جلسة ارتياح ووقار ، وحبا فلانا أعطاه ومنحه، والاسم منه حبوة « مثلثة » وجمعها حبا « بضم الحاء وكسرها » (٢) فى الأصل « كالشمس فى أفقه، والبدر فى مفرقه » وآثرنا مافى القلائد لظهور معناه (٣) ذو رائحة ذكيه منتشرة (٤) الاصطباح : شرب الصباح ، والاغتباق شرب المساء (٥) ولد الناقة (٦) أصل الأوار حرارة العطش وحر النار ، مستعار لحرارة الحزن وجمرة نار الثكل (٧) جمع نوء أراد به المطر (٨) جمع ندى (٩) فتحت ـ يريد الأسد الصناعية التى تمج أفواهها المياه ، وتقدم وصف مثل ذلك ـ ولعلك تخيلت وصف هذا المجلس الذى

يَا مَنْظَرًا إِنْ نَظَرْتُ بَهْجَتَهُ   أَذْكَرَنِى حُسْنَ جَنَّةِ الْخُلْدِ
تُرْبَةُ مِسْكٍ ، وَجَوُّ عَنْبَرَةٍ   وَغَيْمُ نَدٍّ وَطَشُّ(١) مَا وَرْدِ
وَالْمَاءُ كَاللَّازَوَرْدِ قَدْ نَظَمَتْ   مِنْهُ اللَّآلِى فَوَاغِرُ الْأُسْدِ
كَأَنَّمَا جَائِلُ الْحُبَابِ بِهِ   يَلْعَبُ فِى جَانِبَيْهِ بِالنَّرْدِ(٢)
تَرَاهُ يَزْهُو إِذَا يَحِلُّ بِهِ الْ   مَأْمُونُ زَهْوَ الْفَتَاةِ بِالْعِقْدِ(٣)
تَخَالُهُ إِنْ بَدَا بِهِ قَمَرًا   تَمًّا بَدَا فِى مَطَالِعِ السَّعْدِ
كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ حَدَائِقُهُ   مَا حَازَ مِنْ شِيمَةٍ وَمِنْ مَجْدِ
كَأَنَّمَا جَادَهَا فَرَوَّضَهَا   بِوَابِلٍ مِنْ يَمِينِهِ رَغْدِ(٤)

كان الانهماك بالشراب واللهو فى مثله من أسباب ضياع الفردوس المفقود « أحمد يوسف نجاتى » (١) الطش المطر الضعيف، وهو فوق الرذاذ ، وطشت السماء تطش « بالضم ، والكسر » ، وفى نسخة «رش» وهو فى معنى طش (٢) الحباب : نفاخات الماء التى تطفو فوق سطحه ، والطل على الشجر يصبح عليه ، قال :

تخال الحباب المرتقى فوق نورها   الى سوق أعلاها جمانا مبددا

(٣) فى نسخة « الكعاب » بدل الفتاة ، والكعاب هى الناهد التى ارتفع ثديها ، وكعب الثدى « كضرب ونصر » اذا نتأ ونهد (٤) جادها: أمطرها بغيثه . والوابل المطر الغزير « أحمد يوسف نجاتى »

لَا زَالَ فِي رِفْعَةٍ مُضَاعَفَةٍ
مُتَمَّمَ ٱلرِّفْدِ وَارِيَ ٱلزَّنْدِ(١)

***

وصف آخر للمجلس

« وَقَالَ » فِي وَصْفِ هَذَا ٱلْمَجْلِسِ بِعَيْنِهِ فِي ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي أَفْرَدَهُ لِتَرْجَمَةِ ٱبْنِ ٱلسَّيِّدِ مَا صُورَتُهُ : فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ ٱلْقَادِرِ بِٱللهِ بْنِ ذِي ٱلنُّونِ بِمَجْلِسِ ٱلنَّاعُورَةِ بِطُلَيطُلَةَ فِي ٱلْمُنْيَةِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ ٱلْبَهَاءِ وَٱلْإِشْرَاقِ ، ٱلْمُبَاهِيَةِ لِزَوْرَاءِ ٱلْعِرَاقِ(٢) ، ٱلَّتِي يَنْفَحُ(٣) شَذَاهَا ٱلْعِطْرُ ، وَتَكَادُ مِنَ ٱلْغَضَارَةِ(٤) تُمْطِرُ ، وَٱلْقَادِرُ بِٱللهِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ ـ قَدِ ٱلْتَحَفَ ٱلْوَقَارَ وَٱرْتَدَاهُ ، وَحَكَّمَ ٱلْعُقَارَ فِي جُودِهِ وَنَدَاهُ(٥) ،

(١) الرفد العطاء ، « ووارى الزند » يكنى به عن النجاح والظفر فى الأمور وادراك الآمال ، وسداد الرأى وحسن التوفيق (٢) تقدم التعريف بها (٣) نفح الطيب « كمنع » اذا أرج وتضوعت رياه الذكية ، والشذى : قوة ذكاء الرائحة الطيبة وحدتها (٤) الغضارة : النعمة والخير والسعة والخصب والبهجة ، وغضارة العيش : طيبه ونضرته. والفقرة « تكاد من الغضارة تمطر » من شطر بيت، ومر مثل ذلك فى بعض الرسائل (٥) كأنه ينظر الى قول عنترة :

فاذا شربت فانني مستهلك   مالى، وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى   وكما علمت شمائلى وتكرمى

وَالْمَجْلِسُ يُشْرِقُ كَالشَّمْسِ فِي الْحَمَلِ[1] ، وَمَنْ حَوَاهُ يَبْتَهِجُ كَالنَّفْسِ عِنْدَ مَنَالِ الْأَمَلِ ، وَالزَّهْرُ عَبِقٌ ، وَعَلَى مَاءِ النَّهْرِ مُصْطَبِحٌ وَمُغْتَبِقٌ ، وَالدُّولَابُ يَئِنُّ كَنَاقَةٍ إِثْرَ حُوَارٍ ، إِلَى آخِرِ مَا سَبَقَ

***

وصف آخر للمجلس

« وَقَالَ الْفَضْلُ » فِي وَصْفِ هَذَا الْمَجْلِسِ حَاذِياً حَذْوَ الْفَتْحِ مَا صُورَتُهُ : حَضَرَ الْأُسْتَاذُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ السِّيدِ عِنْدَ الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ فِي بَعْضِ مُتَنَزَّهَاتِهِ فِي وَقْتٍ طَابَ نَعِيمُهُ ، وَسَرَتْ بِالسُّعُودِ نُجُومُهُ ، وَالرَّوْضُ قَدْ أَجَادَ وَشْيَهُ رَاقِمُهُ[2] ، وَالْمَاءُ قَدْ جَرَتْ بَيْنَ الْأَعْشَابِ أَرَاقِمُهُ[3] ، وَثَمَّ بِرْكَةٌ مَمْلُوَّةٌ ، كَأَنَّهَا مِرْآةٌ مَجْلُوَّةٌ ، قَدِ اتَّخَذَتْ سِبَاعُ الصُّفْرِ[4] بِشَاطِئِهَا غَاباً ، وَمَجَّتْ بِهَا مِنْ سَائِغِ

---

(١) تحل الشمس فى الحمل فى أول فصل الربيع شباب الزمان وأبهى فصول العام (٢) وشى الثوب : نقشه و زخرفته ــ و رقم الثوب وشاه وخططه وأعلمه (٣) الأرقم من الحيات مافى لونه سواد و بياض ، أو هى حية بين حيتين رقم بحمرة وسواد وكدرة و بغثة « بياض الى الخضرة » والبغثاء أيضا مثل الرقطاء ، وهى التى فيها سواد و بياض و بياضها أكثر من سوادها والبغثة أيضا الغبرة ، ولون رمادى (٤) النحاس الأصفر «أحمد يوسف نجاتى »

الْمَاءِ لُعَابًا ، فَكَأَنَّهَا آسَادُ عَيْنٍ ، أَدْلَعَتْ[١] أَلْسِنَةً مِنْ لُجَيْنٍ ، وَهِيَ لَا تَزَالُ تَقْذِفُ الْمَاءَ وَلَا تَفْتُرُ[٢] ، وَتَنْظِمُ لَآلِئَ الْحَبَابِ بَعْدَ مَا تَنْثُرُ ، فَأَمَرَهُ بِوَصْفِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تَخِدُ إِلَيْهِ[٣] رَكَائِبُ الْقُلُوبِ وَتُوضِعُ ، فَقَالَ بَدِيهًا : يَا مَنْظَرًا الخ . انْتَهَى .

« ثُمَّ قَالَ الْفَتْحُ » فِي هَذَا التَّصْنِيفِ بَعْدَ كَلَامٍ فِي الْمَذْكُورِ مَا نَصُّهُ : وَمَا أَبْدَعَ قَوْلَهُ فِي وَصْفِ الرَّاحِ ، وَالْحَضِّ عَلَى النَّبْذِ لِلْهُمُومِ وَالِاطِّرَاحِ ، بِمُعَاطَاةِ كَاسِهَا ، وَمُوَالَاةِ إِينَاسِهَا ، وَمُعَاقَرَةِ دِنَانِهَا[٤] وَاهْتِصَارِ ثِمَارِ الْفُتُوَّةِ[٥]

---

(١) دلع لسانه « كمنع » وأدلعه اذا أخرجه ، والعين الذهب واللجين الفضة

(٢) الفتور : الضعف والسكون عن النشاط ، والتعب (٣) فى الأصل « تجد » ولكن « تخد » أنسب بما بعده : ووخد « كوعد » أسرع ، والوخد أيضا : سعة الخطو فى المشى — وأوضع عدا عدوا سريعا .

(٤) الدنان جمع دن ، اناء من آنية الخمر عظيم (٥) اهتصر الغصن اذا جذبه وأماله اليه ، والفتوة أصلها فى اللغة الكرم والسخاء والايثار ومكارم الأخلاق ، ثم استعمله المولدون بمعنى اللهو والغزل والميل الى أعمال الشباب ودواعى الهوى

مِنْ أَفْنَانِهَا ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْأَيَّامِ وَأَنْكَادِهَا ، وَالْجَرْيِ فِي مَيْدَانِ الصَّبْوَةِ (١) إِلَى أَبْعَدِ آمَادِهَا :

سَلِّ الْهُمُومَ إِذَا نَبَا زَمَنُ (٢)

بِمُدَامَةٍ صَفْرَاءَ كَالذَّهَبِ

مُزِجَتْ ، فَمِنْ دُرٍّ عَلَى ذَهَبٍ

طَافٍ وَمِنْ حَبَبٍ عَلَى لَهَبِ (٣)

وَكَأَنَّ سَاقِيَهَا يُثِيرُ شَذَى

مِسْكٍ لَدَى الْأَقْوَامِ مُنْتَهَبِ

وَلِلهِ هُوَ ! فَقَدْ نَدَبَ إِلَى الْمَنْدُوبِ (٤) ، وَذَهَبَ إِلَى مُدَاوَاةِ الْقُلُوبِ مِنَ النُّدُوبِ (٥) ، وَإِبْرَائِهَا مِنَ الْآلَامِ ، وَإِهْدَائِهَا كُلَّ تَحِيَّةٍ وَسَلَامٍ ، وَإِبْهَاجِهَا بِآصَالٍ وَبُكَرٍ ، وَعِلَاجِهَا مِنْ هُمُومٍ وَفِكَرٍ ، فِي زَمَنٍ حُلِّيَ عَاطِلُهُ ، وَجُلِّيَ فِي أَحْسَنِ

(١) الصبوة جهلة الفتوة واللهو كالفتوة (٢) نبا به الزمن : أساء اليه ولم توافقه صروفه (٣) يصف الفواقع البيض الطافية فوق الكأس (٤) ندبه الى الأمر « كنصر » دعاه وحثه ، والأمر المندوب المستحب والمطلوب (٥) جمع ندبة « بفتح النون والدال » أثر الجرح على الجلد إذا لم يرتفع عنه « أحمد يوسف نجاتي »

أُلصُّوَرِ بَاطِلُهُ ، وَنَفَقَتْ(١) مُحَالَاتُهُ ، وَطَبَّقَتْ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ أُسْتِحَالَاتُهُ ، فَلَيْثُهُ كَاسِدٌ(٢) ، وَذِئْبُهُ مُسْتَأْسِدٌ(٣) ، وَأَضْغَاثُهُ(٤)

---

(١) راجت وأقبل عليها الناس، والمحال الباطل، وما عدل به عن وجهه من الكلام ، وطبق ملأ وعم . (٢) بائر ضد نافق ورائج، وفعله « كنصر » وأقول : اذا كان يقول هذا فى عصره فماذا يقول لو رأى ما نحن عليه الآن ، وقدراج البهرج الزائف ، وكسد الابريز الجيد المصفى ، وشالت كفة جيف خف وزنها ، وثبتت رزينة الجواهر التى غلت قيمتها ، واستخف أناس بعقول بعض الأغرار ، وموهوا بمحالهم المزور على ذوى الغفلة الأغمار فكانت لهم سوق نافقة ؟! أظنه كان يعلل نفسه بايثاره حفظ كرامتها ، وارضائه ضميره واخلاصه فى عمله الذى لابد أن ينم عنه ، وثقته بأن الحق لابد أن يظهر ، فان ضاع بين الناس لم يضع عند الله « أحمد يوسف نجاتى » (٣) استأسد أى صار كالأسد فى جراءته وأخلاقه ، واستأسد عليه اجترأ (٤) فى الأصل « وأضغانه » تنسر ، ولا بأس بها لولا ما يكون اذا فى تنسر من التحريف أو تكلف المعنى، ولولا أن السياق قد ينبو عنه ، مع فوت الازدواج بين « أضغاث وبغاث » وهو يتحرى ذلك ، هذا الى أن الفقرات كلها أمثال تضرب متشاكلة المعنى متشابهة الغرض – والأضغاث جمع ضغث ، وهو ما كان مختلطا لا حقيقة له من الخبر والأمر ، وكل عمل مختلط غير خالص ، وكلام ضغث لا خير فيه – والضغث الحلم الذى لا تأويل له ولا خير فيه لاختلاطه والتباسه ، والضغث قبضة من قضبان مختلفة مختلطة الرطب باليابس جمعها أصل واحد – ونسر الشيء اذا نشره وفرقه ، فالمعنى على ما فى الأصل أن أضغانه ظاهرة ، وأحقاد أهله على النابغين مكشوفة ، أو أن أخباره التافهة ، وأعماله المختلطة الفاسدة ، وأحاديثه الغثة غير الخالصة قد ظهرت وانتشرت . وأرى كل هذا تعسفا متكلفا ، وعندى أن أصل الفقرة « وأضغاثه تفسر » فقد عرفت أن الأضغاث هى الأحلام الملتبسة المختلطة

تُنْسَرُ ، وَبُغَاثُهُ قَدِ اُسْتَنْسَرَ (١) ، فَلَا اُسْتِرَاحَةَ إِلَّا فِي مُعَاطَاةِ حُمَيَّا ، وَمُوَاخَاةِ وَسِيمِ الْمُحَيَّا . وَقَدْ كَانَ اُبْنُ عَمَّارٍ (٢) ذَهَبَ مَذْهَبَهُ ، وَفَضَّضَهُ بِالْإِبْدَاعِ وَذَهَّبَهُ ، حِينَ دَخَلَ سَرَقُسْطَةَ وَرَأَى غَبَاوَةَ أَهْلِهَا ، وَتَكَاثُفَ جَهْلِهَا ، وَشَاهَدَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْلَمُ مَعْنًى وَلَا فَصْلًا ، وَوَاصَلَ مَنْ لَا يَعْرِفُ قَطْعًا وَلَا وَصْلًا ، فَأَقْبَلَ عَلَى رَاحِهِ يَتَعَاطَاهَا ، وَعَكَفَ عَلَيْهَا مَا تَعَدَّاهَا وَلَا تَخَطَّاهَا ، حَتَّى بَلَغَهُ أَنَّهُمْ نَقَمُوا مُعَاقَرَتَهُ الْعُقَارَ ،

والرؤيا المتداخلة التي لا يستقيم تأويلها ولا يصح تعبيرها ، فهو يقول انها في هذا الزمان الفاسد قد فسرت ، فهو يشكو انقلاب الأحوال وانعكاس الأوضاع ، فيكون مثل الفقرة قبله والفقرة بعده « أحمد يوسف نجاتي »

(١) البغاث صغار الطير وضعافه ، أو ضرب منه بطيء الطيران ، وهو من شرار الطير ومما لا يصيد منها « و بغاث يكون واحدا فيجمع على بغثان ، و يكون جمعا لبغاثة » واستنسر صار كالنسر في القوة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير وأرذاله . وهو مثل يضرب للضعيف يصير قويا ، وللذليل يصبح بعد الهوان عزيزا « وقد يستعمل بمعنى أن من جاورنا عز بنا ، أو أن الضعيف يستضعفنا و يظهر قوته علينا » والمعنى الأول هو المراد هنا (٢) هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الشاعر الأديب المشهور ، كان وزيرا للمعتمد بن عباد ، وجعله أميرا على بعض البلاد ، ولكنه شق عصا الطاعة على ولي نعمته ، و بعد حوادث معروفة قتله المعتمد سنة ٤٧٧ ومن شيء من سيرته ، ويأتي حديث عنه . « أحمد يوسف نجاتي »

وَجَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فِي تَوْبِيخِهِ مَجَالَ ذِي الْفَقَارِ[1] ، فَقَالَ :

نَقَمْتُمْ عَلَيَّ الرَّاحَ أُدْمِنُ شُرْبَهَا

وَقُلْتُمْ : فَتَى رَاحٍ وَلَيْسَ فَتَى مَجْدِ

وَمَنْ ذَا الَّذِي قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الْوَغَى

سِوَايَ؟ وَمَنْ أَعْطَى كَثِيرًا وَلَمْ يُكْدِ ؟[2]

فَدَيْتُكُمُو لَمْ تَفْهَمُوا السِّرَّ ، إِنَّمَا

قَلَيْتُكُمُ[3] جُهْدِي فَأَبْعَدْتُكُمْ جُهْدِي

وَدُعِيَ ابْنُ السَّيِّدِ لَيْلَةً إِلَى مَجْلِسٍ قَدِ احْتَشَدَ فِيهِ الْأُنْسُ وَالطَّرَبُ ، وَقَرَعَ فِيهِ السُّرُورُ نَبْعَهُ بِالْغَرَبِ[4] ،

(١) ذو الفقار سيف مشهور كان للعاص بن منبه « بن الحجاج بن عامر ابن حذيفة بن سعد بن سهم » ثم قتل يوم بدر كافرا، قتله سيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذ سيفه هذا ، وفيه قيل :

لا سيف الا ذو الفقا ر ولا فتى الا على

والغرض هنا أنهم سلقوا ابن عباد بألسنة حداد كهذا السيف (٢) أكدى أي بخل بالعطاء وقل خيره (٣) قلاه يقليه: أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه (٤) سبق شرح النبع والغرب ، والغرض أنه كان للسرور حرب قامت على ساقها ، وميدان جال فيه كل مجال ، وقال الشاعر :

فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض أبت عيدانه أن تكسرا

وقال أبو الطيب :

وَلَاحَتْ نُجُومُ أَكْوَاسِهِ[1] ، وَفَاحَ نَسِيمُ رَنْدِهِ وَآسِهِ[2] ،
وَأَبْدَتْ صُـدُورُ أَبَارِيقِهِ أَسْرَارَهَا[3] ، وَضَمَّتْ عَلَيْهِ

فلا تنلك الليالى ان أيديها اذا ضربن كسرن النبع بالغرب
يريد أن يدعو له بألا تناله الليالى ، فانها اذا ضربت كسرت القوى بالضعيف

(١) كذا بالأصل ، ولم يجمع « كأس » على أكواس ، وأظنها محرفة عن « كئاس » أو كياس بقلب الألف التى أصلها واو ياء ، فقد سمع هذا الجمع كما سمع أكؤس وكؤوس وكاسات — وتشبيه الراح وكاساتها وحبابها بالنجوم كثير فى كلامهم ، ومنه :

نجوم الراح قد طلعت نهارا ونحن من المسرة فى ورود
وماء النيـل زوج بالحميــا فهل لك أن تـكون من الشهود؟

ولابن الفارض :

لها البدر كاس ، وهى شمس يديرها هلال ، وكم يبدو اذا مزجت نجم

(٢) الرند شجر بالبادية طيب الرائحة ، وقد يسمون العود الذى يتبخر به رندا — والآس معروف ، وهو بأرض العرب كثير ، وخضرته دائمة أبدا ، ولهذا قيل :

الآس يبقى وان طال الزمان به والورد يفنى ولا يبقى على الزمن

وقال آخر :

أرى عهدكم كالورد ليس بدائم ولا خير فيمن لا يدوم له عمر
وعهدى لـكم كالآس حسنا ومنظرا له بهجـة تبقى اذا فنى الدهر

وقال آخر :

خليلى ماس الآس يعبق نشره اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداغ ريم معـذر وصورته آذان خيـل نوافر

(٣) مما قيل فى أباريق المدام قول ابراهيم الموصلى :

كأن أباريق المدام لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم من اللين لم تخلق لهن عظام

ٱلْمَحَاسِنُ(١) أَزْرَارَهَا ، وَٱلرَّاحُ يُدِيرُهَا أَهْيَفُ(٢) أَوْطَفُ ، وَٱلْأَمَانِيُّ تُجْنَى وَتُقْطَفُ ، فَقَالَ :

يَا رُبَّ لَيْلٍ قَدْ هَتَكْتُ حِجَابَهُ
بِمُدَامَةٍ وَقَّادَةٍ كَٱلْكَوْكَبِ
يَسْعَى بِهَا أَحْوَى ٱلْجُفُونِ كَأَنَّهَا
مِنْ خَدِّهِ وَرُضَابِ فِيهِ ٱلْأَشْنَبِ(٣)
بَدْرَانِ : بَدْرٌ قَدْ أَمِنْتُ غُرُوبَهُ
يَسْعَى بِبَدْرٍ جَانِحٍ لِلْمَغْرِبِ(٤)

ولآخر :

كأن ابريقنا والراح فى فمه   طير تناول ياقوتا بمنقار

(١) فى الأصل « المجالس» فالضمير فى عليه يرجع الى ابن السيد (٢) الهيف ضمر البطن ورقة الخاصرة، والوطف كثرة شعر الحاجبين والعينين والأشفار مع استرخاء وطول ، وفتى أوطف وغادة وطفاء اذا كانا طويلى شعر أهداب العينين مع كثرته وسواده (٣) الحوة :السواد ، والشنب ماء ورقة تجرى على الثغر مع برد وعذوبة فى الفم (٤) البدر الأول محبوبه، والثانى الراح تغرب فى فم الشارب ، ومثله قول الشاعر من أبيات فى نجوم الكؤوس

طالعات مع السقاة علينا   فاذا ماغربن يغربن فينا

وقال ابن الصائغ :

سقيا لأيامنا ما كان أطيبها   وان نسيت فما أنسى ليالينا
حيث الكؤوس على الندمان دائرة   مثل الكواكب والأبراج أيدينا

فَإِذَا نَعِمْتَ بِرَشْفِ بَدْرٍ غَارِبٍ
فَانْعَمْ بِرَشْفَةِ طَالِعٍ لَمْ يَغْرُبِ (١)
حَتَّى تَرَى زُهْرَ ٱلنُّجُومِ كَأَنَّهَا
حَوْلَ ٱلْمَجَرَّةِ رَبْرَبٌ فِي مَشْرَبِ (٢)
وَٱللَّيْلُ مُنْفَجِرٌ يُطِيرُ غُرَابَهُ وَٱلصُّبْحُ يَطْرُدُهُ بِبَازٍ أَشْهَبِ (٣)

تبدو فتحرق شيطان الهموم وما زال الكواكب يحرقن الشياطينا
وقال عبد الرحمن القرشي الأموي الطليق « وتقدم التعريف به » .
أصبحت شمسا وفوه مغربا ويد الساقي المحيي مشرقا
فاذا ماغربت في فمه أطلعت في الخد منه شفقا

(١) في معنى هذا :

يدير من يده خمرا ومن فمه شهدا به لنفوس القوم لذات
فقمت أشرب من فيه وخمرته شربا تشن به في العقل غارات

(٢) الربرب : القطيع من بقر الوحش أو من الظباء (٣) منفجر من الفجر وهو ضوء الصباح أو حمرة الشمس في سواد الليل ، وقد انفجر الليل عن الصبح وانفجر الصبح ــ وفي نسخة « منحفز ، ومحتفز » من حفزه يحفزه اذا دفعه وأزعجه وأعجله وحثه ، وحفز الليل النهار أي حثه وساقه ، واحتفز فهو محتفز أي مستعجل مستوفز يريد النهوض مسرعا واحتفز في مشيته اذا احتث واجتهد ، وفي هذا المعنى قول ابن المعتز :

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجا نطير غرابا ذا قوادم جون

والشهبة: بياض يصدعه سواد في خلاله ــ يقول انه لايزال يشرب وينعم بخمرتي الشراب والرضاب حتى تنحدر النجوم مغربة ، ويطرد بازي النهار غراب الليل . « أحمد يوسف نجاتي » .

« ثُمَّ قَالَ ٱلْفَتْحُ » بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ مَا صُورَتُهُ : وَدَخَلَ - يَعْنِي ٱبْنَ ٱلسِّيدِ - سَرَقُسْطَةَ أَيَّامَ ٱلْمُسْتَعِينِ وَهِيَ جَنَّةُ ٱلدُّنْيَا ، وَفِتْنَةُ ٱلْمَحْيَا ، وَمُنْتَهَى ٱلْوَصْفِ ، وَمَوْقِفُ ٱلسُّرُورِ وَٱلْقَصْفِ ، مَلِكٌ نَمِيرُ[1] ٱلْبَشَاشَةِ ، كَثِيرُ ٱلْهَشَاشَةِ ، وَمُلْكٌ أَبْهَجُ[2] ٱلْفِنَاءِ ، أَرِجُ ٱلْأَرْجَاءِ ، يَرُوقُ ٱلْمُجْتَلِي[3] ، وَيَفُوقُ ٱلنَّجْمَ ٱلْمُعْتَلِيَ ، وَحَضِيرَةٌ[4] مُنْسَابَةُ ٱلْمَاءِ ، مُنْجَابَةُ[5] ٱلسَّمَاءِ ، يَبْسِمُ زَهْرُهَا ، وَيَنْسَابُ نَهْرُهَا ، وَتَتَفَتَّحُ خَمَائِلُهَا[6] ، وَتَتَضَوَّعُ صَبَاهَا وَشَمَائِلُهَا[7] ، وَٱلْحَوَادِثُ لَا تَعْتَرِضُهَا ، وَٱلْكَوَارِثُ لَا تَفْتَرِضُهَا[8] وَنَازِلُهَا مِنْ عُرْسٍ إِلَى مَوْسِمٍ ، وَآمِلُهَا مُتَّصِلٌ

(١) مستعار من الماء النمير وهو الناجع فى الرى الهنىء ، والعذب الصافى (٢) قد تكون « بهج » الموازنة للصفة أرج، أو بهيج ، وأرج الطيب « كفرح » فهو أرج اذا توهجت رائحته وتضوعت نفحته ، وبهج بالشىء « كفرح » سر به ، والبهجة: ضحك أسارير الوجه وظهور الفرح دائما ، ورجل بهج أى مبتهج بأمر يسره (٣) أى يعجب من يشاهد حسنه و يسره (٤) قد تكون « حضرة » أى مدينة — أما الحضيرة فهى المياه يحضرها الناس (٥) منكشفة ساطعة (٦) جمع خميلة : وهى الشجر الكثير الملتف الكثيف ، وتضوع الطيب: انتشرت رائحته الذكية (٧) جمع شمال (٨) لعله مجاز من فرض الشىء وافترضه اذا حزه بأسنانه وعضه وأثر فيه. والغرض الحز فى الشىء والقطع ، يريد أن مصائب الدهر ونوائبه لم تنل

بِالْأَمَانِيِّ وَمُتَّسِمٌ ، فَنَزَلَ مِنْهَا فِي مِثْلِ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ[1] ، وَتَصَرَّفَ فِيهَا بَيْنَ رَوْضَةٍ وَغَدِيرٍ ، فَلَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُسْتَعِينِ اخْتِلَالُهُ ، وَلَمْ تَخِفَّ لَدَيْهِ[2] خِلَالُهُ ، فَذَكَرَهُ مُعْلِماً بِهِ وَمُعَرِّفاً ، وَأَحْضَرَهُ مُنَوِّهاً[3] بِهِ وَمُشَرِّفاً ، وَقَدْ كَانَ فَرَّ مِنَ ابْنِ رَزِينٍ[4] فِرَارَ السُّرُورِ مِنْ نَفْسِ الْحَزِينِ ، وَخَلَصَ

منها ولم تؤثر فيها تأثيرا يذهب ببهجتها ويضعف من حسنها ونضرتها ، وفى الحديث فى صفة السيدة مريم عليها السلام : « لم يفترضها ولد » أى لم يؤثر فيها ولم يحزها قبل مولد روح الله عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وقد تكون « يقترضها » بالقاف من قرضه اذا قطعه ، واقترض عرضه اذا اغتابه ، لأن المغتاب كأنه يقطع من عرض أخيه ، ومنه الحديث : « عباد الله رفع الله عنا الحرج الا من اقترض امرأ مسلما » ، وفى رواية الا من اقترض عرض مسلم ، أراد قطعه بالغيبة والطعن عليه والنيل منه ، فمآل المادتين واحد ، وهذا التكلف ارضاء للموازنة والازدواج فى فقرتى السجعتين وتوخى الجناس والتزام مالا يلزم « فى حوادث وكوارث ، تعترض ، وتفترض » وما بمثل هذا يحسن البديع ويعذب « أحمد يوسف نجاتى »

(١) تقدم القول فى هذين القصرين (٢) يريد لم يخف ميزانها لديه بل أكبرها واعتد بها — وقد تكون « لم تخف » من الخفاء لولا تكرار المعنى وكراهة الايطاء (٣) نوه به اذا أشاد بذكره ورفع قدره وشهره وقد تكون « ولم تجف » وقد تكون الفقرة الأولى ولم يجف .. اختلاله

(٤) ابن رزين من ملوك الطوائف ، وكان بنو رزين قد استبدوا بالسهلة من ثغور الأندلس ، وأول من ملك منهم مؤيد الدولة هذيل بن خلف ابن رزين فى أوائل المائة الخامسة بدعوة هشام المؤيد ، وأصله بربرى

مِنَ اُعْتِقَالِهِ ، خُلُوصَ اُلسَّيْفِ مِنْ صِقَالِهِ[1] ، فَقَالَ يَمْدَحُهُ :

هُمُو سَلَبُونِى حُسْنَ صَبْرِىَ إِذْ بَانُوا
بِأَقْمَارِ أَطْوَاقٍ مَطَالِعُهَا بَانُ[2]
لَئِنْ غَادَرُونِى بِاللِّوَى إِنَّ مُهْجَتِى
مُسَايِرَةٌ أَظْعَانَهُمْ حَيْثُمَا كَانُوا
سَقَى عَهْدَهُمْ بِالْخَيْفِ[3] عَهْدُ غَمَائِمٍ
يُنَازِعُهَا مُزْنٌ مِنَ اُلدَّمْعِ هَتَّانُ
أَأَحْبَابَنَا هَلْ ذٰلِكَ اُلْعَهْدُ رَاجِعٌ ؟ !
وَهَلْ لِى عَنْكُمْ آخِرَ اُلدَّهْرِ سُلْوَانُ !؟

ومولده بالأندلس ، وتلقب مؤيد الدولة وتوفى سنة ٤٥٠ فولى بعده ابنه عبدالملك بن خلف ، وكان أديبا شاعرا بليغا، وتلقب حسام الدولة ، وكان ذو الرياستين أبو مروان ملك السهلة هذا واسطة عقد بنى رزين ، ودرة تاجهم وغرة جبينهم « وكان يلى الثغر ويملك الى أول أعمال طليطلة » وكان كريما شجاعا جريئا، وكانت دولته محط رحال الشعراء ورجال البيان ، ولكنه كان سريع الغضب شديد البادرة حاد السورة، وهو الذى فر ابن السيد من سجنه ناجيا بنفسه، ثم ولى بعده ابنه حسام الدولة ، ولم يزل أميرا عليها الى أن ملكها المرابطون عند تغلبهم على الأندلس وقد تقدم ذكر لبنى رزين ملوك السهلة فى الأجزاء السابقة « أحمد يوسف نجاتى » . (١) صقل السيف جلاه ، والاسم الصقال (٢) أقمار لأطواق يريد بها الوجوه ، ويريد بالبان القدود شبهها بأغصان البان فى الاعتدال واللين والتثنى والانعطاف والنعمة والرونق . (٣) الخيف بمنى وبه سمى مسجد الخيف، وفيه يقول نصيب أو المجنون

وَلِي مُقْلَةٌ عَبْرَى(١) وَبَيْنَ جَوَانِحِي
فُؤَادٌ إِلَى لُقْيَاكُمُ ٱلدَّهْرَ حَنَّانُ
تَنَكَّرَتِ ٱلدُّنْيَا لَنَا بَعْدَ بُعْدِكُمْ
وَحَفَّتْ بِنَا مِنْ مُعْضِلِ ٱلْخَطْبِ أَلْوَانُ
أَنَاخَتْ بِنَا فِي أَرْضِ شَنْتَمَرِيَّةٍ(٢)
هَوَاجِسُ ظَنٍّ خَانَ، وَٱلظَّنُّ خَوَّانُ
وَشِمْنَا بُرُوقًا لِلْمَوَاعِيدِ أَتْعَبَتْ
نَوَاظِرَنَا دَهْرًا، وَلَمْ يَهْمِ تَهْتَانُ(٣)
فَسِرْنَا وَمَا نَلْوِي عَلَى مُتَعَذِّرٍ
إِذَا وَطَنٌ أَقْصَاكَ آوَتْكَ أَوْطَانُ(٤)

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة بخيف منى ترمى جمار المحصب

والهتان : السائل بكثرة وغزارة (١) تفيض بالعبرات أى الدموع (٢) شنت مرية : حصن كان من أعمال شنتبرية، وكانت شنتمرية من أعمال ابن رزين (٣) فى الأصل « هتان » فتكون مكررة فى القافية مع البيت الثالث من القصيدة، فآثرنا أن تكون مصحفة عن « تهتان » من هتنت السماء اذا انصبّ مطرها (٤) يقال مر مايلوى على أحد أو على شىء أى لم يعطف ولم يقم، وماانتظر ولا تحبس، وفى معنى البيت :

وفى الأرض منأى كريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

وَلَا زَادَ إِلَّا مَا ٱنْتَشَتْهُ مِنَ ٱلصَّبَا
أُنُوفٌ ، وَحَازَتْهُ مِنَ ٱلْمَاءِ أَجْفَانُ(١)
رَحَلْنَا سَوَامَ ٱلْحَمْدِ مِنْهَا لِغَيْرِهَا
فَلَا مَاؤُهَا صَدَّى، وَلَا ٱلنَّبْتُ سَعْدَانُ(٢)

(١) نشار بحاطيبة ، ونشى نشوة وانتشى وتنشى اذا شمها ــ يقال لم يخرج بزاد الا بالنسيم يشمه بدل الطعام ، وبالماء ادخره دمعا فى أجفانه عوضا من الشراب ، وكأنه يشير من طرف خفى بعجز البيت الى قول الشاعر :

ترفق بدمعك لاتفنه فبين يديك بكاء طويل

(٢) السوام فى الأصل الابل السائمة أى التى ترسل لترعى ، وفى الأصل سوام «الخر» بدل «الحمد» وفى نسخة «الحمر» وهو تصحيف، فهو يقول ان مدينة شنتمرية لما نبت به رحل عنها ولم يحمدها وآثر بالحمد مدينة حملته وصدق فيها ظنه وتحقق رجاؤه ، وأشار بعجز البيت الى المثل المشهور :

« ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان »

وصداء ركية لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها . وفيها يقول ضرار السعدى

يرى دون برد الماء هولا وذادة اذا اشتد صاحوا قبل أن يتحببا
وانى وتهيامى بزينب كالذى تطلب من أحواض صداء مشربا

يريد أنه لايصل اليه الا بالمزاحمة لفرط حسنها ، كالذى يرد هذا الماء فانه يزاحم عليه الوراد لفرط عذوبته. وتحبب أى روى ــ والسعدان من أنجع المراعى، ولا تحسن الماشية على نبت حسنها عليه . قال النابغة :

الواهب المائة الأبكار زينها سعدان توضح فى أوبارها اللبد

والمثلان يضربان للشىء يفضل على أقرانه وأشكاله « أى هذا مرعى جيد وليس فى الجودة مثل السعدان » فيضرب كذلك للشيئين أو الرجلين لهما فضل الا أن أحدهما أفضل . « أحمد يوسف نجاتى » .

إِلَى مَلِكٍ حَابَاهُ بِالْمَجْدِ يُوسُفٌ
وَشَادَ لَهُ الْبَيْتَ الرَّفِيعَ سُلَيْمَانُ(١)

إِلَى مُسْتَعِينٍ بِالْإِلٰهِ مُؤَيَّدٍ
لَهُ النَّصْرُ حِزْبٌ، وَالْمَقَادِيرُ أَعْوَانُ

جَفَتْنَا بِلَا جُرْمٍ كَأَنَّ مَوَدَّةً
ثَنَى نَحْوَنَا مِنْهَا الْأَعِنَّةَ شَنْآنُ(٢)

(١) فى البيت تورية فى اسمى « يوسف، وسليمان » وأراد جد المستعين أبا أيوب سليمان بن محمد بن هود « بن عبدالله بن موسى مولى أبى حذيفة الجذامى نسبا » وكان سليمان متغلبا على مدينة سرقسطة سنة ٤٣١ وتلقب المستعين ، واستفحل ملكه وقوى سلطانه ، وتوفى سنة ٤٣٨ — وأراد « بيوسف » يوسف المؤتمن، وهو أبو المستعين الممدوح « وهو يوسف المظفر بن أحمد المقتدر بن سليمان بن محمد بن هود » وتوفى المؤتمن سنة ٤٧٨ فولى بعده ابنه أحمد المستعين هذا « ولم يزل أميرا بسرقسطة حتى توفى شهيدا سنة ٥٠٣ فى زحف ملك الفرنج إليها، وقد سبق أن تكلمنا على بنى هود وملكهم وتاريخ كل منهم فيها — والمورى بهما نبيا الله يوسف وسليمان عليهما السلام ، ولا يخفى مناسبة يوسف للمجد ، وسليمان للبناء الرفيع ، فالتورية مرشحة بذكر مايلائم المعنى القريب المورى به . « أحمد يوسف نجاتى »(٢) الجرم الذنب ، والشنآن البغض والكراهية — يقول كأن مودته كانت سببا لجلب البغض له ، فجاءه الضر من حيث كان يرجو النفع ، فقد جوزى كراهة عن مودة ، وبغضا عن محبة

وَلَوْ لَمْ تُفِدْمِنَّا سِوَى الشِّعْرِ وَحْدَهُ
لَحَقَّ لَنَا بِرٌّ عَلَيْهَا وَإِحْسَانُ(١)

فَكَيْفَ وَلَمْ نَجْعَلْ بِهَا الشِّعْرَ مَكْسَبًا
فَيُوجِبَ لِلْمُكْدِي جَفَاءٍ وَحِرْمَانُ(٢)!

وَلَا نَحْنُ مِمَّنْ يَرْتَضِي الشِّعْرَ خُطَّةً
وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ شَأْوِنَا فِيهِ أَعْيَانُ(٣)

وَمَنْ أَوْهَمَتْهُ غَيْرَ ذَلِكَ ظُنُونُهُ
فَثَمَّ مَجَالٌ لِلْمَقَالِ وَمَيْدَانُ

---

(١) فى الأصل « لحن لنابر عليه .. » وهو تصحيف ، يريد أن المدينة التى نبت به وجفته بغير ذنب لو لم يكن له عليها الا أنه زانها بجيد شعره وأقام فيها للأدب سوقا نافقة لكان حقا عليها أن تعد ذلك منه برا بها واحسانا اليها ، وفضلا يسترجب به الحب والشكر ، لا القلى والهجر . «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) أكدى الرجل اذا بخل أو قل خيره ، وسأله فأكدى : أى وجده بخيلا كالصخرة لاتبل صفاته ولا تندى بنانه ، وأكدى اذا ألح فى المسألة والمكدى من الرجال من لايثوب له مال ولاينمى ، وأكدى خاب ، وأنسب المعانى للمكدى هنا السائل الملحف فى الطلب ، يقول لم نكن ممن يتكسب بالشعر ويسأل الناس به حتى كان يستوجب الجفاء والحرمان بالحافه والحاحه واراقة ماء وجهه ، وجعل الشعر تجارة كاسدة ساقطة القدر (٣) الشأو: الغاية والأمد والسبق « أحمد يوسف نجاتى »

خَلِيلَيَّ مَنْ يُعْدِي عَلَى زَمَنٍ لَهُ
إِذَا مَا قَضَى حَيْفٌ عَلَيَّ وَعُدْوَانُ[١]؟!

وَهَلْ رِيءَ مِنْ قَبْلِي غَرِيقُ مَدَامِعٍ
يَفِيضُ بِعَيْنَيْهِ الْحَيَا وَهْوَ حَرَّانُ[٢]؟!

وَهَلْ طَرَفَتْ عَيْنٌ لِمَجْدٍ وَلَمْ يَكُنْ
لَهَا مُقْلَةٌ مِنْ آلِ هُودٍ وَإِنْسَانُ[٣]؟!

بِوَجْهِ ابْنِ هُودٍ كُلَّمَا أَعْرَضَ الْوَرَى
صَحِيفَةُ إِقْبَالٍ لَهَا الْبِشْرُ عُنْوَانُ

فَتَى الْمَجْدِ، فِي بُرْدَيْهِ بَدْرٌ وَضَيْغَمٌ
وَبَحْرٌ وَقُدْسٌ ذُو الْهِضَابِ وَثَهْلَانُ[٤]

مِنَ النَّفَرِ الشُّمِّ الَّذِينَ أَكُفُّهُمْ
غُيُوثٌ، وَلَكِنَّ الْخَوَاطِرَ نِيرَانُ[٥]

---

(١) الحيف : الجور والظلم ، وأعداه اذا نصره وأعانه

(٢) ومن عجب أني أروى ديارهم   وحظى منها حين أسألها الصدى
والحران الشديد العطش (٣) طرفت عينه الى الشيء اذا نظرت اليه وانصرفت نحوه (٤) قدس جبل عظيم بأرض نجد ، وثهلان جبل ضخم بالعالية ، وصف ممدوحه بالرفعة والشرف وعلو القدر والبهاء والاشراق ، وبالشجاعة والكرم ، وبالوقار والحلم والرزانة والثبات (٥) الشم : جمع

لُيُوثُ شَرًى مَازَالَ مِنْهُمْ لَدَى ٱلْوَغَى
هِزَبْرٌ بِيُمْنَاهُ مِنَ ٱلسُّمْرِ ثُعْبَانُ(١)
وَهَلْ فَوْقَ مَا قَدْ شَادَ مُقْتَدِرٌ لَهُمْ
وَمُؤْتَمَنٌ بِاللهِ لُقْيَاهُ إِيمَانُ(٢)
أَلَا لَيْسَ فَخْرٌ فِي ٱلْوَرَى غَيْرُ فَخْرِهِمْ
وَإِلَّا فَإِنَّ ٱلْفَخْرَ زُورٌ وَبُهْتَانُ
فَيَا مُسْتَعِينًا مُسْتَغَاثًا لِمَنْ نَبَا
بِهِ وَطَنٌ يَوْمًا وَعَضَّتْهُ أَزْمَانُ(٣)

أشم، أي ذوي الأباء و رفيع الذكر وعلو القدر . ومعنى البيت ــ وان كان المدح هنا بالكرم وسرعة الخاطر وتوقد الذكاء ــ قريب من قول البحتري :

وصاعقة من نصله تنكفي بها ... على أرؤس الأقران خمس سحائب
يكاد الندى منها يفيض على العدا ... لدى الحرب في ثني قنا وقواضب

(١) شرى اسم مأسدة قال :

أسود شرى لاقت أسود خفية ... تساقوا على حرد دماء الأساود

وخفية موضع تكثر أسده، والحرد الغضب ، أراد بالسمر الرماح تتثنى في أيديهم للينها، وجعلها ثعابين لذلك ولأنها سم للأعداء ، والهزبر الأسد ، وفي الأصل « السم » بدل السمر وهو تصحيف وان كان غير بعيد « أحمد يوسف نجاتي » . (٢) سبق التعريف بالمقتدر والمؤتمن قريبا (٣) نبا به الوطن اذا لم يوافقه ولم ينل غرضه فيه ويروى « فيا مستعينا مستعانا . . . » « أحمد يوسف نجاتي »

كَسَوْتُكَ مِنْ نَظْمِي قِلَادَةَ مَفْخَرٍ
يُبَاهِي بِهَا جِيدُ الْمَعَالِي وَيَزْدَانُ
وَإِنْ قَصَّرَتْ عَمَّا لَبِسْتَ فَرُبَّمَا
تَجَاوَرَ دُرٌّ فِي النِّظَامِ وَمَرْجَانُ(١)
مَعَانٍ حَكَتْ غُنْجَ الْحِسَانِ ، كَأَنَّنِي
بِهِنَّ حَبِيبٌ أَوْ بَطَلْيُوسَ بَغْدَانُ(٢)
إِذَا غَرَسَتْ كَفَّاكَ غَرْسَ مَكَارِمٍ
بِأَرْضِيَ أَجْنَتْكَ(٣) الثَّنَاءَ مِنْهُ أَغْصَانُ

***

« وَقَالَ » فِي وَصْفِ مَجْلِسٍ لِأَبِي عِيسَى بْنِ لَبُّونٍ(٤) وصف مجلس لأبي عيسى ابن لبون

(١) كأنه يقول :

ولم أمدحك تفخيما لشعري ولكني مدحت بك المديحا

أو يقول :

ومابلغ المثنون فى الناس مدحة وان أطنبوا الاالذى فيك أفضل

(٢) الغنج تدلل الحسناء وتكسرها ،أو ملاحة عينيها وحسن شكلها — وحبيب هو أبو تمام الطائى ، و بطليوس المدينة التى ينسب اليها الشاعر « ابن السيد البطليوسى » و بغدان اسم لمدينة بغداد (٣) أى منحتك جناها ، وتناولت الثناء منها (٤) هو ذو الوزارتين القائد أبو عيسى بن لبون ، كان من قواد المأمون أبى الحسن يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة والمتغلب على بلنسية وقرطبة ، ومن أعظم رؤساء دولته وأخص أصحابه، كان رئيسا جليل القدر أديبا جوادا ذا كرم ومروءة ، بسمت له الدنيا زمنا

أَحْضَرَ إِلَيْهِ ٱبْنَ ٱلسِّيدِ مُنَوِّهًا بِقَدْرِهِ مَا صُورَتُهُ : وَأَحْضَرَهُ إِلَى مَجْلِسٍ نَامَ عَنْهُ ٱلدَّهْرُ وَغَفَلَ ، وَقَامَ لِفَرْطِ أُنْسِهِ وَاُحْتَفَلَ وَقَدْ بَانَتْ صُرُوفُهُ ، وَدَنَتْ مِنَ ٱلزَّائِرِ قُطُوفُهُ ، وَقَالَ هَلُمَّ بِنَا إِلَى ٱلاجْتِمَاعِ بِمَذْهَبِكَ ، وَٱلِاسْتِمْتَاعِ بِمَا شِئْتَهُ[1] مِنْ بَرَاعَةِ أَدَبِكَ ، فَأَقَامُوا يُعْمِلُونَ كَأْسَهُمْ ، وَيَصِلُونَ إِينَاسَهُمْ ، وَبَاتُوا لَيْلَتَهُمْ مَا طَرَقَهُمْ نَوْمٌ ، وَلَا عَدَاهُمْ عَنْ طِيبِ ٱللَّذَّاتِ سَوْمٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ : وَحَضَرَ ٱبْنُ ٱلسِّيدِ عِنْدَ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلظَّافِرِ بْنِ ذِي ٱلنُّونِ مَجْلِسًا رَفَعَتْ فِيهِ ٱلْمُنَى لِوَاءَهَا ، وَخَلَعَتْ عَلَيْهِ أَضْوَاءَهَا ، وَزَفَّتْ إِلَيْهِ ٱلْمَسَرَّاتُ أَبْكَارَهَا ، وَفَارَقَتْ إِلَيْهِ ٱلطَّيْرُ أَوْكَارَهَا ، فَقَالَ يَصِفُهُ :

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُ وَلَا تَرَى
أَنْفَسَ فِي نَفْسِي وَأَبْهَى مَنْظَرَا

ثم عبست له ، فقد كانت له مدينة مربيطر « من أعمال بلنسية من شرق الأندلس » فتغلب عليها ابن رزين وأقعده بعد نهضته ، ولكن ذلك لم ينزل به عن درجة الشرف بين كرام الناس ، وكان أخوه أبو محمد صاحب لورقة ، وتوفى وهو يملكها فرثاه بما ذكره ما آلت اليه حاله بعد أن أرهقته الرزايا ، ثم انتهت به الدنيا الى أن أعرض عن زخرفها ، ونفض يده عن التمسك بحبالها ، حتى توفى حوالى سنة ٥٠٠ رحمه الله . «أحمد يوسف نجاتى»

(١) قد تكون « وشيته » استعارة لما صاغه من جيد الشعر .

إِذَا تَرَدَّى وَشْيَهُ الْمُصَوَّرَا

مِنْ حَوْكِ صَنْعَاءَ وَحَوْكِ عَبْقَرَا(١)

وَنَسْجِ قُرْقُوبٍ وَنَسْجِ تُسْتَرَا

خِلْتَ الرَّبِيعَ الطَّلْقَ فِيهِ نَوَّرَا(٢)

(١) تردى : مجاز من تردى الثوب أوالرداء اذا لبسه وتوشح به ، والوشى نقش الثوب بألوان مختلفة ، و وشى الحائك، وحاك الثوب يحوكه اذا نسجه وألف بين خيوطه وألوانه ، وصنعاء هى المدينة المشهورة باليمن، وكانوا يضربون بها المثل فى جودة الصنعة حتى أن اسمها « صنعاء » نسبة الى جودة الصنعة واتقانها فى ذاتها ، كقولهم امرأة حسناء وعجزاء وشهلاء أى ذات حسن وعجيزة وشهلة — وعبقر موضع زعموا باليمن أو بالجزيرة كانت توشى فيه الثياب والبسط ،وكانت ثيابها فى غاية الحسن والجودة ، فصارت مثلا لكل منسوب الى شىء رفيع جيد يتعجب من حسنه وجودة صنعته، وكلما بالغوا فى شىء متناء نسبوه اليها (٢) قرقوب: بلدة كانت متوسطة بين واسط والبصرة والأهواز، كانت تنسب اليها الثياب القرقبية « بحذف الواو فى النسب كما قالوا سابرى فى النسب الى سابور » وهى ثياب بيض من كتان دقيقة الصنع، وقد يقال فيها فرقب وثرقب — وتستر كانت أعظم مدينة بخوزستان، وكانت تعمل بها الثياب وأنواع النسيج الفائقة — يحكى أن الصاحب بن عباد لبس يوما عمامة بطراز عريض من عمل تستر، فجعل بعض جلسائه يتأملها و يطيل النظر اليها ، فقال الصاحب : ماعملت بتستر لتستر « وهذا من نوادر الصاحب الذى شغفه السجع والجناس حبا ، حتى عزل قاضى مدينة قم ليقول :

أيها القاضى بقم قد عزلناك فقم

كَأَنَّمَا ٱلْإِبْرِيقُ حِينَ قَرْقَرَا
قَدْ أَمَّ لَثْمَ ٱلْكَاسِ حِينَ فَغَرَا(١)
وَحْشِيَّةٌ ظَلَّتْ تُنَاغِي جُؤْذَرَا
تُرْضِعُهُ ٱلدَّرَّ وَيَرْنُو حَذِرَا(٢)

ولكن كم كانت له مكارم . « أحمد يوسف نجاتى » (١) القرقرة حكاية صوت الضحك ، وهى شبه القهقهة ، وقرقر البعير اذا هدل صوته ورجع ، وصوت الحمام اذا هدر ، وفغرفاه اذا فتحه ، وعجز البيت فى الأصل كما ترى ، ويروى « وأم لثم .. » وهذا أحسن ، ليكون البيت التالى خالصا لخبر كأن . وفى بعض المراجع « قدام فم الكاس الخ» فقدام ظرف مكان ، وفم بتشديد الميم على رأى من جوزه مستدلا بقول الراجز * ياليتها قد خرجت من فمه * يروى بضم فاء فم وفتحها مع تشديد الميم والغرض من البيتين ظاهر ، فهو يريد تصوير الهيئة التى ترى عند صب الراح من فم الابريق فى الكاس (٢) يريد بالوحشية الغزالة غير المستأنسة « والبقرة الوحشية » وتناغى : تلاطف وتدانى وتغازل ، وناغت الأم صبيها اذا لاطفته وشاغلته ، والجؤذر ولد البقرة الوحشية ، والدر : اللبن — والشعراء يشبهون ابريق المدام بالظبى ، قال الموصلى :

كأن أباريق المدام لديهم ظباء بأعلى الرقمتين قيام

وقال عبدة بن الطبيب :

كأن ابريقهم ظبي على شرف مفدم بسبا الكتان ملثوم

« مفدم وملثوم أى مسدود باللثام » وفى المعنى قول السرى الرفاء :

ابريقنا عاكف على قدح كأنه الأم ترضع الولدا

وللصفدى :

كأن ابريقنا والراح فى فمه طير تناول ياقوتا بمنقار

كَأَنَّمَا مَجَّ عَقِيقاً أَحْمَرَا
أَوْ فَتَّ مِنْ رَيَّاهُ مِسْكا أَذْفَرَا(١)
أَوْ عَابِدُ ٱلرَّحْمٰنِ يَوْمًا ذُكِرَا
فَنَمَّ مِسْكاً ذِكْرُهُ وَعَنْبَرَا(٢)
ٱلظَّافِرُ ٱلْمَلْكُ ٱلَّذِى مَنْ ظَفِرَا
بِقُرْبِهِ نَالَ ٱلْعَلَاءَ ٱلْأَكْبَرَا
لَوْ أَنَّ كِسْرَى رَاءَهُ أَوْ قَيْصَرَا
هَلَّلَ إِكْبَارًا لَهُ وَكَبَّرَا(٣)
تُبْدِى سَمَاءُ ٱلْمُلْكِ مِنْهُ قَمَرَا
إِذَا حِجَابُ ٱلْمَجْدِ عَنْهُ سَفَرَا

واصفى الدين الحلى :

وللأباريق عند المزج لجلجة كنطق مرتبك الألفاظ مذعور
كأنها وهى فى الأكواب ساكبة طير تزق فراخا بالمناقير

(١) مج : صب ورمى ، وفت أى دق وكسر بالأصابع ، وفتات المسك : ماتفتت منه وتكسر ، والأذفر من الذفر وهو شدة ذكاء الريح ، وفعله « كفرح » قالوا : انه لايقال فى شىء من الطيب « أذفر » الا فى المسك وحده (٢) نم : أظهر وأذاع . (٣) راء لغة فى رأى أو مقلوب عنه

يَـٰأَيُّهَا ٱلْمُنْضِى ٱلْمَطَايَا بِالسُّرَى
تَبْغِى غَمَامَ ٱلْمَـكْرُمَاتِ ٱلْمُمْطِرَا[١]

ٱنْتَهَى

***

التعريف بابن العطار

« وَقَالَ ٱلْفَتْحُ » فِى تَرْجَمَـةِ ٱلْأَدِيبِ أَبِى ٱلْقَاسِمِ بْنِ ٱلْعَطَّارِ مَا صُورَتُهُ : هُوَ أَحَدُ أُدَبَاءِ إِشْبِيلِيَةَ وَنُحَاتِهَا، ٱلْعَامِرِينَ لِأَرْجَاءِ ٱلْمَعَارِفِ وَسَاحَاتِهَا، لَوْلَا مُوَاصَلَةُ رَاحَاتِهِ[٢]، وَتَعْطِيلُ بُـكَرِهِ وَرَوْحَاتِهِ، وَمُوَالَاتُهُ لِلْفُرَجِ[٣]، وَمُغَالَاتُهُ فِى عَرْفٍ لِأُنْسٍ أَوْ أَرَجٍ[٤] لَا يُعَرِّجُ إِلَّا عَلَى ضَفَّةِ نَهْرٍ ، وَلَا يَبْتَهِجُ

(١) أنضى بعيره اذا هزله بالسير فذهب لحمه ، والنضو :المهزول من الابل وغيرها ، وهو فى الابل أكثر . وفى الأصل « أضنى » بدل أنضى ، وأراه مصحفا ، فان الاستعمال جار فى كد الابل واجهادها بالسير على « أنضى » أما الضنا فهو المرض المخامر الشديد كلما ظن برؤه نكس ، وأضناه المرض اذا أثقله (٢) جمع راحة ضد تعب أوعمل، وقد يجوز أن تكون جمع « راح » وهى الخمر تؤنث على معنى الخمر فيكون « فى راحاته » تورية ـ يعنى أنه دائم الراحة وعدم العمل يقضى أوقاته فى تناول الراح، و يعطل فى معاقرتها صباحه ومساءه (٣) الفرجة « مثلثة الفاء» الخلاص من الهم، والفرجة الراحة من الحزن أو المرض ، والفرجة: الذهاب للتنزه وطلب الراحة، قال الأرجانى :

* رياض لعين الناظر المتفرج *

(٤) العرف الريح الطيبة، والأرج : تضوعها وانتشارها

إِلَّا بِقَطْفَةِ زَهْرٍ ، لَمْ يَحْفِلْ(١) بِمَلَامٍ ، وَلَمْ يَنْتَقِلْ عَنِ الْمُدَامِ إِلَّا فِي طَاعَةِ غُلَامٍ ، نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ مَخْلُوعِ الْعِنَانِ(٢) فِي مَيْدَانِ الصَّبَابَةِ ، مُغْرَمٍ بِالْحِسَانِ غَرَامَ يَزِيدَ بِحَبَابَةَ(٣) ، لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي ذِمَّةِ انْهِمَاكٍ ، وَلَا تَلْقَاهُ إِلَّا فِي لُمَّةِ(٤) انْهِتَاكٍ ، رَافِعاً لِرَايَاتِ الْهَوَى ، فَارِعًا(٥) لِثَنِيَّاتِ الْجَوَى ،

(١) أي لا يبالي ولا يكترث، وكذا احتفل يحتفل (٢) ناهيك بكذا أي حسبك منه وكفايتك. والعنان سير اللجام الذي تمسك به الدابة ، جعله كالفرس الذي ألقى عنانه وخلع عذاره فهو يعدو في ميدان اللهو ويخب فيه كما يشاء (٣) حبابة هي جارية يزيد بن عبد الملك بن مروان « تولى الخلافة سنة ١٠١ وتوفى سنة ١٠٥ » وكان يزيد قبل خلافته قد حج في خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك فاشترى حبابة « وكان اسمها العالية » بأربعة آلاف دينار ، وشغفته حبا، وكانت مغنية محسنة مجيدة، فكانت اذا غنت يكاد يطير عن مجلسه، وتوفيت في أثناء خلافته فاشتد جزعه عليها ووجده، ومكث سبعة أيام لا يخرج الى الناس أشار عليه بذلك أخوه مسلمة خوفا أن يظهر منه شيء يسفهه عند الناس ، وكانت حبابة وسلامة القس كلتاهما من جواري يزيد، ومن مطربات القيان في الغناء ، وعاشت سلامة بعد موته حزينة عليه «أحمد يوسف نجاتي» (٤) الانهماك في الشيء التمادي فيه، يريد انهماكه في البطالة والغي ، واللمة الجماعة ، والانهتاك والتهتك: عدم مبالاة المرء بأن يهتك ستره عن عيوبه. وتهتك: افتضح فهو مهتوك الستر ومتهتكه ، وفي نسخة « انتهاك » (٥) فرع الشيء : علاه وصعد اليه ، والثنية المرتفع العالي كالجبل، ويقال فلان طلاع الثنايا اذا كان ساميا المعالي الأمور ، ولكن صاحبنا انما يطلع ثنيات الجوى وهو الهوى ويقتحم عقباته ، ويجشم نفسه سلوك طرقه وتحمل متاعبه

لَا يُقْفِرُ فُؤَادُهُ مِنْ كَلَفٍ(١)، وَلَا يَبِيتُ إِلَّا رَهْنَ تَلَفٍ، أَكْثَرُ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى عَلَاقَةً(٢) وَأَحْضَرُهُمْ لِمَشْهَدِ خَلَاقَةٍ(٣) مَعَ جَزَالَةٍ تُحَرِّكُ السُّكُونَ، وَتُضْحِكُ الطَّيْرَ فِي الْوُكُونِ(٤)، وَقَدْ أَثْبَتُّ لَهُ مِمَّا أَرْتَجَلَهُ فِي أَوْقَاتِ أُنْسِهِ وَسَاعَاتِهِ، وَنَفَثَ بِهِ أَثْنَاءَ زَفَرَاتِهِ وَلَوْعَاتِهِ(٥) .

(١) أقفر المكان خلا ، وكلف به كلفا اذا أولع به مع شغل قلب ومشقة .

(٢) علق بها وعلقها علاقة اذا هويها وأحبها حبا لازم قلبه ، قال ذو الرمة

لقد علقت مى بقلبي علاقة   بطيئا على مر الليالى انحلالها

(٣) لولا تكلف الجناس ولزوم مالا يلزم ما كانت « خلاقة » خليقة بهذا المكان من العبارة : وهى اما من خلقت المرأة خلاقة اذا حسن خلقها « أى أحضرهم لمشاهد الحسن والجمال » أو من خلق الثوب « كنصر وسمع وكرم » خلوقة وخلاقة اذا بلى ، فيكون مجازا عن مواضع الريبة والمشاهد التى يخلق فيها العرض والدين والمروءة ، أو الخلاقة بمعنى الملاسة والنعومة وكأنه يعود الى المعنى الأول . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٤) جمع وكن وهو عش الطائر فى جبل أو جدار (٥) نفث ينفث نفثا وهو كالنفخ، ونفثه من فيه اذا رمى به وألقى ، وربما سموا الشعر نفثا لأنه كالشيء ينفثه الشاعر من فيه مثل الرقية ، فيعبر به عما يجيش فى نفسه من آلامه أو آماله، ويعرض به صورة نفسه، وينفث به اذا ضاق عن صدره والزفرة فى الأصل اخراج النفس بعد مده، وتستعار لما يشعر به المكروب من حرارة وألم يتنفس منهما الصعداء . واللوعة حرقة فى القلب وألم يجده المرء من حب أوهم أومرض أوحزن أو نحو ذلك «أحمد يوسف نجاتى».

***

فَمِنْ ذٰلِكَ مَا قَالَهُ فِي يَوْمٍ رَكِبَ فِيهِ ٱلنَّهْرَ عَلَى عَادَاتِ ٱنْكِشَافِهِ ، وَٱرْتِضَاعِهِ لِثُغُورِ ٱللَّذَّاتِ وَٱرْتِشَافِهِ : وصف يوم ركوب النهر

عَبَرْنَا سَمَاءَ ٱلنَّهْرِ وَٱلْجَوُّ مُشْرِقٌ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا ٱلْحَبَابَ نُجُومُ (١)
وَقَدْ أَلْبَسَتْهُ ٱلْأَيْكُ بُرْدَ ظِلَالِهَا
وَلِلشَّمْسِ فِي تِلْكَ ٱلْبُرُودِ رُقُومُ (٢)

وَلَهُ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ :

مَرَرْنَا بِشَاطِي ٱلنَّهْرِ بَيْنَ حَدَائِقٍ
بِهَا حَدَقُ ٱلْأَزْهَارِ تَسْتَوْقِفُ ٱلْحَدَقْ
وَقَدْ نَسَجَتْ كَفُّ ٱلنَّسِيمِ مُفَاضَةً (٣)
عَلَيْهِ وَمَا غَيْرُ ٱلْحَبَابِ لَهَا حَلَقْ

(١) حباب الماء : نفاخاته التي تطفو عليه ، وشبه سطح النهر بالسماء وحبابه بالنجوم (٢) الأيك : الشجر الكثير الكثيف الملتف ، والبرد ضرب من الثياب، والرقم الوشي ، شبه به مايخترق خلال الأشجار من قطع الشعاع ، وهو كقول الشاعر :

سماء غصون تحجب الشمس أن ترى ... على الأرض الا مثل نثر الدراهم

(٣) المفاضة الدرع الواسعة شبه بها مايحدثه النسيم اذا مر فوق سطح الماء من غضون وتجعد ، وهو تشبيه مألوف بينهم، وقدمر منه شيء في هذا الكتاب «أحمد يوسف نجاتي »

وَلَهُ فِيهِ :

هَبَّتِ الرِّيحُ بِالْعَشِيِّ فَحَاكَتْ
زَرَدًا لِلْغَدِيرِ نَاهِيكَ جُنَّهْ[١]

وَانْجَلَى الْبَدْرُ بَعْدَ هَدْءٍ فَصَاغَتْ
كَفُّهُ لِلْقِتَالِ مِنْهُ أَسِنَّهْ[٢]

وَقَوْلُهُ فِيهِ :

لِلّٰهِ بَهْجَةُ مَنْزَهٍ ضَرَبَتْ بِهِ
فَوْقَ الْغَدِيرِ رُوَاقَهَا الْأَنْسَامُ[٣]

---

(١) الزرد الدرع المزرودة أى المحكمة النسج أو السرد وتدخل حلقها بعضه فى بعض ، والجنة الوقاية ، ومعنى هذا البيت كمعنى سابقه. ولصاحب الترجمة أيضا :

ركبنا على اسم الله نهرا كأنه حباب على عطفيه وشى حباب
والاحسام جال فيه فرنده له من مديد الظل أى قراب

(٢) انجلى أى انكشف . ومضى هدء من الليل، أى بعد هزيع من الليل وحين هدأ وسكن الناس، أو الهدء « بفتح الهاء » من أول الليل الى ثلثه وذهاب طائفة منه وذلك ابتداء سكونه ، وفى الأصل « بعد هذا فحاكت» وهو تصحيف، بعد أن جعل للغدير فى البيت الأول درعا جعل ماينعكس من شعاع القمر والنجوم على سطحه أسنة كأنها تطعن الغدير فيتقيها بدرعه ، أو هى أسنة صيغت للغدير الدارع ليقاتل بها بعد أن استكمل اللأمة (٣) الرواق : الخيمة أو بيت كالفسطاط . والأنسام جمع نسم وهو نفس الريح اذا كان ضعيفا كالنسيم أى الريح الطيبة اللطيفة

فَمَعَ ٱلْأَصِيلِ ٱلنَّهْرُ دِرْعٌ سَابِـغٌ
وَمَعَ ٱلضُّحَى يَلْتَاحُ مِنْهُ حُسَامُ(١)

***

وصف عشية أنس

وَلَهُ يَصِفُ عَشِيَّةَ أُنْسٍ :

مَا كَالْعَشِيَّةِ فِي رُوَاءِ جَمَالِهَا
وَبُلُوغِ نَفْسِي مُنْتَهَى آمَالِهَا
مَاشِئْتُ شَمْسُ ٱلْأَرْضِ مُشْرِقَةُ ٱلسَّنَى
وَٱلشَّمْسُ قَدْ شَدَّتْ مَطِيَّ رِحَالِهَا(٢)
فِي حَيْثُ تَنْسَابُ ٱلْمِيَاهُ أَرَاقِماً
وَتُعِيرُكَ ٱلْأَفْيَاءُ بُرْدَ ظِلَالِهَا(٣)

وَلَهُ أَيْضًا :

(١) التاح : تلألأ ولمع وأضاء، والحسام السيف الصقيل القاطع (٢) السنى الضوء ، ولعله يريد بشمس الأرض من يحب، ولا يبعد أن تكون «ماشئت» أصلها « ماشيت » فيكون هذا البيت بيانا للبيت الأول باللف والنشر غير المرتب ، يعني أن مما شاته محبوبه « أو ما شاءه من وجوده معه » هو منتهى آماله التي بلغتها نفسه ، وشد الشمس مطيها للرحيل هو رواء العشية وبهاؤها (٣) الأراقم جمع أرقم وهو الحية أو ما فيه سواد وبياض منها ، والأفياء جمع فيء وهو ما كان شمسا فينسخه الظل . أو هو ما بعد الزوال من الظل ، قال حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفيء من برد العشي تذوق

لِلّٰهِ حُسْنُ حَـــدِيقَةٍ بَسَطَتْ لَنَا
مِنْهَا ٱلنُّفُوسَ سَوَالِفٌ وَمَعَاطِفُ[١]
تَخْتَالُ فِي حُلَلِ ٱلرَّبِيعِ وَحَلْيِـهِ
وَمِنَ ٱلرَّبِيعِ قَلَائِدٌ وَمَطَارِفُ[٢]
ٱنْتَهَى

***

ماقيل فى ترجمة ابن عمار

« وَقَالَ ٱلْفَتْحُ » فِي تَرْجَمَةِ ٱبْنِ عَمَّارٍ: أَخْبَرَنِي ذُو ٱلْوِزَارَتَيْنِ ٱلْأَجَلُّ أَبُو ٱلْمُطَرِّفِ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ[٣] أَنَّهُ حَضَرَ مَعَهُ عِنْدَ ٱلْمُؤْتَمَنِ فِي يَوْمٍ جَادَتْ فِيهِ ٱلسَّمَاءُ بِهَطْلِهَا، وَأَتْبَعَتْ وَبْلَهَا بِطَلِّهَا[٤]، وَأَعْقَبَ رَعْدَهَا بَرْقُهَا، وَٱنْسَكَبَ دِرَاكاً

فقد بين أن الفىء بالعشى ما انصرفت عنه الشمس (١) السوالف: جمع سالفة وهى ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط أى الترقوة، وتطلق على خصل الشعر المرسلة على الخد، والمعاطف جمع معطف، يريد الأغصان المتثنية ذوات الأوراق (٢) مطارف جمع مطرف، وهو فى الأصل رداء من خز مربع ذو أعلام، مستعار لماخلعه الربيع على الحديقة من أوراق وأفنان، كما جعل الأزهار قلائد هى حلى الربيع والمطارف هى حلله «أحمد يوسف نجاتى» (٣) بنو عبد العزيز كانوا أسرة عريقة فى المجد من أسر مدينة بلنسية كان منهم الوزراء والأدباء، وما منهم الا أديب بليغ وكاتب مجيد، وشاعر حاذق، ومنهم الوزير الأجل أبو بكر بن عبد العزيز، وكان المستعين ابن هود صاحب سرقسطة والمتوفى سنة ٥٠٣ متزوجا ابنته، وقد أثنى عليه الفتح ابن خاقان فى قلائد العقيان، وساق بعض أخبار الوزير أبى بكر الآتى ذكره وأورد شيئا من نظمه ونثره «أحمد يوسف نجاتى» (٤) الهطل: المطر العزيز

وَدْقُهَا(١) ، وَالْأَزْهَارُ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْ كِمَامِهَا(٢) وَتَحَلَّتْ بِدُرِّ غَمَامِهَا ، وَالْأَشْجَارُ قَدْ جُلِيَ صَدَاهَا ، وَتَوَشَّحَتْ بِنَدَاهَا ، وَأَكْؤُسُ الرَّاحِ كَأَنَّهَا كَوَاكِبُ تَتَوَقَّدُ ، تُدِيرُهَا أَنَامِلُ تَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ تُعْقَدُ(٣) ، إِذَا بِفَتًى مِنْ فِتْيَانِ الْمُؤْتَمَنِ أَخْرَسَ لَا يُفْصِحُ ، وَمُسْتَعْجِمٍ لَا يَكَادُ يُبِينُ وَلَا يُوضِحُ ، مُتَنَمِّرٍ تَنَمُّرَ اللَّيْثِ(٤) ، مُتَشَمِّرٍ تَشَمُّرَ الْبَطَلِ الْبَاسِلِ عِنْدَ الْعَيْثِ ، وَقَدْ أَفَاضَ عَلَى نَفْسِهِ دِرْعًا ، تَضِيقُ بِهَا الْأَسِنَّةُ

---

(١) الودق المطر ، دراكا أى متتابعا متواليا كالوابل ، والطل المطر القليل

(٢) جمع كم وهو غلاف النور وغطاؤه (٣) من قول النابغة :

بمخضب رخص كأن بنانه عنم على أغصانه لم يعقد

(٤) تنمر: اذا تشبه بالنمر فى القوة وشراسة الأخلاق ، وتنمر له اذا تنكر وتغير وتوعد، لأن النمر لا يلقى أبدا الا متنكرا غضبان، وتشمر وشمر اذا مر جادا، وتشمر للأمر اذا تهيأ واستعد، والتشمير للأمر الجد فيه والاجتهاد ، وعاث فيهم اذا أخذهم بشدة من غير رفق ، والعيث أيضا أن تركب الأمر لا تبالى على ما وقعت . قال :

فعث فيمن يليك بغير قصد فانى عائث فيمن يلينى

والعياث: الأسد لفتكه واسراعه فى الفساد، وقد يكون مصحفا عن «الغيث» بالغين المعجمة بمعنى الاغاثة أى النجدة والتخليص من الشدة والنقمه والعون على الفكاك من الشدائد ، فقد يقال فيه غاثه يغيثه غيثا وان كان قليلا « أحمد يوسف نجاتى »

ذَرْعًا[1] ، وَهُوَ يُرِيدُ ٱسْتِشَارَةَ ٱلْمُؤْتَمَنِ فِي ٱلْخُرُوجِ إِلَى مَوْضِعٍ بَعَثَهُ إِلَيْهِ وَوَجَّهَهُ ، فَكُلٌّ مَنْ صَدَّهُ عَنْهُ نَهَرَهُ وَتَنَجَّهَهُ[2] ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَكَانِ ٱنْفِرَادِهِ ، وَوَقَفَ بِإِزَاءِ إِسَادِهِ[3] ، فَلَمَّا وَقَعَتْ عَيْنُ ٱبْنِ عَمَّارٍ عَلَيْهِ ، أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَيْهِ ، وَقَرَّبَهُ وَٱسْتَدْنَاهُ ، وَضَمَّهُ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ تَبَنَّاهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَخْلَعَ عَنْهُ ذَلِكَ ٱلْغَدِيرَ[4] ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ ٱلسَّاقِيَ

(١) أى لاتقوى عليها الأسنة ولاتؤثر فيها لاحكام نسجها وتقدير سردها

(٢) النجه استقبالك المرء بما يكره وردك اياه عن حاجته ، ونجهه « كمنعه » اذا رده وانتهره ، واستقبله بما يكفه ويزجره فينقدع عنه ويرتدع ، وكذا تنجهه ، وقال الشاعر :

حياك ربك أيها الوجه ... ولغيرك البغضاء والنجه

(٣) أى وسادة ، وقلب الواو المكسورة همزة فى أول الكلمة جائز كثير مثل ارث ، افادة « فى وفادة » واكاف فى «وكاف» واشاح فى «وشاح» وإلدة «جمع ولد» وقد قرئ : ثم استخرجها من إعاء أخيه، وهو كثير

(٤) يريد الدرع تشبيها لها بالغدير، كما يعكس فيشبه الغدير بالدرع قال :

وسابغة من جياد الدرو ... ع تسمع للسيف فيها صليلا
كمتن الغدير زهته الدبو ... ر يجر المدجج منها فضولا

ولابن المعتز :

غدير ترجرج أمواجه ... هبوب الرياح ومر الصبا
اذا الشمس من فوقه أشرقت ... توهمته جوشنا مذهبا

الجوشن : الدرع . وللبحترى :

يمشون فى زغف كأن متونها ... فى كل معركة متون نهاء

وَالْمُدِيرَ ، فَأَمَرَهُ الْمُؤْتَمَنُ بِخَلْعِهِ ، وَطَاعَةِ أَمْرِهِ وَسَمْعِهِ ، فَنَضَاهُ(١) عَنْ جِسْمِهِ ، وَقَامَ يَسْقِي عَلَى حُكْمِهِ وَرَسْمِهِ ، فَلَمَّا دَبَّتْ فِيهِ الْحُمَيَّا(٢) ، وَشَبَّتْ(٣) غَرَامَهُ بَهْجَةُ ذَلِكَ الْمُحَيَّا ، وَاسْتَنْزَلَتْهُ سَوْرَةُ الْعُقَارِ ، مِنْ مَرْقَبِ(٤) الْوَقَارِ ، قَالَ :

وَهَوِيتُهُ يَسْقِي الْمُدَامَ كَأَنَّهُ
قَمَرٌ يَدُورُ بِكَوْكَبٍ فِي مَجْلِسِ
مُتَأَرِّجُ الْحَرَكَاتِ تَنْدَى رِيحُهُ
كَالْغُصْنِ هَزَّتْهُ الصَّبَا بِتَنَفُّسِ(٥)

بيض تسيل على الكماة فضولها   سيل السراب بقفرة بيداء
فاذا الأسنة خالطتها خلتها   فيها خيال كواكب فى ماء

النهاء : الغدران . والزغف : الدرع « أحمد يوسف نجاتى » (١) نضا ثوبه عنه اذا خلعه ونزعه (٢) حميا الكأس والخمر : سورتها وشدتها أو اسكارها وحدتها وأخذها بالرأس ، يقال سارت فيه حميا الكأس اذا بلغت الخمر من شاربها ودب دبيبها الى رأسه فنالت منه سورتها (٣) هاجت وأثارت من شب النار اذا أشعلها ، والمحيا الوجه (٤) العقار : الخمر ، والمرقب المكان العالى المشرف (٥) فى بعض المراجع « . . . يندى عطفه » أى يلين لتثنيه وذلك أنسب بعجز البيت ، وفى البدائع « متناوح الحركات . . . » يريد دائم الحركة ذا نشاط ، من تناوحت الرياح اذا تقابلت واشتد هبوبها وتنوح الغصن اذا تحرك متدليا — والندى شيء يتطيب به كالبخور

يَسْعَى بِكَاسٍ فِي أَنَامِلِ سَوْسَنٍ
وَيُدِيرُ أُخْرَى مِنْ مَحَاجِرِ نَرْجِسِ (١)
يَاحَامِلَ ٱلسَّيْفِ ٱلطَّوِيلِ نِجَادُهُ
وَمُصَرِّفَ ٱلْفَرَسِ ٱلْقَصِيرِ ٱلْمَحْبِسِ (٢)
إِيَّاكَ بَادِرَةَ ٱلْوَغَى مِنْ فَارِسٍ
خَشِنِ ٱلْقِنَاعِ عَلَى عِذَارٍ أَمْلَسِ (٣)
جَهْمٍ ، وَإِنْ حَسَرَ ٱللِّثَامَ فَإِنَّمَا
كُشِفَ ٱلظَّلَامُ عَنِ ٱلنَّهَارِ ٱلْمُشْمِسِ (٤)

ومنه عودمندى اذافتق بالندى أوماء الورد (١) يشبه أنامله بالسوسن وعيونه بالنرجس (٢) نجاد السيف علاقته وحمالته ، والمحبس هنا اللجام لأنه يحبس الفرس أى يمنعها و يمسكها ، وحبس الشيء ضبطه ، واذا كان لجام الفرس قصيرا كان صاحبه أقدر على ضبطه وكبح جماحه (٣) البادرة ما يبدر من حدة الرجل فى الغضب من قول أو فعل ، و بادرة الشر ما يبدر منه ويسرع، يقال أخشى عليك بادرته ، و بدرت منه بوادر غضب أى خطأ وسقطات عند ما احتد ، قال النابغة الجعدى :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

والوغى أصله الصوت والجلبة فى الحرب ، وقد يراد به الحرب نفسها لما فيها من الصوت والجلبة (٤) جهم «ككرم» وجهمه «كمنعه وسمعه» اذا استقبله بوجه باسر كريه، وحسر اللثام . يحسره: كشفه

يَطْغَى وَيَلْعَبُ فِي دَلَالِ عِذَارِهِ
كَالْمُهْرِ يَمْرَحُ فِي اللِّجَامِ الْمُجْرِسِ(١)
سَلِّمْ فَقَدْ قَصَفَ الْقَنَا غُصْنُ النَّقَا
وَسَطَا بِلَيْثِ الْغَابِ ظَبْيُ الْمَكْنِسِ(٢)
عَنَّا بِكَأسِكَ ، قَدْ كَفَتْنَا مُقْلَةٌ
حَوْرَاءُ قَائِمَةٌ بِسُكْرِ الْمَجْلِسِ

وَأَوْرَدَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ صَاحِبُ الْبَدَائِعِ بِقَوْلِهِ : حَضَرَ أَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عِنْدَ الْمُؤْتَمَنِ بْنِ هُودٍ فِي يَوْمٍ أَجْرَى الْجَوُّ فِيهِ أَشْقَرَ بَرْقِهِ ، وَرَمَى بِنَبْلِ وَدْقِهِ ، وَتَحَمَّلَتِ الرِّيَاحُ فِيهِ أَوْقَارَ(٣) السَّحَابِ عَلَى أَعْنَاقِهَا ، وَتَمَايَلَتْ قَامَاتُ الْأَغْصَانِ فِي الْحُلَلِ الْخُضْرِ مِنْ أَوْرَاقِهَا(٤) ،

(١) المرح شدة الفرح والتوسع فيه والنشاط حتى يجاوز قدره ، وفى الأصل «يرمح» وهو تصحيف ، والمجرس أى ذى الجرس وهو الصوت لما فيه من الحلية ، أو لأن به جرسا ، والجرس أيضا الحركة ، وأجرس الحلى اذا صات مثل صوت الجرس ، ودابة مجرسة مدربة مجربة فى السير والركوب (٢) الغاب مأوى الليث ، والمكنس مأوى الغزال ، وفى معنى البيت قول الشاعر :

كم قلت اياك العقيق فانه   ضريت جآذره بصيد أسوده
وأردت صيد مها العقيق فلم يطا   وعلك القضاء فصرت بعض صيوده

(٣) جمع وقر وهو الحمل (٤) بعد ذلك فى بدائع البدائه : والأزهار قد تفتحت عيونها ، والكمائم قد ظهر مكنونها ، والأشجار قد انصقلت

وَالرَّاحُ(١) قَدْ أَشْرَقَتْ نُجُومُهَا فِي بُرُوجِ الرَّاحِ ، وَحَاكَتْ شَمْسُهَا شَمْسَ الْأُفُقِ فَتَلَفَّعَتْ بِغُيُومِ الْأَقْدَاحِ ، وَمُدِيرُهَا قَدْ ذَابَ ظَرْفاً فَكَادَ يَسِيلُ مِنْ إِهَابِهِ(٢) ، وَأَخْجَلَ خَدَّهَا حُسْناً فَتَكَلَّلَ(٣) بِعَرَقِ حَبَابِهِ ، إِذَا بِفَتًى(٤) مِنْ فِتْيَانِ الْمُؤْتَمَنِ قَدْ أَقْبَلَ مُتَدَرِّعًا كَالْبَدْرِ اجْتَابَ(٥) سَحَاباً ، وَالْخَمْرِ قَدِ اكْتَسَتْ حَبَاباً(٦) وَقَدْ جَاءَ يُرِيدُ اسْتِشَارَةَ

بمداوس القطر ، ونشرت ما يفوق ألوان البز و بثت ما يعلو أرواح العطر والراح الخ « الدوس الصقل،والمدوس المصقلة ،وهى خشبة يشد عليها من يدوس ليصقل السيف ونحوه حتى يجلوه . قال :

وأبيض كالغدير ثوى عليه   قيون بالمداوس نصف شهر

والبز ضرب من الثياب الجميلة» (١) فى الأصل «والرياح »وهو تصحيف، والراح الخمر ، والراح فى آخر الفقرة جمع راحة وهى الكف (٢) الاهاب الجلد أو الجسد ، وكاد الفرس يخرج من اهابه مبالغة فى عدوه(٣) علاه كالاكليل، وكلله فتكلل اذا ألبسه الاكليل أى التاج،أو شبه عصابة تزين بالجواهر ، وروضة مكللة أى محفوفة بالنور ، وفى الأصل «فتظلل » وفى بعض النسخ « فتجلل » أى تغطى بالحباب حتى عمه، وتجلله اذا علاه ، والمراد أن حمرة خد الراح خجلت من الساقى لأنه أجمل منها وأبهى فعرقت من شدة الخجل فظهر عرقها حبابا (٤) فى القلائد « بفتى رومى» (٥) قطعه وخرج منه، أو قطع وسطها فخرقها ونقبها ودخل فيها و بدا فى وسطها .واجتاب الظلمة قطعها ــ أو من اجتاب القميص اذا لبسه . وهذه المعانى أظهر لأن الدرع كانت تغطى الفتى (٦) فى البدائع زيادة بعد ذلك وهى

اَلْمُؤْتَمَنَ فِي اَلْخُرُوجِ إِلَى مَوْضِعٍ قَدْ كَانَ عَوَّلَ فِيهِ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، فَحِينَ[1] لَمَحَهُ اُبْنُ عَمَّارٍ وَاُلسُّكْرُ قدِ اُسْتَحْوَذَ[2] عَلَى لُبِّهِ ، وَاُنْبَثَّتْ سَرَايَاهُ فِي نَوَاحِي قَلْبِهِ[3] جَدَّ فِي أَنْ يَسْتَخْرِجَ تِلْكَ اُلدُّرَّةَ مِنْ مَاءِ ذَلِكَ اُلدِّلَاصِ[4] ، وَأَنْ يُجَلِّيَ عَنْهُ سَهَكَهُ[5] كَمَا يُجَلَّى اَلْخَبَثُ[6] عَنِ اَلْخَلَاصِ[7] ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ اُلسَّاقِيَ ، فَأَمَرَهُ اُلْمُؤْتَمَنُ

والطاووس انقلب حبابا ، فهو ملك حسنا الا أنه جسد ، وغزال لينا الا أنه فى هيئة أسد «الحباب ـ بضم الحاء ـ المحبوب ، والحباب حية ليست من العوارم فالغرض من تشبيه الساقى بها أنه يتثنى ويكثر من الحركة والتمايل والنشاط مع حسنه الطاووسى » (١) فى البدائع « فحين وصل الى حضرته لمحه ابن عمار » (٢) غلبه واستولى عليه (٣) زاد فى البدائع « فأشار اليه وقربه ، واستبدع ذلك اللباس واستغربه ، وجدالخ » (٤) الدلاص : درع ملساء لينة براقة ـ يريد أنه أراد أن ينزع عنه درعه ، فقد كان متدرعا بدرع سترت جسمه وغطت بعض محاسنه ، كما يحتاب البدر السحاب ، أو كما تغطى حمرة الخد بغطاء الحباب (٥) السهك : صدأ الحديد ، وجلاه اذا صقله ، جعل الدرع كأنها صدأ يعلو صفاء الجسم ويستر اشراقه (٦) خبث الحديد والفضة مانفاه الكير اذا أذيبا وهو مالا خير فيه ، وأصل الخبث كل مكروه ، فان كان من الكلام فهو الاقذاع والشتم ، وان كان من الطعام فهو الحرام ، وان كان من الشراب فهو الضار ، وغير ذلك ، ومنه الحديث : « ان الحمى تنفى الذنوب كما ينفى الكير الخبث » .

(٧) الخلاص والخلاصة ماأخلصته النار من الذهب والفضة ونحوهما بعد أن تنفى الخبث والمواد الغريبة عنه ، وجلى الخبث عنه اذا كشفه وأذهبه ، وجلى

بِقَبُولِ أَمْرِهِ وَأمْتِثَالِهِ ، وَأحْتِذَاءِ مِثَالِهِ(١) ، فَحِينَ ظَهَرَتْ تِلْكَ الشَّمْسُ مِنْ حُجُبِهَا ، وَرُمِيَتْ شَيَاطِينُ النُّفُوسِ مِنْ كُمَيْتِ(٢) الْمُدَامِ بِشُهُبِهَا ، أرْتَجَلَ أبْنُ عَمَّارٍ : وَهَوِيتُهُ الخ إِلَّا أنَّهُ قَالَ إِثْرَ قَوْلِهِ :

إِيَّاكَ بَادِرَةَ الْوَغَى مِنْ فَارِسٍ

مَا صُورَتُهُ :

يَضَعُ السِّنَانَ عَلَى الْعِذَارِ الأمْلَسِ(٣)

أنْتَهَى .

وَلابْنِ عَمَّارٍ الرَّائِيَّةُ الْمَشْهُورَةُ فِي مَدْحِ الْمُعْتَضِدِ(٤) وَالِدِ الْمُعْتَمِدِ ، وَهِيَ :

عنه الهموم: كشفها ، وتجلت الشمس اذا انكشفت وخرجت من نحو الكسوف ، وتجلى القمر انكشف عنه السحاب فأشرق وأضاء — وزاد فى البدائع بعد ذلك « وأن يوفر على ذلك الوفر نعمة جسمه ، ويكون هو الساقى على عادته القديمة ورسمه » (١) احتذى مثاله اذا اقتدى به فى أمره (٢) الكميت الخمر فيها سواد وحمرة ، يريد لما أثرت فى النفوس الخمر ، واتقد فيها من الهوى والغرام الجمر (٣) الذى فى البدائع : خشن القناع على عذار أملس ، فلعلها نسخة أخرى نقل عنها (٤) هو أبو عمرو عباد المعتضد بالله بن الظافر المؤيد بالله أبى القاسم محمد بن اسمعيل قاضى اشبيلية ، قام المعتضد بالأمر بعد وفاة أبيه سنة ٤٣٣ وتسمى أولا فخر الدولة ثم بالمعتضد وتوفى سنة ٤٦١ فقام بالمملكة بعده ولده المعتمد على الله أبو القاسم محمد «وله ذكرهنا» وتوفى سنة ٤٨٨ — ومحمد بن عمار الشاعر المشهور ولد سنة ٤٢٢ وقتله المعتمد سنة ٤٧٧ . « أحمد يوسف نجاتى»

***

رائية ابن عمار في مدح المعتضد

أَدِرِ الْمُدَامَةَ فَالنَّسِيمُ قَدِ انْبَرَى
وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعِنَانَ عَنِ السُّرَى[1]

وَالصُّبْحُ قَدْ أَهْدَى لَنَا كَافُورَهُ
لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ مِنَّا الْعَنْبَرَا

وَالرَّوْضُ كَالْحَسْنَا كَسَاهُ زَهْرُهُ
وَشْياً وَقَلَّدَهُ نَدَاهُ جَوْهَرَا

أَوْ كَالْغُلَامِ زَهَا بِوَرْدِ خُدُودِهِ
خَجَلًا وَتَاهَ بِآسِهِنَّ مُعَذَّرَا[2]

رَوْضٌ كَأَنَّ النَّهْرَ فِيهِ مِعْصَمٌ[3]
صَافٍ أَطَلَّ عَلَى رِدَاءٍ أَخْضَرَا

(١) انبرى له اذا اعترض، والسرى سير الليل، وفى الديوان «أدر الزجاجة »

(٢) تاه من التيه وهو الزهو والدلال والاعجاب بالنفس ، والمعذر من نبت عذاره ، و يشبه العذار بالآس كما قيل :

خليلى ماس الآس يعبق نشره   اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداغ ريم معـذر   وصورته آذان خيل نوافر

(٣) المعصم موضع السوار من الساعد . « أحمد يوسف نجاتى »

وَتَهُزُّهُ رِيحُ ٱلصَّبَا فَتَخَالُهُ
سَيْفَ ٱبْنِ عَبَّادٍ يُبَدِّدُ عَسْكَرَا(١)
عَبَّادُ ٱلْمُخْضَرُّ نَائِلُ كَفِّهِ(٢)
وَٱلْجَوُّ قَدْ لَبِسَ ٱلرِّدَاءَ ٱلْأَغْبَرَا
مَلِكٌ إِذَا ٱزْدَحَمَ ٱلْمُلُوكُ بِمَوْرِدٍ
وَنَحَاهُ لَا يَرِدُونَ حَتَّى يَصْدُرَا(٣)
أَنْدَى عَلَى ٱلْأَكْبَادِ مِنْ قَطْرِ ٱلنَّدَى
وَأَلَذُّ فِي ٱلْأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ ٱلْكَرَى(٤)

(١) هذا حسن تخلص بديع (٢) يكنى بالخضرة عن الخصب والنعمة ، والخضراء: الخير والسعةوالنعيم ، وفلان أخضر أى كثيرالخير . ويوصف الجدبوالجوع بالأغبر، كما يوصفالموت بالأحمر، كنايةعن السنين المجدبة والقتل بالسيف ، وعجز البيت كناية عن اشتداد الحال وكلبالزمانحتى تظلم الدنيا فىالعيون، وأسند فى صدر البيت الاخضرار الى نائل كفه أى عطائه توسعا ومبالغة (٣) يمدحه بالرياسة والشرف والعزة وأن الملوك تهابه وتقدمه اعترافا له بحقالسبقوعجزا عنمباراته (٤) كأنه يقول :

حديثه أو حديث عنه يطربنى هذا اذا غاب أو هذا اذا حضرا

فانى أظن أنه يريد بصدر البيت ارتياح النفس الى ذكره وانبساطها الى سماع سيرته ، و بعجزه السرور برؤيته وا كتحالالعين بنورطلعته،وقد صرح بهذا المعنى بعد فى قوله :

ملك يروقك خلقه أو خلقه كالروضيحسن منظرا أومخبرا

ويقرب من معنى عجز البيت :

يَخْتَارُ إِذْ يَهَبُ اَلْخَرِيدَةَ كَاعِباً
وَالطِّرْفَ أَجْرَدَ وَالْحُسَامَ مُجَوْهَرَا(١)
قَدَّاحُ زَنْدِ الْمَجْدِ لَا يَنْفَكُّ مِنْ
نَارِ الْوَغَى إِلَّا إِلَى نَارِ الْقِرَى(٢)
لَاخَلْقَ أَفْرَى مِنْ شِفَارِ حُسَامِهِ
إِنْ كُنْتَ شَبَّهْتَ الْمَوَاكِبَ أَسْطُرَا(٣)

وأعـدلى حديثه فلسمعى فرط وجد باللؤلؤ المنثور

وقـد يحتمل معنى البيت غـير هـذا ولـكن ذلك معنى لطيف دقيق . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) يعنى أنه يجود بأنفس الأشياء وأنمها و بما يضن به غيره من كرائم الأموال ، والخريدةالفتاة البـكرالعذراء .والخفرةالحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة قد جاوزت الأعصار ولم تعنس ، والـكاعب الناهد أى التى نهد ثديها ، وكعب الندى « كضرب ونصر » اذا نتأ وارتفع ، والطرف الجواد الـكريم ، والأجردقصير الشعر رقيقه ،وذلك من علامات العتق والـكرم ، والأجرد السباق الذى يسبق الخيل ويتجرد عنها لسرعته (٢) قدح بالزند رام الايراء « ايقاد النار به »والقرى مايعد للضيف(٣) فى الأصل « لاشئ أقرأ » وكأنه نظر الى قوله فى آخر البيت « أسطرا » وفى القلائد « أفرى » مراعاة لقوله « خلق » وهو المناسب للاستعمال ، وخلق الأديم ونحوه اذا قدره وحزره، أو قـدره لما يريد قبل أن يقطعه وقاسه ليقطع منه مايشاء ثم يفرى ماخلقه بعد ذلك ، قال زهير يمدح هرم ابن سنان :

ولأنت تفرى ماخلقت وبعـ ـض القوم يخلق ثم لايفرى

أَيْقَنْتُ أَنِّى مِنْ ذَرَاهُ بِجَنَّةٍ
لَمَّا سَقَانِى مِنْ نَدَاهُ الْكَوْثَرَا(١)
وَعَلِمْتُ حَقًّا أَنَّ رَبْعِى مُخْصِبٌ
لَمَّا سَأَلْتُ بِهِ الْغَمَامَ الْمُمْطِرَا
مَنْ لَا تُوَازِنُهُ الْجِبَالُ إِذَا احْتَبَى
مَنْ لَا تُسَابِقُهُ الرِّيَاحُ إِذَا جَرَى(٢)
مَاضٍ وَصَدْرُ الرُّمْحِ(٣) يَكْهَمُ، وَالظُّبَا
تَنْبُو، وَأَيْدِى الْخَيْلِ تَعْثُرُ فِى الثَّرَى(٤)

أى اذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه لأنه ليس بماضى العزم وأنت مضاء على ماعزمت عليه . وفرى الشىء يفريه اذا شقه والسطر الصف من الشىء ، يريد أن سيوفه أمضى الأشياء، وشقها الصفوف: الفتك بها. وان بقيت « أقرأ » فالخلق بمعنى الناس ، ويكون قد جعل مباشرة السيوف للصفوف قراءة لأسطرها (١) الذرا الكنف والكن والستر. يقال أنا فى ظل فلان وفى ذراه أى فى كنفه وستره ودفئه (٢) كنى بالاحتباء عن السكون والاستقرار — ويقال فلان لاتحل حبوته أى لايستفزه جهل ولا يغضب لحلمه وثباته (٣) ويروى « وطرف الرمح » ، وسيف كهام أى كليل لايقطع ، كهم الرجل « ككرم ومنع » اذا بطؤ عن الحرب والنصرة ، وظبات السيوف: حدها وأطرافها . نبا السيف لم يؤثر فى الضريبة (٤) ويروى « تعثر فى البرى » والبرى التراب « أحمد يوسف نجاتى »

قَادَاْلْـكَتَائِبَ كَاْلْـكَوَاكِبِ فَوْقَهُمْ
مِنْ لأْمِهِمْ مِثْلُ اُلسَّحَابِ كَنَهْوَرَا(١)
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ قَدْ تَقَلَّدَ أَبْيَضًا
عَضْبًا، وَأَسْمَرَ قَدْ تَقَلَّدَ أَسْمَرَا(٢)
مَلِكٌ يَرُوقُكَ خَلْقُهُ أَوْ خُلْقُهُ
كَالرَّوْضِ يَحْسُنُ مَنْظَرًا أَوْ مَخْبَرَا
أَقْسَمْتُ بِاسْمِ اُلْفَضْلِ حَتَّى شِمْتُهُ
فَرَأَيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مُصَوَّرَا(٣)
وَجَهِلْتُ مَعْنَى اُلْجُودِ حَتَّى زُرْتُهُ
فَقَرَأْتُهُ فِي رَاحَتَيْهِ مُفَسَّرَا

---

(١) اللأم: عدة الحرب كاملة — والكنهور من السحاب قطع كالجبال، أوالمتراكم المتراكب الثخين منه أوالأبيض العظيم. ويروى «فاذا الكتائب»
(٢) يروى عجز البيت: قـد تحمل أسمرا، وفى القلائد «قد تأبط» وأكثر ماتطلق العرب على الرجل «أبيض» اذا أرادوا نقاء العرض من الدنس والعيوب، وهو كثير فى كلامهم، لايريدون به بياض اللون ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض قال زهير:

وأبيض فياض يداه غمامة   على معتفيه ماتغب فواضله

والأبيض الثانى السيف، والأسمر الرمح (٣) شامه رآه، والأصل فيه سام البرق يشيمه اذا نظر اليه أين يقصـد، وفى البيت كناية عن نسبة

فَاحَ اُلثَّرَى مُتَعَطِّرًا بِثَنَائِهِ
حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ تُرْبٍ عَنْبَرًا(١)

وَتَتَوَّجَتْ بِالزَّهْرِ صُلْعُ(٢) هِضَابِهِ
حَتَّى ظَنَنَّا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرًا

هَصَرَتْ يَدِى غُصْنَ اُلْغِنَى مِنْ كَفِّهِ
وَجَنَتْ بِهِ رَوْضَ اُلسُّرُورِ مُنَوِّرًا(٣)

حَسْبِي عَلَى اُلصُّنْعِ اُلَّذِى أَوْلاَهُ أَنْ
أَسْعَى بِجَدٍّ أَوْ أَمُوتَ فَأُعْذَرَا(٤)

الفضل اليه وقصره عليه فقد جعله فى بردتيه ، وأما الذى فى بردتيه هو نفسه فكأنه هو الفضل عينه (١) هذا مثل قول ابن هانىء :

قد طيب الأفواه طيب ثنائه من أجل ذا تجد الثغور عذابا

وقال أبو الطيب :

وماطيب الرياض لها ولكن كساها دفنهم فى الأرض طيبا

(٢) جبل أصلع وصليع ليس عليه نبت (٣) هصر الغصن اذا جذبه اليه وأماله أو كسره من غير ابانة (٤) الجد الاجتهاد . والجد « بالفتح » الحظ وهو من قول الشاعر :

فسر فى بلاد الله والتمس الغنى تمش ذا يسار أو تموت فتعذرا

ومن المثل العربى : « اسع بجد أو دع » يعنى ان طلبت فاطلب بجد والا فدع فإنه لايغنى عنك الكد مع عدم الجد ، والجد الحظ من الخير يجعله الله للعبد ، ومنه قول الشاعر :

يَأَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِى حَازَ ٱلْعُلَا
وَحَبَاهُ مِنْهُ بِمِثْلِ حَمْدِى أَنْوَرَا[1]
ٱلسَّيْفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادٍ خُطْبَةً
فِى ٱلْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مِنْبَرَا[2]
مَازِلْتَ تُغْنِى مَنْ عَنَا[3] لَكَ رَاجِيًا
نَيْلًا ، وَتُفْنِى مَنْ عَتَا وَتَجَبَّرَا
حَتَّى حَلَلْتَ مِنَ ٱلرِّيَاسَةِ مَحْجِرًا[4]
رَحْبًا ، وَضَمَّتْ مِنْكَ طَرْفًا أَحْوَرَا

تقلبت ان كان التقلب نافعى   و بالجد يسعى المرء لا بالتقلب
فابن عمار يقول انه بصنيع الممدوح وهب الله له جدا سعيدا ينجح به سعيه حتى يموت . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) يريد حمده وثناءه عليه ووصفه بالانارة (٢) هذا البيت من أجود ماقيل فى معناه وأبلغه ، يريد زياد بن « سمية » أو ابن أبى سفيان، وكانت بلاغته وقدرته الخطابية وقوة تأثيره بها مثلا ، وهو صاحب الخطبة البتراء المشهورة وغيرها ، وقريب من هذا المعنى قول أبى تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

(٣) عنا يعنو اذا خضع وانقاد وذل (٤) المحجر من العين مادار بها ، والمحجر : الحديقة والموضع فيه رعى كثير وماء ، ومحجر الرئيس : حوزته وناحيته التى لا يدخل فيها غيره ــ وكأن فى المحجر تورية رشح لها بقوله « حللت » و بقوله « طرفا أحور » والطرف أيضا الرجل الكريم الآباء

شَقِيَتْ بِسَيْفِكَ أُمَّةٌ لَمْ تَعْتَقِدْ
إِلَّا الْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بَرْبَرَا[1]
أَثْمَرْتَ رُمْحَكَ مِنْ رُءُوسِ كُمَاتِهِمْ
لَمَّا رَأَيْتَ الْغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرَا
وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ
لَمَّا عَلِمْتَ الْحُسْنَ يَلْبَسُ أَحْمَرَا[2]

الى الجد الأكبر. ومن معانى الأحور العقل. والغرض أنه حل من الرياسة فى عينها اكراما وعلو منزلة، وكنت أنت عينها التى بها تبصر. وان شئت أن تفهم معنى آخر من المعانى التى ذكرناها وحملت « المحجر والطرف وأحور » على التورية كان لك ذلك.

(١) قام المعتضد عباد بالأمر سنة ٤٣٣ واشتدت حروبه واستولى على كثير من بلاد الأندلس، وكان من البربر أن أغروا ابنه اسمعيل بالخروج عليه والسعى فى انتزاع الملك منه، فثار على أبيه بمعونتهم حتى كان ذلك سببا فى أن قتل الوالد ابنه، ثم رجع الى الانتقام من البربر المتزين بالثغور ومطالبتهم بماجنوه، وكان منهم من يسمى المستظهر العزيز بن محمد ابن عبد الله البرزالى المتغلب على قرمونة واستجة وغيرها، وكان منهم رؤساء آخرون فى بعض مدن الجزيرة وثغورها، فحاربهم واستولى على كثير من ممالكهم وضايقهم، وانتقم منهم بالقوة مرة وبالحيلة والمكر أخرى حتى تغلب على معاقلهم فكانت مملكته أعظم ممالك الطوائف فى عصره « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) سبق القول فى « الحسن أحمر » ويأتى كلام فيه، ومن كلامهم:

وَإِلَيْـكَهَا كَالرَّوْضِ زَارَتْهُ ٱلصَّبَا
وَحَنَا عَلَيْهِ ٱلطَّلُّ حَتَّى نَوَّرَا
نَمَّقْتُهَا وَشْياً بِذِكْرِكَ مُذْهَبًا
وَفَتَقْتُهَا مِسْكاً بِحَمْدِكَ أَذْفَرَا(١)
مَنْ ذَا يُنَافِحُنِي(٢) وَذِكْرُكَ مَنْدَلٌ
أَوْرَدْتُهُ مِنْ نَارِ فِكْرِي مِجْمَرَا ؟
فَلَئِنْ وَجَدْتَ نَسِيمَ مَدْحِي عَاطِرًا
فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بِرِّكَ أَعْطَرَا

ٱنْتَهَى .

***

التعريف بابن وهبون

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ ٱلْجَلِيلِ بْنِ وَهْبُونَ ٱلْمُرْسِيِّ(٣) »

الحسن أحمر ، أى الحسن فى الحمرة ، وقيل المعنى انه شاق يحتاج الى حمل المصاعب ، أو أنه يلقى العاشق منه مايلقى المحارب فى الحرب (١) فتق الطيب اذا طيبه وخلطه بعود أو غيره ، وفتق المسك بغيره اذا أخرج رائحته بشيء يدخله عليه ، ومسك أذفر متوهج الرائحة (٢) نافحه اذا كافحه وخاصمه ، ويجوز أن يكون من نفح الطيب وهو أرجه، أى من يباريني فى ذكاء الرائحة وتضوع الطيب ، ففيه تورية مرشحة بقوله « مندل الخ » والمندل العود الرطب، أو أجوده وهو القاقلى، أو عود الطيب الذى يتبخر به (٣) أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الأديب شاعر

رَكِبَ بِإِشْبِيلِيَةَ زَوْرَقًا فِي نَهْرِهَا ٱلَّذِي لَا تُدَانِيهِ ٱلصَّرَاةُ[١]، وَلَا يُضَاهِيهِ ٱلْفُرَاتُ ، فِي لَيْلَةٍ تَنَقَّبَتْ بِظُلْمَتِهَا ، وَلَمْ يَبْدُ وَضَحٌ[٢] فِي دُهْمَتِهَا ، وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَمْعَتَانِ قَدِ ٱنْعَكَسَ شُعَاعُهُمَا فِي ٱللُّجَّةِ ، وَزَادَ فِي تِلْكَ ٱلْبَهْجَةِ ، فَقَالَ :

كَأَنَّمَا ٱلشَّمْعَتَانِ إِذْ سَمَتَا

جِيدُ غُلَامٍ مُحَسَّنِ ٱلْغَيَدِ[٣]

المعتمد على الله بن عباد ومن أخص ندمائه والمقربين اليه، وهو من الشعراء المجيدين ذوى الرقة وحضور البديهة ، وكان من فرسان تلك الحلبة الأدبية من شعراء ملوك الطوائف التى ازدان بها عصرهم . منهم ابن عمار وابن خفاجة وأبو بكر بن القبطرنة وغيرهم مما سنفصل القول فيه فى كلامنا على الأدب بالأندلس فى كتابنا الجامع ، فقد أفردنا للأدب بالأندلس جزءا ضخما .وتوفى ابن وهبون حوالى سنة ٤٨٠ « أحمد يوسف نجاتى »

(١) الصراة اسم لنهرين ببغداد الصراة الكبرى والصراة الصغرى ، يخرج أحدهما من نهر عيسى بالقرب من بغداد و يتفرع منه أنهار حتى يصل الى بغداد ثم يصب فى دجلة . وفى نهر الصراة قيل :

وقفت على الصراة وليس تجرى   مغانيها لنقصان الفرات

فلما أن ذكرتك فاض دمعى   فأجراهن جرى العاصفات

(٢) الوضح البياض أو النور ، وفى بعض المراجع «تنقبت بظلمائها ولم يلح قمر فى سمائها» والدهمة السواد أو الظلمة (٣) الغيد مصدر غيد « كفرح » اذا مالت

وَفِى حَشَا اَلنَّهْرِ مِنْ شُعَاعِهِمَا
طَرِيقُ نَارِ اَلْهَوَى إِلَى كَبِدِى

وَكَانَ مَعَهُ غُلَامُ اَلْبَكْرِىِّ(١) مُعَاطِياً لِلرَّاحِ ، وَجَارِياً فِى مَيْدَانِ ذَلِكَ اَلْمَرَاحِ ، فَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ اَلْجَلِيلِ بِمَا جَاءَ ، وَحَلَّى لِلْإِبْدَاعِ اَلْجَوَانِبَ وَاَلْأَرْجَاءَ ، حَسَدَهُ عَلَى ذَٰلِكَ اَلِارْتِجَالِ ، وَقَالَ بَيْنَ اَلْبُطْءِ وَاَلِاسْتِعْجَالِ :

أَعْجِبْ بِمَنْظَرِ لَيْلَةٍ لَيْلَاءِ(٢)
تُجْنَى بِهَا اَللَّذَّاتُ فَوْقَ اَلْمَاءِ
فِى زَوْرَقٍ يُزْهَى بِغُرَّةِ أَغْيَدٍ
يَخْتَالُ مِثْلَ اَلْبَانَةِ اَلْغَيْنَاءِ(٣)

عنقه ولانت أعطافه ، والغيداء المرأة تتثنى لينا ، وفى بعض النسخ « خدا » تثنية خد بدل « جيد » « أحمد يوسف نجاتى »

(١) هو أبو الحسن حكم بن محمد أديب شاعر محسن ذو بديهة حاضرة وخاطر جياش ، له حسن تصرف فى المعانى واختراعها والتوليد من معانى غيره من الشعراء . كان من شعراء ابن عباد ومن ذوى المقام المحمود فى الدولة العبادية وعاش حتى أدرك دولة الملثمين ومدح أول ملوكها « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) شديدة الظلمة (٣) الغيناء : الخضراء من الشجر الكثيرة الورق الملتفة الأغصان الناعمة ، وفى الأصل « الغناء » « أحمد يوسف نجاتى »

قَرَنَتْ يَدَاهُ ٱلشَّمْعَتَيْنِ بِوَجْهِهِ
كَالْبَدْرِ بَيْنَ ٱلنَّسْرِ وَٱلْجَوْزَاءِ(١)
وَٱلْتَاحَ(٢) تَحْتَ ٱلْمَاءِ ضَوْءُ جَبِينِهِ
كَالْبَرْقِ يَخْفِقُ فِي غَمَامِ سَمَاءِ

***

وصف الفتح منية المنصور

« وَقَالَ ٱلْفَتْحُ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ ـ » دُعِيتُ يَوْمًا إِلَى مُنْيَةِ ٱلْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِبَلَنْسِيَةَ ، وَهِيَ مُنْتَهَى ٱلْجَمَالِ ،

---

(١) أراد بالبدر وجهه. وبالنسر والجوزاء الشمعتين ، والنسران كوكبان معروفان على التشبيه بالنسر الطائر ، وهما النسر الطائر والنسر الواقع ، وقد تقدم شرحهما ووصفهما فى الأجزاء السابقة . أما الجوزاء فتبدو فى السماء على شكل مخمس غير منتظم واقع على حافة المجرة ، وأضوأ نجمين فى الجوزاء تسميهما العرب « الذراع المبسوطة » أو التوءمين « التوءم المقدم والتوءم المؤخر » ويمكن مشاهدة الأول بالمنظار الصغير لشدة توهجه ولمعانه . وتسمى العرب النجمين اللذين عند رجلي التوءم المؤخر « الهنعة » وتوافق المنزلة السادسة من منازل القمر ، وسابعة المنازل « الذراع المبسوطة » وتطلق كتب الفلك العربية لفظ « الجوزاء » على كوكبي التوءمين والجبار . ومن أبدع ماقيل فى وصفها قول أبى بكر الخالدى :

وتمايل الجوزاء يحكى فى الدجا ميلان شارب قهوة لم تمزج
وتنقبت بخفيف غيم أبيض هى فيه بين تبختر وتبرج
كتنفس الحسناء فى المرآة اذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وسموها جوزاء لاعتراضها فى جوز السماء أى وسطها « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) التاح : لاح وأشرق ، وصدر البيت كان فى الأصل هكذا

وَمُزْدَهَى(١) ٱلصَّبَا وَٱلشَّمَالِ ، عَلَى وَهْيِ(٢) بِنَائِهَا ، وَسُكْنَى ٱلْحَوَادِثِ بُرْهَةً بِفِنَائِهَا ، فَوَافَيْتُهَا وَٱلصُّبْحُ قَدْ أَلْبَسَهَا قَمِيصَهُ ، وَٱلْحُسْنُ قَدْ شَرَحَ بِهَا عَوِيصَهُ(٣) وَبِوَسَطِهَا مَجْلِسٌ قَدْ تَفَتَّحَتْ لِلرَّوْضِ أَبْوَابُهُ ، وَتَوَشَّحَتْ بِالْأُزُرِ ٱلذَّهَبِيَّةِ أَثْوَابُهُ(٤) ، يَخْتَرِقُهُ جَدْوَلٌ كَالْحُسَامِ ٱلْمَسْلُولِ ، وَيَنْسَابُ فِيهِ ٱنْسِيَابَ

«والتاج تحت الماء أضوأ منهما» (١) أى موضع ازدهائهما وحسنهما وبهما كانتا تزهيان وتعجبان (٢) ضعف «وكان ذلك فى أول القرن الخامس» (٣) العويص الغامض المشكل ، والغرض أن الحسن قد ظهر فيها جليا تاما . واعلم أن المنصور هذا هو عبد العزيز بن الناصر عبد الرحمن بن أبى عامر من ملوك الطوائف ، وكان أميرا بشاطبة وما معها من شرق الأندلس بويع له سنة ٤١١ أقامه الموالى العامريون عند الفتنة البربرية، ثم ثار عليه أهل شاطبة فتركها، ثم لحق ببلنسية فملكها وفوض أمره للموالى العامريين، ثم ولى على بلنسية ابنه عبد الملك بن عبد العزيز فقام بأمره وجاهد المأمون بن ذى النون فغلبه على بلنيسة وانتزعها منهم فى سنة ٤٥٧ وبقى للمنصور مدينة مرسية ملكها بعد موت زهير العامرى سنة ٤٢٩ وكذا مدينة المرية ولى عليها قائده معن بن صمادح سنة ٤٣٣ وغزا الموالى العامريين بشاطبة فغلبهم عليها، وقد تقدم القول فى ملوك الطوائف وإماراتهم «أحمد يوسف نجاتى» (٤) التوشح بالثوب أن يلقيه عليه ثم يخرج طرفه الذى ألقاه على عاتقه الأيسر من تحت يده اليمنى ثم يعقد طرفيهما على صدره «هذا هو الأصل» ثم استعمل «توشح» فى معنى «ازدان» وتجمل ، والأزر جمع ازار —

ٱلْأَيْمِ (١) فِي ٱلطُّلُولِ ، وَصَفَاتُهُ بِالْأَدْوَاحِ مَحْفُوفَةٌ ، وَٱلْمَجْلِسُ يَرُوقُ كَالْخَرِيدَةِ ٱلْمَزْفُوفَةِ ، وَفِيهِ يَقُولُ عَلِيُّ ٱبْنُ أَحْمَدَ أَحَدُ شُعَرَائِهَا ، وَقَدْ حَلَّهُ مَعَ طَائِفَةٍ مِنْ وُزَرَائِهَا :

***

وصف على بن احمد المجلس منية المنصور

قُمْ فَاسْقِنِي وَٱلرِّيَاضُ لَابِسَةٌ
وَشْيًا مِنَ ٱلنَّوْرِ حَاكَهُ ٱلْقَطْرُ

فِي مَجْلِسٍ كَالسَّمَاءِ لَاحَ بِهِ
مِنْ وَجْهِ مَنْ قَدْ هَوِيتُهُ بَدْرُ

وَٱلشَّمْسُ قَدْ عُصْفِرَتْ (٢) غَلَائِلُهَا
وَٱلْأَرْضُ تَنْدَى ثِيَابُهَا ٱلْخُضْرُ

وَٱلنَّهْرُ مِثْلُ ٱلْمَجَرِّ حَفَّ بِهِ
مِنَ ٱلنَّدَامَى كَوَاكِبٌ زُهْرُ

فَحَلَلْتُ ذٰلِكَ ٱلْمَجْلِسَ وَفِيهِمْ أَخْدَانٌ (٣) ، كَأَنَّهُمُ ٱلْوِلْدَانُ

يصف مابالروض من أزهار وأنوار (١) الأيم الحية البيضاء، والثعبان الذى لايضر أحدا ، ويقال فيه أيضا « أيم » « مثل كيس » وفى نسخة « فى الطول » بدل « الطلول » (٢) أى صبغت بالعصفر وهو نبت معروف وبزره القرطم « وصبغه بين الأحمر والأصفر » يريد أن الشمس قد آذنت بالمغيب ودنت من الغروب (٣) جمع خدن وهو الصديق والصاحب « أحمد يوسف نجاتى »

وَهُمْ فِي عَيْشٍ لَدْنٍ(١) ، كَأَنَّهُمْ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ ، فَأَنَخْتُ لَدَيْهِمْ رَكَائِبِي وَعَقَلْتُهَا(٢) ، وَتَقَلَّدَتْ بِهِمْ رَغَائِبِي وَاعْتَقَلْتُهَا(٣) وَأَقَمْنَا نَتَنَعَّمُ بِحُسْنِهِ طُولَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَوَافَى اللَّيْلُ فَذُدْنَا(٤) عَنِ الْجُفُونِ طُرُوقَ النَّوْمِ ، وَظَلِلْنَا بِلَيْلَةٍ كَأَنَّ الصُّبْحَ مِنْهَا مَقْدُودٌ(٥) وَالْأَغْصَانُ تَمِيسُ كَأَنَّهَا قُدُودٌ ، وَالْمَجَرَّةُ تَتَرَاءَى نَهَرًا ، وَالْكَوَاكِبُ تَخَالُهَا فِي الْجَوِّ زَهْرًا وَالثُّرَيَّا كَأَنَّهَا رَاحَةٌ تُشِيرُ(٦) ، وَعُطَارِدُ لَنَا بِالطَّرَبِ بَشِيرٌ ،

---

(١) اللدن اللين وفعله « ككرم » يريد فى نعمة ورغد عيش (٢) يريد أقام بينهم وسكن اليهم (٣) أى نالها وتمكن منها ، وأصله من تقلدت اذا لبست القلادة ، وتقلد السيف اذا ألقى حمالته فى عنقه فتقلده ، واعتقل الرمح جعله بين ركابه وساقه ، أو أن يجعله الراكب تحت فخذه و يجر آخره على الأرض وراءه — وإذا شبه الرغائب بالسيف والرمح لأنها قوة للمرء اذا نالها تغلب على شدائد الدهر ومصاعب الحياة وانتصر على خطوبها «أحمد يوسف نجاتى» (٤) ذاد : منع وطرد (٥) قد الشىء اذا شقه وقطعه ، يصف الليلة بالاشراق والبهاء حسا أو معنى لما فيها من الصفاء والسرور (٦) من تشبيه الثريا بالراحة قول الشاعر وأدمج فيه الشكوى من طول الليل :

كأن الثريا راحة تشبر الدجا لتنظر طال الليل أم قد تعرضا

ومنه قول أبى الفرج الببغاء :

كأن نجم الثريا كف ذى كرم مبسوطة بالعطايا ليس تنقبض

ولابن الرومى :

وكأن الهلال نصف سوار والثريا كف تشير اليه

فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ وَافَيْتُ ٱلرَّئِيسَ أَبَا عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ (١) زَائِرًا

فَأَفَضْنَا فِي ٱلْحَدِيثِ إِلَى أَنْ أَفْضَى بِنَا إِلَى ذِكْرِ مُتَنَزَّهٍ

ونشاعر وأحسن :

زارنى فى الدجا فنم عليه   طيب أردانه لدى الرقباء
والثريا كأنها كف خود   برزت فى غلالة زرقاء

ولابن سكرة الهاشمي :

ترى الثريا والغرب يجذبها   والبدر يسرى والفجر ينفجر
كف عروس لاحت خواتمها   أو عقد در فى الجو ينتثر

أما عطارد فهو أصغر الكواكب وأدناها من الشمس فانه لايكاد يرى الا بجوارها ، ويشاهد فى أكثر شهور الشتاء أكثر ضوءا وأقوى سطوعا منه فى معظم أشهر الصيف ، ويدعى « نجم الصباح » حين يكون الى الغرب من الشمس فيشرق قبل شروقها ، ثم يسمى نجم المساء حين ينتهى بعد أن يسبح فى فلكه الى أن يكون الى الشرق من الشمس فيغرب بعد مغيبها ، وهو فى كلا حاليه يبدو لعين الرائى مشرق الوجه جميل الطلعة ، يتألق محياه بشرا ، ويتلألأ سرورا وبهجة ، وفيه يقول الشريف الموسوى :

أرى كل نجم عاريا وعطارد   اذا مابدا مثل الغلام المدرع
وتحت شعاع الشمس ان راح ساريا   كلؤلؤة فى كأس خمر مشعشع

وكانوا يجعلون عطارد كوكب الكتاب « أحمد يوسف نجاتى »

(١) هو أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر كان من جلة الرؤساء المبرزين فى الأدب المجيدين فى منثوره ومنظومه ، تقلبت به الأيام بين رضا وسخط حتى توفى سنة ٥٠٧ ، وهو ممن عنينا بالتوسع فى ترجمتهم وبيان أثرهم فى الأدب من أعيان الأدباء الأندلسيين فى كتابنا الجامع «أحمد يوسف نجاتى »

بِالْأَمْسِ ، وَمَا لَقِينَا فِيهِ مِنَ الْأُنْسِ ، فَقَالَ لِي : وَمَا بَهْجَةُ مَوْضِعٍ قَدْ بَانَ(١) قَطِينُهُ وَذَهَبَ ، وَسَلَبَ الزَّمَانُ بَهْجَتَهُ وَانْتَهَبَ ، وَبَادَ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَسْمُهُ ، وَمَحَاهُ الْحَدَثَانُ فَمَا يَكَادُ يَلُوحُ وَسْمُهُ ؟! عَهْدِي بِهِ عِنْدَ مَا فُرِغَ مِنْ تَشْيِيدِهِ ، وَتُنُوهِيَ فِي تَنْسِيقِهِ وَتَنْضِيدِهِ ، وَقَدِ اسْتَدْعَانِي إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ فِي يَوْمٍ حَلَّتْ فِيهِ الشَّمْسُ بَيْتَ شَرَفِهَا ، وَاكْتَسَتْ فِيهِ الْأَرْضُ بِزُخْرُفِهَا ، فَحَلَلْتُ بِهِ وَالدَّوْحُ تَمِيسُ مَعَاطِفُهُ ، وَالنَّوْرُ يُخْجِلُهُ قَاطِفُهُ ، وَالْمُدَامُ تَطْلُعُ بِهِ وَتَغْرُبُ ، وَقَدْ حَلَّ فِيهِ قَحْطَانُ وَيَعْرُبُ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الْمَنْصُورِ مِائَةُ غُلَامٍ مَا يَزِيدُ أَحَدُهُمْ عَلَى الْعَشْرِ غَيْرَ أَرْبَعٍ ، وَلَا يَحُلُّ غَيْرَ الْفُؤَادِ مِنْ مَرْبَعٍ(٢) ، وَهُمْ يُدِيرُونَ رَحِيقًا(٣) ، خِلْتُهَا فِي كَأْسِهَا دُرًّا وَعَقِيقًا ، فَأَقَمْنَا وَالشُّهُبُ تُغَازِلُنَا ، وَكَأَنَّ الْأَفْلَاكَ مَنَازِلُنَا ، وَوَهَبَ الْمَنْصُورُ فِي ذَٰلِكَ الْيَوْمِ مَا يَزِيدُ عَلَى عِشْرِينَ أَلْفًا

---

(١) فارقه ساكنوه (٢) أصل المربع مكان الاقامة زمن الربيع، ثم أطلق على أى مكان يقيم فيه ساكنه (٣) الرحيق: الخمر، أو صفوتها وأطيبها، وأعتقها وأجودها « أحمد يوسف نجاتى »

مِنْ صِلَاتٍ، مُتَّصِلَاتٍ، وَإِقْطَاعٍ، ضِيَاعٍ[1]، ثُمَّ تَوَجَّعَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ، وَأَفْصَحَ بِمَا بَيْنَ ضُلُوعِهِ مِنَ الْوَجْدِ، وقَالَ:

سَقْياً لِمَنْزِلَةِ اللِّوَى وَكَثِيبِهَا
إِذْ لَا أَرَى زَمَنًا كَأَزْمَانِى بِهَا

انْتَهَى

***

وصف نزهة ببعض متنزهات الأندلس

« وَمَا أَحْسَنَ مَا كَتَبَ بِهِ الْفَتْحُ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ » يَصِفُ نُزْهَةً بِبَعْضِ مُتَنَزَّهَاتِ الْأَنْدَلُسِ الْمُونِقَةِ، وَيَذْكُرُ اسْتِضَاءَتَهُ فِيهَا بِشُمُوسِ الْمَسَرَّةِ الْمُشْرِقَةِ، وَهُوَ: أَطَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ بَقَاءَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، وَمُحْيِي الْمِلَّةِ، الَّذِي حَسُنَ بِلُقْيَاهُ الْعَيْشُ، وَتَزَيَّنَ بِمُحَيَّاهُ الْجَيْشُ، وَرَاقَ بِاسْمِهِ الْمُلْكُ، وَجَرَتْ بِسَعْدِهِ الْفُلْكُ، وَأَنَارَ بِهِ اللَّيْلُ الدَّامِسُ[2]، وَلَاحَ لَهُ الْأَثَرُ الطَّامِسُ[3]، وَجَرَى الدَّهْرُ لِسَطْوَتِهِ خَائِفًا، وَغَدَا السَّعْدُ بِعَقْوَتِهِ[4] طَائِفًا، وَالزَّمَانُ بِبُرُودِ عُلْيَاهُ مُلْتَحِفٌ،

(١) كذا فى القلائد، وقد كان فى الأصل « وأقطع ضياعا » (٢) شديد الظلام (٣) طمس « كنصر وضرب » الأثر وغيره اذا درس وامحى (٤) العقوة ماحول الدار أو المحلة وجمعه عقاء « أحمد يوسف نجاتى »

وَلِثُغُورِ نَدَاهُ مُرْتَشِفٌ ، وَلاَزَالَ لِلْمَجْدِ يَتَمَلَّكُهُ ، وَالسَّعْدُ يَحْمِلُهُ فَلَكُهُ ، أَمَا وَقَدْ وَافَقَتْنِي أَيَّامُهُ ـ أَيَّدَهُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ ـ وِفَاقًا وَرَأَيْتُ لِلْبَيَانِ عِنْدَهُ نَفَاقًا(١) ، فَلاَ بُدَّ أَنْ أُرْسِلَ كَتَائِبَهُ أَفْوَاجًا ، وَأُفِيضَ مِنْ بَحْرِهِ أَمْوَاجًا ، وَأَصِفَ مَا شَاهَدْتُهُ مِنَ ٱقْتِدَارِهِ ، وَعَايَنْتُهُ مِنْ حُسْنِ إِيرَادِهِ وَإِصْدَارِهِ ، بِمَقَالٍ أَفْصَحَ مِنْ شَكْوَى ٱلْمَحْزُونِ ، وَأَمْلَحَ مِنْ رِيَاضِ ٱلْحُزُونِ(٢) وَقَدْ كُنْتُ ـ أَيَّدَكُمُ ٱللهُ تَعَالَى ـ كَلِفًا بِالدُّوَلِ وَبَهَائِهَا ، لَهِجًا(٣) بِالْبُلُوغِ إِلَى ٱنْتِهَائِهَا ، لِأَجِدَ دَوْلَةً أَرْتَضِيهَا ، وَحُظْوَةً عَلْيَاءَ أَقْتَضِيهَا ، فَكُلُّ مَلِكٍ فَاوَضْتُهُ سِرًّا أَوْ جَهْرًا ، وَكُلُّ مُلْكٍ قَلَبْتُهُ بَطْنًا وَظَهْرًا ، وَٱلنَّفْسُ تَصَدُّ عَنْهُ صُدُودَ ٱلْجَبَانِ عَنِ ٱلْحَرْبِ ، وَٱلْمَلاَئِكَةِ ٱلْكِرَامِ عَنِ ٱلشَّرْبِ(٤)

---

(١) رواجا وقبولا (٢) جمع حزن وهو ماغلظ من الأرض فى ارتفاع ، والحزن فى قول الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معشبة   خضراء جادعليها مسبل هطل الخ

موضع كانت ترعى فيه ابل الملوك ، وهو من أرض بنى أسد (٣) لهج بالأمر « كفرح » اذا أغرى به وأولع فثابر عليه واعتاده (٤) القوم يشربون ويجتمعون على الشراب « أحمد يوسف نجاتى »

إِلَى أَنْ حَصَلْتُ لَدَيْهِ ، وَوَصَلْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقُلْتُ الْآنَ أَمْكَنَ مِنْ رَاحِ الْبُغْيَةِ الِانْتِشَاءُ[1] وَتَمَثَّلْتُ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ » وَمَا زِلْتُ أُسَايِرُهُ حَيْثُ سَارَ ، وَآخُذُ الْيَمِينَ تَارَةً وَتَارَةً الْيَسَارَ ، وَكُلُّ نَاحِيَةٍ تُسْفِرُ لِي عَنْ خَدِّ رَوْضٍ أَزْهَرَ ، وَعِذَارِ نَبْتٍ أَخْضَرَ ، وَتَبْسِمُ عَنْ ثَغْرِ حَبَابٍ ، فِي نَهْرٍ كَالْحُبَابِ ، وَتَرْفُلُ[2] مِنَ الرَّبِيعِ فِي مَلَابِسَ سُنْدُسِيَّاتٍ وَتُهْدِي إِلَيْنَا نَوَافِحَ[3] مِسْكِيَّاتٍ ، وَتَزْهَى مِنْ بَهْجَتِهَا بِأَحْسَنِ مَنْظَرٍ ، وَتَتِيهُ بِجِلْبَابٍ أَيْنَعَ مِنْ بُرْدِ الشَّبَابِ الْأَنْضَرِ ، فَجُلْنَا فِيهَا يَمِيناً وَشِمَالاً ، وَاسْتَخْبَرْنَا عَنْ أَسْرَارِهَا صَباً وَشَمَالاً . ثُمَّ مَالَ بِنَا ـ أَيَّدَهُ اللهُ تَعَالَى ـ عَنْ هٰذِهِ الْمَسَارِحِ السَّنِيَّةِ ، وَالْمَنَازِلِ الْبَهِيَّةِ ، إِلَى إِحْدَى ضِيَاعِهِ الْحَالِيَةِ[4] ، وَبِقَاعِهِ

---

(١) يريد أمكن التمتع بنيل البغية كلها والسرور بالحصول عليها تامة هنيئة . والراح الخمر، والانتشاء منها السكر بها وعملها فى شاربها.

(٢) رفل فى ثيابه اذا جر ذيله وتبختر ، وامرأة رفلة تجر ذيلها جراحسنا اذا مشت وتميس فى ذلك معجبة مختالة (٣) جمع نافحة من نفح الطيب اذا أرج وفاح ، وفى نسخة « توافج » بالجيم جمع نافجة وهى وعاء المسك « وهو معرب » (٤) ذات الحلى والزينة. يريد المزدانة بالنبات والمناظر ذات

أَلْعَالِيَةِ ، فَحَلَلْنَاهَا وَالْأَيْمُ(١) قَدْ عَرِيَ مِنْ جِلْبَابِهِ ، وَالْيَوْمُ قَدِ اكْتَهَلَ بَعْدَ شَبَابِهِ ، فَنَزَلْنَا فِي قُصُورٍ يَقْصُرُ عَنْهَا جَعْفَرِيُّ(٢) جَعْفَرٍ ، وَقُصُورُ بَنِي(٣) الْأَصْفَرِ ، تُهْدِي مِنْ لَبَّاتِهَا(٤) بُرْدًا مُحَبَّرًا ، وَتُبْدِي مِنْ شَذَاهَا مِسْكًا وَعَنْبَرًا ، وَقَدْ لَاحَتْ مِنْ جَوَانِبِهَا نُجُومُ أَكْوَاسٍ ، لَوْ رَآهَا أَبُو نُوَاسٍ لَجَعَلَهَا شِعَارَهُ ، وَوَقَفَ عَلَى نَعْتِهَا أَشْعَارَهُ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ سِوَاهَا نُجْعَةً(٥) ، وَلَا نَبَّهَ خَمَّارَهُ بَعْدَ هَجْعَةٍ(٦) فَتَعَاطَيْنَاهَا وَالسَّعْدُ لَنَا

الحسن والبهجة (١) الايم فى الأصل الثعبان الأبيض الذى لايضر أحدا استعير هنا للنهار (٢) الجعفرى قصر بناه سنة ٢٤٥ أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله الخليفة العباسى بن المعتصم قرب سامراء ،فاستحدث عنده مدينة وانتقل اليها ، وأقطع القواد منها قطائع فصارت أكبر من سامراء وفيه قتل المتوكل سنة ٢٤٧ فعاد الناس الى سامراء ، وللشعراء فى ذكر الجعفرى قصائد بديعة، ومن أحسن ماقيل فيه قصيدة البحترى التى منها :

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن   ليتم الا بالخليفة جعفر

(٣) اسم كانوا يطلقونه على الروم أو ملوكهم. قال عدى بن زيد :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الـ   روم لم يبق منهم مذكور

(٤) اللبة فى الأصل موضع القلادة من الصدر أو وسط الصدر ، والبرد ثوب مخطط ذو وشى ، وحبره اذا وشاه وحسنه ونقشه (٥) النجعة طلب الكلأ فى موضعه ، ويقال هو نجعتى أى أملى ومطلبي على المثل (٦) أى بعد نومة خفيفة ومضى طائفة من الليل وفى نسخة « خمارة» ، يشير الى

خَادِمٌ ، وَمَا غَيْرُ السُّرُورِ عَلَيْنَا قَادِمٌ ، وَخُدُودُ سُقَاتِهَا قَدِ اُكْتَسَتْ مِنْ سَنَاهَا ، وَقُدُودُهُمْ تَتَهَيَّلُ(١) عَلَيْنَا بِجَنَاهَا ، وَنَحْنُ بَيْنَ سُكْرٍ وَصَحْوٍ ، وَإِثْبَاتٍ وَمَحْوٍ ، وَإِصَاخَةٍ إِلَى بَمٍّ(٢) وَزِيرٍ ، وَالْتِفَاتَةٍ إِلَى مَلِكٍ وَوَزِيرٍ ، إِلَى أَنْ وَلَّى النَّهَارُ فَحَيَّانَا ، وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ الْمُمِيتُ فَأَحْيَانَا ، فَوَصَلْنَاهُ بِلَهْوٍ

قول أبي نواس من أبيات له فيها عبث رقيق ماجن، ورفث نواسي غير عفيف :

وخمارة نبهتها بعد هجمة وقد غابت الجوزاء وانحدر النسر
فقالت: من الطراق؟ قلنا: عصابة خفاف الأداوى يبتغى لهم خمر

الأداوى جمع إداوة اناء صغير من جلد، يريد أنهم قد نفد شرابهم فخفت أداواهم ،وكانوا يحملون بها الماء ، ومثل أبي نواس وصحبه انما تملأ أداواهم بغير الماء ،فليسوا ممن يكرع القراح ، ولكنهم ممن يرتوون بالراح ، و بعد البيتين قص حديثه مع الخمارة وما ارتكبوه في حانها بعد أن شربوا الاثم وذهبت بصوابهم أم الخبائث « أحمد يوسف نجاتى »

(١) تميل ، من قولهم تهيل الرمل اذا تساقط ولم يثبت مكانه ، شبه قدودهم بأغصان تترنح متثنية، وجناها ورد الخدود وتفاحها «وأظنه يريد أنهم كانوا يقتطفون منهم القبل ونحوها مما دعاهم اليه ثمل الشراب ونشوة الخمر (٢) البم من أوتار العود وكذلك الزير ، قال :

البم والزير وكأس الطلا أولى بمثلى من سؤال الديار

وقال ابن الرومي :

فيه بم وفيه زير من النغ م وفيه مثالث ومثانى

« وهذه أسماء الأوتار كلها » « أحمد يوسف نجاتى »

وَقَصْفٍ ، وَعَيْشٍ يَتَجَاوَزُ كُلَّ وَصْفٍ ، فَكَأَنَّ يَوْمَنَا مُقِيمٌ أَوْ كَأَنَّ لَيْلَنَا مِنَ الظَّلَامِ عَقِيمٌ ، وَلَمَّا سَلَّ الْفَجْرُ حُسَامَهُ ، وَأَبْدَى لِعُبُوسِ اللَّيْلِ ابْتِسَامَهُ ، وَجَاءَ يَخْتَالُ اخْتِيَالَا ، وَيَمْحُو مِنْ بَقَايَا اللَّيْلِ نِيَالَا(١) ، قُمْنَا نَتَنَاوَبُ(٢) الْمَسِيرَ ، وَكُلُّنَا فِي يَدِ النَّشْوَةِ أَسِيرٌ ، فَسِرْنَا وَالْمَلِكُ الْأَجَلُّ يَقْدُمُنَا ، وَالْأَيَّامُ تَخْدُمُنَا ، فَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ بِهِ زَاهِيَةً ، وَعَنْ سِوَاهُ لَاهِيَةً ، مَا عَمَرَ وَكْرًا عُقَابٌ(٣) وَكَانَ لِلشُّهُورِ غُرَرٌ وَأَعْقَابٌ(٤) . انْتَهَى .

***

« وَقَالَ الْفَتْحُ فِي تَرْجَمَةِ الرَّاضِي بِاللهِ أَبِي خَالِدٍ يَزِيدَ الراضى بالله ابن عباد

(١) يريد صبغا وأثرا باقيا ، وفى بعض النسخ «خيالا» أى أثرا (٢) وفى نسخة «نتنادب» (٣) العقاب هذا الطائر المعروف ، كانوا يدعونه سيد الطيور ، ويرونها أحزم الطير وأشده بأسا . وقيل لبشار بن برد : لو خيرك الله أن تكون حيوانا ماذا كنت تختار ؟ قال : العقاب لأنها تلبث حيث لا يبلغها سبع ولا ذو أربع وتحيد عنها سباع الطير ولا تعانى الصيد الا قليلا بل تسلب كل ذى صيد صيده (٤) الغرة من الشهر ليلة استهلال القمر لبياض أولها تشبيها بغرة الفرس فى جبهته ، وغرة كل شىء أوله ، والأعقاب جمع عقب وهو آخر كل شىء ، ويقال : جئت فى عقب الشهر وعلى عقبه أى لأيام بقيت منه ، فى آخره « أحمد يوسف نجاتى »

أَبْنِ ٱلْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ(١) » بَعْدَ كَلَامٍ مَا صُورَتُهُ : وَأَخْبَرَنِي ٱلْمُعْتَدُّ بِاللّٰهِ أَنَّ أَبَاهُ ٱلْمُعْتَمِدَ وَجَّهَهُ ـ يَعْنِي أَخَاهُ ٱلرَّاضِيَ ـ إِلَى شِلْبَ(٢) وَالِياً ، وَكَانَتْ مَلْعَبَ شَبَابِهِ ، وَمَأْلَفَ أَحْبَابِهِ ،

---

(١) الأمير يزيد بن محمد المعتمد بن عباد المعتضد، نشأ نشأة أبناء الملوك،ونهل من العلوم والمعارف، ونال ثقافة عالية، وشب شجاعا كريما أديبا ثم ولاه أبوه أعمال الجزيرة الخضراء ومدينة رندة فظهرت كفايته وحسن سياسته ، الى أن كان بالأندلس ما كان من تغلب العدو على مدنها وثغورها شيئا فشيئا ، ودخول يوسف بن تاشفين للجهاد ونزوله بالجزيرة الخضراء سنة ٤٧٩ ثم استولى بعد ذلك على ممالك ابن عباد ، وقتل فى هذه الحروب المأمون بن المعتمد بن عباد بقرطبة سنة ٤٨٤ وقتل كذلك ابنه يزيد الراضى فى تلك الفتنة غدرا، وقد تقدمت القصيدة التى رثاهما بها أبوهما المعتمد ،وله أيضا قصيدة أخرى يرثيهما فيها قالها وقد رأى قمرية تنوح على غصن وأمامها وكر فيه طائران يرددان نغما، ويغردان ترحة وترنما

بكت أن رأت الفين ضمهما وكر ... مساء و قد أخنى على الفها الدهر
وناحت فباحت واستراحت بسرها ... ومانطقت حرفا يبوح به سر
فما لى لا أبكى أم القلب صخرة؟! ... وكم صخرة فى الأرض يجرى بها نهر
بكت واحدا لم يشجها غير فقده ... وأبكى لآلاف عديدهم كثر
بنى صغير أو خليل موافق ... يمزق ذا قفر، و يغرق ذا بحر
ونجمان زين للزمان احتواهما ... بقرطبة النكداء أو رندة القبر
غدرت اذا ان ضن جفنى بقطرة ... وان اؤمت نفسى فصاحبها الصبر
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معى ... لمثلهما فلتحزن الأنجم الزهر

وتقدم ماآلت اليه حال المعتمد بن عباد بعد ذلك من أسره ووفاته غريبا « أحمد يوسف نجاتى » (٢) شلب مدينة بغرب الأندلس غربى قرطبة

أُلَّتِي عَمَرَ نُجُودَهَا غُلَامًا ، وَتَذَكَّرَ عُهُودَهَا أَحْلَاما ، وَفِيهَا يَقُولُ ـ يُخَاطِبُ ٱبْنَ عَمَّارٍ وَقَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْهَا :

أَلَا حَيِّ أَوْطَانِي بِشِلْبٍ أَبَا بَكْرٍ
وَسَلْهُنَّ : هَلْ عَهْدُ ٱلْوِصَالِ كَمَا أَدْرِي !
وَسَلِّمْ عَلَى قَصْرِ ٱلشَّرَاجِيبِ مِنْ فَتًى
لَهُ أَبَدًا شَوْقٌ إِلَى ذَلِكَ ٱلْقَصْرِ (١)

وَقَصْرُ ٱلشَّرَاجِيبِ هٰـذَا مُتَنَاهٍ فِي ٱلْبَهَاءِ وَٱلْإِشْرَاقِ ، مُبَاهٍ لِزَوْرَاءِ ٱلْعِرَاقِ ، رَكَضَتْ فِيهِ جِيَادُ رَاحَاتِهِ ، وَأَوْمَضَتْ

كانت قاعـدة ولاية أشـكونية من الممالك المضافة الى اشبيلية الى الغرب والشمال منها، ولم يكن بالأندلس بعـد اشبيلية مثلها ، وقل أن كان المرء يرى من أهلها من لايقول شعرا ولا يعنى بالأدب حتى الصانع فى مصنعه والفلاح خلف فدانه ، وكان المعتضد عباد قد ولى ابنه المعتمد ولاية شلب فى حين شبابه وصباه ،فقضى بها شطرا من أنضر أيام حياته ، فلذلك كان يحن اليها و يعطف عليها (١) بعدها :

منازل آسـاد و بيض نواعم فناهيك من غيل، وناهيك من خدر
وكم ليـلة قدبت أنعم جنحها بمخصبة الأرداف مجدبة الخصر
و بيض وسمر فاعلات بمهجتى فعال الصفاح البيض والأسل السمر
وليـل بسد النهر لهوا قطعته بذات سوار مثـل منعطف البدر
نضت بردها عن غصن بان منعم نضير كما انشق الـكمام عن الزهر

بُرُوقُ أَمَانِيهِ فِي سَاحَاتِهِ ، وَجَرَى الدَّهْرُ مُطِيعًا بَيْنَ بُكَرِهِ وَرَوْحَاتِهِ ، أَيَّامَ لَمْ تُحَلَّ عَنْهُ تَمَائِمُهُ(١) ، وَلَا خَلَتْ مِنْ أَزَاهِيرِ الشَّبَابِ كَمَائِمُهُ(٢) ، وَكَانَ يَعْتَدُّهَا مُشْتَهَى آمَالِهِ ، وَمُنْتَهَى أَعْمَالِهِ ، إِلَى بَهْجَةِ جَنَبَاتِهَا ، وَطِيبِ نَفَحَاتِهَا وَهَبَّاتِهَا وَالْتِفَافِ خَمَائِلِهَا(٣) ، وَتَقَلُّدِهَا بِنَهْرِهَا مَكَانَ حَمَائِلِهَا ، وَفِيهَا يَقُولُ ابْنُ اللَّبَّانَةِ(٤) :

أَمَا عَلِمَ الْمُعْتَدُّ بِاللهِ أَنَّنِي
بِحَضْرَتِهِ فِي جَنَّةٍ شَقَّهَا نَهْرُ؟!
وَمَا هُوَ نَهْرٌ أَعْشَبَ النَّبْتُ حَوْلَهُ
وَلٰكِنَّهُ سَيْفٌ حَمَائِلُهُ خُضْرُ

فَلَمَّا صَدَرَ عَنْهَا وَقَدْ حَسُنَتْ آثَارُهُ فِي تَدْبِيرِهَا ، وَانْسَدَلَتْ رِعَايَتُهُ عَلَى صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا ، نَزَلَ الْمُعْتَمِدُ عَلَيْهِ مُشَرِّفًا لِأَوْبَتِهِ ، وَمُعَرِّفًا بِسُمُوِّ قَدْرِهِ لَدَيْهِ وَرُتْبَتِهِ ، وَأَقَامَ

(١) كناية عن حداثة سنه وصغره ، والتميمة اسم لخرزة رقطاء كانت تنظم فى سير ثم يعقد فى عنق الصبى (٢) جمع كامة وهى غلاف النور وغطاء الزهر (٣) جمع خميلة وهى الشجر الكثير الملتف الذى لاترى فيه الشيء اذا وقع فى وسطه (٤) تقدمت ترجمته « أحمد يوسف نجاتى »

يَوْمَهُ عِنْدَهُ مُسْتَرِيحًا ، وَجَرَى فِي مَيْدَانِ الْأُنْسِ بَطَلًا مُشِيحًا[١] ، وَكَانَ وَاجِدًا[٢] عَلَى الرَّاضِي فَجَلَتِ الْحُمَيَّا أُفُقَهُ وَمَحَتْ غَيْظَهُ عَلَيْهِ وَحَنَقَهُ ، وَصَوَّرَتْهُ لَهُ عَيْنُ حُنُوِّهِ ، وَذَكَّرَتْهُ بُعْدَهُ فَجَنَحَ إِلَى دُنُوِّهِ ، وَبَيْنَمَا ٱسْتُدْعِيَ وَأَوْفَى ، مَالَتْ بِالْمُعْتَمِدِ نَشْوَتُهُ وَأَغْفَى[٣] ، فَأَلْفَاهُ صَرِيعًا فِي مُنْتَدَاهُ ، طَرِيحًا فِي مُنْتَهَى مَدَاهُ ، فَأَقَامَ تُجَاهَهُ ، يَرْتَقِبُ ٱنْتِبَاهَهُ ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ صَنَعَ شِعْرًا أَتْقَنَهُ وَجَوَّدَهُ ، فَلَمَّا ٱسْتَيْقَظَ أَنْشَدَهُ :

أَلَانَ تَعُودُ حَيَاةُ الْأَمَلْ ... وَيَدْنُو شِفَاءُ فُؤَادٍ مُعَلّْ

(١) المشيح الجاد فى الأمور الحذر لا يكاد عدوه يناله . قال عمرو بن الأطنابة :

واقدامى على المكروه نفسى ... وضربى هامة البطل المشيح

(٢) غاضبا ، وكان المعتمد كثيرا ما يرمى ابنه الراضى بملامه ، ويصميه بسهامه ، وكان الراضى يستعطفه بشعر يسيل رقة وعذوبة ، فمن ذلك قوله له وقد أنهض جماعة من اخوته وأقعده ، وأدناهم وأبعده .

أعيذك أن يكون بنا خمول ... ويطلع غيرنا ولنا أفول

حنانك ! ان يكن جرمى قبيحا ... فان الصفح عن جرمى جميل

ألست بفرعك الزاكى ؟ ! وماذا ... يرجى الفرع خانته الأصول ؟!

(٣) أوفى عليه أشرف ، وأوفى القوم ووافاهم اذا جاءهم وأقبل عليهم ، وأغفى نعس ونام « أحمد يوسف نجاتى »

وَيُورِقُ لِلْعِزِّ غُصْنٌ ذَوَى
وَيَطْلُعُ لِلسَّعْدِ نَجْمٌ أَفَلْ(١)
فَقَـدْ وَعَدَتْنِي سَحَابُ الرِّضَا
بَوَابِلِهَا حِينَ جَادَتْ بِطَلّْ
أَيَا مَلِـكًا أَمْرُهُ نَافِـذٌ
فَمَنْ شَاءَ عَزَّ وَمَنْ شَاءَ ذَلّْ
دَعَوْتَ فَطَارَ بِقَلْبِي السُّرُورْ
إِلَيْكَ وَإِنْ كَانَ مِنْكَ الْوَجَلْ
كَمَا يَسْتَطِيرُكَ حُبُّ الْوَغَى
إِلَيْهَا وَفِيهَا الظُّبَا وَالْأَسَلْ(٢)
فَلَا غَرْوَ إِنْ كَانَ مِنْكَ اغْتِفَارٌ
وَإِنْ كَانَ مِنَّا جَمِيعًا زَلَلْ(٣)

---

(١) ذوى ذبل وجف ، وأفـل غاب (٢) استطاره الأمر اذا ذهب به بسرعة كأنه سار اليه على جناح طير ، واستطير الفرس اذا أسرع الجرى ، واستطار السيف اذا سله وانتزعه من غمـده مسرعا ، والظبا جمع ظبة وهى حـد السيف والسنان ونحوهما كالنصل والخنجر وشبهه.والأسـل الرماح والنبل (٣) لاغرو أى لاعجب ، والزلل الخطأ

فَمِثْلُكَ – وَهُوَ الَّذِي لَمْ نَجِـدْ

هُ – عَادَ بِحِلْمٍ عَلَى مَنْ جَهِـلْ[1]

انْتَهَى

***

المتوكل بن الأفطس

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَـةِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللهِ ابْنِ الْأَفْطَسِ[2] مَا صُورَتُهُ » وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدُونَ[3] أَنَّ الْأَرْضَ تَوَالَى عَلَيْهَا الْجَدْبُ بِحَضْرَتِهِ حَتَّى جَفَّتْ مَذَانِبُهَا[4] وَاغْبَرَّتْ جَوَانِبُهَا ، وَغَرَّدَ الْمُكَّاءُ[5] فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ ، وَخَاضَ

(١) هذا مثل قول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك فى السؤ دد والمجد والمكارم مثلا

(٢) هو أبو حفص عمر بن محمد المظفر بن عبد الله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الأفطس صاحب بطليوس ، قام المتوكل بالأمر بعد وفاة أبيه المظفر سنة ٤٦٠ فلم يزل حتى قتله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٩ وتقدم التعريف ببني الأفطس وغيرهم من ملوك الطوائف « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) هو الوزير الكاتب البارع والشاعر المجيد والمؤرخ الخبير ذو الوزارتين عبدالمجيد بن عبد الله بن عبدون الفهرى من أهل يابرة ، كان من كتاب المتوكل على الله ونمت حاله معه ، وهو من كتاب المغرب المبرزين غزير الأدب نبيه القدر حاضر البديهة سريع الخاطر ، توفى بمدينة يابرة منصرفا لزيارة من له بها سنة ٥٢٩ « أحمد يوسف نجاتى » (٤) جمع مذنب وهو الجدول يسيل عن الروضة بمائها الى غيرها فيفرق ماءها فيها ، والتى يسيل عليها الماء مذنب أيضا ، والمذنب مسيل مابين التلعتين ، أو مسيل الماء الى الأرض ، وأذناب الأودية ومذانبها أسافلها (٥) المكاء طائر صغير

الْيَأْسُ بِالنَّاسِ أَعْظَمَ خَوْضِهِ ، وَأَبْدَتِ الْخَمَائِلُ عُبُوسَهَا ، وَشَكَتْ الْأَرْضُ لِلسَّمَاءِ بُؤْسَهَا ، فَأَقْلَعَ الْمُتَوَكِّلُ عَنِ الشُّرْبِ وَاللَّهْوِ ، وَنَزَعَ مَلَابِسَ الْخُيَلَاءِ وَالزَّهْوِ ، وَأَظْهَرَ الْخُشُوعَ ، وَأَكْثَرَ السُّجُودَ وَالرُّكُوعَ ، إِلَى أَنْ غَيَّمَ الْجَوُّ وَانْسَجَمَ النَّوْءُ ، وَصَابَ[1] الْغَمَامُ ، وَتَرَنَّمَتِ الْحَمَامُ ، وَسَفَرَتِ الْأَزْهَارُ ، وَزَهَتِ النُّجُودُ وَالْأَغْوَارُ ، وَاتَّفَقَ أَنْ وَصَلَ أَبُو يُوسُفَ الْمُغَنِّي وَالْأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ زَخَارِفَهَا ، وَرَقَمَ[2]

يزقو و يصيح فى الرياض و يألف الريف، وهو طائر أبيض يكون بالحجاز وله صفير ، ولأنه انما يألف الرياض و يغرد فيها كان تغريده فى غير روضة علامة على افراط الجدب وعدم النبات ، قال الشاعر :

اذا غرد المكاء فى غير روضة   فويل لأهل الشاء والحمرات

لأنه اذا اشتد الجدب ولم يكن بالأرض نبات هلك الشاء والحمير ، فالويل لمن لم يكن له مال غيرها ، وورد أعرابى الحضر فرأى مكاء يصيح فحن الى بلاده فقال :

ألا أيها المكاء مالك هاهنا   ألاء ولا شيح فأين تبيض

فأصعد الى أرض المكاكى واجتنب   قرى الشام لا تصبح وأنت مريض

والمكاء من طير البادية ، وجمعه مكاكى ، وهو من مكا يمكو اذا صفر ، ومنه قوله تعالى « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » « أحمد يوسف نجاتى » (١) النوء المطر ، وصاب المطر يصوب اذا انهمل

(٢) رقمها اذا وشاها بألوان الزهر «أحمد يوسف نجاتى»

ٱلْغَمَامُ مَطَارِفَهَا ، وَتَتَوَّجَتْ ٱلْغِيطَانُ(١) وَٱلرُّبَا ، وَأَرِجَتْ نَفَحَاتُ ٱلصَّبَا ، وَٱلْمُتَوَكِّلُ مَا فَضَّ لِتَوْبَتِهِ خِتَامًا ، وَلَا قَوَّضَ عَنْ قَلْبِهِ مِنْهَا خِيَامًا(٢) ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَلَمَّ أَبُو يُوسُفٍ وَٱلْمَطَرْ . فَيَا لَيْتَ شِعْرِى مَا يُنْتَظَرْ
وَلَسْتُ بِآبٍ وَأَنْتَ ٱلشَّهِيدُ حُضُورَ نَدِيِّكَ فِيمَنْ حَضَرْ(٣)
وَلَا مَطْلَعِى وَسْطَ تِلْكَ ٱلسَّمَاءِ بَيْنَ ٱلنُّجُومِ وَبَيْنَ ٱلْقَمَرْ
وَرَكْضِى فِيهَا جِيَادَ ٱلْمُدَامِ مَحْثُوثَةً بِسِيَاطِ ٱلْوَتَرْ(٤)

(١) جمع غوط وهو المطمئن الواسع من الأرض فيه انخفاض ، والربوة المرتفع من الأرض . وفى القلائد «تدبجت» بدل «تتوجت» والمآل واحد ، ودبج : نقش وزين ، والغرض أن الغيث وشى الأرض بالنبات وأحياها بعد موتها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٢) الذى فى القلائد « ولا نقض عن قلبه منها قتاما » والقتام الغبار ، وما فى النفح أولى مما فى القلائد ، وقوض الخيام اذا هدمها يريد الارتحال (٣) أبى الشىء اذا لم يرضه وامتنع منه . والندى : المجلس مكان الاجتماع (٤) الركض استحثاث الفرس للعدو ، يريد الشراب والغناء « أحمد يوسف نجاتى »

فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَرْكُوباً وَكَتَبَ مَعَهُ :

بَعَثْتُ إِلَيْكَ جَنَاحًا فَطِرْ
عَلَى خِفْيَةٍ مِنْ عُيُونِ الْبَشَرْ
عَلَى ذُلُلٍ مِنْ نِتَاجِ الْبُرُوق
وَفِي ظُلَلٍ مِنْ نَسِيجِ الشَّجَرْ(١)
فَحَسْبِيَ مِمَّنْ نَأَى مَنْ دَنَا
فَمَنْ غَابَ كَانَ فِدَا مَنْ حَضَرْ

فَوَصَلَ الْقَصَبَةَ(٢) الْمُطِلَّةَ عَلَى الْبَطْحَاءِ(٣) ، الْمُزْرِيَةَ بِمَنَازِلِ الرَّوْحَاءِ(٤) ، فَأَقَامَ مِنْهَا حَيْثُ قَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ

(١) فى الأصل «على فلك» والذلل جمع ذلول الدابة المنقادة ليست بصعبة ــ يريد جوادا كريما سريعا كالبرق ، والظلل جمع ظلة مايستظل به من الشمس ، وماأظلك من شجر ، وشيء كالصفة يستتر به من الحر والبرد (٢) فى الأصل « القبة » والقصبة المدينة ، وقصبة البلاد مدينتها ، والقصبة أيضا القصر أو جوفه (٣) مسيل واسع فيه دقاق الحصى (٤) الروحاء بلدة من رحبة الشام « أى رحبة مالك بن طوق » و بلدة أخرى من أعمال نهر عيسى بن على بن عبدالله بن العباس، وهو كورة واسعة غربى بغداد، وموضع بين الحرمين الشريفين على نحو ٣٦ ميلا من المدينة، وفيه يقول بعض الأعراب :

أفى كل يوم أنت رام بلادها بعينين انسانا هما غرقان

يَصِفُ صَنْعَاءَ(١) :

***

عدى بن زيد يصف صنعاء (والصحيح أنه يزيد بن معاوية)

فِي قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ　　حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا

وَمَضَى لَهُمْ مِنَ السُّرُورِ يَوْمٌ مَامَرَّ لِذِي رُعَيْنٍ(٢) ، وَلَا

اذا اغرورقت عيناى قال صحابتى　　لقد أولعت عيناك بالهملان
ألا فاحملانى بارك الله فيكما　　الى حاضر الروحاء ثم ذرانى

واسمها مأخوذ من الراحة ، ويوم روح أى طيب ، والروح الانبساط والسعة « أحمد يوسف نجاتى » (١) فى الأصل « مصنعا » وصنعاء هنا قرية كانت بالغوطة من دمشق ، وقد خربت وصارت مزرعة و بساتين — ثم المعروف أن هذا البيت ليزيد بن معاوية من أبيات فى الماطرون «موضع بالشام قرب دمشق » منها :

آب هذا الهم فاكتنعا　　وأمر النوم فامتنعا
جالسا للنجم أرقبه　　فاذا ما كوكب طلعا
صار حتى أننى لأرى　　أنه بالغور قد وقعا
ولها بالماطرون اذا　　أكل النمل الذى جمعا
خرفة حتى اذا ارتبعت　　سكنت من جلق بيعا
فى قباب حول دسكرة　　بينها الزيتون قد ينعا

والأبيات يقولها يزيد يتغزل فى نصرانية كانت قد ترهبت فى دير كان عند الماطرون « بستان بظاهر دمشق يسمى المنطور » آب عاد ، واكتنع قرب ودنا ، والدسكرة بناء على هيئة القصر فيه منازل و بيوت للخدم والحشم —وتنسب الأبيات أيضا الى الأخطل — والدسكرة بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى ، معرب : دست كره ودست بمعنى الشىء الذى مع أفراده التامة ، وكره بيت الخان والمدرسة ، ونسبت الأبيات للأحوص ، وزعم بعضهم أنها لأبى دهبل الجحى ، والصحيح أنها ليزيد ابن معاوية كما قدمنا « أحمد يوسف نجاتى » (٢) ذورعين من ملوك

تَصَوَّرَ قَبْلَ عُيُونِهِمْ لِعَيْنٍ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ سَايَرَهُ إِلَى شَنْتَرِينَ[1] قَاصِيَةِ أَرْضِ الْإِسْلَامِ ، السَّامِيَةِ الذُّرَا وَالْأَعْلَامِ ، الَّتِي لَا يَرُوعُهَا صَرْفٌ ، وَلَا يَقْرَعُهَا[2] طَرْفٌ ، لِأَنَّهَا مُتَوَعِّرَةُ الْمَرَاقِي ، مُعَقِّرَةٌ[3] لِلرَّاقِي ، مُتَمَكِّنَةُ الرَّوَاسِي

حمير من ولد الحرث بن عمرو بن حمير ، وقيل فى نسبه غير ذلك ، ورعين حصن له أو جبل فيه حصن ، وهو القائل :

ألا من يشترى سهرا بنوم سعيد من يبيت قرير عين
فأما حمير غدرت وخانت فمعذرة الاله لذى رعين

وكان من أقيال حمير العقلاء ذوى السداد وأصالة الرأى « أحمد يوسف نجاتى »

(١) شنترين مدينة كانت مضافة الى أعمال قاعدة أشبونة ، وكانت قديما من جليقية شمالى الأندلس ، ثم استقرت من أعمال أشبونة التى كانت مضافة الى بطليوس حين كان مالكها ابن الأفطس — وقد تضاف الى أعمال باجة فى غرب الأندلس — وشنترين غربى قرطبة على نهر تاجه قرب انصبابه فى البحر المحيط « بحر برطانية وهو بحر برديل « بوردو » الخارج من البحر المحيط » وأرضها طيبة ، وكانت منيعة ذات حصانة ، واستولى الفرنج عليها فى سنة ٥٤٣ « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) فرعه علاه ، يريد أن الطرف لا يسمو اليها لعلوها الشاهق (٣) فى الأصل « معفرة » وفى نسخة أخرى « مغفرة » وفى القلائد « معثرة » من عثر اذا كبا وسقط ، يعنى أنها تجعل من يحاول أن يرقى عليها كثير التعثر لصعوبتها ووعورتها وكثرة عقباتها ، ولعل « معفرة » من عفر الرجل « كفرح » اذا لم تطاوعه رجلاه فى الشد ، وعقر البعير تعقيرا

وَٱلْقَوَاعِدِ ، عَلَى صَفْقَةِ نَهْرٍ ٱسْتَدَارَ بِهَا ٱسْتِدَارَةَ ٱلْقُلْبِ(١) بِالسَّاعِدِ ، قَدْ أَطَلَّتْ عَلَى خَمَائِلِهَا إِطْلَالَ ٱلْعَرُوسِ مِنْ مَنَصَّتِهَا(٢) وَٱقْتَطَعَتْ مِنَ ٱلْجَوِّ أَكْثَرَ مِنْ حِصَّتِهَا ، فَمَرُّوا بِأَنْفَسِ(٣) قُطْرٍ سَالَتْ بِهِ جَدَاوِلُهُ ، وَٱخْتَالَتْ فِيهِ خَمَائِلُهُ فَمَا يَجُولُ ٱلطَّرْفُ مِنْهُ إِلَّا فِي حَدِيقَةٍ ، أَوْ بُقْعَةٍ أَنِيقَةٍ ،

اذا قطع قوائمه ، والعقر الجرح (١) القلب: السوار (٢) المنصة ماترفع عليه العروس لتجلى كسريرها وكرسيها ، ونص العروس أجلسها على المنصة (٣) كذا بالأصل، وفى القلائد « بألبش » وألبش من الثغور الجوفية مدينة كانت من أعمال بطليوس من غرب الأندلس « ومملكة بطليوس فى الشمال والغرب من مملكة قرطبة ، وفى الغرب بميلة الى الجنوب عن مملكة طليطلة فى بسيط من الأرض مخضر على جانب نهر ، وقد عرفت أنها كانت بيد المتوكل على الله عمر بن الأفطس » ومن أهل ألبش أبو الحسن عبيد الله بن خليفة المعروف بابن الموصلى نسبة الى موصل قرية بأشبونة ــ كان من أهل العلم والنباهة، وولى قضاء اشبيلية فى الدولة اللمتونية بعد أبى بكر بن العربى استقدم لذلك من بلده بالثغر ،وتوفى بها مصروفا عن عمله سنة ٥٦٠ ودفن هنالك . ومن ألبش أيضا أبو محمد عبد الله بن نتنان « أو منتان »النحوى ،سكن اشبيلية وقرطبة وأقرأ بهما ، وكان عالما بالعربية والآداب حافظا لكثير من كلام العرب ذاكرا لكتابى الكامل للمبرد والأمالى للقالى، وكان له حظ من قرض الشعر ،وعلم بقرطبة سنة ٥٩٨ وتوفى حوالى سنة ٦٠٠ﻫ ولم أعثر على ألبش هذه بمعجم ياقوت « أحمد يوسف نجاتى»

فتلقَّاهُمْ ابْنُ مُقَانَا(١) قَاضِي حَضْرَتِهِ(٢) وَأَنْزَلَهُمْ عِنْدَهُ، وَأَوْرَى لَهُمْ بِالْمَبَرَّةِ زَنْدَهُ، وَقَدَّمَ لَهُمْ طَعَامًا، وَاعْتَقَدَ قَبُولَهُ مَنًّا وَإِنْعَامًا، وَعِنْدَمَا طَعِمُوا قَعَدَ الْقَاضِي بِبَابِ الْمَجْلِسِ رَقِيبًا لَا يَبْرَحُ، وَعَيْنُ الْمُتَوَكِّلِ حَيَاءً مِنْهُ لَا تَجُولُ وَلَا تَمْرَحُ فَخَرَجَ أَبُو مُحَمَّدٍ(٣) وَقَدْ أَبْرَمَهُ الْقَاضِي بِتَثْقِيلِهِ، وَحَرَمَهُ رَاحَةَ رَوَاحِهِ وَمَقِيلِهِ، فَلَقِيَ ابْنَ خَيْرُونَ(٤) مُنْتَظِرًا لَهُ، وَقَدْ أَعَدَّ لِحُلُولِهِ مَنْزِلَهُ، فَسَارَ إِلَى مَجْلِسٍ قَدِ ابْتَسَمَتْ ثُغُورُ نُوَّارِهِ، وَخَجِلَتْ خُدُودُ وَرْدِهِ مِنْ زُوَّارِهِ، وَأَبْدَتْ صُدُورُ أَبَارِيقِهِ أَسْرَارَهَا، وَضَمَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَاسِنُ أَزْرَارَهَا،

---

(١) تقدم ذكر أبي زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني البطليوسي، وكان مع فقهه شاعرا أديبا مشهورا، وفي بعض المراجع «ابن مقاناة». «أحمد يوسف نجاتي» (٢) كذا بالأصل، والذي في القلائد «قاضي رندة» وقد تقدم ذكر مدينة رندة، وكانت من كور اشبيلية من مملكة المعتمد بن عباد، وهي أيضا غربي مملكة قرطبة (٣) الأديب ابن عبدون، وأبرمه أضجره (٤) هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعي أصله من مدينة أندة وسكن مربيطر «من أعمال بلنسية» كان راوية فقيها حافظا أديبا، وتوفي سنة ٥١٠، وأبو عمر يوسف بن عبد الله بن خيرون الأديب النحوي توفي بحو سنة ٤٧٠، وسيأتي ذكر لابن خيرون بعد ذلك فنعين أيهما المراد هنا من هذين. «أحمد يوسف نجاتي».

وَلَمَّا حضَرَ لَهُ وَقتُ الْأُنْسِ وَحِينُهُ ، وَأَرِجَتْ لَهُ رَيَاحِينُه ، وَجَّهَ مَنْ يَرْقُبُ الْمُتَوَكِّلَ حَتَّى يقُومَ جَلِيسُهُ ، وَيَزُولَ مُوحِشُهُ لَا أَنِيسُهُ ، فَأَقَامَ رَسُولُهُ وَهُوَ بِمَكَانِهِ لَا يَرِيمُهُ(١) قَدْ لَازَمَهُ كَأَنَّهُ غَرِيمُهُ ، فَمَا انْفَصَلَ ، حَتَّى ظَنَّ أَنَّ عَارِضَ اللَّيْلِ قَدْ نَصَلَ(٢) ، فَلَمَّا عَلِمَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِانْفِصَالِهِ بَعَثَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ قَطِيعَ رَاحٍ وَطَبَقَ وَرْدٍ وَكَتَبَ مَعَهُمَا :

إِلَيْكَهَا فَاجْتَلِهَا مُنِيرَةً
وَقَدْ خَبَا(٣) حَتَّى الشِّهَابُ الثَّاقِبُ

وَاقِفَةً بِالْبَابِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهَا
إِلَّا وَقَدْ كَادَ يَنَامُ الْحَاجِبُ

فَبَعْضُهَا مِنَ الْمَخَافِ جَامِدٌ
وَبَعْضُهَا مِنَ الْحَيَاءِ ذَائِبُ

(١) أى لايبرحه ولا يفارقه ، وأكثر مايستعمل فى النفى ، قال الأعشى

أبانا فلا رمت من عندنا
فانا بخير اذا لم ترم

(٢) أى زال سواده ، ونصل الشعر «كقعد» زال عنه الخضاب ، ونصلت اللحية خرجت من الخضاب وزال عنها لونه (٣) فى الأصل « دجا » وفى القلائد « خبا » وخبت النار اذا سكنت وطفئت وخمد لهيبها ــ يريد قد هدأ العالم وسكنت الطبيعة ، ودجا الليل اذا أظلم ، وسكن ، والدجا سواد الليل مع غيم وألا ترى نجما ولا قمرا . « أحمد يوسف نجاتى »

فَقَبِلَهَا مِنْهُ ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى وَعَفَا عَنْهُ ـ وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

قَدْ وَصَلَتْ تِلْكَ ٱلَّتِي زَفَفْتَهَا
بِكْرًا وَقَدْ شَابَتْ لَهَا ذَوَائِبُ
فَهُبَّ حَتَّى نَسْتَرِدَّ ذَاهِبًا
مِنْ أُنْسِنَا إِنِ ٱسْتُرِدَّ ذَاهِبُ

فَرَكِبَ إِلَيْهِ ، وَنَقَلَ مَعَهُ مَا كَانَ بِالْمَجْلِسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَبَاتَا لَيْلَتَهُمَا لَا يَرِيعَانِ ٱلسَّهَرَ ، وَلَا يَشِيمَانِ بَرْقًا إِلَّا ٱلْكَاسَ وَٱلزَّهَرَ

***

وصف روض « ثُمَّ قَالَ » بَعْدَ كَلَامٍ : وَأَخْبَرَنِي ٱلْوَزِيرُ ٱلْفَقِيهُ أَبُو أَيُّوبَ(١) بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ مَرَّ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ بِرَوْضٍ

(١) ذكره الفتح بن خاقان فى كتابه « مطمح الأنفس » وأثنى عليه ، قال : واحد الأندلس الذى طوقها فخارا ، وطبقها بأوانه افتخارا ، .. ثم قال : ودعى للقضاء فما رضى ، وعفى عنه فكأنه استقضى ووصفه بالأدب والوقار والمجد وكرم السجايا وحسن الشمائل ، وأتى بشىء من نثره وشعره . قلت أما أبوه أبو أمية فهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم ابن عبد الله بن عصام قاضى قضاة الشرق فى عصره ، كان قاضيا بمدينة مرسية ثم فى دولة الملثمين صرفه عنها على بن يوسف بن تاشفين وولى مكانه

مُفْتَرِّ(١) الْمَبَاسِمِ ، مُعَطِّرِ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ(٢) قَدْ صَقَلَ الرَّبِيعُ حَوْذَانَهُ(٣) ، وَأَنْطَقَ بُلْبُلَهُ وَوَرَشَانَهُ(٤) ، وَأَلْحَفَ غُصُونَهُ بُرُودًا مُخْضَرَّةً ، وَجَعَلَ إِشْرَاقَهُ لِلشَّمْسِ ضَرَّةً ، وَأَزَاهِيرُهُ تَتِيهُ عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَتَخْتَالُ فِي خِلَعِ الْغَمَامِ السَّوَاكِبِ ، فَارْتَاحَ إِلَى الْكَوْنِ بِهِ بَقِيَّةَ نَهَارِهِ ، وَالتَّنَعُّمِ بِبَنَفْسَجِهِ وَبَهَارِهِ(٥) ، فَلَمَّا حَصَلَ مِنْ أُنْسِهِ فِي وَسَطِ الْمَدَى ، عَمَدَ إِلَى وَرَقَةِ كُرُنْبٍ قَدْ بَلَّلَهَا النَّدَى ، وَكَتَبَ فِيهَا

القاضي الامام أبا على ابن سكرة الصدفى السرقسطى المعروف بابن الدراج ، وكان أبو أمية فقيها أديبا شاعرا ، من أهل بيت جلالة ووزارة ، بليغا متصرفا فى فنون القول مهيبا وقورا ، يأخذ عليه بعض منافسيه شيئا من الزهو وحب العظمة والاعجاب بالنفس ، ولكنه كان ذا علاء وحدة ذكاء ، وقوة مضاء ، استوفى شرط الرياسة ، وعرف بأصالة الرأى وحسن السياسة ، وله شعر جيد ونثر حسن ، وتوفى سنة ٥١٦ وكان ابنه عبد الرحمن بن أبى أمية بن عصام فقيها محدثا أديبا «أحمد يوسف نجاتى»

(١) افتر ضاحكا اذا أبدى أسنانه ، وافتر ثغره اذا تبسم وضحك ضحكا حسنا (٢) جمع ناسمة من نسمت الريح اذا هبت بلطف وكانت ذات نفس ضعيف كالنسيم (٣) الحوذان بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر ذو رائحة ذكية (٤) الورشان طائر مغرد شبه الحمام ، ويسمى ساق حر . أو هو نوع من القمارى (٥) البهار نبت طيب الريح أو هو العرار له زهرة صفراء تنبت أيام الربيع . «أحمد يوسف نجاتى»

بِطَرَفِ غُصْنٍ يَسْتَدْعِي ٱلْوَزِيرَ أَبَا طَالِبِ بْنَ غَانِمٍ أَحَدَ نُدَمَائِهِ ، وَنُجُومِ سَمَائِهِ :

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَقَعْ وُقُوعَ ٱلنَّدَى عَلَيْنَا

فَنَحْنُ عِقْدٌ بِغَيْرِ وُسْطَى[1]

مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدَيْنَا

***

ترجمة المعتصم ابن صمادح

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ٱلْمُعْتَصِمِ بْنِ صُمَادِحَ[2] مَا صُورَتُهُ » :

وَأَخْبَرَنِي ٱلْوَزِيرُ أَبُو خَالِدِ بْنُ بَشْتَغِيرٍ[3] أَنَّهُ حَضَرَ مَجْلِسَهُ

(١) وسطى العقد أكرم جواهره وأنفس حباته ، و به يتم انتساقه، ويحسن نظامه، ويجمل شكله، ويكمل التئامه (٢) هو أبو يحيى محمد بن معن بن محمد بن أحمد بن صمادح التجيبي صاحب المرية، قام بالأمر فيها سنة ٤٤٤ بعد وفاة أبيه معن بن صمادح « وكان قائد عبد العزيز بن أبي عامر » ولم يزل المعتصم أميرا بها حتى توفى سنة ٤٨٤ فوليه ابنه أحمد وبقي حتى خلعه يوسف بن تاشفين . وقد سبقت كلمتنا في بني صمادح وولايتهم فارجع اليها . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) في الأصل « بشتغين » وهو تصحيف وابن بشتغير Ibn Baxtagair وهو لقب من كلمة لاتينية Bastagarius معناها من يوكل اليه نقل أمتعة الدولة أو الكنيسة في أيام الاحتفالات العامة وكانت وظيفة ذات شرف ، والقائم بها أمين ثقة ، و بنو بشتغير كانوا من ذوى البيوتات النبيهة بالأندلس وممن ولوا الأعمال العظيمة والولايات الرفيعة بها ، ولهم أثر في العلوم والمعارف والآداب ، وليس هذا موضع بسط القول في هذه الأسرة الراقية ، فسيكون لهم مكان متسع من كتابنا الجامع في الأدب ، وهم ينسبون الى لخم، وموطنهم مدينة لورقة — ومنهم أبو قاسم

بِالصُّمَادِحِيَّةِ فِي يَوْمِ غَيْمٍ وَفِيهِ أَعْيَانُ الْوُزَرَاءِ ، وَنُبَهَاءُ الشُّعَرَاءِ ، فَقَعَدَ عَلَى مَوْضِعٍ يَتَدَاخَلُ الْمَاءُ فِيهِ ، وَيَلْتَوِي فِي نَوَاحِيهِ ، وَالْمُعْتَصِمُ مُنْشَرِحُ النَّفْسِ ، مُجْتَمِعُ الْأُنْسِ ، فَقَالَ :

أُنْظُرْ إِلَى حُسْنِ هَذَا الْمَاءِ فِي صَبَبِهْ(١)
كَأَنَّهُ أَرْقَمٌ قَدْ جَدَّ فِي هَرَبِهْ

فَاسْتَبْدَعُوهُ ، وَتَيَّمُوهُ بِهِ وَأَوْلَعُوهُ ، فَأَسْكَبَ عَلَيْهِمْ شَآبِيبَ(٢) نَدَاهُ ، وَأَغْرَبَ(٣) بِمَا أَظْهَرَهُ مِنْ بِشْرِهِ وَأَبْدَاهُ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : وَخَرَجَ إِلَى بَرْجَةَ(٤) وَدَلَايَةَ وَهُمَا

عباس بن أحمد بن بشتغير اللخمى الباجى توفى حوالى سنة ٤٥٠ — ومنهم أبو جعفر أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير كان محدثا ثقة واسع الرواية وفقيها أديبا توفى سنة ٥١٦ ، وأبو عامر يحيى بن سعيد وكان يسكن مرسية وكان من أهل الفضل والرواية ، ولأبى عبد الله بن أبى الخصال الكاتب المشهور « وقد تقدم ذكره » اليه رسالة بليغة يخاطبه بها « تدل على عظم قدره ورفعة شأنه ، وابنه أبو عامر سعيد بن يحيى ، وأبو جعفر أحمد بن يحيى كانا من ذوى العلم والأدب ، وكانوا غرة فى جبين القرن السادس . « أحمد يوسف نجاتى » (١) انحداره ، والصبب تصوب نهر أو طريق يكون فى حدور ، وما انحدر من الأرض ، والأرقم الحية مرقومة ذات خطوط (٢) جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر ، وأسكبه : صبه منهمرا (٣) بالغ (٤) تقدم وصف مدينة برجة ، ودلاية بلد قريب من المرية من

نَظَرَانِ[1] لَمْ يَجُلْ فِي مِثْلِهِمَا نَاظِرٌ ، وَلَمْ تَدَّعِ حُسْنَهُمَا الْخُدُودُ النَّوَاضِرُ ، غُصُونٌ تُثَنِّيهَا الرِّيَاحُ ، وَمِيَاهٌ لَهَا انْسِيَاحٌ ، وَحَدَائِقُ تُهْدِي الْأَرَجَ وَالْعَرْفَ ، وَمَنَازِهُ تُبْهِجُ النَّفْسَ وَتُمَتِّعُ الطَّرْفَ ، فَأَقَامَ فِيهَا أَيَّامًا يَتَدَرَّجُ فِي مَسَارِحِهَا ، وَيَتَصَرَّفُ فِي مَنَازِهِهَا وَمَسَايِحِهَا ، وَكَانَتْ نُزْهَةً أَرْبَتْ عَلَى نُزْهَةِ هِشَامٍ بِدَيْرِ[2] الرُّصَافَةِ ، وَأَنَافَتْ[3] عَلَيْهَا أَيَّ إِنَافَةٍ .

***

ترجمة ابن رزين « وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ابْنِ رَزِينٍ[4] مَا مُلَخَّصُهُ » : أَخْبَرَنِي

سواحل بحر الأندلس (١) عملان أو بلدان ، وفى الأصل « منظران » والمناظر أشراف الأرض لأنه ينظر منها ، والنظر : الحكم بين القوم ، وقد يطلق النظر على المدينة أو الولاية التى يتولى فيها الحاكم الحكم .

(٢) هو فى رصافة هشام بن عبد الملك بن مروان التى بينها و بين الرقة مرحلة ، وكان من عجائب الدنيا حسنا وعمارة ، وعنده بنى هشام مدينته وفيه يقول أبو نواس :

ليس كالدير بالرصافة دير فيه ماتشتهى النفوس وتهوى
بتّه ليلة فقضيت أوطا را ويوما ملأت قطريه لهوا

وكان لبنى أمية فى هذه الأنحاء أيام سرور ، ومجالس أنس وحبور ، وكانت خلافة هشام سنة ٩٦ وتوفى سنة ١٢٥ وجدد الرصافة وسكنها ، وكان يجد فيها راحة وأنسا . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) أناف : أشرف وزاد

(٤) تقدم التعريف بالحاجب ذى الرياستين أبى مروان عبد الملك بن رزين

الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرٍ[١] أَنَّهُ اُصْطَبَحَ يَوْمًا وَالْجَوُّ سِماكِيُّ[٢] الْعَوَارِفِ ، لَا زَوَرْدِيُّ الْمَطَارِفِ[٣] ، وَالرَّوْضُ أَنِيقَةٌ لَبَّاتُهُ[٤] ، رَقِيقَةٌ[٥] هَبَّاتُهُ ، وَالنَّوْرُ مُبْتَلٌّ ، وَالنَّسِيمُ مُعْتَلٌّ ، وَمَعَهُ قَوْمُهُ ، وَقَدْ رَاقَهُمْ يَوْمُهُ ، وَصِلَاتُهُ تُصَافِحُ مُعْتَفِيهِمْ[٦] ، وَمَبَرَّاتُهُ تُشَافِهُ مُوَافِيهِمْ ، وَالرَّاحُ تُشَعْشَعُ[٧] ، وَمَاءُ الْأَمَانِيِّ يُنْشَعُ ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ وَهُوَ ضَيْفُهُ :

---

(١) فى القلائد : أبو عامر بن سنون (٢) كذا بالأصل والقلائد ، وفى بعض المراجع « مسكى » فالسماكى نسبة الى السماك الكوكب المعروف « وسبق القول فى السماكين » وكأنه يريد أن الجو فى أخريات الربيع فان العرب يقول ساجعها : اذا طلع السماك ، ذهب العكاك ، وقل على الماء اللكاك، فأصلح قناك ، وأجد حذاك ، فأن الشتاء قد أتاك . والعكاك شدة الحر مع سكون الريح ، واللكاك شدة الزحام . والسماك من الكواكب التى كانت العرب تنسب اليها الأنواء والمطر والسحب كما قيل :

فليت سماكيا يطير ربابه   يقاد الى أهل الغضا بزمام

والعوارف جمع عارفة أى معروف، يريد بها الغيث على رواية سماكى ، أو ذكاء الرائحة والعرف على رواية مسكى (٣) يريد صفاء السماء وزرقة أديمها (٤) أصل اللبة موضع القلادة من النحر ، وكأنه يريد بها الشجر وعقودها الأزهار والأنوار (٥) وفى نسخة « عبقة » أى ذات رائحة ذكية ثابتة أرجة (٦) المعتفى والعافى: الضيف وكل طالب فضل أو رزق (٧) تمزج . « أحمد يوسف نجاتى »

ضَمَانٌ عَلَى ٱلْأَيَّامِ أَنْ أَبْلُغَ ٱلْمُنَى
إِذَا كُنْتَ فِي وُدِّي مُسِرًّا وَمُعْلِنَا
فَلَوْ تَسْأَلُ ٱلْأَيَّامُ مَنْ هُوَ مُفْرَدٌ
بِوُدِّ ٱبْنِ عَمَّـارٍ لَقُلْتُ لَهَا أَنَا
فَإِنْ حَالَتِ ٱلْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَـهُ
فَـكَيْفَ يَطِيبُ ٱلْعَيْشُ أَوْ يَحْصُلُ ٱلْمُنَى(١)؟!

فَلَمَّا وَصَلَتِ ٱلرُّقْعَةُ إِلَيْهِ تَأَخَّرَ عَنِ ٱلْوُصُـولِ ، وَٱعْتَذَرَ بِعُذْرٍ مُخْتَلِّ ٱلْمَعَانِي وَٱلْفُصُولِ ، فَقَالَ أَحَدُ ٱلْحَاضِرِينَ: إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ قُعُودِ ٱبْنِ عَمَّارٍ ، عَنْ هَذَا ٱلْمِضْمَارِ(٢) ، مَعَ مَيْلِهِ إِلَى ٱلسَّمَاعِ ، وَكَلَفِهِ بِمِثْلِ هَذَا ٱلِاجْتِمَاعِ ! فَقَالَ ذُو ٱلرِّيَاسَتَيْنِ : إِنَّ ٱلْجَوَابَ تَعَذَّرَ ، فَلِذَلِكَ ٱعْتَذَرَ ، لِأَنَّهُ يُعَانِي قَوْلَهُ وَيُعَلِّلُهُ ، وَيُرَوِّيهِ وَلَا يَرْتَجِلُهُ ، وَيَقُولُهُ فِي ٱلْمُدَّةِ، وَٱلسَّاعَاتِ ٱلْمُمْتَدَّةِ ، فَرَأَى أَنَّ ٱلْوُصُولَ بِلَا جَوَابٍ إِخْجَالٌ لِأَدَبِهِ ، وَإِخْلَالٌ بِمَنَازِلِهِ فِي ٱلشِّعْرِ وَرُتَبِهِ . فَلَمَّا

(١) وفي رواية « أو يحسن الغنى » و « يحسن الغنا مخفف » « غناء » أى يطيب السماع ويلذ (٢) فى القلائد « انى لأعجب من ابن عمار ،

كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ وَرَدَ ٱبْنُ عَمَّارٍ وَمَعَهُ ٱلْجَوَابُ ، وَهُوَ :

هَصَرْتَ لِيَ ٱلآمَالَ طَيِّبَةَ ٱلْجَنَى
وَسَوَّغْتَنِي ٱلْأَحْوَالَ مُقْبِلَةَ ٱلدُّنَى (١)

وَأَلْبَسْتَنِي ٱلنُّعْمَى أَغَضَّ (٢) مِنَ ٱلنَّدَى
وَأَجْمَلَ مِنْ وَشْيِ ٱلرَّبِيعِ وَأَحْسَنَا (٣)

وَكَمْ لَيْلَةٍ أَحْظَيْتَنِي بِحُضُورِهَا
فَبِتُّ سَمِيرًا لِلسَّنَاءِ وَلِلسَّنَى (٤)

أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
وَأُذْنِي وَكَفِّي بِالْغِنَاءِ وَبِالْغِنَى (٥)

سَأَقْرِنُ بِالتَّمْوِيلِ ذِكْرَكَ كُلَّمَا
تَعَاوَرَتِ (٦) ٱلْأَسْمَاءُ غَيْرَكَ وَٱلْكُنَى

وكيف قعد عن هذا المضمار » (١) ويروى : وسوغتنى الأيام مقبلة المنى — وهصر الغصن اذا جذبه اليه وأماله، أو كسره من غير أن يبين. والغرض أنه مكنه من آماله ، وجعله يتصرف فيها كما يشاء ، ويجنى ثمراتها كيف أراد ، وسوغه الشيء أباحه له وجعله سائغا هنيئا ، والدنا جمع الدنيا (٢) الغض الطرى الرطب الندى والناضر البهى (٣) ويروى « وشى الرياض » (٤) السناء الشرف والرفعة ، والسنى النور والضياء (٥) فى عجز البيت لف ونشر مرتب وهو ظاهر . (٦) تداولت وتناوبت

لَأَوْسَعْتَنِي قَوْلًا وَطَوْلًا(١) كِلَاهُمَا
يُطَوِّقُ أَعْنَاقًا وَيُخْرِسُ أَلْسُنَا
وَشَرَّفْتَنِي مِنْ قِطْعَةِ الرَّوْضِ بِالَّتِي
تَنَاثَرَ فِيهَا الطَّبْعُ وَرْدًا وَسَوْسَنَا(٢)
تَرُوقُ بِجِيدِ الْمُلْكِ عِقْدًا مُرَصَّعًا
وَتَزْهُو عَلَى عِطْفَيْهِ بُرْدًا مُزَيَّنَا(٣)
فَدُمْ هَكَذَا يَافَارِسَ الدَّسْتِ وَالْوَغَى
لِتَطْعَنَ طَوْرًا بِالْكَلَامِ وَبِالْقَنَا(٤)

وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ سَعْدُونَ » : أَنَّهُ اصْطَبَحَ يَوْمًا بِحَضْرَتِهِ وَلِلرَّذَاذِ رَشٌّ ، وَلِلرَّبِيعِ عَلَى

(١) فضلا ونعمة (٢) يريد بقطعة الروض الأبيات الثلاثة الشعرية التى كتب الممدوح بها اليه ، ورشح المجاز بذكر الورد والسوسن ، ووصفها بأنها بريئة من التكلف ، يترقرق فيها ماء الطبع ، فتروق النفس وتشنف السمع (٣) فى القلائد « وشيا معينا » (٤) ويروى عجز البيت « لتطعن بالأقلام فيها وبالقنا » يريد بالدست هنا الرياسة والديوان « وتقدم بسط الكلام فى الدست » ومعانيه وتصرف المولدين فيه ، ففى عجز البيت لف ونشر مرتب ، فالطعن بالكلام أو الأقلام راجع الى الدست ، والطعن بالقنا عائد الى الوغى أى الحرب «أحمد يوسف نجاتى»

وَجْهِ الْأَرْضِ فَرْشٌ ، وَقَدْ صَقَلَ الْغَمَامُ الْأَزْهَارَ حَتَّى أَذْهَبَ غَشَهَا(١) ، وَسَقَاهَا فَأَرْوَى عَطَشَهَا ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

فَدَيْنَاكَ لَا يَسْطِيعُكَ النَّظْمُ وَالنَّثْرُ
فَأَنْتَ مَلِيكُ الْأَرْضِ وَانْفَصَلَ(٢) الْأَمْرُ
مَرَيْنَا نَدَاكَ الْغَمْرَ فَانْهَلَّ صَيِّباً
كَمَا سَكَبَتْ وَطْفَاءُ أَوْ سَكَبَ الْبَحْرُ(٣)
وَجَاءَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَنْدَى غَضَارَةً
فَحَيَّتْكَ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالرَّوْضُ وَالنَّهْرُ(٤)

(١) الغش فى الأصل نقط بيض وسود ، أو بقع تقع فى الجلد تخالف لونه (٢) أى قضى وانتهى ، وفى الأصل « واتصل » (٣) مرى الناقة وغيرها اذا مسح ضرعها لتدر « يريد طلبنا وتعرضنا له بالمدائح والطلب ، وسحابة وطفاء مسترخية الجوانب لكثرة مائها ، وفى القلائد « كما ثبتت وطفاء أو فتق الزهر » (٤) هو من قول البحترى — وهو من أجود ماقيل فى الربيع — :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز فى غلس الدجا أوائل وردكن بالأمس نوما
يفتقها برد الندى فكأنه يبث حديثا كان قبل مكتما
ورق نسيم الريح حتى كأنه يجىء بأنفاس الأحبة نعما

والغضارة : الحسن والبهجة والخصب والخير والنعمة والسعة فى العيش ،

إِلَى أَنْ قَالَ : ثُمَّ وَجَّهَ فِيهِ إِلَى رَوْضَةٍ قَدْ أَرِجَتْ نَفَحَاتُهَا ، وَتَدَبَّجَتْ(١) سَاحَاتُهَا ، وَتَفَتَّحَتْ كِمَائِمُهَا ، وَأَفْصَحَتْ حَمَائِمُهَا ، وَتَجَرَّدَتْ جَدَاوِلُهَا كَالْبَوَاتِرِ(٢) ، وَرَمَقَتْ أَزَاهِرُهَا كَالْعُيُونِ الْفَوَاتِرِ(٣) ، وَأَقَامُوا يُعْمِلُونَ أَكْوَاسَهُمْ ، وَيَشْتَمِلُونَ(٤) إِينَاسَهُمْ ، فَقَالَ ذُو الرِّيَاسَتَيْنِ :

***

وصف روضة

وَرَوْضٍ كَسَاهُ الطَّلُّ وَشْياً مُجَدَّدَا
فَأَضْحَى مُقِيماً لِلنُّفُوسِ وَمُقْعِدَا(٥)
إِذَا صَافَحَتْهُ الرِّيحُ خِلْتَ غُصُونَهُ
رَوَاقِصَ فِي خُضْرٍ مِنَ الْقُضْبِ مُيَّدَا(٦)

وعجز البيت فى القلائد « فحيتك منه الشمس والأنجم الزهر » « أحمد يوسف نجاتى » (١) نقشت وازدانت بألوان الزهر
(٢) جرد السيف اذا نضاه واستله من غمده ، والباتر السيف القاطع الماضى
(٣) طرف فاتر ذو فتور أى ضعف مستحسن وانكسار نظر من غير آفة ، بل قد يكون من تيه أودلال ، ويروى « بعيون فواتر » (٤) أى يشتملون به كالثوب والغرض أن الأنس قد تمكن منهم واستولى عليهم ، وفى القلائد « يشملون » أى يجعلونه عاما يشمل المجلس (٥) فى نسخة « فأضحى مقيما للعيون .. » يعنى أنها لاتفتأ تردد الطرف فيه ولا تكاد تنقضى عجائبها منه وقرتها من حسنه (٦) ميدا جمع مائد من ماد يميد اذا تثنى وتمايل ، وفى القلائد « العصب » بدل القضب . وأصل العصب ضرب من البرود اليمنية يعصب

إِذَا مَا انْسِكَابُ الْمَاءِ عَايَنْتَ خِلْتَهُ
وَقَدْ كَسَّرَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ مِبْرَدَا(١)

وَإِنْ سَكَنَتْ عَنْهُ حَسِبْتَ صَفَاءَهُ
حُسَامًا صَقِيلًا صَافِيَ الْمَتْنِ جُرِّدَا

وَغَنَّتْ بِهِ وُرْقُ الْحَمَائِمِ بَيْنَنَا(٢)
غِنَاءً يُنَسِّيكَ الْغَرِيضَ وَمَعْبَدَا

فَلَا تَجْفُوَنَّ الدَّهْرَ مَا دَامَ مُسْعِدًا
وَمُدَّ إِلَى مَا قَدْ حَبَاكَ بِهِ يَدَا

وَخُذْهَا مُدَامًا مِنْ غَزَالٍ كَأَنَّهُ
إِذَا مَا سَقَى بَدْرٌ تَحَمَّلَ فَرْقَدَا

إِلَى أَنْ قَالَ : وَأَخْبَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو عَامِرِ ابْنُ سَنُونَ

غزله أى يجمع و يشد ثم يحاك و يصبغ فيأتى موشيا بديعا يروق منظره ، وأراد بها هنا ماعلى الأرض من نبات موشى بألوان الزهر مما دبجه الربيع « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » ورواية القلائد أظهر وأحسن من رواية النفح « أحمد يوسف نجاتى » (١) يشبه مايعلو سطح الماء اذا جرى فوقه النسيم من الطرائق والتجاعيد والحبك (٢) فى نسخة « حولنا » وتقدم التعريف بالغريض ومعبد المغنيين «أحمد يوسف نجاتى»

أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ فِي مُنْيَةِ ٱلْعُيُونِ ، فِي يَوْمٍ مُطَرَّزِ ٱلْأَدِيمِ ، وَمَجْلِسٍ مُعَزَّزِ ٱلنَّدِيمِ ، وَٱلْأُنْسُ يُغَازِلُهُمْ مِنْ كُلِّ ثَنِيَّةٍ وَيُوَاصِلُهُمْ بِكُلِّ أُمْنِيَّةٍ ، فَسَكِرَ أَحَدُ ٱلْحَاضِرِينَ سُكْرًا مَثَّلَ لَهُ مَيْدَانَ ٱلْحَرْبِ ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ مُسْتَوْعِرَ ٱلطَّعْنِ وَٱلضَّرْبِ ، فَقَلَبَ مَجْلِسَ ٱلْأُنْسِ حَرْبًا وَقِتَالًا ، وَطَلَبَ ٱلطَّعْنَ وَحْدَهُ وَٱلنِّزَالَا[1] ، فَقَالَ ذُو ٱلرِّيَاسَتَيْنِ :

نَفْسُ ٱلذَّلِيلِ تَعِزُّ بِالْجِرْيَالِ[2] فَيُقَاتِلُ ٱلْأَقْرَانَ دُونَ قِتَالِ
كَمْ مِنْ جَبَانٍ ذِي ٱفْتِخَارٍ بَاطِلٍ
بِالرَّاحِ تَحْسَبُهُ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ
كَبْشُ ٱلنَّدِيِّ تَخَمُّطًا وَعَرَامَةً
وَإِذَا تُشَبُّ ٱلْحَرْبُ شَاةُ نِزَالِ[3]

---

(١) هو من قول أبي الطيب :

وإذا ماخلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

وفى معناه قول الشاعر :

يقول جبان القوم فى حال سكره وقد شرب الصهباء : هل من مبارز ؟
وأين الخيول الأعوجيات فى الوغى أطاعن منها كل قرم مناجز ؟
ففى السكر قيس وابن معدى وعامر وفى الصحو تلقاه كبعض العجائز

(٢) الخمر (٣) كبش القوم : قائدهم وحاميهم ، وسيدهم ، ورئيسهم . والندى



« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ٱبْنِ طَاهِرٍ[1] مَا صُورَتُهُ » وَجِئْتُهُ يَوْمًا وَقَدْ وَقَفْتُ[2] بِبَابِ ٱلْحَنَشِ فَقَالَ لِي: مِنْ أَيْنَ؟ فَأَعْلَمْتُهُ، وَوَصَفْتُ لَهُ مَا عَايَنْتُهُ مِنْ حُسْنِهِ وَتَأَمَّلْتُهُ، فَقَالَ لِي: كُنْتُ أَخْرُجُ إِلَيْهِ فِي أَكْثَرِ ٱللَّيَالِي مَعَ ٱلْوَزِيرِ ٱلْأَجَلِّ أَبِي بَكْرٍ - يَعْنِي ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ[3] - إِلَى رَوْضَتِهِ ٱلَّتِي وَدَّتِ ٱلشَّمْسُ

ترجمة ابن طاهر

المجلس، وتخمط الرجل اذا تغضب وتكبر، وثار وأجلب، شبه بهدير الفحل، والتخمط الأخذ والقهر بغلبة، وقال الكميت:

وقد كان زينا للعشيرة مدرها اذا ماتسامت للتخمط صيدها

« الصيد جمع أصيد وهو ذو الكبر المعجب بنفسه، والملك المدل بقوته » وعرم الرجل « كضرب ونصر وكرم وعلم » عرامة وعراما اذا كان ذا شراسة وقوة وشدة وأذى، قال وعلة الجرمي:

ألم تعلموا أنى تخاف عرامتي وأن قناتي لاتلين على الكسر

(١) هو الرئيس الجليل محمد بن أحمد بن اسحق بن طاهر أديب بليغ وكاتب قدير، من بيت فضل ورياسة، ومعدن أدب ونباهة، تقلبت به الأيام من رفعة الى خفض، ومن ولاية الى عزل، حتى أقام بمرسية زمانا فلما شبت بها نار الفتنة وقع فى قبضة الأسر، ثم خلص منه خلوص السيف من غمده، فلجأ الى شاطبة فسكنها حينا حتى خمدت ثورة اشبيلية فعاد اليها عودالحلى الى العاطل، حتى توفى بها سنة ٥٠٧ عن نحو تسعين سنة ودفن بمدينة مرسية «أحمد يوسف نجاتى» (٢) فى القلائد «وقف»

(٣) هو بقية وزراء ابن أبى عامر، وكان المأمون بن ذى النون كما تقدم

أَنْ يَكُونَ مِنْهَا طُلُوعُهَا ، وَتَمَنَّى ٱلْمِسْكُ أَنْ تُضَمَّ عَلَيْهِ ضُلُوعُهَا ، وَٱلزَّمَانُ غُلَامٌ ، وَٱلْعَيْشُ أَحْلَامٌ ، وَٱلدُّنْيَا تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ ، وَٱلنَّاسُ قَدِ ٱنْتَشَرُوا فِي جَوَانِبِهِ ، وَقَعَدُوا إِلَى مَذَانِبِهِ(١) ، وَفِي سَاقِيَتِهِ ٱلْكُبْرَى دُولَابٌ يَئِنُّ كَنَاقَةٍ إِثْرَ حُوَارٍ(٢) ، أَوْ كَثَكْلَى مِنْ حَرِّ ٱلْأُوَارِ(٣) ، وَكُلُّ

قد تغلب على بلنسية، ولما مات سنة ٤٦٧ ولى حفيده القادر فولى على بلنسيه أبا بكر بن عبد العزيز هـذا فحسن له المقتدر بن هود صاحب سرقسطة الانتقاض على القادر ففعل واستبد بمدينة بلنسية ، وتوفى سنة ٤٧٨ ثم استولى الفرنج فى سنة ٤٧٩ عـلى مدينة بلنسية حتى جاء يوسف بن تاشفين وكان منه ماتقدم بعضه « أحمد يوسف نجاتى »

(١) جمع مذنب « كمنبر » وهو مسيل الماء الى الأرض ليس بخد واسع وجدول يسيل عن الروضة بمائها الى غيرها فيفرق ماؤهافيها ، والتى يسيل عليها الماء مذنب أيضا ، وقال امرؤ القيس :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها   وماء الندى يجرى على كل مذنب

(٢) الحوار ولد الناقة ساعة تضعه أمه ، أو من حين أن يوضع الى أن يفطم ويفصل عن أمه ، فاذا فصل عن أمه فهو فصيل ، وجمعه أحورة وحيران ، وحوران ، ومن أمثالهم : « حرك لها حوارها تحن » وقالوا: « أمسخ من لحم الحوار » ، قال الشاعر

وقد علم الغثر والطارقون   بأنك للضيف جوع وقر
مسيخ مليخ كلحم الحوار   فلا أنت حلو ولا أنت مر

« المسيخ والمليخ الذى لاطعم له » وقالوا : « كسؤر العبد من لحم الحوار » ويضرب للشيء الذى لايدرك منه شيء ، وأصله أن عبدا نحر حوارا كله كله ولم يبق لمولاه منه شيئا فضرب به المثل لما يفقد البتة (٣) حر العطش

مُغْرَمٍ يَجْعَلُ فِيهِ ارْتِيَاحَهُ ، بُكْرَتَهُ وَرَوَاحَهُ ، وَيُغَازِلُ عَلَيْهِ حَبِيبَهُ ، وَيَصْرِفُ إِلَيْهِ تَشْبِيبَهُ(١) ، فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ لَيْلَةً وَالْمُتَنَبِّي(٢) الْجَزِيرِيُّ وَاقِفٌ وَأَمَامَهُ ظَبْيٌ آنِسٌ ، تَهِيمُ بِهِ الْمَكَانِسُ(٣) ، وَفِي أُذُنَيْهِ قُرْطَانِ ، كَأَنَّهُمَا كَوْكَبَانِ ، وَهُوَ يَتَأَوَّدُ(٤) تَأَوُّدَ غُصْنِ الْبَانِ ، وَالْمُتَنَبِّي يَقُولُ :

مَعْشَرَ النَّاسِ بِبَابِ الْحَنَشِ
بَدْرُ تَمٍّ طَالِعٌ فِي غَبَشٍ(٥)
عَلَّقَ الْقُرْطَ عَلَى مَسْمَعِهِ
مَنْ عَلَيْهِ آفَةَ الْعَيْنِ خَشِي

فَلَمَّا رَآنِي أَمْسَكَ ، وَسَبَّحَ كَأَنَّهُ قَدْ تَنَسَّكَ :

(١) غزله ، والتشبيب فى الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل (٢) هو أبو طالب الجزيرى الملقب بالمتنبي من أهل جزيرة شقر فى شرقى الأندلس كان أديبا عظيما وشاعرا مجيدا ، وله تاريخ ألفه منظوما جارى به التاريخ الذى ألفه يحي بن حكم الغزال « وقد تقدم ذكره » وكان المتنبي معاصرا للفتح بن خاقان وتوفى حوالى سنة ٥٣٠ ، وسيأتى له ذكر فى نفح الطيب بعد. « أحمد يوسف نجاتى » (٣) المكنس : مأوى الظبي (٤) يتثنى ويتمايل مختالا (٥) الغبش : شدة الظلمة ، أو هو بقية الليل أو ظلمة آخره وغبش الليل « كضرب وفرح » وأغبش اذا أظلم « أحمد يوسف نجاتى »

***

التعريف بابن عمار

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ٱبْنِ عَمَّارٍ مَا صُورَتُهُ(١) » وَتَنَزَّهَ بِالدِّمَشْقِ بِقُرْطُبَةَ وَهُوَ قَصْرٌ شَيَّدَهُ بَنُو أُمَيَّةَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ ، وَجَرَوْا فِي إِتْقَانِهِ إِلَى غَيْرِ أَمَدٍ ، وَأُبْدِعَ بِنَاؤُهُ ، وَنُمِّقَتْ سَاحَتُهُ وَفِنَاؤُهُ ، وَٱتَّخَذُوهُ مَيْدَانَ مَرَاحِهِمْ ، وَمِضْمَارًا لِانْشِرَاحِهِمْ ، وَحَكَوْا بِهِ قَصْرَهُمْ بِالْمَشْرِقِ ، وَأَطْلَعُوهُ كَالْكَوْكَبِ ٱلثَّاقِبِ ٱلْمُشْرِقِ ، فَحَلَّهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَمَّارٍ عَلَى أَثَرِ بُؤْسِهِ ، وَٱبْتَسَمَ لَهُ دَهْرُهُ بِهِ بَعْدَ عُبُوسِهِ ، وَٱلدُّنْيَا قَدْ أَعْطَتْهُ عَفْوَهَا ، وَسَقَتْهُ صَفْوَهَا ، وَبَاتَ فِيهِ مَعَ لُمَّةٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ ، وَمُتَفَيِّئِي(٢) رِبَاعِهِ ، وَكُلُّهُمْ يُحَيِّيهِ بِكَأْسٍ ، وَيُفَدِّيهِ بِنَفْسِهِ مِنْ كُلِّ بَأْسٍ ، فَطَابَتْ لَهُ لَيْلَتُهُ فِي مَشِيدِهِ ، وَأَطْرَبَهُ ٱلْأُنْسُ بِبَسِيطِهِ وَنَشِيدِهِ(٣) ، فَقَالَ :

---

(١) تقدمت هذه الحكاية وشرحها . (٢) في القلائد « ومتقيلي » والمعنى واحد، والرباع جمع ربع وهو الدار والمحلة والمنزل والوطن ، وتفيأه اذا استظل بظله ، وتقيله وتقيل فيه اذا نام فيه وقت القيلولة وتقيله تبعه وحذا حذوه ، والغرض أنهم يلتجئون اليه و يستظلون بكنفه (٣) في بعض النسخ « ببسيطه ومد يده » وهو من توجيهات علم العروض «أحمد يوسف نجاتي »

كُلُّ قَصْرٍ بَعْدَ ٱلدِّمَشْقِ يُذَمُّ
فِيهِ طَابَ ٱلْجَنَى وَفَاحَ ٱلْمَشَمُّ
مَنْظَرٌ رَائِقٌ وَمَاءٌ نَمِيرٌ
وَثَرًى عَاطِرٌ وَقَصْرٌ أَشَمُّ(١)
بِتُّ فِيهِ وَٱللَّيْلُ وَٱلْفَجْرُ عِنْدِي
عَنْبَرٌ أَشْهَبٌ وَمِسْكٌ أَحَمُّ(٢)

انْتَهَى

***

وصف قصر شيده خلفاء بني أمية

وَعَبَّرَ صَاحِبُ ٱلْبَدَائِعِ عَنْ هٰذِهِ ٱلْقِصَّةِ بِقَوْلِهِ : تَنَزَّهَ ٱبْنُ عَمَّارٍ بِالدِّمَشْقِ بِقُرْطُبَةَ وَهُوَ قَصْرٌ شَيَّدَهُ خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ وَزَخْرَفُوهُ ، وَدَفَعُوا صَرْفَ ٱلدَّهْرِ عَنْهُ وَصَرَفُوهُ ، وَأَجْرَوْهُ عَلَى إِرَادَتِهِمْ وَصَرَّفُوهُ . وَذَهَّبُوا سُقُفَهُ وَفَضَّضُوهَا ، وَرَخَّمُوا أَرْضَهُ وَرَوَّضُوهَا ، فَبَاتَ بِهِ وَٱلسَّعْدُ يَلْحَظُهُ بِطَرْفِهِ ، وَٱلرَّوْضُ يُحَيِّيهِ بِعَرْفِهِ ، فَلَمَّا ٱسْتَنْفَدَ كَافُورُ ٱلصَّبَاحِ مِسْكَ

(١) عال مرتفع (٢) أسود . « أحمد يوسف نجاتي »

ٱلْغَسَقِ[١] ، وَرَصَّعَ آبَنُوسَ ٱلظَّلَامِ نُضَارُ ٱلشَّفَقِ[٢] قَالَ مُرْتَجِلًا : كُلُّ قَصْرٍ بَعْدَ ٱلدِّمَشْقِ يُذَمُّ ، الخ . ٱنْتَهَى .

***

ترجمة ذى الوزارتين بن لبون

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ذِي ٱلْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عِيسَى بْنِ لَبُّونَ[٣] » أَخْبَرَنِي ٱلْوَزِيرُ أَبُو عَامِرِ بْنُ ٱلطَّوِيلِ أَنَّهُ كَانَ بِقَصْرِ مُرْبَيْطَرَ[٤] بِالْمَجْلِسِ ٱلشَّرْقِيِّ[٥] مِنْهَا وَٱلْبَطْحَاءُ قَدْ لَبِسَتْ زُخْرُفَهَا[٦] ، وَدَبَّجَ ٱلْغَمَامُ مُطْرَفَهَا[٧] ، وَفِيهَا حَدَائِقُ

---

(١) الغسق الظلمة « وأكثر مايطلق على ظلمة أول الليل » أوظلمة الليل اذا غاب الشفق (٢) النضار الذهب أو الفضة، وغلب على الذهب والجوهر الخالص من التبر وغيره، وجمعه نضار « بالكسر » وأنضر ـ والشفق: الحمرة التى فى الأفق من الغروب الى العشاء الآخرة، أواختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس ، والبياض الباقى فى الأفق بعد الحمرة المذكورة وقد يطلق الشفق على النهار « وهو المراد هنا ـ وبه فسر قوله تعالى : «فلا أقسم بالشفق » (٣) تقدم التعريف به (٤) تقدم التعريف بها ، وبينها وبين بلنسية ٤ فراسخ ، ينسب اليها قاضيها ابن خيرون المربيطرى وقد سبق أنها كانت مع ذى الوزارتين القائد أبى عيسى بن لبون ، ثم أخذها منه ابن رزين (٥) فى القلائد « المشرف » (٦) الزخرف الزينة وكمال حسن الشئ . وزخرف الأرض ألوان نباتها المختلفة ، ومنه قوله تعالى: « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت » أى زينتها من ألوان الزهر وناصع النور ، وقيل تمامها وكمالها (٧) دبج: نقش وزين ، والمطرف فى

تَرْنُو عَنْ مُقَلِ نَرْجِسِهَا ، وَتَبُثُّ طِيبَ تَنَفُّسِهَا ، وَالْجُلَّنَارُ[1] قَدْ لَبِسَ أَرْدِيَةَ الدِّمَاءِ ، وَالرَّاحُ قَدْ مَلَكَتْ أَفْئِدَةَ[2] النُّدَمَاءِ فَقَالَ :

قُمْ يَا نَدِيمُ أَدِرْ عَلَيَّ الْقَرْقَفَا
أَوَ مَا تَرَى زَهْرَ الرِّيَاضِ مُفَوَّقَا[3]؟!
فَتَخَالُ مَحْبُوباً مُدِلّاً وَرْدَهَا
وَتَظُنُّ نَرْجِسَهَا مُحِبّاً مُدْنَفَا[4]
وَالْجُلَّنَارَ دِمَاءَ قَتْلَى مَعْرَكٍ
وَالْيَاسَمِينَ حَبَابَ مَاءٍ قَدْ طَفَا[5]

إِلَى أَنْ قَالَ : وَشَرِبَ مَعَ الْوُزَرَاءِ الْكُتَّابِ[6]

---

(١) زهر الرمان الأصل رداء من خز مربع ذو أعلام. وترنو :تديم النظر (٢) كذا بالقلائد ، وفى الأصل « وراع أفئدة الندماء » (٣) القرقف الخمر الصافية ذات البرد : وبرد مفوف أى رقيق موشى (٤) أدل فهو مدل اذا تدلل وانبسط ، وأدنفه الحب ونحوه اذا أمرضه مرضا ثقيلا لازما (٥) حباب الماء طرائقه كأنها الوشى ، ونفاخاته وفقاقيعه التى تعلو سطحه كأنها القوارير ، وتسمى اليعاليل ، وطفا الشئ فوق الماء اذا علا ولم يرسب « أحمد يوسف نجاتى » (٦) وفى نسخة « والكتاب »

بِبَطْحَاءِ لُورَقَةَ(١) فِي عَشِيَّةٍ تَجُودُ بِدِمَائِهَا ، وَيَصُوبُ(٢) عَلَيْهَا دَمْعُ سَمَائِهَا ، وَالْبَطْحَاءُ قَدْ خُلِعَ عَلَيْهَا سُنْدُسُهَا ، وَدُرُّهَا(٣) نَرْجِسُهَا ، وَالشَّمْسُ تَنْفُضُ عَلَى الرُّبَا زَعْفَرَانَهَا(٤) وَالْأَنْوَارُ ، تُغْمِضُ أَجْفَانَهَا ، فَكَتَبَ إِلَى ابْنِ الْيَسَعِ :

لَوْ كُنْتَ تَشْهَدُ يَا هَـٰذَا عَشِيَّتَنَا
وَالْمُزْنُ(٥) تَسْكُبُ أَحْيَانًا وَتَنْحَدِرُ
وَالْأَرْضُ مُصْفَرَّةٌ بِالزَّهْرِ(٦) كَاسِيَةٌ
أَبْصَرْتَ تِبْرًا عَلَيْهِ الدُّرُّ يَنْتَثِرُ

---

(١) البطحاء أرض واسعة منبسطة ، أو مسيل فيه دقاق الحصا ، ولورقة مدينة من أعمال تدمير ، وكانت ذات شهرة بالعنب الجيد « وتقدم التعريف بها فى الجزء الأول » وفى القلائد : وشرب مع الوزراء والكتاب ببطحاء لورقة عند أخيه وابن اليسع غائب عنهما فى عشية الخ » وقد تقدم أن أخاه أبا محمد بن لبون كان يملك مدينة لورقة وبها توفى ، وتقدم التعريف بذى الوزارتين القائد أبى الحسن بن اليسع (٢) صاب : انصب ، والصوب : مجىء السماء بالغيث (٣) كذا بالأصل ، وفى القلائد « ودنرها » أى جعلها ذات دنانير ، شبه زهرة النرجس بالدينار ، وفرس مدنر فيه تدنير : سواد تخالطه شهبة ، ودنر وجهه اذا أشرق وتلألأ (٤) يعنى أن الوقت أصيل وهو أطيب أوقات النهار (٥) السحاب ذو الماء (٦) فى الأصل « بالشمس » وفى بعض المراجع « بالزهر » وهو أولى كما يدل عليه هيئة المشبه به فى

***

ترجمة أبو بكر بن رحيم

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ رُحَيْمٍ (١) مَا صُورَتُهُ » وَوَصَلَ هُوَ وَابْنُ وَضَّاحٍ (٢) صِهْرُ الْمُرْتَضَى وَابْنُ جَمَالِ الْخِلَافَةِ صَاحِبُ صِقِلِّيَةَ إِلَى إِحْدَى جَنَّاتِ مُرْسِيَةَ فَحَلُّوا مِنْهَا فِي قُبَّةٍ فَوْقَ جَدْوَلٍ مُطَّرِدٍ (٣)، وَتَحْتَ أَدْوَاحٍ (٤) طَيْرُهَا غَرِدٌ، فَأَقَامُوا يَتَعَاطَوْنَ رَحِيقَهُمْ، وَيَعْمُرُونَ بِالْمُؤَانَسَةِ طَرِيقَهُمْ، إِذَا بِالْجَنَّانِ (٥) قَدْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ :

عجز البيت . « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو ذو الوزارتين الكاتب الشاعر الأديب أبو بكر محمد بن أحمد بن رحيم أو « دحيم » وكانت بينه وبين القاضى أبى أمية ابراهيم بن عصام مدة قضائه بمرسية معاتبات رقيقة وله مدائح وتهانى فى الأمير أبى اسحق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين فى سنة ٥١٥ ويأتى له ذكر بعد (٢) هو أبو جعفر محمد بن وضاح الأديب الشاعر توفى حوالى سنة ٥٤٠ (٣) يجرى ماؤه متتابعا (٤) أشجار كثيرة ملتفة (٥) فى الأصل « بالجنانى » وفى القلائد « بالجنان » وأظنه يريد أبا اسحق ابراهيم بن خفاجة الأندلسى فقد كان أهل الأندلس يسمونه الجنان لولوعه فى شعره بوصف الجنان والحدائق والأنهار والأشجار والرياض والأزهار والمياه وما يتصل بذلك من وصف مناظر الطبيعة الفاتنة ومشاهدها البديعة الساحرة التى توحى بالشعر وتسمو بالخيال . وقد يكون « ابن الجنان » وهو أبو الوليد بن الجنان ، أو أبو القاسم خلف بن مفرج

كَانَ بِمَوْضِعِكُمْ هٰذَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُ الْمَوْضِعِ وَمَعَهُ شُعُورٌ مَنْشُورَةٌ ، وَخُدُودٌ غَيْرُ مَسْتُورَةٍ ، قَدْ رُفِعَتْ عَنْهَا الْبَرَاقِعُ ، وَمَا مِنْهَا نَظْرَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا سَهْمٌ وَاقِعٌ ، فَاسْتَدْعَى فَحْمًا وَكَتَبَ فِي إِحْدَى زَوَايَا الْقُبَّةِ :

قَادَنَا وُدُّنَا إِلَيْكَ فَجِئْنَا بِنُفُوسٍ تَفْدِيكَ مِنْ كُلِّ بُوسِ
فَنَزَلْنَا مَنَازِلًا لِبُدُورٍ وَحَلَلْنَا مَطَالِعًا لِشُمُوسِ

***

ترجمة أبي محمد ابن عبدون

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدُونَ مَا صُورَتُهُ » حَلَلْتُ يَابُرَةَ(١) فَأَنْزَلَنِي وَالِيهَا بِقَصْرِهَا ، وَمَكَّنَنِي مِنْ جَنَى الْأَمَانِيِّ وَهَصْرِهَا(٢) ، فَأَقَمْتُ لَيْلِي ، أَجُرُّ عَلَى الْمَجَرَّةِ ذَيْلِي ، وَتَتَطَارَدُ فِي مَيْدَانِ السُّرُورِ خَيْلِي ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَاكَرَنِي الْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدٍ مُسَلِّمًا ، وَمِنْ

ابن سعيد الكنانى من أهل شاطبة ولى القضاء باحدى الكور الشرقية لأبى أمية ابراهيم بن عصام وكان أديبافقيها مشاورا، وأبوالعلاءعبدالحق ابن خلف بن مفرج الكنانى يعرف بابن الجنان، وصحب أبا اسحق بن خفاجة ،وكان من كبار الأدباء وجلة الشعراء وأعاظم البلغاء وله بصر بالطب توفى سنة ٥٣٩. «أحمد يوسف نجاتى» (١) يابرة بلد فى غربى الأندلس (٢) هصر الغصن: جذبه وأماله اليه «يريد التمتع بنيل آماله والتصرف فيها كما يشاء » « أحمد يوسف نجاتى »

تَنَكُّبِي[١] عَنْهُ مُتَأَلِّماً ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى ٱلْقَائِدِ عَاتِباً عَلَيْهِ ، فِي كَوْنِي لَدَيْهِ ، ثُمَّ ٱنْصَرَفَ وَقَدْ أَخَذَنِي مِنْ يَدَيْهِ ، فَحَلَلْتُ عِنْدَهُ فِي رُحْبٍ ، وَهَمَتْ عَلَيَّ مِنَ ٱلْبِرِّ أَمْطَارُ سُحْبٍ ، فِي مَجْلِسٍ كَأَنَّ ٱلدَّرَارِيَّ فِيهِ مَصْفُوفَةٌ ، أَوْ كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ إِلَيْهِ مَزْفُوفَةٌ ، فَلَمَّا حَانَ ٱنْصِرَافِي ، وَكَثُرَ تَطَلُّعِي إِلَى مَآبِي[٢] وَٱسْتِشْرَافِي ، رَكِبَ مَعِي إِلَى حَدِيقَةٍ نَضِرَةٍ ، مُجَاوِرَةٍ لِلْحَضْرَةِ ، فَأَنَخْنَا عَلَيْهَا أَيْدِيَ عِيسِنَا[٣] ، وَنِلْنَا مِنْهَا مَا شِئْنَا مِنْ تَأْنِيسِنَا ، فَلَمَّا ٱمْتَطَيْتُ عَزْمِي[٤] ، وَسَدَّدْتُ إِلَى غَرَضِ ٱلرِّحْلَةِ سَهْمِي ، أَنْشَدَنِي :

سَلَامٌ يُنَاجِي مِنْهُ زَهْرَ ٱلرُّبَا عَرْفُ
فَلَا سَمْعَ إِلَّا وَدَّ لَوْ أَنَّهُ أَنْفُ[٥]
حَنِينِي إِلَى تِلْكَ ٱلسَّجَايَا فَإِنَّهَا
لَآثَارُ أَعْيَانِ ٱلْمَسَاعِي ٱلَّتِي أَقْفُو[٦]

---

(١) انصرافى عنه وعدم النزول عنده (٢) رجوعى وعودتى «وفى القلائد : قيامى» واستشرف الى الشىء اذا تطلع اليه (٣) أى أقاموا بها ، والعيس فى الأصل: الابل البيض يخالط بياضها شىء من الصفرة (٤) عزمى على الارتحال (٥) العرف: الرائحة الذكية (٦) قفا أثره اذا تبعه «أحمد يوسف نجاتى»

ثُمَّ سَرَدَ الْقَصِيدَةَ ، إِلَى أَنْ قَالَ : وَلَهُ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ :

سَقَاهَا الْحَيَا مِنْ مَغَانٍ[1] فِسَاحِ
فَكَمْ لِي بِهَا مِنْ مَعَانٍ فِصَاحِ
وَحَلَّى أَكَالِيلَ تِلْكَ الرُّبَا
وَوَشَّى مَعَاطِفَ تِلْكَ الْبِطَاحِ[2]
فَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ عَهْدِي بِهَا
وَجَرِّي فِيهَا ذُيُولَ الْمِرَاحِ[3]
وَنَوْمِي عَلَى حِبَرَاتِ الرِّيَاضِ
يُجَاذِبُ بُرْدَيَّ مَرُّ الرِّيَاحِ[4]
وَلَمْ أُعْطِ أَمْرَ النُّهَى طَاعَةً
وَلَمْ أُصْغِ سَمْعِي إِلَى قَوْلِ لَاحِي[5]

(١) المغنى منزل القوم ومحل اقامتهم (٢) يدعو للربا بأن تزينها الأزهار والأشجار ، والبطاح جمع أبطح و بطحاء (٣) المراح اسم من مرح « كفرح » وهو شدة الفرح والتوسع فيه والاختيال والنشاط حتى يجاوز قدره (٤) الحبرة « كعنبة » ضرب من ضروب اليمن ذو وشي (٥) اللاحي اللائم المعنف ، يقول انه لم يجب داعي العقل، بل لبى نداء عواطفه وخضع لدواعي نفسه و رغبات قلبه « أحمد يوسف نجاتي »

وَلَيْـلٍ كَرَجْعَةِ طَرْفِ الْمُرِيبْ

لَمَ أدْرِ لَهُ شَفَقاً مِنْ صَبَاحِ (١)

***

« وَقَالَ » فِي تَرْجَمَـةِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ مَالِكٍ(٢) ـ بَعْدَ كَلَامٍ لَهُ فِيهِ ، وَإِنْشَادِهِ بَيْتَيْهِ الْبَدِيعَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا

ترجمة الوزير أبي محمد بن مالك

(١) صدر البيت كناية عن مزيدقصر الليل ، والمريب من كان ذا ريبة أى تهمة وظنة وشك « بأن كان يخالس النظر الى من يهوى منتهزا غفلة الرقيب فيكون طرفه سريع النظر والرجع خيفة أن يراه أحد » قال ابن المعتز :

تفقد مساقط لحظ المريب   فان العيون وجود القلوب

وطالع بوادره فى الكلام   فانك تجنى ثمار الغيوب

وعجز البيت يدل على قرب مسافة ما بين الشفق الى الصباح « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو الوزير الجليل أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن مالك المعافرى من ولد عقبة بن نعيم الداخل الى الأندلس فى جند دمشق كان أحد وزراء الأندلس كثير الصنائع جزل المواهب عظيم المكارم على سنن عظماء الملوك وأخلاق السادة ، وأحد رجالاتها ومحاسنها جلالة ونباهة وجزالة أديبا بليغا كاتبا مجيدا شاعرا بارعا فقيها محدثا ذا مروءة عظيمة وثروة طائلة جاد بها فى ابتناء المكارم ،وكان اليه النظر فى المستخلص باشبيلية وغرناطة ، ووجهه أميره على بن يوسف بن تاشفين الى طرطوشة برسم بنائها ، فأحسن الى أهلها ووسع أرزاقهم وأنعش عاثرهم ، وتوفى بغرناطة فى غرة رمضان سنة ٥١٨ وحضر جنازته الخاصة والعامة .ورثاه الكاتب البليغ أبو عبد الله بن أبى الخصال وأثنى عليه ، ودفن بازاء قبر صهره أبى بكر القليعى القاضى رحمهم الله جميعا . « أحمد يوسف نجاتى »

لا تَلُمْنِي بِأَنْ طَرِبْتُ لِشَدْوٍ[1]
يَبْعَثُ الْأُنْسَ فَالْكَرِيمُ طَرُوبُ
لَيسَ شَقُّ الْجُيُوبِ حَقًّا عَلَيْنَا[2]
إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تَشَقَّ الْقُلُوبُ

مَا صُورَتُهُ : وَخَرَجْتُ بِإِشْبِيلِيَةَ مُشَيِّعاً لِأَحَدِ زُعَمَاءِ الْمُرَابِطِينَ ، فَأَلْفَيْتُهُ مَعَهُ ، مُسَايِرًا لَهُ فِي جُمْلَةِ مَنْ شَيَّعَهُ ، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا مَالَ بِنَا إِلَى مُعَرَّسِ[3] أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ — أَدَامَ اللّٰهُ تَعَالَى تَأْيِيدَهُ — الَّذِي يَنْزِلُهُ عِنْدَ حُلُولِهِ بِإِشْبِيلِيَةَ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ مُسْتَبْدَعٌ ، كَأَنَّ الْحُسْنَ فِيهِ مُودَعٌ ، مَا شِئْتَ مِنْ نَهْرٍ يَنْسَابُ انْسِيَابَ الْأَرَاقِمِ ، وَرَوْضٍ كَمَا وَشَّتِ الْبُرْدَ

---

(١) فى الأصل « لشجو » وفى القلائد « لشدو » وهو أحسن ، والشدو الغناء (٢) فى القلائد « انما الحق » وفى معنى البيت قول الأول :

لوامى زليخا لو رأين جبينه   لآثرن بالقطع القلوب على الأيدى

« لوامى جمع لائمة وأصله لوائم فقلب وأعل . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٣) موضع نزوله من عرس القوم وأعرسوا اذا نزلوا فى آخر الليل للاستراحة ثم أناخوا وناموا نومة خفيفة ثم ساروا مع انفجار الصبح سائرين ، وفى بعض المراجع « قصر » بدل معرس ، وهو ألصق بالسياق كما هو ظاهر « أحمد يوسف نجاتى »

يَدُ رَاقِمٍ ، وَزَهْرٍ يَحْسُدُ ٱلْمِسْكُ رَيَّاهُ ، وَيَتَمَنَّى ٱلصُّبْحُ أَنْ يَسِمَ بِهِ(١) مُحَيَّاهُ ، فَقَطَفَ غُلَامٌ وَسِيمٌ مِنْ غِلْمَانِهِ نَوْرَةً وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيَّ وَهِيَ فِي كَفِّهِ ، فَعَزَمَ عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ بَيْتاً فِي وَصْفِهِ ، فَقُلْتُ :

وَبَدْرٍ بَدَا وَٱلطَّرْفُ مَطْلَعُ حُسْنِهِ
وَفِي كَفِّهِ مِنْ رَائِقِ ٱلنَّوْرِ كَوْكَبُ

فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ :

يَرُوحُ لِتَعْذِيبِ ٱلنُّفُوسِ وَيَغْتَدِي
وَيَطْلُعُ فِي أُفْقِ ٱلْجَمَالِ وَيَغْرُبُ
وَيَحْسُدُ مِنْهُ ٱلْغُصْنُ أَيَّ مُهَفْهَفٍ
يَجِيءُ عَلَى مِثْلِ ٱلْكَثِيبِ وَيَذْهَبُ

***

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ ٱلْوَزِيرِ أَبِي ٱلْقَاسِمِ بْنِ ٱلسَّقَّاطِ(٢) ترجمة أبي القاسم ابن السقاط

---

(١) وسمه أعلمه وجعل له سمة . والمحيا الوجه ، و بقية الألفاظ قد سبق شرحها و بيان معانيها فى غير موضع (٢) وصفه الفتح فى القلائد بالبلاغة واجادة الكتابة والشعر والخطابة ، وأورد له كثيرا من نظمه ونثره

بَعْـدَ كَلاَمٍ كَثِيرٍ مَا صُورَتُهُ » : وَحَمَلَنَا اَلْوَزِيرُ اَلْقَاضِى أَبُو اَلْحَسَنِ بْنُ أَضْحَى[١] إِلَى إِحْدَى ضِيَاعِهِ بِخَارِجِ غَرْنَاطَةَ وَمَعَنَا اَلْوَزِيرُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ مَالِكٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ تِلْكَ اَلْمَمَالِكِ ، فَحَلَلْنَا بِضَيْعَةٍ لَمْ يَنْحَتِ اَلْمَحْلُ أَثْلَهَا[٢] ، وَلَمْ تَرْمُقِ اَلْعُيُونُ مِثْلَهَا ، وَجُلْنَا بِهَا فِى أَكْنَافِ جَنَّاتٍ أَلْفَافٍ[٣] ، فَمَا شِئْتَ مِنْ دَوْحَةٍ لَفَّاءَ[٤] ، وَغُصْنٍ يَمِيسُ كَعِطْفَىْ هَيْفَاءَ[٥] ، وَمَاءٍ يَنْسَابُ فِى جَدَاوِلِهِ ، وَزَهَرٍ يُضَمِّخُ[٦] بِالْمِسْكِ رَاحَةَ مُتَنَاوِلِهِ . وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ تِلْكَ اَلْحَدَائِقِ أَرَبًا ، وَاُفْتَضَضْنَا مِنْهَا أَتْرَابًا[٧] عُرُبًا ، مِلْنَا إِلَى مَوْضِعِ

---

(١) تقدمت ترجمته فى بعض الأجزاء السابقة والقول فى بنى أضحى ، وسيأتى ذكر للقاضى أبى الحسن بن أضحى هذا (٢) الأثل: شجر وهو نوع من الطرفاء أو عضاهة « شجرة ذات شوك » طويلة قوية كانوا يعملون منها الأقداح ونحوها «ونحت أثلته كناية عن العيب والنقص، ونحت أثلته اذا انتقصه وذمه، ونحت الأثل هنا كناية عن شدة الجدب والقحط حتى ينحت الناس والأنعام الشجر (٣) الألفاف الأشجار الملتفة بعضها ببعض واحدها الف « بكسر اللام وفتحها » ومنه قوله تعالى: « وجنات ألفافا » ، أى بساتين ملتفة (٤) أى ملتفة الأغصان (٥) الهيف دقة الخاصرة مع ضمر البطن (٦) أى يعمها بالطيب (٧) أتراب جمع ترب، وأصل ترب الفتاة من كانت فى سنها، وهى تربها أى لدتها ،وفسرت الأتراب أيضا فى قوله تعالى : « عربا أترابا» بالأمثال اذ ليست هناك ولادة . وأصل العروب «وجمعه عرب» المرأة الحسناء المتحببة الى زوجها المطيعة له المظهرة له مودة وفرط شغف

اَلْمَقِيلِ (١) ، وَنَزَلْنَا (٢) عِنْدَ مَنَازِهَ تُزْرِى بِمَنَازِهِ جَذِيمَةَ مَعَ مَالِكٍ وَعَقِيلٍ (٣) ، وَعِنْدَ وُصُولِنَا بَدَا لِى مِنْ أَحَدِ اْلأَصْحَابِ تَقْصِيرٌ فِى اَلْمَبَرَّةِ ، عَرَضَ لِى مِنْهُ تَكْدِيرٌ لِتِلْكَ اَلْعَيْنِ اَلثَّرَّةِ (٤) ، فَأَظْهَرْتُ اَلتَّثَاقُلَ أَكْثَرَ ذَلِكَ اَلْيَوْمِ ، ثُمَّ عَدَلْتُ عَنْهُمْ إِلَى اَلاضْطِجَاعِ وَالنَّوْمِ ، فَمَا اسْتَيْقَظْتُ إِلَّا وَالسَّمَاءُ قَدْ نُسِخَ (٥) صَحْوُهَا ، وَغَيَّمَ جَوُّهَا ، وَالْغَمَامُ مُنْهَمِلٌ ، وَالثَّرَى مِنْ سُقْيَاهُ ثَمِلٌ ، فَبَسَطَنِى بِتَحَفِّيهِ (٦) وَأَبْهَجَنِى بِبِرٍّ لَمْ يَزَلْ يُتَمِّمُهُ وَيُوَفِّيهِ ، وَأَنْشَدَنِى :

يَوْمٌ تَجَهَّمَ (٧) فِيهِ اْلأُفْقُ وَانْتَثَرَتْ
مَدَامِعُ اَلْغَيْثِ فِى خَدِّ اَلثَّرَى هَمَلَا

---

(١) النوم بالظهر للاستراحة من الحر (٢) كذا بالقلائد، وفى الأصل «ونزلنا عن منازه» (٣) جذيمة الأبرش ونديماه قد سبق التعريف بهم (٤) كثيرة المياه غزيرة «وهو مستعار للاقاه من توالى الاكرام وتتابع الصفاء» (٥) تغير وزال (٦) بسطه أزال ما عنده من الانقباض ، والتحفى : المبالغة فى الاكرام والبر واظهار مزيد السرور والفرح وحسن اللقاء والملاطفة ، والقيام بكل حاجاته ومطالبه ، واكرام الوفادة واحسان المثوى (٧) عبس وتغير بالغمام . والهمل الماء السائل الذى لا مانع له ، والمتروك غير المستعمل ولا المنتفع به

رَأَى وُجُومَكَ فَارْبَدَّتْ طَلَاقَتُهُ[1]

مُضَاهِياً لَكَ فِي الْأَخْلَاقِ مُمْتَثِلَا

***

ترجمة القاضي أبي الحسن ابن أضحى

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْوَزِيرِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَضْحَى مَا نَصُّهُ »: وَكَانَ لِصَاحِبِ الْبَلَدِ الَّذِي كَانَ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِهِ ابْنٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صُورَةً ، وَكَانَتْ مَحَاسِنُ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ عَلَيْهِ مَقْصُورَةً ، مَعَ مَا شِئْتَ مِنْ لَسَنٍ[2] ، وَصَوْتٍ حَسَنٍ ، وَعَفَافٍ ، وَاخْتِلَاطٍ بِالْبَهَاءِ[3] وَالْتِفَافٍ ، فَحَمَلَنَا إِلَى إِحْدَى ضِيَاعِهِ بِقُرْبٍ مِنْ حَضْرَةِ غَرْنَاطَةَ ، فَحَلَلْنَا قَرْيَةً كَانَتْ عَلَى ضَفَّةِ نَهْرٍ ، أَحْسَنَ مِنْ شَاذَ مِهْرَ[4] ، تَشُقُّهَا

---

(١) وجم وجوما اذا سكت على غيظ وغضب، والواجم العبوس المطرق ساكتا لشدة الحزن تعلوه كآبة ، واربد وجهه وتربد اذا تغير لونه من الغضب الى الغبرة وعبس. وار بدت السماء وتربدت اذا تغيمت ، وفي الأصل والقلائد «فارتدت» وهو تصحيف وان صح معناه «أحمد يوسف نجاتي» (٢) فصاحة وطلاقة لسان (٣) كذا بالأصل والقلائد ، وفي بعض النسخ « بالنبهاء » .

(٤) مدينة أو موضع بنيسابور ، وكان هناك بستان لعبد الله بن طاهر ابن الحسين أنيق ، وقصور شامخة ، ونعيم وملك كبير ، ثم انقضت دولة آل طاهر وخربت تلك القصور ، وفيها يقول بعض الشعراء :

جَدَاوِلُ كَالصِّلَالِ(١) ، وَلَا تَرْمُقُهَا الشَّمْسُ مِنْ تَكَاثُفِ الظِّلَالِ ـ وَمَعَنَا جُمْلَةٌ مِنْ أَعْيَانِهَا ـ فَأَحْضَرَنَا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ ، وَأَرَانَا مِنْ فَرْطِ الْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ ، مَا لَا يُطَاقُ وَلَا يُحَدُّ ، وَيَقْصُرُ عَنْ بَعْضِهِ الْعَدُّ ، وَفِي أَثْنَاءِ مُقَامِنَا بَدَا لِي مِنْ ذٰلِكَ الْفَتَى الْمَذْكُورِ مَا أَنْكَرْتُهُ ، فَقَابَلْتُهُ بِكَلَامٍ أَعْتَقَدَهُ(٢) ، وَمَلَامٍ أَحْقَدَهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ لَقِيتُ مِنْهُ اجْتِنَابَهُ ، وَلَمْ أَرَ مِنْهُ مَا عَهِدْتُهُ مِنَ الْإِنَابَةِ(٣) ، فَكَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ مُدَاعِباً ، فَرَاجَعَنِي بِهٰذِهِ الْقِطْعَةِ :

أَتَتْنِي أَبَا نَصْرٍ نَتِيجَةُ خَاطِرٍ
سَرِيعٍ(٤) كَرَجْعِ الطَّرْفِ فِي الْخَطَرَاتِ

فتلك قصور الشاذياخ بلاقع خراب يباب والميان مزارع
وأضحت خلاء شاذمهر وأصبحت معطلة فى الأرض تلك المصانع

والشاذياخ مدينة نيسابور بناها عبد الله بن طاهر بجوارها فى بستانه العظيم. والميان بلد « أحمد يوسف نجاتى » (١) جمع صل وهى الحية ، والسيف القاطع (٢) أضمره فى نفسه ، أو اعتقد صحته فغاظه ، أو أغضبه ، ويقال تحللت عقده اذا سكن غضبه ، وعقد ناصيته اذا غضب وتهيأ للشر (٣) الرجوع والاقبال (٤) فى الأصل « مريع » وهو تصحيف لا يساعد عليه بقية البيت وان صح وصف الخاطر بأنه خصب مريع «أحمد يوسف نجاتى »

فَأَعْرَبْتَ عَنْ وَجْدٍ كَمِينٍ طَوَيْتَهُ[١]
بِأَهْيَفَ طَاوٍ فَاتِرِ اللَّحَظَاتِ
غَزَالٍ أَحَمِّ الْمُقْلَتَيْنِ عَرَفْتَهُ
بِخَيْفِ مِنًى لِلْحُسْنِ أَوْ عَرَفَاتِ[٢]
رَمَاكَ فَأَصْمَى[٣]، وَالْقُلُوبُ رَمِيَّةٌ
لِكُلِّ كَحِيلِ الطَّرْفِ ذِي فَتَكَاتِ
وَظَنَّ بِأَنَّ الْقَلْبَ مِنْكَ مُحَصَّبٌ
فَلَبَّاكَ مِنْ عَيْنَيْهِ بِالْجَمَرَاتِ[٤]

(١) فى القلائد « فأعرب » والوجد : الغرام ، والطاوى : الضامر البطن الأهيف (٢) خيف منى وعرفات بمكة ، ولعله يشير الى أن هذا الغزال فى حرم لايحل صيده . كقوله :

بيض أوانس ماهممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام

ويقرب من معنى البيت قول الشاعر :

فيادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

وفى القلائد و بعض نسخ النفح « للحين » أى الهلاك بدل « للحسن »
(٣) رماه فأصماه اذا قتله مكانه وهو يراه ، والرمية : الهدف وما يرمى من الصيد ومنه :

تشكى المحب وتلفى الدهر شاكية كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

واذا كانت القلوب رمايا فالسهام هى العيون كما يدل عليه عجز البيت .
« أحمد يوسف نجاتى » .
(٤) فى البيت كالبيتين السابقين والبيت بعده وفى البيت الأخير توجيه

تَقَـرَّبَ بِالنُّسَّاكِ فِي كُلِّ مَنْسَكٍ[١]
وَضَحَّى غَدَاةَ النَّحْرِ بِالْمُهَجَاتِ
وَكَانَتْ لَهُ جَيَّانُ[٢] مَثْوًى فَأَصْبَحَتْ
ضُلُوعُكَ مَثْوَاهُ بِكُلِّ فَلَاةِ
يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ تَهِيمَ فَتَنْطَوِى
كَئِيبًا عَلَى الْأَشْجَانِ وَالزَّفَرَاتِ
فَلَوْ قُبِلَتْ لِلنَّاسِ فِي الْحُبِّ فِدْيَةٌ
فَدَيْنَاكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْبَشَرَاتِ

فى أسماء أماكن الحج وتورية بها . والمحصب اسم الشعب الذى مخرجه الى الأبطح بين مكة ومنى يقام فيه ساعة من الليل ثم يخرج الى مكة ، سمى به للحصباء التى فيه ، أو المحصب موضع رمى الأحجار بمنى ، وحصبه اذا رماه بالحصبة أو الحصباء وهى الحجارة والحصى (١) النسك العبادة والطاعة « وأراد بالنساك العشاق ومن يتقربون بأرواحهم وقلوبهم الى من يحبون » وأصل المنسك الموضع المعتاد الذى تعتاده ، ويقال ان لفلان منسكا يعتاده فى خير كان أو غيره ، ثم سميت أمور الحج مناسك ، والمنسك: الموضع الذى تذبح فيه النسيكة « أى الذبيحة » ومنه قولهم : منى منسك الحج (٢) جيان مدينة كانت لها كورة واسعة بالأندلس فى شرقى قرطبة بينهما ١٧ فرسخا ومملكتها بين مملكتى غرناطة وطليطلة، وكانت فى غاية المنعة والحصانة، ومن أكثر مدن الأندلس خصبا ، كثيرة العيون طيبة البقعة كثيرة الثمار

***

ترجمة أبي اسحق ابن خفاجة

« وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ أَدِيبِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَشَاعِرِهَا أَبِي إِسْحٰقَ أُبْنِ خَفَاجَةَ بَعْدَ كَلَامٍ مَا صُورَتُهُ » : وَقَالَ يَنْدُبُ مَعَاهِدَ ٱلشَّبَابِ ، وَيَتَفَجَّعُ لِوَفَاةِ ٱلْإِخْوَانِ وَٱلْأَحْبَابِ ، بِعَقِبِ سَيْلٍ أَعَادَ ٱلدِّيَارَ آثَارًا ، وَقَضَى عَلَيْهَا وَهْيًا[1] وَٱنْتِثَارًا :

أَلَا عَرَّسَ ٱلْإِخْوَانُ فِي سَاحَةِ ٱلْبِلَى
وَمَا رَفَعُوا غَيْرَ ٱلْقُبُورِ قِبَابَا
فَدَمْعٌ كَمَا سَحَّ ٱلْغَمَامُ وَلَوْعَةٌ
كَمَا أَضْرَمَتْ رِيحُ ٱلشَّمَالِ شِهَابَا
إِذَا ٱسْتَوْقَفَتْنِي فِي ٱلدِّيَارِ عَشِيَّةٌ
تَلَدَّدْتُ فِيهَا جَيْئَةً وَذَهَابَا[2]
أُكَرِّرُ طَرْفِي فِي مَعَاهِدِ فِتْيَةٍ ثَكِلْتُهُمُ بِيضَ ٱلْوُجُوهِ شَبَابَا

(١) الوهى التصدع والشق فى الشىء ، و وهى الحائط اذا ضعف وهم بالسقوط وأراد أن ينقض (٢) فى الأصل والقلائد والديوان « تلذذت » وأراها مصحفة عن « تلددت » أى تلفت يمينا وشمالا متحيرا متبلدا ، مأخوذ من لديدى الوادى أى جانبيه ، أو اللديدين صفحتى العنق دون الأذنين ، وتلدد الرجل أيضا اذا تلبث وتمكث ومنه « فمالك والتلدد حول نجد » . « أحمد يوسف نجاتى » .

فَطَالَ وُقُوفِي بَيْنَ وَجْدٍ وَفُرْقَةٍ[1]
أُنَادِي رُسُومًا لَا تُحِيرُ جَوَابَا

وَأَمْحُو جَمِيلَ الصَّبْرِ طَوْرًا بِعَبْرَةٍ
أَخُطُّ بِهَا فِي صَفْحَتَيَّ كِتَابَا[2]

وَقَدْ دَرَسَتْ أَجْسَامُهُمْ وَدِيَارُهُمْ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا أَعْظُمًا وَيَبَابَا[3]

وَحَسْبِيَ شَجْوًا أَنْ أَرَى الدَّارَ بَلْقَعًا[4]
خَلَاءً ، وَأَشْلَاءَ الصَّدِيقِ تُرَابَا

---

(١) فى القلائد والديوان « بين وجد و زفرة » وأحار جوابا رده (٢) صفحتا الوجه جانباه ، يريد خديه ، و ورى عنهما بالصفحتين و رشح لذلك بقوله أخط كتابا، جعل مايسيل من الدموع على الخدين فيبقى بهما آثارا سطورا مكتوبة يقرأ منها الرائى الحزن والجزع، وجعل ديباجة الوجه واشراقه ممحوة بهذه الدموع « يعنى أنه محا شيئا كان يدل على الصبر والخلو من الحزن، وأثبت مايقرأ منه آيات الأسى ، ففى البيت مراعاة نظير وتورية وطباق وحسن تعليل بديع، هذا الى أنه بافراطه فى الحزن والجزع وعدم الصبر انما يخط فى صحائف أعماله ، و ينقش فى كتاب حسابه ، وقد أمر الله بالصبر ، و وعد الصابرين حسن الأجر ، ولكن مصابه غلب العزاء وأعوز معه التصبر ، فالبيت كما ترى يشير الى كل هذه المعانى » «أحمد يوسف نجاتى»
(٣) اليباب الخراب . وفى الديوان « أقبرا » بدل « أعظما » وفى البيت لف ونشر مرتب «أحمد يوسف نجاتى» (٤) الشجو الحزن والهم ، والبلقع

وَلَقَدْ أَحَلَّنِي بِهٰذِهِ(١) الدِّيَارِ الْمَنْدُوبَةِ وَهِيَ كَعَهْدِهَا فِي جَوْدَةِ مَبْنَاهَا ، وَعَوْدَةِ سَنَاهَا ، فِي لَيْـلَةٍ اكْتَحَلْنَا ظَلَامَهَا إِثْمِدًا(٢) ، وَمَحَوْنَا بِهَا مِنْ نُفُوسِنَا كَمَدًا ، وَلَمْ يَزَلْ ذٰلِكَ الْأُنْسُ يَبْسُطُهُ ، وَالسُّرُورُ يُنَشِّطُهُ ، حَتَّى نَشَرَ لِي مَا طَوَاهُ(٣) وَبَثَّ مَكْتُومَ لَوْعَتِهِ وَجَوَاهُ ، وَأَعْلَمَنِي بِلَيَالِيهِ فِيهَا مَعَ أَتْرَابِهِ ، وَمَا قَضَى بِهَا مِنْ أَطْرَابِهِ . انْتَهَى مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارِي مِنْ كَلَامِ أَبِي نَصْرٍ الْفَتْحِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ فِي وَصْفِ بَعْضِ مُتَنَزَّهَاتِ الْأَنْدَلُسِ الْبَدِيعَةِ ، وَرِيَاضِهَا الْمُونِقَةِ الْمَرِيعَةِ(٤)

***

رسالة بتهنئة بعض ملوك الأندلس

وَمَا أَحْسَنَ رِسَالَةً لَهُ مُخْتَصَرَةً ، كَتَبَهَا مُهَنِّئًا بَعْضَ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ بِمَا مَنَحَهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ التَّمْكِينِ الَّذِي أَيَّدَهُ بِهِ وَنَصَرَهُ . وَقَدْ جَوَّدَ أَوْصَافَهُ ، وَاسْتَطْرَدَ مِنْهَا إِلَى ذِكْرِ النَّاصِرِ وَوَلَدِهِ الْحَكَمِ اللَّذَيْنِ عَمَرَا الزَّهْرَاءَ وَالرُّصَافَةَ ، وَنَصُّهَا :

القفر الخالية من السكان . والأشلاء جمع شلو أى عضو (١) فى القلائد « أحد » بدل « هذه » (٢) حجر الكحل وهو أسود الى حمره (٣) يعنى أفضى اليه بما كان يكتمه ويخفيه (٤) الخصبة ، ومرع الوادى « مثلثة الراء » مراعة ومرعا اذا كلأ وأخصب وأعشب كأمرع « وهو أكثر استعمالا »

أَدَامَ ٱللهُ تَعَالَى أَيَّامَ ٱلْأَمِيرِ لِلْأَرْضِ[١]، يَتَمَلَّكُهَا، وَيَسْتَدِيرُ بِسَعْدِهِ فَلَكُهَا، وَقَدِ ٱسْتَبْشَرَ ٱلْمُلْكُ ـ أَيَّدَكَ ٱللهُ ـ وَحُقَّ لَهُ ٱلِاسْتِبْشَارُ، فَقَدْ أَوْمَأَ إِلَيْهِ ٱلسَّعْدُ وَأَشَارَ، بِمَا ٱتَّفَقَ لَهُ مِنْ تَوْلِيَتِكَ، وَخَفَقَ عَلَيْهِ مِنْ أَلْوِيَتِكَ، فَلَقَدْ حُبِيَ مِنْكَ بِمَلِكٍ أَمْضَى مِنَ ٱلسَّهْمِ ٱلْمُسَدَّدِ[٢]، طَوِيلِ نِجَادِ ٱلسَّيْفِ رَحْبِ ٱلْمُقَلَّدِ[٣]، يَتَقَدَّمُ حَيْثُ يَتَأَخَّرُ ٱلذَّابِلُ[٤]، وَيَتَكَرَّمُ إِذَا بَخِلَ ٱلْوَابِلُ[٥]، وَيَحْمِي ٱلْحِمَى كَرَبِيعَةَ بْنِ مُكَدَّمٍ[٦]، وَيَسْقِي ٱلظُّبَا نَجِيعًا كَلَوْنِ ٱلْعَنْدَمِ[٧]، فَهَنِيئًا لِلْأَنْدَلُسِ فَقَدِ ٱسْتَرَدَّتْ عَهْدَ خُلَفَائِهَا: وَٱسْتَجَدَّتْ رُسُومَ تِلْكَ ٱلْإِمَامَةِ بَعْدَ عَفَائِهَا[٨]، فَكَأَنْ لَمْ تَمُتْ أَعَاصِرُهَا، وَلَمْ يَمُتْ حَكَمُهَا

(١) فى بعض النسخ « للأزمن » (٢) سدد السهم الى المرمى وجهه وصوبه (٣) هذه الفقرة شطر بيت، والمقلد موضع نجاد السيف على المنكبين (٤) الرمح (٥) المطر الغزير المنهمر (٦) فارس جاهلى مشهور وهو ربيعة ابن مكدم بن حدثان بن جذيمة بن علقمة بن فراس من بنى كنانة، والحمى ماحمى من الشيء ومنع « يحمى الحمى كربيعة بن مكدم » شطر بيت وشر الشعر وتضمين الأبيات وأشطرها فى رسائل ذلك العصر كان شائعا (٧) صبغ أحمر يسمى دم الأخوين كان يتخذ من قشر بعض الشجر الأحمر ودم الغزال (٨) زوال أثرها ومحوها « أحمد يوسف نجاتى »

وَلَا نَاصِرُهَا ، اللَّذَانِ عَمَرَا الرُّصَافَةَ وَالزَّهْرَا ، وَنَكَحَا عَقَائِلَ الرُّومِ (١) وَمَا بَذَلَا غَيْرَ الْمَشْرَفِيَّةِ (٢) مَهْرًا ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ أَسْأَلُهُ إِظْهَارَ أَيَّامِكَ ، وَبِهِ أَرْجُو انْتِشَارَ أَعْلَامِكَ ، حَتَّى يَكُونَ عَصْرُكَ أَجْمَلَ مِنْ عَصْرِهِمْ ، وَنَصْرُكَ أَغْرَبَ مِنْ نَصْرِهِمْ ، بِمَنِّهِ ، وَكَرَمِهِ وَيُمْنِهِ .

***

ترجمة الفقيه الحافظ عبد الحق ابن عطية

« وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي تَرْجَمَةِ الْفَقِيهِ الْقَاضِي الْحَافِظِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَطِيَّةَ (٣) صَاحِبِ

---

(١) أصل العقيلة الكريمة من النساء المخدرة النفيسة ، ثم استعمل فى الكريم من كل شىء من الذوات والمعانى ، يريد هنا بالعقائل المدن والمعاقل والحصون ، وشبهها بالعرائس ـ ومن هذا قول الشاعر ابن خطيب سوسة مهنئا تميم بن المعز بفتح مدينة قابس سنة ٤٨٩ :

ضحك الزمان وكان يلقى عابسا ... لما فتحت بحد سيفك قابسا
أنكحتها عذراء ما أمهرتها ... الاقنى وقواضبا وفوارسا
من كان بالبيض القواضب خاطبا ... كانت له بيض الثغور عرائسا

(٢) السيوف المشرفية نسبة الى مشارف الشام قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، أو هى من أرض اليمن ، والمشارف كل قرية بين بلاد الريف وجزيرة العرب لأنها أشرفت على السواد ، ويقال لها أيضا المزارع وقال أبو عبيدة : سيف البحر شطه ، وما كان عليه من المدن يقال لها المشارف تنسب اليها السيوف المشرفية (٣) تقدم القول فى بنى عطية وترجمة الامام

أُلتَّفْسِيرِ أُلشَّهِيرِ ، بَعْدَ كَلَامٍ كَثِيرٍ ، مَاصُورَتُهُ» : وَمَرَرْنَا فِي إِحْدَى نُزْهَتِنَا بِمَكَانٍ مُقْفِرٍ ، وَعَنْ أُلْمَحَاسِنِ مُسْفِرٍ ، وَفِيهِ بَكِيرُ نَرْجِسٍ كَأَنَّهُ عُيُونٌ مِرَاضٌ ، يَسِيلُ وَسَطَهُ مَاءٌ رَضْرَاضٌ (١) بِحَيْثُ لَاحِسَّ إِلَّا لِلْهَامِ (٢) وَلَا أُنْسَ إِلَّا مَايَتَعَرَّضُ لِلْأَوْهَامِ ، فَقَالَ :

نَرْجِسٌ بَاكَرْتُ مِنْهُ رَوْضَةً
لَذَّ قَطْعُ أُلدَّهْرِ فِيهَا وَعَذُبْ
حَثَّتِ أُلرِّيحُ بِهَا خَمْرَ حَيًا (٣)
رَقَصَ أُلنَّبْتُ لَهَا ثُمَّ شَرِبْ
فَغَدَا يُسْفِرُ عَنْ وَجْنَتِهِ   نَوْرُهُ أُلْغَضُّ وَيَهْتَزُّ طَرَبْ
خِلْتُ لَمْعَ أُلشَّمْسِ فِي مَشْرِقِهِ   لَهَبًا يَخْمُدُ مِنْهُ فِي لَهَبْ (٤)

عبد الحق بن عطية المتوفى بمدينة لورقة سنة ٥٤٢ (١) ماء رضراض أى مطرد يترقرق ، وماء رضراض « بالاضافة » أى يجرى على الرضراض وهو صغار الحصى ومادق منها يجرى عليه الماء . والرضراض القطر من المطر الصغار (٢) الهامة طائر من طير الليل صغير يألف المقابر ، قيل هو الصدى أو هو البومة (٣) غيث (٤) يروى صدر البيت : خلت لمع الشمس فى حافاته وعجزه فى القلائد : لهبا يحمله منه لهب . « أحمد يوسف نجاتى »

وَبيَاضَ ٱلطَّلِّ فِي صُفْرَتِهِ
نُقَطَ ٱلْفِضَّةِ فِي خَطِّ ٱلذَّهَبْ

ٱنْتَهَى .

وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى كَثِيرٌ مِنْ وَصْفِ بِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَمُتَنَزَّهَاتِهَا وَمَا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَحَاسِنِ فِي كَلَامِ غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ يَجْرِي ذِكْرُهُ فِي هَذَا ٱلْكِتَابِ ، وَخُصُوصًا أَدِيبَ زَمَانِهِ غَيْرَ مُدَافِعٍ ، مَنِ ٱعْتَرَفَ لَهُ أَهْلُ ٱلشَّرْقِ ، بِالسَّبْقِ ، وَأَهْلُ ٱلْمَغْرِبِ ، بِالْإِبْدَاعِ ٱلْمُغْرِبِ ، ٱلنُّورُ أَبُو ٱلْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ ٱلْعَنْسِيُّ[1] فَإِنَّهُ لَمَّا ٱتَّصَلَ بِمِصْرَ وَدَخَلَهَا ٱشْتَاقَ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَوَاطِنِ ٱلْأَنْدَلُسِيَّةِ ٱلرَّائِقَةِ ، وَوَصَفَهَا بِالْقَصَائِدِ وَٱلْمَقْطُوعَاتِ ٱلْفَائِقَةِ . وَقَدْ أَسْلَفْنَا أَيْضًا فِيمَا مَرَّ مِنْ هَذَا ٱلْكِتَابِ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَحَاسِنِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، فَلْيُرَاجَعْ فِي مَحَلِّهِ مِنْ هَذَا ٱلْكِتَابِ .

قُلْتُ: وَمَاذَا عَسَى أَنْ نَذْكُرَ مِنْ مَحَاسِنِ قُرْطُبَةَ وَٱلزَّاهِرَةِ وَٱلزَّهْرَاءِ أَوْ نَصِفَ مِنْ مَحَاسِنِ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلَّتِي تُبْصَرُ بِكُلِّ مَوْضِعٍ

(١) سبقت ترجمته ويأتي له حديث طويل « أحمد يوسف نجاتي »

مِنْهَا ظِلًّا صَافِيًا[١] وَنَهْرًا صَافِيًا وَزَهَرًا ، وَيَرْحَمُ اللهُ تَعَالَى أَدِيبَهَا الْمَشْهُورَ، الَّذِي اعْتَرَفَ لَهُ بِالسَّبْقِ الْخَاصَّةُ وَالْجُمْهُورُ، أَبَا إِسْحٰقَ بْنَ خَفَاجَةَ إِذْ قَالَ :

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ لِلّٰهِ دَرُّكُمُ
مَاءٌ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارُ

مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمُ
وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هٰذَا كُنْتُ أَخْتَارُ

لَا تَخْتَشُوا بَعْدَذَا أَنْ تَدْخُلُوا سَقَرًا[٢]
فَلَيْسَ تُدْخَلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

وَيُرْوَى مَكَانَ قَوْلِهِ « وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هٰذَا كُنْتُ أَخْتَارُ » مَا مِثَالُهُ « وَهٰذِهِ كُنْتُ لَوْ خُيِّرْتُ أَخْتَارُ » وَمَكَانَ لَا تَخْتَشُوا ، لَا تَحْسَبُوا ، وَكَذَا رَأَيْتُ بِخَطِّ الْحَافِظِ التَّنَسِيِّ[٣]

(١) ممتدا وارفاوسابغا كثيرا (٢) فيروى صدر البيت : لاتحسبوا فى غد أن تدخلوا سقرا (٣) نسبة الى تنس قرية بساحل افريقية بينها وبين البحر ميلان وكانت آخر افريقية مما يلي المغرب من أعمال تلمسان، بينها و بين وهران ٨ مراحل، منها جمال الدين محمد بن محمد التنسي — ويقال سبط التنسي — محدث اسكندري، كان له نسل منهم جماعة فضلاء آخرهم كان قاضي المالكية بمصر

وَٱلْأَوَّلُ رَأَيْتُهُ بِخَطِّ ٱلْعَلَّامَةِ ٱلْوَانْشَرِيشِيِّ(١) - رَحِمَهُمَا ٱللهُ تَعَالَى - وَحُكِيَ أَنَّ ٱلْخَلِيلِيَّ لَمَّا قَدِمَ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ رَسُولًا إِلَى سُلْطَانِ ٱلْمَغْرِبِ أَبِي عِنَانٍ(٢) فَارِسِ بْنِ ٱلسُّلْطَانِ أَبِي ٱلْحَسَنِ ٱلْمَرِينِيِّ أَنْشَدَ بِحَضْرَةِ ٱلسُّلْطَانِ ٱلْمَذْكُورِ

ناصر الدين أحمد بن التنسى. ومن أسلافهم أبو عبد الله محمد بن المعز التنسى ، ومحمد بن عبد الله التنسى من القرن التاسع ، وفى الأصل «الشمنى» بدل « التنسى » التى فى بعض النسخ « الشمنى نسبة الى شمن مزرعة ظاهر قسنطينة أو اسم قبيلة من العرب ينزلون هناك ،منها الفقيه شرف الدين محمد بن خلف الشمنى القسنطينى، وكان من المتصدرين بجامع عمرو لافراء مذهب الامام الشافعى ، وحفيده كمال الدين محمد بن محسن ممن أخذ عن الحافظ ابن حجر ، توفى سنة ٨٢١ وولده تقى الدين أحمد ولد سنة ٨٠١ روى عن والده وعن ابن حجر وغيرهما وله مصنفات مليحة « أحمد يوسف نجاتى »(١) أبو العباس أحمد بن يحيى الوانشريشى، أصله من تلمسان واستوطن مدينة فاس، وله تآليف حسان فى التاريخ والفقه وغيرهما ، وتوفى سنة ٩١٤ وابنه الفقيه أبو محمد عبد الواحد بن أحمد توفى سنة ٩٥٥ وهو منسوب الى وانشريش جبل بين مليانة وتلمسان من نواحى المغرب، وينسب اليه أيضا محمد بن عبد الله الوانشريشى الذى أعان محمد ابن تومرت على أمره يوم قام بدعوة عبد المؤمن بن على (٢) هو السلطان المتوكل على الله أبو عنان فارس بن السلطان أبى الحسن على بن عثمان ابن يعقوب بن عبد الحق المرينى، قام بالأمر بعد وفاة والده سنة ٧٥٢ وتوفى سنة ٧٥٩ وكان مولده فى ١٢ ربيع الأول سنة ٧٢٩ وأمه رومية اسمها شمس الضحى . « أحمد يوسف نجاتى » .

أَبْيَاتَ ٱبْنِ خَفَاجَةَ هَذِهِ كَالْمُفْتَخِرِ بِبِلَادِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، فَقَالَ ٱلسُّلْطَانُ أَبُو عِنَانٍ : كَذَبَ هَذَا ٱلشَّاعِرُ « يُشِيرُ إِلَى كَوْنِهِ جَعَلَهَا جَنَّةَ ٱلْخُلْدِ ، وَأَنَّهُ لَوْ خُيِّرَ لَاخْتَارَهَا عَلَى مَا فِي ٱلْآخِرَةِ » وَهَذَا خُرُوجٌ مِنْ رِبْقَةِ[١] ٱلدِّينِ ، وَلَا أَقَلَّ مِنَ ٱلْكَذِبِ وَٱلْإِغْرَاقِ ، وَإِنْ جَرَتْ عَادَةُ ٱلشُّعَرَاءِ بِذَلِكَ ٱلْإِطْلَاقِ ، فَقَالَ ٱلْخَلِيلِيُّ[٢] : يَامَوْلَانَا بَلْ صَدَقَ ٱلشَّاعِرُ لِأَنَّهَا مَوْطِنُ جِهَادٍ ، وَمُقَارَعَةٍ لِلْعَدُوِّ وَجِلَادٍ ، وَٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ٱلرَّءُوفُ ٱلْوَدُودُ ٱلرَّحِيمُ ٱلْعَطُوفُ - يَقُولُ : « ٱلْجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ ٱلسُّيُوفِ » فَاسْتَحْسَنَ مِنْهُ هَذَا ٱلْكَلَامَ ، وَرَفَعَ عَنْ قَائِلِ ٱلْأَبْيَاتِ ٱلْمَلَامَ ، وَأَجْزَلَ صِلَتَهُ ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ ،

---

(١) الربقة فى الأصل: عروة من عدة عرا فى حبل تشد به البهم الصغار من أيديها لئلا ترضع ، ويستعار لما يقيد به الانسان نفسه من شرع أو قانون ، ويروى عن حذيفة رضى الله عنه : «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » فاستعار الربقة للاسلام لما يشد به المسلم نفسه من عرا الدين ، ولحدوده التى يجب أن يقف عندها ولا يتعداها .

فليس كمهد الدار ياأم مالك ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

ولولا تلك الحدود لكان الانسان كالدابة المرسلة والبهيمة المهملة .
« أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) فى الأصل « الخايل » فى الموضعين ، وما أثبتناه هو مافى بعض المراجع

وَلَعَمْرِى إِنَّ هَذَا ٱلْجَوَابَ ، لَجَدِيرٌ بِالصَّوَابِ ، وَهَـكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَـكُونَ رُسُلُ ٱلْمُلُوكِ فِي ٱلِافْتِنَانِ ، رَوَّحَ ٱللهُ تَعَالَى أَرْوَاحَ ٱلْجَمِيعِ فِي ٱلْجِنَانِ .

***

تفوق أبي اسحاق ابن خفاجة في الوصف

وَأَبُو إِسْحٰقَ بْنُ خَفَاجَةَ[1] كَانَ أَوْحَدَ ٱلنَّاسِ فِي وَصْفِ ٱلْأَنْهَارِ، وَٱلْأَزْهَارِ، وَٱلرِّيَاضِ، وَٱلْحِيَاضِ، وَٱلرَّيَاحِينِ، وَٱلْبَسَاتِينِ . وَقَدْ سَبَقَ بَعْضُ كَلَامِهِ، وَيَأْتِى أَيْضًا مِنْهُ بَعْضٌ فِي أَثْنَاءِ ٱلْـكِتَابِ ، وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ :

وَكِمَامَةٍ[2] حَـدَرَ ٱلصَّبَاحُ قِنَاعَهَا
عَنْ صَفْحَةٍ تَنْدَى مِنَ ٱلْأَزْهَارِ
فِي أَبْطَحٍ رَضَعَتْ ثُغُورُ أَقَاحِـهِ
أَخْـلَافَ كُلِّ غَمَامَةٍ مِدْرَارِ

(١) ولد ابن خفاجة بجزيرة شقر من أعمال بلنسية سنة ٤٥٠ ونشأ بشرق الأندلس، ولم يتعرض لاستماحة ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب وتوفى سنة ٥٣٣ (٢) الـكمامة: غطاء النور ، وحدرها حسرها وكشفها ، والأخلاف جمع خلف وهو الضرع ، أو حلمته ، ومدرار أى كثيرة الدر أى اللبن ، أو من در اذا جرى وسال كثيرا ، ودرت السماء بالمطر اذا كثر مطرها فهى مدرار ، وكذا سحابة مدرار . « أحمد يوسف نجاتى »

نَثَرَتْ بِحِجْرِ ٱلْأَرْضِ(١) فِيهِ يَدُ ٱلصَّبَا
دُرَرَ ٱلنَّدَى وَدَرَاهِمَ ٱلنُّوَّارِ
وَقَدِ ٱرْتَدَى غُصْنُ ٱلنَّقَا، وَتَقَلَّدَتْ
حَلْيَ ٱلْحَبَابِ سَوَالِفُ ٱلْأَنْهَارِ(٢)
فَحَلَلْتُ حَيْثُ ٱلْمَاءِ صَفْحَةُ ضَاحِكٍ
جَذِلٍ، وَحَيْثُ ٱلشَّطُّ بَدْءُ عِذَارِ(٣)
وَٱلرِّيحُ تَنْفُضُ بُكْرَةً لِمَمَ ٱلرُّبَا
وَٱلطَّلُّ يَنْضَحُ أَوْجُهَ ٱلْأَشْجَارِ(٤)
مُتَقَسَّمَ ٱلْأَلْحَاظِ بَيْنَ مَحَاسِنٍ
مِنْ رِدْفِ رَابِيَةٍ وَخَصْرِ قَرَارِ
وَأَرَاكَةٍ سَجَعَ ٱلْهَدِيلُ بِفَرْعِهَا
وَٱلصُّبْحُ يُسْفِرُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ(٥)

(١) فى الديوان « الروض » (٢) ارتدى لبس الرداء واكتسى، والنقا الكثيب من الرمل، والسوالف جمع سالفة وهى مقدم العنق (٣) يصف الماء بالصفاء والشاطئ بالخضرة (٤) اللمة فى الأصل: الشعر المجاوز شحمة الأذن، سميت لمة لأنها تلم بالمنكبين، ونضحه اذا رشه (٥) الأراك شجر معروف يستاك بفروعه له حمل كعناقيد العنب، وسجع: غنى وغرد، والهديل ذكر الحمام، أو فرخه، والهديل أيضا صوته «أحمد يوسف نجاتى»

هَـــزَّتْ لَهُ أَعْطَافَهَا ، وَلَرُبَّمَـا
خَلَعَتْ عَلَيْهِ مُـلَاءَةَ الْأَنْوَارِ

وَقَوْلُهُ

سَقْياً لِيَوْمٍ قَدْ أَنَخْتُ بِسَرْحَةٍ
رَيَّا تُلَاعِبُهَا الرِّيَاحُ فَتَلْعَبُ (١)
سَـكْرَى ، يُغَنِّيهَا الْحَمَامُ فَتَنْثَنِي
طَرَباً ، وَيَسْقِيهَا الْغَمَامُ فَتَشْرَبُ
يَلْهُو (٢) فَتَرْفَـعُ لِلشَّبِيبَةِ رَايَةٌ
فِيهِ ، وَيَطْلُعُ لِلْبَهَارَةِ كَوْكَبُ
وَالرَّوْضُ وَجْهٌ أَزْهَرٌ ، وَالظِّلُّ فَرْ
عٌ أَسْوَدٌ ، وَالْمَاءُ ثَغْرٌ أَشْنَبُ (٣)
فِي حَيْثُ أَطْرَبَنَا الْحَمَامُ عَشِـيَّةً
فَشَـدَا يُغَنِّينَا الْحَمَامُ الْمُطْرِبُ

(١) السرحة : الشجرة الكبيرة العظيمة يستظل فيها ، أو السرح كل شجر لا شوك فيه ، والسرحة دوحة محلال واسعة يحل تحتها الناس فى الصيف ويبنون تحتها البيوت وظلها صالح (٢) قد تكون « نلهو » (٣) أزهر : مشرق وضىء ، والفرع الشعر التام ، والشنب : ماء ورقة تجرى على الثغر مع برد وعذوبة فى الفم . «أحمد يوسف نجاتى »

وَاُهْتَزَّ عِطْفُ اُلْغُصْنِ مِنْ طَرَبٍ بِنَا
وَافْتَرَّ عَنْ ثَغْرِ اُلْهِلَالِ اُلْمَغْرِبُ
فَكَأَنَّهُ وَاُلْحُسْنُ مُقْتَرِنٌ بِهِ
طَوْقٌ عَلَى بُرْدِ اُلْغَمَامَةِ مُذْهَبُ
فِي فِتْيَةٍ تَسْرِي فَيَنْصَدِعُ اُلدُّجَى
عَنْهَا، وَتَنْزِلُ بِالْجَدِيبِ فَيُخْصِبُ (١)
كَرُمُوا فَلَا غَيْثُ اُلسَّمَاحَةِ مُخْلِفٌ
يَوْمًا، وَلَا بَرْقُ اُللَّطَافَةِ خُلَّبُ (٢)
مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ لِلنَّعِيمِ بِوَجْهِهِ
مَاءٌ يُرَقْرِقُهُ اُلشَّبَابُ فَيَسْكُبُ (٣)

***

مدح أبي اسحاق للأمير أبي يحيى

وَقَالَ يَمْدَحُ اُلْأَمِيرَ أَبَا يَحْيَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ :

---

(١) انصدع أى انشق وانجلت ظلمته ، وانصدع الصبح اذا انشق عنه الليل والصديع الصبح لأنه يصدع الليل أى يشقه (٢) برق خلب لاغيث معه كأنه خادع خلاب ، يومض حتى تطمع بمطره، ثم يخلفك عدته (٣) يرقرقه أى يحركه ويجريه ، وترقرق الماء اذا تحرك وجاء وذهب، وترقرق الشيء اذا لمع ، والرقراقة: المرأة التي كأن الماء يجرى فى وجهها نضرة ونعمة وصبا ورفاهية « أحمد يوسف نجاتى »

سَمَحَ الْخَيَالُ عَلَى النَّوَى بِمَزَارِ
وَالصُّبْحُ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِ نَهَارِ
فَرَفَعْتُ مِنْ نَارِى لِضَيْفٍ طَارِقٍ
يَعْشُو إِلَيْهَا مِنْ خَيَالٍ طَارِى(١)
رَكِبَ الدُّجَى أَحْسِنْ بِهَا مِنْ مَرْكَبٍ
وَطَوَى السُّرَى أَحْسِنْ بِهِ مِنْ سَارِى(٢)
وَأَنَاخَ حَيْثُ دُمُوعُ عَيْنِى مَنْهَلٌ
يُرْوِى ، وَحَيْثُ حَشَاىَ مَوْقِدُ نَارِ
وَسَقَى فَأَرْوَى غُلَّةً مِنْ نَاهِلٍ
أَوْرَى بِجَانِحَتَيْهِ زَنْدَ أُوَارِ(٣)

(١) عشا النار وعشا اليها اذا رآها ليلا من بعيد فقصدها مستضيئا بها، يرجو بها هدى وخيرا أو اصطلاء وقرى (٢) أظن «أحسن» فى صدر البيت مصحفة عن «أخشن» كما فى قول أبى تمام :

أعاذلتى ماأخشن الليل مركبا وأخشن منه فى الملمات راكبه
دعينى وأهوال الزمان أقاسها فأهواله العظمى تليها رغائبه

الا اذا أراد بكون الدجا أحسن مركب أن خيال محبوبه زاره فيها ، وأن لها يدا فى ستر الزائر من المحب والمحبوب كما قال أبو الطيب :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب
وقاك ردى الأعداء تسرى اليهم وزارك فيه ذوالدلال المحجب

(٣) الغلة: شدة العطش وحرارته. والناهل العطشان، قال النابغة :

خَلَعَ ٱلْهَوَى ثَوْبًا عَلَيْهِ مِنَ ٱلضَّنَى
قَدْ شَفَّ عَنْهُ فَهْوَ كَاسٍ عَارِى

يَلْوِى ٱلضُّلُوعَ مِنَ ٱلْوُلُوعِ لِخَطْرَةٍ
مِنْ شَيْمِ بَرْقٍ أَوْ شَمِيمِ عَرَارِ(١)

وَٱللَّيْـلُ قَدْ نَضَحَ ٱلنَّدَى سِرْبَالَهُ
فَٱنْهَلَّ دَمْعُ ٱلطَّلِّ فَوْقَ صِدَارِ(٢)

الطاعن الطعنة يوم الوغى ينهل منها الأسل الناهل

والنهل أول الشرب ، والثانى العلل ، ونهلت الابل « كفرح » شربت فى أول الورد ، والأوار: حرارة العطش، مجاز عن الأوار حر النار و وهجها. والجانحة الضلع ، والجوانح أوائل الضلوع تحت الترائب مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر، أو الضلوع القصار التى فى مقدم الصدر، سميت بذلك لجنوحها على القلب، وأورى الزند استوقده: لاستخراج ناره « أحمد يوسف نجاتى »

(١) ولع به ولعا ، وولوعا فهو ولوع أى لج فيه وأغرى به ، وشام البرق اذا نظر اليه أين يقصد وأين يمطر ، والعرار بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وهو النرجس البرى ، وللصمة بن عبد الله القشيرى من أبيات :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

(٢) نضح رش. والسربال القميص ، وانهل انصب ، والطل المطر الضعيف والندى ، والصدار فى الأصل ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى، كانت نساء الأعراب تلبسه، وكانت الثكلى اذا فقدت حميمها فأحدت عليه لبست صدارا من صوف ، ويقال لما يلى الصدر من الدرع صدار ، أو هو قميص صغير يلى الجسد ، وفى المثل: كل ذات صدار خالة : أى من حق الرجل أن

مُتَرَقِّبٌ رُسُلَ ٱلرِّيَاحِ عَشِيَّةً
بِمَسَاقِطِ ٱلْأَنْوَاءِ وَٱلْأَنْوَارِ(١)

وَمَجَرِّ ذَيْلِ غَمَـــامَةٍ لَبِسَتْ بِهِ
وَشْيَ ٱلْحَبَابِ مَعَاطِفُ ٱلْأَنْهَارِ

خَفَقَتْ ظِلَالُ ٱلْأَيْكِ فِيهِ ذَوَائِبًا
وَٱرْتَجَّ رِدْفًا مَائِجِ(٢) ٱلتَّيَّارِ

وَلَوَى ٱلْقَضِيبُ هُنَاكَ جِيدًا أَتْلَعًا(٣)
قَدْ قَبَّلَتْهُ مَبَاسِمُ ٱلنُّوَّارِ

بَاكَرْتُهُ وَٱلْغَيْمُ قِطْعَةُ عَنْبَرٍ
مَشْبُوبَةٌ ، وَٱلْبَرْقُ لَفْحَةُ نَارِ(٤)

يغار على كل امرأة كما يغار على حرمه (١) الأنواء جمع نوء ، وهو في الأصل النجم اذا مال للمغيب ، ولا يكون نوء حتى يكون معه مطر ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد الى الأنواء ، وقد يسمى المطر نوءا مجازا (٢) في الأصل « مائل » والتيار موج البحر ولجته تسيل وتضطرب (٣) التلع طول العنق وفعله « كفرح وكرم » وجيد أتلع وتليع : طويل قال الأعشى :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيـ ـد تليع تزينه الأطواق

(٤) مشبوبة : موقدة ملتهبة تتأجج رائحتها وتتوهج ، ولفحة النار : وهجها

وَٱلرِّيحُ تَلْطِمُ[1] فِيهِ أَرْدَافَ ٱلرُّبَا
لَعِبًا ، وَتَلْثِمُ أَوْجُهَ ٱلْأَزْهَارِ
وَمَنَابِرُ ٱلْأَشْجَارِ قَدْ قَامَتْ بِهَا
خُطَبَاءُ مُفْصِحَةٌ مِنَ ٱلْأَطْيَارِ
فِي فِتْيَةٍ جَنَبُوا ٱلْعَجَاجَةَ لَيْلَةً
وَلَرُبَّمَا سَفَرُوا عَنِ ٱلْأَقْمَارِ[2]
ثَارَ ٱلْقَتَامُ بِهِمْ دُخَانًا ، وَٱرْتَمَى
زَنْدُ ٱلْحَفِيظَةِ مِنْهُمُ بِشَرَارِ[3]
شَاهَدْتُ مِنْ هَيْبَاتِهِمْ[4] وَهِبَاتِهِمْ
إِشْرَافَ أَطْوَادٍ وَفَيْضَ بِحَارِ

---

(١) فى الأصل « تطلع » (٢) يصفهم بالشجاعة والجمال ، والعجاجة الغبار يريد غبار الحرب (٣) القتام : الغبار . والحفيظة الحمية والغضب لحرمة تنتهك من حرمات المرء أو جار ذى قرابة يظلم من ذويه ، أو عهد ينكث أو نحو ذلك (٤) فى الأصل « من هيئاتهم » ويروى « هيباتهم » و « هباتهم » و « هماتهم » ففى البيت لف ونشر مرتب ، فأشراف الأطواد فى عجزه يعود الى الأول من صفتهم فى صدره ، والمألوف فى التشبيه بالأطواد « الجبال » اذا قصد الحلم أو الرزانة والوقار والثبات فيناسب ذلك « هيباتهم » أو القوة والصلابة والمتانة واحكام الخلق وشدة الأسر ، ويناسب ذلك « هباتهم » أو « هيئاتهم » . « أحمد يوسف نجاتى »

مِنْ كُلِّ مُنْتَقِبٍ بِوَرْدَةِ خَجْلَةٍ
كَرَمًا ، وَمُشْتَمِلٍ بِثَوْبِ وَقَارِ
فِي عِمَّةٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ لِلِمَّةٍ
وَذُؤَابَةٍ قُرِنَتْ بِهَا لِعِذَارِ
ضَافِي رِدَاءِ الْمَجْدِ ، طَمَّاحِ الْعُلَا
طَامِي عُبَابِ الْجُودِ ، رَحْبِ الدَّارِ (١)
جَرَّارِ أَذْيَالِ الْمَعَالِي وَالْقَنَا
حَامِي الْحَقِيقَةِ وَالْحِمَى وَالْجَارِ (٢)
طَرَدَ الْقَنِيصَ بِكُلِّ قَيْدِ طَرِيدَةٍ
زَجِلِ الْجَنَاحِ مُوَرَّدِ الْأَظْفَارِ (٣)

---

(١) العباب: معظم السيل وارتفاعه وكثرته ، أو الموج (٢) الحقيقة كل مايحق على المرء أن يحميه ويذود عنه ويجب عليه حفظه ومنعه ، قال عامر بن الطفيل :

لقد علمت عليا هوازن أنني أنا الفارس الحامى حقيقة جعفر

جعفر هنا القبيلة ، وعامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب «أحمد يوسف نجاتى » (٣) يصف خروجهم الى القنص بالبزاة وجوارح الطيور المعلمة كما كان عادة الملوك. والطرد مزاولة الصيد، وطردت الكلاب الصيد طردا : نحته وراهقته « والطريدة : ماطرد من الصيد ، ويحسن قراءة «طرد القنيص» بجعل طرد اسما ،واضافة القنيص اليه للمبالغة ومشاكلة

مُلْتَفَّةٍ أَعْطَافُهُ بِحَبِـــيرَةٍ
مَــكْحُولَةٍ أَجْفَانُهُ بِنُضَارِ(١)
يُرْمَى بِهِ ٱلْأَمَلُ ٱلْقَصِيُّ فَيَنْثَنِي
مَخْضُوبَ رَاءِ ٱلظُّفْرِ وَٱلْمِنْقَارِ(٢)

« قيد الأوابد » والقنيص والقنص الصيد المقنوص أى الصيد ، وقيد الطريدة كناية عن البازى القوى السريع يقيد الطريدة لسرعةادراكها ولحاقه اياها ، جعله قيدا لها لأنه سبقها فكأنه قيدها . وأقدم من سبق الى هذا الوصف امرؤ القيس فى قوله :

وقد أغتدى والطير فى وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

والزجل الصوت والجلبة والصوت الرفيع العالى ، وزجل الجناح كناية عن السرعة والقوة ، ومورد الأظفار : أحمرها لما يصبغها من دماء الفرائس

(١) الحبرة ضرب من برود اليمن ، والحبير البرد الموشى ذو الخطوط، وقد تكون « بحبيرة » مصغر حبرة ، ومادة « ح ب ر » تفيد معنى الحسن والبهاء والنقش والوشى ، ويقولون : لبس حبير الحبور ، واستوى على سرير السرور — والنضار : الذهب . وأحسن أنواع البزاة ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما كما قال الناشىء :

لو استضاء المرء فى ادلاجه بعينه كفته عن سراجه

ومن أنواع الصقور مايسمى باليؤيؤ ، وهو خفيف الجناح سريع الطيران قصير الذنب ، وفيه يقول الناشىء أيضا :

ويؤيؤ مهــذب رشيق كأن عينيه لدى التحقيق

☆ فصان مخروطان من عقيق ☆

(٢) راء . اما من الرؤية ، واما أنه يشبه ظفره ومنقاره بحرف « الراء » لأنهما معقوفان منحنيان ، وفيــه خيال بديع أن شبه مسمى الظـفر والمنقار بطرفى اسميهما، وقد شبه ابن المعتز المنقار برأس حرف الجيم

وَبِكُلِّ نَائِي ٱلشَّوْطِ أَشْدَقَ أَخْزَرٍ
طَاوِي ٱلْحَشَى حَالِي ٱلْمُقَلَّدِ ضَارِي(١)

يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ ٱلنِّصَالِ ، وَإِنَّمَا
يَمْشِي عَلَى مِثْلِ ٱلْقَنَا ٱلْخَطَّارِ(٢)

مُسْتَقْرِيًا أَثَرَ ٱلْقَنِيصِ عَلَى ٱلصَّفَا
وَٱللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ بِشَمْلَةِ قَارِ(٣)

---

(١) يصف كلاب الصيد المضراة ــ وأشدق أى واسع الشدق ، وأخزر من الخزر وهو ضيق العين وصغرها ، أو هو النظر الذى كأنه فى أحد الشقين. وفى الديوان « أصدر » وهو العظيم الصدر ، وهو أحسن مما هنا . والطاوى الضامر ، والمقلد موضع القلادة ، والضارى المعود الافتراس المغرى به (٢) يصف حدة أنيابه و يشبهها بالنصال كما قال أبو نواس :

كأنما الأظفور فى قرابه   موسى صناع رد فى قرابه

وله من أرجوزة أخرى

يطير فى الجد بلا جناح   يفتر عن مثل شبا الرماح

وكان أبو نواس من أوصف الشعراء لكلاب الصيد وجوارحه ، فقد لعب بالكلاب زمانا ، وعرف منها مالا تعرفه الأعراب ، وترى كثيرا من نعتها فى شعره ــ ولاسيما فى أراجيزه ــ مع جودة الطبع وحسن السبك والحذق بالصنعة « أحمد يوسف نجاتى » (٣) مستقريا متتبعا . والصفاة : الحجر الصلد الأملس الضخم الذى لاينبت ، وجمعه صفى وأصفاء وصفى ، و يصف فى عجز البيت شدة ظلام الليل ، والقار الزفت . والبيت يدل على شدة معرفة الكلب بآثار الصيد حتى فى صم الحجارة لتعوده ذلك ، و يدل على حدة نظره

مِنْ كُلِّ مُسْوَدٍّ تَلَهَّبُ طَرْفِهِ
تَرْمِيكَ فَحْمَتُهُ بِشُعْلَةِ نَارِ[1]
وَمُوَرَّسِ[2] السِّرْبَالِ يُخْلَعُ قَيْدُهُ
عَنْ نَجْمِ رَجْمٍ فِي سَمَاءِ غُبَارِ
يَسْتَنُّ فِي سَطْرِ الطَّرِيقِ وَقَدْ عَفَا
قِدْمًا فَتَقْرَأُ أَحْرُفَ الْآثَارِ[3]

(١) فى الديوان «تهديك» بدل «ترميك» يصف ألوان الكلاب ، فهو فى هذا البيت يصف كلبا أسود قد احمرت عيناه وتوقدتا ، كما قال أبو نواس :

كأن عينيه لدى ارتيابه فصا عقيق قد تقابلا به

(٢) يصف كلبا أصفر ، وخير الكلاب ما كان لونه يذهب الى ألوان الأسد من الصفرة والحمرة ، ثم الأسود ، قال الجاحظ وكل شيء من الحيوان اذا اسود شعره أو جلده أو صوفه كان أقوى لبدنه ــ والمورس الأصفر كأنه مصبوغ بالورس ، وهو نبات أصفر يصبغ به ، وأصفر وارس أى شديد الصفرة ، وورسه اذا صبغه بالورس ، والسربال القميص ، وشبهه فى عجز البيت بنجوم الرجم فى سرعة الانقضاض والقضاء على مايقع عليه ، و بسرعة العدو حتى يثير غبارا كالسماء ــ وراعى المناسبة بين النجم والسماء . وفى الأصل « نده » بدل « قيده » وفى بعض النسخ « قده » والغرض أنه متى فك من قيده أو متى أطلق نفسه وراء الصيد انقض كالنجم مثيرا غبارا يملأ الفضاء « أحمد يوسف نجاتى » (٣) يصف شدة وقعه على الأرض وتأثيره فيها بأظافره ، واستن اذا جرى يعدو فى غاية النشاط وسار على سننه فى جهة واحدة . وعفا اذا محى أثره ودرس

عَطَفَ ٱلضُّمُورُ سَرَاتَهُ فَكَأَنَّهُ
وَٱلنَّقْعُ يَحْجُبُهُ هِلَالُ سِرَارِ(١)

وَلَرُبَّ رَوَّاغٍ هُنَالِكَ أَنْبَطٍ
ذَلِقِ ٱلْمَسَامِعِ أَطْلَسِ ٱلْأَطْمَارِ(٢)

يَجْرِى عَلَى حَذَرٍ فَيُجْمَعُ بَسْطُهُ
يَهْوِى فَيَنْعَطِفُ ٱنْعِطَافَ سِوَارِ(٣)

مُمْتَدَّ حَبْلِ ٱلشَّأْوِ ، يَعْسِلُ رَائِغًا
فَيَكَادُ يُفْلِتُ أَيْدِىَ ٱلْأَقْدَارِ(٤)

(١) يصفه بالضمور ودقة الجسم وشدة الأسر ، وعطفه : حناه ، والسراة الظهر ، والنقع الغبار ، والسرار : آخر ليلة فى الشهر (٢) راغ الثعلب ونحوه اذا مال وحاد عن الشىء وانحرف فى استخفاء ، وراغ الصيد : ذهب هنا وهنا ، وفى المثل « أروغ من ثعلب » والأنبط ما كان ذا بياض تحت ابطه و بطنه ، وربما عرض النبط حتى يغشى البطن والصدر ، وذلق أى حاد . وفى الأصل « خلق » وخلق الشىء املاس ، والذلق أيضا القلق . والأطلس ما كان فى لونه غبرة الى السواد ، والأطمار جمع طمر وهو الثوب الخلق والكساء البالى ــ ومن هنا أخذ يصف ماترسل الكلاب أو البزاة خلفه لصيده من ثعلب أو ذئب أو طير ، ثم أحسن التخلص من ذلك الى المدح (٣) بين كيف يروغ وكيف ينقبض فى عدوه وينبسط (٤) الشأو : الغاية ، والأمد ، والسبق ، وعسل الثعلب أو الذئب أو الفرس « كضرب » اذا اضطرب فى عدوه وهز رأسه ، وفى الأصل « راتعا » بدل « رائغا » « أحمد يوسف نجاتى »

مُتَرَدِّدًا يَرْمِى بِهِ خَوْفُ ٱلرَّدَى
كُرَةً تَهَادَتْهَا أَكُفُّ قِفَارِ(١)
وَلَرُبَّ طَيَّارٍ خَفِيفٍ قَدْ جَرَى
فَشِلًا بِجَارٍ(٢) خَلْفَهُ طَيَّارِ
مِنْ كُلِّ قَاصِرَةِ ٱلْخُطَى مُخْتَالَةٍ
مَشْىَ ٱلْفَتَاةِ تَجُرُّ فَضْلَ إِزَارِ
مَخْضُوبَةِ ٱلْمِنْقَارِ، تَحْسَبُ أَنَّهَا
كَرَعَتْ عَلَى ظَمَإٍ بِكَأْسِ عُقَارِ
لَا تَسْتَقِرُّ بِهَا ٱلْأَيَادِى خَشْيَةً
مِنْ لَيْلِ وَيْلٍ أَوْ نَهَارِ بَوَارِ
وَلَوِ ٱسْتَجَارَتْ مِنْهُمَا بِحِمَى أَبِى
يَحْيَى لَأَمَّنَهَا أَعَزُّ جِوَارِ

---

(١) تهادتها أى تناولتها كأنها هدية ، وفى رواية « تهاداها » أى تتهاداها . وقد وصف أبونواس الثعلب وكيف أرسل وراء الكلب فصاده فى أرجوزة حسنة فى ديوانه أولها :

لما غدا الثعلب من وجاره   يلتمس الكسب على صغاره

بما استعان به الشاعر هنا من المعانى والألفاظ « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) فى الأصل « بشلا بجار » يقول ان هرب الطير لا ينفعها لأن خلفها جاريا أسرع منها « أحمد يوسف نجاتى ».

حَرَمٌ إِذَا اُشْتَمَلَ اُلطَّرِيدُ بِظِلِّهِ
لَمْ يَخْشَ مِنْ جَوْرٍ هُنَالِكَ جَارِى
خَـدَمَ اُلْقَضَاءُ مُرَادَهُ، فَـكَأَنَّمَا
مَلَـكَتْ يَدَاهُ أَعِنَّـةَ اُلْأَقْدَارِ
وَعَنَا[1] اُلزَّمَانُ لِأَمْرِهِ فَـكَأَنَّمَا
أَصْغَى اُلزَّمَانُ بِهِ إِلَى أَمَّارِ
وَجَلَا اُلْإِمَارَةَ فِي رَفِيفِ[2] نَضَارَةٍ
جَلَتِ اُلدُّجَى فِي حُلَّةِ اُلْأَنْوَارِ
فِي حَيْثُ وَشَّحَ لَبَّـةً بِقِلَادَةٍ
مِنْهَا، وَحَلَّى مِعْصَمًا بِسِوَارِ
جَذْلَانُ يَمْلَأُ مِنْحَةً وَبَشَاشَةً[3]
أَيْدِى اُلْعُفَاةِ وَأَعْيُنَ اُلزُّوَّارِ
أَرِجَ اُلنَّدِيُّ بِذِكْرِهِ، فَكَأَنَّهُ
مُتَنَفِّسٌ عَنْ رَوْضَةٍ مِعْطَارِ

---

(١) عنا يعنو اذا خضع وأطاع (٢) فى الأصل « رفيق » ولا بأس أن تكون « رقيق » ورف لونه رفيفا إذا برق وتلألأ . (٣) فى الأصل « منحه و بشاشه » يصفه بأنه يهش للعفاة ويشرق وجهه للزائرين . « أحمد يوسف نجاتى » .

بَطَلٌ جَرَى(١) ٱلْفَلَكُ ٱلْمُحِيطُ بِسَرْجِهِ
وَٱسْتَلَّ صَارِمَهُ يَدُ ٱلْمِقْدَارِ
بِيَمِينِهِ يَوْمَ ٱلْوَغَى وَشِمَالِهِ
مَا شَاءَ مِنْ نَارٍ وَمِنْ إِعْصَارِ(٢)
وَٱلسُّمْرُ حُمْرٌ ، وَٱلْجِيَادُ عَوَابِسٌ
وَٱلْجَوُّ كَاسٍ ، وَٱلسُّيُوفُ عَوَارِى(٣)
وَٱلْخَيْلُ تَعْثُرُ فِى شَبَا شَوْكِ ٱلْقَنَا
قَصِدًا ، وَتَسْبَحُ فِى ٱلدَّمِ ٱلْمَوَّارِ(٤)

(١) فى الأصل « حوى » وفى بعض النسخ « سرى » ولا بأس بها
(٢) الاعصار الريح التى فيها نار ، قال تعالى «فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت» والعصر المطر من المعصرات «السحائب التى فيها المطر» والعصر «بالتحريك» الملجأ والمنجاة ، وجمعهما أعصار (٣) كان صدر البيت فى الأصل والديوان « والشمس خمر والجياد عوابس » والسمر الرماح ، وحمرتها من الدم ، والبيت من قول الشاعر :

تبسمت والخيل العتاق عوابس   وأججتها والحرب لم تتأجج
فما وطئت إلا على هام سيد   ولا عثرت إلا برأس متوج

يصف الشاعر شدة الهول وقد شمرت الحرب عن ساقها «أحمد يوسف نجاتى»
(٤) الشبا جمع شباة وهى طرف كل شىء حاد ، وفى الديوان « وتظل » مكان « قصدا » وقصد العود اذا كسره ، وانقصد الرمح انكسر نصفين حتى يبين ، وصارت الرماح قصدا أى قطعا ، والقصدة من كل شجرة شائكة أن يظهر نباتها أول ماتنبت ، والقصدة القطعة مما يكسر ، وجمعه

وَالْبِيضُ تُحْنَى فِي الطُّلَى (١) فَكَأَنَّمَا
تُلْوَى عُرًى مِنْهَا عَلَى أَزْرَارِ
وَالنَّقْعُ يَكْسِرُ مِنْ سَنَى شَمْسِ الضُّحَى
فَكَأَنَّهُ صَدَأٌ عَلَى دِينَارِ
صَحِبَ الْحُسَامَ النَّصْرُ صُحْبَةَ غِبْطَةٍ
فِي كَفِّ صَوَّالٍ بِهِ سَوَّارِ (٢)
لَوْ أَنَّهُ أَوْمَى (٣) إِلَيْهِ بِنَظْرَةٍ
يَوْمًا لِثَارٍ فَلَمْ يَنَمْ عَنْ ثَارِ
وَمَضَى (٤) وَقَدْ مَلَكَتْهُ هِزَّةُ عِزَّةٍ
تَحْتَ الْعَجَاجِ وَضِحْكَةُ اسْتِبْشَارِ

وَقَالَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ :

قصد ، ورمح قصد وقصيد أى متكسر ، ومار الدم سال وجرى على وجه الأرض ، والمور الموج والاضطراب والجريان على وجه الأرض والتحرك (١) الطلى الأعناق أو أصولها وصفحاتها ، جمع طلية أو طلاة ، وفى الأصل « تجنى » مكان « تحنى » (٢) سورة السلطان: بطشه وسطوته ، وسار الرجل : وثب وثار (٣) أو ما مخفف من أومأ أى أشار ، وفى بعض النسخ « أوحى » يصف هيبة الممدوح وقوة بأسه ، وأن السيف يخضع لاشارته ، ويعمل بنظرته ، وينتصر بعزته وصولته « أحمد يوسف نجاتى » (٤) فى الأصل « وقضى » وفى بعض النسخ « نخوة » مكان « عزة »

وَأَرَاكَةٍ ضَرَبَتْ سَمَاءً فَوْقَنَا
تَنْدَى، وَأَفْلَاكُ ٱلْـكُؤُوسِ تُدَارُ
حَفَّتْ بِدَوْحَتِهَا مَجَرَّةُ جَـدْوَلٍ
نَثَرَتْ عَلَيْـهِ نُجُومَهَا ٱلْأَزْهَارُ
وَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ جَـدْوَلَ مَائِهَا
حَسْنَاءُ شُدَّ بِخَصْرِهَا زُنَّارُ
زَفَّ ٱلزُّجَاجُ بِهَا عَرُوسَ مُدَامَةٍ
تُجْلَى، وَنُوَّارُ ٱلْغُصُونِ نِثَارُ
فِي رَوْضَةٍ جُنْحُ ٱلدُّجَى ظِلٌّ بِهَا
وَتَجَسَّمَتْ نُورًا بِهَا ٱلْأَنْوَارُ
غَنَّاءُ يَنْشُرُ وَشْيَهُ ٱلْبَزَّازُ لِي
فِيهَا، وَيَفْتِقُ مِسْـكَهُ ٱلْعَطَّارُ(١)
قَامَ ٱلْغِنَاءُ بِهَا وَقَدْ نَضَحَ ٱلنَّـدَى
وَجْهَ ٱلثَّرَى وَٱسْتَيْقَظَ ٱلنُّوَّارُ

---

(١) البزاز: بائع البز أي الثياب، وفتق المسك اذا خلطه بغيره كالعنبر اذا طيبه وخلطه بعود وغيره، والعطار: بائع العطر «أحمد يوسف نجاتى»

وَالْمَاءُ مِنْ حَلْيِ الْحُبَابِ مُقَلَّدٌ
زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبَهَا الْأَشْجَارُ[1]

وَقَالَ مُلْتَزِمًا مَالَا يَلْزَمُ[2] :

(١) مقلد ذو قلائد وفى الأصل والديوان « الحياء » بدل « الحباب » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) لزوم مالايلزم « ويسمى الالتزام والتضمين والتشديد والاعنات » هو من المحسنات البديعية اللفظية : وهو أن يأتى الشاعر فى أبيات شعره بحرف يلتزمه قبل حرف الروى ــ أو فى فواصل سجعه كذلك ــ أو أكثر من حرف مع عدم التكلف ، فابن عمار التزم فى أبياته حرف الراء قبل حرف الروى «الهمزة» والألف اللازمة، وهو إنما يحسن كغيره من المحسنات اللفظية اذا كان غير متكلف، وكانت الألفاظ فيه تابعة للمعانى ، فان المعانى إذا تركت على سجيتها، وأسلمها الشاعر البليغ إلى الطبع طلبت لأنفسها ألفاظا تليق بها وتجلى فى معرضها ، فيحسن اللفظ والمعنى جميعا ، أما إذا جاءت الألفاظ متكلفة ، واقتسرت على أن تحل مواضع نابية بها تصنعا، وجاءت المعانى تابعة لها مرغمة على البروز فيها كان الكلام مموه الظاهر ،مشوه الباطن، كمن أثقل الفتاة التى لم ترزق حظا من الجمال بأنواع الحلى والحلل ، وأرهقها بكثرة الزينة والنقش، فلم يفدها ذلك غناء ولم يكسبها جمالا ولا بهاء ، ولله در ابن الرومى إذ يقول :

وما الحلى إلا زينة لنقيصة ... يتمم من حسن إذا الحسن قصرا
ولكن إذا كان الجمال موفرا ... كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا

وما أحسن قول الآخر :

وإذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

ولأبى العلاء المعرى ديوان اللزوميات وهو مشهور ،ولم يخل فيه من تكلف « أحمد يوسف نجاتى »

خُذْهَا إِلَيْكَ ، وَإِنَّهَا لَنَظِيرَةٌ[1]
طَرَأَتْ عَلَيْكَ قَلِيلَةُ ٱلنُّظَرَاءِ
حَمَلَتْ وَحَسْبُكَ بَهْجَةً مِنْ نَفْحَةٍ
عَبَقَ ٱلْعَرُوسِ وَخَجْلَةُ ٱلْعَذْرَاءِ
مِنْ كُلِّ وَارِسَةِ ٱلْقَمِيصِ كَأَنَّمَا
نَشَأَتْ تُعَلُّ بِرِيقَةِ ٱلصَّفْرَاءِ
نَجَمَتْ تَرُوقُ بِهَا نُجُومٌ حَسْبُهَا[2]
بِالْأَيْكَةِ ٱلْخَضْرَاءِ مِنْ خَضْرَاءِ
وَأَتَتْكَ تُسْفِرُ عَنْ وُجُوهٍ طَلْقَةٍ
وَتَنُوبُ مِنْ لُطْفٍ عَنِ ٱلسُّفَرَاءِ[3]
يَنْدَى بِهَا وَجْهُ ٱلنَّدِيِّ ، وَرُبَّمَا
بَسَطَتْ هُنَالِكَ أَوْجُهَ ٱلسَّرَّاءِ[4]

(١) لعله يريد أن لها نظائر منه قد سبق أن مدح بها ممدوحه وسيلحقها بمثلها وشبهها فى الحسن ، وليس مدحه إياه مقصورا على هذه وحسب ، وفى نسخة «نضيرة» والمعنى عليها أنضر وأظهر «أحمد يوسف نجاتى»
(٢) فى الأصل «حسنها» والخضراء الأخيرة «السماء» (٣) فى الأصل «الشعراء» (٤) فى الأصل «يندى بها وجه الندى ولربما» وفى بعض الروايات ، عجز البيت «بسطت هناك أسرة السراء» والأسرة جمع

فَاسْتَضْحَكَتْ وَجْهَ الدُّجَى مَقْطُوعَةٌ
جُمِلَتْ جَمَالَ الْغُرَّةِ الْغَرَّاءِ

وَقَالَ أَيْضًا :

وصَدْرِ نَادٍ نَظَمْنَا لَهُ الْقَوَافِيَ عِقْدَا
فِي مَنْزِلٍ قَدْ سَحَبْنَا بِظِلِّهِ الْعِزَّ بُرْدَا
قَدْ طَنَّبَ الْمَجْدُ بَيْتًا فِيهِ ، وَعَرَّسَ وَفْدَا
تَذْكُو بِهِ الشُّهْبُ جَمْرًا وَيَعْبَقُ اللَّيْلُ نَدَّا
وَقَدْ تَأَرَّجَ نَوْرٌ غَضٌّ يُخَالِطُ وَرْدَا
كَمَا تَنَفَّسَ(١) ثَغْرٌ عَذْبٌ يُقَبِّلُ خَدَّا

***

وصف متنزه

وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ يَصِفُ مُتَنَزَّهًا :

يَا رُبَّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّمَا
رَسْمُ الْعِذَارِ بِصَفْحَتَيْهِ كِتَابُ

سرار ، وهو خط الوجه والجبهة ، ويجمع أسرة على أسارير. وفي حديث عائشة رضى الله عنها فى صفته صلى الله عليه وسلم : تبرق أسارير وجهه ، وبسط الأسرة كناية عن السرور والبشر والطلاقة (١) ويروى «تبسم» كما فى الديوان وهو أحسن . « أحمد يوسف نجاتى »

تُغْرَى بِطَلْعَتِهِ ٱلْعُيُونُ مَهَابَةً (١)
وَتَبِيتُ تَعْشَقُ عَقْلَهُ ٱلْأَلْبَابُ

خُلِعَتْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلصَّبَاحِ غِلَالَةٌ
تَنْدَى، وَمِنْ شَفَقِ ٱلْمَسَاءِ (٢) نِقَابُ

فَكَرَعْتُ مِنْ مَاءِ ٱلصِّبَا فِي مَنْهَلٍ
قَدْ شَفَّ عَنْهُ مِنَ ٱلْقَمِيصِ سَرَابُ (٣)

فِي حَيْثُ لِلرِّيحِ ٱلرُّخَاءِ تَنَفُّسٌ
أَرِجٌ، وَلِلْمَاءِ ٱلْفُرَاتِ عُبَابُ (٤)

وَلَرُبَّ غَضٍّ ٱلْجِسْمِ مَرَّ (٥) بِخَوْضِهِ
سَبْحًا كَمَا شَقَّ ٱلسَّمَاءَ شِهَابُ

(١) كذا بالأصل والديوان وفى نسخة «ملاحة» (٢) فى الأصل والديوان « السماء » (٣) شف عنه الثوب إذا نم على ماتحته، أو إذا قصر عنه، وشف الثوب يشف إذا رق فحكى ماتحتــه ورئى ماخلفه. وفى الديوان « شق » وفى موضع آخر منه يروى البيت هكذا :

وبعطفيــه للشبيبــة منهــل قد شف عنه من القميص سراب

(٤) الرخاء الريح اللينة طيبة الهبوب، والفرات الشديد العذوبة القامع للعطش لشدة عذوبته، سمى بذلك لأنه يرفت العطش أى يسكنه ويكسر سورته، والعباب معظم السيــل وارتفاعه وكثرته أو موجه المتلاطم (٥) فى الأصل « مد » وفى الديوان « مد بخوضه صبحا » وجسم

وَلَقَدْ أَنَخْتُ بِشَاطِئَيْهِ يَهُزُّنِي
طَرَبًا شَبَابٌ رَاقَنِي وَشَرَابُ
وَعَبَرْتُ(١) دِجْلَتَهُ يُضَاحِكُنِي بِهَا
مَرَحًا حَبِيبٌ شَاقَنِي وَحَبَابُ
تُجْلَى مِنَ الدُّنْيَا عَرُوسٌ بَيْنَنَا
حَسْنَاءُ تُرْشَفُ وَالْمُدَامُ رُضَابُ
ثُمَّ ارْتَحَلْتُ وَلِلنَّهَارِ ذُؤَابَةٌ
شَيْبَاءُ(٢) تُخْضَبُ وَالظَّلَامُ خِضَابُ

غض أى ناعم رقيق ناضر (١) فى الأصل «وبكيت» وكذا بالديوان وفى موضع آخر منه « وركبت » وهى مثل « عبرت » (٢) قالوا هو أشيب على غير قياس لأن هذا النعت انما يكون من باب « فرح » وشرطه الدلالة على العيوب أو الألوان أو الحلى ، والأشيب المبيض الرأس، ولعلهم جعلوه وصفا من المصائب الخلقية كالأعمى والأعرج فعدوه من العيوب :

تعيب الغانيات على شيبي ومن لى أن أمتع بالمعيب

* * *

كفى الشيب عيبا أن صاحبه إذا أردت به وصفا له قلت أشيب
وكان قياس الأصل لو قلت شائبا ولكنه فى جملة العيب يحسب

ولكنهم لم يقولوا منه « شيباء » فلم يؤنثوه على فعلاء بل أهملوه ولم يرد فى كلام من بعدهم ، اكتفوا «بالشمطاء» عن « الشيباء » ولكن ابن خفاجة استعمله . وقدتكون مصحفة عن «شهباء» وفى الأصل «والنهار

تَلْوِى مَعَاطِفَ ٱلصَّبَابَةُ وَٱلصِّبَا
وَٱللَّيْلُ دُونَ ٱلْكَاشِحِينَ(١) حِجَابُ

وَقَالَ :

مَرَّ بِنَا وَهُوَ بَدْرُ تِمٍّ(٢) يَسْحَبُ مِنْ ذَيْلِهِ سَحَابَا
بِقَامَةٍ تَنْثَنِي قَضِيباً وَغُرَّةٍ تَلْتَظِي شِهَابَا
يَقْرَأُ وَٱللَّيْلُ مُدْلَهِمٌّ(٣) لِنُورِ إِجْلَائِهِ كِتَابَا
وَرُبَّ لَيْلٍ سَهِرْتُ فِيهِ أَزْجُرُ مِنْ جُنْحِهِ غُرَابَا(٤)
حَتَّى إِذَا ٱللَّيْلُ مَالَ سُكْرًا وَشَقَّ سِرْبَالَهُ وَجَابَا(٥)
وَحَامَ مِنْ سُدْفِهِ غُرَابٌ طَالَتْ بِهِ سِنُّهُ فَشَابَا(٦)

خضاب» بدل « والظلام » فهو المناسب للخضاب الذى يدل عليه السياق ويؤيده البيت بعده « أحمد يوسف نجاتى » (١) الكاشح : من يضمر العداوة ويتولى عنك بوده ، والعدو المبغض، كأنه يطوى العداوة فى كشحه « أى خصره وجانبى بطنه » وفيه كبده والكبد بيت العداوة والبغضاء . ومنه قيل للعدو أسود الكبد كأن نار الحقد أحرقت كبده أو كأنه يوليك كشحه ويعرض عنك بوجهه. « أحمد يوسف نجاتى » (٢) بدر تم وتمام يقال ذلك للبدر إذا تم امتلاؤه ليلة البدر فبهر (٣) ادلهم الظلام إذا اشتد وكثف (٤) فى الأصل والديوان « نكابا » ؟ والجنح من الليل الطائفة منه أو أوله ، وقد يطلق على ظلامه (٥) جاب الشىء : خرقه ونقبه وقطعه (٦) السدفة: الظلمة كالسدف ، أوالسدفة ظلمة فيها ضوء من أول الليل وآخره مابين الظلمة إلى الشفق ومابين الفجر إلى الصلاة

ازْدَدْتُ مِنْ لَوْعَتِي خَبَالًا[١] فَحَثَّ مِنْ غُلَّتِي شَرَابَا
وَمَا خَطَا قَادِمًا فَوَافَى حَتَّى أَنْثَنَى نَاكِصًا فَآبَا[٢]
وَبَيْنَ جَفْنَيَّ بَحْرُ شَوْقٍ يَعُبُّ فِي وَجْنَتِي عُبَابَا
قَدْ شُبَّ فِي وَجْهِهِ شُعَاعٌ وَشُبَّ[٣] عَنْ قَلْبِيَ الْتِهَابَا
وَرَوْضَةٍ طَلْقَةٍ حَيَاءَ غَنَّاءَ مُخْضَرَّةٍ جَنَابَا[٤]
يَنْجَابُ عَنْ نَوْرِهَا كِمَامٌ يَحُطُّ عَنْ وَجْهِهِ نِقَابَا[٥]
بَاتَ بِهَا مَبْسِمُ الْأَقَاحِي يَرْشُفُ مِنْ طَلِّهَا رُضَابَا[٦]
وَمِنْ خُفُوقِ الْبُرُوقِ فِيهَا أَلْوِيَةٌ حُمِّرَتْ خِضَابَا

و يروى صدر البيت « وحام فى سدفة غراب » وهى أرجح لأنه لا يقال سدف بل « سدف » « بفتح الدال، إلا إذا كانت سدف اسم جنس جمعيا واحده سدفة » والشاعر يريد بهذا البيت وماقبله إقبال الصباح بعد ليل طويل قضاه ساهدا حتى شاب غرابه ، وشيب الغراب كما تعرف مستحيل، ففى البيت مبالغة فى طول الليل مع حسن تعليل (١) ويروى « جثت » والخبال العناء والهلاك وفساد العقل ، واللوعة : حرقة فى القلب وألم يشعر به ذو الحب أو الهم أو المرض أو نحو ذلك ، و يقرب من معنى البيت قول امرىء القيس :

* وما الإصباح منك بأمثل *

(٢) نكص إذا رجع على عقبيه عائدا ، وفعله « كضرب ونصر » (٣) ويروى « فى قلبى » وفى الديوان « عن قلبه » . « أحمد يوسف نجاتى » (٤) الجناب الناحية والفناء كالجانب (٥) انجاب انشق وانكشف ، والكمام جمع كم وهو غلاف النور وعطاؤه (٦) الأقاحى جمع أقحوان والرضاب الريق

كَأَنَّمَا أَنمُلٌ وِرَادٌ[1] تَحْصُرُ قَطْرَ الْحَيَا حِسَابَا

وَلَهُ :

رَحَلْتُ عَنْكُمْ وَلِي فُؤَادٌ تُنْقِضُ[2] أَضْلاَعُهُ حَنِينَا
أَجُودُ فِيكُمْ بِعِلْقِ[3] دَمْعٍ كُنْتُ بِهِ قَبْلَكُمْ ضَنِينَا
يَثُورُ فِي وَجْنَتَيَّ جَيْشًا وَكَانَ فِي جَفْنِهِ كَمِينَا
كَأَنَّنِي بَعْدَكُمْ شِمَالٌ قَدْ فَارَقَتْ مِنْكُمُ يَمِينَا

وَقَالَ :

فَيَا لَشَجَا قَلْبٍ[4] مِنَ الصَّبْرِ فَارِغٍ !
وَيَا لَقَذَى طَرْفٍ مِنَ الدَّمْعِ مَلْآنِ !

---

(١) جمع ورد أى أحمر ، والحيا: الغيث (٢) أنقض أى صوت، والنقيض من الأصوات مايكون لمفاصل الانسان وأضلاعه وأصابعه ونحوها . وفى التنزيل : « الذى أنقض ظهرك » أى أثقله حتى جعله نقضا أى مهزولا ، أو أثقله حتى سمع نقيضه أى صوته — ويصح أن يكون «تنقض» تنفعل من قضض لامن « نقض» قض الشيء اذا كسره ودقه، وانقض الجدار إذا تصدع، وقض الحائط: هدمه بالعنف ، ولكن الأولى أن يكون من الأول فهو المستعمل كثيرا فى صوت الأضلاع ونحوها، وفى الأصل والديوان « تنفض » «أحمد يوسف نجاتى» (٣) نفيس ثمين غال يضن به (٤) ويروى « فيالشجى صدر » كما يروى « جفن » فى عجز البيت بدل « طرف » والمعنى واحد، واذا فرغ القلب من الصبر، وضاق بالشجو الصدر، قذيت العين بكثرة الدموع ، ونبا الطرف عن الهجوع . « أحمد يوسف نجاتى » .

أو الريق المرشوف ، ورضب ريقها اذا رشفه وامتصه

وَنَفْسٍ إِلَى جَوِّ الْكَنِيسَةِ صَبَّةٍ وَقَلْبٍ إِلَى أُفْقِ الْجَزِيرَةِ حَنَّانِ

تَعَوَّضْتُ مِنْ وَاهاً بِآهٍ ، وَمِنْ هَوًى
بِهُونٍ، وَمِنْ إِخْوَانِ صِدْقٍ بِخُوَّانِ(١)

وَمَا كُلُّ بَيْضَاءٍ تَرُوقُ بِشَحْمَةٍ(٢)
وَمَا كُلُّ مَرْعًى تَرْتَعِيهِ بِسَعْدَانِ

فَيَالَيْتَ شِعْرِى هَلْ لِدَهْرِى عَطْفَةٌ
فَتَجْمَعَ أَوْطَارِى عَلَىَّ وَأَوْطَانِى! ؟

مَيَادِينُ أَوْطَارِى ، وَبَلْدَةُ(٣) لَذَّتِى
وَمَنْشَأُ تَهْيَامِى ، وَمَلْعَبُ غِزْلَانِى

---

(١) « واها » كلمة تعجب من طيب الشيء وحسنه تقول : واهاله ما أطيبه كما قال أبو النجم :

واها لسلمى ثم واها واها نلنا المنى لو أننا نلناها الخ

أما « آه » فكلمة تقال عند التوجع والتألم ، والهون الذل والعذاب والهوان

(٢) فى الأصل « بروق » ولعله مبالغة من « برق » أى أضاء ، وصدر البيت من المثل « ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة » وقال أبو الهذيل زفر بن الحرث الكلابى « وهو من التابعين » :

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالى لاقينا جذام وحميرا

أى كنا نطمع فى أمر فوجدناه على خلاف ما كنا نظن . وتقدم شرح المثل « مرعى ولا كالسعدان » قريبا . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) فى الأصل والديوان « ولذة لذتى » ويروى « وموطن » « أحمد يوسف نجاتى »

كَأَنْ لَمْ يَصِلْنِي فِيهِ ظَبْيٌ يَقُومُ لِي
لَمَاهُ (١) وَصُدْغَاهُ بِرَاحِي وَرَيْحَانِي
فَسَقْيًا لِوَادِيهِمْ وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا
أَبِيتُ لِذِكْرَاهُ بِغُلَّةِ (٢) ظَمْآنِ
فَكَمْ يَوْمِ لَهْوٍ قَدْ أَدَرْنَا بِأُفْقِهِ
نُجُومَ كُؤُوسٍ بَيْنَ أَقْمَارِ نُدْمَانِ
وَلِلْقُضْبِ وَالْأَطْيَارِ مَلْهًى بِجَزْعِهِ (٣)
فَمَا شِئْتَ مِنْ رَقْصٍ عَلَى رَجْعِ أَلْحَانِ
وَبِالْحَضْرَةِ الْغَرَّاءِ غِرٌّ عَلِقْتُهُ (٤)
فَأَحْبَبْتُ حُبًّا فِيهِ قُضْبَانَ نُعْمَانِ

(١) اللمى سمرة فى الشفة كانوا يستحسنونها ، وفى البيت لف ونشر مرتب
(٢) الغلة شدة العطش وحرارته ، وفى معنى البيت قول المرحوم محمود باشا سامى البارودى :

أدعو إلى الدار بالسقيا و بى ظمأ   أحق بالرى ، لكنى أخو كرم

(٣) فى الأصل والديوان « بجرعة » وجزع الوادى : منعطفه أو وسطه أو منقطعه أو منحناه، أو ما اتسع من مضايقه ، أو لا يسمى جزعا حتى تكون له سعة تنبت الشجر وغيره — ويروى « بأفقه » وهو ألطف (٤) الغر : الحدث السن الذى لا تجربة له ، والغرة الفتاة الشابة لم تجرب الأمور ولم

رَقِيقُ ٱلْحَوَاشِي ، فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهِ
وَمَنْطِقِهِ مَسْلَى قُلُوبٍ وَآذَانِ(١)

أَغَارُ لِخَدَّيْهِ عَلَى ٱلْوَرْدِ كُلَّمَا
بَدَا ، وَلِعِطْفَيْهِ عَلَى أَغْصُنِ ٱلْبَانِ

وَهَبْنِيَ أَجْنِي وَرْدَ خَدٍّ بِنَاظِرِي   فَمَنْ أَيْنَ لِي مِنْهُ بِتُفَّاحِ لُبْنَانِ

يُعَلِّلُنِي مِنْـهُ بِمَوْعِـدِ رَشْـفَةٍ
خَيَالٌ لَهُ يُغْرَى بِمَطْلٍ وَلَيَّانِ(٢)

حَبِيبٌ عَلَيْهِ لُجَّةٌ مِنْ صَوَارِمٍ
عَلَاهَا حَبَابٌ مِنْ أَسِنَّةِ مُرَّانِ(٣)

تكون تعلم ماتعلم النساء من الحب ، ويقال فيها أيضا غرير وغريرة ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولقد لهـوت بطفـلة ميالة   بلهاء تطلعني على أسرارها

أراد أنها غر لادهاء لها فهي تخبره بأسرارها ولاتفطن لما عليها في ذلك « أحمد يوسف نجاتي(١) » رقيق الحواشي أي دمث الطباع سهل الأخلاق، لطيف المعاشرة ، وفي البيت بعد ذلك لف ونشر مرتب .

(٢) لواه دينه وبدينه ليا وليانا « وفتح اللام في ليان أشهر » اذا مطله ، وقال ذو الرمة :

تطيلين ليـانى وأنت مليـئـة   وأحسن ياذات الوشاح التقاضيا

ومليئـة أي غنيـة غير محتاجـة الى المطال فليانك بخـل وضن بالحق . « أحمد يوسف نجاتي » (٣) المران : الرماح الصلبة اللدنة واحدة مرانة ،

تَرَاءَى لَنَا فِى مِثْلِ صُورَةِ يُوسُفٍ
تَرَاءَى لَنَا فِى مِثْلِ مُلْكِ سُلَيْمَانِ
طَوَى بُرْدُهُ مِنْهَا صَحِيفَةَ فِتْنَةٍ
قَرَأْنَا لَهَا مِنْ وَجْهِهِ سَطْرَ عُنْوَانِ

وفى معنى البيت قول الطغرائى :

يحمون بالبيض والسمر اللدان به سود الغدائر حمر الحلى والحلل

وصف حللهن بالحمرة لأن الأحمر يزيد الحسن بهجة وحسنا ، كما قيل :

هجان عليها حمرة فى بياضها تروق به العينين والحسن أحمر

والهجان: الخيار من كل شىء، وللسراج الوراق .

من البيض تمشى البيض حول خبائها شبيهة نومى ليس يأوى الى جفن
غزالة أنس والرماح كناسها ومن حولها قوم يخالون كالجن
لهم غيرة قد ساء بالطيف ظنها فضنوا عليها بالكرى خيفة الظن

وله أيضا وقد أحسن :

ومحجوبة أما الدجا فغدائر عليها ، وأما الصبح فهو جبينها
عجبت لمسرى الطيف لى من كناسها ومن حوله أسد الشرى وعرينها

ولابن النبيه :

وفى الكلة الحمراء بيضاء طفلة بزرق عيون السمر يحمى احورارها
أثار لها نقع الجياد سرادقا به دون ستر الخدر عنا ستارها

وما أجود قول بعضهم فى هذا المعنى :

وأرى لليلى العامرية منزلا بالجود يعرف والندى أصحابه
قد أشرعت بيض الصوارم والقنا من حوله فهو المنيع حجابه
وعلى حماه جلالة من أهله فلذاك طارقة العيون تهابه

والقول فى هذا المعنى كثير لانطيل به . « أحمد يوسف نجاتى » .

مَحَبَّتُهُ دِينِي ، وَمَثْوَاهُ كَعْبَتِي
وَرُؤْيَتُهُ حَجِّي ، وَذِكْرَاهُ قُرْآنِي

وَقَالَ :

وَلَيْلٍ تَعَاطَيْنَا الْمُدَامَ وَبَيْنَنَا
حَدِيثٌ كَمَاهَبَّ النَّسِيمُ عَلَى الْوَرْدِ
نُعَاوِدُهُ وَالْكَأْسُ يَعْبَقُ نَفْحُهَا
وَأَطْيَبُ مِنْهَا مَا نُعِيدُ وَمَا نُبْدِي(١)
وَنَقْلِي أَقَاحُ الثَّغْرِ أَوْ سَوْسَنُ الطُّلَى
وَنَرْجِسَةُ الْأَجْفَانِ أَوْ وَرْدَةُ الْخَدِّ(٢)

---

(١) يريد بعجز البيت الحديث ، ومنه قول ابن المعتز :

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر وما عداه كلام

فى الديوان « بعبق نفحة » (٢) النقل « بفتح النون وقد تضم » ماينتقل على الشراب من الفواكه ونحوها « المزة » ولابن عمار من محبو به أزهار مختلفة وثمار غضة جنية هى خير ماينتقل به وألذ وأطيب ، ولابن النبيه :

رضابك راحى ، آس صدغيك ريحانى شقيق جنى خديك ، جيدك سوسانى

وقال عمر بن الفارض :

عليك بها صرفا فان رمت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

الظلم الأول بفتح الظاء وهو الريق أو الرضاب يرشف من الثغر .

« أحمد يوسف نجاتى »

إِلَى أَنْ سَرَتْ فِي جِسْمِهِ الْكَاسُ وَالْكَرَى

وَمَالَا بِعِطْفَيْهِ فَمَالَ عَلَى عَضْدِي

فَأَقْبَلْتُ أَسْتَهْدِي لِمَا بَيْنَ أَضْلُعِي

مِنَ الْحَرِّ مَا بَيْنَ الثَّنَايَا(١) مِنَ الْبَرْدِ

وَعَايَنْتُهُ قَدْ سُلَّ مِنْ وَشْيِ بُرْدِهِ

فَعَايَنْتُ(٢) مِنْهُ السَّيْفَ سُلَّ مِنَ الْغِمْدِ

(١) استهدى: أطلب هدية ـ وفي الأصل والديوان «الضلوع» في عجز البيت بدل «الثنايا» وهو خطأ لا يصلح المعنى المراد عليه بل قد يفسده فانه يقول انه لما مالت بمن يحب سنة الكرى طوقه ذراعيه، وبات يعل من رضابه وينهل، ويطفىء نار أشواق تتوقد في ضلوعه ببرد رضاب من مقبل محبوبه العذب، وان كنت أخشى أن ذلك قد يزيد نار الوجد اشتعالا كما يقول ابن الرومي:

أعانقه والنفس بعد مشوقة ... اليه وهل بعد العناق تدانى

وألثم فاه كي تزول حرارتي ... فيشتد ماألقى من الهيمان

ولم يك مقدار الذي بي من الجوى ... ليطفئه ماترشف الشفتان

كأن فؤادي ليس يروى غليله ... سوى أن ترى الروحان تمتزجان

ولكن ذلك الحر بردوسلام يشفي من غلة الوجد. «أحمد يوسف نجاتي»

(٢) ويروى «فعانقت» والبيت يصف محبوبه وقد تجرد من ثيابه للنوم وكأني به ينشد عندذلك قول بعض الأدباء:

تجردت عن جسم كأعواد مرمر ... أغار عليه عند نظرة أحداق

ولما كشفت الساق قامت قيامتي ... فياويح قلبي يوم يكشف عن ساق

والبيت بعده يبين وجه الشبه بينه وبين السيف وان كانت تلك المحاسن تفوق مافيه

لِيَانَ مَجَسٍّ وَٱسْتِقَامَةَ قَامَةٍ
وَهِزَّةَ أَعْطَافٍ وَرَوْنَقَ إِفْرِنْدِ(١)

أُغَازِلُ مِنْهُ ٱلْغُصْنَ فِي مَغْرِسِ ٱلنَّقَا
وَأَلْثُمُ وَجْهَ ٱلشَّمْسِ فِي مَطْلَعِ ٱلسَّعْدِ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ
أَخُوهَا كَمَا قُدَّ ٱلشِّرَاكُ مِنَ ٱلْجِلْدِ(٢)

تُسَافِرُ كِلْتَا رَاحَتَيَّ بِجِسْمِهِ
فَطَوْرًا إِلَى خَصْرٍ وَطَوْرًا إِلَى نَهْدِ

فَتَهْبِطُ مِنْ كَشْحَيْهِ كَفِّي تِهَامَةً
وَتَصْعَدُ مِنْ نَهْدَيْهِ أُخْرَى إِلَى نَجْدِ(٣)

---

(١) فرند السيف وافرنده رونقه وماؤه وصفاؤه ، وجوهره و وشيه

(٢) هذا من قول الشاعر فى الخمر والعنب :

فالا يكنها أو تكنه فانه ... أخوها غذته أمه بلبانها

ومع حسن الأبيات لاترانى مستريحا جدا لتشبيه جسم المحبوب بالسيف من كل جهة،ولافى جعله مع السيف والغصن والشمس أخا مثل قد الشراك من الجلد ، نعم ان الغرض بيان المساواة التامة ولكن كلمة الشراك أنزه المحبوب عنها . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) أراد بتهامة غور الخصر ، و بنجد علو النهد وارتفاعه . وتهامة تلك الأرض المعروفة وهي مابين ذات عرق الى مرحلتين من وراء مكة « وذات عرق أول تهامة الى البحر »

وَقَالَ أَيْضًا :

وَرِدَاءِ لَيْلٍ بَاتَ فِيهِ مُعَانِقِي
طَيْفٌ أَلَمَّ بِظَبْيَةِ الْوَعْسَاءِ(١)

فَجَمَعْتُ بَيْنَ رُضَابِهِ وَشَرَابِهِ
وَشَرِبْتُ مِنْ رِيقٍ وَمِنْ صَهْبَاءِ

وَلَثَمْتُ فِي ظَلْمَاءِ لَيْلَةِ وَفْرَةٍ(٢)
شَفَقًا هُنَاكَ لِوَجْنَةٍ حَمْرَاءِ

وَاللَّيْلُ مُشْمَطُّ الذَّوَائِبِ كَبْرَةً
خَرِفٌ يَدِبُّ عَلَى عَصَا الْجَوْزَاءِ(٣)

وماوراء ذلك من الغرب فهوغور ، وقد يكنى بتهامة عن المكان المنخفض وبنجد عن المرتفع ، ومثل البيت قول ابن مطروح :

وكم تهت في غـور خصر له   وأشرفت فى نجد ذاك الـكفل

وأنت تعرف الفرق بين النجدين نجد ابن عمار ونجد ابن مطروح ، وكل امرئ ومايهوى وقد هديناه النجدين . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) الوعساء : رابية من رمل لينة تنبت أحرار البقول ، والوعساء موضع بعينه فى بلاد العرب، وفيه يقول ذو الرمة :

أيا ظبية الوعساء بين حلاحل   وبين النقا آأنت أم أم سالم

ويروى و «لرب ليل » بدل « ورداء ليل » (٢) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، أوماسال على الأذنين منه، أو ماجاوز شحمـة الأذن (٣) الشمط : بياض شعر الرأس يخلط سواده ، وفعـله شمط « كفرح وأشمط » وفى

ثُمَّ انْثَنَى وَالصُّبْحَ يَسْحَبُ فَرْعَهُ
وَيَجُرُّ مِنْ طَرَبٍ فُضُولَ رِدَاءِ(١)
تَنْدَى بِفِيهِ أُقْحُوَانَةُ أَجْرَعٍ
قَدْ غَازَلَتْهَا الشَّمْسُ غِبَّ سَمَاءِ(٢)
وَتَمِيسُ فِي أَثْوَابِهِ رَيْحَانَةٌ كَرَعَتْ عَلَى ظَمَإٍ بِجَدْوَلِ مَاءِ
نَفَّاحَةُ الْأَنْفَاسِ إِلَّا أَنَّهَا حَذَرَ النَّوَى خَفَّاقَةُ الْأَفْيَاءِ(٣)
فَلَوَيْتُ مَعْطِفَهَا اعْتِنَاقًا حَسْبُنَا
فِيهِ بِقَطْرِ الدَّمْعِ مِنْ أَنْوَاءِ
وَالْفَجْرُ يَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ غَمَامَةٍ
عَنْ مُقْلَةٍ كُحِلَتْ بِهَا زَرْقَاءِ

البيت حسن تعليل لطيف ، وعلته كبرة اذا طعن فى السن ، وخرف الرجل « كفرح ونصر وكرم » فهو خرف اذا فسد عقله من الكبر (١) الفرع الشعر التام ، وفى بعض النسخ « ثم انثنى والسكر الخ » وأظنه سحب فرعه ليكون منه فى الصباح ليل يستره عن أعين الرقباء فلا يغريهم به بياض الصبح . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) يصف ثغره وطيب نكهته ، والسماء هنا المطر ، وغب بعد (٣) نفاحة أى دائمة النفح وطيب الرائحة، وفى الأصل « الندى » وأراه مصحفا عن « النوى » و يريد بالأفياء الشعر ، والأفياء فى الأصل جمع فىء وهو الظل

فَرَغِبْتُ عَنْ نُورِ ٱلصَّبَاحِ لِنُورَةٍ
أَغْرَى لَهَا بِتَنَفُّسِ ٱلظَّلْمَاءِ

ٱنْتَهَى .

***

تنزه المعتمد ابن عباد بوادي الطلح

« وَكَانَ ٱلْمُعْتَمِدُ بْنُ عَبَّادٍ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى » كَثِيرًا مَا يَنْتَابُ وَادِيَ ٱلطَّلْحِ مَعَ رُمَيْكِيَّتِهِ[1] وَأُولِي أُنْسِهِ وَمَسَرَّتِهِ ، وَهُوَ وَادٍ بِشَرْقِ إِشْبِيلِيَةَ مُلْتَفُّ ٱلْأَشْجَارِ ، كَثِيرُ تَرَنُّمِ ٱلْأَطْيَارِ ، وَفِيهِ يَقُولُ نُورُ ٱلدِّينِ بْنُ سَعِيدٍ[2] :

سَائِلْ بِوَادِي ٱلطَّلْحِ[3] رِيحَ ٱلصَّبَا
هَلْ سُخِّرَتْ لِي مِنْ زَمَانِ ٱلصِّبَا

---

(١) تقدم التعريف بالرميكية جارية المعتمد وأم أولاده وفى الأصل «زملته» وهو تصحيف فاسد . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) سبقت ترجمته، وسيأتى حديث عنه طويل (٣) الطلح شجر عظام حجازية الأصل ومنابتها بطون الأودية، وهى أعظم العضاه شوكا وأصلبها عودا وأجودها صمغا، لها ظل وارف ممدود وخضرة شديدة ناضرة، وأغصان طوال عظام طيبة الريح، وساق ضخمة لا تلتقى عليها يدا الرجل، ولا ينبت الا فى أرض غليظة شديدة خصبة، قلت ووادى الطلح هو الذى خاطب نائحه المرحوم أمير الشعراء أحمد بك شوقى فى مطلع احدى أندلسياته الرائقة التى يجارى بها ابن زيدون وأولها :

يانائح الطلح أشباه عوادينا   نأسى لواديك أم تأسى لوادينا

وسنعرض ان شاء الله للموازنة بين القصيدتين فى كتاب الأدب العربى . « أحمد يوسف نجاتى » .

كَانَتْ رَسُولًا فِيــهِ مَابَيْنَنَا

لَنْ نَأْمَنَ الرُّسْلَ وَلَنْ نَــكْتُبَا[١]

يَا قَاتَلَ اللهُ أُنَاسًــا إِذَا

مَا اسْتُؤْمِنُوا خَانُوا ، فَمَا أَعْجَبَهْ

هَــلَّا رَعَوْا أَنَّا وَثِقْنَا بِهِمْ

وَمَا اتَّخَذْنَا عَنْهُمُ مَذْهَبَا

يَاقَاتَلَ اللهُ الَّذِي لَمْ يَتُبْ

مِنْ غَدْرِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَاجَرَّبَا

وَالْيَمُّ[٢] لَا يَعْرِفُ مَا طَعْمُهُ

إِلَّا الَّذِي وَافَى لِأَنْ يَشْرَبَا

دَعْنِيَ مِنْ ذِكْرِ الْوُشَاةِ الْأُلَى

لَمَّا يَزَلْ فِــكْرِي بِهِمْ مُلْهَبَا

وَاذْكُرْ بِوَادِي الطَّلْحِ عَهْدًا لَنَا

لِلّهِ مَا أَحْــلَى وَمَا أَطْيَبَــا

---

(١) مالى اليك سوى النسيم رسول   يحكى صبابات الهوى و يقول

(٢) البحر ، أو الذى لايدرك قعره ولا شطاه، ولـكن يقع اسم اليم على ما كان ماؤه ملحا زعاقا، وعلى النهر الـكبير العذب الماء ، وقد أمرت أم موسى حين

بِجَانِبِ اَلْعِطْفِ وَقَدْ مَالَتِ اَلْ
أَغْصَانُ وَالزَّهْرُ يَبُثُّ الصِّبَا
وَالطَّيْرُ مَازَتْ(١) بَيْنَ أَلْحَانِهَا
وَلَيْسَ إِلَّا مُعْجَباً مُطْرِبَا
وَخَانَنِي مَنْ لَا أُسَمِّيهِ مِنْ
شُحٍّ أَخَافُ الدَّهْرَ أَنْ يُسْلَبَا
قَدْ أَتْرَعَ(٢) الْكَأْسَ وَحَيَّا بِهَا
وَقُلْتُ أَهْلًا بِالْمُنَى مَرْحَبَا
أَهْلًا وَسَهْلًا بِالَّذِى شِئْتُهُ يَا بَدْرَتِمٍّ مُهْدِيًا كَوْكَبَا
لَكِنَّنِي آلَيْتُ أُسْقَى بِهَا أَوْ تُودِعَنْهَا ثَغْرَكَ الْأَشْنَبَا(٣)
فَمَجَّ لِى(٤) فِى الْكَأْسِ مِنْ ثَغْرِهِ
مَا حَبَّبَ الشُّرْبَ وَمَا طَيَّبَا

ولدته وخافت عليه فرعون أن تجعله فى تابوت ثم تقذفه فى اليم وهو نهر النيل ، وقال تعالى : « فليلقه اليم بالساحل » فجعل له ساحلا ، وهولفظ معرب (١) فصلت بينها وتفاوتت أصواتها واختلفت نغماتها(٢) ملأها حتى فاضت(٣) أى أقسمت أن لاأشربها حتى تمزجها برضاب ثغرك ، والشنب ماء ورقة تجرى على الثغر مع برد وعذوبة فى الفم (٤) مج الشراب من فيه ألقى به ، ومج بريقه اذا لفظه. وحقيقة المج طرح المائع من الفم فاذا

وَقَالَ هَا لَثْمِيَ نُقْلًا وَلَا تَشُمَّ إِلَّا عَرْفِيَ[1] الْأَطْيَبَا
وَاقْطُفْ بِخَدِّيَ الْوَرْدَ وَالْآسَ وَالْـ
نَسْرِينَ لَا تَحْفِلْ بِزَهْرِ الرُّبَا
أَسْعِفْتُهُ غُصْنًا غَدَا مُثْمِرًا وَمِنْ جَنَاهُ مَيْسُهُ قَرَّبَا
قَدْ كُنْتُ ذَا نَهْيٍ وَذَا إِمْرَةٍ حَتَّى تَبَدَّى فَحَلَلْتُ الْحُبَا[2]
وَلَمْ أَصُنْ عِرْضِيَ فِي حُبِّهِ وَلَمْ أُطِعْ فِيهِ الَّذِي أَنَّبَا
حَتَّى إِذَا مَا قَالَ لِي حَاسِدٌ
تَرْجُوهُ وَالْكَوْكَبَ أَنْ يَقْرُبَا[3]
أَرْسَلْتُ مِنْ شِعْرِيَ سِحْرًا لَهُ
يُيَسِّرُ الْمَرْغَبَ وَالْمَطْلَبَا[4]
فَقَالَ عَرِّفْهُ بِأَنِّي سَأَحْـ تَالُ فَمَا أَجْتَنِبُ الْمَكْتَبَا[5]

لم يكن مافى الفم مائعا قيل « لفظ » وقد يستعمل المج فى غير المائع مجازا، نحو هذا كلام تمجه الأسماع بتشبيه اللفظ بالماء والأذن بالفم « لأن كلا منهما حاسة مدركة » (١) الرائحة الذكية . « أحمد يوسف نجاتى »
(٢) حل الحبوة كناية عن الانبساط وترك التوقر ، وعن استخفاف شىء للمرء واستفزازه اياه ، وسبق شرح الاحتباء ، وفلان لاتحل حبوته أى انه حليم غير طائش ، ورزين ثابت (٣) فى الأصل « يغرب » والغرض ان رجاءه محبوبه كرجاء الكوكب أن يدنو منه ، كناية عن البعد وعزة المطلب (٤) أراد أن يؤثر فيه بشعره و يرقيه بتأثيره وغزله (٥) أثرت رقية الشيطان

فَزَادَ فِي شَوْقِي لَهُ وَعْدُهُ وَلَمْ أَزَلْ مُقْتَعِدًا[١] مَرْقَبَا
أَمُدُّ طَرْفِي ثُمَّ أَثْنِيهِ مِنْ
خَوْفِ أَخِي ٱلتَّنْغِيصِ أَنْ يَرْقُبَا
أُصَدِّقُ ٱلْوَعْدَ ، وَطَوْرًا أَرَى
تَكْذِيبَهُ ، وَٱلْحُرُّ لَنْ يَكْذِبَا
أَتَى وَمَنْ سَخَّرَهُ بَعْدَ مَا أَيْأَسَ بُطْئًا كَادَ أَنْ يُغْضِبَا
قَبَّلْتُ فِي ٱلتُّرْبِ ، وَلَمْ أَسْتَطِعْ
مِنْ حَصَرِ[٢] ٱللُّقْيَا سِوَى مَرْحَبَا
هَنَّأْتُ رَبْعِي إِذْ غَدَا هَالَةً
وَقُلْتُ يَا مَنْ لَمْ يُضِعْ أَشْعَبَا[٣]
بِٱللهِ مِلْ مُعْتَنِقًا لَائِمًا
فَمَالَ كَٱلْغُصْنِ ثَنَتْهُ ٱلصَّبَا

(١) فى الأصل « معتقدا » واقتعده أى جعله مقعدا يجلس عليه، والمرقب: المكان المرتفع (٢) حصر « كفرح » العجز عن القول والعى فى المنطق لسبب من خجل أو نحوه (٣) الربع المنزل ، والهالة دائرة القمر ، وأشعب ابن جبير مولى عبد الله بن الزبير من أهل المدينة يضرب به المثل فى الطمع وهو مشهور « أحمد يوسف نجاتى »

فَقَالَ مَا تَرْغَبُ ؟ قُلْتُ أُتَّئِـدْ

أَدْرَكْتُ إِذْ كَلَّمْتَنِي الْمَرْغَبَا[١]

فَقَالَ : لَامَذْهَبَ[٢] عَنْ ذِكْرِ مَا

تَرْغَبُهُ ، قُلْتُ : إِذَنْ مَرْكَبَا

وَكَانَ مَا كَانَ ، فَوَاللهِ مَا ذَكَرْتُهُ دَهْرِىَ أَوْ أَغْلَبَا[٣]

وَسَتَأْتِى هَـذِهِ الْقَصِيدَةُ بِكَمَالِهَا فِى جُمْـلَةٍ مِنْ نَظْمِ ابْنِ سَعِيدٍ الْمَذْكُورِ . وَقَالَ يَتَشَوَّقُ إِلَى إِشْبِيلِيَةَ ـ وَهِىَ حِمْصُ الْأَنْدَلُسِ :

***

تشوق نور الدين الى اشبيلية

أَنَّ الْخَلِيجُ وَغَنَّتِ الْوَرْقَاءُ

هَلْ بُرِّحَا إِذْ هَاجَتِ الْبُرَحَاءُ[٤] ؟

(١) اتئد: تأن وتمهل، قالت الخنساء :

فتى كان ذا حلم رزين وتؤدة اذا ما الحبا من طائف الجهل حلت

والبيت مثال لقولهم « حل حبوته » وتؤدة أصلها وأدة من مادة «وأد» وفى بعض النسخ «المأربا» بدل «المرغب» آخر البيت «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) أى لامعدل عنه ولا فرار منه ، وفى الأصل « لامرغب » (٣) من قول ابن المعتز :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

(٤) الورقاء الحمامة « والأورق الذى لونه لون الرماد فيه سواد » قال :

وما هاج هذا الشوق غير حمامة من الورق حماء الجناح بكور

أَنَا مِنْكُمَا أَوْلَى بِحِلْيَةِ عَاشِقٍ
أَفْنَى وَمَا نَمَّتْ بِيَ الصُّعَدَاءُ[1]
أَخْشَى الْوُشَاةَ فَمَا أَفُوهُ بِلَفْظَةٍ
وَالْكَتْمُ عِنْدَ الْعَاشِقِينَ عَنَاءُ
لَوْلَا تَشَوُّقُ أَرْضِ حِمْصٍ مَا جَرَى
دَمْعِي ، وَلَا شَمِتَتْ بِيَ الْأَعْدَاءُ
لَمْ أَسْتَطِعْ كِتْمَانَهُ فَكَأَنَّنِي
مَا كَانَ لِي كَتْمٌ وَلَا إِخْفَاءُ
وَالْبَدْرُ مَهْمَا رَامَ كَتْمًا مَنْ سَرَى
فِيهِ يَنِمُّ عَلَى سُرَاهُ ضِيَاءُ

وبرح به الأمر اذا جهده وألح عليه فهو مبرح به من البرح وهو الشدة والأذى والعذاب الشديد والمشقة ، ويقال لقي منه برحا بارحا ، وبرحا مبرحا . وبرحاء الحمى وغيرها شدة الأذى وقوة تأثيرها وشدة كربها

(١) الحلية الصفة والصورة وما يتحلى به ، والصعداء تنفس ممدود طويل يتوجع منه ، ومنه :

وتنفس الصعداء ليس شكاية … منى لحبك ياحياة الناظر
لكن حر هواك آلم مهجتى … فرأيت فيه راحة للخاطر

بَلَدٌ مَتَى يَخْطُرْ لَهُ ذِكْرٌ هَفَا
قَلْبِي ، وَخَانَ تَصَبُّرٌ وَعَزَاءُ(١)
مِنْ بَعْدِهِ مَا الصُّبْحُ يُشْرِقُ نُورُهُ
عِنْدِي ، وَلَا تَتَبَدَّلُ الظَّلْمَاءُ
كَمْ لِي بِهِ مِنْ ذِي وَفَاءٍ لَمْ يَخُنْ
عَهْدِي ، وَيَنْمُو بِالْوِدَادِ وَفَاءُ
فَتَرَاهُ إِذْ مَا مَرَّ ذِكْرِي سَائِلًا
عَنْ حَالَتِي إِنْ قَلَّتِ الْأَنْبَاءُ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي تَذَكُّرِ مُدَّةٍ
يَرْضَى بِهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
مَعَ كُلِّ مَبْذُولِ الْوِصَالِ ، مُمَنَّعٍ
مِنْ غَيْرِنَا ، تَسْمُو بِهِ الْخُيَلَاءُ(٢)
كَالظَّبْيِ ، كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ، كَالنَّقَا
كَالْغُصْنِ يَثْنِي مَعْطِفَيْهِ رُخَاءُ(٣)

(١) هفا فؤاده اذا ذهب فى أثر الشىء ، أو طرب ، وهفا الطائر خفق بجناحيه وطار (٢) الخيلاء الكبر والاعجاب عن تخيل مزية تتراءى للانسان من نفسه (٣) الرخاء : ريح سهلة لينة «أحمد يوسف نجاتى»

يَسْعَى بِرَاحٍ كَالشِّهَابِ ، بِرَاحَةٍ
كَالْبَدْرِ ، وَالْوَجْهُ الْمُنِيرُ ذُكَاءُ[1]

مَا لَانَ نَحْوَ[2] الْوَصْلِ حَتَّى طَالَ مِنْ
هُ الْهَجْرُ وَاتَّصَلَتْ بِهِ الْبَلْوَاءُ

خَيْرُ الْمَحَبَّةِ مَا تَأَتَّتْ عَنْ قِلًى[3]
تُدْرَى بِبُؤْسِ الْفَاقَةِ النَّعْمَاءُ

مَا زِلْتُ أَرْقِي بِالْقَرِيضِ جُنُونَهُ
حَتَّى اسْتَكَانَ ، وَكَانَ مِنْهُ إِبَاءُ[4]

فَظَفِرْتُ مِنْهُ بِمُدَّةٍ لَوْ أَنَّهَا
دَامَتْ لَدَامَتْ لِي بِهَا السَّرَّاءُ

صَفْوٌ تَكَدَّرَ بِالتَّحَرُّكِ ، لَيْتَهُ
مَا زَالَ ، لٰكِنْ لَا يُرَدُّ قَضَاءُ

---

(١) ذكاء اسم للشمس «معرفة لا تدخلها الألف واللام» وابن ذكاء الصبح ، وهو من ذكت النار تذكو اذا اشتعلت (٢) فى الأصل «تحت» (٣) القلى البغض والعداوة والكراهة (٤) استكان خضع وسكن وانقاد ، والاباء التمنع والنفار ، وتقدم لابن سعيد فى قصيدته مثل هـذا المعنى من أنه يجعل الشعر وسيلة لاستمالة من يهواه «أحمد يوسف نجاتى»

إِنَّ الْفِرَاقَ هُوَ الْمَنِيَّةُ ، إِنَّمَا
أَهْلُ النَّوَى مَاتُوا وَهُمْ أَحْيَاءْ
لَوْلَا تَذَكُّرُ لَذَّةٍ طَابَتْ لَنَا
بِذَرَى(١) الْجَزِيرَةِ حَيْثُ طَابَ هَوَاءْ
وَجَرَى النَّسِيمُ عَلَى الْخَلِيجِ مُعَطَّرًا
وَتَبَدَّدَتْ فِي الدَّوْحَةِ الْأَنْدَاءْ
مَا كَابَدَتْ نَفْسِي أَلِيمَ تَفَكُّرٍ
أَلْوَى بِهِ عَنْ جَفْنِيَ الْإِغْضَاءْ(٢)
يَا نَهْرَ حِمْصٍ لَا عَدَتْكَ مَسَرَّةٌ
مَاءٌ يَسِيلُ لَدَيْكَ أَمْ صَهْبَاءْ(٣) ؟!
كُلُّ النُّفُوسِ تَهَشُّ فِيكَ ، كَأَنَّمَا
جَمَعَتْ عَلَيْكَ شَتَاتَهَا(٤) الْأَهْوَاءْ

(١) الذرا : الظل والستر والكنف والكن ، يقال أنا فى ظل فلان وفى ذراه أى فى كنفه وستره وحماه (٢) وفى نسخة « الاغفاء » أى النوم ، وألوى به التفكر عن جفنه أى ذهب به وأبعده ، وألوى برأسه أمال وأعرض (٣) لاعدتك أى لا تجاوزتك ولا فارقتك (٤) الشتات المتفرق المختلف ، يعنى أن الأهواء المختلفة والميول المتفرقة والأغراض المتباينة أجمعت كلها متفقة على الارتياح إليه والسرور به «أحمد يوسف نجاتى»

وُدِّى إِلَيْكَ مَعَ ٱلزَّمَانِ مُجَدَّدٌ
مَا إِنْ يَحُولُ تَذَكُّرٌ وَعَنَاءِ
وَلَوَ انَّنِي لَمْ أُحْيِ ذِكْرًا لِلَّذِى
أَوْلَيْتَهُ مَا كَانَ فِيَّ حَيَاءِ
مَا كُنْتُ أَطْمَعُ فِي ٱلْحَيَاةِ لَوَ انَّنِي
أَيْقَنْتُ أَنْ لَا يُسْتَرَدُّ[1] لِقَاءِ
غَيْرِى إِذَا مَا بَانَ حَانَ[2] ، وَإِنَّمَا
أَبْقَى حَيَاتِى حِينَ بِنْتُ[3] رَجَاءِ

وَسَيَأْتِى - إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى - لِهَٰذَا ٱلنَّمَطِ وَغَيْرِهِ مَزِيدٌ فِي أَثْنَاءِ ٱلْكِتَابِ بِحَسَبِ مَا ٱقْتَضَتْهُ ٱلْمُنَاسَبَةُ ، وَٱللهُ تَعَالَى ٱلْمَرْجُوُّ فِي حُسْنِ ٱلْمَتَابِ[4] ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ .

---

(١) أن هنا مخففة من أن «الثقيلة» لأنها مسبوقة « بأيقن » ولذا رفع المضارع بعدها (٢) هلك وقضى عليه ، وبان : بعد وفارق (٣) فى الأصل «بان» وهو تحريف ظاهر (٤) لعلها « المآب » « أحمد يوسف نجاتى »

﴿ انتهى الجزء الخامس من كتاب نفح الطيب ﴾
و يليه الجزء السادس إن شاء الله وأوله

﴿ الباب الخامس ﴾
فى التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين الى بلاد المشرق

فهرست

الجزء الخامس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

مطبوعات دار المأمون

الوقت من ذهب
مكتبة القراءة والثقافة
الأدبية

الدكتور أحمد فريد رفاعي بك
مدير مصلحة الصحافة والنشر والثقافة العامة
المصرية

سلسلة المصادر العربية

نفح الطيب

تأليف العلامة أحمد المقري المغربي المالكي الأشعري

مضبوطة ومشروحة ومعلقا عليها

راجعت وزارة المعارف العمومية هذا الكتاب

الجزء السادس

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَمَّا بَعْدُ

فَقَدْ قَالَ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِيُّ

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ : لَوْ غُيِّرَ هٰذَا لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ، وَلَوْ قُدِّمَ هٰذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تُرِكَ هٰذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهٰذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَىٰ اسْتِيلَاءِ النَّقْصِ عَلَىٰ جُمْلَةِ الْبَشَرِ.

العماد الأصفهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

* * *

﴿ الْبَابُ الْخَامِسُ ﴾

فِي التَّعْرِيفِ بِبَعْضِ مَنْ رَحَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ إِلَى بِلَادِ الْمَشْرِقِ الزَّاكِيَةِ الْعَرَارِ وَالْبَشَامِ (١) ، وَمَدْحِ جَمَاعَةٍ مِنْ أُولَئِكَ الْأَعْلَامِ ، ذَوِي الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ

التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين الى المشرق

---

(١) تقدم وصف العرار ، وأنه هو النرجس البرى واحدته عرارة ، قال الأعشى

بيضاء غدوتها وصفـ ... راء العشية كالعراره

« معناه أن المرأة الناصعة البياض الرقيقة البشرة تبيض بالغداة أول النهار وأثناءه بياض الشمس وتصفر صفرة مليحة بالعشى باصفرار شمس الأصيل » والبشام شجر عطر الرائحة طيب الطعم ذو ساق وأفنان وورق صغار أكبر من ورق الصعتر ولا ثمر له واذا قطعت ورقته أو قصف غصنه بض لبنا أبيض ، وكانوا يدقون ورقه ويخلط بالحناء ويجعل خضابا يسود الشعر كما كانوا يستاكون بقضبه ، قال جرير :

أتذكر يوم تصقل عارضيها ... بفرع بشامة سقى البشام

أى أنها أشارت بسواكها فكان ذلك وداعها ، ولم تنطق خيفة الرقباء .

« أحمد يوسف نجاتى »

وَٱلْأَحْلَامِ ، لِشَامَةِ[1] وَجْنَةِ ٱلْأَرْضِ دِمَشْقَ ٱلشَّامِ ، وَمَا ٱقْتَضَتْهُ ٱلْمُنَاسَبَةُ مِنْ كَلَامِ أَعْيَانِهَا وَأَرْبَابِ بَيَانِهَا ذَوِى ٱلسُّؤْدُدِ وَٱلِاحْتِشَامِ . وَمُخَاطَبَاتِهِمْ لِلْفَقِيرِ ٱلْمُؤَلِّفِ حِينَ حَلَّهَا سَنَةَ أَلْفٍ وَسَبْعٍ وَثَلَاثِينَ لِلْهِجْرَةِ وَشَاهَدَ بَرْقَ فَضْلِهَا ٱلْمُبِينِ وَشَامَ[2] .

إِعْلَمْ ـ جَعَلَنِى ٱللهُ تَعَالَى وَإِيَّاكَ مِمَّنْ لَهُ لِلْمَذْهَبِ ٱلْحَقِّ ٱنْتِحَالٌ ـ أَنَّ حَصْرَ أَهْلِ ٱلِارْتِحَالِ ، لَا يُمْكِنُ بِوَجْهٍ وَلَا بِحَالٍ وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ عَلَى ٱلْإِحَاطَةِ إِلَّا عَلَّامُ ٱلْغُيُوبِ ٱلشَّدِيدُ ٱلْمِحَالِ[3] وَلَوْ أَطْلَقْنَا عِنَانَ ٱلْأَقْلَامِ ، فِيمَنْ عَرَفْنَاهُ فَقَطْ مِنْ هَؤُلَاءِ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْأَعْلَامِ ، لَطَالَ ٱلْكِتَابُ وَكَثُرَ ٱلْكَلَامُ ، وَلَكِنَّا نَذْكُرُ مِنْهُمْ لُمَعاً عَلَى وَجْهِ ٱلتَّوَسُّطِ

(١) متعلق « بمدح » قبله معمولا لها (٢) نظر (٣) المحال : القوة والكيد والتدبير والمكر بالحق ، وبذلك فسر قوله تعالى : « وهو شديد المحال » ، وقول الأعشى :

فرع نبع يهتز فى غصن المجـ ـد عزيز الندى شديد المحال

أى شديد القوة والمكر عظيم القدرة ، والمحال أيضا : العذاب والعقاب والجدال « والمماحلة » وبذلك فسرت الآية أيضا ، وقرئ المحال بفتح الميم أى شديد الحول عظيم القدرة . والله أعلم . « أحمد يوسف نجاتى » .

مِنْ غَيْرِ إِطْنَابٍ دَاعٍ إِلَى ٱلْمَلَالِ وَٱخْتِصَارٍ مُؤَدٍّ لِلْمَلَامِ، فَنَقُولُ، مُسْتَمِدِّينَ مِنْ وَاهِبِ ٱلْعُقُولِ:

***

« مِنْهُمْ عَالِمُ ٱلْأَنْدَلُسِ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ* بْنُ حَبِيبٍ ٱلسُّلَمِيُّ » وَقَدْ عَرَّفَ بِهِ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ فِي ٱلْمَدَارِكِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ، عبد الملك بن حبيب السلمى

* ترجم له فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى « ج ١ ص ٢٢٥ » ترجمة طويلة نجتزىء منها بما يأتى :

عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة بن عباس بن مرداس السلمى يكنى أبا مروان.

كان بألبيرة وسكن قرطبة، وقد قيل انه من موالى سليم، روى عن صعصعة بن سلام والغازى بن قيس وزياد بن عبدالرحمن، ورحل فسمع من عبد الملك بن الماجشون وكثير غيره . وانصرف الى الأندلس وقد جمع علما عظيما ، وكان مشاورا مع يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان ، وكان حافظا للفقه على مذهب المدنيين نبيلا فيه ، وله مؤلفات فى الفقه والتواريخ والآداب كثيرة حسان ، منها الواضحة لم يؤلف مثلها ، والجوامع وكتاب فضل الصحابة رضى الله عنهم ، وكتاب غريب الحديث ، وكتاب تفسير الموطأ ، وكتاب حروب الاسلام ، وكتاب المسجدين ، وكتاب سيرة الامام فى الملحدين ، وكتاب طبقات الفقهاء والتابعين ، وكتاب مصابيح الهدى ، وغير ذلك من كتبه المشهورة . قال أحمد : وذكر أنه سئل ابن الماجشون من أعلم الرجلين عندك ؟ القروى التنوخى أم الأندلسى السلمى ؟! فقال السلمى مقدمه علينا أعلم من التنوخى منصرفه عنا ، ثم قال للسائل: أفهمت ؟ قال: نعم — يعنى سحنونا وعبدالملك — وأخبرنا عبيد

وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ التَّوَارِيخِ أَنَّ تَوَالِيفَهُ بَلَغَتْ أَلْفًا ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا كِتَابُ الْوَاضِحَةِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ كِتَابٌ كَبِيرٌ مُفِيدٌ ، وَلِابْنِ حَبِيبٍ مَذْهَبٌ فِي كُتُبِ الْمَالِكِيَّةِ مَسْطُورٌ وَهُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمَشْرِقِ ، وَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ وَصَاحِبُ الْمَوَاهِبِ وَغَيْرُهُمَا . وَمِنْ نَظْمِهِ يُخَاطِبُ سُلْطَانَ الْأَنْدَلُسِ :

الله بن محمد قال أخبرنا عثمان بن عبد الرحمن قال أخبرنا ابن وضاح قال سمعت أبا زيد بن أبي الغمر بالفسطاط يقول : لم يقدم الينا ههنا أحد أفقه من سحنون ، الا أنه قدم علينا من هو أطول لسانا منه — يعني ابن حبيب — وكان عبد الملك بن حبيب رحمه الله نحويا عروضيا شاعرا حافظا للأخبار والأنساب والأشعار طويل اللسان متصرفا في فنون العلوم ، روى عنه مطرف بن قيس وبقي ابن مخلد وابن وضاح ويوسف بن يحيى المغامي (١) في جماعة كان المغامي آخرهم موتا ، وتوفى عبد الملك بن حبيب — رحمه الله — في أول ولاية الأمير محمد — رحمه الله — سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، أخبرني بذلك أبو محمد الباجي وغيره ، ذكره أحمد ، وقال لنا أبو الحسن مجاهد بن أصبغ قال لنا سعيد بن خلاون : مات عبد الملك بن حبيب يوم السبت لأربع ليال مضين من شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين . أخبرني بذلك ختنه أبو عبد الله محمد بن قمر الزاهد الفقيه — رحمه الله — وكانت علته الحصا ، مات وهو ابن أربع وستين سنة

---

(١) هو أبو عمر يوسف بن يحيى المغامي « نسبة الى مغامة بلد بالأندلس » الفقيه العلامة الأندلسي واستوطن القيروان ، وله تصانيف منها كتاب في الرد على الشافعي توفى سنة ٢٨٨ . « أحمد يوسف نجاتي » .

لَا تَنْسَ - لَا يَنْسَكَ ٱلرَّحْمٰنُ - عَاشُورَا
وَٱذْكُرْهُ لَا زِلْتَ فِى ٱلتَّارِيخِ مَذْكُورَا
قَالَ ٱلنَّبِيُّ صَلَاةُ ٱللّٰهِ تَشْمَلُهُ
قَوْلًا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ٱلْحَقَّ وَٱلنُّورَا
فِيمَنْ يُوَسِّعُ فِى إِنْفَاقِ مَوْسِمِهِ
أَلَّا يَزَالَ بِذَاكَ ٱلْعَامِ مَيْسُورَا (١)

وَهَذَا ٱلْبَيْتُ ٱلثَّالِثُ نَسِيتُ لَفْظَهُ فَكَتَبْتُهُ بِالْمَعْنَى وَٱلْوَزْنِ ، إِذْ طَالَ عَهْدِى بِهِ . وَٱللّٰهُ تعالَى أَعْلَمُ . وَقَالَ ٱلْفَتْحُ فِى ٱلْمَطْمَحِ : ٱلْفَقِيهُ ٱلْعَالِمُ أَبُو مَرْوَانَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ ٱلسُّلَمِيُّ . أَىُّ شَرَفٍ لِأَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ وَأَىُّ مَفْخَرٍ ، وَأَىُّ بَحْرٍ بِالْعُلُومِ يَزْخَرُ (٢) ، خَلَّدَتْ مِنْهُ ٱلْأَنْدَلُسُ فَقِيهًا عَالِمًا أَعَادَ مَجَاهِلَ أَهْلِهَا مَعَالِمًا ، وَأَقَامَ فِيهَا لِلْعُلُومِ أَسْوَاقًا نَافِقَةً (٣) ، وَنَشَرَ مِنْهَا أَلْوِيَةً خَافِقَةً ، وَجَلَا عَنِ ٱلْأَلْبَابِ صَدَأَ ٱلْكَسَلِ ، وَشَحَذَهَا شَحْذَ ٱلصَّوَارِمِ وَٱلْأَسَلِ (٤) ، وَتَصَرَّفَ فِى فُنُونِ ٱلْعُلُومِ ، وَعَرَفَ كُلَّ مَعْلُومٍ ، وَسَمِعَ بِالْأَنْدَلُسِ وَتَفَقَّهَ ،

(١) أظنه انتهز فرصة يوم عاشوراء وذكر السلطان بمطلب له وأشار الى مايؤثر من التوسعة فى النفقة يوم عاشوراء (٢) يزخر : يعلو ويضطرب ويرتفع موجه (٣) رائجة (٤) الصوارم : السيوف ،

حَتَّى صَارَ أَعْلَمَ مَنْ بِهَا وَأَفْقَهَ ، وَلَقِيَ أَنْجَابَ(١) مَالِكٍ، وَسَلَكَ مِنْ مُنَاظَرَتِهِمْ أَوْعَرَ الْمَسَالِكِ ، حَتَّى أَجْمَعَ عَلَيْهِ الِاتِّفَاقُ ، وَوَقَعَ عَلَى تَفْضِيلِهِ الْإِصْفَاقُ(٢) ، وَيُقَالُ إِنَّهُ لَقِيَ مَالِكاً آخِرَ عُمُرِهِ وَرَوَى عَنْهُ «عَنْ رَبِيعَةَ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ(٣) أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ ـ كَانَ يَرْكَبُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَيَتَغَدَّى بِهِ ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَتَعَشَّى بِإِصْطَخْرَ(٤) ، وَلَهُ فِي الْفِقْهِ كِتَابُ الْوَاضِحَةِ ، وَمِنْ أَحَادِيثِهِ غَرَائِبُ ، قَدْ تَحَلَّتْ بِهَا لِلزَّمَانِ نُحُورُ تَرَائِبَ(٥)

---

(١) جمع نجيب وهو الرجل الكريم الحسيب الفاضل والأسل الرماح ونجب «ككرم» اذا كان نفيسا فاضلا فى نوعه ، وفى نسخة «أصحاب»
(٢) الاصفاق : الاجماع (٣) هو سيد التابعين، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع ، توفى بالمدينة سنة ١٠١ وكان مولد الامام مالك رضى الله عنه سنة ٩٥ فلم يرو عن سعيد بن المسيب ، ولهذا آثرت زيادة «عن ربيعة» نقلا عن بعض المراجع وهو ربيعة بن أبى عبد الرحمن فروخ المعروف بربيعة الرأى، فقيه أهل المدينة، وعنه أخذ مالك ، وتوفى سنة ١٣٦ بالهاشمية ـ وهى مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار وكان يسكنها ثم انتقل الى الأنبار ـ رحمه الله تعالى . «أحمد يوسف نجاتى» .
(٤) بلدة بفارس، كانت من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها ، ومن أقدم مدنها وأشهرها ، وبها كان مسكن ملك فارس حتى تحول أردشير الى جور ، وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان عليه السلام (٥) الترائب : عظام الصدر

***

عبد الملك بن حبيب

« وقال محمد بن لبابة(١) » : فقيه الأندلس عيسى ابن دينار(٢) ، وعالمها عبد الملك بن حبيب ، وراويها(٣) يحيى بن يحيى . وكان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم اللغة والإعراب ، وتصرف في فنون الآداب ، وكان له شعر يتكلم به متبحرا(٤) ، ويرى(٥) ينبوعه بذلك متفجرا . وتوفي بالأندلس في رمضان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة بعد ما جال(٦) في الأرض ، وقطع طولها والعرض ، وجال في أكنافها ، وانتهى إلى أطرافها . ومن شعره قوله :

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن لبابة من أهل قرطبة ، كان مفتي الأندلس فقيها محدثا أديبا أخباريا شاعرا مؤرخا ، وكان مشاورا في أيام الأمير عبد الله وأيام أمير المؤمنين الناصر ، توفي سنة ٣١٤ . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) هو أبو عبد الله عيسى بن دينار بن واقد الغافقي ، أصله من طليطلة وسكن قرطبة ، رحل فسمع من ابن القاسم وعاد الى الأندلس فكانت الفتيا تدور عليه لايتقدمه في وقته أحد ، واتهم عيسى أيضا يوم الهيج فهرب واستخفى ، ثم أمنه الحكم بن هشام فرجع ، وكان فقيها محدثا فاضلا عابدا ورعا ، توفي بطليطلة سنة ٢١٢ « أحمد يوسف نجاتي » (٣) ويروى « وعاقلها » (٤) في المطمح « سحرا » (٥) في الأصل « وسرى » (٦) في المطمح « بعد ما دوخ الأرض »

قَدْ طَاحَ (١) أَمْرِى ، وَالَّذِى أَبْتَغِى
هَـيِّنٌ عَلَى الرَّحْمٰنِ فِى قُدْرَتِهْ
أَلْفٌ مِنَ الْحُمْرِ (٢) ، وَأَقْلِلْ بِهَا
لِعَـــالِمٍ أَرْبَى (٣) عَلَى بُغْيَتِهْ
زِرْيَابُ قَدْ أُعْطِيهَا جُمْـــلَةً
وَحِرْفَتِى أَشْرَفُ مِنْ حِرْفَتِهْ (٤)

وَكَتَبَ إِلَى الزَّجَّالِيِّ (٥) رِسَالَةً وَصَلَهَا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

كَيْفَ يُطِيقُ الشِّعْرَ مَنْ أَصْبَحَتْ
حَالَتُهُ الْيَـوْمَ كَحَالِ الْغَرِقْ
وَالشِّعْرُ لَا يَسْلَسُ (٦) إِلَّا عَلَى فَرَاغِ قَلْبٍ وَاتِّسَاعِ الْخُلُقْ

(١) ويروى « صلاح حالى » بدل « قـد طاح أمرى » (٢) الحمر : الذهب ، يريد ألف دينار (٣) أربى : زاد (٤) يريد زرياب المغنى ومالاقى فى الأندلس من قبول وإقبال ، وقد تقدم التعريف به، وسيأتى حديث عنه (٥) هو الأديب الكاتب والشاعر البليغ محمد بن سعيد الزجالى، أصله من البربر ،وكان يلقب بالأصمعى لقوة ذكائه وكثرة حفظه، وكان مكينا لدى الأمير عبد الرحمن بن الحكم « من سنة ٢٠٦ ـ ٢٣٨ » وله ابن نابه يسمى حامدا ، وكان معاصرا للحاجب عيسى بن شهيد الجد الأكبر لذى الوزارتين أبى عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد، وكان كأبيه ذكاء وقوة بديهة وسرعة خاطر وحسن جواب ووفرة أدب «أحمد يوسف نجاتى»
(٦) يسهل تناوله و يلين قياده

فَاقْنَعْ بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ شَاعِرٍ
يَرْضَى مِنَ الْحَظِّ بِأَدْنَى الْعَنَقْ (١)

فَضْلُكَ قَدْ بَانَ عَلَيْهِ كَمَا
بَانَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ ضَوْءُ الشَّفَقْ

أَمَّا ذِمَامُ (٢) الْوُدِّ مِنِّي لَكُمْ
فَهْوَ مِنَ الْمَحْتُومِ فِيمَا سَبَقْ

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْمٌ بِالْحَدِيثِ يَعْرِفُ بِهِ صَحِيحَهُ مِنْ مُعْتَلِّهِ ، وَيَفْرِقُ مُسْتَقِيمَهُ مِنْ مُخْتَلِّهِ ، وَكَانَ غَرَضُهُ الْإِجَازَةَ ، وَأَكْثَرُ رِوَايَاتِهِ غَيْرُ مُسْتَجَازَةٍ . قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ (٣) قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ (٤) أَتَى صَاحِبُكُمُ الْأَنْدَلُسِيُّ (٥) — يَعْنِي

(١) العنق ضرب من السير ، ويروى « يرضى من الحضر » والحضر ارتفاع الفرس فى عدوه (٢) الذمام : العهد والحرمة ومايجب على المرء حفظه ويذم بالتفريط فيه (٣) هو الامام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن وضاح بن بزيع مولى الامام عبد الرحمن بن معاوية محدث قرطبة، رحل مرتين الى المشرق، وكان محدثا فاضلا كثير الصلاح والزهد ، وتوفى سنة ٢٨٦ عن نحو تسعين سنة . روى عن يحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب وغيرهما « أحمد يوسف نجاتى » (٤) هو أبو اسحق ابراهيم بن المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام الأسدى الحزامى المدنى الحافظ محدث المدينة توفى سنة ٢٣٦ ، وكان أحد كبار العلماء المحدثين عن مالك « أحمد يوسف نجاتى » (٥) فى الأصل « الاندلس »

عَبْدَ ٱلْمَلِكِ هَذَا ـ بِغِرَارَةٍ مَمْلُوءَةٍ كُتُبًا فَقَالَ لِي : هَـذَا عِلْمُكَ، تُجِيزُهُ لِي؟ قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ ، مَا قَرَأَ عَلَيَّ مِنْهُ حَرْفًا ، وَلَا قَرَأْتُهُ عَلَيْهِ . وَحُـكِيَ أَنَّهُ قَالَ فِي دُخُولِهِ ٱلْمَشْرِقَ ـ وَحَضَرَ مَجْلِسَ بَعْضِ ٱلْأَكَابِرِ ، فَٱزْدَرَاهُ مَنْ رَآهُ ـ :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى جِسْمِي وَقِلَّتِـهِ
وَٱنْظُرْ لِصَدْرِي وَمَا يَحْوِي مِنَ ٱلسُّنَنِ
فَرُبَّ ذِي مَنْظَرٍ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ
وَرُبَّ مَنْ تَزْدَرِيهِ ٱلْعَيْنُ ذُو فِطَنِ
وَرُبَّ لُؤْلُؤَةٍ فِي عَيْنِ (١) مَزْبَلَةٍ
لَمْ يُلْقَ بَالٌ لَهَا إِلَّا إِلَى زَمَنِ

(١) ويروى « فى قعر » ومثل هـذا مايحكى عن الحريرى وكان دميما قبيح المنظر أنه جاءه شخص غريب يزوره و يأخذ عنه،فلما رآهاقتحمته عينه واستزرى شـكله، ففهم الحريرى ذلك منه ،فلما التمس منه أن يملى عليه قال: اكتب :

ما أنت أول سـار غره قمر ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيرى، اننى رجل مثل المعيدى فاسمع بى ولاترنى

فخجل الرجل منه وانصرف . وكان جحظة البرمكى ناتىء العينين قبيح الوجه ، ولـكن كان طيب الغناء ، فقال فيه ابن الرومى :

انْتَهَى مَا فِي الْمَطْمَحِ الصَّغِيرِ . قُلْتُ أَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنْ عَدَمِ مَعْرِفَتِهِ بِالْحَدِيثِ فَهُوَ غَيْرُ مُسَلَّمٍ ، وَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ جَهَابِذَةِ(١) الْمُحَدِّثِينَ ، نَعَمْ لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ غَرَائِبُ لَمْ يَعْرِفْهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ ، حَتَّى إِنَّ فِي شِفَاءِ عِيَاضٍ أَحَادِيثَ لَمْ يَعْرِفْ أَهْلُ الْمَشْرِقِ النُّقَّادُ مَخْرَجَهَا مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِجَلَالَةِ حُفَّاظِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ نَقَلُوهَا ـ كَبَقِيِّ ابْنِ مَخْلَدٍ(٢) وَابْنِ حَبِيبٍ ، وَغَيْرِهِمَا ، عَلَى مَا هُوَ مَعْلُومٌ . وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ عَنْهُ فِي الْإِجَازَةِ بِمَا فِي الْغِرَارَةِ فَذَلِكَ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَرَى الْإِجَازَةَ ، وَهُوَ مَذْهَبٌ مُسْتَفِيضٌ ، وَاعْتِرَاضُ مَنِ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ إِنَّمَا هُوَ بِنَاءٌ عَلَى الْقَوْلِ بِمَنْعِ الْإِجَازَةِ ، فَاعْلَمْ ذَلِكَ ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ الْمُوَفِّقُ .

نبئت جحظة يستعير جحوظة ... من فيل شطرنج ومن سرطان
يارحمتا لمنادميه ! تحملوا ... ألم العيون للذة الآذان

والبيت الثانى حسن « أحمد يوسف نجاتى » (١) جمع جهبذ وهو النقاد الخبير بغوامض الأمور البارع العارف بطرق النقد ، وهو لفظ معرب

(٢) ستأتى ترجمته « أحمد يوسف نجاتى »

***

يحيى بن يحيى الليثي

« وَمِنَ الرَّاحِلِينَ » مِنَ الأَنْدَلُسِ الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ رَاوِي الْمُوَطَّإِ عَنْ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَهُ مِنْ بَرَابِرِ مَصْمُودَةَ(١)، وَحُكِيَ

(١) « مصمودة » قبيلة من البربر بالمغرب كانوا أهل شوكة وعدد ، ويحيى أبو صاحب الترجمة هو أبو عيسى يحيى بن كثير بن وسلاس الليثى ، ووسلاس بربرى من مصمودة أسلم على يد يزيد بن عامر الليثى « ليث كنانة » ودخل ابنه كثير الأندلس وولد له يحيى هذا بها ، وخرج الى الحج فلقى عبد الرحمن بن معاوية فى طريقه فدفع اليه كتابا كلفه أن يوصله الى نساء خلفهن بالشام ، فحج يحيى وانصرف الى الشام وتلقى أجوبة الكتب ، وقدم بها على الأمير عبد الرحمن بن معاوية وقد استوسقت له الخلافة بالأندلس ، فأعاده الى الشام بأمانات ، فأدى أماناته وقدم عليه فشكر وولاه الجزيرة ، ثم ولاه شذونة ، ثم أعاده الى الجزيرة ، وكان قبره بها معروفا ـ وابن يحيى صاحب الترجمة محمد بن يحيى بن يحيى بن كثير خرج حاجا ولقى سحنون بن سعيد بافريقية ، ولقى بمصر رجالا من أصحاب مالك فسمع منهم ، وعرف بالفقه والزهد ، وجاور بمكة وتوفى هنالك ، ولما أتى أباه نعيه وجد عليه وجدا شديدا . وابن له آخر هو أبو اسمعيل اسحق ابن يحيى بن يحيى الليثى القرطبى توفى سنة ٢٦١ ، وآخر هو أحمد بن يحيى ابن يحيى ، سمع من ابن وضاح ومن عم أبيه عبد الله وغيرهما ، وكان من جملة المشاورين بقرطبة فى أيام الأمير عبد الله بن محمد ، وتوفى سنة ٢٩٧ وآخر هو أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثى ، رحل حاجا وتاجرا ودخل بغداد فسمع بها . وكان رجلا عاقلا كريما واسع المال والجاه مقدما

أَنَّهُ لَمَّا ارْتَحَلَ إِلَى مَالِكٍ لَازَمَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ فِي مَجْلِسِهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ قَائِلٌ : حَضَرَ الْفِيلُ ، فَخَرَجَ أَصْحَابُ مَالِكٍ كُلُّهُمْ وَلَمْ يَخْرُجْ يَحْيَى ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : مَالَكَ لِمْ تَخْرُجْ وَلَيْسَ الْفِيلُ فِي بِلَادِكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا جِئْتُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْكَ وَأَتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِكَ وَعِلْمِكَ ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَنْظُرَ إِلَى الْفِيلِ ، فَأُعْجِبَ بِهِ مَالِكٌ وَقَالَ : هَذَا عَاقِلُ الْأَنْدَلُسِ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ إِنَّ يَحْيَى هَذَا عَاقِلُ الْأَنْدَلُسِ ، وَعِيسَى ابْنَ دِينَارٍ فَقِيهُهَا ، وَعَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ حَبِيبٍ عَالِمُهَا ، وَيُقَالُ إِنَّ يَحْيَى رَاوِيهَا وَمُحَدِّثُهَا . وَتُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي رَجَبٍ ، وَقَبْرُهُ يُسْتَسْقَى بِهِ بِقُرْطُبَةَ

فى المشاورة فى الأحكام منفردا برياسة البلد غير مدافع. وتوفى سنة ٢٩٨، ومن ذريته أبو عبدالله يحيى بن عبيدالله بن يحيى بن يحيى الليثى، كان يشاور مع أبيه و يستفتى. توفى سنة ٣٠٣ وأبو اسمعيل يحيى بن اسحق بن يحيى ابن يحيى، رحل الى العراق، وكان مشاورا فى الأحكام، توفى سنة ٣٠٣ وأبو عيسى يحيى بن عبدالله بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثى، كان قاضيا ببجانة وألبيرة، وكان محدثا راوية، ورحل الناس اليه من جميع كور الأندلس وتوفى سنة ٣٦٧ — ومنهم غير هؤلاء ممن سيكون لنا حديث ممتع عنهم فى غير هذا الكتاب ان شاء الله تعالى « أحمد يوسف نجاتى »

وَقِيلَ إِنَّ وَفَاتَهُ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلَّتِي قَبْلَهَا، وَٱللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَرِوَايَتُهُ ٱلْمُوَطَّأَ مَشْهُورَةٌ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ ٱلْمَشْرِقِ ٱلْآنَ يُسْنِدُونَ ٱلْمُوَطَّأَ مِنْ رِوَايَتِهِ كَثِيرًا مَعَ تَعَدُّدِ رُوَاةِ ٱلْمُوَطَّإِ، وَٱللهُ أَعْلَمُ. وَكَانَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى رَوَى ٱلْمُوَطَّأَ بِقُرْطُبَةَ عَنْ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ٱللَّخْمِيِّ ٱلْمَعْرُوفِ بِشَبْطُونَ(١) وَسَمِعَ مِنْ يَحْيَى ٱبْنِ مُضَرَ ٱلْقَيْسِيِّ ٱلْأَنْدَلُسِيِّ(٢)، ثُمَّ ٱرْتَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ وَهُوَ ٱبْنُ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَسَمِعَ مِنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ٱلْمُوَطَّأَ ـ غَيْرَ أَبْوَابٍ فِي كِتَابِ ٱلِاعْتِكَافِ شَكَّ فِي سَمَاعِهَا فَأَثْبَتَ رِوَايَتَهُ فِيهَا عَنْ زِيَادٍ، وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى وَرَعِهِ ـ وَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنَ ٱللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ(٣) وَبِمَكَّةَ مِنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ(٤)، وَتَفَقَّهَ

(١) ستأتى ترجمته (٢) هو أبو زكريا يحى بن مضر القيسى من أهل قرطبة، وهو شامى الأصل، سمع من سفيان بن سعيد الثورى والامام مالك بن أنس، وكان عالما متفننا، وكان ممن قتل بسبب الهيج صلب هو وأصحابه سنة ١٨٩ وكانوا قد أرادوا خلع الحكم بن هشام «أحمد يوسف نجاتى» (٣) هو شيخ الديار المصرية وعلمها أبو الحرث الليث بن سعد ابن عبد الرحمن المحدث الثقة السرى الجواد السخى، وفيه يقول الامام الشافعى: الليث بن سعد أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به، ولد سنه ٩٤ وتوفى سنة ١٧٥ وقبره بمصر معروف، وأصله من قلقشندة من مديرية القليوبية (٤) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبى عمران ميمون

بِالْمَدَنِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ كَعَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ (١) وَعَبْدِ الرَّحْمٰنِ ابْنِ الْقَاسِمِ الْعُتَقِيِّ (٢) وَسَمِعَ مِنْهُمَا وَهُمَا مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ مَالِكٍ بَعْدَ انْتِفَاعِهِ بِمَالِكٍ وَمُلَازَمَتِهِ لَهُ: وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّيَاسَةُ بِالْأَنْدَلُسِ، وَبِهِ اشْتَهَرَ مَذْهَبُ مَالِكٍ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ، وَتَفَقَّهَ بِهِ جَمَاعَةٌ لَا يُحْصَوْنَ عَدَدًا، وَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَأَشْهَرُ رُوَاةِ الْمُوَطَّإِ وَأَحْسَنُهُمْ رِوَايَةً يَحْيَى الْمَذْكُورُ وَكَانَ مَعَ أَمَانَتِهِ وَدِينِهِ مُعَظَّمًا عِنْدَ الْأُمَرَاءِ يُكَنَّى (٣) عِنْدَهُمْ، عَفِيفًا عَنِ

الهلالي ولاء، وأصله من الكوفة، وانتقل الى مكة، كان اماما عالما ثبتا زاهدا ورعا محدثا ثقة، ولد سنة ١٠٧ وتوفى سنة ١٩٨ بمكة (١) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ولاء الفقيه المالكي المصري، كان أحد أئمة عصره، وصحب الامام مالك بن أنس طويلا، وكان عالما جليلا وفقيها محدثا ورعا صالحا كثير الخشية لله تعالى، ولد بمصر سنة ١٢٤ وتوفى بها سنة ١٩٧ (٢) هو الامام أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد ابن جنادة العتقي بالولاء الفقيه المالكي العالم الزاهد، وهو صاحب المدونة في مذهب الامام مالك، وهي من أجل كتب المالكية، ولد سنة ١٣٢ وتوفى بمصر سنة ١٩١ «والعتقي» نسبة الى العتقاء، وهم ليسوا من قبيلة واحدة بل من قبائل شتى، وكان عامتهم بمصر، وكانوا في الأصل يقطعون الطريق على من قصد النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث اليهم فأتى بهم أسرى، فأعتقهم فقيل لهم العتقاء، ولما فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠ كان العتقاء معه فاستوطنوا مصر «أحمد يوسف نجاتى» (٣) يلقب بالكنية ويدعى بها، وذلك من أمارات التعظيم كما قيل:

ٱلْوِلَايَاتِ مُتَنَزِّهاً ، جلَّتْ رُتْبَتُهُ عَنِ ٱلْقَضَاءِ ، وَكَانَ أَعْلَى مِنَ ٱلْقُضَاةِ قَدْرًا عِنْدَ وُلَاةِ ٱلْأَمْرِ بِالْأَنْدَلُسِ لِزُهْدِهِ فِي ٱلْقَضَاءِ وَٱمْتِنَاعِهِ . قَالَ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ حَزْمٍ : مَذْهَبَانِ ٱنْتَشَرَا فِي بَدْءِ أَمْرِهِمَا بِالرِّيَاسَةِ وَٱلسُّلْطَانِ : مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ ـ فَإِنَّهُ لَمَّا وَلِيَ ٱلْقَضَاءَ أَبُو يُوسُفَ كَانَتِ ٱلْقُضَاةُ مِنْ قِبَلِهِ مِنْ أَقْصَى ٱلْمَشْرِقِ إِلَى أَقْصَى عَمَلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، فَكَانَ لَا يُوَلِّي إِلَّا أَصْحَابَهُ وَٱلْمُنْتَسِبِينَ لِمَذْهَبِهِ ـ وَمَذْهَبُ مَالِكٍ عِنْدَنَا بِالْأَنْدَلُسِ ، فَإِنَّ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى كَانَ مَكِيناً عِنْدَ ٱلسُّلْطَانِ مَقْبُولَ ٱلْقَوْلِ فِي ٱلْقُضَاةِ ، وَكَانَ لَا يُوَلَّى قَاضٍ فِي أَقْطَارِ ٱلْأَنْدَلُسِ إِلَّا بِمَشُورَتِهِ وَٱخْتِيَارِهِ ، وَلَا يُشِيرُ إِلَّا بِأَصْحَابِهِ وَمَنْ كَانَ عَلَى مَذْهَبِهِ ـ وَٱلنَّاسُ سِرَاعٌ إِلَى ٱلدُّنْيَا ـ فَأَقْبَلُوا عَلَى مَا يَرْجُونَ بُلُوغَ أَغْرَاضِهِمْ بِهِ ، عَلَى أَنَّ يَحْيَى لَمْ يَلِ قَضَاءً قَطُّ ، وَلَا أَجَابَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ زَائِدًا فِي جَلَالَتِهِ عِنْدَهُمْ وَدَاعِياً إِلَى قَبُولِ رَأْيِهِ لَدَيْهِمْ . ٱنْتَهَى .

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه والسوءة اللقبا «
أو يعرف عندهم بالعفيف عن الولايات الخ «أحمد يوسف نجاتى»

وَذَكَرْنَا فِي غَيْرِ هٰذَا الْمَوْضِعِ قَوْلًا آخَرَ فِي سَبَبِ انْتِشَارِ مَذْهَبِ مَالِكٍ بِالْأَنْدَلُسِ. وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الْفَيَّاضِ[1] : جَمَعَ الْأَمِيرُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ الْحَكَمِ الْفُقَهَاءَ فِي قَصْرِهِ ـ وَكَانَ وَقَعَ عَلَى جَارِيَةٍ يُحِبُّهَا فِي رَمَضَانَ ، ثُمَّ نَدِمَ أَشَدَّ نَدَمٍ ـ فَسَأَلَهُمْ عَنِ التَّوْبَةِ وَالْكَفَّارَةِ فَقَالَ يَحْيَى : تُكَفِّرُ بِصَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، فَلَمَّا بَادَرَ يَحْيَى بِهٰذِهِ الْفُتْيَا سَكَتَ الْفُقَهَاءُ حَتَّى خَرَجُوا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَهُ : لِمَ لَمْ تُفْتِ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ بِالتَّخْيِيرِ[2]؟ فَقَالَ : لَوْ فَتَحْنَا لَهُ هٰذَا الْبَابَ سَهُلَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَأَ كُلَّ يَوْمٍ وَيُعْتِقَ رَقَبَةً ، وَلٰكِنْ حَمَلْتُهُ عَلَى أَصْعَبِ الْأُمُورِ لِئَلَّا يَعُودَ . وَقَالَ بَعْضُ الْمَالِكِيَّةِ إِنَّ يَحْيَى وَرَّى بِهٰذَا ، وَرَأَى أَنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ شَيْئًا ، إِذْ هُوَ

(١) هو أبو بكر أحمد بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن أبي الفياض أصله من مدينة استجة وسكن المرية ، له تأليف في التاريخ والخبر يسمى العبر ، وتوفي سنة ٤٥٩ « أحمد يوسف نجاتي » (٢) أي بين العتق والاطعام والصيام ، والمقدم العتق لمن يقدر عليه فالكفارة فالصيام « أحمد يوسف نجاتي »

مُسْتَغْرَقُ ٱلذِّمَّةِ ، فَلَا عِتْقَ لَهُ وَلَا إِطْعَامَ ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ٱلصِّيَامُ ٱنْتَهَى .

وَلَمَّا ٱنْفَصَلَ يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ وَوَصَلَ إِلَى مِصْرَ رَأَى ٱبْنَ ٱلْقَاسِمِ يُدَوِّنُ سَمَاعَهُ مِنْ مَالِكٍ، فَنَشِطَ لِلرُّجُوعِ إِلَى مَالِكٍ لِيَسْمَعَ مِنْهُ ٱلْمَسَائِلَ ٱلَّتِي رَأَى ٱبْنَ ٱلْقَاسِمِ يُدَوِّنُهَا ، فَرَحَلَ رِحْلَةً ثَانِيَةً ، فَأَلْفَى مَالِكاً عَلِيلًا ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ ، فَعَادَ إِلَى ٱبْنِ ٱلْقَاسِمِ وَسَمِعَ مِنْهُ سَمَاعَهُ مِنْ مَالِكٍ . هٰكَذَا ذَكَرَهُ ٱبْنُ ٱلْفَرَضِيِّ فِي تَارِيخِهِ ،وَهُوَ مِمَّا يَرُدُّ ٱلْحِكَايَةَ ٱلْمَشْهُورَةَ ٱلْآنَ بِالْمَغْرِبِ : أَنَّ يَحْيَى سَأَلَ مَالِكاً عَنْ زَكَاةِ ٱلتِّينِ ، فَقَالَ: لَا زَكَاةَ فِيهَا ،فَقَالَ :إِنَّهَا تُدَّخَرُ عِنْدَنَا وَنَذَرَ إِنْ وَصَلَ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ أَنْ يُرْسِلَ لِمَالِكٍ سَفِينَةً مَمْلُوءَةً تِيناً ، فَلَمَّا وَصَلَ أَرْسَلَهَا فَإِذَا مَالِكٌ قَدْ مَاتَ . ٱنْتَهَى .

قَالَ ٱبْنُ ٱلْفَرَضِيِّ : وَلَمَّا ٱنْصَرَفَ يَحْيَى إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ كَانَ إِمَامَ وَقْتِهِ وَوَاحِدَ بِلَادِهِ ، وَكَانَ مِمَّنِ ٱتُّهِمَ بِالْهَيْجِ فِي وَقْعَةِ ٱلرَّبَضِ ٱلْمَشْهُورَةِ، فَفَرَّ إِلَى طُلَيْطُلَةَ، ثُمَّ ٱسْتَأْمَنَ فَكَتَبَ

لَهُ ٱلْأَمِيرُ ٱلْحَكَمُ أَمَانًا وَٱنْصَرَفَ إِلَى قُرْطُبَةَ . وَقِيلَ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْأَنْدَلُسِ مُنْذُ دَخَلَهَا ٱلْإِسْلَامُ مَا أُعْطِيَ يَحْيَى مِنَ ٱلْحُظْوَةِ وَعِظَمِ ٱلْقَدْرِ وَجَلَالَةِ ٱلذِّكْرِ . وَقَالَ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ: إِنَّ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى كَانَ مُجَابَ ٱلدَّعْوَةِ ، وَإِنَّهُ أَخَذَ فِي سَمْتِهِ وَهَيْئَتِهِ وَنَفْسِهِ وَمَقْعَدِهِ هَيْئَةَ مَالِكٍ . وَيُحْكَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَخَذْتُ بِرِكَابِ ٱللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، فَأَرَادَ غُلَامُهُ أَنْ يَمْنَعَنِي، فَقَالَ :دَعْهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي ٱللَّيْثُ : خَدَمَكَ ٱلْعِلْمُ ، فَلَمْ تَزَلْ بِيَ ٱلْأَيَّامُ حَتَّى رَأَيْتُ مَالِكًا . ٱنْتَهَى .

***

« وَمِنْهُمْ » ٱلْقَاضِي « أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى » قَالَ فِي ٱلْمَطْمَحِ : مِنْ بَنِي يَحْيَى بْنِ يَحْيَى ٱللَّيْثِيِّ، وَهٰذِهِ ثَنِيَّةُ(١) عِلْمٍ وَعَقْلٍ ، وَصِحَّةُ(٢) ضَبْطٍ وَنَقْلٍ ، كَانَ عَلَمَ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَعَالِمَهَا ٱلنَّدُسَ(٣) ، وَلِيَ ٱلْقَضَاءَ بِقُرْطُبَةَ بَعْدَ رِحْلَةٍ رَحَلَهَا

(١) فى بعض المراجع « بينة » (٢) أو « حجة » كما فى نسخة (٣) أى الفهم الفطن الكبير العالم بالأمور والأخبار . وفعله ندس « كفرح »

إِلَى ٱلْمَشْرِقِ ، وَجَمَعَ فِيهَا مِنَ ٱلرِّوَايَاتِ وَٱلسَّمَاعِ كُلَّ مُفْتَرِقٍ. وَجَالَ فِي آفَاقِ ذَلِكَ ٱلْأُفُقِ، لَا يَسْتَقِرُّ فِي بَلَدٍ ، وَلَا يَسْتَوْطِنُ فِي جَلَدٍ(١) ، ثُمَّ كَرَّ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ فَسَمَتْ رُتْبَتُهُ ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَانِيِّ لَبَّتُهُ(٢) ، وَتَصَرَّفَ فِي وِلَايَاتٍ أُحْمِدَ فِيهَا مَنَابُهُ(٣) ، وَٱتَّصَلَتْ بِسَبَبِهَا بِالْخَلِيفَةِ أَسْبَابُهُ ، وَوَلَّاهُ ٱلْقَضَاءَ بِقُرْطُبَةَ فَتَوَلَّاهُ بِسِيَاسَةٍ مَحْمُودَةٍ ، وَرِيَاسَةٍ فِي ٱلدِّينِ مُبْرَمَةٍ(٤) ٱلْقُوَى مَجْهُودَةٍ ، ٱلْتَزَمَ فِيهَا ٱلصَّرَامَةَ(٥) فِي تَنْفِيذِ ٱلْحُقُوقِ ، وَٱلْحَزَامَةَ فِي إِقَامَةِ ٱلْحُدُودِ ، وَٱلْكَشْفَ عَنِ ٱلْبَيِّنَاتِ(٦) فِي ٱلسِّرِّ ، وَٱلصَّدْعَ(٧) بِالْحَقِّ فِي ٱلْجَهْرِ ، لَمْ يَسْتَمِلْهُ مُخَادِعٌ

(١) الجلد الأرض الصلبة المستوية المتن. وفى المطمح « ولا يستوطن فى مظلومة جلد » والمظلومة الأرض التى لم تحفر قط ثم حفرت ، وظلم الأرض اذا حفرها فى غير موضع حفرها ، وأرض مظلومة حفر فيها بئر أو حوض ولم يحفر فيها قط ، والمظلومة أيضا الأرض التى لم تمطر «أحمد يوسف نجاتى» (٢) اللبة: موضع القلادة من الصدر (٣) أحمد فلانا اذا رضى فعله ومذهبه وأحمد أمره اذا صار عنده محمودا ،والمناب النيابة والقيام بالأمر (٤) محكمة متينة، وفى الأصل « مبرقة » وهو تصحيف «أحمد يوسف نجاتى »(٥) الشدة (٦) فى الأصل « البيان » وهو تحريف « أحمد يوسف نجاتى »(٧) صدع بالأمر اذا كشفه وأبانه وجهر به، ومنه «فاصدع بما تؤمر » «أحمد يوسف نجاتى»

وَلَمْ يَكِدْهُ مُخَاتِلٌ(١) وَلَمْ يَهَبْ ذَا حُرْمَةٍ ، وَلَا دَاهَنَ(٢) ذَا مَرْتَبَةٍ ، وَلَا أَغْضَى لِأَحَدٍ مِنْ أَرْبَابِ(٣) السُّلْطَانِ وَأَهْلِهِ حَتَّى تَحَامَوْا حِدَّةَ جَانِبِهِ ، فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِ . وَكَانَ لَهُ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنَ الْأَدَبِ ، وَحَظٌّ مِنَ الْبَلَاغَةِ إِذَا نَظَمَ وَإِذَا كَتَبَ . وَمِنْ مُلَحِ شِعْرِهِ مَا قَالَهُ عِنْدَ أَوْبَتِهِ ، مِنْ غُرْبَتِهِ :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةٌ
إِذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تَلَاقِي
كَأَنْ لَمْ تُؤَرِّقْ بِالْعِرَاقَيْنِ مُقْلَتِي
وَلَمْ تَمْرِ كَفُّ الشَّوْقِ مَاءَ مَآقِي(٤)

(١) خاتله اذا خادعه وراوغه (٢) المداهنة المصانعة ، أو اظهار المرء خلاف ما يضمر ، وقد تطلق على المداراة والملاينة وترك الجد «أحمد يوسف نجاتي»
(٣) فى المطمح « من أسباب » (٤) الأرق السهد وعدم النوم ، ومري الضرع اذا مسحه ليدر ، والمآقى ، جمع مؤق وهو مؤخر العين ، ومايلى الصدغ منها ، وكذا موق ، وماق والمآقى ، وجمعه مآقى ، وجمع موق ومؤق وماق أماق ، ويجوز فيه القلب المكانى فيقال آماق نحو آبار «أعفال» شبه الشاعر عينه بضرع ، ولما كان هيج الشوق يستدر دموع العين جعل له كفا تمرى ماءها ، وتحلب بكاءها « أحمد يوسف نجاتى »

وَلَمْ أَزُرِ الْأَعْرَابَ فِي جَنْبِ أَرْضِهِمْ
بِذَاتِ اللِّوَى مِنْ رَامَةٍ وَبُرَاقِ(١)
وَلَمْ أَصْطَبِحْ بِالْبِيدِ مِنْ قَهْوَةِ النَّدَى
وَكَأْسٍ سَقَاهَا فِي الْأَزَاهِرِ سَاقِ

وَلَهُ أَيْضاً :

مَاذَا أُكَابِدُ مِنْ وُرْقٍ مُغَرِّدَةٍ
عَلَى قَضِيبٍ بِذَاتِ الْجِزْعِ مَيَّاسِ؟!(٢)

(١) فى بعض المراجع «فى خبت» بدل «جنب» والخبت المتسع من بطون الأرض، وما اطمأن منها وغمض، أو الوادى العميق الوطىء فيه رمل، واللوى فى الأصل منقطع الرملة، وهو أيضا موضع بعينه قد أكثر الشعراء من ذكره، ورامة هضبة أو منزل فى طريق البصرة الى مكة بينه و بين البصرة ١٢ مرحلة، وقيل رامة جبل لبنى دارم، قال جرير :

حى الغداة برامة الأطلالا   رسما تحمل أهله فأحالا

وقد أكثر الشعراء أيضا من ذكره ولاسيما المتأخرون فى المدائح النبوية. و براق من قرى حلب، و براق خبت صحراء بين مكة والمدينة. قال بشر :

فأودية اللوى فبراق خبت   عفتها العاصفات من الرياح

و براق اللوى موضع بعينه. قال :

عنينا زمانا باللوى، ثم أصبحت   براق اللوى من أهلها قد تخلت

والبراق جمع برقة، وأصلها الأرض ذات الحجارة المختلفة الألوان (٢) الجزع منعطف الوادى، أو مااتسع من مضايقه، أو لايسمى جزعا حتى تكون له

رَدَّدْنَ شَجْوًا شَجَا قَلْبَ ٱلْخَلِيِّ، فَهَلْ
فِي عَبْرَةٍ ذَرَفَتْ فِي ٱلْحُبِّ مِنْ بَاسِ؟![1]
ذَكَّرْنَهُ[2] ٱلزَّمَنَ ٱلْمَاضِي بِقُرْطُبَةٍ
بَيْنَ ٱلْأَحِبَّةِ فِي أَمْنٍ وَإِينَاسِ
هُمُ ٱلصَّبَابَةُ لَوْ لَا هِمَّةٌ شَرُفَتْ
فَصَيَّرَتْ قَلْبَهُ كَٱلْجَنْدَلِ[3] ٱلْقَاسِي

وَلَهُ أَخْبَارٌ تَدُلُّ عَلَى رِقَّةِ ٱلْعِرَاقِ[4]، وَٱلتَّغَذِّي بِمَاءِ تِلْكَ

سعة تبيت الشجر وغيره، والمياس: المائل المتثنى (١): ذرف الدمع: سال، وذرفت عينه: سال دمعها، وذرفت العين دمعها اذا أسالته، ويروى صدر البيت «... شجا قلبي الخلى» «أحمد يوسف نجاتى» (٢) فى الأصل «ذكرته» مصحفة (٣) الجندل: الحجر (٤) كانوا يضربون المثل فى ذلك بالرقة العراقية. وللشاعر أحمد بن منير الطرابلسى من قصيدة غزلية رقيقة:

اباء فارس فى لين الشآم مع الـ ظرف العراق والنطق الحجازى

وكذلك الحجاز، يحكى أن أباحازم سمع امرأة حاجة ترفث فى كلامها، فقال لها: ياأمة الله ألست حاجة؟! ألا تتقين الله؟ فسفرت عن وجه صبيح ثم قالت له: أنا من اللواتى قال فيهن عمر بن أبى ربيعة:

أماطت كساء الخز عن حر وجهها وردت على الخدين بردا مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

فقال أبو حازم: أنا أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار، فبلغ ذلك سعيد ابن المسيب فقال: رحم الله أبا حازم، لو كان من عباد العراق لقال لها اعزبى ياعدوة الله، ولكنه أظرف نساك الحجاز. فهنا جعل الظرف حجازيا

الْآفَاقِ ؛ فَمِنْهَا أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى حُضُورِ جَنَازَةٍ بِمَقَابِرِ قُرَيْشٍ ـ وَرَجُلٌ مِنْ بَنِي حُدَيْرٍ(١) كَانَ يُؤَاخِيهِ لَهُ مَنْزِلٌ ـ فَعَزَمَ عَلَيْهِ فِي الْمَيْلِ إِلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ(٢)، فَنَزَلَا عَلَيْهِ ، فَأَحْضَرَ لَهُمَا طَعَامًا وَأَمَرَ جَارِيَةً لَهُ بِالْغِنَاءِ ، فَغَنَّتْ :

طَابَتْ بِطِيبِ لِثَاتِكَ الْأَقْدَاحُ
وَزَهَا بِحُمْرَةِ خَدِّكَ التُّفَّاحُ
وَإِذَا الرَّبِيعُ تَنَسَّمَتْ أَرْوَاحُهُ
طَابَتْ بِطِيبِ نَسِيمِكَ الْأَرْوَاحُ
وَإِذَا الْحَنَادِسُ أُلْبِسَتْ(٣) ظَلْمَاءَهَا
فَضِيَاءُ وَجْهِكَ فِي الدُّجَى مِصْبَاحُ

فَكَتَبَهَا الْقَاضِي فِي ظَهْرِ يَدِهِ ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، قَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ(٤) : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يُكَبِّرُ لِلصَّلَاةِ عَلَى

لاعرافيا ـ وقد سبقت كلمتنا فى ابن أبى عيسى وحكايته هذه وعلقنا عليها «أحمد يوسف نجاتى » (١) فى الأصل والمطمح « جابر » وهو تحريف وقد تقدم تعريفنا ببنى حدير فى هذه الحكاية وغيرها «أحمد يوسف نجاتى» (٢) هو أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى وقد تقدم قريبا تعريفنا به ، توفى سنة ٣٦٧ . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) أو بالبناء للمعلوم (٤) لعل يونس ابن عبد الله يحكى عن أبيه عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصارى

ٱلْجَنَازَةِ وَٱلْأَبْيَاتُ مَكْتُوبَةٌ عَلَى ظَهْرِ كَفِّهِ . وَكَانَ ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ فِي غَايَةِ ٱللُّطْفِ ، حَكَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَالَ : رَكِبْنَا مَعَهُ فِي مَوْكَبٍ حَافِلٍ مِنْ وُجُوهِ ٱلنَّاسِ إِذْ عَرَضَ لَنَا فَتًى مُتَأَدِّبٌ قَدْ خَرَجَ مِنْ بَعْضِ ٱلْأَزِقَّةِ سَكْرَانُ يَتَمَايَلُ فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَاضِيَ هَابَهُ ، وَأَرَادَ ٱلِانْصِرَافَ فَخَانَتْهُ رِجْلَاهُ فَاسْتَنَدَ إِلَى ٱلْحَائِطِ وَأَطْرَقَ ، فَلَمَّا قَرُبَ ٱلْقَاضِي رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَلَا أَيُّهَا ٱلْقَاضِي ٱلَّذِي عَمَّ عَدْلُهُ
فَأَضْحَى بِهِ بَيْنَ ٱلْأَنَامِ فَرِيدَا(١)

من أشراف قرطبة ، كان من أهل المعرفة والنباهة والذكاء والفطنة والحذق والفهم ، ومن أهل الأدب البارع والشعر الرائق والكتابة البليغة، مع الدين والفضل والنسك والعبادة والتواضع والزهد واللطف ، وله كتاب جمعه فى شعر الخلفاء من بنى أمية، وكان أثيرا عند الخليفة الحكم ، ولد سنة ٢٨٥ وتوفى سنة ٣٥٢ فهو كان من أقران ابن أبى عيسى صاحب الترجمة وعلى شاكلته . أما ابنه أبو الوليد يونس قاضى الجماعة بقرطبة فلم يدرك المترجم له لأنه ولد سنة وفاته أى سنة ٣٣٨ وكان على جانب عظيم من العلم والفضل ، ولى أحكام القضاء والصلاة والخطبة بالمسجد الجامع بقرطبة مع الوزارة، ثم صرف عن ذلك الى أن قلده المعتد بالله هشام بن محمد قضاء الجماعة بقرطبة سنة ٤١٩ حتى توفى سنة ٤٢٩ ــ رحمه الله تعالى . « أحمد يوسف نجاتى » . (١) فى المطمح « فأضحى به فى العالمين »

قَرَأْتُ كِتَابَ ٱللهِ تِسْعِينَ مَرَّةً
فَلَمْ أَرَ فِيـــهِ لِلشَّرَابِ حُدُودَا
فَإِنْ شِئْتَ جَلْدًا لِى فَدُونَكَ مَنْـكِبًا
صَبُورًا عَلَى رَيْبِ ٱلزَّمَانِ جَلِيدَا
وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْفُو تَـكُنْ لَكَ مِنَّةً
تَرُوحُ بِهَا فِى ٱلْعَالَمِينَ حَمِيـــدَا
وَإِنْ أَنْتَ تَخْتَارُ ٱلْحَدِيدَ(١) فَإِنَّ لِى
لِسَانًا عَلَى هَجْوِ ٱلزَّمَانِ حَدِيدَا

فَلَمَّا سَمِعَ شِعْرَهُ وَمَيَّزَ أَدَبَهُ أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَرَكَ ٱلْإِنْكَارَ عَلَيْهِ، وَمَضَى لِشَأْنِهِ . ٱنْتَهَى مُلَخَّصًا مِنَ ٱلْمَطْمَحِ .

***

محمد بن عبد الله ابن يحي الليثى

وَرَأَيْتُ بِخَطِّى فِى بَعْضِ مُسَوَّدَاتِى مَا صُورَتُهُ : مُحَمَّدُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى ٱللَّيْثِيُّ قَاضِى ٱلْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ سَمِعَ عَمَّ أَبِيهِ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ يَحْيَى وَمُحَمَّدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ(٢) وَأَحْمَدَ بْنَ خَالِدٍ(٣) وَرَحَلَ مِنْ قُرْطُبَةَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ

(١) لعله يريد القيد، وعجز البيت فى المطمح «لسانا على مر الزمان حديدا»
(٢) تقدم تعريفنا به و بطائفة من بنى يحي بن كثير (٣) هو أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان ، يعرف بابن الحباب

وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَدَخَلَ مِصْرَ ، وَحَجَّ ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ مِنِ ابْنِ الْمُنْذِرِ(١) وَالْعُقَيْلِيِّ(٢) وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ(٣) وَغَيْرِهِمْ . وَكَانَ حَافِظاً مُعْتَنِياً بِالْآثَارِ ، جَامِعاً لِلسُّنَنِ ، مُتَصَرِّفاً فِي عِلْمِ الْإِعْرَابِ وَالْأَدَبِ وَمَعَانِي الشِّعْرِ ، شَاعِرًا مَطْبُوعًا . وَشَاوَرَهُ الْقَاضِي أَحْمَدُ ابْنُ بَقِيٍّ(٤) ، وَاسْتَقْضَاهُ النَّاصِرُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَى إِلْبِيرَةَ وَبَجَّانَةَ(٥) ثُمَّ وَلَّاهُ قَضَاءَ الْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ بَعْدَ

من أهل قرطبة ، سمع من محمد بن وضاح و بقي بن مخلد وغيرهما ، ورحل الى المشرق وأخذ عن أعلامه ، وعاد الى الأندلس فكان امام وقته غير مدافع فى الفقه والحديث والعبادة ، وكان حافظا متقنا ، وراوية للحديث مكثرا ، وألف فى مسند حديث مالك وغيره ؛ ولد سنة ٢٤٦ وتوفى سنة ٣٢٢ رحمه الله . « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو الامام الحافظ أبو بكر محمد ابن ابراهيم بن المنذر النيسابورى شيخ الحرم ومفتيه ، كان مجتهدا لا يقلد أحدا ، فقيها محدثا ثقة توفى سنة ٣١٨ (٢) هو أبو بكر محمد بن خريم العقيلى محدث دمشق ، توفى سنة ٣١٦ (٣) هو أبو سعيد بن الأعرابى أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصرى نزيل مكة المحدث الصوفى القدوة ، كان ثقة نبيلا عارفا عابدا جليل القدر بعيد الصيت ، جمع وصنف ورحل اليه من كل فج ، وكان شيخ الحرم فى وقته سندا وعلما و زهدا وعبادة واقبالا على الله تعالى ، توفى سنه ٣٤٠ . « أحمد يوسف نجاتى » (٤) هو أبو عبد الله أحمد بن بقى بن مخلد القرطبى ، كان قاضى الجماعة بالأندلس فقيها محدثا ثقة زاهدا فضلا ، توفى سنة ٣٢٤ فى أيام الأمير عبد الرحمن الناصر (٥) بجانة مدينة بالأندلس كانت من أعمال كورة

أَبِى طَالِبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلْثِمِائَةٍ[1] وَجُمِعَتْ لَهُ مَعَ الْقَضَاءِ الصَّلَاةُ . وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَخْرُجُ إِلَى الثُّغُورِ، وَيَتَصَرَّفُ فِى إِصْلَاحِ مَا وَهَى مِنْهَا ، فَاعْتَلَّ فِى آخِرِ خَرَجَاتِهِ، وَمَاتَ فِى بَعْضِ الْحُصُونِ الْمُجَاوِرَةِ لِطُلَيْطُلَةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلْثِمِائَةٍ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ . انْتَهَى . وَأَظُنُّ أَنِّى نَقَلْتُهُ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْأَبَّارِ الْحَافِظِ ، وَاللهُ أَعْلَمْ

***

عتيق بن أحمد الأندلسى

« وَمِنْهُمْ » عَتِيقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِى الْأَنْدَلُسِىُّ الدِّمَشْقِىُّ وَفَاةً ـ يُكْنَى أَبَا بَكْرٍ ـ نَزِيلُ دِمَشْقَ، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالصَّلَاحِ . وَانْتَفَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ . وَوُلِدَ عَلَى مَا قِيلَ سَنَةَ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَتُوُفِّىَ سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ بِدِمَشْقَ ،وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ الصُّوفِيَّةِ، فَيَكُونُ عُمْرُهُ عَلَى هَذَا

ألبيرة، ثم خربت وانتقل أهلها الى الرية، وبينهما فرسخان ، و بينها و بين غرناطة ألف ميل ـ وفى الأصل « بجاية » وهو تصحيف ، فان بجاية مدينة على الساحل الجنوبى من البحر الأبيض ومن مدن بلاد المغرب وتقدم الكلام فيها « أحمد يوسف نجاتى » (١) فى نسخة سنة ٣٢٦ وفى الأصل «٣٣٧» والصواب سنة ٣٣٩ كما فى تاريخ علماء الأندلس وغيره « أحمد يوسف نجاتى » .

مِائَةَ سَنَةٍ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ـ وَنَفَعَنَا بِبَرَكَاتِهِ وَبَرَكَاتِ أَمْثَالِهِ .

***

اسماعيل بن محمد الأنصارى

« وَمِنْهُمْ » أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْأَنْصَارِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْأُبَّذِيُّ الْمُلَقَّبُ فِي الْبِلَادِ الْمَشْرِقِيَّةِ بِبُرْهَانِ الدِّينِ ـ وَأُبَّذَةُ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَفَتْحِهَا وَبَعْدَهَا ذَالٌ مُعْجَمَةٌ بَلَدٌ بِالْأَنْدَلُسِ(١) ـ سَمِعَ الْمَذْكُورُ بِمَكَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَبِدِمَشْقَ مِنَ الْحَافِظِ ابْنِ طَبَرْزَدَ(٢) وَأَمَّ بِالصَّخْرَةِ، وَكَانَ فَاضِلًا صَالِحًا شَاعِرًا ، تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَأَخْبَرَ عَنْ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُجَاوِرِينَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ أَنَّهُ سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ لَمَّا خُرِّبَ الْقُدْسُ :

(١) كانت من كورة جيان تعرف بأبدة العرب اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وتممها ابنه الأمير محمد (٢) هو مسند عصره أبو حفص موفق الدين عمر بن محمد بن معمر الدار قزى المؤدب، ولد سنة ٥١٦ وروى عن أجلاء وقته فأكثر ، ثم قدم دمشق فى آخر أيامه فازدحم الناس عليه، وقد أملى مجالس بجامع المنصور ، وكان عالما جليلا ظريفا ذا دعابة مليحة ومزاح ظريف توفى فى شهر رجب سنة ٦٠٧ بمدينة بغداد . « أحمد يوسف نجاتى » .

إِنْ يَكُنْ بِالشَّآمِ قَلَّ نَصِيرِى
ثُمَّ خُرِّبْتُ وَاُسْتَمَرَّ هُلوكِى
فَلَقَدْ أَثْبَتَ اُلْغَدَاةَ خَرَابِى
سَمَرَ اُلْعَارِ فِى حَيَاةِ اُلْمُلُوكِ(١)

هَكَذَا رَأَيْتُهُ بِخَطِّ اُلصَّفَدِىِّ « فِى حَيَاةِ » وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ « فِى جِبَاهِ » جَمْعُ جَبْهَةٍ ، وَاُللهُ أَعْلَمُ

***

منذر بن سعيد البلوطي

« وَمِنْهُمْ » اُلْقَاضِى مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ اُلْبَلُّوطِىُّ قَاضِى اُلْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا جُمْلَةً مِنْ أَخْبَارِهِ فِى اُلْبَابِ اُلثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ هَذَا اُلْقِسْمِ ، وَكَانَ لَا يَخَافُ فِى اُللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ . وَمِنْ مَشْهُورِ مَا جَرَى لَهُ فِى ذَلِكَ قِصَّتُهُ فِى أَيْتَامِ أَخِى نَجْدَةَ، وَحَدَّثَ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ اُلْعِلْمِ وَاُلرِّوَايَةِ ؛ وَهِىَ أَنَّ اُلْخَلِيفَةَ اُلنَّاصِرَ اُحْتَاجَ إِلَى شِرَاءِ دَارٍ بِقُرْطُبَةَ لِحَظِيَّةٍ مِنْ نِسَائِهِ تَكْرُمُ عَلَيْهِ ، فَوَقَعَ اُسْتِحْسَانُهُ عَلَى دَارٍ كَانَتْ

(١) هكذا فى الأصل « سمر العار » وأرى أنها محرفة عن « سمة » ولا سيما اذا كانت « حياة » مصحفة عن « جباه » كما قال المؤلف وهو الظاهر فيكون عجز البيت « سمة العار فى جباه الملوك . « أحمد يوسف نجاتى »

لِأَوْلَادِ زَكَرِيَّا أَخِي نَجْدَةَ - وَكَانَتْ بِقُرْبِ النَّشَّارِينَ فِي الرَّبَضِ الشَّرْقِيِّ مُنْفَصِلَةً عَنْ دُورِهِ، وَيَتَّصِلُ بِهَا حَمَّامٌ لَهُ غَلَّةٌ[١] وَاسِعَةٌ - وَكَانَ أَوْلَادُ زَكَرِيَّا أَخِي نَجْدَةَ أَيْتَامًا فِي حِجْرِ الْقَاضِي، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ مَنْ قَوَّمَهَا لَهُ بِقَدْرِ[٢] مَا طَابَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْسَلَ نَاسًا أَمَرَهُمْ بِمُدَاخَلَةِ وَصِيِّ الْأَيْتَامِ فِي بَيْعِهَا عَلَيْهِمْ، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِلَّا بِأَمْرِ الْقَاضِي، إِذْ لَمْ يَجُزْ بَيْعُ الْأَصْلِ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ، فَأَرْسَلَ الْخَلِيفَةُ إِلَى الْقَاضِي مُنْذِرٍ فِي بَيْعِ هٰذِهِ الدَّارِ، فَقَالَ لِرَسُولِهِ: الْبَيْعُ عَلَى الْأَيْتَامِ لَا يَصِحُّ إِلَّا لِوُجُوهٍ؛ مِنْهَا الْحَاجَةُ، وَمِنْهَا الْوَهْيُ[٣] الشَّدِيدُ، وَمِنْهَا الْغِبْطَةُ، فَأَمَّا الْحَاجَةُ فَلَا حَاجَةَ لِهٰؤُلَاءِ الْأَيْتَامِ إِلَى الْبَيْعِ، وَأَمَّا الْوَهْيُ فَلَيْسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْغِبْطَةُ فَهٰذَا مَكَانُهَا، فَإِنْ أَعْطَاهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا مَا تَسْتَبِينُ بِهِ الْغِبْطَةُ أَمَرْتُ وَصِيَّهُمْ بِالْبَيْعِ، وَإِلَّا فَلَا، فَنُقِلَ جَوَابُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ

(١) الغلة : الدخل من كراء دار أو نحوها، أو فائدة أرض من ريعها، أو كرائها وغير ذلك من نحو ما يحصل من الزرع والثمر واللبن والاجارة والنتاج ونحو هذا، وأغلت الضيعة وغيرها اذا أعطت غلة (٢) فى الأصل «بعدد» (٣) وهى الشىء وهيا اذا بلى، و وهى الحائط اذا ضعف وهم بالسقوط وأراد أن ينقض

فَأَظْهَرَ الزُّهْدَ فِي شِرَاءِ الدَّارِ طَمَعاً أَنْ تُتَوَخَّى[١] رَغْبَتُهُ فِيهَا ، وَخَافَ الْقَاضِي أَنْ تَنْبَعِثَ مِنْهُ عَزِيمَةٌ تَلْحَقُ الْأَيْتَام سَوْرَتُهَا[٢] ، فَأَمَرَ وَصِيَّ الْأَيْتَامِ بِنَقْضِ الدَّارِ وَبَيْعِ أَنْقَاضِهَا ، فَفَعَلَ ذٰلِكَ ، وَبَاعَ الْأَنْقَاضَ ، فَكَانَتْ لَهَا قِيمَةٌ أَكْثَرُ مِمَّا قُوِّمَتْ بِهِ لِلسُّلْطَانِ ، فَاتَّصَلَ الْخَبَرُ بِهِ ، فَعَزَّ عَلَيْهِ خَرَابُهَا ، وَأَمَرَ بِتَوْقِيفِ الْوَصِيِّ عَلَى مَا أَحْدَثَهُ فِيهَا ، فَأَحَالَ الْوَصِيُّ عَلَى الْقَاضِي أَنَّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ ، فَأَرْسَلَ عِنْدَ ذَلِكَ لِلْقَاضِي مُنْذِرٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أَمَرْتَ بِنَقْضِ دَارِ أَخِي نَجْدَةَ ؟ فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، فَقَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : أَخَذْتُ فِيهَا بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى « أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ، وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً » مُقَوِّمُوكَ لَمْ يُقَدِّرُوهَا إِلَّا بِكَذَا ، وَبِذَلِكَ تَعَلَّقَ وَهْمُكَ ، فَقَدْ نَضَّ[٣] فِي أَنْقَاضِهَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَبَقِيَتْ

---

(١) يقصد ويتحرى (٢) السورة : الحدة . وسورة السلطان : سطوته واعتداؤه وبطشه ، وفي الأصل « ثورتها » من ثار اذا هاج أو وثب (٣) النض الحاصل ، يقال خذ ما نض لك من غريمك أي تيسر وحصل وأمكن . وفي بعض النسخ « نص » أي رفع وبلغ ، وأصل النص أقصى الشيء وغايته ، ونصص الرجل غريمه وناصه : اذا استقصى عليه وناقشه ، ونص رأيه أي استخرجه وأظهره

ٱلْقَاعَةُ وَٱلْحَمَّامُ فَضْلًا ، وَنَظَرَ ٱللهُ تَعَالَى لِلْأَيْتَامِ . فَصَبَرَ ٱلْخَلِيفَةُ عَبْدُ ٱلرَّحْمٰنِ عَلَى مَا أَتَى مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : نَحْنُ أَوْلَى مَنِ ٱنْقَادَ إِلَى ٱلْحَقِّ، فَجَزَاكَ ٱللهُ تَعَالَى عَنَّا وَعَنْ أَمَانَتِكَ خَيْرًا.

قَالُوا : وَكَانَ عَلَى مَتَانَتِهِ وَجَزَالَتِهِ حَسَنَ ٱلْخُلُقِ ، كَثِيرَ ٱلدُّعَابَةِ ، فَرُبَّمَا سَاءَ ظَنُّ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ بِهِ ، حَتَّى إِذَا رَامَ أَنْ يُصِيبَ مِنْ دِينِهِ شَعْرَةً ثَارَ لَهُ ثَوْرَةَ ٱلْأَسَدِ ٱلضَّارِي ، فَمِنْ ذَلِكَ مَا حَدَّثَ بِهِ سَعِيدٌ[(١)] ٱبْنُهُ قَالَ : قَعَدْنَا لَيْلَةً مِنْ لَيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ ٱلْمُعَظَّمِ مَعَ أَبِينَا لِلْإِفْطَارِ بِدَارِهِ ٱلْبَرَّانِيَّةِ، فَإِذَا سَائِلٌ يَقُولُ : يَا أَهْلَ هَذِهِ ٱلدَّارِ ٱلصَّالِحِ أَهْلُهَا ، أَطْعِمُونِي مِنْ عَشَائِكُمْ أَطْعَمَكُمُ ٱللهُ تَعَالَى مِنْ ثِمَارِ ٱلْجَنَّةِ هَذِهِ ٱللَّيْلَةَ ـ وَيُكْثِرُ مِنْ ذَلِكَ ـ فَقَالَ ٱلْقَاضِي : إِنِ ٱسْتُجِيبَ لِهَذَا ٱلسَّائِلِ فِيكُمْ فَلَيْسَ يُصْبِحُ مِنَّا أَحَدٌ . وَحَكَى عَنْهُ قَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ ٱلْجُهَنِيُّ أَنَّهُ رَكِبَ يَوْمًا لِحِيَازَةِ أَرْضٍ مُحَبَّسَةٍ[(٢)] فِي رَكْبٍ

(١) هو أبو عثمان سعيد بن منذر بن سعيد ، روى عن أبيه وغيره ، وكان خطيبا بليغا ذكيا نبيها ، قتل يوم تغلب البربر على قرطبة في شوال سنة ٤٠٣ « أحمد يوسف نجاتي » (٢) موقوفة .

مِنْ وُجُوهِ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْعَدَالَةِ، فِيهِمْ أَبُو إِبْرَاهِيمَ اللُّؤْلُؤِيُّ وَنُظَرَاؤُهُ، قَالَ فَسِرْنَا نَقْفُوهُ[1] وَهُوَ أَمَامَنَا، وَأَمَامَهُ أُمَنَاؤُهُ يَحْمِلُونَ خَرَائِطَهُ[2] وَذَوُوهُ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ - وَكَانَتِ الْقُضَاةُ حِينَئِذٍ لَا تُرَاكَبُ وَلَا تُمَاشَى - فَعَرَضَ لَهُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ كِلَابٌ مَعَ مُسْتَوْحِمَةٍ[3] وَالْكِلَابُ تَلْعَقُ هَنَهَا وَتَدُورُ حَوْلَهَا، فَوَقَفَ وَصَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْنَا وَقَالَ: تَرَوْنَ يَا أَصْحَابَنَا؟ مَا أَبَرَّ الْكِلَابَ بِالْهَنِ الَّذِي تَلْعَقُهُ وَتُكْرِمُهُ! وَنَحْنُ لَا نَفْعَلُ ذٰلِكَ، ثُمَّ لَوَى عِنَانَ دَابَّتِهِ وَقَدْ أَضْحَكَنَا، وَبَقِينَا مُتَعَجِّبِينَ مِنْ هَزْلِهِ. وَحَضَرَ عِنْدَ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللّٰهِ يَوْمًا فِي خَلْوَةٍ لَهُ فِي بُسْتَانِ الزَّهْرَاءِ عَلَى بِرْكَةِ مَاءٍ طَافِحَةٍ، وَسَطَ رَوْضَةٍ نَافِحَةٍ[4]، فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْوَهَجِ[5] - وَذَلِكَ إِثْرَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ - فَشَكَا إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ وَهَجِ الْحَرِّ وَالْجَهْدِ، وَبَثَّ مِنْهُ

(١) نقفوه: نسير إثره ونتبعه (٢) جمع خريطة وهي وعاء من جلد وغيره مثل الكيس تحمل فيه الكتب والأمتعة (٣) مستوحمة: مشتاقة تشتهي اللقاح (٤) نافحة: متأرجة ذات رائحة ذكية (٥) الوهج: شدة الحر.

مَا تجَاوَزَ ٱلْحدَّ . فَأَمَرَهُ بِخَلْعِ ثِيَابِهِ، وَٱلتَّخْفِيفِ عَنْ جِسْمِهِ فَفَعَلَ، وَلَمْ يُطِقْ ذَٰلِكَ مَا بِهِ، فَقَالَ لَهُ : ٱلصَّوَابُ أَنْ تَنْغَمِسَ فِى وَسَطِ ٱلصِّهْرِيجِ ٱنْغِمَاسَةً يَبْرُدُ بِهَا جِسْمُكَ ـ وَلَيْسَ مَعَ ٱلْخَلِيفَةِ إِلَّا ٱلْحَاجِبُ جَعْفَرٌ ٱلْخَادِمُ ٱلصَّقْلَبِيُّ أَمِينُ ٱلْخَلِيفَةِ ٱلْحَكَمِ لَا رَابِعَ لَهُمْ ـ فَكَأَنَّهُ ٱسْتَحْيَا مِنْ ذَٰلِكَ وَٱنْقَبَضَ عَنْهُ وَقَارًا، وَأَقْصَرَ عَنْهُ إِقْصَارًا، فَأَمَرَ ٱلْخَلِيفَةُ حَاجِبَهُ جَعْفَرًا بِسَبْقِهِ إِلَى ٱلنُّزُولِ فِى ٱلصِّهْرِيجِ لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ ٱلْأَمْرُ فِيهِ، فَبَادَرَ جَعْفَرٌ لِذَلِكَ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِى ٱلصِّهْرِيجِ ـ وَكَانَ يُحْسِنُ ٱلسِّبَاحَةَ ـ فَجَعَلَ يَجُولُ يَمِيناً وَشِمَالًا، فَلَمْ يَسَعِ ٱلْقَاضِىَ إِلَّا إِنْفَاذُ أَمْرِ ٱلْخَلِيفَةِ، فَقَامَ وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ خَلْفَ جَعْفَرٍ، وَلَاذَ بِٱلْقُعُودِ فِى دَرَجِ ٱلصِّهْرِيجِ، وَتَدَرَّجَ فِيهِ بَعْضَ تَدْرِيجٍ، وَلَمْ يَنْبَسِطْ فِى ٱلسِّبَاحَةِ، وَجَعْفَرٌ يَمُرُّ مُصَعِّدًا[١] وَمُصَوِّبًا فَدَسَّهُ[٢] ٱلْحَكَمُ عَلَى ٱلْقَاضِى، وَحَمَلَهُ عَلَى مُسَاجَلَتِهِ[٣] فِى ٱلْعَوْمِ، وَهُوَ يُعَجِّزُهُ فِى إِخْلَادِهِ[٤] إِلَى ٱلْقُعُودِ، وَيُعَابِثُهُ بِٱلْقَاءِ

(١) صعد فى الأرض والوادى : انحدر فيه ، وذهب من حيث يجىء السيل . وصوب ضد صعد (٢) دسه عليه: أغراه به. وفى نسخة «فغمزه» (٣) المساجلة : المجاراة والمباراة ، والمسابقة (٤) ميله وركونه « أحمد يوسف نجاتى »

الْمَاءَ عَلَيْهِ ، وَالْإِشَارَةِ بِالْجَذْبِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ لَا يَنْبَعِثُ مَعَهُ ، وَلَا يُفَارِقُ مَوْضِعَهُ ، إِلَى أَنْ كَلَّمَهُ الْحَكَمُ ، وَقَالَ لَهُ : مَالَكَ لَا تُسَاعِدُ الْحَاجِبَ فِي فِعْلِهِ ، وَتَتَقَبَّلُ صُنْعَهُ ! فَمِنْ أَجْلِكَ نَزَلَ ، وَبِسَبَبِكَ تَبَذَّلَ ، فَقَالَ لَهُ : يَاسَيِّدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجِبُ ـ سَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ لَا هَوْجَلَ مَعَهُ ، وَإِنَّمَا هَـذَا الْهَوْجَلُ الَّذِي مَعِي يَعْقِلُنِي وَيَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَجُولَ مَعَهُ مَجَالَهُ ـ يَعْنِي أَنَّ الْحَاجِبَ خَصِيٌّ لَا هَوْجَلَ مَعَـهُ ، وَالْهَوْجَلُ الذَّكَرُ[1] ـ فَاسْتَفْرَغَ الْحَـكَمُ ضَحِكاً مِنْ نَادِرَتِهِ وَلَطِيفِ تَعْرِيضِهِ لِجَعْفَرٍ ، وَخَجِلَ جَعْفَرٌ مِنْ قَوْلِهِ ، وَسَبَّهُ سَبَّ الْأَشْرَافِ ، وَخَرَجَا مِنَ الْمَـاءِ ، وَأَمَرَ لَهُمَا الْخَلِيفَةُ بِخِلَعٍ وَوَصَلَهُمَا بِصِلَاتٍ سَنِيَّةٍ تُشَاكِلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا . وَحُكِيَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْحَـكَمَ قَالَ لَهُ يَوْمًا : لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ لَا تَجْتَهِدُ لِلْأَيْتَامِ ، وَأَنَّكَ تُقَدِّمُ لَهُمْ أَوْصِيَاءَ سَوْءٍ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ ، قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ أَمْـكَنَهُمْ نَيْكُ أُمَّهَاتِهِمْ لَمْ يَعِفُّوا عَنْهُنَّ ، قَالَ :

(١) لعله من قبيل المجاز نقلا عن « الهوجل » الذى هو أنجر السفينة ومرساها الثقيل يمنعها الحركة والسير « أحمد يوسف نجاتى » .

وَكَيْفَ تُقَدِّمُ مِثْلَ هَؤُلَاءِ ؟ ! قَالَ : لَسْتُ أَجِدُ غَيْرَهُمْ وَلَٰكِنْ أَحِلْنِي عَلَى اللُّؤْلُؤِيِّ وَأَبِي إِبْرَاهِيمَ وَمِثْلِ هَؤُلَاءِ ، فَإِنْ أَبَوْا أَجْبَرْتَهُمْ بِالسَّوْطِ وَالسِّجْنِ ، ثُمَّ لَا تَسْمَعُ إِلَّا خَيْرًا.

وَقَالَ الْقَاضِي مُنْذِرٌ : أَتَيْتُ وَأَبُو جَعْفَرِ بْنُ النَّحَّاسِ(١) فِي مَجْلِسِهِ بِمِصْرَ يُمْلِي فِي أَخْبَارِ الشُّعَرَاءِ شِعْرَ قَيْسٍ الْمَجْنُونِ حَيْثُ يَقُولُ :

خَلِيلَيَّ ، هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ
تُبَكِّي عَلَى نَجْدٍ لَعَلِّي أُعِينُهَا ؟!
قَدَ اسْلَمَهَا(٢) الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً
مُطَوَّقَةً بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِينُهَا
تُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ
يَكَادُ يُدَنِّيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِينُهَا

فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، مَاذَا ـ أَعَزَّكَ اللهُ تَعَالَى ـ

(١) هو أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادى المصرى النحوى ، كان مع فضله وعلمه مشهورا بالتقتير على نفسه فى طعامه ولباسه، وله تصانيف كثيرة ، منها تفسير القرآن الكريم ، وشرح أبيات سيبويه ، وشرح المعلقات ، توفى سنة ٣٣٨ غرق تحت المقياس ولم يدر أين ذهب . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) خذلوها ولم يسعدوها بالبكاء و يعينوها عليه .

بَاتَا يَصْنَعَانِ ؟ فَقَالَ لِي : وَكَيْفَ تَقُولُهُ أَنْتَ يَا أَنْدَلُسِيُّ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : بَانَتْ وَبَانَ قَرِينُهَا ، فَسَكَتَ ، وَمَا زَالَ يَسْتَثْقِلُنِي بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى مَنَعَنِي كِتَابَ الْعَيْنِ (١) — وَكُنْتُ ذَهَبْتُ إِلَى الِانْتِسَاخِ مِنْ نُسْخَتِهِ — فَلَمَّا قَطَعَ بِي قِيلَ لِي : أَيْنَ أَنْتَ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ وَلَّادٍ (٢) ! فَقَصَدْتُهُ ، فَلَقِيتُ رَجُلًا كَامِلَ الْعِلْمِ حَسَنَ الْمُرُوءَةِ ، فَسَأَلْتُهُ الْكِتَابَ ، فَأَخْرَجَهُ إِلَيَّ . ثُمَّ نَدِمَ أَبُو جَعْفَرٍ لَمَّا بَلَغَهُ إِبَاحَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ الْكِتَابَ إِلَيَّ ، وَعَادَ إِلَى مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنْهُ . قَالَ : وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ لَئِيمَ النَّفْسِ ، شَدِيدَ التَّقْتِيرِ عَلَى نَفْسِهِ ، وَرُبَّمَا وُهِبَتْ لَهُ الْعِمَامَةُ فَيُقَطِّعُهَا ثَلَاثَ عَمَائِمَ ، وَكَانَ يَأْبَى شِرَاءَ حَوَائِجِهِ بِنَفْسِهِ ، وَيَتَحَامَلُ (٣) فِيهَا عَلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ . انْتَهَى . وَأَبُو جَعْفَرٍ هَذَا يُقَالُ إِنَّ تَآلِيفَهُ تَزِيدُ عَلَى خَمْسِينَ

وتركوها تنوح وحدها (١) هو معجم فى متن اللغة للخليل بن أحمد

(٢) هو الامام أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد التميمى المصرى النحوى مصنف كتاب الانتصار لسيبويه على المبرد ، وكان شيخ الديار المصرية فى العربية مع أبى جعفر النحاس ، توفى سنة ٣٣٢ «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) يكل اليهم القيام بها ويكلفهم اياها « أحمد يوسف نجاتى »

مِنْهَا شَرْحُ عَشَرَةِ دَوَاوِينَ لِلْعَرَبِ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ ، وَشَرْحُ أَبْيَاتِ الْكِتَابِ[1] وَغَيْرُ ذَلِكَ .

« رَجْعٌ » وَقَالَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ : كَتَبْتُ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ الْبَغْدَادِيِّ أَسْتَعِيرُ مِنْهُ كِتَابًا مِنَ الْغَرِيبِ وَقُلْتُ :

بِحَقِّ رِيمٍ[2] مُهَفْهَفْ وَصُدْغِهِ الْمُتَعَطِّفْ
اِبْعَثْ إِلَيَّ بِجُزْءٍ مِنَ الْغَرِيبِ الْمُصَنَّفْ

فَقَضَى حَاجَتِي ، وَأَجَابَ بِقَوْلِهِ :

وَحَقِّ دُرٍّ تَأَلَّفْ بِفِيكَ أَيَّ تَأَلُّفْ
لَأَبْعَثَنَّ بِمَا قَدْ حَوَى الْغَرِيبُ الْمُصَنَّفْ
وَلَوْ بَعَثْتُ بِنَفْسِي إِلَيْكَ مَا كُنْتُ أُسْرِفْ

فَرَحِمَ اللهُ تَعَالَى تِلْكَ الْأَرْوَاحَ الطَّاهِرَةَ .

« وَذَكَرَ » ابْنُ أَصْبَغَ الْهَمْدَانِيُّ[3] عَنْ مُنْذِرٍ أَنَّهُ خَطَبَ يَوْمًا ـ وَأَرَادَ التَّوَاضُعَ ـ فَكَانَ مِنْ فُصُولِ خُطْبَتِهِ أَنْ قَالَ : حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى أَعِظُ وَلَا أَتَّعِظُ ؟! وَأَزْجُرُ وَلَا أَزْدَجِرُ ؟ !

(١) كتاب سيبويه (٢) الريم: الظبي الخالص البياض. والمهفهف : الدقيق الخصر الضامر البطن (٣) قدمنا التعريف به فيما سبق « أحمد يوسف نجاتي »

أَدُلُّ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْمُسْتَدِلِّينَ[١] ، وَأَبْقَى مُقِيمًا مَعَ ٱلْحَائِرِينَ! كَلاَّ « إِنَّ هَذَا لَهُوَ ٱلْبَلاَءُ ٱلْمُبِينُ » « إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ » ٱلْآيَةَ ، ٱللَّهُمَّ فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ[٢] ، وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا تَكَفَّلْتَ لِي بِهِ ، وَلَا تَحْرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ، وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ ، يَا أَرْحَمَ ٱلرَّاحِمِينَ . وَسَمِعَ مُنْذِرٌ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى[٣] وَنُظَرَائِهِ ، ثُمَّ رَحَلَ حَاجًّا سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، فَاجْتَمَعَ بِعِدَّةِ أَعْلَامٍ ، وَظَهَرَتْ فَضَائِلُهُ بِالْمَشْرِقِ. وَمِمَّنْ سَمِعَ عَلَيْهِ مُنْذِرٌ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ بِمَكَّةَ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْمُنْذِرِ ٱلنَّيْسَابُورِيُّ[٤] سَمِعَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ ٱلْمُؤَلَّفَ فِي ٱخْتِلَافِ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْمُسَمَّى بِالْإِشْرَافِ. وَرَوَى بِمِصْرَ كِتَابَ ٱلْعَيْنِ لِلْخَلِيلِ عَنْ أَبِي ٱلْعَبَّاسِ بْنِ وَلَّادٍ .

وَرَوَى عَنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ ٱلنَّحَّاسِ . وَكَانَ مُنْذِرٌ مُتَفَنِّنًا فِي ضُرُوبِ ٱلْعُلُومِ ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ ٱلتَّفَقُّهُ بِمَذْهَبِ

---

(١) في الأصل « أدل الطريق على المستدلين » ففي العبارة قلب أي أدل المستدلين على الطريق (٢) هذا الدعاء من الأدعية المأثورة . (٣) تقدم تعريفنا به مع بعض بني يحيي بن كثير (٤) سبقت ترجمته قريبا « أحمد يوسف نجاتي »

أَبِي سُلَيْمَانَ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالظَّاهِرِيِّ(١)، فَكَانَ مُنْذِرٌ يُؤْثِرُ مَذْهَبَهُ، وَيَجْمَعُ كُتُبَهُ، وَيَحْتَجُّ لِمَقَالَتِهِ وَيَأْخُذُ بِهِ فِي نَفْسِهِ وَذَوِيهِ، فَإِذَا جَلَسَ لِلْحُكُومَةِ قَضَى بِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ، وَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِالْأَنْدَلُسِ، وَحَمَلَ السُّلْطَانُ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ عَلَيْهِ. وَكَانَ خَطِيبًا بَلِيغًا، عَالِمًا بِالْجَدَلِ حَاذِقًا فِيهِ، شَدِيدَ الْعَارِضَةِ، حَاضِرَ الْجَوَابِ عَتِيدَهُ(٢) ثَابِتَ الْحُجَّةِ، ذَا شَارَةٍ عَجِيبَةٍ، وَمَنْظَرٍ جَمِيلٍ، وَخُلُقٍ حَمِيدٍ، وَتَوَاضُعٍ لِأَهْلِ الطَّلَبِ، وَانْحِطَاطٍ إِلَيْهِمْ وَإِقْبَالٍ عَلَيْهِمْ. وَكَانَ مَعَ وَقَارِهِ التَّامِّ فِيهِ دُعَابَةٌ مُسْتَمْلَحَةٌ وَلَهُ نَوَادِرُ مُسْتَحْسَنَةٌ. وَكَانَتْ وِلَايَتُهُ الْقَضَاءَ بِقُرْطُبَةَ لِلنَّاصِرِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ

---

(١) هو الامام أبو سليمان داود بن على بن خلف الأصبهانى ثم البغدادى، الفقيه المعروف بالظاهرى، وهو امام أهل الظاهر، وكان حافظا مجتهدا زاهدا متقللا كثير الورع، وكان صاحب مذهب مستقل، وتبعه جمع كثيرون يعرفون بالظاهرية، وانتهت اليه رياسة العلم ببغداد، وكان من أكثر الناس تعصبا للامام الشافعى، وصنف فى فضائله والثناء عليه كتابين، ولد بالكوفة سنة ٢٠٢ ونشأ ببغداد وتوفى بها سنة ٢٧٠ وأصله من أصبهان « أحمد يوسف نجاتى ». (٢) أى حاضره مهيئه معده.

وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَلَبِثَ قَاضِيًا مِنْ ذَلِكَ ٱلتَّارِيخِ لِلْخَلِيفَةِ ٱلنَّاصِرِ إِلَى وَفَاتِهِ ، ثُمَّ لِلْخَلِيفَةِ ٱلْحَكَمِ ٱلْمُسْتَنْصِرِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ عَقِبَ ذِي ٱلْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، فَكَانَتْ وِلَايَتُهُ لِقَضَاءِ ٱلْجَمَاعَةِ ٱلْمُعَبَّرِ عَنْهُ فِي ٱلْمَشْرِقِ بِقَضَاءِ ٱلْقُضَاةِ سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا كَامِلَةً ، لَمْ يُحْفَظْ عَلَيْهِ فِيهَا جَوْرٌ فِي قَضِيَّةٍ ، وَلَا قَسْمٌ بِغَيْرِ سَوِيَّةٍ ، وَلَا مَيْلٌ لِهَوًى ، وَلَا إِصْغَاءٌ إِلَى عِنَايَةٍ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ ـ وَدُفِنَ بِمَقْبُرَةِ قُرَيْشٍ بِالرَّبَضِ ٱلْغَرْبِيِّ مِنْ قُرْطُبَةَ ـ أَعَادَهَا ٱللهُ تَعَالَى ـ جَوْفِيَّ مَسْجِدِ ٱلسُّدَّةِ[1] ٱلْكُبْرَى

(١) السدة باب الدار والبيت ، أو الفناء ، وسدة المسجد الأعظم ماحوله من الرواق ـ وأظن « السدة » هنا محرفة عن « السيدة » فالمعروف أنه كان بقرطبة مسجد يسمى مسجد السيدة بالربض الغربي منها ، و بقربه كانت دار منذر بن سعيد صاحب هذه الترجمة ـ وممن كان يسكن قرب مسجد السيدة أيضا أبو حفص عمرو بن عثمان بن خطار بن بشير بن عمرو بن يزيد بن روق بن رفاعة بن محمد بن سعيد بن عبد الملك الذي جاز مع طارق بن زياد وموسى بن نصير الى الأندلس ، وتوفى سنة ٤٠٠ ، ومنهم أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان بن جبرون بن سليمان القرطبي، الفقيه المحدث توفى سنة ٣٩٥ وممن كان اماما بمسجد السيدة أبو بكر أحمد بن عبد الله بن أيوب بن سليمان بن أحمد بن عبد الله بن محمد الذهبي الأموى القرطبي ، وكان عم أبيه الفقيه اللؤلؤى المذكور اسمه فى هذه الترجمة ،

بِقُرْبِ دَارِهِ : وَلَهُ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ تَآلِيفُ مُفِيدَةٌ ، مِنْهَا كِتَابُ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ، وَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي الْفِقْهِ وَالْكَلَامِ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الْمَذَاهِبِ ـ تَغَمَّدَهُ اللهُ تَعَالَى بِرِضْوَانِهِ ـ . وَكَتَبَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ إِلَى الْقَاضِي مُنْذِرٍ بِقَوْلِهِ :

مَسْئَلَةٌ جِئْتُكَ مُسْتَفْتِياً عَنْهَا وَأَنْتَ الْعَالِمُ الْمُسْتَشَارْ
عَلَامَ تَحْمَرُّ وُجُوهُ الظِّبَا
وَأَوْجُهُ الْعُشَّاقِ فِيهَا اصْفِرَارْ ؟!

فَأَجَابَ مُنْذِرٌ بِقَوْلِهِ :

أَحْمَرَّ وَجْهُ الظَّبْيِ إِذْ لَحْظُهُ
سَيْفٌ عَلَى الْعُشَّاقِ فِيهِ احْوِرَارْ
وَاصْفَرَّ وَجْهُ الصَّبِّ لَمَّا نَأَى
وَالشَّمْسُ تَبْقَى لِلْمَغِيبِ اصْفِرَارْ(١)

كانت له رحلة الى المشرق ، ولد سنة ٣٣٣ وله اختصار حسن فى تفسير القرآن للطبرى ، ولا أعرف أنه كان بقرطبة مسجد يسمى مسجد السدة ولكنى أرجح أن الكلمة مصحفة ، والله أعلم «أحمد يوسف نجاتى»

(١) أى ذات اصفرار ، وهو مثل قول الشاعر :

***

القاسم بن فيره الشاطبي الرعيني

« وَمِمَّنْ رَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ فَشَهِدَ لَهُ بِالسَّبْقِ ، كُلُّ أَهْلِ ٱلْمَغْرِبِ وَٱلْمَشْرِقِ » ٱلْإِمَامُ ٱلْعَلَّامَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ(١) ٱلْقَاسِمُ ٱلشَّاطِبِيُّ صَاحِبُ حِرْزِ ٱلْأَمَانِي(٢) ، وَٱلْعَقِيلَةِ ، وَغَيْرِهِمَا . وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْقَاسِمُ بْنُ فِيرُّهْ(٣) ٱبْنِ خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ ٱلرُّعَيْنِيُّ ٱلشَّاطِبِيُّ ٱلْمُقْرِئُ ٱلْفَقِيهُ ٱلْحَافِظُ ٱلضَّرِيرُ ، أَحَدُ ٱلْعُلَمَاءِ ٱلْمَشْهُورِينَ ، وَٱلْفُضَلَاءِ ٱلْمَشْكُورِينَ خَطَبَ بِبَلَدِهِ شَاطِبَةَ مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ ، وَدَخَلَ ٱلدِّيَارَ ٱلْمِصْرِيَّةَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَحَضَرَ عِنْدَ ٱلْحَافِظِ

والشمس عند مغيبها   تصفر من ألم الفراق

ووجه حمرة الوجه فى البيت الأول أن به آثار من قتلوا بسيف اللحظ ، ومثله :

هذا دمى فى وجنتيك عرفته   لا تستطيع جحوده عيناك

وعجز البيت الثانى فيه مبالغة مثل: فانما هى اقبال وادبار «أحمد يوسف نجاتى»

(١) فى الأصل أبو القاسم بن فيره ، ففى العبارة سقط فهو كما أصلحناه «أبو محمد القاسم بن فيره» (٢) هى قصيدته المشهورة فى القراءات، واسمها حرز الأمانى ووجه التهانى. وعدتها ١١٧٣ بيتا ولقد أبدع فيها كل الابداع وهى منذ نظمها لاتزال عمدة القراء فى نقلهم، وقد شرحها غير واحد، ومن أشهر شروحها شرح ابن القاصح (٣) فيره لقب اسبانى محض معناه

أَلسِّلَفِيِّ[1] وَٱبْنِ بَرِّيّ[2] وَغَيْرِهِمَا . وَوُلِدَ بِشَاطِبَةَ آخِرَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ يَوْمَ ٱلْأَحَدِ ٱلثَّامِنَ وَٱلْعِشْرِينَ — وَقِيلَ ٱلثَّامِنَ عَشَرَ — مِنْ جُمَادَى ٱلْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ بَعْدَ ٱلْعَصْرِ ، وَدُفِنَ مِنَ ٱلْغَدِ بِالتُّرْبَةِ ٱلْفَاضِلِيَّةِ[3] بِسَفْحِ ٱلْمُقَطَّمِ .

الحديد ، وهو بالفرنسية Fer و بالايطالية Ferro وكذا باللغة الاسبانية القديمة،مشتقا من الكلمة اللاتينية ، وقد حرفوه فى لغتهم الحديثة فسموا الحديد Hierro ولكنهم لاينطقون الحرف H بل يطلقون على السكة الحديدية Ferrocariks، Ceminos de hierro ومن هذا ترى أن كلمة فيره لا تزال مستعملة عندهم فى بعض التراكيب « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو الحافظ صدر الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن سلفة الأصبهانى أحد الحفاظ المكثرين ، رحل فى طلب الحديث، ودخل ثغر الأسكندرية سنة ٥١١ وأقام به ، وقصده الناس من كل حدب، و بنى له العادل أبو الحسن على بن السلار وزير الخليفة الظافر العبيدى مدرسة بالثغر سنة ٥٤٦ وكان مولده سنة ٤٧٨ بأصبهان،وتوفى سنة ٥٧٦ بالثغر ،ودفن به بقرب مدفن الامام الطرطوشى. والسلفى نسبة الى جده سلفة ، وهو لفظ أعجمى ومعناه بالعربية « ثلاث شفاه » لأن احدى شفتيه كانت مشقوقة « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو العلامة اللغوى الجليل أبو محمد عبد الله بن برى المقدسى ثم المصرى النحوى، انتهى اليه علم العربية فى زمانه، وقصده الناس من جميع الآفاق لتحقيقه وتبحره، وتوفى سنة ٥٣٢ « أحمد يوسف نجاتى » (٣) نسبة الى القاضى الفاضل أبى على عبد الرحيم البيسانى وزير الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى ، وتوفى سنة ٥٩٦ ، وتربته فى القرافة الصغرى

وَحُكِيَ أَنَّ ٱلْأَمِيرَ عِزَّ ٱلدِّينِ مُوسَكَ[1] ٱلَّذِى كَانَ وَالِدُ ٱبْنِ ٱلْحَاجِبِ[2] حَاجِباً لَهُ بَعَثَ إِلَى ٱلشَّيْخِ ٱلشَّاطِبِيِّ يَدْعُوهُ إِلَى ٱلْحُضُورِ عِنْدَهُ، فَأَمَرَ ٱلشَّيْخُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ:

قُلْ لِلْأَمِيرِ مَقَالَةً　　مِنْ نَاصِحٍ فَطِنٍ نَبِيهْ

إِنَّ ٱلْفَقِيهَ إِذَا أَتَى　　أَبْوَابَكُمْ لَا خَيْرَ فِيهْ

---

(١) هو الأمير موسك بن جكو الكردى، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين بن أيوب، وكان ملازما له فى غزواته وحروبه، كان حافظا للقرآن الكريم سامعا للحديث، وكان برا بالناس محسنا اليهم، صالحا دينا شجاعا كريما جوادا، مرض بمرج عكا، فأمره السلطان أن يمضى الى مدينة دمشق ليتطبب بها، فذهب اليها، فأدركته منيته بها سنة ٥٨٥ رحمه الله «أحمد يوسف نجاتى» (٢) هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبى بكر ابن يونس الفقيه المالكى الملقب جمال الدين، كان والده حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحى، واشتغل ولده أبو عمرو المذكور بالقاهرة فى صغره بالقرآن الكريم، ثم بالفقه على مذهب الامام مالك، ثم بالعربية والقراءات، وبرع فى علومه وأتقنها، ثم انتقل الى دمشق ودرس بها، وكان الأغلب عليه علم العربية، وصنف مختصرا مشهورا فى مذهبه، ومقدمة وجيزة فى النحو سماها الكافية، وأخرى فى الصرف اسمها الشافية، وهما مشهورتان مفيدتان، وله عليهما شرحان جيدان — ثم عاد الى القاهرة وأقام بها والناس ملازمون للاشتغال عليه، ثم انتقل الى الأسكندرية فتوفى بها سنة ٦٤٦ وكان مولده سنة ٥٧٠ بمدينة أسنى بالصعيد «أحمد يوسف نجاتى»

وَمِنْ نَظْمِهِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ :

خَالَقْتُ(١) أَبْنَاءَ الزَّمَانِ فَلَمْ أَجِدْ
مَنْ لَمْ أَرُمْ مِنْهُ ارْتِيَادِي مَخْلَصِي
رَدُّ الشَّبَابِ وَقَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ
أَهْيَا(٢) وَأَمْكَنُ مِنْ صَدِيقٍ مُخْلِصِ

وَكَانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ قَرَأَ بِشَاطِبَةَ الْقِرَاءَاتِ وَأَتْقَنَهَا عَلَى النَّفْزِيِّ(٣) ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَلَنْسِيَةَ فَقَرَأَ بِهَا التَّيْسِيرَ مِنْ حِفْظِهِ عَلَى ابْنِ هُذَيْلٍ(٤) وَسَمِعَ الْحَدِيثَ مِنْهُ وَمِنَ

---

(١) خالق الناس: عاشرهم فى أخلاقهم وفى نسخة « خالصت » وقد تكون «خالطت» و«مخلصى» آخر البيت مفعول ارتيادى أى طلبى (٢) أسهل (٣) هو أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن أبى العاص النفزى المقرىء الضرير من أهل شاطبة ، و يعرف بابن اللاية ، تصدر ببلده للاقراء ، وأخذ عنه جماعة من الأعيان ، وكان من أهل الدين والفضل . ونفزة قبيلة كبيرة كانت تقيم بشاطبة ، وهى من أهل بربرى ، ونفزة منها أخوال عبد الرحمن الداخل وهى من برابرة طرابلس ، واليها ينسب أيضا المنذر بن سعيد البلوطى النفزى المتقدم . ولكن ابن أبى العاص هذا منسوب الى نفزة قرية بمالقة بالأندلس « أحمد يوسف نجاتى » (٤) هو أبو الحسن على بن محمد بن على بن هذيل ، فقيه مقرىء فاضل زاهد ورع ، انتفع به خلق كثير بعلمه ومروءته ، وتوفى سنة ٥٦٤ « أحمد يوسف نجاتى »

أبْنِ ٱلنِّعْمَةِ(١) وَأبْنِ سَعَادَةَ(٢) وَأبْنِ عَبْدِ ٱلرَّحِيمِ(٣) وَغَيْرِهِمْ وَأرْتَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ، فَاسْتَوْطَنَ ٱلْقَاهِرَةَ. وَاشْتَهَرَ ٱسْمُهُ وَبَعُدَ صِيتُهُ، وَقَصَدَهُ ٱلطَّلَبَةُ مِنْ ٱلنَّوَاحِي. وَكَانَ إِمَامًا عَلَّامَةً ذَكِيًّا، كَثِيرَ ٱلْفُنُونِ، وَمُنْقَطِعَ ٱلْقَرِينِ، رَأْسًا فِي ٱلْقِرَاءَاتِ، حَافِظًا لِلْحَدِيثِ، بَصِيرًا بِالْعَرَبِيَّةِ، وَاسِعَ ٱلْعِلْمِ. وَقَدْ سَارَتِ ٱلرُّكْبَانُ بِقَصِيدَتَيْهِ: حِرْزِ ٱلْأَمَانِي، وَعَقِيلَةِ

(١) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن خلف بن النعمة، فقيه حافظ محدث زاهد فاضل أديب عالم له مؤلفات قيمة وتوفى سنة ٥٦٧ «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة، أصله من بلنسية، ونشأ بمرسية، وتولى قضاءها بعد انقراض الدولة اللمتونية، ثم نقل الى قضاء شاطبة فاتخذها وطنا، رحل حاجا سنة ٥٢٠ ولقى فى بلاد المشرق كثيرا من علمائه فأخذ عنهم، وعاد الى الأندلس سنة ٥٢٣ فأقبل الناس يستفيدون منه. وكان عالما محدثا صالحا متفننا فى كثير من العلوم، وتوفى بشاطبة سنة ٥٦٦ — وهناك أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن سعادة المقرىء الفاضل من أهل شاطبة، ولد سنة ٥١٦ وتوفى سنة ٦١٤ بشاطبة «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن الفرج بن خلف ابن سعيد بن هشام الأنصارى الخزرجى من ولد سعيد بن سعد بن عبادة، كان يعرف بابن الفرس، وهو من أهل غرناطة، وكان جدهم الداخل الى الأندلس قد نزل سرقسطة، ثم انتقل ولده الى قرطبة، وخرجوا منها فى الفتنة البربرية الى ألبيرة ونزلوا بها، كان فقيها مقرئا عالما محدثا راوية مكثرا، واستوطن مرسية سنة ٥٣٩ فولى الشورى بها، ثم ولى

أَتْرَابِ ٱلْفَضَائِلِ ٱللَّتَيْنِ فِي ٱلْقِرَاءَاتِ وَٱلرَّسْمِ ، وَحَفِظَهُمَا خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصَوْنَ، وَخَضَعَ لَهُمَا فُحُولُ ٱلشُّعَرَاءِ ،وَكِبَارُ ٱلْبُلَغَاءِ ، وَحُذَّاقُ ٱلْقُرَّاءِ ،وَلَقَدْ أَوْجَزَ وَسَهَّلَ ٱلصَّعْبَ . وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱبْنُ خَيْرَةَ(١) وَوَصَفَهُ مِنْ قُوَّةِ ٱلْحِفْظِ بِأَمْرٍ عَجِيبٍ مُعْجِبٍ ، وَمِمَّنْ قَرَأَ عَلَيْهِ بِالرِّوَايَاتِ ٱلْإِمَامُ ٱلشَّهِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ٱلْقُرْطُبِيُّ(٢) . وَتَصَدَّرَ ٱلشَّاطِبِيُّ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ـ لِلْإِقْرَاءِ بِالْمَدْرَسَةِ ٱلْفَاضِلِيَّةِ(٣) . وَكَانَ مَوْصُوفاً

قضاء بلنسية سنة ٥٤٦ وكان فى وقته أحد حفاظ الأندلس الأدباء والقراء العلماء ، وأخذ الناس عنه وانتفعوا به. وتوفى باشبيلية سنة ٥٦٧ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى »

(١) هو على بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة البلنسى الفقيه المحدث المقرئ الفاضل، توفى سنة ٦٣٤

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف الأنصارى القرطبي، انتقل أبوه الى مدينة فاس فسكنها ، وعرف فيها بالقرطبي هو وابنه محمد هذا ، ثم رحل الى المشرق ووفد الى القاهرة وحدث بها، وأخذ عنه القرآن والحديث والعربية. ثم انتقل الى المدينة المنورة ، وجاور بها قليلا ، وعاد الى مصر فتوفى بها سنة ٦٢١ وكان ذا علم وفضل ودين وهدى « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) دخل الشاطبي مصر سنة ٥٧٢ وكان نزيل القاضى الفاضل ، ورتبه بمدرسته متصدرا لاقراء القرآن الكريم وقراءاته والنحو واللغة ـ والمدرسة الفاضلية كانت فى الجهة المسماة درب ملوخية، بناها القاضى الفاضل بجوار داره سنة ٥٨٠ ووقفها على طائفتى الفقهاء الشافعية والمالكية، وجعل فيها قاعة للاقراء ، أقرأ بها الامام الشاطبي هذا ، ثم تلميذه أبو عبد الله

بِالزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالِانْقِطَاعِ . وَقَبْرُهُ بِالْقَرَافَةِ يُزَارُ وَتُرْجَى أَسْتِجَابَةُ الدُّعَاءِ عِنْدَهُ ، وَقَدْ زُرْتُهُ مِرَارًا ، وَدَعَوْتُ اللّٰهَ بِمَا أَرْجُو قَبُولَهُ . وَتَرَكَ أَوْلَادًا مِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللّٰهِ مُحَمَّدٌ ، عَاشَ نَحْوَ ثَمَانِينَ سَنَةً . وَقَالَ السُّبْكِيُّ فِي حَقِّ الْإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ : إِنَّهُ كَانَ قَوِيَّ الْحَافِظَةِ وَاسِعَ الْمَحْفُوظِ ، كَثِيرَ الْفُنُونِ فَقِيهًا مُقْرِئًا مُحَدِّثًا نَحْوِيًّا ، زَاهِدًا عَابِدًا نَاسِكًا ، يَتَوَقَّدُ ذَكَاءً . قَالَ السَّخَاوِيُّ : أَقْطَعُ أَنَّهُ كَانَ مُكَاشِفًا ، وَأَنَّهُ سَأَلَ اللّٰهَ كِتْمَانَ حَالِهِ ؛ مَا كَانَ أَحَدٌ يَعْلَمُ أَيَّ شَيْءٍ هُوَ . انْتَهَى . وَتَرْجَمَتُهُ وَاسِعَةٌ ، رَحِمَهُ اللّٰهُ ـ تَعَالَى ـ وَنَفَعَنَا بِهِ ، آمِينَ .

وَقَالَ ابْنُ خِلِّكَانَ : إِنَّهُ أَبْدَعَ فِي حِرْزِ الْأَمَانِي كُلَّ الْإِبْدَاعِ ، وَهِيَ عُمْدَةُ قُرَّاءِ هَذَا الزَّمَانِ فِي تَعَلُّمِهِمْ ، فَقَلَّ مَنْ يَشْتَغِلُ بِالْقِرَاءَاتِ إِلَّا وَيُقَدِّمُ حِفْظَهَا وَمَعْرِفَتَهَا ، وَهِيَ

محمد بن عمر القرطبي المتقدم التعريف به ، ووقف على هذه المدرسة جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم ـ كانت حوالى مائة ألف مجلد ـ لعبت بها فيما بعد أيدى الضياع والجهل . وكان الى جانب المدرسة كتاب للأيتام ، وقد كانت تلك المدرسة من أعظم مدارس القاهرة وأجلها ، ثم خربت لخراب ماحولها ومحى أثرها ولم يبق الا سيرتها « أحمد يوسف نجاتى » .

مُشْتَمِلَةٌ عَلَى رُمُوزٍ عَجِيبَةٍ ، وَإِشَارَاتٍ لَطِيفَةٍ ، وَمَا أَظُنُّهُ سُبِقَ إِلَى أُسْلُوبِهَا ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَا يَقْرَأُ أَحَدٌ قَصِيدَتِي هَذِهِ إِلَّا وَيَنْفَعُهُ ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بِهَا لِأَنِّي نَظَمْتُهَا لِلهِ تَعَالَى مُخْلِصًا . وَكَانَ عَالِمًا بِكِتَابِ ٱللهِ تَعَالَى قِرَاءَةً وَتَفْسِيرًا ، وَبِحَدِيثِ رَسُولِ ٱللهِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مُبَرِّزًا فِيهِ ، وَكَانَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِ صَحِيحَا ٱلْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَٱلْمُوَطَّأُ يُصَحِّحُ ٱلنُّسَخَ مِنْ حِفْظِهِ ، وَيُمْلِي ٱلنُّكَتَ عَلَى ٱلْمَوَاضِعِ ٱلْمُحْتَاجِ إِلَيْهَا . وَكَانَ أَوْحَدَ زَمَانِهِ فِي عِلْمِ ٱلنَّحْوِ وَٱللُّغَةِ ، عَارِفًا بِتَعْبِيرِ ٱلرُّؤْيَا ، حَسَنَ ٱلْمَقَاصِدِ ، مُخْلِصًا فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ . وَكَانَ يَجْتَنِبُ فُضُولَ ٱلْكَلَامِ ، وَلَا يَنْطِقُ فِي سَائِرِ أَوْقَاتِهِ إِلَّا بِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةٌ ، وَلَا يَجْلِسُ لِلْقِرَاءَةِ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ ، فِي هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَتَخَشُّعٍ وَٱسْتِكَانَةٍ . وَكَانَ يَعْتَلُّ ٱلْعِلَّةَ ٱلشَّدِيدَةَ فَلَا يَشْتَكِي وَلَا يَتَأَوَّهُ ، وَإِذَا سُئِلَ عَنْ حَالِهِ قَالَ : بِعَافِيَةٍ ، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ .

وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ هَذَا ٱللُّغْزَ فِي ٱلنَّعْشِ ، وَهُوَ

لِأَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَ بْنِ سَلَامَةَ الْخَطِيبِ[١] :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ[٢]

إِذَا سَارَ صَاحَ النَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ ؟!

(١) هو أبو الفضل يحي بن سلامة بن الحسين بن محمد الملقب معين الدين المعروف بالخطيب الحصكفي ، كان فقيها أديبا خطيبا مفوها شاعرا بليغا ، وأصله من ديار بكر ، وقدم بغداد ، واشتغل بالعلم والأدب بها حتى برع براعة فائقة . ولد سنة ٤٦٠ وتوفى سنة ٥٥١ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) فى ابن خلكان « يطير » أى يسرع فى حركته ودورانه ، وهو يشير الى الكواكب المسماة بنات نعش الكبرى ، وهى سبعة كواكب أربعة منها نعش لأنها مربعة ، وثلاث بنات نعش . وكذلك بنات نعش الصغرى ، قيل انها شبهت بحملة النعش فى تربيعها . والكواكب الأربعة التى كانت العرب تسميها بالنعش هى فى الحقيقة تؤلف شكلا شبه منحرف تقريبا ، والثلاثة الأخرى الباقية تكون قوسا يتجه تحديبه نحو الأفق وهذه هى المجموعة المعروفة عند الفلكيين الآن باسم الدب الأكبر ، ويراها الراصد فى مصر على ارتفاع ٦° وقد كان الأقدمون يتوهمون أن أربعة النجوم الأولى تؤلف جسم الدب ، وتكون الثلاثة الأخرى ذنبه ، ومن هنا أتت هذه التسمية ، والذى كانت العرب تسميه بنات نعش الصغرى هو المعروف الآن بالدب الأصغر — ومما قيل فى وصف بنات نعش :

و بنات نعش قد برزن حواسرا قدامها أخواتهن الأربع
عبرى هتكن حجابهن على الدجا جزعا ، وآلت بعد لاتتقنع

وللقاضى التنوخى :

كأن بنى نعش نساء حواسر غرائب قد شيعن نعش قريب

وللشريف العقيلى :

أرى ذنب الدب الصغير مذهبا وقد صورته غادة غير عاطله

فَتَلْقَاهُ مَرْكُوباً ، وَتَلْقَاهُ رَاكِباً
وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أَسِيرُ
يَحُضُّ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرَهُ قُرْبُهُ
وَتَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَزَرْ عَنْ رَغْبَةٍ فِي زِيَارَةٍ
وَلَـٰكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَزُورِ يَزُورُ

وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى مِصْرَ : إِنَّهُ يَحْفَظُ وِقْرَ[١] بَعِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ . وَكَانَ نَزِيلَ الْقَاضِي الْفَاضِلِ ، وَرَتَّبَهُ بِمَدْرَسَتِهِ بِالْقَاهِرَةِ . وَقِيلَ إِنَّ كُنْيَتَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ[٢] حَسْبَمَا وُجِدَ فِي بَعْضِ إِجَازَاتِهِ — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — .

ودائرة الدب الكبير تجلدت على القطب فى أشراقها والأصائل
كأن أنو شروان نام على الدجى وطافت عليه سبعة بمشاعل
وتقدم شيء يتعلق ببعض الكواكب . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) الوقر : الحمل (٢) هذا هو الذى صح، وقد اخترته ، واسمه القاسم .

***

أبو بكر بن العربي محمد ابن عبد الله المعافري بن العربي

« وَمِنَ ٱلرَّاحِلِينَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلْإِمَامُ ٱلْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ ٱلْعَرَبِيِّ » قَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ: وَهُوَ ٱلْإِمَامُ ٱلْقَاضِي ٱلْعَالِمُ ٱلشَّهِيرُ فَخْرُ ٱلْمَغْرِبِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلْمَعَافِرِيُّ قَاضِي قُضَاةِ كُورَةِ إِشْبِيلِيَةَ، ذَكَرَهُ ٱلْحِجَارِيُّ فِي ٱلْمُسْهَبِ. طَبَّقَ ٱلْآفَاقَ بِفَوَائِدِهِ، وَمَلَأَ ٱلشَّامَ وَٱلْعِرَاقَ بِأَوَابِدِهِ[1]، وَهُوَ إِمَامٌ فِي ٱلْأُصُولِ وَٱلْفُرُوعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَمِنْ شِعْرِهِ وَقَدْ رَكِبَ مَعَ أَحَدِ أُمَرَاءِ ٱلْمُلَثَّمِينَ ـ وَكَانَ ذَلِكَ ٱلْأَمِيرُ صَغِيرًا ـ فَهَزَّ عَلَيْهِ رُمْحًا كَانَ فِي يَدِهِ مُدَاعِبًا لَهُ، فَقَالَ:

يَهُزُّ عَلَيَّ ٱلرُّمْحَ ظَبْيٌ مُهَفْهَفٌ
لَعُوبٌ بِأَلْبَابِ ٱلرَّعِيَّةِ عَابِثُ
وَلَوْ كَانَ رُمْحًا وَاحِدًا لَاتَّقَيْتُهُ
وَلَكِنَّهُ رُمْحٌ وَثَانٍ وَثَالِثُ

(١) طبق: عم وملأ، والأوابد جمع آبدة وهي في الأصل القافية الشاردة، والأقوال السائرة، والكلمة أو الفعلة الغريبة « أحمد يوسف نجاتي »

وَقَوْلُهُ ـ وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ غُلَامٌ جَمِيلُ الصُّورَةِ فِي لِبَاسٍ خَشِنٍ ـ :

لَبِسَ الصُّوفَ لِكَيْ أُنْكِرَهُ
وَأَتَانَا شَاحِبًا[1] قَدْ عَبَسَا

قُلْتُ : إِيهٍ قَدْ عَرَفْنَاكَ، وَذَا
جُلُّ سُوءٍ لَا يَعِيبُ الْفَرَسَا[2]

كُلُّ شَيْءٍ أَنْتَ فِيهِ حَسَنٌ
لَا يُبَالِي حَسَنٌ مَا لَبِسَا

وَزَعَمَ بَعْضٌ أَنَّ الْأَبْيَاتَ لَيْسَتْ لَهُ، وَإِنَّمَا تَمَثَّلَ بِهَا فَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَمِمَّنْ عَرَّفَ بِابْنِ الْعَرَبِيِّ وَذَكَرَهُ ابْنُ الْإِمَامِ فِي سِمْطِ الْجُمَانِ، وَالشَّقَنْدِيُّ فِي الطُّرَفِ. وَكَانَ قَدْ صَحِبَ الْمَهْدِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ تُومَرْتَ بِالْمَشْرِقِ، فَأَوْصَى عَلَيْهِ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ، وَكَانَ مُكَرَّمًا عِنْدَهُ . وَحُكِيَ أَنَّهُ كَتَبَ كِتَابًا، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَنْ يَذُرَّ عَلَيْهِ نُشَارَةً، فَقَالَ : قِفْ، ثُمَّ فَكَّرَ سَاعَةً وَقَالَ اكْتُبْ :

(١) شحب لونه « كجمع ونصر وكرم وعنى » شحوبا وشحوبة اذا تغير من هزال أو عمل أوسفر أو غير ذلك (٢) الجل ما تلبسه الدابة لتصان به، وقد تكون « سوء » مصحفة عن صوف وان كان المعنى عليها ظاهر المراده بالجل ذلك اللباس الخشن الذى لا يناسب هذا الوجه الجميل. « أحمد يوسف نجاتى »

لَا تَشِنْهُ بِمَا تَذُرُّ عَلَيْهِ فَكَفَاهُ هُبُوبُ هَذَا الْهَوَاءِ
فَكَأَنَّ الَّذِى تَذُرُّ عَلَيْهِ جُدَرِىٌّ بِوَجْنَةٍ حَسْنَاءِ

وَلَقِىَ أَبَا بَكْرٍ الطَّرْطُوشِىَّ (١) ، وَمَا بَرِحَ مُعَظَّمًا إِلَى أَنْ تَوَلَّى خُطَّةَ الْقَضَاءِ ، وَوَافَقَ ذَلِكَ أَنِ احْتَاجَ سُورُ إِشْبِيلِيَةَ إِلَى بُنْيَانِ جِهَةٍ مِنْهُ ـ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مَالٌ مُتَوَفِّرٌ ـ فَفَرَضَ عَلَى النَّاسِ جُلُودَ ضَحَايَاهُمْ ـ وَكَانَ ذَلِكَ فِى عِيدِ أَضْحَى ـ فَأَحْضَرُوهَا كَارِهِينَ ، ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْعَامَّةُ الْعَمْيَاءُ ، وَثَارَتْ عَلَيْهِ وَنَهَبُوا دَارَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى قُرْطُبَةَ . وَكَانَ فِى أَحَدِ أَيَامِ الْجُمَعِ قَاعِدًا يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ ، فَإِذَا بِغُلَامٍ رُومِىٍّ وَضِىءٍ قَدْ جَاءَ يَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ بِشَمْعَةٍ فِى يَدِهِ وَكِتَابٍ مُعَتَّقٍ ، فَقَالَ :

وَشَمْعَةٍ تَحْمِلُهَا شَمْعَةٌ يَكَادُ يُخْفِى نورُهَا نَارَهَا
لَوْلَا نُهَى (٢) نَفْسٍ نَهَتْ غَيَّهَا لَقَبَّلَتْهُ وَأَتَتْ عَارَهَا

---

(١) ستأتى ترجمته (٢) النهى العقل لأنه ينهى عن القبيح ، وبه ينتهى المرء اذا أطاعه الى المحاسن والمحامد « أحمد يوسف نجاتى »

وَلَمَّا سَمِعَهُمَا أَبُو عِمْرَانَ ٱلزَّاهِدُ (١) قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ، وَلَكِنَّهُ هَزَّتْهُ أَرْيَحِيَّةُ(٢) ٱلْأَدَبِ ،وَلَوْ كُنْتُ أَنَا لَقُلْتُ:

لَوْلَا ٱلْحَيَاءُ وَخَوْفُ ٱللهِ يَمْنَعُنِي
وَأَنْ يُقَالَ صَبَا مُوسَى عَلَى كِبَرِهْ
إِذًا لَمَتَّعْتُ لَحْظِي فِي نَوَاظِرِهِ
حَتَّى أُوَفِّيَ جُفُونِي ٱلْحَقَّ مِنْ نَظَرِهِ

« رَجْعٌ » إِلَى أَخْبَارِ ٱبْنِ ٱلْعَرَبِيِّ ، فَنَقُولُ : إِنَّهُ سَمِعَ بِالْأَنْدَلُسِ أَبَاهُ وَخَالَهُ أَبَا ٱلْقَاسِمِ ٱلْحَسَنَ ٱلْهَوْزَنِيَّ(٣) وَأَبَا عَبْدِ ٱللهِ ٱلسَّرَقُسْطِيَّ ، وَبِبَجَايَةَ أَبَا عَبْدِ ٱللهِ ٱلْكَلَاعِيَّ(٤)

---

(١) هو موسى بن حسين بن موسى بن عمران القيسى أبو عمران الزاهد الميرتلى ، نزيل اشبيلية ، كان منقطع القرين فى الورع والزهد والعبادة والعزلة ، مع الحظ الوافر من الأدب ، والتقدم فى قرض الشعر وكان ملازما لمسجده داخل اشبيلية ؛ يقرىء و يعلم، و يفيد الناس بعلمه وأدبه و وعظه . توفى سنه ٦٠٤ عن ثمانين سنة « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) أى نشاط وخفة وارتياح (٣) هو أبو القاسم الحسن بن عمر بن الحسن الهوزنى من أهل اشبيلية ، رحل الى المشرق وحج ، وأخذ عن كثير من علمائه. وكان فقيها مشاورا ببلده عاليا فى روايته، ذاكرا للأخبار والحكايات حسن الايراد لها ، رحل الناس اليه وسمعوا منه ، ولد سنة ٤٣٥ وتوفى سنة ٥١٢ « أحمد يوسف نجاتى » (٤) هو أبو عبد الله محمد بن عمار الكلاعى من أهل ميورقة ونزل بجاية، سمع منه أبو بكر بن العربى سنة ٤٨٥ و وصفه بالعلم ، وسيأتى حديث عنه « أحمد يوسف نجاتى »

وَبِالْمَهْدِيَّةِ أَبَا الْحَسَنِ بْنَ الْحَدَّادِ الْخَوْلَانِيَّ(١) ، وَسَمِعَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنَ الْأَنْمَاطِيِّ ، وَبِمِصْرَ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ الْخِلَعِيِّ(٢) وَغَيْرِهِ ، وَبِدِمَشْقَ غَيْرَ وَاحِدٍ كَأَبِي الْفَتْحِ نَصْرٍ الْمَقْدِسِيِّ(٣) وَبِمَكَّةَ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنَ الطَّبَرِيَّ(٤) وَابْنَ طَلْحَةَ(٥) وَابْنَ بُنْدَارٍ(٦) ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى التِّبْرِيزِيِّ . وَعَمِلَ

(١) هو على بن محمد بن ثابت الخولانى المعروف بالحداد المهدوى، وهو القائل

قالت وأبدت صفحة　　كالشمس من تحت القناع
بعت الدفاتر وهى آ　　خر مايباع من المتاع
فأجبتها — ويدى على　　كبدى وهمت بانصداع —:
لاتعجبى فبما رأيـ　　ـت فنحن فى زمن الضياع

(٢) هو القاضى أبو الحسن على بن الحسن المصرى الفقيه الشافعى، انتهى اليه فى عصره علو الاسناد بمصر ، وكان ذا دين وعبادة وفضل عظيم ، وله تآليف مفيدة، توفى سنة ٤٩٢ « أحمد يوسف نجاتى » (٣) هو الفقيه نصر بن ابراهيم بن نصر بن ابراهيم بن داود المقدسى النابلسى الزاهد شيخ الشافعية بالشام، كان اماما علامة فقيها محدثا حافظا زاهدا كبير القدر عديم النظير ، توفى سنة ٤٩٠ « أحمد يوسف نجاتى » (٤) هو الحسين بن على بن الحسين الفقيه الشافعى محدث مكة ونزيلها ، وكان يدعى امام الحرمين لأنه جاور بمكة نحو ٣٠ سنة يدرس ويفتى ويسمع، وبها توفى سنة ٤٩٨ . « أحمد يوسف نجاتى » (٥) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة البغدادى الحمامى ، روى عنه ابن العربى ببغداد كما فى شذور الذهب. وتوفى ابن طلحة سنة ٤٩٣ (٦) أبو المعالى ثابت ابن بندار البقال المقرئ وكان ثقة فاضلا توفى سنة ٤٩٨ — و « بندار »

ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ عَلَى مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَةَ سُورًا بِالْحِجَارَةِ وَٱلْآجُرِّ بِالنُّورَةِ مِنْ مَالِهِ . وَكَانَ ـ كَمَا فِي ٱلصِّلَةِ ـ حَرِيصًا عَلَى جَمْعِ ٱلْمَعَارِفِ ، وَعَلَى أَدَائِهَا وَنَشْرِهَا[1] ثَاقِبَ ٱلذِّهْنِ فِي تَمْيِيزِ ٱلصَّوَابِ فِيهَا ، وَيَجْمَعُ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ آدَابَ ٱلْأَخْلَاقِ مَعَ حُسْنِ ٱلْمُعَاشَرَةِ ، وَلِينِ ٱلْكَنَفِ ، وَكَثْرَةِ ٱلِاحْتِمَالِ وَكَرَمِ ٱلنَّفْسِ ، وَحُسْنِ ٱلْعَهْدِ ، وَثَبَاتِ ٱلْوُدِّ . وَذَكَرَهُ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ فِي ٱلصِّلَةِ ، وَقَالَ فِيهِ : ٱلْإِمَامُ ٱلْحَافِظُ خِتَامُ عُلَمَاءِ ٱلْأَنْدَلُسِ ، رَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ مَعَ أَبِيهِ مُسْتَهَلَّ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدَخَلَ ٱلشَّامَ وَٱلْعِرَاقَ وَبَغْدَادَ ، وَسَمِعَ بِهَا مِنْ كِبَارِ ٱلْعُلَمَاءِ ، ثُمَّ حَجَّ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ ، وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ ، ثُمَّ صَدَرَ مِنْهَا . وَقَالَ ٱبْنُ عَسَاكِرَ : خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ رَاجِعًا إِلَى مَقَرِّهِ سَنَةَ إِحْدَى

معناها « الحافظ » وابنه يحيى بن ثابت كان محدثا أيضا ويكنى أبا القاسم وتوفى سنة ٥٦٦ (١) فى الأصل « حريصا على آدابها وسيرها » والصواب ما أثبتناه نقلا عن الصلة ، وهاك عبارتها . . وكان من أهل التفنن فى العلوم والاستبحار فيها والجمع لها ، متقدما فى المعارف كلها ، متكلما فى أنواعها ، نافذا فى جميعها ، حريصا على أدائها ونشرها ، ثاقب الذهن الخ ، وقد لخصها صاحب النفح بعد . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ ، وَلَمَّا غَرَّبَ(١) صَنَّفَ عَارِضَةَ الْأَحْوَذِيِّ . وَلَقِيَ بِمِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ جُمْلَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، وَقَدِمَ إِشْبِيلِيَةَ بِعِلْمٍ كَثِيرٍ . وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِإِشْبِيلِيَةَ ثُمَّ صُرِفَ عَنْهُ . وَمَوْلِدُهُ لَيْلَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ بِعُقَيْلَةَ بِعَقْرُبَةٍ(٢) مِنْ مَدِينَةِ فَاسٍ ، وَدُفِنَ بِفَاسٍ فِي رَبِيعٍ الْآخِرِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمائَةٍ . انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ سَعِيدٍ وَغَيْرِهِ مُلَخَّصًا .

وَمَا وَفَّى ابْنُ سَعِيدٍ حَافِظَ الْإِسْلَامِ أَبَا بَكْرٍ بْنَ الْعَرَبِيِّ حَقَّهُ ، فَلْنُعَزِّزْهُ بِمَا حَضَرَنَا مِنَ التَّعْرِيفِ بِهِ ، فَنَقُولُ : إِنَّهُ لَقِيَ بِبَغْدَادَ الشَّاشِيَّ(٣) الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ ، وَالْإِمَامَ أَبَا حَامِدٍ الطُّوسِيَّ

(١) غرب: أى عاد الى الغرب (٢) فى الأصل «بعقيلة بعقبرة» وهو تحريف وتغيير خاطئ (٣) هو الامام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين شيخ الشافعية، ولد بميافارقين سنة ٤٢٩ وتلقى العلم فى حداثته، ثم أخذ ببغداد عن أفاضلها، وولى التدريس بالمدرسة النظامية ، وانتهت اليه رياسة الشافعية ، وكان عالما جليلا أديبا تقيا ورعا مهيبا وقورا متواضعا ، وكان يلقب بين الطلبة فى صغره بالجنيد لشدة ورعه توفى سنة ٥٠٧ « أحمد يوسف نجاتى »

ٱلْغَزَالِيّ ، وَنُقِلَ عَنْـهُ أَنَّهُ قَالَ : كُلُّ مَنْ رَحَلَ لَمْ يَأْتِ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتُ بِهِ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا ٱلْبَاجِيَّ(١) ـ أَوْ كَلَامًا هَـذَا مَعْنَاهُ ـ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلتَّفَنُّنِ فِي ٱلْعُلُومِ ، مُتَقَدِّمًا فِي ٱلْمَعَارِفِ كُلِّهَا، مُتَكَلِّمًا عَلَى أَنْوَاعِهَا، حَرِيصًا عَلَى نَشْرِهَا . وَقَامَ بِأَمْرِ ٱلْقَضَاءِ أَحْمَدَ قِيَامٍ ، مَعَ ٱلصَّرَامَةِ فِي ٱلْحَقِّ ، وَٱلْقُوَّةِ وَٱلشِّدَّةِ عَلَى ٱلظَّالِمِينَ، وَٱلرِّفْقِ بِالْمَسَاكِينِ ـ وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ أَمَرَ بِثَقْبِ أَشْدَاقِ زَامِرٍ ـ ثُمَّ صُرِفَ عَنِ ٱلْقَضَاءِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى نَشْرِ ٱلْعِلْمِ وَبَثِّهِ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ(٢) بِإِشْبِيلِيَةَ . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْأَبَّارِ(٣) : إِنَّ ٱلْإِمَامَ ٱلزَّاهِدَ ٱلْعَابِدَ أَبَا عَبْدِ ٱللهِ بْنَ ٱلْمُجَاهِدِ ٱلْإِشْبِيلِيَّ(٤) لَازَمَ ٱلْقَاضِيَ ٱبْنَ ٱلْعَرَبِيِّ

(١) سبق التعريف به (٢) سبق التعريف به (٣) هو الفقيه الامام الفاضل المحدث الحافظ الناقد الكاتب الأديب القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي المعروف بابن الأبار صاحب كتاب التكملة لكتاب الصلة، وكتاب المعجم في تراجم بعض علماء الأندلس ، وهما كتابان قيمان، طبعا بأوربة، قتل ظلما سنة ٦٥٨ (٤) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موسى الأنصاري الزاهد، يعرف بابن المجاهد لأن أباه كان كثير الجهاد والغزو في السرايا والجيوش ، كان فقيها أديبا ومقرئا فاضلا ذا دين وورع وفضل وصلاح ،ولد سنة ٤٨٣ وتوفي سنة ٥٧٤ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي » .

نَحْوًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: كَانَ يُدَرِّسُ وَبَغْلَتُهُ عِنْدَ الْبَابِ يَنْتَظِرُ الرُّكُوبَ إِلَى السُّلْطَانِ. انْتَهَى

وذَكَرَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ فِي صِلَتِهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ رَحَلَ مَعَ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عِنْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّادِيَّةِ وَسِنُّهُ نَحْوُ سَبْعَةَ عَشَرَ عَامًا، إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَيَّدَ الْحَدِيثَ، وَضَبَطَ مَا رَوَى، وَاتَّسَعَ فِي الرِّوَايَةِ، وَأَتْقَنَ مَسَائِلَ الْخِلَافِ وَالْأُصُولِ وَالْكَلَامَ عَلَى أَئِمَّةِ هَذَا الشَّانِ. وَمَاتَ أَبُوهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَوَّلَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ، فَانْصَرَفَ حِينَئِذٍ إِلَى إِشْبِيلِيَةَ، فَسَكَنَهَا، وَشُووِرَ فِيهَا، وَسَمِعَ وَدَرَّسَ الْفِقْهَ وَالْأُصُولَ، وَجَلَسَ لِلْوَعْظِ وَالتَّفْسِيرِ، وَصَنَّفَ فِي غَيْرِ فَنٍّ تَصَانِيفَ مَلِيحَةً حَسَنَةً مُفِيدَةً. وَوَلِيَ الْقَضَاءَ مُدَّةً أَوَّلُهَا فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ، فَنَفَعَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، لِصَرَامَتِهِ وَنُفُوذِ أَحْكَامِهِ، وَالْتَزَمَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى أُوذِيَ فِي ذَلِكَ بِذَهَابِ كُتُبِهِ وَمَالِهِ، فَأَحْسَنَ الصَّبْرَ عَلَى

ذلِكَ كُلِّهِ . ثُمَّ صُرِفَ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَبَثِّهِ . وَكَانَ فَصِيحًا حَافِظًا ، أَدِيبًا شَاعِرًا ، كَثِيرَ الْمُلَحِ ، مَلِيحَ الْمَجْلِسِ . ثُمَّ قَالَ : قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ ـ بَعْدَ أَنْ وَصَفَهُ بِمَا ذَكَرْتُهُ ـ : وَلِكَثْرَةِ حَدِيثِهِ وَأَخْبَارِهِ ، وَغَرِيبِ حِكَايَاتِهِ وَرِوَايَاتِهِ ، أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ الْكَلَامَ ، وَطَعَنُوا فِي حَدِيثِهِ . وَتُوُفِّيَ مُنْصَرَفَهُ مِنْ مُرَّاكِش مِنَ الْوِجْهَةِ الَّتِي تَوَجَّهَ فِيهَا مَعَ أَهْلِ بَلَدِهِ إِلَى الْحَضْرَةِ بَعْدَ دُخُولِ الْمُوَحِّدِينَ مَدِينَةَ إِشْبِيلِيَةَ ، فَحُبِسُوا بِمُرَّاكِش نَحْوَ عَامٍ ، ثُمَّ سُرِّحُوا فَأَدْرَكَتْهُ مَنِيَّتُهُ . وَرَوَى عَنْهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ؛ مِنْهُمُ الْقَاضِي عِيَاضٌ ، وَأَبُو جَعْفَرِ بْنُ الْبَاذِش(١) وَجَمَاعَةٌ . انْتَهَى مُلَخَّصًا . وَوَقَعَ فِي عِبَارَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ تَبَعًا لِجَمَاعَةٍ أَنَّهُ دُفِنَ خَارِجَ بَابِ الْجِيسَةِ بِفَاسٍ ، وَالصَّوَابُ خَارِجَ بَابِ الْمَحْرُوقِ ـ كَمَا أَشْبَعْتُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي أَزْهَارِ الرِّيَاضِ ، وَقَدْ زُرْتُهُ مِرَارًا ، وَقَبْرُهُ هُنَالِكَ مَقْصُودٌ لِلزِّيَارَةِ خَارِجَ الْقَصَبَةِ ، وَقَدْ

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن علي بن خلف بن الباذش الأنصاري الغرناطي مؤلف كتاب الاقناع في القراءات توفي سنة ٥٤٠ «أحمد يوسف نجاتي»

صَرَّحَ بِذَلِكَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ الَّذِينَ حَضَرُوا وَفَاتَهُ ، وَقَالَ إِنَّهُ دُفِنَ بِتُرْبَةِ الْقَائِدِ مُظَفَّرٍ خَارِجَ الْقَصَبَةِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ صَاحِبُهُ أَبُو الْحَكَمِ (١) بْنُ حَجَّاجٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ وَمِنْ بَدِيعِ نَظْمِهِ (٢) :

(١) أبو الحكم عمرو بن أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن حجاج اللخمى الاشبيلى، ولى خطابة اشبيلية وكان فاضلا ورعا، توفى سنة ٥٦٤ ـ وابنه أبو عمرو محمد بن عمرو ولى الخطبة بعد أبيه ، وحدث عنه ابنه أبو الحكم عبد الرحمن بن محمد بن عمرو ، وخطب أيضا بعده بجامع اشبيلية القديم سنين طويلة « فكانوا ثلاثة خطباء فى نسق » ثم استعفى من ذلك فأعفى وانقبض عن الناس ، وكان له حظ من النظم ورغبة فى الأدباء يصحبهم ويفضل عليهم مع بلاغة ولسن ، وانتهت الرياسة فى الفضل اليه، ولد سنة ٥٢٢ وتوفى سنة ٦٠١ «أحمد يوسف نجاتى» (٢) تنسب هذه الأبيات للشاعر المشهور سلم بن عمرو الخاسر تلميذ بشار بن برد ، ويروى البيت الثانى : أماتستحى ياقليل الوفاء ، ويروى عجزه : ترانى بعين وتبكى بها « وهى عبارة حسنة الوقع لذيذة السمع » ويروى عجز البيت الثالث: أمرت « الدموع » بتأديبها ، وهى أحسن مما هنا، فان الدموع هى التى تؤدب العيون، أما الجفون فجزء من العيون، فهى مما ينالها تأديب الدموع أيضا . ومهما كانت الرواية فهى أحسن من قول الثعلبى صاحب اليتيمة:

اذا زنت عينى بها فبالدموع تغتسل

أراد الشاعر أن يقلد ابن المعتز فلم يحسن ، قال ابن المعتز من أبيات :

ماترى فى متيم بك صب خاضع لايرى من الذل بدا؟!

ان زنت عينه بغيرك فاضربـ ـها بطول السهاد والدمع حدا

وان كان الذنب هنا نظر العين الى غير الحبيب واستجازتها من ذلك

أَتَتْنِي تُؤَنِّبُنِي بِالْبُكَا فَأَهْــلًا بِهَا وَبِتَأْنِيبِهَا
تَقُولُ ـ وَفِي نَفْسِهَا حَسْرَةٌ ـ: أَتَبْكِي بِعَيْنٍ تَرَانِي بِهَا ؟!
فَقُلْتُ: إِذَا اسْتَحْسَنَتْ غَيْرَكُمْ أَمَرْتُ جُفُونِي بِتَعْذِيبِهَا

وَقَالَ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ـ دَخَلَ عَلَيَّ الْأَدِيبُ ابْنُ صَارَةَ(١)

ماتحرمه شريعة الحب، وتحظره قوانين الاخلاص فيه . أما الذنب فى أبيات الكتاب فنظرها الى الحبيب نفسه ـ وقد أضر بها البكاء ،وقرح أجفانها الدمع ـ ولولا مايتلو كلمة « زنت » فى أبيات ابن المعتز من احكام الصنعة ومراعاة النظير بذكر الضرب والحد لكانت لفظة ينبو سمع الأديب عنها ـ نعم انها وردت فى خبر يؤثر « العين تزنى » ولكن شتان بين المقامين ، فمهما حسنتها صنعة ابن المعتز وكان الأثر من شأنه أن يأتى بها فليست تدع ماهو شأنها من ادخال نفرة ما على النفس .أما أبيات « سلم » أو « ابن العربى » فقد أعطى فيها بكلمة التأديب، حسن أدب اللبيب ، فصان اللفظ عما يحوج الى التماس العذر ،ويؤدى الى النفرة ـ وان كانت الأستاذية تعد ظاهرة فى بيت ابن المعتز تقدم عن القائل أو تأخر ـ ومن هذا الوادى قول ابن المعتز أيضا :

عاقبت عينى بالدمع والسهر اذ غار قلبي عليك من بصرى
واحتملت ذاك وهى رابحة فيك ، وفازت بلذة النظـر

وان كان الذنب الذى استوجب العقاب مغايرا لما تقدم «أحمد يوسف نجاتى»

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سارة البكرى ، من أهل شنترين ، وسكن اشبيلية، وتعيش فيها بالوراقة ، فأدركته حرفة الأدب وجال فى بلاد الأندلس شرقا وغربا للتعليم بالعربية ، فلم يسعه مكان ولا اشتمل عليه سلطان . وامتدح الولاة والرؤساء ،وكتب لبعضهم ، وكان أديبا ماهرا، شاعرا مفلقا ، مخترعا مولدا ، كاتبا بليغا ، ذا حظ عظيم من

وَبَيْنَ يَدَىَّ نَارٌ عَلَاهَا رَمَادٌ ، فَقُلْتُ لَهُ: قُلْ فِي هٰذِهِ، فَقَالَ :

شَابَتْ نَوَاصِى ٱلنَّارِ بَعْـدَ سَوَادِهَا
وَتَسَتَّرَتْ عَنَّــا بِثَوْبِ رَمَادِ

ثُمَّ قَالَ لِي :أَجِزْ،فَقُلْتُ :

شَابَتْ كَمَا شِبْنَا وَزَالَ شَبَابُنَا
فَـكَأَنَّمَا كُنَّا عَلَى مِيعَادِ

وَقَدِ ٱخْتَلَفَ حُذَّاقُ ٱلْأُدَبَاءِ فِي قَوْلِهِ: وَلَـكِنَّهُ رُمْحٌ وَثَانٍ وَثَالِثٌ ،مَاهُوَ ٱلثَّانِى وَٱلثَّالِثُ ؟ فَقِيلَ ٱلْقَدُّ وَٱللَّحْظُ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ . وَلَمَّا ذَكَرَ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ فِي كِتَابِهِ قَانُونِ ٱلتَّأْوِيلِ رُكُوبَهُ ٱلْبَحْرَ فِي رِحْلَتِهِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةَ قَالَ : وَقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ ٱللهِ تَعَالَى أَنْ يَعْظُمَ عَلَيْنَا ٱلْبَحْرُ بِزَوْلِهِ[1] ،

اللغة والرواية ، قليل الحظ من الدنيا . وقال فيه ابن بسام : وبعد جهد ارتقى الى كتابة بعض الولاة ، فلما كان من خلع الملوك ما كان أوى الى اشبيلية أوحش حالا من الليل ، وأكثر انفرادا من سهيل ، وتبلغ من الوراقة ، وله منها جانب ، وبها بصر ثاقب ، فانتحلها على كساد سوقها، وخلو طريقها ـ وتوفى سنة ٥١٧ بمدينة المرية « أحمد يوسف نجاتى » (١) الزول : البلاء والعجب « أحمد يوسف نجاتى »

وَيُغْرِقنَا(١) فِي هَوْلِهِ ، فَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ ، خُرُوجَ الْمَيْتِ مِنَ الْقَبْرِ ، وَانْتَهينَا بَعْدَ خَطْبٍ طَوِيلٍ إِلَى بُيُوتِ بَنِي كَعْبِ ابْنِ سُلَيْمٍ ، وَنَحْنُ مِنَ السَّغَبِ(٢) ، عَلَى عَطَبٍ ، وَمِنَ الْعُرْيِ ، فِي أَقْبَحِ زِيٍّ ، قَدْ قَذَفَ الْبَحْرُ زِقَاقَ زَيْتٍ مزَّقَتِ الْحِجَارَةُ مَنِيئَتَهَا(٣) وَدَسَمَتِ الْأَدْهَانُ وَبَرَهَا وَجِلْدَتَهَا ، فَاحْتَزَمْنَاهَا أُزُرًا ، وَاشْتَمَلْنَاهَا لِفَافًا ، تَمُجُّنَا الْأَبْصَارُ ، وَتَخْذُلُنَا الْأَنْصَارُ ، فَعَطَفَ أَمِيرُهُمْ عَلَيْنَا ، فَأَوَيْنَا إِلَيْهِ فَآوَانَا ، وَأَطْعَمَنَا اللّٰهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْهِ وَسَقَانَا ، وَأَكْرَمَ مَثْوَانَا وَكَسَانَا ، بِأَمْرٍ حَقِيرٍ ضَعِيفٍ ، وَفَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ طَرِيفٍ ، وَشَرْحُهُ : أَنَّا لَمَّا وَقَفْنَا عَلَى بَابِهِ أَلْفَيْنَاهُ يُدِيرُ(٤) أَعْوَادَ الشَّاهْ ، فِعْلَ السَّامِدِ(٥) اللَّاهْ ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ فِي تِلْكَ الْأَطْمَارِ(٦) ، وَسَمَحَ لِي بِيَاذِقَتُهُ(٧) إِذْ

(١) وفى نسخة « يفرقنا » أى يخيفنا ويفزعنا (٢) الجوع والتعب . (٣) المنيئة : الجلد أول مايدبغ ، وفى نسخة « هيئتها » (٤) فى نسخة « يدبر » (٥) السامداللاهى الغافل ، والساهى، والمتكبر ، والمتحير أشرا و بطرا . وقد فسر قوله تعالى : « وأنتم سامدون » ، بالمتحير ، والساهى والمستكبر (٦) الثياب الخلقة البالية « جمع طمر » (٧) جمع بيذق بمعنى راجل،قال الفرزدق :

منعتك ميراث الملوك وتاجهم وأنت لدرعى بيذق فى البياذق

كُنْتُ مِنَ ٱلصِّغَرِ فِي حَدٍّ يُسْمَحُ فِيهِ لِلْأَغْمَارِ(١) وَوَقَفْتُ بِإِزَائِهِمْ، أَنْظُرُ إِلَى تَصَرُّفِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ، إِذْ كَانَ عَلِقَ بِنَفْسِي بَعْضُ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ ٱلْقَرَابَةِ فِي خُلَسِ ٱلْبِطَالَةِ، مَعَ غَلَبَةِ ٱلصَّبْوَةِ وَٱلْجَهَالَةِ، فَقُلْتُ لِلْبِيَاذِقَةِ: ٱلْأَمِيرُ أَعْلَمُ مِنْ صَاحِبِهِ، فَلَمَحُونِي شَزْرًا(٢)، وَعَظُمْتُ فِي أَعْيُنِهِمْ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ نَزْرًا(٣)، وَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْأَمِيرِ مَنْ نَقَلَ إِلَيْهِ ٱلْكَلَامَ، فَاسْتَدْنَانِي فَدَنَوْتُ مِنْهُ، وَسَأَلَنِي: هَلْ لِي بِمَا هُمْ فِيهِ بَصَرٌ(٤)؟ فَقُلْتُ: لِي فِيهِ بَعْضُ نَظَرٍ، سَيَبْدُو لَكَ وَيَظْهَرُ، حَرِّكْ تِلْكَ ٱلْقِطْعَةَ، فَفَعَلَ كَمَا أَشَرْتُ، وَعَارَضَهُ صَاحِبُهُ، فَأَمَرْتُهُ أَنْ يُحَرِّكَ أُخْرَى، وَمَا زَالَتِ ٱلْحَرَكَاتُ بَيْنَهُمْ كَذَلِكَ تَتْرَى(٥)، حَتَّى هَزَمَهُمُ ٱلْأَمِيرُ، وَٱنْقَطَعَ ٱلتَّدْبِيرُ، فَقَالُوا مَا أَنْتَ بِصَغِيرٍ. وَكَانَ فِي

أى وأنت رجل تعدولدى ، وهو لفظ معرب « بياده » ومنه بيدق الشطرنج

(١) جمع غمر وهو الجاهل الغر غير المجرب ، والغمر من الناس لفيفهم وزحمتهم وجماعتهم (٢) نظر اليه شزرا اذا نظره من أحد شقيه ولم يستقبله بوجهه ، أو هو نظر فيه اعراض كنظر المعادى ، أو نظر المبغض الغضبان بمؤخر العين (٣) قليلا تافها أى حقيرا مستقلا مستهانا بى «أحمد يوسف نجاتى» (٤) فى الأصل « بر » وهو تحريف (٥) أى متوالية متتابعة « أحمد يوسف نجاتى »

أَثْنَاء تِلْكَ الْحَرَكَاتِ قَدْ تَرَنَّمَ ابْنُ عَمِّ الْأَمِيرِ مُنْشِدًا(١) :

وَأَحْلَى الْهَوَى مَاشَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ

وَفِي الْهَجْرِ، فَهْوَ الدَّهْرَ يَرْجُو وَيَتَّقِي

فَقَالَ : لَعَنَ اللهُ أَبَا الطَّيِّبِ ! أَوَيَشُكُّ الرَّبُّ ؟ ! فَقُلْتُ لَهُ فِي الْحَالِ : لَيْسَ كَمَا ظَنَّ صَاحِبُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّمَا أَرَادَ

(١) من قصيدة لأبي الطيب يمدح بها سيف الدولة أولها :

لعينيك مايلقى الفؤاد ومالقى   وللحب مالم يبق منى ومابقى
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه   ولكن من يبصر جفونك يعشق
وبين الرضا والسخط والقرب والنوى   مجال لدمع المقلة المترقرق

وبعده البيت: وأحلى الهوى الخ. أى يرجو الوصل ويتقى الهجر بمراعاة أسباب الوصال ، وانما قال ماشك فى الوصل لأن العاشق اذا كان فى جانب الشك كان الوصل أشد اغتناما، وكان الظفر به فرصة تلذ لمن نالها، واذا تيقن المحب الوصل كان غير هنىء سائغ عند وجوده، ولالذيذ عذب عند التمتع به، وكل مقدور عليه مملول ، وكذا اذا كان فى يأس من الوصل لم تكن له لذة الرجاء، فالهوى عليه بلاء كله ، وقد يلجأ الى راحة اليأس فيسلو ، وقد قال الشاعر

تعب يطول مع الرجاء بذى الهوى   خير له من راحة مع ياس

وقال بعض الحكماء : الرجاء تمن والشك توقف وهما أصل الأمل ، وقال آخر : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع ومخافة وأمل ، فهو يحذر الهجر ويتقيه، ويؤمل الوصل ويرتجيه. وقال جميل بن معمر العذرى :

لاخير فى الحب وقفا لا تحركه   عوارض اليأس أو يرتاحه الطمع

وقد يكون هجر الدلال، ألذ من كثير من الوصال « أحمد يوسف نجاتى »

بِالرَّبِّ هٰهُنَا الصَّاحِبَ، يَقُولُ: أَلَذُّ الْهَوَى مَا كَانَ الْمُحِبُّ فِيهِ مِنَ الْوِصَالِ، وَبُلُوغِ الْغَرَضِ مِنَ الْآمَالِ، عَلَى رَيْبٍ، فَهُوَ فِي وَقْتِهِ كُلِّهِ عَلَى رَجَاءٍ لِمَا يُؤَمِّلُهُ، وَتُقَاةٍ لِمَا يَقْطَعُ بِهِ، كَمَا قَالَ(١):

---

(١) البيت للعباس بن الأحنف وقبله:

تحبب فان الحب داعيـة الحب ... وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

تبصر، فان حدثت أن أخا هوى ... نجا سالما فارج النجاة من الحب

وأحسن أيام الهوى يومك الذى ... تروع بالهجران فيـه وبالعتب

وقد أكثر الشعراء من هذا المعنى، وممن اشتهر به زهير بن أبى سلمى فى قوله:

وقد كنت من سلمى سنين ثمانيا ... على صير أمر ما يمر ولا يحـلو

وقال الجلاح:

مددت حبل غرور غير مؤنسة ... فوق الأكف، فلاجود ولابخل

والهجر أروح من غيث يطمعنا ... فيـه مخايل مايلتى لهـا بلل

وقال عبد الله بن قيس الرقيات:

تركتنى واقدا على الشك لم ... أصدر بيأس منـكم ولم أرد

وقال ابن أبى زرعة الدمشقى:

وكأنى بين الوصال وبين الـ ... ـهجر ممن مقامـه الأعراف

فى محل بين الجنان وبين النـ ... ـنار طورا أرجو وطورا أخاف

وقال الخليع:

وجـدت ألذ العيش فيما بلوته ... ترقب مشتاق زيارة معشوق

وقال كشاجم:

لولا طراد الصيد لم تك لذة ... فتطاردى لى بالوصال قليلا

وجدير بالمحبوب أن يكون كثير التدلل، قليل التبذل «أحمد يوسف نجاتى»

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًا
فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرَّسَائِلِ وَالْكُتُبِ؟!

وَأَخَذْنَا نُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ ، فِي طَرَفَيِ الْإِبْرَامِ وَالِانْتِقَاضِ ، مَا حَرَّكَ مِنْهُمْ إِلَى جِهَتِي دَوَاعِيَ الِانْتِهَاضِ ، وَأَقْبَلُوا يَتَعَجَّبُونَ مِنِّي ، وَيَسْأَلُونَنِي كَمْ سِنِّي ، وَيَسْتَكْشِفُونَنِي عَنِّي ، فَبَقَرْتُ[1] لَهُمْ حَدِيثِي ، وَذَكَرْتُ لَهُمْ نَجِيثِي[2] ، وَأَعْلَمْتُ الْأَمِيرَ بِأَنَّ أَبِي مَعِي فَاسْتَدْعَاهُ ، وَقُمْنَا الثَّلَاثَةُ إِلَى مَثْوَاهُ ، فَخَلَعَ عَلَيْنَا خِلَعَهُ ، وَأَسْبَلَ عَلَيْنَا أَدْمُعَهُ ، وَجَاءَ كُلُّ خِوَانٍ[3] ، بِأَفْنَانٍ وَأَلْوَانٍ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ

(١) بقر الحديث اذا كشفه وأوضحه ، من بقر الشيء اذا فتحه وشقه ووسعه ، ومنه سمي الامام محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب بالباقر لتبحره في العلم وتوسعه فيه حتى عرف أصله واستنبط فرعه (٢) النجيث السر الخفي ، وهو نجيث القوم أي سرهم ، ومن أمثالهم في اعلان السر وابدائه بعد كتمانه قولهم : بدا نجيث القوم ، أي ظهر سرهم الذي كانوا يخفونه ، وهو من قولهم نجث الشيء وعن الشيء ونبث : اذا بحث عنه يتتبعه و يستخرجه ، والنجث الاستخراج وهو بالحديث أخص ، والنجث النبش ، والنجيثة مااستخرج من تراب البئر مثل النبيثة « وماظهر من قبيح الخبر » وسيأتي للمؤلف تفسير النجيثة بهذا المعنى الأخير ، وأراه غير مناسب ، بل الأولى أن يكون معناها السر كما بسطنا ذلك «أحمد يوسف نجاتي»

(٣) مائدة الطعام

الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ مَا نَالَهُمْ مِنْ إِكْرَامِهِ : فَانْظُرْ إِلَى هَـذَا الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ إِلَى الْجَهْلِ أَقْرَبُ ، مَعَ تِلْكَ الصُّبَابَةِ(١) الْيَسِيرَةِ مِنَ الْأَدَبِ ، كَيْفَ أَنْقَذَا مِنَ الْعَطَبِ ؟ ! وَهَـذَا الذِّكْرُ يُرْشِدُكُمْ - إِنْ عَقَلْتُمْ - إِلَى الْمَطْلَبِ . وَسِرْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ . انْتَهَى مُخْتَصَرًا « وَالزَّوْلُ الْعَجَبُ ، وَنَجِيثُ الْخَبَرِ مَا ظَهَرَ مِنْ قَبِيحِهِ ، وَيُقَالُ بَدَا نَجِيثُ الْقَوْمِ إِذَا ظَهَرَ سِرُّهُمُ الَّذِي كَانُوا يُخْفُونَهُ(٢) ، قَالَهُمَا الْجَوْهَرِيُّ »

وَذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي رِحْلَتِهِ عَجَائِبَ ؛ مِنْهَا أَنَّهُ حَكَى فِي دُخُولِهِ بِدِمَشْقَ بُيُوتَ بَعْضِ الْأَكَابِرِ أَنَّهُ رَأَى فِيهِ النَّهْرَ جَارِيًا إِلَى مَوْضِعِ جُلُوسِهِمْ، ثُمَّ يَعُودُ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، قَالَ : فَلَمْ أَفْهَمْ مَعْنَى ذَلِكَ حَتَّى جَاءَتْ مَوَائِدُ الطَّعَامِ فِي النَّهْرِ الْمُقْبِلِ إِلَيْنَا ، فَأَخَذَهَا الْخَدَمُ وَوَضَعُوهَا بَيْنَ أَيْدِينَا ، فَلَمَّا فَرَغْنَا أَلْقَى الْخَدَمُ الْأَوَانِيَ وَمَا مَعَهَا فِي النَّهْرِ الرَّاجِعِ ،فَذَهَبَ بِهَا الْمَاءُ إِلَى نَاحِيَةِ الْحَرِيمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرُبَ الْخَدَمُ تِلْكَ النَّاحِيَةَ ، فَعَلِمْتُ السِّرَّ ، وَإِنَّ هَـذَا لَعَجِيبٌ . انْتَهَى بِمَعْنَاهُ .

(١) الشيء القليل (٢) هذا هو المعنى المراد « أحمد يوسف نجاتي »

وَقَالَ فِي قَانُونِ ٱلتَّأْوِيلِ: وَرَدَعَلَيْنَا ذَا نَشْمَنْدُ ـ يَعْنِي ٱلْغَزَالِيَّ ـ فَنَزَلَ بِرِبَاطِ[1] أَبِي سَعْدٍ بِإِزَاءِ ٱلْمَدْرَسَةِ ٱلنِّظَامِيَّةِ ، مُعْرِضًا عَنِ ٱلدُّنْيَا ، مُقْبِلًا عَلَى ٱللهِ تَعَالَى، فَمَشَيْنَا إِلَيْهِ ، وَعَرَضْنَا أُمْنِيَّتَنَا عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ ضَالَّتُنَا ٱلَّتِي كُنَّا نَنْشُدُ ، وَإِمَامُنَا ٱلَّذِي بِهِ نَسْتَرْشِدُ ، فَلَقِينَا لِقَاءَ ٱلْمَعْرِفَةِ ، وَشَاهَدْنَا مِنْهُ مَا كَانَ فَوْقَ ٱلصِّفَةِ ، وَتَحَقَّقْنَا أَنَّ ٱلَّذِي نُقِلَ إِلَيْنَا مِنْ أَنَّ ٱلْخَبَرَ عَلَى ٱلْغَائِبِ فَوْقَ ٱلْمُشَاهَدَةِ لَيْسَ عَلَى ٱلْعُمُومِ[2] ،

(١) الرباط مابنى للمرابطة فيه أى لزوم الثغر للاستعداد للجهاد ، وأصل الرباط أو المرابطة أن يربط كل من الفريقين خيوله فى ثغره، وكل معد لصاحبه ، ثم سمى المقام بالثغر رباطا ، وكذا أطلق على مكان الاقامة من نحو قلعة وحصن . والمدرسة النظامية ببغداد بناها نظام الملك أبو على الحسن ابن على بن اسحق بن العباس وزير ملكشاه السلجوقى، شرع فى عمارتها سنة ٤٥٧ واحتفل بافتتاحها والدراسة بها سنة ٤٥٩ ونظام الملك هو أول من أنشأ المدارس النظامية ، وعنى ببناء الربط والمساجد فى البلاد ، ولد سنة ٤٠٨ وتوفى سنة ٤٨٥ ودفن بأصبهان . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) ذكر الشيخ علاء الدين على بن الصيرفى فى كتابه زاد السالكين أن القاضى أبا بكر بن العربى قال: رأيت الامام الغزالى فى البرية و بيده عكازة وعليه مرقعة، وعلى عاتقه ركوة ــ وقد كنت رأيته ببغداد يحضر مجلس درسه نحو أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم ــ قال فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له: ياامام أليس تدريس العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ قال فنظر الى شزرا وقال : لما طلع بدر السعادة، فى سماء الارادة

وَلَوْ رَآهُ عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ[١] لَمَا قَالَ :

إِذَا مَا مَدَحْتَ امْرَأً غَائِبًا
فَلَا تَغْلُ فِي مَدْحِهِ وَاقْصِدِ[٢]
فَإِنَّكَ إِنْ تَغْلُ تَغْلُ الظُّنُو
نُ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبْعَدِ
فَيَصْغُرُ مِنْ حَيْثُ عَظَّمْتَهُ لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الْمَشْهَدِ

انْتَهَى

وجنحت شمس الوصول، فى مغارب الأصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت الى مصحوب أول منزل
ونادت بى الأشواق: مهلا فهذه منازل من تهوى، رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقا، فلم أجد لغزلى نساجا ، فكسرت مغزلى

(١) هو ابن الرومى، وله فيما يشبه هذا المعنى أيضا :

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه

وله أيضا فى هذا المعنى :

اذا عز رفد لمسترفد أطال المديح له المادح
وقدما اذا استبعد المستقى أطال الرشاء له الماتح

وقد أخذه السراج الوراق وتصرف فيه فقال :

سامح بفضلك عبدا مقصرا فى الثناء
رأى قليبا قريبا فلم يطل فى الرشاء

الماتح المستقى من البئر ـ والقليب: البئر ، والرشاء الحبل «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) غلا فى الأمر غلوا اذا تجاوز الحد فيه ، والقصد: التوسط والاعتدال .

وَكُنْتُ نَقَلْتُ مِنَ الْمَطْمَحِ فِي حَقِّهِ مَا صُورَتُهُ :

« اَلْفَقِيهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ » عَلَمُ الْأَعْلَامِ(١) الطَّاهِرُ الْأَثْوَابِ ، الْبَاهِرُ الْأَلْبَابِ(٢) ، الَّذِي أَنْسَى ذَكَاءَ إِيَاسٍ(٣) ، وَتَرَكَ التَّقْلِيدَ لِلْقِيَاسِ ، وَأَنْتَجَ الْفَرْعَ مِنَ الْأَصْلِ وَغَدَا فِي يَدِ(٤) الْإِسْلَامِ أَمْضَى مِنَ النَّصْلِ ، سَقَى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْأَنْدَلُسَ بَعْدَ مَا أَجْدَبَتْ مِنَ الْمَعَارِفِ ، وَمَدَّ عَلَيْهَا مِنْهُ ظِلَّهُ الْوَارِفَ(٥) ، وَكَسَاهَا رَوْنَقَ نُبْلِهِ ، وَسَقَاهَا رَيِّقَ(٦) وَبْلِهِ . وَكَانَ أَبُوهُ أَبُو مُحَمَّدٍ بِإِشْبِيلِيَةَ بَدْرًا فِي فَلَكِهَا ، وَصَدْرًا فِي مَجْلِسِ مَلِكِهَا ، وَاصْطَفَاهُ مُعْتَمِدُ بَنِي عَبَّادٍ ، اصْطِفَاءَ الْمَأْمُونِ لِابْنِ أَبِي دُوَادٍ(٧) ، وَوَلَّاهُ الْوِلَايَاتِ الشَّرِيفَةَ ،

---

(١) فى المطمح « علم العلم » (٢) فى الأصل « الأبواب » وهو تصحيف
(٣) القاضى اياس بن معاوية المزنى المشهور ، المضروب به المثل فى الذكاء والفطنة وصدق الظن والفراسة، توفى سنة ١٢٢ (٤) فى الأصل « وغدا فى الاسلام » وفى المطمح « فى بدء الاسلام » ونظنها مصحفة عن « يد الاسلام » والنصل السيف، يعنى أنه قوة للاسلام ماضية ،وحجة له بالغة
(٥) الطويل الممتد السابغ (٦) ريق : أول وأفضل ، والوبل المطر الغزير
(٧) القاضى أحمد بن أبى دواد فرج بن جرير بن مالك الايادى المشهور ، كان جم المحاسن كثير الفضائل ، اتصل بالمأمون بعد أن عرف قدره فأحله المنزلة اللائقة به ، حتى توفى المأمون ، فاستمرت منزلة ابن أبى دواد

وَبوَّأَهُ(١) ٱلْمَرَاتِبَ ٱلْمُنِيفَةَ ، فَلَمَّا أَقْفَرَتْ حِمْصُ(٢) مِنْ مُلْكِهِمْ وَخَلَتْ ، وَأَلْقَتْهُمْ مِنْهَا وَتَخَلَّتْ(٣) ، رَحَلَ بِهِ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ، وَحَلَّ فِيهِ مَحَلَّ ٱلْخَائِفِ ٱلْفَرِقِ(٤)،فَجَالَ فِي أَكْنَافِهِ ، وَأَجَالَ قِدَاحَ(٥) ٱلرَّجَاءِ فِي ٱسْتِقْبَالِ ٱلْعِزِّ وَٱسْتِئْنَافِهِ ، فَلَمْ يَسْتَرِدَّ ذَاهِبًا ، وَلَمْ يَجِدْ كَمُعْتَمَدِهِ بَاذِلًا لَهُ وَوَاهِبًا ، فَعَادَ إِلَى ٱلرِّوَايَةِ وَٱلسَّمَاعِ ، وَمَا ٱسْتَفَادَ مِنْ آمَالِ تِلْكَ ٱلْأَطْمَاعِ ، وَأَبُو بَكْرٍ إِذْ ذَاكَ فِي ثَرَى ٱلذَّكَاءِ قَضِيبٌ مَا دَوَّحَ(٦) ، وَفِي رَوْضِ ٱلشَّبَابِ زَهْرٌ مَا صَوَّحَ(٧) ، فَأَلْزَمَهُ مَجَالِسَ ٱلْعِلْمِ رَائِحًا

لدى المعتصم رفيعة كما كانت، بل زاده رفعة فجعله قاضي القضاة ، وكذلك حسنت حاله لدى الخليفة الواثق بن المعتصم ، ولما توفي الواثق وتولى أخوه المتوكل فلج ابن أبي دواد في أول خلافته سنة ٢٣٣ فولى المتوكل ولده محمد بن أحمد القضاء مكانه ، ومدح ابن أبي دواد جماعة من شعراء عصره منهم أبو تمام وغيره ، وتوفي سنة ٢٤٠ «أحمد يوسف نجاتي» (١) أحله وأنزله ، والمنيفة الرفيعة : العالية (٢) يريد اشبيلية ، وكانت تسمى حمص الأندلس (٣) في المطمح « وألقت ما فيها وتخلت » كما هو نص الآية الشريفة (٤) الفرق : الفزع والخوف والوجل «أحمد يوسف نجاتي»

(٥) القداح جمع قدح وهي السهام التي كانوا يستقسمون بها في الميسر

(٦) أي لم يصر دوحة وهي الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة ، وداح الشيء ودوح اذا عظم واسترسل ، وداحت الشجرة وأداحت: عظمت

(٧) صوح النبت وتصوح اذا يبس وجف «أحمد يوسف نجاتي»

وَغَادِيًا ، وَلَازَمَهُ سَائِقًا إِلَيْهَا وَحَادِيًا[1] ، حَتَّى اُسْتَقَرَّتْ بِهِ مَجَالِسُهُ ، وَاُطَّرَدَتْ لَهُ مَقَايِسُهُ ، فَجَدَّ فِي طَلَبِهِ ، وَاُسْتَجَدَّ بِهِ أَبُوهُ مُتَمَزِّقَ أَرَبِهِ ، ثُمَّ أَدْرَكَهُ حِمَامُهُ ، وَوَارَتْهُ هُنَاكَ رِجَامُهُ[2] وَبَقِيَ أَبُو بَكْرٍ مُتَفَرِّدًا ، وَلِلطَّلَبِ مُتَجَرِّدًا ، حَتَّى أَصْبَحَ فِي الْعِلْمِ وَحِيدًا ، وَلَمْ تَجِدْ عَنْهُ رِيَاسَتُهُ مَحِيدًا ، فَكَرَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، فَحَلَّهَا وَالنُّفُوسُ إِلَيْهِ مُتَطَلِّعَةٌ ، وَلِأَنْبَائِهِ مُتَسَمِّعَةٌ فَنَاهِيكَ مِنْ حُظْوَةٍ لَقِيَ ، وَمِنْ عِزَّةٍ سُقِيَ ، وَمِنْ رِفْعَةٍ سَمَا إِلَيْهَا وَرَقِيَ . وَحَسْبُكَ مِنْ مَفَاخِرَ قَلَّدَهَا ، وَمَحَاسِنِ أُنْسٍ أَثْبَتَهَا فِيهَا وَخَلَّدَهَا . وَقَدْ أَثْبَتُّ مِنْ بَدِيعِ نَظْمِهِ مَا يَهُزُّ أَعْطَافًا[3] ، وَتَرِدُهُ الْأَفْهَامُ نِطَافًا[4] ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَيُخَاطِبُ فِيهَا أَهْلَ الْوِدَادِ :

أَمِنْكَ سَرَى وَاللَّيْلُ يَخْدَعُ بِالْفَجْرِ
خَيَالُ حَبِيبٍ قَدْ حَوَى قَصَبَ الْفَخْرِ ؟!

---

(١) فى المطمح « سابقا اليها وجاريا » (٢) جمع رجم وهو القبر والأصل فيه الحجارة التى توضع على القبر ، ثم عبر بها عن القبر
(٣) هز العطف كناية عن السرور والطرب والارتياح (٤) جمع نطفة وهى الماء الصافى ، وفى نسخة « الأوهام » بدل « الأفهام » « أحمد يوسف نجاتى »

جَلَا ظُلَمَ ٱلظَّلْمَاءِ مُشْرِقُ نُورِهِ
وَلَمْ يَخْبِطِ ٱلظَّلْمَاءَ بِالْأَنْجُمِ ٱلزُّهْرِ (١)

وَلَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ ٱلْبَسِيطَةِ مَسْحَبًا
فَسَارَ (٢) عَلَى ٱلْجَوْزَاءِ فِى فَلَكٍ يَجْرِى (٣)

وَحَثَّ مَطَايَا قَدْ مَطَاهَا بِعِزَّةٍ
فَأَوْطَأَهَا قَسْرًا عَلَى قُنَّةِ ٱلنَّسْرِ (٤)

فَصَارَتْ ثِقَالًا بِالْجَلَالَةِ فَوْقَهَا
وَسَارَتْ عِجَالًا تَتَّقِى أَلَمَ ٱلزَّجْرِ

وَجَرَّتْ عَلَى ذَيْلِ (٥) ٱلْمَجَرَّةِ ذَيْلَهَا
فَمِنْ ثَمَّ يَبْدُو مَا هُنَاكَ لِمَنْ يَسْرِى

وَمَرَّتْ عَلَى ٱلْجَوْزَاءِ تُوضِعُ فَوْقَهَا
فَآثَارُ مَا مَرَّتْ بِهِ كَلَفُ ٱلْبَدْرِ (٦)

(١) خبط الليل والظلماء اذا سار فيها على غير هدى ولا جادة. قال ذو الرمة :
سرت تخبط الظلماء عن جانبي قسى وحب بها من خابط الليل زائر
(٢) أو « فصار » (٣) فى الأصل « فسار على الجوزا الى فلك يجرى »
وفى نسخة « فصار على الجوزاء لى فلك يجرى » (٤) مطاها يريد امتطاها وركبها ، ومطامطوا اذا جد فى السير وأسرع ، والقسر الرغم والغصب ، والقنة القمة . وفى الأصل « بعزه » ، وتقدم القول فى كوكبى الجوزاء والنسر وفى المجرة (٥) فى نسخة « ظهر »
(٦) أوضع أسرع ـ وأصل الكلف نقط سوداء تصيب الوجه ، وكلف البدر مايرى على سطحه من البقع غير المضيئة تجاور أخرى

وَسَاقَتْ أَرِيجَ الْخُلْدِ فِى جَنَّةِ الْعُلَا

فَدَعْ عَنْكَ رَمْلًا بِالْأُنَيْعِمِ يَسْتَذْرِى (١)

فَمَا حَذِرَتْ قَيْسًا وَلَا خَيْلَ عَامِرٍ

وَلَا أَضْمَرَتْ خَوْفًا لِقَاءَ بَنِى ضَمْرِ (٢)

سَقَى اللّٰهُ مِصْرًا وَالْعِرَاقَ وَأَهْلَهَا

وَبَغْدَادَ وَالشَّامَيْنِ مُنْهَمِلَ الْقَطْرِ

انْتَهَى

لامعة ـ والبقاع المظلمة فى القمر هى فى الحقيقة سهول منبطحة وقيعان لبحار ومجار مائية قد جفت ، والبقاع المضيئة هى سلاسل جبال وهضاب تغشاها براكين مختلفة ، وما تحتويه من نقط سوداء ليست الا منخفضات فى تلك الجبال شبيهة بالكؤوس البركانية التى نألفها فى أرضنا «أحمد يوسف نجاتى»

(١) أو « تستدرى » وأريج الرائحة : تضوعها وانتشارها ، والأنيعم موضع ، وفيه يقول حضرمى بن عامر الأسدى :

لقد شاقني ـ لولا الحياء من الصبا ـ لمية ربع بالأنيعم دارس

ليالى اذ قلبي بمية موزع واذ نحن جيران لها متلابس

واذ نحن لانخشى النميمة بيننا ولو كان شيء بيننا متشاكس

واستذرى استكن ، وذرت الريح التراب وأذرته أطارته ـ وفى المطمح « سافت » أى شمت وهو أنسب « أحمد يوسف نجاتى » (٢) بنو ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهم رهط سيدنا عمرو بن أمية الضمرى الصحابى رضى الله عنه ، وضمر « بضم فسكون » جبل ببلاد قيس لعلياهم ، وضمر « بالفتح » جبل أو طريق فى جبل ببلاد بنى سعد من تميم « أحمد يوسف نجاتى »

وَمِنْ تَآلِيفِ ٱلْحَافِظِ أَبِي بَكْرِ بْنِ ٱلْعَرَبِيِّ ٱلْمَذْكُورِ كِتَابُ ٱلْقَبَسِ، فِي شَرْحِ مُوَطَّإِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ . وَكِتَابُ تَرْتِيبِ ٱلْمَسَالِكِ ، فِي شَرْحِ مُوَطَّإِ مَالِكٍ . وَكِتَابُ أَنْوَارِ ٱلْفَجْرِ . وَكِتَابُ أَحْكَامِ ٱلْقُرْآنِ . وَكِتَابُ عَارِضَةِ[1] ٱلْأَحْوَذِيِّ ، فِي شَرْحِ ٱلتِّرْمِذِيِّ . « وَٱلْأَحْوَذِيُّ بِفَتْحِ ٱلْهَمْزَةِ وَسُكُونِ ٱلْحَاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِ ٱلْوَاوِ وَكَسْرِ ٱلذَّالِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَآخِرُهُ يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ » وَكِتَابُ مَرَاقِي ٱلزُّلَفِ[2] . وَكِتَابُ ٱلْخِلَافِيَّاتِ . وَكِتَابُ نَوَاهِي ٱلدَّوَاهِي . وَكِتَابُ سِرَاجِ ٱلْمُرِيدِينَ . وَكِتَابُ ٱلْمُشْكِلَيْنِ : مُشْكِلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ . وَكِتَابُ ٱلنَّاسِخِ وَٱلْمَنْسُوخِ فِي ٱلْقُرْآنِ . وَكِتَابُ قَانُونِ ٱلتَّأْوِيلِ . وَكِتَابُ ٱلنَّيِّرَيْنِ، فِي ٱلصَّحِيحَيْنِ . وَكِتَابُ سِرَاجِ ٱلْمُهْتَدِينَ . وَكِتَابُ ٱلْأَمَدِ ٱلْأَقْصَى ، بِأَسْمَاءِ ٱللّٰهِ ٱلْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ ٱلْعُلَا . وَكِتَابٌ فِي ٱلْكَلَامِ عَلَى مُشْكِلِ حَدِيثِ ٱلسُّبُحَاتِ[3] وَٱلْحِجَابِ . وَكِتَابُ ٱلْعِقْدِ ٱلْأَكْبَرِ

---

(١) العارضة : القدرة على الكلام وقوة الحجة (٢) الزلف جمع زلفة وهي الأرض الغليظة ، والمستوى من الجبال . والزلفة: القربة والمنزلة والرتبة والدرجة، وهذا هو المعنى المناسب هنا (٣) أصل السبحات: مواضع السجود

لِلقَلْبِ ٱلْأَصْغَرِ . وَتَبْيِينِ ٱلصَّحِيحِ ، فِي تَعْيِينِ ٱلذَّبِيحِ (١) .
وَتَفْصِيلِ ٱلتَّفْضِيلِ ، بَيْنَ ٱلتَّحْمِيدِ وَٱلتَّهْلِيلِ . وَرِسَالَةُ ٱلْكَافِي
فِي أَنْ لَا دَلِيلَ عَلَى ٱلنَّافِي . وَكِتَابُ ٱلسُّبَاعِيَّاتِ . وَكِتَابُ
ٱلْمُسَلْسَلَاتِ . وَكِتَابُ ٱلتَّوَسُّطِ فِي مَعْرِفَةِ صِحَّةِ ٱلِاعْتِقَادِ
وَٱلرَّدِّ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَهْلَ ٱلسُّنَّةِ مِنْ ذَوِي ٱلْبِدَعِ وَٱلْإِلْحَادِ .
وَكِتَابُ شَرْحِ غَرِيبِ ٱلرِّسَالَةِ . وَكِتَابُ ٱلْإِنْصَافِ . فِي
مَسَائِلِ ٱلْخِلَافِ ـ عِشْرُونَ مُجَلَّدًا . وَكِتَابُ حَدِيثِ ٱلْإِفْكِ .
وَكِتَابُ شَرْحِ حَدِيثِ جَابِرٍ فِي ٱلشَّفَاعَةِ . وَكِتَابُ شَرْحِ
حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ (٢) . وَكِتَابُ سَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ . وَكِتَابُ

وسبحات وجه الله تعالى: أنواره وجلاله وعظمته . وأظن أنه يريد بالحديث ماروى عن جبريل عليه السلام : «ان لله دون العرش سبعين حجابا لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا » فسبحات وجهه نور وجهه وجلاله سبحانه وتعالى « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) الذبيح لقب سيدنا اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام، وهذا هو الذى صححه جماعة وخصوه بالتصنيف ، وقيل هو اسحق عليه السلام ويروونه عن ابن عباس. وقال المسعودى : ان كان الذبيح بمنى فهو اسماعيل لأن اسحق لم يدخل الحجاز ،وان كان بالشام فهو اسحق لأن اسماعيل لم يدخل الشام بعد حمله الى مكة ، وصوبه الامام ابن الجوزى . ولما تعارضت فيه الأدلة توقف بعضهم فى الجزم بواحد منهما «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) أم زرع بنت أكيمل بن ساعدة ،وفى الحديث : « كنت لك كأبى

الْمَحْصُولِ ، فِي عِلْمِ الْأُصُولِ . وَكِتَابُ أَعْيَانِ الْأَعْيَانِ . وَكِتَابُ مَلْجَأَةِ الْمُتَفَقِّهِينَ ، إِلَى مَعْرِفَةِ غَوَامِضِ النَّحْوِيِّينَ . وَكِتَابُ تَرْتِيبِ الرِّحْلَةِ ـ وَفِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَالَا يُوصَفُ . وَمِنْ فَوَائِدِ الْقَاضِي أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ قَوْلُهُ : قَالَ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ : مَا مِنْ رَجُلٍ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ إِلَّا كَانَ عَلَى وَجْهِهِ نَضْرَةٌ ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «نَضَّرَ(١) اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا» الْحَدِيثَ ، قَالَ وَهَذَا دُعَاءٌ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِحَمَلَةِ عِلْمِهِ ، وَلَا بُدَّ بِفَضْلِ اللهِ تَعَالَى مِنْ نَيْلِ بَرَكَتِهِ . انْتَهَى ، وَإِلَى هَـذِهِ النَّضْرَةِ أَشَارَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْعَزَفِيُّ(٢) بِقَوْلِهِ :

أَهْلُ الْحَدِيثِ عِصَابَةُ الْحَقِّ ... فَازُوا بِدَعْوَةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ
فَوُجُوهُهُمْ زُهْرٌ مُنَضَّرَةٌ ... لَأْلَاؤُهَا كَتَأَلُّقِ الْبَرْقِ
يَا لَيْتَنِي مَعَهُمْ فَيُدْرِكَنِي ... مَا أَدْرَكُوهُ بِهَا مِنَ السَّبْقِ

انْتَهَى

زرع لأم زرع » وحديثها مشهور فى كتب اللغة والأدب (١) نضره أى نعمه، من النضارة، وهى فى الأصل حسن الوجه والبريق، أراد حسن خلقه وقدره ، أى حسن الله وجهه فى خلقه أى جاهه وقدره (٢) سيأتى له ذكر

***

« وَلَا بَأْسَ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا بَعْضَ فَوَائِدِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ » فَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي تَصْرِيفِ «الْمُحْصَنَاتِ» يُقَالُ: أَحْصَنَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُحْصَنٌ بِفَتْحِ الْعَيْنِ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ(١) ، وَأَسْهَبَ فِي الْكَلَامِ فَهُوَ مُسْهَبٌ(٢) إِذَا أَطَالَ الْبَحْثَ فِيهِ ، وَأَلْفَجَ فَهُوَ مُلْفَجٌ إِذَا من فوائد أبي بكر ابن العربي

(١) المحصن « بفتح الصاد » يكون بمعنى الفاعل والمفعول ، ورجل محصن متزوج قد أحصنه التزوج ، وأحصن الرجل اذا تزوج فهو محصن ، وهو نادر ، ولعله يراعى فى ذلك معنى أحصن نفسه بالزواج ، فهو فى الحقيقة اسم مفعول لااسم فاعل ، وأصل الاحصان المنع ، واحصان الفرج اعفافه «أى جعله عفيفا » ومنه قوله تعالى : « أحصنت فرجها » أى أعفته ، والأمة اذا زوجت جاز أن يقال قد أحصنت ، لأن تزويجها قد أحصنها ، والمحصنة التى أحصنها زوجها فهن محصنات ـ وأحصنها البعل وأحصنت هى بنفسها فهى محصنة ، فالفتح على معنى أنها قد أحصنها زوجها ، والكسر على معنى أنها قد أحصنت هى نفسها ، والفتح أكثر فى كلام العرب (٢) المسهب « بالفتح والكسر » الكثير الكلام ، وقال ابن الأعرابى: أسهب الرجل أكثر الكلام ، فهو مسهب بالفتح ، ولا يقال بكسرها ، وهو نادر . وأرى أنه من أسهب الدابة اذا أهملها ترعى ، فهى مسهبة ، فقيل للمكثار مسهب كأنه ترك والكلام يتكلم بما يشاء ، كأنه وسع عليه أن يقول ماأراد ، فهو فى الواقع اسم مفعول لا اسم فاعل . وقال أبو على البغدادى: رجل مسهب « بالفتح» اذا أكثر الكلام فى الخطأ ، فان كان ذلك فى صواب فهو مسهب بالكسر لاغير « وهذا يؤيد ماأراه » من ملاحظة الذم فى المسهب لأنه مشبه بالدابة المهملة ، فيقال أسهب فهو مسهب اذا أكثر فى خرف وتلف ذهن ، فان أكثر من الخطأ قيل أفند فهو مفند ، فالمسهب بالفتح « كما

كَانَ عَدِيمًا(١) ، لَا رَابِعَ لَهَا(٢) ، وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . انْتَهَى

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : سَمِعْتُ الشَّيْخَ فَخْرَ الْإِسْلَامِ أَبَا بَكْرٍ الشَّاشِيَّ - وَهُوَ يَنْتَصِرُ لِمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ فِي مَجْلِسِ النَّظَرِ - يَقُولُ : يُقَالُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ « لَا تَقْرَبْ كَذَا » بِفَتْحِ الرَّاءِ

قال الأعلم الشنتمرى» لايوصف به البليغ المحسن ولا المكثر المصيب، قال: ألا ترى الى قول مكى بن سوادة :

حصر مسهب جرىء جبان خير عى الرجال عى السكوت

فقد قرن فيه المسهب بالحصر وردفه بالصفتين، وجعل المسهب أحق بالعى من الساكت والحصر فقال: خير عى الرجال عى السكوت . ورأى بعضهم وصف البليغ أيضا بالمفتوح اسم المفعول ، ولكن مما يدل على أن يقال له مسهب « اذا كان مكثرا من الصواب» أنهم يقولون للجواد من الخيل مسهب بالكسر خاصة . والخلاصة أن المفتوح روعى فيه معنى أنه مهمل مخلى، والمكسور لبلاغته يراعى فيه أنه قد أرسل لنفسه الكلام وأطلق لسجيته فى الصواب العنان . « أحمد يوسف نجاتى » (١) رجل ملفج ، جوزوا فيه أيضا فتح الفاء - وهو الأكثر - وكسرها. وأرى أنه اسم مفعول أيضا من ألفجه اذا أحوجه الى السؤال والطلب ممن ليس لذلك بأهل ، ويقال ألفجتنى الى ذلك الضرورة الفاجا ، وأفلج الرجل اذا أفلس فهو ملفج وقيل الملفج الذى أفلس وعليه دين « بفتح الفاء وكسرها » والملفج المعدم الذى لاشىء له - والخلاصة أنه يراعى فى المفتوح كونه اسم مفعول من ألفجه ، وفى المكسور أنه اسم فاعل من ألفج اللازم بمعنى أفلس . والالفاج: الالجاء والاحواج الى السؤال الى غير أهله (٢) وقالوا أهتر الرجل وأهتر - فهو مهتر - اذا كان يخطىء فى كلامه ، من الهتر وهو ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن ،والمهتر الذى خرف وفسد عقله من أحد هذه

أَىْ لَا تَتَلَبَّسْ بِالْفِعْلِ ، وَإِذَا كَانَ بِضَمِّ ٱلرَّاءِ كَانَ مَعْنَاهُ: لَا تَدْنُ مِنَ ٱلْمَوْضِعِ . وَهَذَا ٱلَّذِى قَالَهُ صَحِيحٌ مَسْمُوعٌ ٱنْتَهَى. وَمِنْهَا قَوْلُهُ: شَاهَدْتُ ٱلْمَائِدَةَ بِطُورِزَيْتَا (١) مِرَارًا ، وَأَكَلْتُ عَلَيْهَا لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَذَكَرْتُ ٱللهَ سُبْحَانَهُ فِيهَا سِرًّا وَجِهَارًا ، وَكَانَ ٱرْتِفَاعُهَا أَشَفَّ (٢) مِنَ ٱلْقَامَةِ بِنَحْوِ ٱلشِّبْرِ ، وَكَانَ لَهَا دَرَجَانِ قِبْلِيٌّ وَجَنُوبِيٌّ ، وَكَانَتْ صَخْرَةً صَلُودًا (٣) لَا تُؤَثِّرُ فِيهَا ٱلْمَعَاوِلُ ، وَكَانَ ٱلنَّاسُ يَقُولُونَ مُسِخَتْ صَخْرَةً إِذْ مُسِخَ أَرْبَابُهَا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ (٤) ، وَٱلَّذِى

الأشياء ونحوها ، فمهتر مأخوذ من أهتر ، فهو غير مخالف . والهتر :السقط من الكلام والخطأ فيه ، والباطل (١) طور زيتا علم مرتجل لجبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور ، على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر ، وهو فى بيت المقدس ، يقال انه مات فى جبل طور زيتا سبعون ألف نبى وهو مشرف على المسجد ، وفيه على مايقال صلى سيدنا عمر بن الخطاب ، ومنه قيل أيضا رفع سيدنا عيسى عليه السلام .« أحمد يوسف نجاتى »

(٢) أزيد وأكثر (٣) صلبة ملساء ، وفى الأصل « صلداء » ،

(٤) يشير الى قوله تعالى فى سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله؟! من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ، أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل » واستعمال مثوبة هنا مجاز علاقته الضدية مثل « فبشرهم بعذاب أليم » رخصه ارادة التهكم ، وحسنه قصد الاستهزاء بهم ، ومجمل المعنى: قل يا محمد لهؤلاء الذين

عِنْدِي أَنَّهَا كَانَتْ صَخْرَةً فِي الْأَصْلِ قُطِعَتْ مِنَ الْأَرْضِ مَحَلًّا لِلْمَائِدَةِ النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا حَوْلَهَا حِجَارَةٌ مِثْلُهَا، وَكَانَ مَا حَوْلَهَا مَحْفُوفًا بِقُصُورٍ، وَقَدْ نُحِتَتْ فِي ذَلِكَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ بُيُوتٌ أَبْوَابُهَا مِنْهَا، وَمَجَالِسُهَا مِنْهَا مَقْطُوعَةٌ فِيهَا، وَحَنَايَاهَا فِي جَوَانِبِهَا، وَبُيُوتُ خَدَمَتِهَا، قَدْ صُوِّرَتْ مِنَ الْحَجَرِ كَمَا تُصَوَّرُ مِنَ الطِّينِ وَالْخَشَبِ. فَإِذَا

اتخذوا دينكم لعبا ولهوا من الذين أوتو الكتاب من قبلكم والكفار: هل أنبئكم يامعشر أهل الكتاب بشر من أهل ذلك الذى تنقمونه منا وشر من مثوبته أى عقابه ؟! الخ. وقد أخرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم، والا فلا شركة بين المؤمنين وأهل الكتاب فى أصل العقوبة حتى يقال ان عقوبة أحد الفريقين شر من عقوبة الآخر، ولكنهم حكموا بأن دين الاسلام شر، فقيل لهم: هبوا الأمر كذلك؟! ولكن لعنة الله تعالى وغضبه، والابعاد عن رحمته، والطرد من ساحة رضاه، ومسخ الصورة الى أقبح أنواع الحيوان وأرذله شر من ذلك الذى تزعمون أنه شر. وقال المفسرون: انه عنى بالقردة أصحاب السبت، وبالخنازير كفار مائدة السيد المسيح عيسى عليه السلام. ويروى أن كلا المسخين كان فى أصحاب السبت لأن شبابهم مسخوا قردة وكهولهم مسخوا خنازير، ولهذا كان المسلمون يعيرون بقية هؤلاء بقولهم: ياإخوة القردة والخنازير، فينكسون رءوسهم حياء وخجلا. قلت وأنت تعرف ما لنوعى القردة والخنازير من الخسة والحقارة، وما لهما فى صدور العامة والخاصة من القبح والتشويه، وشناعة المنظر ونذالة النفس، وحقارة القدر، ووضاعة الطبع، وبشاعة الصورة، وسماجة الشكل والخلق، وقبح الصوت، ودناءة الهمة مما ليس لغيرهما من سائر أنواع الحيوان. اه «أحمد يوسف نجاتى»

دَخَلْتَ فِي قَصْرٍ مِنْ قُصُورِهَا ، وَرَدَدْتَ الْبَابَ ، وَجَعَلْتَ مِنْ وَرَائِهِ صَخْرَةً مِقْدَارَ ثِقْلِ ثُمْنِ دِرْهَمٍ لَمْ يَفْتَحْهُ أَهْلُ الْأَرْضِ ، لِلُصُوقِهِ بِالارْضِ ، وَإِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ وَحَثَتْ تَحْتَهُ التُّرَابَ لَمْ يُفْتَحْ إِلَّا بَعْدَ صَبِّ الْمَاءِ تَحْتَهُ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ حَتَّى يَسِيلَ بِالتُّرَابِ ، وَيَنْفَرِجَ مُنْفَرَجُ الْبَابِ . وَقَدْ بَارَ(١) بِهَا قَوْمٌ بِهَذِهِ الْعِلَّةِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَخْلُو فِيهَا كَثِيرًا لِلدَّرْسِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ فِي كُلِّ حِينٍ أَكْنُسُ حَوْلَ الْبَابِ مَخَافَةً مِمَّا جَرَى لِغَيْرِي فِيهَا . وَقَدْ شَرَحْتُ أَمْرَهَا فِي كِتَابِ تَرْتِيبِ الرِّحْلَةِ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا . انْتَهَى .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ تَذَاكَرْتُ بِالْمَسْجِدِ الْاقْصَى مَعَ شَيْخِنَا أَبِي بَكْرٍ الْفِهْرِيِّ الطُّرْطُوشِيِّ(٢) حَدِيثَ أَبِي ثَعْلَبَةَ(٣) الْمَرْفُوعَ « إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا لِلْعَامِلِ فِيهَا أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ ، فَقَالُوا : بَلْ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : بَلْ مِنْكُمْ

(١) هلك وباد (٢) هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري ، أصله من طرطوشة ، ورحل الى المشرق وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠ وتقدم مزيد تعريف به ، وسيأتى حديث عنه (٣) أبو ثعلبة الخشنى صحابى شهد حنينا ، توفى وهو ساجد سنة ٧٥ وفى اسمه واسم أبيه اختلاف « أحمد يوسف نجاتى »

لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى ٱلْخَيْرِ أَعْوَانًا، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا » وَتَفَاوَضْنَا كَيْفَ يَكُونُ أَجْرُ مَنْ يَأْتِي مِنَ ٱلْأُمَّةِ أَضْعَافَ أَجْرِ ٱلصَّحَابَةِ؟ مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ أَسَّسُوا ٱلْإِسْلَامَ، وَعَضَدُوا ٱلدِّينَ؟! وَأَقَامُوا ٱلْمَنَارَ، وَٱفْتَتَحُوا ٱلْأَمْصَارَ، وَحَمَوُا ٱلْبَيْضَةَ (١) وَمَهَّدُوا ٱلْمِلَّةَ؟ وَقَدْ قَالَ ـ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِي ٱلصَّحِيحِ: « لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ (٢) أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ »؟! فَتَرَاجَعْنَا ٱلْقَوْلَ وَتَحَصَّلَ مَا أَوْضَحْنَاهُ فِي شَرْحِ ٱلصَّحِيحِ، وَخُلَاصَتُهُ أَنَّ ٱلصَّحَابَةَ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ـ كَانَتْ لَهُمْ أَعْمَالٌ كَثِيرَةٌ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ، وَلَا يُدَانِيهِمْ فِيهَا بَشَرٌ، وَأَعْمَالٌ سِوَاهَا

---

(١) البيضة حوزة كل شيء، يقال استبيحت بيضتهم: أي أصلهم ومجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، والبيضة: ساحة القوم، قال لقيط بن معبد:

ياقوم بيضتكم، لاتفجعن بها ... انى أخاف عليها الأزلم الجزعا

« يقول احفظوا عقر داركم. والأزلم الجذع الدهر، لأنه لايهرم أبدا » و بيضة الدار: وسطها ومعظمها، و بيضة القوم جماعتهم (٢) المد: مكيال وهو رطلان عند أهل العراق وأبي حنيفة، و رطل وثلث عند أهل الحجاز والشافعي، وقيل هو ربع صاع، والصاع خمسة أرطال، والنصيف النصف، وانما قدر ماينفق بالمد لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة. « أحمد يوسف نجاتي ».

مِنْ فُرُوعِ ٱلدِّينِ يُسَاوِيهِمْ فِيهَا فِي ٱلْأَجْرِ مَنْ أَخْلَصَ إِخْلَاصَهُمْ ، وَخَلَّصَهَا مِنْ شَوَائِبِ ٱلْبِدَعِ وَٱلرِّيَاءِ بَعْدَهُمْ ، وَٱلْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ بَابٌ عَظِيمٌ ، هُوَ ٱبْتِدَاءُ ٱلدِّينِ وَٱلْإِسْلَامِ ، وَهُوَ أَيْضًا ٱنْتِهَاؤُهُ ، وَقَدْ كَانَ قَلِيلًا فِي ٱبْتِدَاءِ ٱلْإِسْلَامِ ، صَعْبَ ٱلْمَرَامِ ، لِغَلَبَةِ ٱلْكُفَّارِ عَلَى ٱلْحَقِّ ، وَفِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ أَيْضًا يَعُودُ كَذَلِكَ ، لِوَعْدِ ٱلصَّادِقِ — صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِفَسَادِ ٱلزَّمَانِ ، وَظُهُورِ ٱلْفِتَنِ وَغَلَبَةِ ٱلْبَاطِلِ ، وَٱسْتِيلَاءِ ٱلتَّبْدِيلِ وَٱلتَّغْيِيرِ عَلَى ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلْخَلْقِ ، وَرُكُوبِ مَنْ يَأْتِي سَنَنَ(١) مَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ ، كَمَا قَالَ — صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — « لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ ، شِبْرًا بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ خَرِبٍ لَدَخَلْتُمُوهُ » وَقَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « بَدَأَ ٱلْإِسْلَامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَا » فَلَا بُدَّ — وَٱللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ، بِحُكْمِ هَذَا ٱلْوَعْدِ ٱلصَّادِقِ —

(١) سنن الطريق « مثلثة وبضمتين » نهجه وجهته ، والسنة : السيرة والطريقة ، والسنن أيضا الطريقة « أحمد يوسف نجاتي »

أَنْ يَرْجِعَ ٱلْإِسْلَامُ إِلَى وَاحِدٍ، كَمَا بَدَأَ مِنْ وَاحِدٍ، وَيَضْعُفُ ٱلْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا قَامَ بِهِ قَائِمٌ ـ مَعَ ٱحْتِوَاشِهِ[١] بِالْمَخَاوِفِ ـ وَبَاعَ نَفْسَهُ مِنَ ٱللهِ تَعَالَى فِي ٱلدُّعَاءِ إِلَيْهِ، كَانَ لَهُ مِنَ ٱلْأَجْرِ أَضْعَافُ مَا كَانَ لِمَنْ كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنْهُ مُعَانًا عَلَيْهِ بِكَثْرَةِ ٱلدُّعَاةِ إِلَى ٱللهِ تَعَالَى وَذَلِكَ قَوْلُهُ: لِأَنَّكُمْ تَجِدُونَ عَلَى ٱلْخَيْرِ أَعْوَانًا، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا» حَتَّى يَنْقَطِعَ ذَلِكَ ٱنْقِطَاعًا بَاتًّا، لِضَعْفِ ٱلْيَقِينِ، وَقِلَّةِ ٱلدِّينِ، كَمَا قَالَ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي ٱلْأَرْضِ: ٱللهُ ٱللهُ» «يُرْوَى بِرَفْعِ ٱلْهَاءِ وَنَصْبِهَا، فَالرَّفْعُ عَلَى مَعْنَى لَا يَبْقَى مُوَحِّدٌ يَذْكُرُ: ٱللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَٱلنَّصْبُ عَلَى مَعْنَى لَا يَبْقَى آمِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَلَا نَاهٍ عَنْ مُنْكَرٍ يَقُولُ أَخَافُ ٱللهَ» وَحِينَئِذٍ يَتَمَنَّى ٱلْعَاقِلُ ٱلْمَوْتَ، كَمَا قَالَ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ ٱلرَّجُلُ بِقَبْرِ ٱلرَّجُلِ فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَهُ!». ٱنْتَهَى. وَأَنْشَدَ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ لِبَعْضِ ٱلصُّوفِيَّةِ:

(١) أي احاطة المخاوف به والتفافها حوله «أحمد يوسف نجاتي»

اِمْتَحَنَ اللّٰهُ بِذَا خَلْقَهُ   فَالنَّارُ وَالْجَنَّةُ فِى قَبْضَتِهْ
فَهَجْرُهُ أَعْظَمُ مِنْ نَارِهِ   وَوَصْلُهُ أَطْيَبُ مِنْ جَنَّتِهْ

« وَمِنْ فَوَائِدِ ابْنِ الْعَرَبِىِّ » ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ـ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ بِمَجْلِسِ الْوَزِيرِ الْعَادِلِ أَبِى مَنْصُورِ بْنِ جَهِيرٍ (١) عَلَى رُتْبَةٍ بَيَّنَّاهَا فِى كِتَابِ « الرِّحْلَةِ لِلتَّرْغِيبِ فِى الْمِلَّةِ » فَقَرَأَ الْقَارِئُ: « تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ » وَكُنْتُ فِى الصَّفِّ الثَّانِى

(١) هو عميد الدولة أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن جهير الموصلى الثعلبى . كان أبوه أبو نصر الملقب فخر الدولة وزيرا للأمير نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ميافارقين وديار بكر ، ثم ترقت به الأحوال فصار وزيرا للخليفة القائم بأمر الله العباسى سنة ٤٥٤ ثم للمقتدى بأمر الله من بعده ، ثم عزله عنها باشارة الوزير نظام الملك المتقدم ذكره ، وكان ولده أبو منصور هذا ينوب عن والده فى الوزارة ، فلما عزل أبوه خرج هو الى الوزير نظام الملك واسترضاه وأصلح حاله معه وعاد الى بغداد ، وتولى الوزارة مكان أبيه ، وتوفى والده سنة ٤٨٣ وبقى هو وزيرا للمقتدى ، وكان أبو منصور ذا وقار وهيبة وسداد رأى ، خدم ثلاثة من الخلفاء ووزر لاثنين منهم ، وكان الوزير نظام الملك يجله ويعتد برأيه فى مهام الأمور ويقدمه على الكفاة والصدور ، وزوجه بابنته السيدة زبيدة سنة ٤٦٢ وتوفيت سنة ٤٧٠ ـ ثم عزل عن الوزارة سنة ٤٩٢ وتوفى سنة ٤٩٣ ثم تولى أخوه زعيم الرؤساء نظام الدين أبو القاسم وزارة الامام المستظهر

مِنَ الْحَلْقَةِ بِظَهْرِ أَبِي الْوَفَاءِ ابْنِ عَقِيلٍ إِمَامِ الْحَنْبَلِيَّةِ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ (١) — وَكَانَ مُعْتَزِلِيَّ الْأُصُولِ — فَلَمَّا سَمِعْتُ الْآيَةَ قُلْتُ لِصَاحِبٍ لِي كَانَ يَجْلِسُ عَلَى يَسَارِي : هَذِهِ الْآيَةُ

بالله سنة ٤٩٦ — وكان بنو جهير ذوى رياسة وجود، ومدحهم كثير من الشعراء « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو الامام الجليل أبو الوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادى شيخ الحنابلة، كان خارق الذكاء ، مبرزا فى كثير من العلوم ، حاضر البديهة، شديد العارضة ، مكبا على الاشتغال والتصنيف. عديم النظير فى عصره، قال أبو طاهر السلفى : ما رأيت مثله، وما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه و بلاغة قوله وحسن ايراده وقوة حجته . وناظر الفحول، وأفتى ودرس واستفتى فى الديوان زمن الخليفة القائم بأمر الله فى زمرة من الكبار ، وكان ذا زهد وتجمل، وعفة وتحمل وشجاعة أدبية ، وصراحة جريئة ، يصدع بما يراه حقا وان ناله فى ذلك مكروه وأذى، مع قوة دين، وحسن يقين، وكرم وايثار ، وعقل جبار. وله مؤلفات كثيرة قيمة ممتعة، أعظمها كتاب الفنون، وهو كبير جدا فيه فوائد كثيرة جليلة فى كل فن، وقد أودعه مناظراته ومجالسه التى وقعت له، وقيد فيه خواطره السانحة ، ونتائج فكره العظيمة، حتى قال الحافظ الذهبى فى تاريخه :انه لم يصنف فى الدنيا أكبر من هذا الكتاب .وقيل انه نحو ثمانمائة مجلد . وليت الأيام تجود به ان لم يكن الزمان قد قضى عليه. وكان مولده سنة ٤٣١ وتوفى سنه ٥١٣ وكانت جنازته حافلة، و يومه مشهودا . وكان له ولدان توفيا فى حياته ، أحدهما هبة الله، ولد سنة ٤٧٤ وتوفى سنة ٤٨٨ بدرا لم يدرك السرار . والثانى أبو الحسن عقيل، وكان ذا حظ عظيم من حسن الخلق والخلق والعلم والأدب والذكاء ، ولد سنة ٤٨١ وتوفى سنة ٥١٣ قبل أبيه بنحو شهر . رحم الله الجميع « أحمد يوسف نجاتى »

دَلِيلٌ عَلَى رُؤْيَةِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ لَا تَقُولُ: لَقِيتُ فُلَانًا » إِلَّا إِذَا رَأَتْهُ ، فَصَرَفَ وَجْهَهُ أَبُو الْوَفَاءِ مُسْرِعًا إِلَيْنَا وَقَالَ — يَنْتَصِرُ لِمَذْهَبِ الِاعْتِزَالِ فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ — : فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : « فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ » وَعِنْدَكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَرَوْنَ اللهَ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ !. وَقَدْ شَرَحْنَا وَجْهَ الْآيَةِ فِي الْمُشْكِلَيْنِ . وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ فَأَعْقَبَهُمْ هُوَ [1] نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ، فَيَحْتَمِلُ ضَمِيرُ يَلْقَوْنَهُ أَنْ يَعُودَ

(١) تفسير للضمير المستتر فى أعقب ، ومرجعه الى الله تعالى — وهو الأظهر — أى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد فى قلوبهم ببخلهم بحق الله الذى فرضه عليهم فيما أعطاهم من فضله، واخلافهم الوعد الذى وعدوا الله ، ونقضهم العهد الذى عاهدوه عليه ، لأنهم لما ضلوا فى الماضى أضلهم الله عن الدين وسبيل الهداية فى المستقبل . والضمير فى يلقونه عائد على الله تعالى كذلك ، يعنى أن الله تعالى أضلهم وحرمهم التوبة الى يوم القيامة، فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه . ويصح أن يكون المعنى — مع عود الضمير الذى هو فاعل أعقب الى الله — فأعقبهم الله العقوبة على النفاق والجزاء عنه باحداث الغم فى قلوبهم وعدم اطمئنانها، والضيق والحرج فى صدورهم وعدم شرحها، مع ماينالهم من الذل والخوف، والخزى من سوء التقلب وعدم الثبات . أو يراد خذلهم حتى نافقوا وتمكن فى

إِلَى ٱلضَّمِيرِ ٱلْفَاعِلِ فِي أَعْقَبَهُمْ ٱلْمُقَدَّرِ بِقَوْلِنَا هُوَ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ إِلَى ٱلنِّفَاقِ مَجَازًا عَلَى تَقْدِيرِ ٱلْجَزَاءِ(١) . ٱنْتَهَى . وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا ـ : لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: ٱنْصَرَفْنَا مِنَ ٱلصَّلَاةِ ، فَإِنَّ قَوْمًا قِيلَ فِيهِمْ « ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ » وَقَدْ أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقَيْسِيُّ ٱلْوَاعِظُ، أَنْبَأَنَا أَبُو ٱلْفَضْلِ ٱلْجَوْهَرِيُّ سَمَاعًا مِنْهُ : كُنَّا فِي جَنَازَةٍ، فَقَالَ ٱلْمُنْذِرُ بِهَا: ٱنْصَرِفُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى ـ، فَقَالَ لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ : ٱنْصَرِفُوا، فَإِنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي قَوْمٍ ذَمَّهُمْ : ثُمَّ

قلوبهم نفاقهم، فلاينفك عنها حتى يموتوا . ويقال: أعقبت فلانا ندامة، اذا صيرت عاقبة أمره كذلك (١) هذا هو المعنى الثانى الذى شرحناه ، وقانا ان فاعل أعقب معه أيضا عائد الى الله . ويصح أن يكون عائدا الى البخل أى أعقبهم البخل، يعنى أورثهم بخلهم بحقوق الله، وامساكهم عن بذل مايجب فى المال نفاقا متمكنا فى قلوبهم ، لأنه كان سببا فيه وباعثا عليه . وكذا التأويل ان جعل فاعل أعقب عائدا الى التولى والاعراض فهما أمارتان على النفاق أيضا ،وعلامتان دالتان عليه . والمعتزلة يميلون الى عود الضمير المستتر فى أعقب الى غيرالله، بل الى البخل والتولى والأعراض حتى لا يكون فيه دليل على أن خالق الكفر « النفاق » فى القلوب هو الله تعالى . هذاموجز مايشير اليه الكتاب، والذى يجعله مفهوما . وظاهر الآية يدل على أن نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق وسوء العاقبة ، فعلى المؤمن أن يبالغ فى الاحتراز عنه، و يجتهد فى التطهر منه ، ولاغرو فثلاث من كن فيه فهو منافق؛ اذاحدث كذب ، واذا وعد أخلف، واذا اؤتمن خان « أحمد يوسف نجاتى » .

ٱنْصَرِفُوا صَرَفَ ٱللهُ قُلُوبَهُمْ » وَلَـٰكِنْ قُولُوا : ٱنْقَلِبُوا ـ رَحِمَكُمُ ٱللهُ ـ فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى قَالَ فِي قَوْمٍ مَدَحَهُمْ : « فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ » . ٱنْتَهَى

وَمِنْهَا ـ وَقَدْ ذَكَرَ ٱلْخِلَافَ فِي شَاهِدِ يُوسُفَ ـ مَا صُورَتُهُ : فَإِذَا قُلْنَا إِنَّهُ ٱلْقَمِيصُ ـ فَكَانَ يَصِحُّ مِنْ جِهَةِ ٱللُّغَةِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ حَالِهِ ، بِتَقَدُّمِ مَقَالِهِ ، فَإِنَّ لِسَانَ ٱلْحَالِ ، أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِ ٱلْمَقَالِ فِي بَعْضِ ٱلْأُمُورِ ، وَقَدْ تُضِيفُ ٱلْعَرَبُ ٱلْكَلَامَ إِلَى ٱلْجَمَادَاتِ بِمَا تُخْبِرُ عَنْهُ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ ٱلصِّفَاتِ ، وَمِنْ أَحْلَاهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : قَالَ ٱلْحَائِطُ لِلْوَتِدِ : لِمَ تَشُقُّنِي ؟ قَالَ : سَلْ مَنْ يَدُقُّنِي ، مَا يَتْرُكُنِي وَرَائِي[1] ، هَذَا ٱلَّذِي وَرَائِي ـ لَـٰكِنْ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ « مِنْ أَهْلِهَا » فِي صِفَةِ ٱلشَّاهِدِ يُبْطِلُ أَنْ يَكُونَ ٱلْقَمِيصَ . وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ ٱبْنُ عَمِّهَا أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْعَزِيزِ فَإِنَّهُ يُحْتَمَلُ ، لَـٰكِنْ قَوْلُهُ « مِنْ أَهْلِهَا » يُعْطِي ٱخْتِصَاصَهَا مِنْ جِهَةِ ٱلْقَرَابَةِ . ٱنْتَهَى .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : إِنَّهُ كَانَ بِمَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ ، إِمَامٌ مِنَ ٱلصُّوفِيَّةِ

(١) فى الأصل « ودائى » و « رائى » بمعنى رأيى أى حالى وشأنى

وَأَيُّ إِمَامٍ ، يُعْرَفُ بِابْنِ عَطَاءٍ ، فَتَكَلَّمَ يَوْمًا عَلَى يُوسُفَ وَأَخْبَارِهِ ، حَتَّى ذَكَرَ تَبْرِئَتَهُ مِمَّا يُنْسَبُ(١) إِلَيْهِ مِنْ مَكْرُوهٍ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ آخِرِ مَجْلِسِهِ ـ وَهُوَ مَشْحُونٌ بِالْخَلِيقَةِ مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ ـ فَقَالَ : يَا شَيْخُ ، يَا سَيِّدَنَا ، فَإِذَنْ يُوسُفُ هَمَّ ، وَمَا تَمَّ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، لِأَنَّ الْعِنَايَةَ مِنْ ثَمَّ . فَانْظُرُوا إِلَى حَلَاوَةِ الْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ ، وَفِطْنَةِ الْعَامِّيِّ فِي سُؤَالِهِ ، وَالْعَالِمِ فِي اخْتِصَارِهِ وَاسْتِيفَائِهِ ! وَلِذَا قَالَ عُلَمَاؤُنَا الصُّوفِيَّةُ : إِنَّ فَائِدَةَ قَوْلِهِ تَعَالَى « وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً » أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ أَيَّامَ غَلَبَةِ الشَّهْوَةِ لِتَكُونَ لَهُ سَبَباً لِلْعِصْمَةِ . انْتَهَى .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : كُنْتُ بِمَكَّةَ مُقِيماً فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكُنْتُ أَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ كَثِيرًا ، وَكُلَّمَا شَرِبْتُهُ نَوَيْتُ بِهِ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ ، فَفَتَحَ اللّٰهُ تَعَالَى لِي بِبَرَكَتِهِ فِي الْمِقْدَارِ الَّذِي يَسَّرَهُ لِي مِنَ الْعِلْمِ ، وَنَسِيتُ أَنْ أَشْرَبَهُ لِلْعَمَلِ ، وَيَا لَيْتَنِي شَرِبْتُهُ لَهُمَا حَتَّى يَفْتَحَ اللّٰهُ تَعَالَى لِي فِيهِمَا ـ وَلَمْ يُقَدَّرْ ، فَكَانَ صَغْوِي لِلْعِلْمِ أَكْثَرَ مِنْهُ

(١) وفى نسخة «نسب» « أحمد يوسف نجاتى »

لِلْعَمَلِ ، وَأَسْأَلُ ٱللَّهَ تَعَالَى ٱلْحِفْظَ وَٱلتَّوْفِيقَ بِرَحْمَتِهِ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : سَمِعْتُ إِمَامَ ٱلْحَنَابِلَةِ بِمَدِينَةِ ٱلسَّلَامِ أَبَا ٱلْوَفَاءِ عَلِيَّ بْنَ عَقِيلٍ يَقُولُ : إِنَّمَا تَبِعَ ٱلْوَلَدُ ٱلْأُمَّ فِي ٱلْمَالِيَّةِ ، وَصَارَ بِحُكْمِهَا فِي ٱلرِّقِّ وَٱلْحُرِّيَّةِ ، لِأَنَّهُ ٱنْفَصَلَ عَنِ ٱلْأَبِ نُطْفَةً لَا قِيمَةَ لَهُ ، وَلَا مَالِيَّةَ فِيهِ ، وَلَا مَنْفَعَةَ مَبْتُوتَةٌ(١) عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا ٱكْتَسَبَ مَا ٱكْتَسَبَ بِهَا وَمِنْهَا ، فَلِذَلِكَ تَبِعَهَا كَمَا لَوْ أَكَلَ رَجُلٌ تَمْرًا فِي أَرْضِ رَجُلٍ ، وَسَقَطَتْ مِنْهُ نَوَاةٌ فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ يَدِ ٱلْآكِلِ ، فَصَارَتْ نَخْلَةً ، فَإِنَّهَا مِلْكُ صَاحِبِ ٱلْأَرْضِ دُونَ ٱلْآكِلِ بِإِجْمَاعٍ مِنَ ٱلْأُمَّةِ ، لِأَنَّهَا ٱنْفَصَلَتْ عَنِ ٱلْآكِلِ وَلَا قِيمَةَ لَهَا وَهَذِهِ مِنَ ٱلْبَدَائِعِ . ٱنْتَهَى .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : وَمِنْ نَوَادِرِ أَبِي ٱلْفَضْلِ ٱلْجَوْهَرِيِّ مَا أَخْبَرَنَا عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ ٱلْوَاعِظُ وَغَيْرُهُ ؛ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِذَا أُمْسِكَتْ عِلَاقَةُ ٱلْمِيزَانِ بِٱلْإِبْهَامِ وَٱلسَّبَّابَةِ وَٱرْتَفَعَتْ سَائِرُ ٱلْأَصَابِعِ كَانَ شَكْلُهَا مَقْرُوءًا(٢) بِقَوْلِكَ : ٱللَّهُ

(١) أى مقطوع بها متيقنة ــ وفى الأصل « مبثوثة » (٢) فى نسخة « مقررا » « أحمد يوسف نجاتى » .

فَكَأَنَّهَا إِشَارَةٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ فِي تَيْسِيرِ الْوَزْنِ كَذَلِكَ إِلَى أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ ، فَاعْدِلْ فِي وَزْنِكَ . انْتَهَى .

وَمِنْهُ قَوْلُه : كَانَ ابْنُ الْكَازَرُونِيِّ يَأْوِى إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، ثُمَّ تَمَتَّعْنَا بِهِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ ، وَلَقَدْ كَانَ يَقْرَأُ فِي مَهْدِ عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَيُسْمَعُ مِنَ الطُّورِ ، فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا دُونَ قِرَاءَتِهِ إِلَّا الْإِصْغَاءَ إِلَيْهِ . انْتَهَى .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى « فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ » قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ آخِرَ شَوَّالٍ مِنَ الْأَرْبِعَاءِ إِلَى الْأَرْبِعَاءِ ، وَالنَّاسُ يَكْرَهُونَ السَّفَرَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ لِأَجْلِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ ، حَتَّى إِنِّي لَقِيتُ يَوْمًا مَعَ خَالِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ رَجُلًا مِنَ الْكُتَّابِ فَوَدَّعَنَا بِنِيَّةِ السَّفَرِ ، فَلَمَّا فَارَقَنَا قَالَ لِي خَالِي : إِنَّكَ لَا تَرَاهُ أَبَدًا لِأَنَّهُ سَافَرَ فِي يَوْمِ أَرْبِعَاءَ لَا يَتَكَرَّرُ . وَكَذَا كَانَ ، فَإِنَّهُ مَاتَ فِي سَفَرِهِ . وَهَذَا مَا لَا أَرَاهُ ، لِأَنَّ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ يَوْمٌ عَجِيبٌ ، بِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْخَلْقِ فِيهِ وَالتَّرْتِيبِ ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ ثَابِتٌ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ السَّبْتِ التُّرْبَةَ ، وَيَوْمَ الْأَحَدِ

ٱلْجِبَالَ ، وَيَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ ٱلشَّجَرَ ، وَيَوْمَ ٱلثُّلَاثَاءِ ٱلْمَكْرُوهَ وَيَوْمَ ٱلْأَرْبِعَاءِ ٱلنُّورَ – وَرُوِيَ ٱلنُّونَ – وَفِي غَرِيبِ ٱلْحَدِيثِ أَنَّهُ خَلَقَ يَوْمَ ٱلْأَرْبِعَاءِ ٱلتِّقْنَ (١) – وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ تُتْقَنُ بِهِ ٱلْأَشْيَاءُ – يَعْنِي ٱلْمَعَادِنَ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلنُّحَاسِ وَٱلْحَدِيدِ وَٱلرَّصَاصِ ، فَٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي خُلِقَ فِيهِ ٱلْمَكْرُوهُ لَا تَعَافُهُ (٢) ٱلنَّاسُ ، وَٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي خُلِقَ فِيهِ ٱلنُّورُ أَوِ ٱلتِّقْنُ يَعَافُونَهُ ! إِنَّ هَذَا لَهُوَ ٱلْجَهْلُ ٱلْمُبِينُ . وَفِي ٱلْمَغَازِي أَنَّ ٱلنَّبِيَّ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – دَعَا عَلَى ٱلْأَحْزَابِ مِنْ يَوْمِ ٱلِاثْنَيْنِ إِلَى يَوْمِ ٱلْأَرْبِعَاءِ بَيْنَ ٱلظُّهْرِ وَٱلْعَصْرِ ، فَٱسْتُجِيبَ لَهُ ، وَهِيَ سَاعَةٌ فَاضِلَةٌ فَٱلْآثَارُ ٱلصِّحَاحُ تَدُلُّ عَلَى فَضْلِ هَذَا ٱلْيَوْمِ ، فَكَيْفَ يُدَّعَى فِيهِ ٱلتَّحْذِيرُ وَٱلنَّحْسُ بِأَحَادِيثَ لَا أَصْلَ لَهَا ؟ ! وَقَدْ صَوَّرَ قَوْمٌ أَيَّامًا مِنَ ٱلْأَشْهُرِ ٱلشَّمْسِيَّةِ ٱدَّعَوْا فِيهَا ٱلْكَرَاهِيَةَ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا ، وَلَا يَشْغَلُ بَالًا بِهَا ، فَحَسْبُهُمُ ٱللَّهُ . ٱنْتَهَى .

---

(١) التقن الطبيعة ، ومايقوم به المعاش ويصلح به التدبير كالحديد وغيره من جواهر الأرض ومعادنها، ومافي بطونها من أفلاذ أكبادها، وكل مايقوم به صلاح شيء فهو تقنه (٢) تعافه : تكرهه وتنفر منه . «أحمد يوسف نجاتي»

وَمِنْهَا : وَكَانَ يَقْرَأُ مَعَنَا بِرِبَاطِ أَبِي سَعِيدٍ عَلَى الْإِمَامِ دَانَشْمَنْدَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ خُنْثَى لَيْسَ لَهُ لِحْيَةٌ وَلَهُ ثَدْيَانِ وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ ـ فَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِهِ ـ وَمَعَ طُولِ الصُّحْبَةِ عَقَلَنِي الْحَيَاءُ عَنْ سُؤَالِهِ ، وَبِوُدِّي الْيَوْمَ لَوْ كَاشَفْتُهُ عَنْ حَالِهِ . انْتَهَى.

وَمِنْ شِعْرِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ (١) مِمَّا نَسَبَهُ لَهُ الشَّيْخُ أَبُو حَيَّانَ قَوْلُهُ :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوْا ... أَيَّ قَلْبٍ مَلَكُوا ؟
وَفُؤَادِي لَوْ دَرَى ... أَيَّ شِعْبٍ سَلَكُوا ؟
أَتُرَاهُمْ سَلِمُوا ... أَمْ تُرَاهُمْ هَلَكُوا ؟
حَارَ أَرْبَابُ الْهَوَى ... فِي الْهَوَى وَارْتَبَكُوا

« وَمِنْ فَوَائِدِهِ » أَخْبَرَنِي الْمَهَرَةُ مِنَ السَّحَرَةِ بِأَرْضِ بَابِلَ أَنَّهُ مَنْ كَتَبَ آخِرَ آيَةٍ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ وَيُعَلِّقُهَا

(١) الحق أن هذه الأبيات ليست لأبي بكر بن العربي صاحب الترجمة هذا ، وإنما هي للشيخ الصوفي المشهور محيي الدين بن العربي صاحب الفتوحات المكية المتوفى سنة ٦٣٨ ، وهي في ابتداء كتابه « ترجمان الأشواق » وسيأتي حديث طويل عن محيي الدين بن عربي . «أحمد يوسف نجاتي»

لَمْ يَبْلغْ إِلَيْهِ سِحْرُنَا ، قَالَ هَـكَذَا قَالُوا ! ، وَٱللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا نَقَلُوهُ . وَقَالَ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ : حَفِظْتُ(١) ٱلْقُرْآنَ ٱبْنَ تِسْعِ سِنِينَ ، ثُمَّ ثَلَاثًا لِضَبْطِ ٱلْقُرْآنِ وَٱلْعَرَبِيَّةِ وَٱلْحِسَابِ ، فَبَلَغْتُ سِتَّ عَشْرَةَ وَقَدْ قَرَأْتُ مِنَ ٱلْأَحْرُفِ نَحْوًا مِنْ عَشَرَةٍ ، بِمَا يَتْبَعُهَا مِنْ إِظْهَارٍ وَإِدْغَامٍ وَنَحْوِهِ ، وَتَمَرَّنْتُ فِي ٱلْغَرِيبِ(٢) وَٱلشِّعْرِ وَٱللُّغَةِ ، ثُمَّ رَحَلَ بِي أَبِي إِلَى ٱلْمَشْرِقِ ، ثُمَّ ذَكَرَ تَمَامَ رِحْلَتِهِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ .

***

وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَامِرِ بْنِ حَجَّاجٍ ٱلْغَافِقِيُّ ٱلْإِشْبِيلِيُّ » وَمِنْ نَظْمِهِ بِالْمَدِينَةِ ٱلْمُشَرَّفَةِ ـ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ وَٱلسَّلَامِ ـ محمد بن أبي عامر الغافقي

لَمْ يَبْقَ لِي سُؤْلٌ وَلَا مَطْلَبٌ
مُذْ صِرْتُ جَارًا لِلْحَبِيبِ ٱلْحَبِيبْ
لَا أَبْتَغِي شَيْئًا سِوَى قُرْبِهِ
وَهَا أَنَا مِنْــهُ قَرِيبٌ قَرِيبْ

(١) فى نسخة « حــذقت » أى أتقنت (٢) فى نسخة « العربية » « أحمد يوسف نجاتى » .

مَنْ غَابَ عَنْ حَضْرَةِ مَحْبُوبِهِ
فَلَسْتُ عَنْ طَيْبَةَ مِمَّنْ يَغِيبْ
لَا تَسْأَلِ الْمَغْبُوطَ عَنْ حَالِهِ ،
جَارٌ كَرِيمٌ وَمَحَلٌّ خَصِيبْ
الْعَيْشُ وَالْمَوْتُ هُنَا طَيِّبٌ
بِطَيْبَةٍ لِي كُلُّ شَيْءٍ يَطِيبْ

وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الْأَشْرَفُ بْنُ الْفَاضِلِ

***

جمال الدين ابن أبي الحسن الأنصاري المالقي

« وَمِنْهُمُ الشَّيْخُ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ الْبَارِعُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَقِيهِ الْخَطِيبِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ ذِي النُّونِ(١) الْأَنْصَارِيُّ الْمَالَقِيُّ » مِنْ أَشْيَاخِ أَبِي حَيَّانَ لَقِيَهُ بِبِلْبِيسَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ . قَالَ : وَأَنْشَدَنِي لِشَيْخِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْإِسْتِجِيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ :

(١) وفى بعض النسخ « زنون » وكذا فى بغية الوعاة للسيوطى ، وقال انه كان حيا فى سنة ٦٨٠ « أحمد يوسف نجاتى »

مَا لِلنَّسِيمِ سَرَى يَهُبُّ عَلِيلَا[١] ؟!

أَتُرَاهُ يَشْكُو لَوْعَةً وَغَلِيلَا؟

جَرَّ الذُّيُولَ عَلَى دِيَارِ أَحِبَّتِي

فَأَتَى يَجُرُّ مِنَ السَّقَامِ ذُيُولَا

وَأَنْشَدَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ لِرَضْوَانَ الْمَخْزُومِيِّ[٢] :

إِنْ كُنْتَ يُوسُفَ حُسْنًا وَكُنْتُ عَبْدَ الْعَزِيزِ

فَإِنَّ يُوسُفَ مِنْ قَبْلُ كَانَ عَبْدَ الْعَزِيزِ

وَأَخَذَ ابْنُ ذِي النُّونِ الْمَذْكُورُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ ، وَقَرَأَ لِلسَّبْعَةِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ الْفَحَّامِ[٣] وَأَبِي زَيْدٍ الْقُمَارِشِيِّ[٤] وَعَلَى أَبِي جَعْفَرٍ السُّهَيْلِيِّ . وَوُلِدَ ابْنُ ذِي النُّونِ

(١) فى نسخة « سرى الأصيل عليلا » (٢) هوأبو النعيم رضوان بن خالد المخزومى المالقى ، كان أديبا شاعرا مجيدا ، توفى سنة ٦٤٢ « أحمد يوسف نجاتى »
(٣) هو أحمد بن على بن محمد بن على الأنصارى المالقى المعروف بالفحام كان نحويا مقرئا فاضلا عابدا تقيا راوية للحديث ثقة عدلا ، توفى سنه ٦٤٥ « أحمد يوسف نجاتى » (٤) نسبة الى حصن قمارش أو « كمارش » كان على نحو ١٨ ميلا من مالقة ، وهو أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن ابن عبد الله الخزرجى المالقى ، وكان أهل علم وفضل ودين وتقوى ، ولد سنة ٥٧٢ وتوفى سنة ٦٣٧ ـ رحمه الله ـ . « أحمد يوسف نجاتى » .

سَنَةَ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ بِمَالَقَةَ . وَمِنْ تَوَالِيفِهِ : نَفْحُ الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ ، فِي مَدْحِ الْمَنْصُورِ بْنِ الْمُظَفَّرِ . وَأَزْهَارُ الْخَمِيلَةِ ، فِي الْآثَارِ الْجَمِيلَةِ . وَاسْتِطْلَاعُ الْبَشِيرِ . وَمَحْضُ الْيَقِينِ ، وَرَوْضُ الْمُتَّقِينَ .

***

زياد المعروف شبطون

« وَمِنْهُمْ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ زِيَادٍ* اللَّخْمِيُّ الْمَعْرُوفُ بِشَبْطُونَ » يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللّٰهِ . كَانَ فَقِيهَ الْأَنْدَلُسِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ مَذْهَبَهُ الْأَنْدَلُسَ ، وَكَانُوا

---

* ترجم له فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى « ج ١ ص ١٣١ » ترجمة نجتزىء منها بما يأتى :

زياد بن عبد الرحمن اللخمى المعروف بزياد شبطون جد بنى زياد . وقال أحمد :

هو زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير ، وزياد الثانى هو الداخل بالأندلس ، قاله أحمد بن محمد الرازى . قال أحمد : وجدت فى موضع آخر نسب زياد :

هو زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن حسين بن الخطاب بن الحارث بن دبة بن الحارث بن وائل بن راشدة بن أدب بن خويلد ابن لخم بن عدى ، وقد قيل انه من ولد حاطب بن أبى بلتعة ، من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الله . أراد الأمير هشام بن الحكم أن يوليه القضاء بقرطبة

قَبْلَهُ يَتَفَقَّهُونَ عَلَى مَذْهَبِ ٱلْأَوْزَاعِيِّ(١) ، وَأَرَادَهُ ٱلْأَمِيرُ هِشَامٌ عَلَى ٱلْقَضَاءِ بِقُرْطُبَةَ ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ ،فَهَرَبَ ، فَقَالَ هِشَامٌ : لَيْتَ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ كَزِيَادٍ! حَتَّى أُكْفَى أَهْلَ ٱلرَّغْبَةِ فِي ٱلدُّنْيَا وَأَرْسَلَ إِلَى زِيَادٍ فَأَمَّنَهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى دَارِهِ . وَيُحْكَى أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَهُ لِلْقَضَاءِ كَلَّمَهُ ٱلْوُزَرَاءُ فِي ذَلِكَ عَنِ ٱلْأَمِيرِ ، وَعَرَّفُوهُ عَزْمَهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا إِنْ أَكْرَهْتُمُونِي عَلَى ٱلْقَضَاءِ فَزَوْجَتِي فُلَانَةُ طَالِقٌ ثَلَاثًا لَئِنْ أَتَانِي مُدَّعٍ فِي شَيْءٍ مِمَّا فِي أَيْدِيكُمْ لَأُخْرِجَنَّهُ عَنْكُمْ(٢) ثُمَّ أَجْعَلُكُمْ مُدَّعِينَ فِيهِ(٣) ، فَلَمَّا سَمِعُوا مِنْهُ ذَلِكَ عَلِمُوا صِدْقَهُ ، فَعَمِلُوا(٤) عِنْدَ ٱلْأَمِيرِ فِي مُعَافَاتِهِ . سَمِعَ مِنْ مَالِكٍ ٱلْمُوَطَّأَ ـ وَيُعْرَفُ سَمَاعُهُ بِسَمَاعِ زِيَادٍ ـ وَسَمِعَ

فخرج هاربا بنفسه ، فقال هشام : ليت الناس كزياد ! حتى أكفى أهل الرغبة فى الدنيا ، وأمنه فرجع . وكان هشام يقول : صحبت الناس و بلوتهم فما رأيت رجلا يسر من الزهد أكثر مما يظهر إلا زياد بن عبد الرحمن ، و روى زياد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عقبة ، وعن الليث بن سعد وغيره . وتوفى زياد بن عبد الرحمن ـ رحمه الله ـ سنة أربع ومائتين ، قبل موت الحكم بعامين . ذكر ذلك أحمد .

(١) هو الامام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعى امام أهل الشام،ولم يكن بالشام أعلم منه،ولد سنة ٨٨ وتوفى سنة ١٥٧وسيأتى تفصيل القول فى مذاهب أهل الأندلس . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) فى الأصل «منه» (٣) فى الأصل «فيها» (٤) فى نسخة «فتكلموا»

مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ (١) ـ وَكَانَتْ ٱبْنَةُ مُعَاوِيَةَ تَحْتَهُ . وَرَوَى يَحْيَى بْنُ يَحْيَى ٱللَّيْثِيُّ عَنْ زِيَادٍ هَذَا ٱلْمُوَطَّأَ قَبْلَ أَنْ يَرْحَلَ إِلَى مَالِكٍ، ثُمَّ رَحَلَ فَأَدْرَكَ مَالِكاً فَرَوَاهُ عَنْهُ ـ إِلَّا أَبْوَاباً فِي كِتَابِ ٱلِاعْتِكَافِ شَكَّ فِي سَمَاعِهَا مِنْ مَالِكٍ ، فَأَبْقَى رِوَايَتَهُ فِيهَا عَنْ زِيَادٍ عَنْ مَالِكٍ ـ وَتُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَتَيْنِ ـ وَقِيلَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ، وَقِيلَ فِي ٱلَّتِي بَعْدَهَا ، وَقِيلَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ ـ وَٱلْأَوَّلُ أَوْلَى بِالْقَبُولِ . وَٱللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَرَحَلَ فِي ذَلِكَ ٱلْعَصْرِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَمْثَالِ (٢) شَبْطُونَ كَقَرْعُوسَ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ (٣) وَعِيسَى بْنِ دِينَارٍ (٤)

(١) هو أبو عبد الرحمن أو أبو عمرو معاوية بن صالح بن عثمان « أو ابن حدير » بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمي الحمصي ،شامي الأصل خرج من حمص سنة ١٢٣ وقدم مصر ، ثم خرج الى الأندلس، فلما دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأندلس وملكها اتصل به وحظى عنده ، فأرسله الى الشام فى مهماته، فلما عاد من الشام ولاه قضاء الجماعة بالأندلس كلها ، وكان راوية محدثا ثقة، وسمع منه الامام الليث بن سعد وغيره، وتوفى سنة ١٥٨ . « أحمد يوسف نجاتى » . (٢) فى نسخة « نظراء »
(٣) هو أبو الفضل قرعوس بن العباس بن قرعوس بن عبيد بن منصور ابن محمد بن يوسف الثقفى من أهل قرطبة، رحل فسمع من الامام مالك وسفيان بن سعيد الثورى والليث بن سعد وغيرهم ، وكان فقيها فاضلا ذا دين وورع ، توفى سنة ٢٢٠ فى أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم والقرعوس « كفردوس ، زنبور » وهو فى الأصل الجمل ذو السنامين و ولد الأسد ،والشين لغة فيه أيضا. وفى الأصل وغيره «فرغوس » وهو تصحيف خاطىء « أحمد يوسف نجاتى » (٤) تقدمت ترجمته

وَسَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ(١) وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ رَحَلَ إِلَى الْحَجِّ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالِدِ الْحَكَمِ ، فَلَمَّا رَجَعُوا وَصَفُوا مِنْ فَضْلِ مَالِكٍ وَسَعَةِ عِلْمِهِ وَجَلَالَةِ قَدْرِهِ مَا عَظُمَ بِهِ صِيتُهُ بِالْأَنْدَلُسِ ، فَانْتَشَرَ يَوْمَئِذٍ رَأْيُهُ وَعِلْمُهُ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَ رَائِدَ الْجَمَاعَةِ فِي ذَلِكَ شَبْطُونُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ مُوَطَّأَ مَالِكٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ مُكَمَّلًا مُتْقَنًا ، فَأَخَذَهُ عَنْهُ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى كَمَا مَرَّ - وَهُوَ إِذْ ذَاكَ صَدْرٌ فِي طُلَّابِ الْفِقْهِ - فَأَشَارَ عَلَيْهِ زِيَادٌ بِالرَّحِيلِ إِلَى مَالِكٍ مَادَامَ حَيًّا ، فَرَحَلَ سَرِيعًا ، وَأَخَذَ يَحْيَى عَنْ زِيَادٍ هَذَا الْكُتُبَ الْعَشَرَةَ الْمَنْسُوبَةَ إِلَى يَحْيَى وَلَقِيَ أَيْضًا عَبْدَ اللهِ بْنَ وَهْبٍ(٢) صَاحِبَ مَالِكٍ ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْمُوَطَّأَ ، وَلَقِيَ أَيْضًا عَبْدَ اللهِ بْنَ نَافِعٍ الْمَدَنِيَّ(٣) صَاحِبَ

(١) هو أبو عثمان سعيد بن أبي هند أصله من طليطلة ، وسكن قرطبة، فرحل فلقي الامام مالكا وسمع منه، وكان مالك يسميه الحكيم، وكان شريفا عاقلا وفقيها محدثا فاضلا ، توفي في صدر أيام الأمير عبد الرحمن ابن معاوية (٢) تقدمت ترجمته (٣) هو الامام عبد الله بن نافع الفقيه المدني كان من أعلم الناس بمذهب مالك، وتوفي سنة ٢٠٦ « أحمد يوسف نجاتي »

مَالِكٍ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَمِنَ ٱللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ فَقِيهِ مِصْرَ، وَمِنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ بِمَكَّةَ، وَقَدِمَ يَحْيَى ٱلْأَنْدَلُسَ أَيَّامَ ٱلْحَكَمِ فَٱنْتَشَرَ بِهِ وَبِزِيَادٍ وَبِعِيسَى بْنِ دِينَارٍ عِلْمُ مَالِكٍ بِالْأَنْدَلُسِ - رَضِيَ ٱللهُ تَعَالَى عَنِ ٱلْجَمِيعِ - وَقَدْ قَدَّمْنَا ٱلْحَدِيثَ ٱلَّذِي رَوَاهُ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ عَنْ مَالِكٍ، فَلْيُرَاجَعْ فِي ٱلْبَابِ ٱلثَّالِثِ .

***

سوار بن طارق مولى عبد الرحمن ابن معاوية

وَمِنْهُمْ سِوَارُ بْنُ طَارِقٍ مَوْلَى عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ » قُرْطُبِيٌّ، حَجَّ وَدَخَلَ ٱلْبَصْرَةَ، وَلَقِيَ ٱلْأَصْمَعِيَّ وَنُظَرَاءَهُ وَٱنْصَرَفَ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ، وَأَدَّبَ ٱلْحَكَمَ . وَمِنْ وَلَدِهِ مُحَمَّدُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ سِوَارٍ (١) حَجَّ أَيْضًا وَلَقِيَ أَبَا حَاتِمٍ (٢)

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سوار القرطبي، أخذ عن أبيه، ورحل الى المشرق، وشهد بالبصرة دخول صاحب الزنج بها سنة ٢٥٧ وتوفى سنة ٣٠٢ - وأبوه عبد الله بن سوار كان من أهل العلم باللغة والأدب توفى سنة ٢٧٥، و « سوار » يروى بصيغة المبالغة، ويروى سوار « كغراب، وكتاب » وهناك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن معاوية بن سوار ابن طريف بن طارق بن منيد الداخل مع بنى أمية، من أهل قرطبة ولد سنة ٣١٣ وكان من أهل العلم والرواية والفضل «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) هو أبو حاتم السجستانى سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم من ساكنى البصرة

بِالبَصْرَةِ وَالرِّيَاشِيِّ (١) وَغَيْرِهِمَا، وَأَدْخَلَ الْأَنْدَلُسَ عِلْمًا كَثِيرًا ـ رَحِمَ اللهُ تَعَالَى الْجَمِيعَ .

***

« وَمِنْهُمْ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ * الشَّهِيرُ الذِّكْرِ، صَاحِبُ الَتَّآلِيفِ الَّتِي لَمْ يُؤَلَّفْ مِثْلُهَا فِي الْإِسْلَامِ ، وَلَقِيَ مِائَتَيْنِ بقى بن محمد

كان اماما فى علوم القرآن واللغة والشعر ، ومن أعلم الناس بالعروض واستخراج المعمى ، وكان جماعا للكتب يتجر فيها ، وله جملة مصنفات فى اللغة ، توفى سنة ٢٥٥ (١) هو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي اللغوى النحوى ، كان عالما باللغة والشعر ، كثير الرواية عن الأصمعى. ورياش رجل من جذام كان أبوه مولى له فنسب اليه . وكان صالحا ثقة قتله الزنج بالبصرة ـ وكان فى صلاة الضحى فى مسجده ـ سنة ٢٥٧ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى »

* ترجم له فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى « ص ٨١ ج ١ » بترجمة مسهبة » نقتطف منها ما يأتى :

« بقى بن مخلد من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الرحمن ، سمع من محمد بن عيسى الأعشى (١) ، ومن يحيى بن يحيى ، ورحل الى المشرق ، فلقى جماعة من أئمة المحدثين ، وكبار المسندين ، منهم : ابراهيم بن محمد الشافعى (٢) صاحب ابن عيينة ،

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نجيح المعافرى القرطبي ، رحل فى العام الذى توفى فيه الامام مالك بن أنس وذلك سنة ١٧٩ فسمع من سفيان بن عيينة وغيره ، وكان فقيها راوية جليلا سريا جوادا عاقلا ، وتوفى سنة ٢٢٢ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو ابراهيم بن محمد

وأبو المصعب الزهرى (١) ، وابراهيم بن المنذر الحزامى وكثير غيرهم

أخبرنى أبو محمد عبد الله بن علی الباجى (٢) ، عن عبد الله بن يونس (٣) رواية بقى بن مخلد : أن عدة الرجال الذين لقيهم بقى وسمع منهم مائتا رجل وأربعة وثمانون رجلا . وأنكر عليه أصحابه الأندلسيون عبد الله بن خالد ومحمد بن الحارث وأبو زيد ما أدخله من كتب الاختلاف وغرائب الحديث ، وأغروا به السلطان وأخافوه به ، ثم ان الله عنه وفضله أظهره عليهم وعصمه منهم ، فنشر حديثه وقرأ للناس روايته ، فمن يومئذ انتشر الحديث بالأندلس . ثم تلاه ابن وضاح (٤) فصارت الأندلس دار حديث واسناد ، وانما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأى مالك وأصحابه ، وكان مما انفرد به بقى بن مخلد — ولم يدخله سواه — مصنف أبى بكر بن أبى شيبة (٥) — رحمه الله — بتمامه وكتاب الفقه لمحمد بن

ابن العباس بن عثمان بن شافع المطلبى المكى ابن عم الامام الشافعى، روى عن أبيه وجده لأمه محمد بن على بن شافع وابن عيينة وغيره، وتوفى سنة ٢٣٧ « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو أبو مصعب أحمد بن أبى بكر القاسم بن الحرث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدنى قاضى المدينة وفقيهها ، روى عن مالك وغيره، كان اماما جليلا ومحدثا فصيحا بليغا، توفى سنة ٢٤٢ عن أكثر من تسعين سنة « أحمد يوسف نجاتى ». (٢) هو عبد الله بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن على الباجى اللخمى الاشبيلى ، روى عن جده محمد بن أحمد الباجى وغيره ، وكان فقيها فاضلا ، توفى سنة ٤٧٨ « أحمد يوسف نجاتى » (٣) هو أبو محمد عبد الله بن يونس بن محمد بن عبيد الله بن عباد بن زياد بن يزيد ابن أبى يحيى المرادى يعرف بالقبرى، أصله من مدينة قبرة وسكن قرطبة ، سمع من بقى بن مخلد كثيرا وصحبه ، وكان هو والحسن بن سعد آخر من حدث عنه، وتوفى سنة ٣٣٠ عن ٧١ سنة « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع القرطبى، توفى سنة ٢٨٧ وتقدمت ترجمته « أحمد يوسف نجاتى » (٥) هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم

إذريس الشافعى الكبير بكماله ، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط (١) وكتابه فى الطبقات ، وكتاب سيرة عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ للدورق (٢) . ولبقى بن مخلد تفسير القرآن ، ومسند النبى صلى الله عليه وسلم ـ ليس لأحد مثله . وكان بقى ورعا فاضلا زاهدا ، وقيل انه كان مجاب الدعوة ، وقد ظهرت له اجابات فى غير ماشىء . وسمع من بقى جماعة ؛ منهم : أسلم بن عبد العزيز (٣) ، ومحمد بن عمر بن لبابة ، ومحمد بن وزير ، وكان آخر أصحابه المحدثين عنه عبد الله بن يونس والحسن بن سعد ، وكان المشاهير من أصحاب ابن وضاح لايسمعون من بقى للذى كان بين بقى وابن وضاح من الوحشة . وأخبرنى عبد الله بن محمد قال : أخبرنا عبد الله بن يوسف أن بقى بن مخلد ولد فى شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، ومات رحمه الله ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ومائتين (٤) قال أحمد : ودفن بقى بمقبرة ابن عباس ، وصلى عليه محمد بن يزيد ختنه ، وحضر محمد بن عبد السلام

ابن عثمان العبسى مولاهم الكوفى الحافظ أحد الأعلام وصاحب المصنف وصنف التفسير وغيره ، توفى سنة ٢٣٥ «أحمد يوسف نجاتى» (١) خليفة ابن خياط بن خليفة بن خياط العصفرى أبو عمرو البصرى صاحب التاريخ والطبقات وغير ذلك ، وحدث عنه البخارى وغيره ، وتوفى سنة ٢٤٠ وكان ثبتا يقظا « أحمد يوسف نجاتى » (٢) أحمد بن ابراهيم (٣) أسلم ابن عبد العزيز بن هاشم بن خالد بن عبد الله بن حسن بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمرو مولى سيدنا عثمان بن عفان ، من أهل قرطبة ، ولى قضاء الجماعة بقرطبة ، وتوفى سنة ٣١٩ « أحمد يوسف نجاتى » .

(٤) قلت ولبقى بن مخلد عقب خلفوا بعده بالأندلس علما جما ، منهم ابنه أبو عبد الله أحمد بن بقى بن مخلد بن يزيد ، كان قاضى قرطبة ، وسمع من أبيه ، وكان فاضلا زاهدا توفى سنة ٣٢٤ ـ ومنهم أبو عبد الله مخلد بن

الخشنى فى جنازته وقال : جنازة لايحسر فى مثلها أبدا ، وأنـكر عليه جدا، وخرج ابن‌وضاح بابا فى إنـكار الحسر على الجنائز .

عبدالرحمن بن أحمد بن بقى بن‌مخلد، روى عن أبيه وغيره، وكان فقيها محدثا ثبتا صدوقا،ولد سنة ٣٣٢ وتوفى سنة ٤٠٨ ودفن بمقبرة بنى‌العباس وصلى عليه ابنه القاضى عبد الرحمن بن مخلد ، وهو أبو الحسن عبـد الرحمن بن مخلد بن‌عبد الرحمن ، روى عن أبيه وجده وغيرهما ، وتولى القضاء بمدينةطليطلة مرتين: الأولى بتقديم المنصور بن أبى عامر، والثانية بتقـديم الظافر اسمعيل بن ذى النون ، ثم صرف عن القضاء، فعاد الى بلده قرطبة ،فقلده أبو الوليد محمـد بن جهور بعد مدة أحـكام الشرطة والسوق‌بقرطبة ، فلم‌يزل متقلدا لها جميل السيرة فيها حتى توفى سنة ٤٣٧ وكان مولده سنة ٣٥٨ رحمه الله . ومنهم أخوه أبو عبد الله أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن ، حدث عن‌أبيه ، وسمع منه ابنه القاضى محمد بن أحمد ، وكان فى غاية من الانقباض عن الناس والتصاون . ومنهم أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقى‌بن مخلد، روى عن أبيه‌وغـيره ، وتولى القضاء بقرطبة مدة طويلة ، وكان كسائر سلفه وأهل بيته ذا علم ودين وفضل ، وكان مولده سنة ٤٣٢ وتوفى سنة ٥١٥ ودفن بمقبرة ابن عباس ، وصلى عليه أخوه أبوالقاسم أحمد بن محمد ... الذى كان مشاورا فى الأحكام بقرطبة‌وكان صدرا فى المفتين بها لسنه وتقدمه مع حلم وفضل وأدب وصيانة ، ولد أبو القاسم سنة ٤٤٦ وتوفى سنة ٥٣٢ ودفن بمقبرة ابن عباس مع‌سلفه، وصلى عليه ابنه أبو الحسن عبد الرحمن بن أحمد بن مخلد . . . وكان يروى‌عن أبيه‌وعمه أبى الحسن عبد الرحمن وأبى بكر بن العربى‌وغيرهم. وكان فقيها مشاورا عريقا فى العلم والنباهة، وولى القضاء بقرطبة، وسمع منه ابنه أبو الوليد يزيد بن عبد الرحمن، وابن ابنه أبو القاسم أحمد بن

وَأَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ شَيْخًا ، وَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةٌ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - ، وَسَتَأْتِي جُمْلَةٌ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِبَقِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ فِي رِسَالَةِ ابْنِ حَزْمٍ فِي الْبَابِ السَّابِعِ . وَبَقِيٌّ عَلَى وَزْنِ عَلِيٍّ ، - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ - وَقَدْ عَرَّفَ بِبَقِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَصَاحِبِ النِّبْرَاسِ وَغَيْرِهِ .

يزيدوغيرهما، وكان مولده سنة ٤٩٥ وتوفى سنة ٥٧٣ بقرطبة. وأبو الوليد يزيد بن عبد الرحمن ،روى عن جده أبي القاسم أحمد وعن أبيه وعن ابن العربي وغيرهم، وولى قضاء مدينة بسكرة من بلادالزاب، وتوفى حوالى سنة ٥٨٠ - ومنهم أبو الحسن مخلد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقى بن مخلد كان فقيهاصالحا متصوفا، توفى سنة ٦٢٢ - ومنهم كثير غير هؤلاء،وسنفرد لهم بابا خاصا فى كلامنا على العلوم والمعارف فى الأندلس والبيوتات التى لها أثر فيها فى كتابنا الجامع فى الأدب ان شاء الله تعالى .

«أحمد يوسف نجاتى»

***

قاسم بن أصبغ البيانى

« وَمِنْهُمْ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَيَّانِيُّ(١) » وَبَيَّانَةُ (٢) مِنْ أَعْمَالِ قُرْطُبَةَ ـ وَأَصْلُ سَلَفِهِ مِنْ مَوَالِي الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَسَمِعَ الْمَذْكُورُ بِقُرْطُبَةَ مِنْ بَقِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ ، وَمُطَرِّفِ بْنِ قَيْسٍ(٣) وَأَصْبَغَ بْنِ خَلِيلٍ(٤) وَابْنِ مَسَرَّةَ(٥) وَغَيْرِ وَاحِدٍ . وَرَحَلَ

---

(١) قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان، وتوفى قاسم بن أصبغ سنة ٣٤٠ رحمه الله (٢) Baena وكانت قصبة كورة قبرة كبيرة حصينة على ربوة يكتنفها أشجار وأنهار ، و بينها و بين قرطبة ثلاثون ميلا ، وكانت بيانة تعد من أقليم الكنبانية « وتقدم التعريف بها » الذى كان فيه من المدن: قرطبة والزهراء واستجة و بيانة وقبرة واليسانة ، و بيانة الى الجنوب وسكانها الآن نحو ١٥ ألفا « أحمد يوسف نجاتى » (٣) هو أبو سعيد مطرف بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن محمد بن قيس مولى عبد الرحمن ابن معاوية من أهل قرطبة ، روى بالأندلس عن يحيى بن يحيى وعبد الملك ابن حبيب وغيرهما ، ورحل الى المشرق فسمع من كثير من علمائه بمكة والمدينة ومصر وافريقية ، وكان شيخا نبيلا بصيرا باللغة والأدب شاعرا محدثا ثقة صالحا ، وتوفى سنة ٢٨٢ « أحمد يوسف نجاتى » (٤) هو أبو القاسم أصبغ بن خليل القرطبي ، كان حافظا فقيها على مذهب مالك، دارت عليه الفتيا بالأندلس خمسين عاما ، وتوفى سنة ٢٧٣ وتقدم التعريف به بأوسع من هذا (٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح

إِلَى ٱلْمَشْرِقِ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ أَيْمَنَ(١) وَمُحَمَّدِ ٱبْنِ زَكَرِيَّا بْنِ عَبْدِ ٱلْأَعْلَى(٢) سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَسَمِعَ بِمَكَّةَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ٱلصَّائِغِ(٣) وَعَلِيِّ ٱبْنِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ(٤)، وَدَخَلَ ٱلْعِرَاقَ فَلَقِيَ مِنْ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي ٱلْعَنْبَسِ قَاضِيهَا، وَإِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْقَصَّارَ(٥). وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ مِنَ ٱلْقَاضِي إِسْمٰعِيلَ(٦) وَأَحْمَدَ

القرطبي رحل الى المشرق وأخذ عن فحول رجاله، وكان مولده سنة ٢٦٩ وتوفى سنة ٣١٩، وأخوه أبو اسحق ابراهيم توفى قبله بمدينة الاسكندرية « أحمد يوسف نجاتى » (١) تأتى ترجمته (٢) هو أبو عبد الله محمد بن زكريا بن محمد بن جعفر بن أبي عبد الأعلى اللخمى القرطبي، كان إماما ثقة زاهدا نقيا، توفى سنة ٣٢٢ غازيا مع أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد غزاة وخشمة « وتقدم التعريف بها » « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) هو أبو جعفر محمد بن اسماعيل بن سالم الصائغ البغدادى نزيل مكة ومحدثها، روى عن أبيه وغيره، وتوفى سنة ٢٧٦ « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) هو أبو الحسن على بن عبد العزيز البغوى المحدث بمكة، وهو عم البغوى عبدالله بن محمد، وكان فقيها مجاورا بالحرم وشيخه ثقة ثبتا، توفى بمكة سنة ٢٨٦ وقد جاوز تسعين عاما « أحمد يوسف نجاتى »

(٥) هو أبو اسحق ابراهيم . بن عبد الله بن عمر العبسى القصار الكوفى توفى سنة ٢٧٩ « أحمد يوسف نجاتى » (٦) هو الامام العلامة أبو اسحق اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد الأزدى مولاهم البصرى الفقيه المالكى القاضى ببغداد، كان فقيها جليلا ومحدثا ثقة. وله مصنفات مفيدة فى القراءات والحديث والفقه وأحكام القرآن والأصول، وكان

ٱبْنِ زُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ[١] وَغَيْرِهِمَا ؛ كَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْإِمَامِ أَحْمَدَ ٱبْنِ حَنْبَلٍ[٢] وَٱلْحرثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ[٣] وَ كَتَبَ عَنِ ٱبْنِ أَبِي خَيْثَمَةَ تَارِيخَهُ[٤] وَسَمِعَ مِنِ ٱبْنِ قُتَيْبَةَ كَثِيرًا مِنْ كُتُبِهِ ، وَسَمِعَ مِنَ ٱلْمُبَرِّدِ وَثَعْلَبٍ وَٱبْنِ ٱلْجَهْمِ[٥] و آخَرِينَ وَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْعُمَرِيِّ وَمُطَّلِبِ ٱبْنِ شُعَيْبٍ وَغَيْرِهِمَا . وَسَمِعَ بِالْقَيْرَوَانِ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ ٱلْمُعَلِّمِ وَبَكْرِ بْنِ حَمَّادٍ ٱلتَّاهَرْتِيِّ[٦] ٱلشَّاعِرِ ، وَٱنْصَرَفَ

اماما فى العربية حتى قال المبرد هو أعلم بالتصريف منى ، توفى سنة ٢٨٢ « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو الامام أحمد بن أبى خيثمة زهير بن حرب الحافظ بن الحافظ أبو بكر النسائى ثم البغدادى مصنف التاريخ الكبير ، وهو محدث ثقة، مأمون توفى سنة ٢٧٩ . وأبوه زهير بن حرب الامام أبو خيثمة الحافظ ، توفى ببغداد سنة ٢٣٤ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، كان إماما عالما بالحديث وعلله مقدما فيه ومن أروى الناس عن أبيه، وهو الذى رتب مسند والده ، وكان ثبتا فهما ثقة، ولد سنة ٢١٣ وتوفى سنة ٢٩٠ (٣) هو الحافظ أبو محمد الحرث بن محمد بن أبى أسامة التميمى البغدادى، توفى سنة ٢٨٢ عن ست وتسعين سنة « أحمد يوسف نجاتى » (٤) هو أحمد ابن زهير بن حرب المتقدم . وابنه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن زهير بن حرب توفى سنة ٢٩٧ (٥) هو محمد بن الجهم السرى (٦) أبو عبد الرحمن بكر بن حماد كان من حفاظ الحديث وثقات المحدثين المأمونين، سكن مدينة تاهرت و بها توفى ، وكان شاعرا أديبا « أحمد يوسف نجاتى »

إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ بِعِلْمٍ كَثِيرٍ ، فَمَالَ ٱلنَّاسُ إِلَيْهِ فِي تَارِيخِ أَحْمَدَ ٱبْنِ زُهَيْرٍ وَكُتُبِ ٱبْنِ قُتَيْبَةَ ، وَأَخَذُوا ذَلِكَ عَنْهُ دُونَ صَاحِبَيْهِ ٱبْنِ أَيْمَنَ وَٱبْنِ عَبْدِ ٱلْأَعْلَى ، وَكَانَ بَصِيرًا بِالْحَدِيثِ وَٱلرِّجَالِ ، نَبِيلًا فِي ٱلنَّحْوِ وَٱلْعَرَبِيَّةِ وَٱلْغَرِيبِ وَٱلشِّعْرِ ، وَكَانَ يُشَاوَرُ فِي ٱلْأَحْكَامِ ، وَصَنَّفَ عَلَى كِتَابِ ٱلسُّنَنِ لِأَبِي دَاوُدَ كِتَابًا فِي ٱلْحَدِيثِ ، وَسَبَبُهُ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ ٱلْعِرَاقَ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ مَعَ صَاحِبِهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيْمَنَ وَجَدَا أَبَا دَاوُدَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ وُصُولِهِمَا بِيَسِيرٍ ، فَلَمَّا فَاتَهُمَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُصَنَّفًا فِي ٱلسُّنَنِ عَلَى أَبْوَابِ كِتَابِ أَبِي دَاوُدَ ، وَخَرَّجَا ٱلْحَدِيثَ مِنْ رِوَايَتِهِمَا عَنْ شُيُوخِهِمَا وَهُمَا مُصَنَّفَانِ جَلِيلَانِ ، ثُمَّ ٱخْتَصَرَ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ كِتَابَهُ وَسَمَّاهُ «ٱلْمُجْتَنَى» بِالنُّونِ ـ وَٱبْتَدَأَ ٱخْتِصَارَهُ فِي ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ ، وَجَعَلَهُ بِاسْمِ ٱلْحَكَمِ ٱلْمُسْتَنْصِرِ. وَفِيهِ مِنَ ٱلْحَدِيثِ ٱلْمُسْنَدِ أَلْفَانِ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَتِسْعُونَ حَدِيثًا فِي سَبْعَةِ أَجْزَاءٍ . وَمَوْلِدُهُ يَوْمَ ٱلِاثْنَيْنِ عَاشِرَ ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ وَحَكَى

الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى» قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا » أَنَّ قَاسِمَ بْنَ أَصْبَغَ قَالَ : لَمَّا رَحَلْتُ إِلَى الْمَشْرِقِ نَزَلْتُ الْقَيْرَوَانَ ، فَأَخَذْتُ عَنْ بَكْرِ بْنِ حَمَّادٍ حَدِيثَ مُسَدَّدٍ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فِيهِ حَدِيثَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنْ مُضَرَ مُجْتَابِي النِّمَارِ فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ مُجْتَابِي الثِّمَارِ ، فَقُلْتُ : إِنَّمَا هُوَ مُجْتَابِي النِّمَارِ - هَكَذَا قَرَأْتُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيتُهُ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعِرَاقِ - فَقَالَ لِي : بِدُخُولِكَ الْعِرَاقَ تُعَارِضُنَا وَتَفْخَرُ عَلَيْنَا ؟ أَوْ نَحْوَ هَذَا - ثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ بِنَا إِلَى ذَلِكَ الشَّيْخِ(١) - لِشَيْخٍ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ - فَإِنَّ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا عِلْمًا ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ وَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ مُجْتَابِي(٢) النِّمَارِ - كَمَا قُلْتَ - وَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يَلْبَسُونَ الثِّيَابَ مُشَقَّقَةً جُيُوبُهُمْ أَمَامَهُمْ ، وَالنِّمَارُ جَمْعُ نَمِرَةٍ(٣) ، فَقَالَ بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ - وَأَخَذَ بِأَنْفِهِ - رَغِمَ أَنْفِي لِلْحَقِّ ، وَانْصَرَفَ . انْتَهَى . وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ دَالَّةٌ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِ الرَّجُلَيْنِ . رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُمَا وَنَفَعَنَا بِهِمَا .

(١) كلمة الشيخ ساقطة من الأصل (٢) اجتاب الشيء وجابه اذا قطعه وخرقه
(٣) النمرة شملة أو بردة ذات خطوط بيض وسود من صوف تلبسها الأعراب كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض «أحمد يوسف نجاتي»

***

قاسم بن ثابت السرقسطى

« وَمِنْهُمْ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْعَوْفِيُّ السَّرَقُسْطِيُّ[١] » رَحَلَ مَعَ أَبِيهِ ؛ فَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ شُعَيْبٍ[٢] النَّسَائِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو الْبَزَّارِ[٣] وَبِمَكَّةَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْجَارُودِ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَوْهَرِيِّ[٤] ، وَاعْتَنَى بِجَمْعِ الْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ هُوَ وَأَبُوهُ ، فَأَدْخَلَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ عِلْمًا كَثِيرًا ، وَيُقَالُ إِنَّهُمَا أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ كِتَابَ الْعَيْنِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ . وَأَلَّفَ قَاسِمٌ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ كِتَابًا سَمَّاهُ الدَّلَائِلَ بَلَغَ فِيهِ الْغَايَةَ فِي الْإِتْقَانِ ، وَمَاتَ قَبْلَ إِكْمَالِهِ

(١) هو أبو محمد قاسم بن ثابت بن حزم بن عبد الرحمن بن مطرف بن سليمان بن يحيى (٢) هو الامام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائى — نسبة الى نسا مدينة بخراسان — أحد أعلام السنة وصاحب المصنفات المشهورة ، كان رئيسا نبيلا حسن البزة كبير القدر عالما تقيا وكان أفقه علماء مصر فى عصره ، وأعلمهم بالحديث ، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار ، وأخبرهم بالرجال ، ولد سنة ٢٢٥ ، وتوفى بمكة سنة ٣٠٣ (٣) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصرى صاحب المسند الكبير ، حدث فى آخر عمره بأصبهان والعراق والشام ، وتوفى بالرملة سنة ٢٩٢ « أحمد يوسف نجاتى » (٤) محمد بن على بن زيد الصائغ محدث مكة توفى سنة ٢٩١ . « أحمد يوسف نجاتى »

فَأَكْمَلَهُ أَبُوهُ(١) ثَابِتٌ بَعْدَهُ ، وَقَدْ رُوِىَ عَنْ أَبِى عَلِيٍّ الْبغْدَادِيِّ أَنَّهُ كَانَ يقُولُ : كَتَبْتُ كِتَابَ الدَّلَائِلِ وَمَا أَعْلَمُ أَنَّهُ وُضِعَ بِالْأَنْدَلُسِ مِثْلُهُ(٢) . وَكَانَ قَاسِمٌ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ وَاللُّغَةِ ، مُتَقَدِّمًا فِى مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَالنَّحْوِ وَالشِّعْرِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ وَرِعًا نَاسِكًا ، وَأُرِيدَ عَلَى الْقَضَاءِ بِسَرَقُسْطَةَ فَأَبَى ذَلِكَ ، فَأَرَادَ أَبُوهُ إِكْرَاهَهُ عَلَيْهِ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَتْرُكَهُ يَنْظُرُ فِى أَمْرِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيَسْتَخِيرُ اللّٰهُ تَعَالَى ، فَمَاتَ فِى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ ، فَيَرْوُونَ(٣) أَنَّهُ دَعَا لِنَفْسِهِ بِالْمَوْتِ ـ وَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ ـ تُوُفِّىَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَثِمِائَةٍ بِسَرَقُسْطَةَ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ـ .

---

(١) فى الأصل « ابن ثابت » وهو تصحيف فاسد « . «أحمد يوسف نجاتى»
(٢) يقول الأندلسيون ان أبا على القالى تعصب فى قوله «بالأندلس» ولو قال انه ماوضع بالمشرق مثله ماأبعد . ولد قاسم بن ثابت سنة ٢٥٥ ، وابنه ثابت بن القاسم سمع من أبيه ومن جده وكان مليح الخط ،وحدث بكتاب أبيه المسمى بالدلائل، وتوفى سنة ٣٥٢ ـ وأبوه أبو القاسم ثابت بن حزم ابن عبد الرحمن، سمع بالأندلس من محمد بن وضاح والخشنى وعبد الله ابن مسرة وغيرهم، ورحل الى المشرق مع ابنه قاسم ، وكان عالما متفننا بصيرا بالحديث والفقه واللغة والأدب ، ولد سنة ٢١٧ ، وتوفى سنة ٣١٣ بمدينة سرقسطة رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى » .(٣) فى الأصل « فيرون »

***

«وَمِنْهُمْ عَلَمُ ٱلدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلْمُرْسِيُّ ٱللُّورَقِيُّ، وَهُوَ قَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُوَفَّقِ بْنِ جَعْفَرٍ» ٱلْعَلَّامَةُ ٱلْمُقْرِئُ ٱلْأُصُولِيُّ ٱلنَّحْوِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَرَأَ بِالرِّوَايَاتِ قَبْلَ ٱلسِّتِّمِائَةِ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ ٱلْحَصَّارِ(١) وَأَبِي عَبْدِ ٱللهِ ٱلْمُرَادِيِّ(٢) وَأَبِي عَبْدِ ٱللهِ بْنِ نُوحٍ ٱلْغَافِقِيِّ(٣) وَقَدِمَ مِصْرَ فَقَرَأَ بِهَا عَلَى أَبِي ٱلْجُودِ غِيَاثِ بْنِ فَارِسٍ(٤)، أبو محمد المرسى اللورق

---

(١) هو أحمد بن على بن يحيى بن عون الله الأنصارى الأندلسى الدانى المقرئ المالكى نزيل بلنسية، توفى سنة ٦٠٩ «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) هو محمد بن سعيد بن محمد المرادى المرسى من أهل مدينة مرسية كان مقرئا فاضلا خيرا محدثا مفيدا، ولد سنة ٥٤٢، وتوفى سنة ٦٠٦ «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) هو محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن وهب بن نوح الغافقى من أهل بلنسية، ودار سلفه النبيه سرقسطة، لم يكن فى وقته بشرق الأندلس مثله تفننا فى العلوم واستبحارا فى المعارف. كان رأسا فى الراسخين من العلماء، وصدرا فى المشاورين من الفقهاء، ضليعا فى اللغة والأدب والتفسير والحديث والأخبار، مع كرم الخلق وعظم القدر سمحا جوادا، ولى قضاء بعض الكور النبيهة، وخطب بجامع بلنسية وقتا، ولد سنة ٥٣٠، وتوفى سنة ٦٠٨ عن ثمان وسبعين سنة، ودفن بمقبرة باب الحنش. ورثاه كثير من شعراء عصره «أحمد يوسف نجاتى»

(٤) هو أبو الجود غياث بن فارس اللخمى مقرئ الديار المصرية، ولد

وَبِدِمَشْقَ عَلَى ٱلتَّاجِ زَيْدٍ ٱلْكِنْدِيِّ (١) ، وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ مِنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْأَخْضَرِ (٢)، وَأَخَذَ ٱلْعَرَبِيَّةَ عَنْ أَبِي ٱلْبَقَاءِ (٣) وَلَقِيَ ٱلْجَزُولِيَّ (٤) بِالْمَغْرِبِ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَسْئَلَةٍ مُشْكِلَةٍ فِي مُقَدِّمَتِهِ فَأَجَابَهُ، وَبَرَعَ فِي ٱلْعَرَبِيَّةِ وَفِي عِلْمِ ٱلْكَلَامِ وَٱلْفَلْسَفَةِ، وَكَانَ يُقْرِئُ ذَلِكَ وَيُحَقِّقُهُ. وَأَقْرَأَ بِدِمَشْقَ وَدَرَّسَ، وَشَرَحَ ٱلْمُفَصَّلَ فِي ٱلنَّحْوِ فِي أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ فَأَجَادَ وَأَفَادَ، وَشَرَحَ ٱلْجَزُولِيَّةَ وَٱلشَّاطِبِيَّةَ. وَكَانَ مَلِيحَ ٱلشَّكْلِ حَسَنَ ٱلْبِزَّةِ (٥) مُوَطَّأَ ٱلْأَكْنَافِ (٦). قَرَأَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ. وَتُوُفِّيَ

سنة ٥٠٨، وتوفى سنة ٦٠٥ « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو العلامة تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن البغدادى المقرئ النحوى اللغوى شيخ الحنفية والقراء والنحاة بالشام، ولد سنة ٥٢٠ وتوفى سنة ٦١٣ (٢) هو الحافظ المتقن عبد العزيز بن محمود بن المبارك الجنابذى « جنابذ قرية بنيسابور » البغدادى الحنبلى المحدث الفقيه الصالح العالم الجليل حافظ العراق ومسنده فى عصره. ولد سنة ٥٢٤ وتوفى سنة ٦١١ (٣) أبو البقاء العكبرى العلامة محب الدين عبدالله بن الحسين المشهور، توفى سنة ٦١٦ (٤) هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت البربرى المراكشى الجزولى « نسبة الى جزولة بطن من برابرة المغرب » العلامة النحوى، أخذ العربية عن ابن برى بمصر وغيره، انتهت الرياسة اليه فى علم النحو، وولى خطابة مراكش مدة، وصنف فى النحو المقدمة المشهورة بالقانون، توفى سنة ٦٠٧ « أحمد يوسف نجاتى »

(٥) البزة: الهيئة والشكل (٦) موطأ: ممهد، والأكناف: الجوانب جمع

سَابِعَ رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَكَانَ مُعَمَّرًا مُشْتَغِلًا بِأَنْوَاعِ الْعُلُومِ ،وَسَمَّاهُ بَعْضُهُمْ أَبَا الْقَاسِمِ ـ وَالأَوَّلُ أَصَحُّ

***

قاسم بن محمد ابن سيار

«وَمِنْهُمْ قَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَيَّارٍ أَبُو مُحَمَّدٍ» مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةَ ، وَجَدُّهُ مَوْلَى الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . رَحَلَ فَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ (١) وَالْمُزَنِيِّ (٢) وَالْبَرْقِيِّ (٣) وَالْحَرِثِ بْنِ مِسْكِينٍ (٤) وَيُونُسَ

كنف ، والجملة كناية عن كونه لين الجانب سهل العريكة دمث الأخلاق

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى الفقيه الشافعى ، سمع من ابن وهب وأشهب من أصحاب الامام مالك فلما قدم الامام الشافعى مصر صحبه وتفقه به، وحمل فى المحنة الى بغداد الى القاضى أحمد بن دواد فلم يجب الى ماطلب منه فرد الى مصر ،وانتهت اليه الرياسة بها ،ولد سنة ١٨٢ وتوفى سنة ٢٦٨ وقبره مع قبر أبيه وأخيه عبد الرحمن الى جانب الامام الشافعى رضى الله عنهم (٢) هو اسمعيل بن يحيى ابن اسمعيل بن عمرو بن اسحق المزنى صاحب الامام الشافعى من أهل مصر . وكان عالما زاهدا مجتهدا محجاجا غواصا على المعانى الدقيقة ، وكان امام الشافعيين وأعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه . توفى سنة ٢٦٤ (٣) هو أبو بكر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن زرعة الزهرى مولاهم المصرى البرقى ، حدث بالمغازى عن عبد الملك بن هشام، وكان ثقة ثبتا،وله تاريخ . كان يتجر هو واخوته الى مدينة برقة فعرف بالبرقى وهو من أهل مصر .وأخواه : محمد بن عبد الله البرقى أبو عبيد الله توفى سنة ٢٤٩ وهو الذى سمع منه الامام قاسم،وأخوه عبد الرحيم بن عبد الله كان ثقة. وتوفى سنة ٢٨٦ (٤) الامام أبو عمرو الحرث بن مسكين بن محمد

ٱبْنِ عَبْدِ ٱلْأَعْلَى(١) وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلْمُنْذِرِ(٢) وَغَيْرِهِمْ ، وَلَزِمَ ٱبْنَ عَبْدِ ٱلْحَكَمِ لِلتَّفَقُّهِ وَٱلْمُنَاظَرَةِ ، وَصَحِبَهُ وَتَحَقَّقَ بِهِ وَبِالْمُزَنِيِّ . وَكَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ ٱلْحُجَّةِ وَٱلنَّظَرِ وَتَرْكِ ٱلتَّقْلِيدِ ،وَيَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ ٱلشَّافِعِيِّ . وَلَمَّا قَالَ لَه ٱبْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْقَاسِمِ : يَا أَبَتِ أَوْصِنِي ، قَالَ : أُوصِيكَ بِكِتَابِ ٱللهِ فَلَا تَنْسَ حَظَّكَ مِنْهُ ، وَٱقْرَأْ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ جُزْءًا ،وَٱجْعَلْ ذَلِكَ عَلَيْكَ وَاجِبًا ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ مِنْ هَذَا ٱلْأَمْرِ بِحَظٍّ ـ يَعْنِي ٱلْفِقْهَ ـ فَعَلَيْكَ بِرَأْيِ ٱلشَّافِعِيِّ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ أَقَلَّ خَطَأً . قَالَ أَبُو ٱلْوَلِيدِ بْنُ ٱلْفَرَضِيِّ : وَلَمْ يَكُنْ بِالْأَنْدَلُسِ مِثْلُهُ فِي حُسْنِ ٱلنَّظَرِ وَٱلْبَصَرِ بِالْحُجَّةِ . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ(٣)

ابن يوسف قاضي الديار المصرية، الحافظ الفقيه العلامة، كان فقيها على مذهب مالك ثقة فى الحديث ثبتا، ولد سنة ١٥٤ وتوفى سنة ٢٥٠ (١) الامام أبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفى المصرى الفقيه المقرئ المحدث توفى سنة ٢٦٤ (٢) أبو اسحق ابراهيم بن المنذر الحزامى المدنى الحافظ محدث المدينة، توفى سنة ٢٣٦ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٣) هو أبو عمر أحمد بن خالد بن الحباب القرطبي حافظ الأندلس، روى عن بقى بن مخلد وغيره، وكان اماما فى فقه مالك، توفى سنة ٣٢٢ . « أحمد يوسف نجاتى »

وَمُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ لُبَابَةَ(١) : مَا رَأَيْنَا أَفْقَهَ مِنْ قَاسِمِ
ٱبْنِ مُحَمَّدٍ فِيمَنْ دَخَلَ ٱلْأَنْدَلُسَ مِنْ أَهْلِ ٱلرِّحْلَةِ . وَقَالَ
أَسْلَمُ بْنُ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ(٢) : سَمِعْتُ عَنِ ٱبْنِ عَبْدِ ٱلْحَكَمِ
أَنَّهُ قَالَ : لَمْ يَقْدَمْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْ قَاسِمِ
ٱبْنِ مُحَمَّدٍ ، وَلَقَدْ عَاتَبْتُهُ فِي حِينِ ٱنْصِرَافِهِ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ
وَقُلْتُ لَهُ : أَقِمْ عِنْدَنَا ، فَإِنَّكَ تَعْتَقِدُ(٣) هٰهُنَا رِيَاسَةً ، وَيَحْتَاجُ
ٱلنَّاسُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : لَا بُدَّ لِي مِنَ ٱلْوَطَنِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ
عُثْمَانَ قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ ٱلْكُوفِيُّ : قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ
بِلَادِكُمْ رَجُلٌ يُسَمَّى قَاسِمَ بْنَ مُحَمَّدٍ فَرَأَيْتُ رَجُلًا فَقِيهاً .
وَأَلَّفَ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ ـ كِتَاباً نَبِيلًا فِي ٱلرَّدِّ عَلَى ٱبْنِ مُزَيْنٍ(٤)

---

(١) تقدم التعريف به (٢) هو أبو الجعد أسلم بن عبد العزيز بن هاشم ابن خالد بن عبد الله بن حسن بن جعد بن أسلم بن أبان بن عمر ومولى عثمان ابن عفان ، من أهل قرطبة ، توفى سنة ٣١٩ وتقدم التعريف به (٣) فى نسخة «تقتعد» (٤) هو أبو زكريا يحيى بن ابراهيم بن مزين مولى رملة بنت عثمان بن عفان رضى الله عنه ، من أهل قرطبة ، وأصله من طليطلة ، روى عن عيسى ابن دينار ويحيى بن يحيى الليثى وغيرهما ، ورحل الى المشرق فى أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، فدخل المدينة والعراق ومصر ، وسمع من أئمتها وكان فقيها محدثا له حظ جزيل من العربية والأدب ، وألف كتبا حسانا منها كتاب تفسير الموطأ ، وكتاب تسمية الرجال المذكورين فيه ، وغير

وَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ خَالِدٍ (١) وَٱلْعُتْبِيِّ (٢) يَدُلُّ عَلَى عِلْمِهِ ، وَلَهُ كِتَابٌ فِي خَبَرِ ٱلْوَاحِدِ شَرِيفٌ . وَكَانَ يَلِي وَثَائِقَ ٱلْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ طُولَ أَيَّامِهِ . رَوَى عَنْهُ ٱبْنُ لُبَابَةَ وَٱبْنُ أَيْمَنَ وَٱلْأَعْنَاقِيُّ (٣) وَٱبْنُهُ مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ (٤) وَآخَرُونَ . تُوُفِّيَ سَنَةَ سِتٍّ أَوْ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ .

***

أبو بكر محمد ابن ابراهيم بن أسود الغساني

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ ٱلْغَسَّانِيُّ ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ٱبْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَسْوَدَ » مِنْ أَهْلِ ٱلْمَرِيَّةِ ، قَدِمَ إِلَى مِصْرَ ، وَلَقِيَ

ذلك وتوفى سنة ٢٥٩ . « أحمد يوسف نجاتى » (١) عبدالله بن خالد من أهل قبرة ، روى عن أحمد بن خالد وابن أيمن وغيرهما (٢) محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس العتبى البصرى الأديب صاحب الأخبار والنوادر والآداب والأشعار والطرائف والملح والتصانيف المتعة والشعر الرائق ، توفى سنة ٢٢٨ (٣) تقدم التعريف بمحمد ابن عمر بن لبابة ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ، وسعيد بن عثمان الأعناق (٤) يكنى أبا عبد الله ، سمع من أبيه ومن بقى بن مخلد ومحمد بن وضاح وغيرهم ، ورحل الى المشرق سنة ٢٩٤ فسمع بمصر ومكة والبصرة والكوفة وبغداد والمغرب ، وعاد بعلم جم وأدب غزير ، وكان مشاورا من أول أيام أمير المؤمنين الناصر ، وغزا غزوة الخندق سنة ٣٢٧ فاعتل منصرفا منها ، وتوفى الى رحمة الله ، وقدم به ابنه قاسم بن محمد فدفن بقرطبة فى ٥ ذى الحجة سنة ٣٢٧ وكان مولده سنة ٢٦٣ . « أحمد يوسف نجاتى »

بِهَا أَبَا بَكْرٍ الطَّرْطُوشِيَّ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَشُووِرَ وَاسْتُقْضِيَ بِمُرْسِيَةَ مُدَّةً طَوِيلَةً ، ثُمَّ صُرِفَ ، وَسَكَنَ مُرًّا كِشَ قَالَ ابْنُ بَشْكُوَالَ : تُوُفِّيَ بِمُرَّا كِشَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ[1] وَقَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ الزُّبَيْرِ : إِنَّ لَهُ كِتَابًا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ، وَبَيْتُهُ بَيْتُ عِلْمٍ وَدِينٍ .

***

محمد بن ابراهيم ابن حيون

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَيُّونَ »

مِنْ أَهْلِ وَادِي الْحِجَارَةِ . قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ : سَمِعَ مِنِ ابْنِ وَضَّاحٍ وَالْخُشَنِيِّ[2] وَنُظَرَائِهِمَا بِالْأَنْدَلُسِ . وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَتَرَدَّدَ هُنَالِكَ نَحْوًا مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَسَمِعَ بِصَنْعَاءَ وَمَكَّةَ

(١) فى كل الأصول « سنة ٦٣٦ » ولكننا آثرنا أنها سنة ٥٣٦ — كما فى الصلة لابن بشكوال — وهذا هو المعقول لأن أبا بكر الطرطوشى « وستأتى ترجمته » الذى لاقاه المترجم بمصر ولد سنة ٤٥١ وتوفى سنة ٥٢٠ « وفى الصلة أن المترجم شوور فى بلده لمعرفته ومنصبه ، ولما لم تحمد سيرته فى القضاء صرف عنه . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) أبو عبد الله محمد بن الحرث بن أسد الخشنى من أهل القيروان ، وقدم الأندلس حدثا ، وكان فقيها حافظا شاعرا بليغا ، وألف لأمير المؤمنين المستنصر بالله كتبا كثيرة ، وتوفى بقرطبة سنة ٣٦١ . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَبَغْدَادَ ، وَلَقِيَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ ٱلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مِنْهُمْ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ أَحْمَدَ ، وَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنَ ٱلْخَفَّافِ ٱلنَّيْسَابُورِيِّ(١) وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى(٢) وَغَيْرِهِمَا ، وَبِالْمَصِّيصَةِ(٣) وَٱلْقَيْرَوَانِ. وَكَانَ إِمَامًا فِي ٱلْحَدِيثِ عَالِمًا حَافِظًا لِلْعِلَلِ بَصِيرًا بِالطُّرُقِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْأَنْدَلُسِ قَبْلَهُ أَبْصَرُ بِالْحَدِيثِ مِنْهُ وَهُوَ ضَابِطٌ مُتْقِنٌ ، حَسَنُ ٱلتَّوْجِيهِ(٤) لِلْحَدِيثِ ، صَدُوقٌ ، وَلَمْ يَذْهَبْ مَذْهَبَ مَالِكٍ . وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَيْمَنَ ، وَقَاسِمُ بْنُ أَصْبَغَ(٥) ، وَوَهْبُ بْنُ مَسَرَّةَ(٦) ، وَأَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ

(١) عبد الله بن أحمد بن عبد السلام النيسابوري، وفي بعض النسخ « وسمع بمصر من الحفاظ النيسابوري وابراهيم بن موسى وغيرهما »

(٢) ابراهيم بن موسى بن جميل الأموي مولاهم الأندلسي ثم المصري روى عن ابن عبد الحكم وغيره وتوفي بمصر سنة ٣٠٠ «أحمد يوسف نجاتي»

(٣) مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام، كان موقعها بين انطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وكانت من أشهر ثغور المسلمين، يرابط بها الصالحون منذ قديم، ثم انتزعت من أيديهم . والمصيصة أيضا اسم قرية من قرى دمشق

(٤) أي تخريجه وشرحه، ومعرفة الغرض منه وما يرمي اليه

(٥) تقدم ذكره، ويأتي حديث عنه

(٦) هو أبو الحزم وهب بن مسرة ابن مفرج بن حكم التميمي، من أهل وادي الحجارة، كان فقيها محدثا حافظا ورعا، توفي سنة ٣٤٦ وسيأتي حديث عنه « أحمد يوسف نجاتي »

ٱبْنِ حَزْمٍ (١) . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ (٢) : لَوْ كَانَ ٱلصِّدْقُ إِنْسَانًا لَكَانَ ٱبْنَ حَيُّونَ ، وَكَانَ يُزَنُّ (٣) بِالتَّشَيُّعِ لِشَيْءٍ كَانَ يَظْهَرُ مِنْهُ فِي حَقِّ مُعَاوِيَةَ — رَضِيَ ٱللّٰهُ تَعَالَى عَنْهُ — وَكَانَ شَاعِرًا . وَتُوُفِّيَ بِقُرْطُبَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلٰثِمِائَةٍ — سَامَحَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى — .

***

محمد بن ابراهيم ابن غالب المالقي

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللّٰهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ ٱللّٰهِ ٱبْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ غَالِبٍ ٱلْمَالَقِيُّ » قَالَ ٱبْنُ نُقْطَةَ (٤) : سَمِعَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنْ أَبِي ٱلْحَسَنِ بْنِ ٱلْمَقْدِسِيِّ (٥) وَكَانَ

(١) سيأتي ذكره (٢) أبو القاسم خالد بن سعيد القرطبي، كان اماما في الحديث حافظا له واماما جليلا، توفي سنة ٣٥٢ وتقدم التعريف به (٣) أي يتهم ويرمى (٤) هو أبو بكر الحافظ الرحال محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع البغدادي الحنبلي المعروف بابن نقطة، ويلقب معين الدين ومحب الدين أيضا، ولد سنة ٥٧٩ ورحل الى البلدان ، فسمع ببغداد وواسط واربل وأصبهان وخراسان ودمشق ومصر وحران ومكة والموصل وغير ذلك من البلاد، حتى كأنه كان موكلا بفضاء الأرض يذرعه، فأفاد من هذه السياحات علما جما وتجارب جليلة، فصنف تصانيف مفيدة. وكان اماما زاهدا ورعا ثبتا حجة محققا، مع كرم نفس ولطف شمائل وعذوبة حديث. وتوفي سنة ٦٢٩ ببغداد، ودفن عند قبر أبيه . وروى عنه ابنه الليث بن نقطة وهو منسوب الى جارية ربت جدته أم أبيه اسمها نقطة فعرفوا باسمها . « أحمد يوسف نجاتي » (٥) أبو الحسن شرف الدين علي

فَاضِلًا ، رَأَيْتُ بِخَطِّهِ إِجَازَةً بِمِصْرَ لِبَعْضِ الْمِصْرِيِّينَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ. وَسَمِعَ بِمِصْرَ شَيْئًا مِنَ الْخِلَعِيَّاتِ[١]. قَالَ ابْنُ فَرْتُونَ الْفَاسِيُّ فِي ذَيْلِ تَارِيخِ الْأَنْدَلُسِ : رَوَى بِمَالَقَةَ وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَحَجَّ ، وَلَقِيَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ الْمُفَضَّلِ الْمَقْدِسِيَّ ، وَأَخَذَ عَنْهُ كِتَابَ « تَحْقِيقِ الْجَوَابِ ، عَمَّنْ أُجِيزَ لَهُ مَا فَاتَهُ مِنَ الْكِتَابِ » مِنْ تَآلِيفِهِ . وَرَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ، ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مُرَّاكِشَ ، فَتُوُفِّيَ فِي أَقْصَى بِلَادِ السُّوسِ فِي حُدُودِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -

***

محمد بن ابراهيم اليقورى

« وَمِنْهُمُ الْيَقُّورِيُّ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ » مُصَنِّفُ كِتَابِ إِكْمَالِ « الْإِكْمَالِ » لِلْقَاضِي عِيَاضٍ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، وَكَتَبَ[٢] عَلَى كِتَابِ الشِّهَابِ الْقَرَافِيِّ فِي الْأُصُولِ . وَسَمِعَ الْحَدِيثَ ، وَقَدِمَ إِلَى مِصْرَ وَمَعَهُ مُصْحَفُ قُرْآنٍ حِمْلُ

ابن المفضل بن على الامام الحافظ المفتى اللخمى المقدسى ثم الاسكندرى الفقيه المالكى ، ولد سنة ٥٤٤ وتوفى سنة ٦١١ . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) اسم كتاب تأليف « الخلعى » المتقدم الذكر على بن الحسن بن الحسين المتوفى سنة ٤٩٢ (٢) أو « كتب » جمع كتاب ، ونسب الى الخلع « جمع خلعة » لأنه كان يبيع بمصر الخلع لأملاك مصر فاشتهر بذلك وعرف به « أحمد يوسف نجاتى » .

يَغْلٍ ، بَعَثَهُ مَلِكُ الْمَغْرِبِ(١) لِيُوقَفَ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ حَجِّهِ . وَمَاتَ بِمُرَّاكِشَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَقَدْ زُرْتُ قَبْرَهُ مِرَارًا . قَالَ الْحَافِظُ الْمَقْرِيزِيُّ : وَالْيَقُّورِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى يَقُّورَةَ بِيَاءِ آخِرِ الْحُرُوفِ مَفْتُوحَةٍ وَقَافٍ مُشَدَّدَةٍ وَرَاءٍ مُهْمَلَةٍ ؛ بَلَدٌ بِالْأَنْدَلُسِ . انْتَهَى .

***

محمد بن ابراهيم ويعرف بابن شق الليل

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُوسَى بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ » وَيُعْرَفُ بِابْنِ شَقِّ اللَّيْلِ ، مِنْ أَهْلِ طُلَيْطُلَةَ . سَمِعَ بِمِصْرَ أَبَا الْفَرَجِ

(١) هو السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو المريني « من ٦٨٥ ــ ٧٠٦ » في سنة ٧٠٣ بعث السلطان يوسف ــ وهو محاصر مدينة تلمسان ــ ركب الحاج المغربي الى الحرمين الشريفين و بعث معه حامية من زناتة، وخاطب ملك مصر لعهده ــ وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي من سلاطين المماليك البحرية ــ واستوصاه بحاج أهل المغرب ، وأتحفه بهدايا ثمينة وألطاف نفيسة ، وبعث معهم الى حرم مكة مصحفا ضخما، اعتنى به واستكتبه، وجعل له غشاء مكللا بنفيس الدر وثمين الياقوت وشريف الأحجار الكريمة ورفيعها. وكافأ الملك الناصر صاحب مصر السلطان يوسف ملك المغرب على هديته بأن جمع من بلاد المشرق مايستغرب جنسه وشكله من أنواع الثياب والحيوان وأوفد ذلك هدية مع عظماء الدولة المصرية، فسافروا من القاهرة آخر

اُلصُّوفِيَّ ، وَأَبَا اُلْقَاسِمِ[1] اُلطَّحَّانَ اُلْحَافِظَ ، وَأَبَا مُحَمَّدِ بْنَ اُلنَّحَّاسِ[2] ، وَأَبَا اُلْقَاسِمِ بْنَ مَيْسَرَةَ ، وَأَبَا اُلْحَسَنِ بْنَ بِشْرٍ وَغَيْرَهُمْ ، وَسَمِعَ بِطُلَيْطُلَةَ مِنْ جَمَاعَةٍ ، وَحَدَّثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ اُلْمُحَدِّثِينَ كَثِيرَةٍ . قَالَ اُبْنُ بَشْكُوَالَ: وَكَانَ فَقِيهاً عَالِماً ، وَإِمَامًا مُتَكَلِّماً ، حَافِظاً لِلْفِقْهِ وَاُلْحَدِيثِ ، قَائِماً بِهِمَا مُتْقِناً لَهُمَا ، إِلَّا أَنَّ اُلْمَعْرِفَةَ بِالْحَدِيثِ وَأَسْمَاءِ رِجَالِهِ

سنة ٧٠٥ فوصلوا الى السلطان يوسف وهو بمدينته المنصورة فى جمادى الآخرة سنة ٧٠٦ فأكرم وفادتهم، وأحسن مثواهم ، ثم توفى السلطان يوسف فى أثناء ذلك، وأفضى الأمر الى حفيده أبى ثابت « عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق » فأحسن منقلبهم، وأثقل حقائبهم ، وملأ عيابهم ، وخرجوا من المغرب الى مصر فى شهر ذى الحجة سنة ٧٠٧ ولكن بيناهم فى الطريق اعترضهم الأعراب بالقفر، فانتهبوهم وحووا ما معهم من الذخائر والأموال ، وخلصوا الى مصر ناجين بأنفسهم راضين من الغنيمة بالإياب ، فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ، ولا لفتوا اليه وجها، وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون فى ذلك كله على الخطاب شيئا . وأبوه السلطان يعقوب واسطة عقد بنى مرين، تولى الملك من سنة ٦٥٧ الى آخر سنة ٦٨٤ « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو عبد الباقى بن محمد البغدادى ، كان محدثا ثقة، توفى سنة ٤٣٢ (٢) أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد التجيبى المصرى البزار المعروف بابن النحاس مسند ديار مصر فى عصره ، ولد سنة ٣٢٣ وتوفى سنة ٤١٦ . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَالْبَصَرَ بِمَعَانِيهِ وَعِلَلِهِ كَانَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ . وَكَانَ مَلِيحَ الْخَطِّ،جَيِّدَ الضَّبْطِ،مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ(١) وَالدِّرَايَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي الْعُلُومِ ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا مُجِيدًا لُغَوِيًّا دَيِّنًا فَاضِلًا كَثِيرَ التَّصَانِيفِ وَالْكَلَامِ عَلَى عِلْمِ الْحَدِيثِ ،حُلْوَ الْكَلَامِ فِي تَأْلِيفِهِ ، وَلَهُ عِنَايَةٌ بِأُصُولِ الدِّيَانَاتِ،وَإِظْهَارِ الْكَرَامَاتِ. تُوُفِّيَ بِطَلَبِيرَةَ(٢) يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُنْتَصَفَ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

***

« وَمِنْهُمُ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الشَّهِيرُ الْكَبِيرُ الْوَلِيُّ الْعَارِفُ بِاللهِ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللهِ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ » شَيْخُ السَّالِكِينَ ، وَإِمَامُ الْعَارِفِينَ، وَقُدْوَةُ الْمُحَقِّقِينَ . قَدِمَ مِصْرَ بَعْدَ مَا صَحِبَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ جَمَاعَةً مِنْ أَعْلَامِ الزُّهَادِ ، وَكَانَ يَقُولُ: صَحِبْتُ سِتَّمِائَةِ شَيْخٍ ، اقْتَدَيْتُ

أبو عبد الله القرشي الهاشمي

(١) الرواية : النقل ، والدراية العلم (٢) مدينة كانت من أعمال طليطلة كبيرة قديمة البناء على نهر تاجه « وتقدم مزيد التعريف بها بأكثر من هذا . » « أحمد يوسف نجاتي »

مِنْهُمْ بِأَرْبَعَةٍ ؛ الشَّيْخُ أَبُو الرَّبِيعِ ، وَالشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ طَرِيفٍ ، وَالشَّيْخُ أَبُو زَيْدٍ الْقُرْطُبِيُّ ، وَالشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْجَوْزِيُّ . وَسَلَكَ عَلَى يَدِهِ جَمَاعَةٌ ؛ مِنْهُمُ الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقَسْطَلَانِيُّ[1] فَإِنَّهُ أَخَذَ عَنْهُ كَلَامَهُ وَجَمَعَهُ فِي جُزْءٍ .

وَخَرَجَ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيُّ مِنْ مِصْرَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَأَقَامَ بِهِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ السَّادِسِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ـ عَنْ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً ـ وَدُفِنَ هُنَاكَ ، وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ يُقْصَدُ لِلزِّيَارَةِ ، زُرْتُهُ أَوَّلَ قُدُومِي عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَنَةَ ١٠٢٨ ،

وَمِنْ كَلَامِهِ : مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْأُمُورِ بِلُطْفِ الْأَدَبِ لَمْ يُدْرِكْ مَطْلُوبَهُ مِنْهَا . وَقَوْلُهُ : الْعَاقِلُ يَأْخُذُ مَا صَفَا ، وَيَدَعُ التَّكَلُّفَ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ » وَقَالَ : مَنْ لَمْ يُرَاعِ حُقُوقَ الْإِخْوَانِ بِتَرْكِ حُقُوقِهِ حُرِمَ بَرَكَةَ الصُّحْبَةِ ، وَقَالَ . سَمِعْتُ

---

(١) هو أبو العباس أحمد بن على القسطلانى المالكى ، توفى بمكة سنة ٦٣٦ ، وهو منسوب الى قسطيلية مدينة بالأندلس واسم أيضا لاقليم بافريقية . « أحمد يوسف نجاتى »

ٱلشَّيْخَ أَبَا إِسْحٰقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ طَرِيفٍ يَقُولُ : لَمَّا حَضَرَتِ ٱلشَّيْخَ أَبَا ٱلْحَسَنِ بْنَ غَالِبٍ[1] ٱلْوَفَاةُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : ٱجْتَمِعُوا وَهَلِّلُوا سَبْعِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ ، وَٱجْعَلُوا ثَوَابَهَا لِي ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّهَا فِدَاءُ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ ٱلنَّارِ ، قَالَ فَعَمِلْنَاهَا وَٱجْتَمَعْنَا عَلَيْهَا ، وَجَعَلْنَا ثَوَابَهَا لَهُ . ثُمَّ حَكَى عَنْ شَيْخِهِ أَبِي زَيْدٍ ٱلْقُرْطُبِيِّ مَا حَكَاهُ ٱلسَّنُوسِيُّ عَنْهُ فِي أَوَاخِرِ شَرْحِ صُغْرَاهُ . وَقَدْ أَنْكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْحُفَّاظِ كَابْنِ حَجَرٍ وَغَيْرِهِ كَوْنَ مَا ذُكِرَ حَدِيثاً ، وَلَعَلَّ هَؤُلَاءِ أَخَذُوهُ مِنْ جِهَةِ ٱلْكَشْفِ وَنَحْوِهِ ، وَٱللّٰهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَقَالَ ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ : دَخَلْتُ عَلَى ٱلشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ ٱللّٰهِ ٱلْمَغَاوِرِيِّ فَقَالَ لِي : أُعَلِّمُكَ شَيْئاً تَسْتَعِينُ بِهِ ؛ إِذَا ٱحْتَجْتَ لِشَيْءٍ فَقُلْ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ ، يَا وَاحِدُ يَا جَوَادُ ، ٱنْفَحْنَا مِنْكَ بِنَفْحَةِ خَيْرٍ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، قَالَ فَأَنَا أُنْفِقُ مِنْهَا مُنْذُ سَمِعْتُهَا .

(١) هو أبو الحسن على بن غالب بن محمد بن غالب من أهل وشقة، رحل حاجا، ثم عادفاستوطن طرطوشة، وولى الخطبة بجامعها، وتوفى بها سنة ٥٢٠ وكان شيخا فاضلا « أحمد يوسف نجاتى » .

وَقَالَ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ـ : مَا مِنْ حَالٍ ذُكِرَ فِي رِسَالَةِ الْقُشَيْرِيِّ إِلَّا وَقَدْ شَاهَدَتْهُ نَفْسِي . وَتَزَوَّجَ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ـ بِنِسَاءٍ حَدَّثْنَ عَنْهُ بِكَرَامَاتٍ ؛ وَمِنْهُنَّ أُمُّ الْقُطْبِ الْقَسْطَلانِيِّ ، وَحَكَتْ أَنَّهَا خَرَجَتْ عَنْهُ يَوْما لِحَاجَتِهَا ثُمَّ عَادَتْ ، فَسَمِعَتْ عِنْدَهُ فِي طَبَقَتِهِ حِسَّ رَجُلٍ ، فَتَوَقَّفَتْ وَتَفَقَّدَتِ الْبَابَ فَوَجَدَتْهُ مُغْلَقاً ، فَلَمَّا انْقَطَعَ الْكَلامُ دَخَلَتْ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ وَحْدَهُ كَمَا تَرَكَتْهُ ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : هُوَ الْخَضِرُ ، دَخَلَ عَلَيَّ وَفِي يَدِهِ حَيَّةٌ فَقَالَ هَذِهِ « حَيَّتُكَ » جِئْتُكَ بِهَا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ ، وَفِيهَا شِفَاءُ مَرَضِكَ ، فَقُلْتُ : لَا أُرِيدُ ، اذْهَبْ أَنْتَ وَحَيَّتُكَ لَا حَاجَةَ لِي بِهَا . وَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ نِسَائِهِ يَوْمًا فَوَجَدَتْهُ بَصِيرًا نَقِيَّ الْجِسْمِ مِنَ الْجُذَامِ ، فَلَمَّا نَظَرَتْهُ قَالَ لَهَا : أَتُرِيدِينَ أَنْ أَبْقَى لَكِ هَكَذَا ؟ فَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي كُنْ كَيْفَ شِئْتَ ، إِنَّمَا مَقْصُودِي خِدْمَتُكَ وَبَرَكَتُكَ . وَقِيلَ لَهُ ـ وَقَدْ تَكَاثَرَتْ مِنْهُ رُؤْيَةُ الْأَشْيَاءِ وَإِخْبَارُهُ بِهَا مَعَ

كَوْنِهِ ضَرِيرًا ـ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : كُلِّى أَعْيُنٌ ، بِأَىِّ عُضْوٍ أَرَدْتُ أَنْ أَنْظُرَ بِهِ نَظَرْتُ . وَقَالَ : هَمَمْتُ أَنْ أَدْعُوَ بِرَفْعِ الْغَلَاءِ ، فَقِيلَ لِى : لَا تَدْعُ ، فَمَا نَسْمَعُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ فِى هَذَا الْأَمْرِ دُعَاءً ، فَسَافَرْتُ إِلَى الشَّامِ ، فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى بَلَدِ الْخَلِيلِ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ تَلَقَّانِى رَسُولُ اللهِ الْخَلِيلُ حِينَ وُرُودِى عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ ضِيَافَتِى عِنْدَكَ أَهْلَ مِصْرَ ، فَدَعَا لَهُمْ ، فَفُرِّجَ عَنْهُمْ . وَمَنَاقِبُهُ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ وَكَرَامَاتُهُ لَا يَفِى بِهَا هٰذَا الْمُخْتَصَرُ ، وَإِنَّمَا قَصَدْنَا بِذِكْرِهَا الْبَرَكَةَ وَكَفَّارَةَ مَا وَقَعَ فِى هٰذَا الْكِتَابِ مِنَ الْإِحْمَاضِ (١)

---

(١) من المجاز قولهم : أحمض القوم ،اذا أفاضوا فيما يؤنسهم وتميل اليه نفوسهم ، من حديث غير ممعن فى الجد، ومنه حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يقول ـ اذا أفاض من عنده فى الحديث بعد القرآن : أحمضوا، ضرب ذلك مثلا لخوضهم فى شتى الأحاديث وأخبار العرب ، وما يتنقل به من الفكاهات والطرائف اذا ملت أنفسهم من الجد فى التفسير والحديث ونحوهما. وأصله من الحمض، وهو ماملح وأمر أو حمض من النبات، وهو كفاكهة الابل، وفيه ملوحة، اذا أكلته شربت عليه، واذا لم تجده رقت وضعفت . وحمض النبات ضد الخلة ،وهى ماحلا من النبات ، والعرب تقول : الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها . وأحمضت الابل: أكلت الحمض والحمضة : الشهوة للشىء . قال الزهرى : الأذن مجاجة وللنفس حمضة . وانما أخذت من شهوة الابل للحمض، لأنها اذا ملت الخلة اشتهت الحمض

وَاللهُ الْمرْجُوُّ فِي الْعفْوِ . وَمِنْ فَوائِدِهِ مَا نَقَلَهُ عَنْ شَيْخِهِ أَبِي الرَّبِيعِ الْمَالَقِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَلَا أُعلِّمُكَ كَنْزًا تُنْفِقُ مِنْهُ وَلَا يَنْفَدُ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ قُلْ : يَا أَللهُ يَا أَحَدُ ، يَا وَاحِدُ يَا مَوْجُودُ يَا جَوَادُ ، يَابَاسِطُ يَا كَرِيمُ ، يَا وَهَّابُ، يَاذَا الطَّوْلِ يَاغَنِيُّ يَا مُغْنِي ، يَا فَتَّاحُ يَارَزَّاقُ يَاعَلِيمُ ، يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ، يَارَحْمٰنُ يَارَحِيمُ ، يَابَدِيعَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَاحَنَّانُ يَامَنَّانُ ، انْفَحْنِي مِنْكَ بِنَفْحَةِ خَيْرٍ تُغْنِينِي بِهَا عَمَّنْ سِوَاكَ ، إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ، إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ، نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ، اللَّهُمَّ يَاغَنِيُّ يَا حَمِيدُ ، يَامُبْدِئُ يَامُعِيدُ ، يَارَحِيمُ يَاوَدُودُ ، يَاذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ، يَافَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ أَكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَاحْفَظْنِي بِمَا حَفِظْتَ بِهِ الذِّكْرَ الْحَكِيمَ ، وَانْصُرْنِي بِمَا

فتحول اليه ، وتقول للرجل الكثير الكلام : اكفف عنا كلامك فان للأذن مجة وللنفس حمضة ، أي تمجه وترمى به ، يعنى أن الآذان لاتعى كل ماتسمعه، وتمج الجد اذا توالى عليها ، وهى مع ذلك ذات شهوة لما تستطرفه من غرائب الحديث ونوادر الكلام وملح النوادر وفكاهات القول ، وما فيه رقة أو غزل أو لهو من رقيق المنثور والمنظوم . « أحمد يوسف نجاتى » .

نَصَرْتَ بِهِ ٱلرُّسُلَ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى قِرَاءَتِهِ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ـ خُصُوصًا صَلَاةَ ٱلْجُمُعَةِ ـ حَفِظَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ ، وَنَصَرَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ ، وَأَغْنَاهُ ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَيَسَّرَ عَلَيْهِ مَعِيشَتَهُ ، وَقَضَى عَنْهُ دَيْنَهُ وَلَوْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْثَالُ ٱلْجِبَالِ دَيْنًا ، بِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ . ٱنْتَهَى . نَقَلَهُ عَنْهُ ٱلْعَلَّامَةُ ٱبْنُ دَاوُدَ ٱلْبَلَوِيُّ(١) ٱلْأَنْدَلُسِيُّ ، وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ ـ رَحِمَ ٱللَّهُ تَعَالَى ٱلْجَمِيعَ ـ وَنَقَلَهُ ٱلْيَافِعِيُّ كَمَا ذَكَرَ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ـ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِيهِ : يَا وَدُودُ ـ وَٱتَّفَقَا فِيمَا عَدَا ذَلِكَ . وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ ٱبْنُ خِلِّكَانَ فِي حَقِّهِ : مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْقُرَشِيُّ ٱلْهَاشِمِيُّ ٱلْعَبْدُ ٱلصَّالِحُ ٱلزَّاهِدُ مِنْ أَهْلِ ٱلْجَزِيرَةِ ٱلْخَضْرَاءِ ، كَانَتْ لَهُ كَرَامَاتٌ ظَاهِرَةٌ ، وَرَأَيْتُ أَهْلَ مِصْرَ يَحْكُونَ عَنْهُ أَشْيَاءَ خَارِقَةً ، وَلَقِيتُ جَمَاعَةً مِمَّنْ صَحِبَهُ وَكُلٌّ مِنْهُمْ يُثْنِي(٢) عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَتِهِ ، وَذَكَرُوا عَنْهُ أَنَّهُ وَعَدَ جَمَاعَتَهُ ٱلَّذِينَ صَحِبُوهُ مَوَاعِيدَ مِنَ

(١) في الأصل « البلورى » (٢) فى ابن خلكان « قد نما عليه »

اَلْوِلاَيَاتِ وَالْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ، وَأَنَّهَا صَحَّتْ كُلُّهَا . وَكَانَ مِنَ السَّادَاتِ الْأَكَابِرِ، وَالطِّرَازِ الْأَوَّلِ . وَهُوَ مَغْرِبِيٌّ وَصَحِبَ بِالْمَغْرِبِ أَعْلَامَ الزُّهَّادِ وَانْتَفَعَ بِهِمْ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مِصْرَ انْتَفَعَ بِهِ مَنْ صَحِبَهُ أَوْ شَاهَدَهُ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى الشَّامِ قَاصِدًا زِيَارَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ،وَأَقَامَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى - وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً - وَقَبْرُهُ ظَاهِرٌ يُقْصَدُ لِلزِّيَارَةِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ . وَالْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ فِي بِلَادِ[1] الْأَنْدَلُسِ مَدِينَةٌ تُقَابِلُ سَبْتَةَ مِنْ بَرِّ الْعُدْوَةِ . وَمِنْ جُمْلَةِ وَصَايَاهُ لِأَصْحَابِهِ : سِيرُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى عُرْجًا وَمَكَاسِيرَ، فَإِنَّ انْتِظَارَ الصِّحَّةِ بِطَالَةٌ . انْتَهَى بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ

***

محمد بن علي بن الحسين القرطبي

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ[2] بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْقُرْطُبِيُّ ، سَمِعَ مِنْ قَاسِمِ بْنِ أَصْبَغَ وَغَيْرِهِ

(١) فى ابن خلكان فى بر الأندلس (٢) فى بعض النسخ « الحسن »

وَقَدِمَ مِصْرَ فَسَمِعَ بِهَا مِنَ ابْنِ الْوَرْدِ[١] وَابْنِ أَبِي الْمَوَالِ[٢] وَالْبَارُودِيِّ ، وَابْنِ السَّكَنِ[٣] ، وَآخَرِينَ ، وَسَمِعَ بِالرَّمْلَةِ[٤] وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَكَانَ ضَابِطًا بَصِيرًا بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ ، فَصِيحًا بَلِيغًا طَوِيلَ اللِّسَانِ ، وَلِيَ الشُّرْطَةَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَثِمِائَةٍ .

---

(١) عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد البغدادى توفى بمصرسنة ٣٥١ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) كذا بالأصل وفى نسخة « ابن أبي الموت» وفى بغية الوعاة : روى عن أبى يعقوب البارودى (٣) هو أبو على بن السكن الحافظ الكبير سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن المصرى ، أحد الأئمةالأعلام،سمع بالعراق والشام والجزيرة وخراسان ،وكان حجة ثقة جليلا ، توفى سنة ٣٥٣ . « أحمد يوسف نجاتى » (٤) الرملة مدينة كانت عظيمة بفلسطين ، وكانت قصبتها، بينها و بين بيت المقدس ١٨ ميلا وكانت كورة من فلسطين ، ثم استنقذها السلطان صلاح الدين الأيوبى من الأفرنج سنة ٥٨٣ وخربها خوفا من استيلائهم عليها مرة أخرى فى سنة ٥٨٧ وكان أبو الحسن على بن محمد التهامى الشاعر المشهور قد أقام بها وصار خطيبها ،وتزوج بها و ولد له ولد فمات بها، فقال يرثيه :

أبا الفضل،طال الليل أم خانني صبرى؟! ... فخيل لى أن الكواكب لا تسرى؟!
أرى الرملة البيضاء بعدك أظلمت ... فدهرى ليل ليس يفضى الى فجر
وما ذاك الا أن فيه وديعة ... أبى ربها أن تسترد الى الحشر
بنفس هلال كنت أرجو تمامه ... فعاجله المقدار فى غرة الشهر

***

محمد بن علي التجيبي

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ » ٱلْجَيَّانِيُّ « مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ خَلَفٍ ٱلتُّجِيبِيُّ ٱلْإِشْبِيلِيُّ ٱلْحَافِظُ ٱلْكَاتِبُ » رَوَى عَنِ ٱبْنِ ٱلْجَدِّ(١) وَغَيْرِهِ. وَمَرَّ بِمِصْرَ حَاجًّا قَبْلَ سَنَةِ خَمْسِمِائَةٍ وَسِتِّينَ، فَلَقِيَ بِمَكَّةَ أَبَا حَفْصٍ(٢) ٱلْمَيَانَشِيَّ، وَأَبَا ٱلْحَسَنِ ٱلْمِكْنَاسِيَّ، وَلَقِيَ بِالْأَسْكَنْدَرِيَّةِ ٱلسِّلَفِيَّ وَٱبْنَ عَوْفٍ وَغَيْرَهُمَا. وَكَانَ مُدَرِّسًا لِلْفِقْهِ، فَقِيهًا جَلِيلًا مُتَقَدِّمًا فِيهِ عَارِفًا فَاضِلًا سَنِيًّا(٣). تُوُفِّيَ بَعْدَ ٱمْتِحَانٍ مِنَ ٱلْمَنْصُورِ بْنِ عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وُشِيَ بِهِ لِلْمَنْصُورِ أَيَّامَ عَزَمَ عَلَى تَرْكِ ٱلتَّقْلِيدِ وَٱلْعَمَلِ بِالْحَدِيثِ(٤).

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الفرج بن الجد الفهرى الحافظ الاشبيلي توفى سنة ٥٨٦ . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو أبو حفص عمر بن عبد المجيد بن الحسن المهدى القرشي نزيل مكة وشيخ الحرم. توفى بمكة سنة ٥٨١ والمهدى نسبة الى المهدية المعروفة بافريقية، والميانشي نسبة الى ميانش قرية كانت من قرى المهدية بينهما نصف فرسخ . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) أو «سنيا» نسبة الى السنة

(٤) إذ بلغه أنه يقرىء الناس شيئا من فقه الامام مالك، فسجن هو وبعض الفقهاء . وقاسى من ذلك عذابا « أحمد يوسف نجاتى » .

***

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ ٱلْأَنْدَلُسِيُّ ٱلْجَيَّانِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ٱبْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَاسِرٍ ٱلْأَنْصَارِيُّ » سَافَرَ مِنْ بَلَدِهِ، وَدَخَلَ دِيَارَ مِصْرَ وَٱلشَّامَ وَٱلْعِرَاقَ وَخُرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ ٱلنَّهْرِ. وَلَقِيَ أَئِمَّتَهَا، وَتَفَقَّهَ بِبُخَارَى حَتَّى تَمَهَّرَ فِي ٱلْمَذْهَبِ وَٱلْخِلَافِ وَٱلْجَدَلِ، ثُمَّ ٱشْتَغَلَ بِٱلْحَدِيثِ وَسَمَاعِهِ وَحِفْظِهِ، وَحَصَّلَ مِنْهُ كَثِيرًا، ثُمَّ سَكَنَ بَلْخَ مُدَّةً وَعَادَ إِلَى بَغْدَادَ، وَدَخَلَهَا سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَتَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ فَحَجَّ، وَرَجَعَ إِلَى ٱلشَّامِ، وَٱسْتَوْطَنَ حَلَبَ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِهَا. وَوَقَفَ كُتُبَهُ. وَكَانَ مُتَدَيِّنًا صَدُوقًا حَافِظًا عَالِمًا بِٱلْحَدِيثِ. وَفِيهِ فَضْلٌ. وُلِدَ بِجَيَّانَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَمَاتَ بِحَلَبَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

(محمد بن على بن ياسر)

***

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلتُّجِيبِيُّ ٱلدَّهَّانُ ٱلْغَرْنَاطِيُّ » كَانَ حَسَنَ ٱلسَّمْتِ، بَارِعَ ٱلْخَطِّ وَٱلْخُلُقِ وَٱلْخَلْقِ،

(محمد بن على التجيبي الدهان الغرناطى)

رَحَلَ إِلَى ٱلْحَجِّ ـ وَجَالَ فِي ٱلْبِلَادِ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَأَخَذَ بِمَكَّةَ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ عَنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ . وَكَانَ عَدْلًا فَاضِلًا عَلَى خَيْرٍ وَدِينٍ . وَكَانَ مُحْتَرِفًا بِالتِّجَارَةِ بِغَرْنَاطَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا آخِرَ عُمُرِهِ فَمَاتَ بِقُوصَ بَعْدَ مَا حَجَّ سَنَةَ خَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَصَدَرَ مِنْ مَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَمَاتَ قَبْلَ مُنْتَصَفِ ٱلسَّنَةِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ .

***

محمد بن علي بن أبي الربيع

« وَمِنْهُمْ أَبُو عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي ٱلرَّبِيعِ ٱلْقُرَشِيُّ ٱلْعُثْمَانِيُّ ٱلْأَنْدَلُسِيُّ ٱلْإِشْبِيلِيُّ ٱلنَّحْوِيُّ وُلِدَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ بِإِشْبِيلِيَةَ ، وَقَدِمَ مِصْرَ فَسَمِعَ ٱلْكَثِيرَ بِهَا وَبِدِمَشْقَ وَغَيْرِهَا ـ وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا نَحْوِيًّا فَاضِلًا ، كَتَبَ عَنْهُ أَبُو مُحَمَّدٍ ٱلدِّمْيَاطِيُّ ، وَٱلْقُطْبُ عَبْدُ ٱلْكَرِيمِ ـ وَنَاهِيكَ بِهِمَا عِلْمًا .

***

محمد بن على بن هذيل البلنسى

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ ٱبْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ هُذَيْلٍ ٱلْبَلَنْسِيُّ » رَحَلَ وَسَمِعَ مِنَ ٱلسِّلَفِيِّ ، وَحَجَّ . قَالَ أَبُو ٱلرَّبِيعِ ٱبْنُ سَالِمٍ : هُوَ شَيْخٌ صَدُوقٌ مُتَيَقِّظٌ ، سَمِعَ أَبَاهُ (١) وَأَبَا ٱلْوَلِيدِ ٱبْنَ ٱلدَّبَّاغِ (٢) وَأَبَا ٱلْحَسَنِ طَارِقَ (٣) بْنَ مُوسَى بْنِ يَعِيشَ وَجَمَاعَةً ، وَأَخَذَ بِمَكَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ ٱلْحَسَنِ ٱلْمُقْرِئِ ، وَقَفَلَ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ سَنَةَ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، فَأُخِذَ عَنْهُ بِهَا ، وَسَمِعَ مِنْهُ جَمَاعَةٌ ، قَالَ ٱبْنُ

---

(١) أبو الحسن على بن محمد بن على بن هذيل المقرئ المحدث، كان منقطع القرين فى الفضل والدين والورع والزهد، مع العدالة والتواضع والاعراض عن زخارف الدنيا وفتنتها ، والسماحة والكرم . وانتهت اليه فى عصره الرياسة فى صناعة الاقراء، ولد سنة ٤٧١ وتوفى سنة ٥٦٤ وكان يوم الاحتفال بتشييع جنازته مشهودا ، رحمه الله . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيره بن الدباغ اللخمى الأندلسى توفى سنة ٥٤٦ . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) طارق بن موسى بن يعيش ابن الحسين بن على بن هشام المخزومى البلنسى - يعرف بالمنصفى - رحل قبل سنة ٥٢٠ فسمع بكثير من بلاد المشرق ، وكان شيخا صالحا ثقة عالى الرواية محدثا فاضلا ، ورحل ثانية سنة ٥٤٢ وقد نيف على السبعين فأقام بمكة حتى توفى بها سنة ٥٤٩ . « أحمد يوسف نجاتى » .

ٱلْأَبَّارِ : كَانَ غَايَةً فِى ٱلصَّلَاحِ وَأَعْمَالِ ٱلْبِرِّ وَٱلْوَرَعِ ، تُوُفِّيَ بِبَعْضِ قُرَى بَلَنْسِيَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ عِشْرِينَ أَوْ تِسْعَ عَشَرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَلَهُ حَظٌّ مِنْ عِلْمِ ٱلتَّعْبِيرِ وَٱللُّغَةِ ، ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ .

***

محمد بن على البياسى

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ ـ وَيُقَالُ أَبُو سَلَمَةَ ـ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْبَيَّاسِيُّ ٱلْغَرْنَاطِيُّ ٱلْأَنْصَارِيُّ نَاصِرُ ٱلدِّينِ » رَوَى عَنِ ٱلْحَافِظِ أَبِى جَعْفَرِ بْنِ ٱلزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ ، وَقَدِمَ إِلَى ٱلْقَاهِرَةِ وَٱسْتَوْطَنَهَا بَعْدَ ٱلْحَجِّ حَتَّى مَاتَ بِهَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِمِائَةٍ وَكَانَ عَارِفًا بِعِلْمِ ٱلْحَدِيثِ ، وَكَتَبَ مِنْهُ كَثِيرًا ، وَمَالَ إِلَى مَذْهَبِ ٱلظَّاهِرِيَّةِ ، وَٱنْتَفَعَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ طَلَبَةِ ٱلْحَدِيثِ ، وَكَانَ ثِقَةً ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ .

***

محمد بن على الشامى الغرناطى

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَي بْنِ عَلِيٍّ ٱلشَّامِيُّ ٱلْأَنْدَلُسِيُّ ٱلْغَرْنَاطِيُّ » قَدِمَ مِصْرَ حَاجًّا ، وَأَقَامَ

بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. وَكَانَ إِمَامًا فَاضِلًا عَالِماً مُتَفَنِّنًا فِي عُلُومٍ مَا بَيْنَ فِقْهٍ وَأُصُولٍ وَنَحْوٍ وَلُغَةٍ وَقِرَاءَاتٍ وَنَظْمٍ وَنَثْرٍ، وَمَعَ مَعْرِفَتِهِ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ يَنْقُلُ كَثِيرًا مِنْ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ. وَسَمِعَ الْمُوَطَّأَ بِتُونُسَ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ هٰرُونَ الْقُرْطُبِيِّ. وَمَوْلِدُهُ بِغَرْنَاطَةَ سَنَةَ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَتُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَمِنْ شِعْرِهِ ـ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

إِذَا كُنْتُ جَارًا لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ
وَمَكَّةُ بَيْتُ اللهِ مِنِّي عَلَى قُرْبِ
فَمَا ضَرَّنِي أَنْ فَاتَنِي رَغْدُ عِيشَةٍ
وَحَسْبِي الَّذِي أُوتِيتُهُ نِعْمَةً حَسْبِي

وَقَوْلُهُ :

نَزِيلُ الْكِرَامِ عَزِيزُ الْجِوَارِ
وَإِنِّي نَزِيلٌ عَلَيْكُمْ وَجَارُ
حَلَلْتُ ذَرَاكَ وَأَنْتَ الْكَرِيمُ
وَمَنْ حَلَّ مَثْوَى[1] كَرِيمٍ يُجَارُ

(١) المثوى : المنزل ، وموضع الثواء أى الاقامة « أحمد يوسف نجاتى »

***

محمد بن عمار الكلاعى

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَّارٍ ٱلْكَلَاعِيُّ ٱلْمَيُورْقِيُّ » قَدِمَ مِصْرَ ، وَرَوَى عَنْ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ بِهَا ، وَكَانَ عَالِماً. وَلَهُ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ فِيهَا حِكَمٌ وَمَوَاعِظُ يُوصِي ٱبْنَهُ بِهَا ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

وَطَاعَةَ مَنْ إِلَيْهِ ٱلْأَمْرُ فَالْزَمْ
وَإِنْ جَارُوا وَكَانُوا مُسْلِمِينَا
فَإِنْ كَفَرُوا كَكُفْرِ بَنِي عُبَيْدٍ(١)
فَلَا تَسْكُنْ دِيَارَ ٱلْكَافِرِينَا

وَٱسْمُ ٱبْنِهِ حَسَنٌ . وَسَمِعَ مِنَ ٱلْمَذْكُورِ ٱلْحَافِظُ ٱلْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ ٱلْعَرَبِيِّ فِي رِحْلَتِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَوَصَفَهُ بِالْعِلْمِ . وَعَمَّارٌ بِالرَّاءِ .

(١) يريد الدولة الفاطمية والأقوال فيها كثيرة ذائعة «أحمد يوسف نجاتى»

***

محمد بن عمر ابن الفخار

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ ٱلْفَخَّارِ ٱلْقُرْطُبِيُّ ٱلْحَافِظُ » رَوَى عَنْ عِيسَى ٱللَّيْثِيِّ ، وَٱبْنِ عَوْنِ[1] ٱللهِ ، وَأَبِي جَعْفَرٍ ٱلتَّمِيمِيِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ ٱلْبَاجِيِّ[2] ، وَقَدِمَ مِصْرَ ، وَحَجَّ، وَجَاوَرَ بِالْمَدِينَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ ـ عَلَى سَاكِنِهَا ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ـ وَأَفْتَى بِهَا، وَٱفْتَخَرَ بِذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: لَقَدْ شُووِرْتُ بِمَدِينَةِ ٱلرَّسُولِ ـ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ دَارِ مَالِكِ ٱبْنِ أَنَسٍ وَمَكَانِ شُورَاهُ . وَلَقِيَ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ . وَكَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ وَٱلذَّكَاءِ وَٱلْحِفْظِ وَٱلْفَهْمِ عَارِفًا بِمَذَاهِبِ ٱلْأَئِمَّةِ وَأَقْوَالِ ٱلْعُلَمَاءِ ، ذَاكِرًا لِلرِّوَايَاتِ يَحْفَظُ ٱلْمُدَوَّنَةَ وَٱلنَّوَادِرَ لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ، وَيُورِدُهَا مِنْ صَدْرِهِ دُونَ كِتَابٍ . قَالَ ٱبْنُ حَيَّانَ مُؤَرِّخُ ٱلْأَنْدَلُسِ : تُوُفِّيَ ٱلْفَقِيهُ ٱلْمُشَاوَرُ ٱلْحَافِظُ ٱلْمُتَبَحِّرُ ٱلرِّوَايَةِ ٱلطَّوِيلُ ٱلْهِجْرَةِ

(١) أبو جعفر أحمد بن عون الله، كان فقيها محدثا مشهورا، يروى عن قاسم ابن أصبغ البيانى وغيره (٢) هو عبد الله بن محمد بن على بن شريعة المعروف بالباجى، أصله من باجة القير وان لا من باجة الأندلس، وسكن اشبيلية، وكان فقيها جليلا محدثا نبيلا، توفى سنة ٣٧٨ «أحمد يوسف نجاتى»

فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ ٱلنَّاسِكُ ٱلْمُتَقَشِّفُ بِمَدِينَةِ بَلَنْسِيَةَ فِي رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنَ ٱلشَّهْرِ ، وَكَانَ ٱلْحَفْلُ فِي جِنَازَتِهِ عَظِيماً، وَعَايَنَ ٱلنَّاسُ فِيهَا آيَةً مِنْ ظُهُورِ أَشْبَاهِ ٱلْخَطَاطِيفِ[1] بِهَا تَجَلَّلَتِ[2] ٱلْجَمْعَ زَافَّةً[3] فَوْقَ ٱلنَّعْشِ ، لَمْ تُفَارِقْ نَعْشَهُ إِلَى أَنْ وُورِيَ ، فَتَفَرَّقَتْ . وَمَكَثَ مُدَّةً بِبَلَنْسِيَةَ مُطَاعًا عَظِيمَ ٱلْقَدْرِ عِنْدَ ٱلسُّلْطَانِ وَٱلْعَامَّةِ .

وَذَكَرَ جُمَاهِرُ بْنُ عَبْدِ ٱلرَّحْمٰنِ[4] حَدِيثَ ٱلطَّيْرِ ، وَكَذَا ذَكَرَ ٱلْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ ٱلْقُبْشِيُّ[5] خَبَرَ ٱلطَّيْرِ ؛ قَالَ : وَكَانَ سِنُّهُ نَحْوَ ٱلثَّمَانِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مُجَابَ ٱلدَّعْوَةِ ، وَظَهَرَتْ فِي

---

(١) الخطاطيف جمع خطاف بضم الخاء في المفرد : طائر أسود يقال له زوار الهند وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة (٢) تجللت الجمع : أي عمت الجمع أو غطته وشملته (٣) أو (رافة) (٤) أبو بكر جماهر بن عبد الرحمن بن جماهر الحجري، من أهل طليطلة، رحل إلى المشرق حاجا سنة ٤٥٢ ، فأخذ عن علماء مكة ومصر وغيرهما، وكان فقيها عارفا مالكي المذهب حسن الخلق كثير التواضع سريع الجواب حاضر البديهة، توفي سنة ٤٦٦، عن ثمانين سنة . « أحمد يوسف نجاتي » (٥) أبو بكر الحسن بن محمد بن مفرج ابن حماد بن الحسين المعافري – يعرف بالقبشي – من أهل قرطبة ، روى عن أبي جعفر بن عون الله وغيره، وعني بالحديث وروايته عن الشيوخ وسماعه منهم وتقييد أخبارهم ، وجمع كتابا مفيدا سماه « الاحتفال في تاريخ أعلام

دَعْوَتِهِ ٱلْإِجَابَةُ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو ٱلدَّانِيُّ : إِنَّ وَفَاتَهُ يَوْمَ ٱلسَّبْتِ لِسَبْعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدُفِنَ يَوْمَ ٱلْأَحَدِ بِمَدِينَةِ بَلَنْسِيَةَ ، وَبَلَغَ نَحْوَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ سَنَةً . وَهُوَ آخِرُ ٱلْفُقَهَاءِ ٱلْحُفَّاظِ ٱلرَّاسِخِينَ ٱلْعَامِلِينَ بِٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ بِٱلْأَنْدَلُسِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ

***

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمْرُوسٍ ٱلْقُرْطُبِيُّ * محمد بن عمروس القرطبي

الرجال » فى أخبار الخلفاء والقضاة الفقهاء ، وألفه سنة ٤١٧ بمرسية ، وانتهى منه سنة ٤٢٠ وكان مولده سنة ٣٤٨ ، وتوفى بعد سنة ٤٣٠ ، وكان من أعلام علماء الأندلس . وممن يعول على قوله ، و يستحسن كلامه لبلاغته و براعته ، وإنما قيل له القبشى لسكناه غربى قرطبة بالقرب من عين قبش وفى الأصل « القبسى » وهو تصحيف ما أكثر نظائره فى هذا الأصل « أحمد يوسف نجاتى » .

* ترجم له فى كتاب الصلة لابن بشكوال « ج ٢ من المكتبة الأندلسية ص ٤٦٩ » بترجمه نذكرها وهى :

محمد بن عمروس بن العاصى من أهل قرطبة ، يكنى أبا عبد الله ، روى عن أبى عبد الله بن مفرج وغيره من شيوخ قرطبة ، ورحل الى المشرق وحج ، ودخل العراق وروى بها عن أبى بكر الأبهرى الفقيه لقيه ببغداد سنة تسع وستين وثلثمائة ، وروى عن أبى الحسن الدارقطنى ، وعن أبى

الحسن محمد بن المظفر الحافظ البغدادى، وأبى أحمد الحسين بن على التميمى النيسابورى، وكان قدم بغداد حاجا فى العام المذكور؛ وروى عن أبى بكر أحمد بن محمد بن العباس الاسفاطى بالبصرة وغيرهم. وأخذ بمصر عن أبى بكر بن اسماعيل وأبى على الحسن بن شعبان وغيرهما. وبالقيروان عن أبى محمد بن أبى زيد. وانصرف الى الأندلس، وشهر بالعلم. وكان موسرا، وتولى الأحباس بقرطبة. حدث عنه أبو عمر بن عبد البر وأبو عبد الله بن عابد وأثنى عليه وقال:

طالت صحبتى له، وكرمت مداخلتى اليه الى حين وفاته. وكان متمكنا من القاضى أبى العباس بن ذكوان مقدما فى المناظرة عنده، وكان معدودا من ذوى الفضل الراجح والحلم التام، مع العلم والانقباض ورقة أهل المشرق. وتوفى فى جمادى الآخرة سنة أربعمائة، ودفن بمقبرة ابن عباس، وصلى عليه القاضى ابن ذكوان (١).

(١) هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان، قاضى الجماعة بقرطبة وخطيبها، وآخر القضاة بها بعهد الجماعة، قلده قضاء الجماعة بقرطبة محمد بن أبى عامر بعهد الخليفة هشام ابن الحكم فى المحرم سنة ٣٩٢، ثم صرف عن القضاء والصلاة فى آخر سنة ٣٩٤ ثم أعيد الى تقلدهما، وصرف عنهما سنة ٤٠١ فلزم بيته مع علو منزلة، وعظم قدره، ووفرة جاهه، حتى توفى سنة ٤١٣ وحضر جنازته الخليفة يحيى بن على بن حمود، فقدم للصلاة عليه أخاه أبا حاتم — وكان مولده سنة ٣٤٢ رحمه الله تعالى. «أحمد يوسف نجاتى».

وَقَدِمَ مِصْرَ ، فَأَخَذَ بِهَا عَنِ ٱبْنِ ٱلْمُهَنْدِسِ[١] وَغَيْرِهِ ، وَحَجَّ وَدَخَلَ ٱلْعِرَاقَ، وَسَمِعَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ٱلْأَبْهَرِيِّ[٢] وَٱلدَّارَقُطْنِيِّ[٣] وَجَمَاعَةٍ ، وَعَادَ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَشُهِرَ بِالْعِلْمِ وَٱلْمَالِ ، وَوَلِيَ ٱلْأَحْبَاسَ[٤] بِقُرْطُبَةَ . حَدَّثَ عَنْهُ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِّ[٥] وَغَيْرُهُ . وَمَاتَ فِي جُمَادَى ٱلْآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ .

---

(١) هو أبو بكر بن المهندس أحمد بن محمد بن اسمعيل محدث ديار مصر. كان ثقة نقيا، روى عن البغوى وطبقته، وتوفى سنة ٣٨٥ «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) أبو بكر الأبهرى القاضى محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح بن عمر ابن حفص بن عمر بن مصعب بن الزبير بن سعد بن كعب بن عباد بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحرث « وهو مقاعس » بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم، الأبهرى التميمى المالكى الفقيه المحدث الجليل، شيخ المالكيين العراقيين، وصاحب التصانيف المفيدة. وكان مقدم أصحابه فى وقته ، ومن أهل الورع والزهد والعبادة ، دعى الى تولى القضاء ببغداد فامتنع منه ، ولد سنة ٢٨٩ وتوفى سنة ٣٧٥ «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) هو الحافظ الامام أبو الحسن على بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود البغدادى « نسبة الى دار القطن » محلة كانت ببغداد بالجانب الغربى» كان اماما جليلا ، انتهت اليه الرياسة فى الحديث وعلومه ، وكان يدعى فيه أمير المؤمنين ، وله مصنفات قيمة ، وكان أديبا بليغا تقيا ورعا، توفى سنة ٣٨٥ «أحمد يوسف نجاتى» (٤) الأحباس : أى الأوقاف (٥) سبق التعريف به

***

محمد بن عيسى ابن عبد الواحد المعافرى

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللّٰهِ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ عَبْدِ ٱلْوَاحِدِ ٱبْنِ نَجِيحٍ ٱلْمَعَافِرِيُّ ٱلْمَعْرُوفُ بِالْأَعْشَى ٱلْقُرْطُبِيُّ » رَحَلَ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَمِائَةٍ، فَسَمِعَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، وَوَكِيعَ ٱبْنَ ٱلْجَرَّاحِ، وَيَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ ٱلْقَطَّانَ، وَعَبْدَ ٱللّٰهِ بْنَ وَهْبٍ وَجَمَاعَةً. وَكَانَ ٱلْغَالِبُ عَلَيْهِ ٱلْحَدِيثَ وَرِوَايَةَ ٱلْآثَارِ. وَكَانَ صَالِحًا عَاقِلًا سَرِيًّا جَوَادًا، يَذْهَبُ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ(١)، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، ذَكَرَهُ ٱبْنُ يُونُسَ وَغَيْرُهُ.

***

محمد بن فطيس الغافقى

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللّٰهِ مُحَمَّدُ بْنُ فُطَيْسٍ* ٱلْغَافِقِيُّ ٱلْإِلْبِيرِيُّ ٱلزَّاهِدُ » قَالَ ٱلْحُمَيْدِيُّ فِي حَقِّهِ: هُوَ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَدِيثِ

(١) فى تاريخ علماء الأندلس « وكان يذهب فى الأشربة مذهب أهل العراق اذ كان علمه عراقيا، وكان رجلا عاقلا سريا جوادا، وكانت فيه دعابة. اهـ

* ترجم له فى تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى «ص ٣٣٨ ج ١» بترجمة مسهبة نختصرها بما يأتى:

محمـد بن فطيس بن واصل الغافقى من أهل إلبيرة، يكنى أباعبد الله.

وَالْحِفْظِ وَالْفَهْمِ وَالْبَحْثِ عَنِ الرِّجَالِ ، وَلَهُ رِحْلَةٌ سَمِعَ فِيهَا مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَمِنَ ابْنِ وَهْبٍ (١) ابْنِ أَخِي عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ ، وَغَيْرِهِمَا . وَرَوَى بِالْأَنْدَلُسِ عَنْ جَمَاعَةٍ ؛ مِنْهُمْ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ وَغَيْرِهَا مِنْ مِائَةِ شَيْخٍ . قَالَ ابْنُ الْفَرَضِيِّ : كَانَ

روى بالأندلس عن محمد بن أحمد العتبي وأبان بن عيسى بن دينار، ويحيى ابن عيسى بن مزين وغيرهم، ورحل الى المشرق سنة سبع وخمسين ومائتين، وتردد هناك، فسمع بمصر من يونس بن عبد الأعلى وكثير غيره، وسمع بمكة من أبي بكر عبد الله بن حمزة القرشي وكثير غيره ، وسمع بأطرابلس من أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي العجلي الحافظ الكوفي، وسمع بافريقية من أبي زكريا يحيي بن عون وأبي زيد عبد الرحمن بن محمد وغيرهما . قال لي محمد بن أحمد الالبيري : سمعت محمد بن فطيس يقول : لقيت في رحلتي نحوا من مائتي شيخ مارأيت فيهم مثل محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم . وكان محمد بن فطيس نبيلا ضابطا لكتبه، ثقة في روايته صدوقا في حديثه ، وكانت الرحلة اليه بالبيرة والى أحمد بن منصور، ثم مات أحمد بن منصور ، فانصرف بعلو الدرجة ورياسة الاسناد، وكان يقصد اليه للسماع منه بقرطبة وغيرها ، وتوفي محمد بن فطيس بحاضرة البيرة في شوال سنة تسع عشرة وثلثمائة ، أخبرني بذلك أبو محمد الباجي وغيره . وهو ابن تسعين سنة .

(١) هو أبو عبيد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب المصري المحدث روى الكثير عن عمه عبد الله بن وهب ، وتوفي سنة ٢٦٤ «أحمد يوسف نجاتي»

شَيْخًا(١) نَبِيلًا ضَابِطًا لِـكُتُبِهِ ، ثِقَةً فِي رِوَايَتِهِ ، صَدُوقًا فِي حَدِيثِهِ ، وَكَانَتِ الرِّحْلَةُ إِلَيْهِ بِإِلْبِيرَةَ ، وَبِهَا مَاتَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَثَلَثِمِائَةٍ ـ وَهُوَ ابْنُ تِسْعِينَ سَنَةً ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ .

***

« وَمِنْهُمْ أَبُوعَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمِ ابْنِ مُحَمَّدِبْنِ سَيَّارٍ الْقُرْطُبِيُّ » مِنْ مَوَالِي بَنِي أُمَيَّةَ ،سَمِعَ مِنْ أَبِيهِ وَمِنْ بَقِيِّ بْنِ مَخْلَدٍ وَغَيْرِهِ . وَرَحَلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنَ النَّسَائِيِّ ، وَمِنْ أَحْمَدَ بْنِ حَمَّادِ بْنِ زُغْبَةَ(٢) وَسَمِعَ بِمَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَبَغْدَادَ وَدِمْيَاطَ محمد بن قاسم ابن سيار

(١) فى الأصل « شيخنا » والذى قاله ابن الفرضى : وكان محمد بن فطيس نبيلا . . . فزيادة « شيخنا » زيادة مفسدة ، لأنه يوهم أن صاحب الترجمة شيخ لابن الفرضى ، مع أن ابن الفرضى ولد سنة ٣٥١ بعد وفاة ابن فطيس بنحو ثلث قرن ، وتوفى ابن الفرضى سنة ٤٠٣ ولهذا جعلنا « شيخنا » مصحفة بالزيادة عن « شيخا » وان لم يكن فى ابن الفرضى شيء من هاتين الكلمتين « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو أحمد بن حماد بن مسلم « ويقال حماد زغبة » التجيبى ، توفى بمصر سنة ٢٩٦ وأخوه عيسى بن حماد زغبة التجيبي مولاهم المصرى كان راوية الليث بن سعد ، توفى بمصر سنة ٢٤٨ ــ وفى الأصل « رغبة » مصحفة عن « زغبة » « أحمد يوسف نجاتى »

وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَالْقَيْرَوَانِ مِنْ مِائَةٍ وَسِتِّينَ رَجُلًا ، قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْبَاجِيُّ : لَمْ أُدْرِكْ بِقُرْطُبَةَ أَكْثَرَ حَدِيثًا مِنْهُ ، وَكَانَ عَالِمًا بِالْفِقْهِ ، مُتَقَدِّمًا فِي عِلْمِ الْوَثَائِقِ رَأْسًا فِيهَا ، وَكَانَ مُشَاوَرًا « مِنْ أَوَّلِ أَيَّامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ » وَسَمِعَ مِنْهُ النَّاسُ كَثِيرًا ، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا . وَغَزَا سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ[1] ، وَمَاتَ ثَالِثَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْهَا ، وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَقِيلَ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، قَالَهُ ابْنُ يُونُسَ وَالْحُمَيْدِيُّ .

***

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمٍ الْقُرَشِيُّ الْفِهْرِيُّ » عُرِفَ بِابْنِ رُمَّانَ الْغَرْنَاطِيِّ ، قَرَأَ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِهَا[2] ، وَقَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ محمد بن قاسم القرشي الفهري

(١) هي غزوة الخندق، وتقدم القول فيها، واعتل المترجم في منصرفه منها

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم الثقفي بن كعب بن مالك بن علقمة بن حباب بن مسلم بن عدى بن مرة بن عوف بن ثقيف ، وكعب جده أصله من مدينة جيان منزل قنسرين من العرب الداخلين إلى الأندلس ، ولما تغلب العدو على جيان سنة ٦٤٣ خرج إبراهيم بن الزبير بابنه أحمد

وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

فُدِيتُمْ خَبِّرُونِى كَيْفَ صَحَّتْ
فَرِيضَةُ هَالِكٍ مِنْ غَيْرِ مَيْنِ(١)

لِزَيْدٍ زَوْجَةٌ وَلَهَا ابْنُ أُمٍّ
فَمَاتَتْ عَنْهُمَا لَا غَيْرَ ذَيْنِ

فَحَازَ الْبَعْلُ مَا تَرَكَتْهُ إِرْثًا
وَوَلَّى غَيْرُهُ صِفْرَ الْيَدَيْنِ

أبي جعفر إلى بعض مدن الأندلس حتى ألقوا عصا التسيار بمدينة غرناطة ، وكان أبو جعفر بن الزبير فى عصره خاتمة المحدثين ، وصدور العلماء والمقرئين ، عارفا بالله تقيا صليبا فى الحق ، شديدا على أهل البدع مهيبا موقرا ، عذب الفاكهة طيب المجالسة ، وانتهت اليه الرياسة بالأندلس فى علوم العربية وتجويد القرآن الكريم ورواية الحديث الى المشاركة فى الفقه والقيام على التفسير وغير ذلك ، ومن تأليفه كتاب صلة الصلة لابن بشكوال ، وقد وصله لسان الدين بن الخطيب بكتاب له سماه «عائد الصلة» وصل فيه الى عصره ، ونالت ابن الزبير محنة بمالقة ثم بغرناطة ، الى أن تخلص من سرارها فعاد الى جاهه ونبله ، وكان مولده ببلدة جيان سنة ٦٢٧ ، وتوفى بغرناطة سنة ٧٠٨ ورثاه طائفة من طلبته وأولى العلم فيها « أحمد يوسف نجاتى » . (١) المين : الكذب

وَلَا رِقٌّ - فُدِيتَ - عَلَى أَخِيهَا
وَلَيْسَ بِكَافِرٍ يُرْمَى بِشَيْنِ(١)
وَلَيْسَ مُعَجِّلًا إِرْثًا بِقَتْلٍ
مَخَافَةَ أَنْ يَنَالَ شَقَاوَتَيْنِ

***

« وَمِنْهُمْ » أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أُبٍّ الشَّاطِبِيُّ ، حَدَّثَ بِالْقَاهِرَةِ، وَتُوُفِّيَ قَرِيبًا مِنْ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ،وَهُوَ أَحَدُ أَصْحَابِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاغِ(٢) . وَمِنْ كَلَامِهِ : اشْتِغَالُكَ بِوَقْتٍ لَمْ يَأْتِ تَضْيِيعٌ لِلْوَقْتِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ . وَلَعَمْرِي لَقَدْ صَدَقَ . محمد بن اب الشاطبي

(١) الشين : النقيصة والعيب (٢) هو أبو الحسن على بن حميد الصعيدى بن الصباغ القدوة العارف ، صحب الشيخ عبد الرحيم القناوى وتخرج به ، وكان والده صباغا ،وكان يعيب عليه عدم معاونته له وانقطاعه الى أهل التصوف، حتى ظهر منه ماأقنع أباه بحسن طريقته ، وكانت له مناقب مشهورة،وانتفع به خلق كثير. وتوفى سنة ٦١٢ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى » .

***

محمد بن سراقة الشاطبي

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُرَاقَةَ ٱلشَّاطِبِيُّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ سُرَاقَةَ مُحْيِي ٱلدِّينِ — وَيُكَنَّى أَيْضًا أَبَا ٱلْقَاسِمِ وَأَبَا بَكْرٍ — ٱلْأَنْصَارِيُّ ٱلشَّاطِبِيُّ ٱلْمَالِكِيُّ »

وُلِدَ بِشَاطِبَةَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَسَمِعَ مِنْ أَبِي ٱلْقَاسِمِ بْنِ بَقِيٍّ . وَرَحَلَ فِي طَلَبِ ٱلْحَدِيثِ ، فَسَمِعَ بِبَغْدَادَ مِنَ ٱلشَّيْخِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ ٱلسُّهْرَوَرْدِيِّ[1] ، وَأَبِي طَالِبٍ ٱلْقُبَّيْطِيِّ[2] وَأَبِي جَعْفَرٍ ٱلدِّينَوَرِيِّ وَجَمَاعَةٍ ، وَسَمِعَ

---

(١) شهاب الدين السهروردى شيخ العارفين عمر بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن عمويه التيمى البكرى الصوفى الشافعى ، ولد سنة ٥٣٩ بمدينة سهرورد « بلدة قريبة من زنجان بالجبال » وقدم بغداد فتفقه وتفنن فى العلوم والمعارف، ومازال يدأب على الطاعة والتمسك بحبل الدين المتين حتى انتهت اليه تربية المريدين ومشيخة العراق، فكان أستاذ وقته فى علم الحقيقة ، وصنف تآليف نافعة، منها كتاب عوارف المعارف فى بيان طريقة القوم وأحوالهم ، ونفقت سوقه بمدينة بغداد، ووعظ الناس وتقدم عند أمير المؤمنين الناصر لدين الله حتى جعله مقدما على شيوخ بغداد ، وأرسله فى الرسائل المعظمة، ومازال وجيها عنده وعند الناس حتى توفى سنة ٦٣٢ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى » (٢) فى الأصل « الغبيطى » وهو تصحيف . وهو أبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن على القبيطى ، توفى سنة ٦٤١ عن ٨٦ سنة « أحمد يوسف نجاتى »

بِحَلَبَ مِنَ ٱبْنِ شَدَّادٍ[١] وَغَيْرِهِ ، وَتَوَلَّى مَشْيَخَةَ ٱلْبَهْلَوِيَّةِ بِحَلَبَ ، ثُمَّ قَدِمَ مِصْرَ ، وَتَوَلَّى مَشْيَخَةَ دَارِ ٱلْحَدِيثِ ٱلْكَامِلِيَّةِ[٢] بِالْقَاهِرَةِ بَعْدَ وَفَاةِ ٱبْنِ سَهْلٍ ٱلْقَصْرِيِّ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ ٱلْمُقَطَّمِ ، وَكَانَ ٱلْجَمْعُ كَبِيرًا . وَهُوَ أَحَدُ ٱلْأَئِمَّةِ

---

(١) هو القاضى العلامة بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة ابن محمد بن عتاب الأسدى الشافعى المشهور بابن شداد قاضى حلب، توفى أبوه وهو صغير السن، فنشأ عند أخواله بنى شداد فنسب اليهم، وكان شداد جده لأمه . ولد بالموصل سنة ٥٣٩ واشتغل بتلقى العلوم المختلفة حتى نشأ نابغة جليل القدر، ثم اتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٤ وصدق فى خدمته، فرفع منزلته حتى كان بيده حل الأمور وعقدها ، وتوفى بحلب سنة ٦٣٢ «أحمد يوسف نجاتى» (٢) دار الحديث الكاملية كانت هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة، أنشأها الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب سنة ٦٢٢ ووقفها على المشتغلين بالأحاديث الشريفة، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ، وكان أول شيخ لها أبو الخطاب بن دحية «عمر بن حسن بن على بن محمد بن فرج بن خلف الأندلسى — وتقدم التعريف به» المتوفى سنة ٦٣٣ — وقد جدد بعض هذه المدرسة الأمير حسن كتخدا مستحفظان الشعراوى، ويؤخذ من الكتابة المنقوشة على بابها أن ذلك كان سنة ١١٦٦ هـ وترى هذه المدرسة باقية الى الآن بشارع بين القصرين بجوار جامع السلطان برقوق من جهة الشمال ، وهى معروفة باسم جامع الكامل «أحمد يوسف نجاتى»

الْمَشْهُورِينَ بِغَزَارَةِ الْفَضْلِ، وَكَثْرَةِ الْعِلْمِ وَالْجَلَالَةِ وَالنُّبْلِ، وَأَحَدُ مَشَايِخِ الصُّوفِيَّةِ، لَهُ فِي ذَلِكَ إِشَارَاتٌ لَطِيفَةٌ، مَعَ الدِّينِ وَالْعَفَافِ وَالْبِشْرِ وَالْوَقَارِ، وَالْمَعْرِفَةِ الْجَيِّدَةِ بِمَعَانِي الشِّعْرِ. وَكَانَ صَالِحَ الْفِكْرَةِ فِي حَلِّ التَّرَاجِمِ، مَعَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ مِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَاطِّرَاحِ التَّكَلُّفِ وَرِقَّةِ الطَّبْعِ وَلِينِ الْجَانِبِ. وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ:

نَصِبْتُ، وَمِثْلِي لِلْمَكَارِمِ يَنْصَبُ
وَرُمْتُ شُرُوقَ الشَّمْسِ وَهِيَ تُغَرِّبُ(١)
وَحَاوَلْتُ إِحْيَاءَ النُّفُوسِ بِأَسْرِهَا
وَقَدْ غَرْغَرَتْ(٢)، يَا بُعْدَ مَا أَنَا أَطْلُبُ!
وَأَتْعَبُ أَنْ لَمْ تُمْنَحِ الْخَلْقُ رَاحَةً
وَغَيْرِي إِنْ لَمْ تَتْعَبِ الْخَلْقُ يَتْعَبُ
مُرَادِي شَيْءٌ، وَالْمَقَادِيرُ غَيْرُهُ
وَمَنْ عَانَدَ الْأَقْدَارَ -لَا شَكَّ- يُغْلَبُ

وَقَوْلُهُ:

(١) النصب: التعب وبذل الجهد فى العمل (٢) غرغر: إذا جاد بنفسه عند

إِلَى كَمْ أُمَنِّي ٱلنَّفْسَ مَا لَا تَنَالُهُ
فَيَذْهَبَ عُمْرِي وَٱلْأَمَانِيُّ لَا تُقْضَى ؟!
وَقَدْ مَرَّ لِي خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حِجَّةً
وَلَمْ أَرْضَ فِيهَا عِيشَتِي ، فَمَتَى أَرْضَى ؟!
وَأَعْلَمُ أَنِّي - وَٱلثَّلَاثُونَ مُدَّتِي -
حَرٍ بِغَانِي ٱللَّهْوِ أُوسِعُهَا رَفْضَا(١)
فَمَاذَا عَسَى فِي هٰذِهِ ٱلْخَمْسِ أَرْتَجِي
وَوَجْدِي إِلَى أَوْبٍ مِنَ ٱلْعَشْرِ قَدْ أَفْضَى(٢) ؟!
فَيَارَبِّ عَجِّلْ لِي حَيَـاةً لَذِيذَةً
وَإِلَّا فَبَادِرْ بِي إِلَى ٱلْعَمَلِ ٱلْأَرْضَى

وَقَالَ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى :

وَصَاحِبٍ كَالزُّلَالِ(٣) يَمْحُو صَفَاؤُهُ ٱلشَّكَّ بِالْيَقِينِ
لَمْ يُحْصِ إِلَّا ٱلْجَمِيـلَ مِنِّي كَأَنَّهُ كَاتِبُ ٱلْيَمِينِ

---

(١) حر : أى جدير وحقيق الموت ، والغرغرة تردد الروح فى الحلق
(٢) الأوب : العود والرجوع ، وأفضى إلى الشيء : إذا انتهى إليه (٣) الماء الصافى العذب . « أحمد يوسف نجاتى »

وَهٰذَا عَكْسُ قَوْلِ الْمَنَازِيِّ(١) :

وَصَاحِبٍ خِلْتُهُ خَلِيلًا   وَمَا جَرَى غَدْرُهُ بِبَالِي
لَمْ يُحْصِ إِلَّا الْقَبِيحَ مِنِّي   كَأَنَّهُ كَاتِبُ الشِّمَالِ

***

محمد بن أحمد الفريشى

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْفِرِّيشِيُّ » بِكَسْرِ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ بَعْدَهَا شِينٌ مُعْجَمَةٌ ـ نِسْبَةً إِلَى فِرِّيشَ إِحْدَى مَدَائِنِ قُرْطُبَةَ(٢). وُلِدَ بِغَرْنَاطَةَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَرَأَ بِالرِّوَايَاتِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ غَالِبٍ(٣)، وَسَمِعَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَشْكُوَالَ(٤) وَغَيْرِهِ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ، وَحَدَّثَ بِمِصْرَ، وَعَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، فَمَاتَ بِقُرْطُبَةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ. وَكَانَ مَشْهُورًا

---

(١) أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازى الكاتب، كان من أعيان الفضلاء، وأماثل الشعراء، وزر لأبى نصر أحمد بن مروان الكردى صاحب ميافارقين وديار بكر، وكان فاضلا وشاعرا مجيدا، وتوفى سنة ٤٣٧ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) ضبطها ياقوت بكسر الفاء والراء وقال إنها غربى لخص البلوط بين الجوف والغرب من قرطبة وأكثر انحرافها إلى الغرب، يكون بها الرخام الأبيض الجيد، وفيها البندق الكثير والشجر، وبها معادن الحديد، ولها رستاق فيه قرى، ينسب إليها خلف بن يسار الفريشى محدث. توفى سنة ٣٢٧ (٣) تقدم التعريف به (٤) سبقت ترجمته

بِالصَّلَاحِ ، مَعْرُوفًا بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، وَرِعًا ثِقَةً زَاهِدًا فَاضِلًا ، — رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى — .

***

محمد بن محمد ابن خيرون

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللّٰهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ خَيْرُونَ* ، وَقِيلَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ خَيْرُونَ » أَنْدَلُسِيٌّ سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ

* ترجم له فى تكملة الصلة « ج ١ ص ٩٥ » بما يأتى :

محمد بن عمر بن خيرون المعافرى أندلسى سكن القيروان، يكنى أباعبد الله أخذ القراءات عرضا عن أبى بكر عبد الله بن مالك بن سيف ، وإسماعيل بن عبد الله النحاس ، ومحمد بن سعيد الأنماطى،وعبيد بن محمد المعروف برجاء،وسمع من عيسى بن مسكين (١) وكان اماما فى قراءة نافع رواية عثمان بن سعيد ، ثقة مأمونا،قدم القيروان واستوطنها،وأقرأ بها فى مسجده المنسوب اليه بالزيادية ، وكان يأخذ أخذا شديدا على مذهب المشيخة من أصحاب ورش .

روى القراءةعنهعامةأهل القيروانوسائر المغرب،فممن اشتهر بالنقل عنه ابناه محمد وعلى ، وأبو جعفر أحمد بن بكر ، وأبو بكر الهوارى المعلم ، وعبدالحكم بن ابراهيم،وعلى بن أحمدالبجانى . توفى بمدينة سوسة ـ وكان قد أوطنها ـ يوم الاثنين للنصف من شعبان سنة ٣٠٦ سنة ست وثلثمائة ذكره أبو عمرو المقرى. وذكر ابن الفرضى ـ محمد بن محمد بن خيرون

(١) عيسى بن مسكين قاضى القيروان وفقيه المغرب ، أخذ عن سحنون وبمصر عن الحرث بن مسكين ، وكان إماما ورعا خاشعا متمكنا من الفقه والآثار ، أكرهه ابن الأغلب أمير إفريقيه على القضاء،فولى ولم يأخذ عليه رزقا ، وتوفى سنة ٢٩٥ . « أحمد يوسف نجاتى » .

وكناه أبا جعفر ، وسماه فى الغرباء ، وحكى ماحكاه أبو عمر فى وفاة هذا وغير ذلك . ولا أدرى من المصيب منهما . وذكره أيضا عتيق بن خلف القيروانى فى كتاب الافتخار من تأليفه وقال: كان ثقة كريم الأخلاق سمح النفس إماما فى القراءات، أول من قدم بتحقيق قراءة نافع ، وكان قد حج ، وسمع من عيسى بن مسكين الحديث ، قرىء عليه بالقيروان وسوسة إذ أوطنها ، وكان واحد أئمة زمانه فى علم القرآن .

وقال ابن الفرضى فى تاريخ علماء الأندلس : محمد بن محمد بن خيرون القروى ،يكنى أباجعفر ، قال لنا أبو محمد الباجى قال قال لنا محمد بن قاسم: محمد بن محمد بن خيرون أبو جعفر كتبت عنه بالقيروان،وقد دخل الأندلس ، وكتبت عنه بقرطبة أيضا ، وأخبرنا عبد الله بن محمد التاجر قال قال انا حسين الأبزارى بالقيروان : محمد بن محمد بن خيرون المقرىء من أهل الأندلس، كان رجلا صالحا فاضلا كريم الأخلاق إماما فى القرآن مشهورا بذلك ، قدم بقراءة نافع على أهل إفريقية، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع الا الخواص، حتى قدم ابن خيرون فاجتمع اليه ، ورحل اليه أهل القيروان من الآفاق .قرأ بمصر على محمد الأنماطى وأبى بكر أحمد بن يوسف المقرى وعبيد بن رجاء وأبى الحسن إسمعيل بن أبى يعقوب الأزرق المزنى ـ وكان رفيقا لورش(١)ـ عن ورش ، وسمع محمد بن خيرون من عيسى بن مسكين ، وتوفى رحمه الله بمدينة سوسة . أظنه أراد أن أصله من الأندلس ، وقد حدث عنه محمد بن قاسم بكتاب أبى جعفر محمد بن الحسين البغدادى فى الرجال . اهـ

---

(١) كذا فى أصله ، والمعروف أن ورش بن سعيد توفى سنة ١٩٧ . وورش لقب أبى سعيد عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو بن سليمان ابن إبراهيم القرشى مولاهم المصرى المقرىء ولد سنة ١٠١ ورحل الى المدينة فقرأ على نافع سنة ١٥٥ ورجع الى مصر فانتهت اليه الرياسة،وبها توفى سنة ١٩٧ « أحمد يوسف نجاتى » .

وَرَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ ، وَأَخَذَ ٱلْقِرَاءَاتِ بِمِصْرَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ ٱلْأَنْمَاطِيِّ وَغَيْرِهِ ؛ كَعَبْدِ ٱللهِ بْنِ رَجَاءٍ ، وَأَبِي ٱلْحَسَنِ أَبْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ يَعْقُوبَ ٱلْأَزْرَقِ ٱلْمَدَنِيِّ(١)، وَدَخَلَ ٱلْعِرَاقَ وَسَمِعَ بِهِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيِّ بْنِ ٱلْمَدَنِيِّ وَيَحْيَى بْنِ مَعِينٍ(٢) ، وَعَادَ إِلَى ٱلْقَيْرَوَانِ، وَسَمِعَ بِهَا وَبِقُرْطُبَةَ ، وَقَدِمَ بِقِرَاءَةِ نَافِعٍ عَلَى أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَكَانَ ٱلْغَالِبَ عَلَى قِرَاءَتِهِمْ حَرْفُ حَمْزَةَ ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ بِحَرْفِ نَافِعٍ إِلَّا ٱلْخَوَاصُّ ، حَتَّى قَدِمَ بِهَا فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسُ، وَرَحَلَ إِلَيْهِ أَهْلُ ٱلْقَيْرَوَانِ مِنَ ٱلْآفَاقِ ، وَكَانَ يَأْخُذُ أَخْذًا شَدِيدًا عَلَى مَذْهَبِ ٱلْمَشْيَخَةِ مِنْ أَصْحَابِ وَرْشٍ. وَتُوُفِّيَ بِشَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلٰثِمِائَةٍ(٣) ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا فَاضِلًا كَرِيمَ ٱلْأَخْلَاقِ ، إِمَامًا فِي ٱلْقِرَاءَاتِ ، مَشْهُورًا بِذَلِكَ ثِقَةً مَأْمُونًا وَاحِدَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأَثْبَتَهُمْ فِي عِلْمِ ٱلْقُرْآنِ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ .

---

(١) كذا بالأصل وفى ابن الفرضى « المزنى » وأبو بكر يوسف بن يعقوب التنوخى الأزرق توفى سنة ٣٢٩ (٢) توفى الامام الحافظ يحى بن معين سنة ٢٣٣ (٣) فى الأصل ٣٥٦ ورأينا أن رقم ٥ فتح مستديرا عن « صفر » فخالف العدد ما أجمع عليه المؤرخون، كما ترى فى المنقول عن ابن الفرضى وعن الصلة لابن بشكوال ، وممن أخذ عنه ابن خيرون عيسى بن مسكين وكانت وفاته سنة ٢٩٥ « أحمد يوسف نجاتى »

***

محمد بن صابر ابن بندر المالقى

« وَمِنْهُمْ ضِيَاءُ ٱلدِّينِ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَابِرِ ٱبْنِ بُنْدَارَ ٱلْقَيْسِيُّ ٱلْأَنْدَلُسِيُّ ٱلْمَالَقِيُّ » وُلِدَ بِمَالَقَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَسَمِعَ ٱلْكَثِيرَ، وَقَدِمَ ٱلْقَاهِرَةَ حَاجًّا فَسَمِعَ بِهَا وَبِدِمَشْقَ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ كَثِيرًا، وَكَانَ سَرِيعَ ٱلْكِتَابَةِ سَرِيعَ ٱلْقِرَاءَةِ، كَثِيرَ ٱلْفَوَائِدِ، دَيِّنًا خَيِّرًا فَاضِلا. لَهُ مُشَارَكَةٌ جَيِّدَةٌ فِي عِدَّةِ عُلُومٍ. تُوُفِّيَ شَابًّا بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ.

***

محمد الزهرى المعروف بابن محرز

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ ٱلزُّهْرِيُّ ٱلْمَعْرُوفُ بِابْنِ مُحْرِزٍ ٱلْبَلَنْسِيُّ[(١)] » وُلِدَ بِهَا سَنَةَ تِسْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَدِمَ مِصْرَ، فَسَمِعَ ٱبْنَ ٱلْمُفَضَّلِ[(٢)] وَغَيْرَهُ، وَرَوَى عَنْهُ جَمَاعَةٌ. وَكَانَ أَحَدَ رِجَالِ ٱلْكَمَالِ عِلْمًا وَإِدْرَاكًا وَفَصَاحَةً وَحِفْظًا لِلْفِقْهِ

---

(١) هو أبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن سليمان الزهرى، وكان بيتهم قديما يعرف بابن القح ـ ولد سنة ٥٦٩ وقد كان بالأصل ٥٢٩ ورقم « ٢ » محرف عن ٦، وتوفى سنة ٦٥٥ عن ٨٦ سنة. « أحمد يوسف نجاتى » (٢) فى الأصل « الفضل » وهو تحريف

وَتَفَنُّنًا فِي الْعُلُومِ وَمَتَانَةً فِي الْآدَابِ ، حَافِظًا لِلُّغَةِ وَالْغَرِيبِ ، وَلَهُ شِعْرٌ رَائِقٌ وَدِينٌ مَتِينٌ . وَأَخَذَ النَّاسُ عَنْهُ بِبَلَدِهِ وَبِمُرْسِيَةَ وَإِشْبِيلِيَةَ وَمَالَقَةَ وَغَرْنَاطَةَ فِي اجْتِيَازِهِ عَلَيْهَا وَبِغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ ، وَعَلَا صِيتُهُ ، وَعُرِفَ بِالدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْفَضْلِ ، وَكَانَ أَبُو الْخَطَّابِ يُثْنِي عَلَى عِلْمِهِ وَدِينِهِ . تُوُفِّيَ بِبِجَايَةَ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ[1] عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — .

***

« وَمِنَ الرَّاحِلِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ » . أبو الوليد الباجى

الْقَاضِي أَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِيُّ[2] صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ

وابن المفضل هو الامام شرف الدين أبو الحسن على بن المفضل بن على اللخمى المقدسى ثم الاسكندرى الحافظ المفتى الفقيه المالكى، ولد سنة ٥٤٤ وسكن أواخر عمره بمصر وتوفى بها سنة ٦١١. « أحمد يوسف نجاتى ».

(١) وأبوه أبو عبدالله محمد بن أحمد كان له حظ من الفقه والقراءات، وأخذ عنه ابنه هذا ، ولد سنة ٥٢٧ وتوفى سنة ٦٠٥ «أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجى — نسبة الى باجة مدينة بالأندلس . وهو فقيه محدث إمام متقدم مشهور عالم متكلم، كان علم عصره علما وديانة، وأحد أئمة المسلمين حديثا وفقها ،وأمه

وَقَالَ ابْنُ مَا كُولَا(١) فِي حَقِّهِ : إِنَّهُ فَقِيهٌ مُتَكَلِّمٌ أَدِيبٌ شَاعِرٌ، سَمِعَ بِالْعِرَاقِ، وَدَرَسَ الْكَلَامَ، وَصَنَّفَ إِلَى أَنْ مَاتَ. وَكَانَ جَلِيلًا رَفِيعَ الْقَدْرِ وَالْخَطَرِ. وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ: إِنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَارْتَحَلَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَجَاوَرَ ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ مُلَازِمًا لِأَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ الْحَافِظِ يَخْدُمُهُ، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ وَدِمَشْقَ، وَلَقِيَ فِي رِحْلَتِهِ

ابنة الفقيه محمد بن موهب، وخاله أبو شاكر (١) هو الأمير أبو نصر علي ابن هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي الجرباذماني ثم البغدادي الحافظ من بيت الوزارة والقضاء، ولد سنة ٤٢١ بعكبراء، وقتل بالأهواز أو بجرجان سنة ٤٨٧ وهو ذلك الامام الحافظ الكبير النسابة، كان لبيبا عارفا ونحويا مجودا وشاعرا مبرزا. وكان أحد الفضلاء المشهورين، تتبع الألفاظ المشتبهة في الأسماء الأعلام وجمع منها شيئا كثيرا، وله كتاب في ذلك سماه الاكمال، وهو في غاية الافادة في رفع الالتباس والضبط والتقييد، ولقد أحسن فيه غاية الاحسان، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه وإتقانه. وكان أميرا جوادا سريا، مدحه الشاعر المشهور المعروف بصردر، وحسبه شرفا أنه من نسل الأمير الجواد والقائد الشجاع الأديب أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير العجلي، ووزر أبوه أبو القاسم هبة الله للامام القائم بأمر الله، وتولى عمه أبو عبد الله الحسن بن علي قضاء بغداد. ولابن ماكولا المصنفات النافعة والكتب القيمة، رحمه الله تعالى. « أحمد يوسف نجاتي ».

غَيْرَ وَاحِدٍ ، وَتَفَقَّهَ بِالْقَاضِي أَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ (١) وَغَيْرِهِ .
وَقَالَ أَبُو عَلِيِّ بْنُ سُكَّرَةَ (٢) : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ أَبِي الْوَلِيدِ
الْبَاجِيِّ ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا عَلَى هَيْئَتِهِ وَسَمْتِهِ وَتَوْقِيرِ
مَجْلِسِهِ ، وَلَمَّا كُنْتُ بِبَغْدَادَ قَدِمَ وَلَدُهُ أَبُو الْقَاسِمِ (٣) ،
فَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى شَيْخِنَا قَاضِي الْقُضَاةِ الشَّاشِيِّ (٤) ، فَقُلْتُ
لَهُ : ــ أَدَامَ اللهُ تَعَالَى عِزَّكَ ــ هَذَا ابْنُ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ ،

---

(١) هو الامام طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبرى القاضى شيخ الشافعية فى عصره ، كان ثقة صادقا أديبا ورعا حسن الخلق سليم دواعى الصدر ، ولد سنة ٣٤٨ وتوفى سنة ٤٥٠ ببغداد « أحمد يوسف نجاتى ».

(٢) هو الامام القاضى المحدث حسين بن محمد بن حيون الصدفى السرقسطى كان شاعرا محدثا زاهدا كثير الرواية، رحل الى المشرق وأخذ عن فضلائه، وعاد فلم يكن بشرق الاندلس مثله فى وقته فى تقييد الحديث وضبطه والعلو فى روايته . مع دينه وفضله وورعه وزهده . توفى سنة ٥١٤ .
« أحمد يوسف نجاتى » .

(٣) هو أحمد بن سليمان سكن سرقسطة وغيرها . وأصله من قرطبة. روى عن أبيه معظم روايته وتآليفه، وخلف أباه فى حلقته بعد وفاته، وأخذ عنه أصحاب أبيه بعده . وكان فاضلا دينا، من أفهم الناس وأعلمهم ، وله تآليف حسان تدل على حذقه ونبله. وتوفى سنة ٤٩٣ « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) أبو بكر الشاشى محمد بن على بن حامد شيخ الشافعية وصاحب المصنفات المليحة الفقيه الحافظ المحدث، ولد سنة ٣٩٧ وكان يدرس بالمدرسة النظامية ، وتوفى سنة ٤٨٥ « أحمد يوسف نجاتى » .

فَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ الْبَاجِيِّ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ .
قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : وَكَثُرَتِ الْقَالَةُ فِي الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ لِمُدَاخَلَتِهِ الرُّؤَسَاءَ ، وَوَلِيَ قَضَاءَ أَمَاكِنَ تَصْغُرُ عَنْ قَدْرِهِ ، وَكَانَ يَبْعَثُ إِلَى تِلْكَ النَّوَاحِي خُلَفَاءَهُ ، وَرُبَّمَا أَتَاهَا الْمَرَّةَ وَنَحْوَهَا ، وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مُقِلًّا حَتَّى احْتَاجَ إِلَى الْقَصْدِ بِشِعْرِهِ ، وَاسْتَأْجَرَ نَفْسَهُ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِبَغْدَادَ - فِيمَا سَمِعْتُهُ مُسْتَفِيضًا - لِحِرَاسَةِ دَرْبٍ ، وَقَدْ جَمَعَ ابْنُهُ شِعْرَهُ . قَالَ : وَلَمَّا قَدِمَ الْأَنْدَلُسَ وَجَدَ لِكَلَامِ ابْنِ حَزْمٍ طَلَاوَةً إِلَّا أَنَّهُ كَانَ خَارِجًا عَنِ الْمَذْهَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْأَنْدَلُسِ مَنْ يَشْتَغِلُ بِعِلْمِهِ ، فَقَصُرَتْ أَلْسِنَةُ الْفُقَهَاءِ عَنْ مُجَادَلَتِهِ وَكَلَامِهِ ، وَاتَّبَعَهُ عَلَى رَأْيِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ ، وَحَلَّ بِجَزِيرَةِ مَيُورَقَةَ ، فَرَأَسَ فِيهَا ، وَاتَّبَعَهُ أَهْلُهَا ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو الْوَلِيدِ كَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَنَاظَرَهُ ، وَشَهَّرَ بَاطِلَهُ ، وَلَهُ مَعَهُ مَجَالِسُ كَثِيرَةٌ . وَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو الْوَلِيدِ فِي حَدِيثِ الْكِتَابَةِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ الَّذِي فِي الْبُخَارِيِّ قَالَ بِظَاهِرِ

لَفْظِهِ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّائِغُ وَكَفَّرَهُ بِإِجَازَةِ الْكَتْبِ (١) عَلَى الرَّسُولِ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) الكتب مصدر كتب أى الكتابة ـ وكانت هـذه القصة سنة ست من الهجرة . ففيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا فى شهر ذى القعدة لايريد حربا،وقد استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب أن يخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلموا أنه إنما جاء زائرا للبيت الحرام معظما له ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر ابن سفيان الكعبى فقال له: يارسول الله هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ،وقد نزلوا بذى طوى يحلفون بالله لاتدخلها عليهم أبدا ، ولما انتهى إلى ذى الحليفة ومعه الهدى يسوقه قال له عمر : يارسول الله تدخل على قوم هم لك حرب بغير سلاح ولا كراع ؟!فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حمله ، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل ، فسار حتى أتى منى ، فنزل بمنى ، فبلغه أن عكرمة بن أبى جهل قد خرج عليه فى خمسمائة ، فهزموه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ياويح قريش قد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ! فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » ثم أمر الناس فسلكوا فى طريق غير طريق قريش على مهبط الحديبية من أسفل مكة ، وتردد بعض رسل قريش إليه ـ وكان منهم من لايرى

أن يصدوا عن بيت الله من جاءه زائرا معظما له ـ حتى بعثوا إليه صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو فى نفر من قريش ليصالحوه ، فأمر النبى أصحابه فبعثوا الهدى وأظهروا التلبية ، فلبوا من نواحى العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية ، فجاءوا وسألوه الصلح ، وتوادع الناس . وكانت قريش لما بعثت سهيل بن عمرو « أخا بنى عامر بن لؤى » قالوا له : ايت محمدا فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة أبدا . ثم جرى بينهما الصلح ، ودعا النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو الخ ويروى أنه قال لعلى امح رسول الله ، قال : لا ، والله لا أمحاك أبدا ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وليس يحسن أن يكتب ـ فكتب مكان رسول الله « محمد » ابن عبد الله . وفى البخارى أنه كتب وهو لا يحسن الكتابة ، فتوهم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة فى تلك الساعة خاصة « وظن بعض الناس أنه كتب بيده » وقال هى آية ، ولكن يقال لمن ظن ذلك : إنها إنما تكون آية لو لم تكن مناقضة لآية أخرى وهى كونه أميا لا يكتب ، وبكونه أميا فى أمة أمية قامت الحجة وأفحم الجاحد وانحسمت الشبهة قال تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون » فكيف يطلق الله يده بالكتابة لتكون آية؟! وإنما الآية ألا يكتب ، والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضا ، وإنما معنى « كتب » أى « أمر أن يكتب » وكان الكاتب فى ذلك اليوم سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

فالأمية فيه صلى الله عليه وسلم وحده معجزة وفضيلة «أحمد يوسف نجاتى»

وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ تَكْذِيبٌ لِلْقُرْآنِ ، فَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ الْكَلَامَ ، حَتَّى أَثَارُوا عَلَيْهِ الْفِتْنَةَ ، وَقَبَّحُوا عَلَيْهِ عِنْدَ الْعَامَّةِ مَا أَتَى بِهِ ، وَتَكَلَّمَ بِهِ خُطَبَاؤُهُمْ فِي الْجُمَعِ ، وَقَالَ شَاعِرُهُمْ :

بَرِئْتُ مِمَّنْ شَرَى دُنْيَا بِآخِرَةٍ
وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللهِ قَدْ كَتَبَا

فَصَنَّفَ أَبُو الْوَلِيدِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ رِسَالَةً بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ قَادِحٍ فِي الْمُعْجِزَةِ ، فَرَجَعَ بِهَا جَمَاعَةٌ ، إِذْ لَيْسَ مَنْ عَرَفَ أَنْ يَكْتُبَ اسْمَهُ فَقَطْ بِخَارِجٍ عَنْ كَوْنِهِ أُمِّيًّا ، لِأَنَّهُ لَا يُسَمَّى كَاتِبًا ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ قَدْ أَدْمَنُوا عَلَى كِتَابَةِ الْعَلَامَةِ وَهُمْ أُمِّيُّونَ ، وَالْحُكْمُ لِلْغَالِبِ لَا لِلصُّوَرِ النَّادِرَةِ ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيُّونَ » أَيْ أَكْثَرُهُمْ كَذَلِكَ ، لِنُدُورِ الْكِتَابَةِ فِي الصَّحَابَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى « هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ » انْتَهَى وَبَعْضُهُ بِالْمَعْنَى . وَذَكَرَ ابْنُ بَسَّامٍ أَنَّ أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِيَّ

نَشَأَ وَهِمَّتُهُ فِي الْعِلْمِ ، وَأَنَّهُ بَدَأَ بِالْأَدَبِ فَبَرَّزَ فِي مَيَادِينِهِ ، وَجَعَلَ الشِّعْرَ بِضَاعَتَهُ ،فَنَالَ بِهِ مِنْ كُلِّ الرَّغَائِبِ ، ثُمَّ رَحَلَ فَمَا حَلَّ بَلَدًا إِلَّا وَجَدَهُ مَلْآنَ بِذِكْرِهِ ، نَشْوَانَ مِنْ قَهْوَتَيْ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ ، فَمَالَ إِلَى عِلْمِ الدِّيَانَةِ فَمَشَى بِمِقْيَاسٍ ، وَبَنَى عَلَى أَسَاسٍ ، حَتَّى صَارَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ يَسْمَعُونَ مِنْهُ ، وَيَرْتَاحُونَ لِلْأَخْذِ عَنْهُ ، ثُمَّ كَرَّ ، وَاسْتُقْضِيَ فِي طَرِيقِهِ بِحَلَبَ ، فَأَقَامَ بِهَا نَحْوًا مِنْ عَامٍ . قَالَ : وَبَلَغَنِي عَنِ ابْنِ حَزْمٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : لَوْ لَمْ يَكُنْ لِأَصْحَابِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ بَعْدَ عَبْدِ الْوَهَّابِ(١) إِلَّا مِثْلُ أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ لَكَفَاهُمْ .وَصَنَّفَ

(١) هو القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هرون بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي الفقيه المالكي ، كان فقيها جليلا ، وأديبا شاعرا رقيقا ، ذكره ابن بسام في الذخيرة فقال: كان بقية الناس، ولسان أصحاب القياس . وقد وجدت له شعرا معانيه أجلى من الصبح، وألفاظه أحلى من الظفر بالنجح ،ونبت به بغداد كعادة البلاد بذوي فضلها، وعلى حكم الأيام بمحسني أهلها، فخلع أهلها، وودع ماءها وظلها، ثم توجه الى مصر فحمل لواءها ، وملأ أرضها وسماءها، واستتبع ساداتها وكبراءها، وتناهت اليه الغرائب، وانثالت في يديه الرغائب ... اهـ ولد سنة ٣٦٢ ببغداد، وسكن في أواخر حياته مصر فتوفي بها سنة ٤٢٢ . وكان والده من أعيان الشهود المعدلين ببغداد، وتوفي بها سنة ٣٩١ وكان أخوه

أَبُو ٱلْوَلِيدِ كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْهَا : كِتَابُ ٱلتَّسْدِيدِ، إِلَى مَعْرِفَةِ ٱلتَّوْحِيدِ . وَكِتَابُ سُنَنِ ٱلْمِنْهَاجِ وَتَرْتِيبِ ٱلْحِجَاجِ . وَكِتَابُ إِحْكَامِ ٱلْفُصُولِ ، فِي أَحْكَامِ ٱلْأُصُولِ . وَكِتَابُ ٱلتَّعْدِيلِ وَٱلتَّجْرِيحِ ، لِمَنْ خَرَّجَ عَنْهُ ٱلْبُخَارِيُّ فِي ٱلصَّحِيحِ . وَكِتَابُ شَرْحِ ٱلْمُوَطَّإِ ، وَهُوَ نُسْخَتَانِ : نُسْخَةٌ سَمَّاهَا ٱلِاسْتِيفَاءَ ، ثُمَّ ٱنْتَقَى مِنْهَا فَوَائِدَ سَمَّاهَا ٱلْمُنْتَقَى ، فِي سَبْعِ مُجَلَّدَاتٍ ، وَهُوَ أَحْسَنُ كِتَابٍ أُلِّفَ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ ، لِأَنَّهُ شَرَحَ فِيهِ أَحَادِيثَ ٱلْمُوَطَّإِ وَفَرَّعَ عَلَيْهَا تَفْرِيعًا حَسَنًا ، وَأَفْرَدَ مِنْهُ شَيْئًا سَمَّاهُ ٱلْإِيمَاءَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ صَنَّفَ كِتَابَ ٱلْمَعَانِي فِي شَرْحِ ٱلْمُوَطَّإِ ، فَجَاءَ عِشْرِينَ مُجَلَّدًا عَدِيمَ ٱلنَّظِيرِ . وَكَانَ أَيْضًا صَنَّفَ كِتَابًا كَبِيرًا جَامِعًا بَلَغَ فِيهِ ٱلْغَايَةَ ، سَمَّاهُ ٱلِاسْتِيفَاءَ . وَلَهُ كِتَابُ ٱلْإِيمَاءِ فِي ٱلْفِقْهِ خَمْسُ مُجَلَّدَاتٍ . ٱنْتَهَى . وَمِنْ تَصَانِيفِهِ مُخْتَصَرُ ٱلْمُخْتَصَرِ فِي مَسَائِلِ ٱلْمُدَوَّنَةِ . وَلَهُ كِتَابُ ٱخْتِلَافِ ٱلْمُوَطَّإِ ، وَكِتَابُ ٱلْإِشَارَةِ

أبو الحسن محمد بن على بن نصر أديبا فاضلا وكاتبا مجيدا، ولد سنة ٣٧٢ وتوفى سنة ٤٣٧ بمدينة واسط ،وقد صعد إليها من البصرة فمات بها رحمهم الله تعالى « أحمد يوسف نجاتى » .

فِي أُصُولِ الْفِقْهِ . وَكِتَابُ الْحُدُودِ ، وَكِتَابُ سُنَنِ الصَّالِحِينَ . وَكِتَابُ التَّفْسِيرِ - لَمْ يُتَمِّمْهُ . وَكِتَابُ شَرْحِ الْمِنهَاجِ . وَكِتَابُ التَّبْيِينِ ، لِسَبِيلِ الْمُهْتَدِينَ ، فِي اخْتِصَارِ فِرَقِ الْفُقَهَاءِ . وَكِتَابُ السِّرَاجِ فِي الْخِلَافِ وَلَمْ يَتِمَّ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَحَجَّ الْبَاجِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - أَرْبَعَ حِجَجٍ ، جَاوَرَ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ مُلَازِمًا لِأَبِي ذَرِّ بْنِ أَحْمَدَ الْهَرَوِيِّ ، وَكَانَ يُسَافِرُ مَعَهُ لِلسَّرَوَاتِ(١) لِأَنَّ أَبَا ذَرٍّ تَزَوَّجَ مِنَ الْعَرَبِ وَسَكَنَ بِهَا

(١) السروات جمع سراة ، وهو اسم للجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن، ولها سعة، وهي باليمن أخص . والسروات ثلاث: سراة بين تهامة ونجد أدناها الطائف، وأقصاها قرب صنعاء ، والطائف من سراة بني ثقيف وهو أدنى السروات إلى مكة ، والسراة الثانية في بلاد عدوان ، والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من الغرب وعلى نجد من المشرق ، و بأسفل السروات أودية تصب إلى البحر . وقال أبو عمرو بن العلاء : أفصح الناس أهل السروات، وهي ثلاث ؛ وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ، أولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة وهي السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد أزد شنوءة وهم بنو كعب بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، اهـ « أحمد يوسف نجاتي » .

***

وَأَبُو ذَرٍّ الْمَذْكُورُ هُوَ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ غُفَيْرٍ الْأَنْصَارِيُّ الْمَالِكِيُّ ـ وَيُعْرَفُ بِابْنِ السَّمَّاكِ ـ سَمِعَ بِهَرَاةَ وَسَرَخْسَ وَبَلْخَ وَمَرْوَ وَالْبَصْرَةِ وَبَغْدَادَ وَدِمَشْقَ وَمِصْرَ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ، وَأَلَّفَ مُعْجَمًا لِشُيُوخِهِ. وَعَمِلَ الصَّحِيحَ، وَصَنَّفَ التَّصَانِيفَ. قَالَ الْخَطِيبُ: قَدِمَ أَبُو ذَرٍّ بَغْدَادَ وَأَنَا غَائِبٌ فَحَدَّثَ بِهَا، ثُمَّ حَجَّ وَجَاوَرَ، ثُمَّ تَزَوَّجَ فِي الْعَرَبِ وَسَكَنَ السَّرَوَاتِ. وَكَانَ يَحُجُّ كُلَّ عَامٍ، وَيُحَدِّثُ ثُمَّ يَرْجِعُ، وَكَانَ ثِقَةً ضَابِطًا دَيِّنًا. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ بَقِيٍّ الْمَالَقِيُّ: حَدَّثَنِي شَيْخِي قَالَ: قِيلَ لِأَبِي ذَرٍّ: مِنْ أَيْنَ تَمَذْهَبْتَ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَرَأْيِ الْأَشْعَرِيِّ مَعَ أَنَّكَ هَرَوِيٌّ؟ فَقَالَ: قَدِمْتُ بَغْدَادَ ـ وَكُنْتُ مَاشِيًا مَعَ الدَّارَقُطْنِيِّ، فَلَقِينَا أَبَا بَكْرِ بْنَ الطَّيِّبِ[1]، فَالْتَزَمَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ

أبو ذر المعروف بابن السماك

---

(١) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالبلاقلاني البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيد اعتقاده، وناصر طريقته، وسكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة المفيدة في علم الكلام وغيره، وكان أوحد

وَقَبَّلَ وَجْهَهُ وَعَيْنَيْهِ ، فَلَمَّا افْتَرَقْنَا قُلْتُ : مَنْ هٰذَا ؟ قَالَ : هٰذَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالذَّابُّ عَنِ الدِّينِ ؛ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الطَّيِّبِ ، فَمِنْ ذٰلِكَ الْوَقْتِ تَكَرَّرْتُ إِلَيْهِ ، وَتَمَذْهَبْتُ بِمَذْهَبِهِ . انْتَهَى . قُلْتُ: هٰذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْقَاضِيَ أَبَا بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيَّ مَالِكِيٌّ ، وَهُوَ الَّذِي جَزَمَ بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَلِذَا ذَكَرَهُ عِيَاضٌ فِي الْمَدَارِكِ فِي جُمْلَةِ الْمَالِكِيَّةِ ، وَكَذَٰلِكَ شَيْخُ السُّنَّةِ الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ[1] مَالِكِيُّ الْمَذْهَبِ فِيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ ، وَذَكَرَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُمَا شَافِعِيَّانِ ، وَاللّٰهُ تَعَالَى أَعْلَمُ . وَقَالَ عَبْدُ الْغَافِرِ[2]

زمانه ، وانتهت اليه الرياسة فى مذهبه ، معروفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب ، توفى سنة ٤٠٣ ببغداد رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى »

(١) هو الامام أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر إسحق بن سالم ابن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بردة عامر بن أبى موسى الأشعرى ، وهو صاحب الأصول ، والقائم بنصرة مذهب السنة ، وكان يجلس أيام الجمع فى حلقة أبى إسحق المروزى الفقيه الشافعى فى جامع المنصور ببغداد ، ولد أبو الحسن سنة ٢٧٠ بالبصرة ، وتوفى حوالى سنة ٣٣٠ ببغداد رحمه الله تعالى « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو أبو الحسن عبد الغافر بن إسمعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسى الحافظ الأديب صاحب تاريخ نيسابور وغيره من كتب التاريخ والأدب والفقه

فِي تَارِيخِ نَيْسَابُورَ : كَانَ أَبُو ذَرٍّ زَاهِدًا وَرِعًا عَالِمًا سَخِيًّا لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا ، وَصَارَ كَبِيرَ مَشْيَخَةِ الْحَرَمِ مُشَارًا إِلَيْهِ فِي التَّصَوُّفِ ، خَرَّجَ عَلَى الصَّحِيحِ تَخْرِيجًا حَسَنًا ، وَكَانَ حَافِظًا كَثِيرَ الشُّيُوخِ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَقَالَ أَبُو عَلِيّ بْنُ سُكَّرَةَ : تُوُفِّيَ عَقِبَ شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ الْخَطِيبُ : فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَأَكْثَرُ نُسَخِ الْبُخَارِيِّ الصَّحِيحَةِ بِالمَغْرِبِ إِمَّا مِنْ رِوَايَةِ الْبَاجِيِّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَبْدِ بْنِ أَحْمَدَ الْهَرَوِيِّ الْمَذْكُورِ ، وَإِمَّا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي عَلِيّ الصَّدَفِيِّ الشَّهِيرِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ سُكَّرَةَ بِسَنَدِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ هَرَاةَ الْمَنْسُوبَ إِلَيْهَا الْحَافِظُ أَبُو ذَرٍّ لَيْسَتْ بِهَرَاةَ الَّتِي وَرَاءَ النَّهْرِ نَظِيرَةَ بَلْخَ ، وَإِنَّمَا هِيَ هَرَاةُ(١) بَنِي شَيْمَانَةَ

والحديث ، كان إماما محدثا أديبا بليغا فقيها شافعيا، وحدث عن جده لأمه أبي القاسم القشيري وطبقته ، وتوفي بمدينة نيسابور سنة ٥٢٩ عن ٧٨ سنة « أحمد يوسف نجاتي » (١) لم يذكر ذلك ياقوت في المعجم ، ولم أعثر على هراة هذه ولا على بني شيمانة، ولكن وجدت في ياقوت ما يأتي : وهناك موضع آخر يقال له « سراة بني شبابة » قرب مكة نسب المحدثون اليها أبا جميع عيسى بن الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي الشبابي، حدث في هذا الموضع عن أبيه فنسب إليه . « أحمد يوسف نجاتي »

بِالْحِجَازِ ، وَبِهَا كَانَ سُكْنَى أَبِي ذَرٍّ ، وَاللّٰهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

« رَجْعٌ إِلَى الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى »

ثُمَّ إِنَّهُ ــ أَعْنِي الْبَاجِيَّ ــ قَدِمَ بَغْدَادَ وَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَعْوَامٍ يُدَرِّسُ الْفِقْهَ وَيَقْرَأُ الْحَدِيثَ ، فَلَقِيَ بِهَا عِدَّةً مِنَ الْعُلَمَاءِ كَأَبِي الطَّيِّبِ الطَّبَرِيِّ وَالْإِمَامِ الشَّهِيرِ أَبِي إِسْحٰقَ الشِّيرَازِيِّ[1] وَالصَّيْمَرِيِّ[2] وَابْنِ عَمْرُوسٍ[3] الْمَالِكِيِّ ، وَأَقَامَ بِالْمَوْصِلِ سَنَةً مَعَ أَبِي جَعْفَرٍ السِّمْنَانِيِّ[4] يَأْخُذُ عَنْهُ عِلْمَ الْكَلَامِ ، فَبَرَعَ فِي الْحَدِيثِ وَعِلَلِهِ وَرِجَالِهِ ، وَفِي الْفِقْهِ وَغَوَامِضِهِ وَخِلَافِهِ ، وَفِي الْكَلَامِ وَمَضَايِقِهِ ، وَتَدَبَّجَ مَعَ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبِ

(١) أبو إسحق إبراهيم بن على بن يوسف الشيرازى الشافعى جمال الدين أحد الأعلام المشهورين ، توفى سنة ٤٤٦ (٢) أبو عبد الله الحسن ابن على بن محمد بن جعفر الصيمرى أحد الفقهاء المذكورين من أصحاب أبى حنيفة ، كان عالما جليلا وافر العقل ثقة، جميل المعاشرة، عارفا بحقوق العلم وأهله . توفى سنة ٤٦٣ ببغداد « أحمد يوسف نجاتى » (٣) هو أبو الفضل محمد بن عبيد الله البغدادى ، انتهت اليه فى عصره الفتوى ببغداد وكان من القراء المجودين ، توفى سنة ٤٥٢ عن ثمانين سنة « أحمد يوسف نجاتى » (٤) هو القاضى أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمود « ينسب الى سمنان بلد بالعراق » سكن بغداد ، وكان فقيها على مذهب أبى حنيفة ، متكلما على مذهب الأشعرى، وكان عالما فاضلا محدثا ثقة سخيا

ٱلْبَغْدَادِيِّ(١) بِحَيْثُ رَوَى كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ ٱلْآخَرِ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَنَفَعَ بِهِمَا ـ ، وَرَجَعَ إِلَى ٱلْأَنْدَلُسِ بَعْدَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً بِعِلْمٍ جَمٍّ حَصَّلَهُ مَعَ ٱلْفَقْرِ وَٱلتَّعَفُّفِ.

وَمِمَّا يَفْتَخِرُ بِهِ أَنَّهُ رَوَى عَنْهُ حَافِظَا ٱلْمَغْرِبِ وَٱلْمَشْرِقِ : أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِّ(٢) ، وَٱلْخَطِيبُ أَبُو بَكْرِ بْنُ ثَابِتٍ ٱلْبَغْدَادِيُّ ، وَنَاهِيكَ بِهِمَا ـ وَهُمَا أَسَنُّ مِنْهُ وَأَكْبَرُ ـ وَأَبُو عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلْحُمَيْدِيُّ(٣) ، وَعَلِيُّ بْنُ عَبْدِ ٱللَّهِ ٱلصَّقَلِّيُّ . وَأَحْمَدُ ٱبْنُ عَلِيِّ بْنِ غَزْلُونَ(٤) ، وَأَبُو بَكْرٍ ٱلطَّرْطُوشِيُّ(٥) ،

حسن الكلام ، ولى قضاء الموصل ومات بها وهو على القضاء سنة ٤٤٤ ومولده سنة ٣٦١ « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت بن أحمد بن مهدى بن ثابت البغدادى صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين ولد سنة ٣٩٢ وتوفى سنة ٤٦٣ ببغداد (٢) سبقت ترجمته (٣) هو محمد بن نصر بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بطل الميورقى الأندلسى الحافظ الحجة العلامة أحد أوعية العلم ، وكان ظاهرى المذهب أكثر عن ابن حزم وابن عبد البر ، ورحل فسمع بالقيروان والحجاز ومصر والشام والعراق ، توفى سنة ٤٨٨ . « أحمد يوسف نجاتى » (٤) أبو جعفر أحمد ابن على بن غزلون الأموى من أهل تطيلة بالأندلس ، وهو معدود من كبار أصحاب الباجى ، وكان من أهل الحفظ والمعرفة والذكاء . وتوفى نحو سنة ٥٢٠ « أحمد يوسف نجاتى » (٥) تقدم التعريف به « أحمد يوسف نجاتى »

وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّبْتِيُّ ، وَأَبُو بَحْرٍ سُفْيَانُ بْنُ الْعَاصِي[١] وَمِمَّنْ رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ[٢] . وَكَانَ لَمَّا رَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَشَا عِلْمُهُ ، وَتَهَيَّأَتِ الدُّنْيَا لَهُ ، وَعَظُمَ جَاهُهُ وَأُجْزِلَتْ لَهُ الصِّلَاتُ ، فَمَاتَ عَنْ مَالٍ وَافِرٍ ، وَتَرَسَّلَ لِلْمُلُوكِ ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِعِدَّةِ مَوَاضِعَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - وَأَمَّا مَا تَقَدَّمَ عَنِ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ الْبَاجِيِّ مِنْ إِجْرَاءِ حَدِيثِ الْكِتَابَةِ عَلَى ظَاهِرِهِ فَهُوَ قَوْلُ بَعْضٍ ، وَالصَّوَابُ خِلَافُهُ ، قَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضٌ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الصَّيْقَلِ[٣] الشَّاطِبِيُّ مِنْ لَفْظِهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ

---

(١) أبو بحر سفيان بن العاصى بن أحمد بن العاصى بن سفيان بن عيسى بن عبد الكبير بن سعيد الأسدى ، سكن قرطبة ، وأصله من مربيطر من شرق الأندلس ، كان من جلة العلماء وكبار الأدباء ، ثقة صدوقا ضابطا متقنا من أهل الرواية والدراية ، ولد سنة ٤٤٠ وتوفى سنة ٥٢٠ بقرطبة . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) هو أبو القاسم أحمد بن سليمان الباجى ، سكن سرقسطة وغيرها ، وأصله من قرطبة . روى عن أبيه معظم روايته وتآليفه ، وتوفى سنة ٤٩٣ . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) أبو عبد الله محمد بن على بن أحمد بن محمد الأنصارى الشاطبي المعروف بابن الصيقل ، كان محدثا راوية . وتوفى بمدينة فاس بعد سنة ٥٠٠ . « أحمد يوسف نجاتى »

مُفَوَّزٍ (١) قَالَ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَاجِّ الْهَوَّارِيُّ (٢) مِنْ أَهْلِ جَزِيرَةِ شَقْرَ (٣) مِمَّنْ لَازَمَ الْبَاجِيَّ وَتَفَقَّهَ عِنْدَهُ ، وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ الْبَاجِيِّ فِي جَوَازِ مُبَاشَرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَةَ بِيَدِهِ فِي حَدِيثِ كِتَابِ الْمُقَاضَاةِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ ، عَلَى مَا جَاءَ فِي ظَاهِرِ بَعْضِ رِوَايَاتِهَا ، وَيُعْجَبُ بِهِ ، وَكُنْتُ أُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ بُرْهَةٍ أَتَانِي

---

(١) أبو الحسن طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطبي ، روى عن أبي عمر بن عبد البر الحافظ وأبي الوليد الباجي وغيرهما ، وكان من أهل العلم والمعرفة والفهم ، عني بالحديث عناية كاملة ، وشهر بحفظه وإتقانه ، وفضله وصلاحه وورعه وتواضعه . وهو القائل في الاقتباس من الحديث الشريف :

عمـدة الدين عندنا كلمات ... أربع ، وهي من كلام خير البريه
اتق المشبهات ، وازهد ، ودع ما ... ليس يعنيك ، واعملن بنيـه

ولد سنة ٤٢٧ وتوفي سنه ٤٨٤ — وابن أخيه أبو الحسن طاهر بن حيدرة ابن مفوز الشاطبي سمع أخاه أبا بكر وأجاز له عمه طاهر كل رواياته ، وكان فقيها حافظا مقدما في علم الفرائض ، يلجأ إليه في ذلك ويعول عليه ، وولي قضاء شاطبة وجزيرة شقر معا ، فحمدت سيرته ، واشتهرت عدالته ، ثم استعفي من ذلك فأعفي . وروى عنه ابناه أبو محمد عبد الله بن طاهر وأبو بكر مفوز بن طاهر . وتوفي سنة ٥٥٢ . « أحمد يوسف نجاتي » (٢) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقر ، ويعرف بابن حفاظ ، روى عن أبي الوليد الباجي ولازمه ، وكان من أصحاب أبي الحسن طاهر بن مفوز ينتابه ويكثر زيارته (٣) جزيرة في شرقي الأندلس كانت من أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجرا وماء . « أحمد يوسف نجاتي »

زَائِرًا عَلَى عَادَتِهِ، وَأَعْلَمَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَ يَرَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ بِالْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَرَى قَبْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَامَهُ، فَتَحْدُثُ لَهُ قُشَعْرِيرَةٌ وَهَيْبَةٌ عَظِيمَةٌ، ثُمَّ يَرَاهُ يَنْشَقُّ وَيَمِيدُ(١) وَلَا يَسْتَقِرُّ، فَيَعْتَرِيهِ مِنْهُ فَزَعٌ عَظِيمٌ، وَسَأَلَنِي عَنْ عِبَارَةِ(٢) رُؤْيَاهُ، فَقُلْتُ: أَخْشَى عَلَى صَاحِبِ هَذَا الْمَنَامِ أَنْ يَصِفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَيْرِ صِفَتِهِ، أَوْ يَنْحَلَهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ، أَوْ لَعَلَّهُ يَفْتَرِي عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي: بِاللَّهِ مِنْ أَيْنَ قُلْتَ هَذَا؟ قُلْتُ لَهُ: مِنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ـ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ـ وَلَدًا» فَقَالَ لِي: لِلَّهِ دَرُّكَ يَاسَيِّدِي! وَأَقْبَلَ يُقَبِّلُ رَأْسِي وَبَيْنَ عَيْنَيَّ، وَيَبْكِي مَرَّةً وَيَضْحَكُ أُخْرَى، ثُمَّ قَالَ لِي: أَنَا صَاحِبُ الرُّؤْيَا، وَاسْمَعْ تَمَامَهَا يَشْهَدْ لَكَ بِصِحَّةِ تَأْوِيلِكَ؛ قَالَ: إِنَّهُ لَمَّا رَأَيْتَنِي فِي ذَلِكَ الْفَزَعِ الْعَظِيمِ كُنْتُ أَقُولُ: وَاللَّهِ مَا هَذَا إِلَّا أَنِّي أَقُولُ وَأَعْتَقِدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

---

(١) يميد: يضطرب ويتحرك (٢) عبارة رؤياه: أي عن تعبيرها وتفسيرها وبيان معناها وما تدل عليه «أحمد يوسف نجاتي»

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ ، فَكُنْتُ أَبْكِي وَأَقُولُ : أَنَا تَائِبٌ يَارَسُولَ ٱللهِ ـ وَأُكَرِّرُ ذَلِكَ مِرَارًا ـ فَأَرَى ٱلْقَبْرَ قَدْ عَادَ إِلَى هَيْئَتِهِ أَوَّلًا وَسَكَنَ ، فَاسْتَيْقَظْتُ . ثُمَّ قَالَ لِي : وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَتَبَ قَطُّ حَرْفًا ، وَعَلَيْهِ أَلْقَى ٱللهَ تَعَالَى ، فَقُلْتُ : ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي أَرَاكَ ٱلْبُرْهَانَ، فَاشْكُرْ لَهُ كَثِيرًا . ٱنْتَهَى.

« وَقَالَ ٱبْنُ ٱلْأَبَّارِ » حَدَّثَنِي بِهَذِهِ ٱلْحِكَايَةِ أَبُو ٱلرَّبِيعِ ٱبْنُ سَالِمٍ (١) بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ عَنِ ٱلْكَاتِبِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ٱبْنِ مُغَاوِرٍ (٢) قِرَاءَةً عَلَيْهِ عَنِ ٱلْقَاضِي أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ

---

(١) سبق التعريف به (٢) هو أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مغاور ابن حكم بن مغاور السلمي من أهل شاطبة ، كان في وقته بقية مشيخة الكتاب ، وجلة الأدباء المشهورين بالأندلس ، مع الثقة وصدق اللهجة وكرم النفس، بليغا مفوها مدركا، له حظ وافر من قرض الشعر وتصرف في فنون الأدب ، وكان له ديوان متداول يجمع نظمه ونثره يسمى « نور الكمائم وسجع الحمائم » ولد بشاطبة سنة ٥٠٢ وتوفي سنة ٥٨٧ وأمر أن يخط على قبره :

أيها الواقف اعتبارا بقبري ... استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا ... من ذنوب كلومها بأديمي
قلت لا تجزعوا على فإني ... حسن الظن بالرءوف الرحيم

عَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ بْنِ جَحْدَرٍ(١) عَنْ أَبِي ٱلْحَسَنِ طَاهِرِ بْنِ مُفَوِّزٍ(٢) قَالَ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ ـ إِلَى آخِرِهَا ـ وَهِيَ أَتَمُّ مِنْ هَذِهِ . ٱنْتَهَى .

« رَجْعٌ إِلَى ٱلْبَاجِيِّ » ذَكَرَ أَبُو ٱلْعَرَبِ عَبْدُ ٱلْوَهَّابِ ٱلْبَقَسَّانِيُّ(٣) بِسَنَدِهِ إِلَى ٱلْقَاضِي أَبِي ٱلْوَلِيدِ ٱلْبَاجِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ـ وَقَدْ ذُكِرَتْ لَهُ صُحْبَةُ ٱلسُّلْطَانِ ـ : لَوْلَا ٱلسُّلْطَانُ لَنَقَلَتْنِي ٱلذَّرُّ مِنَ ٱلظِّلِّ إِلَى ٱلشَّمْسِ(٤) ـ أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ . ٱنْتَهَى .

واتركوني بما اكتسبت رهينا   غلق الرهن عند رب كريم

الكلوم : الجروح ، والأديم : الجلد . « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن جحدر الأنصارى الشاطبي، كان فقيها حافظا ثقة، واستقضى ببلده شاطبة، وتوفى بمصر وفاعن القضاء سنة ٥١٥ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) تقدمت ترجمته، وتوفى سنة ٤٨٤ (٣) أبو العرب عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن غالب بن خلف بن محمد بن عبد الله التجيبي من أهل بلنسية ، يعرف بالبقسانى « نسبة الى بقسان قرية غربى بلنسية ، خرج مع أبيه من بلنسية عقب الفتنة الرومية فجال فى بلاد الأندلس ، ولقى علماءها وأخذ عنهم ، وكان أديبا شاعرا خطيبا فصيحا ذا لسان و بلاغة و بيان وعلم بالعلوم اللسانية والشرعية ، ولى قضاء مدينة لرية بأخرة من عمره سنة ٥٤٦ ، ولد بمدينة بلنسية سنة ٤٧٩ وتوفى بها سنة ٥٥٢ ووالده أبو عبد الله محمد بن أحمد البقسانى كان ذا علم ومعرفة بالطب ، وتوفى سنة ٥٣٠ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٤) يريد أنه يكون عاطلا ضائعا سيء الحال بائسا لا يجد عملا ولا مأوى .

« وَمِنْ فَوَائِدِ ٱلْبَاجِيِّ » أَنَّهُ حَكَى أَنَّ ٱلطَّلَبَةَ كَانُوا يَنْتَابُونَ(١) مَجْلِسَ أَبِي عَلِيٍّ ٱلْبَغْدَادِيِّ ، وَٱتَّفَقَ أَنْ كَانَ يَوْمُ مَطَرٍ وَوَحَلٍ ، فَلَمْ يَحْضُرْ مِنَ ٱلطَّلَبَةِ سِوَى وَاحِدٍ ، فَلَمَّا رَأَى ٱلشَّيْخُ حِرْصَهُ عَلَى ٱلِاشْتِغَالِ ، وَإِتْيَانَهُ فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ أَنْشَدَهُ :

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَٱلسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا
حَدَّ ٱلنُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ ٱلْأُزُرَا(٢)
وَكَابَدُوا ٱلْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ
وَعَانَقَ ٱلْمَجْدَ مَنْ وَافَى وَمَنْ صَبَرَا
لَا تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكِلُهُ
لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ ٱلصَّبِرَا

ٱنْتَهَى .

وَرَوَى عَنِ ٱلْقَاضِي أَبِي ٱلْوَلِيدِ ٱلْبَاجِيِّ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ ٱلْخَطِيبُ ٱلْبَغْدَادِيُّ قَوْلَهُ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى :

(١) يترددون عليه و يختلفون اليه (٢) جمع ازار ، يريد أنهم ملوا السعى وتعبوا

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ
بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَهْ
فَلِمْ لَا أَكُونُ ضَنِينًا[١] بِهَا
وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَهْ؟

وَقَدْ ذَكَرْنَاهُمَا فِيمَا يَأْتِي قَرِيبًا مِنْ كَلَامِ ٱلْفَتْحِ لِكَوْنِنَا نَقَلْنَا كَلَامَهُ بِلَفْظِهِ ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ وَرَضِيَ عَنْهُ. وَقَالَ فِي ٱلْقَلَائِدِ فِي حَقِّ ٱلْبَاجِيِّ ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ مَا صُورَتُهُ: بَدْرُ ٱلْعُلُومِ ٱللَّائِحُ، وَقَطْرُهَا ٱلْغَادِي ٱلرَّائِحُ، وَثَبِيرُهَا[٢] ٱلَّذِي لَا يُزْحَمُ، وَمُنِيرُهَا ٱلَّذِي يَنْجَلِي بِهِ لَيْلُهَا ٱلْأَسْحَمُ[٣]، كَانَ إِمَامَ ٱلْأَنْدَلُسِ ٱلَّذِي تُقْتَبَسُ أَنْوَارُهُ، وَتُنْتَجَعُ[٤] نُجُودُهُ وَأَغْوَارُهُ، رَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ فَعَكَفَ

(١) بخيلا غير مفرط (٢) ثبير جبل من أعظم جبال مكة المكرمة بينها وبين عرفة، وفيه يقول العرجي:

وما أنس ملأشياء لاأنس قولها   لنا ولها بالسفح دون ثبير
ولا قولها وهنا وقد سمحت لنا   سوابق دمع لايجف غزير
أأنت الذى خبرت أنك باكر   غداة غد أو رائح بهجير؟
فقلت يسير بعض يوم بغيبة   وما بعض يوم غيبة بيسير

(٣) من السحمة وهي شدة السواد، وانجلى: انكشف ظلامه (٤) تقصد وأصله من النجعة وهي طلب الكلأ والعشب فى مواضعه «أحمد يوسف نجاتى»

عَلَى الطَّلَبِ سَاهِرًا ، وَقَطَفَ مِنَ الْعِلْمِ أَزَاهِرًا ، وَتَفَنَّنَ فِي اقْتِنَائِهِ ، وَثَنَى إِلَيْهِ عِنَانَ اعْتِنَائِهِ ، حَتَّى غَدَا مَمْلُوءَ الْوِطَابِ[١] وَعَادَ بَلَحُ طَلَبِهِ إِلَى الْإِرْطَابِ ، فَكَرَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ بَحْرًا لَا تُخَاضُ لُجَجُهُ ، وَفَجْرًا لَا يُطْمَسُ مَنْهَجُهُ ، فَتَهَادَتْهُ الدُّوَلُ ، وَتَلَقَّتْهُ الْخَيْلُ وَالْخَوَلُ ، وَانْتَقَلَ مِنْ مَحْجِرٍ[٢] إِلَى نَاظِرٍ ، وَتَبَدَّلَ مِنْ يَانِعٍ بِنَاضِرٍ ، ثُمَّ اسْتَدْعَاهُ الْمُقْتَدِرُ بِاللهِ[٣] فَصَارَ إِلَيْهِ مُرْتَاحًا ، وَبَدَا بِأُفُقِهِ مُلْتَاحًا[٤] وَهُنَاكَ ظَهَرَتْ تَآلِيفُهُ وَأَوْضَاعُهُ ، وَبَدَا وَخْدُهُ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَإِيضَاعُهُ[٥] وَكَانَ الْمُقْتَدِرُ يُبَاهِي بِانْحِيَاشِهِ[٦] إِلَى سُلْطَانِهِ ، وَإِيثَارِهِ لِحَضْرَتِهِ بِاسْتِيطَانِهِ ، وَيَحْتَفِلُ فِيمَا يُرَتِّبُهُ لَهُ وَيُجْرِيهِ ، وَيُنْزِلُهُ فِي مَكَانِهِ مَتَى كَانَ يُوَافِيهِ ، وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ يُوقَفُ عَلَى ذَاتِهِ ،

---

(١) الوطاب: جمع وطب، وأصله سقاء اللبن أو الزق يكون فيه السمن واللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه (٢) محجر العين: مادار بها و بدا من البرقع، أو هو مايظهر من نقاب المرأة «والخول :الخدم والأتباع» يريد أنه انتقل من مرتبة عالية الى مرتبة أعلى ، ومن منزلة الى أعظم منها (٣) سبق التعريف به . (٤) لاح البدر والتاح : ظهر ساطعا، و بدا مشرقا (٥) الوخد والايضاع : سرعة السير ، وفى القلائد « فى سبل العلم » (٦) انحياشه : انسياقه اليه واقباله عليه ضد انحاش عنه اذا نفر وتقبض . « أحمد يوسف نجاتى »

وَلَا يُصْرَفُ فِي رَفَثِ[1] اَلْقَوْلِ وَبَذَاتِهِ ، « فَمِنْ ذَلِكَ » قَوْلُهُ فِي مَعْنَى اَلزُّهْدِ :

إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ عِلْمَ اَلْيَقِينِ
بِأَنَّ جَمِيعَ حَيَاتِي كَسَاعَهْ
فَلِمْ لَا أَكُونُ ضَنِيناً بِهَا
وَأَجْعَلُهَا فِي صَلَاحٍ وَطَاعَهْ ؟

وَلَهُ يَرْثِي اَبْنَيْهِ ـ وَمَاتَا مُغْتَرِبَيْنِ ، وَغَرَبَا كَوْكَبَيْنِ ، وَكَانَا نَاظِرَيِ اَلدَّهْرِ ، وَسَاحِرَيِ اَلنَّظْمِ وَاَلنَّثْرِ ـ :

رَعَى اَللهُ قَبْرَيْنِ اَسْتَكَانَا بِبَلْدَةٍ
هُمَا أُسْكِنَاهَا فِي اَلسَّوَادِ مِنَ اَلْقَلْبِ
لَئِنْ غُيِّبَا عَنْ نَاظِرِي وَتَبَوَّآ
فُؤَادِي لَقَدْ زَادَ اَلتَّبَاعُدُ فِي اَلْقُرْبِ[2]

(١) رفث القول: الفحش فيه، يريد شعر اللهو والمجون، أو الهجو والاقذاع. والبذاءة والبذاء: قول الفحش واللغو (٢) كأنه يشير الى معنى قول أبي الحسن التهامي في وصف القبر :

والشرق نحو الغرب أقرب شقة   من بعد تلك الخمسة الأشبار

وأصله من قول الأول :

يَقَرُّ بِعَيْنِي أَنْ أَزُورَ ثَرَاهُمَا
وَأُلْصِقَ مَكْنُونَ ٱلتَّرَائِبِ (١) بِالتُّرْبِ
وَأَبْكِي وَأُبْكِي سَاكِنِيهَا لَعَلَّنِي
سَأُنْجَدُ مِنْ صَحْبٍ وَأُسْعَدُ مِنْ سُحْبِ (٢)
فَمَا سَاعَدَتْ وُرْقُ ٱلْحَمَامِ أَخَا أَسًى
وَلَا رَوَّحَتْ رِيحُ ٱلصَّبَا عَنْ أَخِي كَرْبِ (٣)
وَلَا ٱسْتَعْذَبَتْ عَيْنَايَ بَعْدَهُمَا كَرًى (٤)
وَلَا ظَمِئَتْ نَفْسِي إِلَى ٱلْبَارِدِ ٱلْعَذْبِ
أَحِنُّ، وَيَثْنِي ٱلْيَأْسُ نَفْسِي عَنِ ٱلْأَسَى (٥)
كَمَا ٱضْطُرَّ مَحْمُولٌ عَلَى ٱلْمَرْكَبِ ٱلصَّعْبِ

وَلَه يَرْثِي ٱبْنَهُ مُحَمَّدًا :

يقولون لاتبعدوهم يدفنوني وأين مكان البعد الا مكانيا؟!

وقول الآخر :

أأبي لاتبعد ، وليس بخالد حي، ومن تصب المنون بعيد

(١) الترائب : عظام الصدر، والمكنون: المستور (٢) أسعده اذا أعانه على البكاء (٣) الورق جمع ورقاء وهي الحمامة. والورقة لون يضرب الى الغبرة. وروح عنه اذا فرج وأحان حتى وجد راحته . (٤) الكرى : النوم (٥) الأسى : الحزن. وثناه اذا صرفه ومنعه « أحمد يوسف نجاتي »

أَمُحَمَّدًا إِنْ كُنْتُ بَعْدَكَ صَابِرًا
صَبْرَ السَّلِيمِ لِمَا بِهِ لَا يَسْلَمُ (١)

وَرُزِئْتُ (٢) قَبْلَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَلَرُزْؤُهُ أَدْهَى لَدَيَّ وَأَعْظَمُ

فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّنِي بِكَ لَاحِقٌ
مِنْ بَعْدِ ظَنِّي أَنَّنِي مُتَقَدِّمُ (٣)

لِلَّهِ ذِكْرٌ لَا يَزَالُ بِخَاطِرِي
مُتَصَرِّفٌ فِي صَبْرِهِ مُتَحَكِّمُ

فَإِذَا نَظَرْتُ فَشَخْصُهُ مُتَخَيَّلٌ
وَإِذَا أَصَخْتُ (٤) فَصَوْتُهُ مُتَوَهَّمُ

وَبِكُلِّ أَرْضٍ لِي مِنَ أَجْلِكَ لَوْعَةٌ
وَبِكُلِّ قَبْرٍ وَقْفَةٌ وَتَلَوُّمُ (٥)

(١) السليم هنا بمعنى اللديغ، سمى سليما تفاؤلا بشفائه وسلامته (٢) الرزء: المصيبــة العظيمة (٣) من قول ابراهيم بن المهدى فى مرثيته لابنه :

وانى وان قدمت قبلى لعـالم ... بأنى وان أخرت منك قريب

(٤) أصخت : استمعت وأصغيت (٥) التلوم : التريث والانتظار والمــكث

فَإِذَا دَعَوْتُ سِوَاكَ حَادَ عَنِ اسْمِهِ
وَدَعَاهُ بِاسْمِكَ مُعْوِلٌ بِكَ مُغْرَمُ (١)
حُكْمُ الرَّدَى وَمَنَاهِجٌ قَدْ سَنَّهَا
لِأُولِي النُّهَى وَالْحُزْنِ قَبْلُ مُتَمِّمُ (٢)

انْتَهَى

وَلَعَمْرِي إِنَّهُ لَمْ يُوَفِّ الْقَاضِيَ أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِيَّ حَقَّهُ الْوَاجِبَ الْمُفْتَرَضَ ، وَوَدِدْتُ أَنَّهُ مَدَّ النَّفَسَ فِي تَرْجَمَتِهِ بِعِبَارَةٍ يَعْتَرِفُ بِبَرَاعَتِهَا مَنْ سَلَّمَ لَهُ وَمَنِ اعْتَرَضَ ، فَإِنَّ تَرْجَمَةَ الْمَذْكُورِ مِمَّا سَطَّرَهُ أَفْسَحُ مَجَالًا ، وَأَفْصَحُ رَوِيَّةً وَارْتِجَالًا . وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ أَحَدُ الْأَعْلَامِ بِالْأَنْدَلُسِ . وَهُوَ سُلَيْمَانُ بْنُ خَلَفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ وَارِثٍ التُّجِيبِيُّ ، وَذَكَرَهُ ابْنُ بَسَّامٍ فِي الذَّخِيرَةِ ، وَابْنُ خِلِّكَانَ

(١) أعول اذا رفع صوته بالبكاء، وفي القلائد «مقول» أي لسان : يريد أن اسمه لايزال جاريا على لسانه حتى أنه اذا دعا شخصا عدل لسانه عن اسمه الى اسم ابنه المتوفى (٢) يشير الى قول متمم بن نويرة فى رثائه أخاه مالكا :

وقالوا أتبكى كل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت لهم ان الأسى يبعث الأسى ... دعونى فهذا كله قبر مالك

ولمالك غير ذلك فى هذا المعنى من رثائه أيضا . « أحمد يوسف نجاتى »

وَغَيْرُ وَاحِدٍ . وَأَصْلُهُ مِنْ بَطَلْيَوْسَ ، وَانْتَقَلَ جَدُّهُ إِلَى بَاجَةَ قُرْبَ إِشْبِيلِيَةَ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ بَاجَةِ الْقَيْرَوَانِ ـ وَمَوْلِدُهُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَرَحَلَ سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَقَدِمَ مِصْرَ وَسَمِعَ بِهَا ، وَآجَرَ نَفْسَهُ بِبَغْدَادَ لِحِرَاسَةِ الدُّرُوبِ وَكَانَ لَمَّا رَجَعَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ يَضْرِبُ وَرَقَ الذَّهَبِ ، وَيَعْقِدُ الْوَثَائِقَ ، إِلَى أَنْ فَشَا عِلْمُهُ ، وَتَهَيَّأَتْ لَهُ الدُّنْيَا . وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ وَصْفِهِ ، وَمِنْ نَظْمِهِ قَوْلُهُ :

مَا طَالَ عَهْدِي بِالدِّيَارِ ، وَإِنَّمَا
أَنْسَى مَعَاهِدَهَا أَسًى وَتَبَلُّدُ
لَوْ كُنْتُ أَنْبَأْتُ الدِّيَارَ صَبَابَتِي
رَقَّ الصَّفَا بِفِنَائِهَا وَالْجَلْمَدُ (١)

وَلَهُ فِي الْمُعْتَضِدِ عَبَّادٍ وَالِدِ الْمُعْتَمِدِ :

عَبَّادٌ اسْتَعْبَدَ الْبَرَايَا ... بِأَنْعُمٍ تَبْلُغُ النَّعَائِمْ (٢)
مَدِيحُهُ ضِمْنَ كُلِّ قَلْبٍ ... حَتَّى تَغَنَّتْ بِهِ الْحَمَائِمْ

(١) الجلمد : الحجر من الصخر الصم ، والصفا جمع صفاة وهى الصخرة الملساء الصلبة . والصبابة: رقة الشوق . (٢) النعائم : منزلة من منازل القمر

وَمِنْ أَشْهَرِ نَظْمِهِ قَوْلُهُ * إِذَا كُنْتُ أَعْلَمُ * الْبَيْتَيْنِ ، وَقَدْ سَبَقَا . وَمِمَّنْ ذَكَرَهُ أَيْضًا الْحِجَارِيُّ فِي الْمُسْهَبِ ، وَابْنُ بَشْكُوَالَ فِي الصِّلَةِ ، وَأَنَّهُ حَجَّ أَرْبَعَ حِجَجٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى . وَتُوُفِّيَ فِي الْمَرِيَّةِ لِإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ رَجَبٍ - وَقِيلَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ تَاسِعَ رَجَبٍ ، وَقِيلَ تَاسِعَ عَشَرَ صَفَرٍ - سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . وَمِنْ تَوَالِيفِهِ الْمُنْتَقَى فِي شَرْحِ الْمُوَطَّإِ ، ذَهَبَ فِيهِ مَذْهَبَ الِاجْتِهَادِ وَإِيرَادِ الْحُجَجِ ، وَهُوَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَبَحُّرِهِ فِي الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ . وَلَمَّا قَدِمَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ عَامًا وَجَدَ مُلُوكَ الطَّوَائِفِ أَحْزَابًا مُفْتَرِقَةً ، فَمَشَى بَيْنَهُمْ فِي الصُّلْحِ - وَهُمْ يُجِلُّونَهُ فِي الظَّاهِرِ ، وَيَسْتَثْقِلُونَهُ فِي الْبَاطِنِ ، وَيَسْتَبْرِدُونَ نَزْعَتَهُ - وَلَمْ يُفِدْ شَيْئًا ، فَاللهُ تَعَالَى يُجَازِيهِ عَنْ نِيَّتِهِ . وَلَمَّا نَاظَرَ ابْنَ حَزْمٍ قَالَ لَهُ الْبَاجِيُّ : أَنَا أَعْظَمُ مِنْكَ هِمَّةً فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، لِأَنَّكَ طَلَبْتَهُ وَأَنْتَ مُعَانٌ عَلَيْهِ ؛ تَسْهَرُ بِمِشْكَاةِ الذَّهَبِ ،

وهى ثمانية أنجم كأنها سرير معوج أربعة خارجة وتسمى صادرة ، وأربعة فى المجرة وتسمى واردة ، أو هى أربعة كواكب مربعة فى طرف المجرة ، وهى شآمية. « أحمد يوسف نجاتى »

وَطَلَبْتُهُ وَأَنَا أَسْهَرُ بِقِنْدِيلِ بَائِتِ ٱلسُّوقِ ، فَقَالَ ٱبْنُ حَزْمٍ هَذَا ٱلْكَلَامُ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا طَلَبْتَ ٱلْعِلْمَ وَأَنْتَ فِي تِلْكَ ٱلْحَالِ رَجَاءَ تَبْدِيلِهَا بِمِثْلِ حَالِي ، وَأَنَا طَلَبْتُهُ فِي حِينِ مَا تَعْلَمُهُ وَمَا ذَكَرْتَهُ ، فَلَمْ أَرْجُ بِهِ إِلَّا عُلُوَّ ٱلْقَدْرِ ٱلْعِلْمِيِّ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ، فَأَفْحَمَهُ . قَالَ عِيَاضٌ قَالَ لِي أَصْحَابُهُ : كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْنَا لِلْإِقْرَاءِ وَفِي يَدِهِ أَثَرُ ٱلْمِطْرَقَةِ ، إِلَى أَنْ فَشَا عِلْمُهُ وَنَوَّهَتِ[1] ٱلدُّنْيَا بِهِ ، وَعَظُمَ جَاهُهُ ، وَأُجْزِلَتْ صِلَاتُهُ ، حَتَّى مَاتَ عَنْ مَالٍ وَافِرٍ ، وَكَانَ يَسْتَعْمِلُهُ ٱلْأَعْيَانُ فِي تَرَسُّلِهِمْ ، وَيَقْبَلُ جَوَائِزَهُمْ ، وَوَلِيَ ٱلْقَضَاءَ بِمَوَاضِعَ مِنَ ٱلْأَنْدَلُسِ .

***

محمد بن حزم الظاهري

« وَٱبْنُ حَزْمٍ ٱلْمَذْكُورُ » هُوَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ ٱلظَّاهِرِيُّ ، قَالَ ٱبْنُ حَيَّانَ وَغَيْرُهُ : كَانَ ٱبْنُ حَزْمٍ صَاحِبَ حَدِيثٍ وَفِقْهٍ وَجَدَلٍ ، وَلَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ فِي ٱلْمَنْطِقِ وَٱلْفَلْسَفَةِ لَمْ يَخْلُ فِيهَا مِنْ غَلَطٍ ، وَكَانَ شَافِعِيَّ ٱلْمَذْهَبِ

(١) نوه به اذا شهره ورفع ذكره . « أحمد يوسف نجاتي »

يُنَاضِلُ(١) الْفُقَهَاءَ عَنْ مَذْهَبِهِ ، ثُمَّ صَارَ ظَاهِرِيًّا ، فَوَضَعَ الْكُتُبَ فِي هَـذَا الْمَذْهَبِ ، وَثَبَتَ عَلَيْـهِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِالْأَدَبِ ، وَشَنَّعَ عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ ، وَطَعَنُوا فِيهِ وَأَقْصَاهُ الْمُلُوكُ ، وَأَبْعَدُوهُ عَنْ وَطَنِهِ . وَتُوُفِّيَ بِالْبَادِيَةِ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْأَحَدِ لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ . قَالَ صَاعِدٌ فِي تَارِيخِهِ : كَانَ ابْنُ حَزْمٍ أَجْمَعَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ قَاطِبَةً لِعُلُومِ الْإِسْلَامِ ، وَأَوْسَعَهُمْ مَعْرِفَةً ، مَعَ تَوَسُّعِهِ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ وَالْبَلَاغَةِ وَالشِّعْرِ وَالسِّيَرِ وَالْأَخْبَارِ ، أَخْبَرَنِي ابْنُهُ الْفَضْلُ(٢) أَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ بِخَطِّ أَبِيهِ مِنْ تَوَالِيفِهِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ مُجَلَّدٍ ، نَقَلَهُ عَنْ تَارِيخِ صَاعِدٍ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ . قَالَ الذَّهَبِيُّ : وَهُوَ الْعَلَّامَةُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمِ بْنِ غَالِبِ بْنِ صَالِحٍ الْأُمَوِيُّ مَوْلَاهُمُ الْفَارِسِيُّ الْأَصْلِ الْأَنْدَلُسِيُّ الْقُرْطُبِيُّ الظَّاهِرِيُّ صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ ، وَأَوَّلُ سَمَاعِهِ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ ، وَكَانَ إِلَيْـهِ الْمُنْتَهَى فِي

(١) أى يجادل (٢) هو أبو رافع الفضل بن على بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي روى عن أبيه وغيره، وكان ذا أدب ونباهة ويقظة وذكاء وتوفى بالزلاقة سنة ٤٧٩ . « أحمد يوسف نجاتى ».

ٱلذَّكاء وَحِدَّةِ ٱلذِّهْنِ ، وَسَعَةِ ٱلْعِلْمِ بِالْـكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ وَٱلْمَذَاهِبِ وَٱلْمِلَلِ وَٱلنِّحَلِ(١) وَٱلْعَرَبِيَّةِ وَٱلْآدَابِ وَٱلْمَنْطِقِ وَٱلشِّعْرِ ، مَعَ ٱلصِّدْقِ وَٱلدِّيَانَةِ وَٱلْحِشْمَةِ وَالسُّودَدِ وَٱلرِّيَاسَةِ وَٱلثَّرْوَةِ وَكَثْرَةِ ٱلْـكُتُبِ . قَالَ ٱلْغَزَالِيُّ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ وَجَدْتُ فِي أَسْمَاءِ ٱللهِ تَعَالَى كِتَابًا لِأَبِي مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ حِفْظِهِ وَسَيَلَانِ ذِهْنِهِ . ٱنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ .

وَعَلَى ٱلْجُمْلَةِ فَهُوَ نَسِيجُ وَحْدِهِ لَوْلَا مَا وُصِفَ بِهِ مِنْ سُوءِ ٱلِاعْتِقَادِ ، وَٱلْوُقُوعِ فِي ٱلسَّلَفِ ٱلَّذِي أَثَارَ عَلَيْهِ ٱلِانْتِقَادَ ـ سَامَحَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ . وَذَكَرَ ٱلذَّهَبِيُّ أَنَّ عُمُرَهُ ٱثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ لَا يُنَافِي قَوْلَ غَيْرِهِ إِنَّهُ كَانَ عُمُرُهُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً وَعَشَرَةَ أَشْهُرٍ ، لِأَنَّهُ وُلِدَ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ بِقُرْطُبَةَ بِالْجَانِبِ ٱلشَّرْقِيِّ فِي رَبَضِ مُنْيَةِ ٱلْمُغِيرَةِ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَبَعْدَ سَلَامِ ٱلْإِمَامِ مِنْ صَلَاةِ ٱلصُّبْحِ آخِرَ لَيْلَةِ ٱلْأَرْبِعَاءِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَٰثِمِائَةٍ بِطَالِعِ ٱلْعَقْرَبِ . وَتُوُفِّيَ لِيَوْمَيْنِ بَقِيَا

(١) النحل جمع نحلة : الطريقة وماينتحله الانسان من عمل أو رأى .

مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعمِائَةٍ . وكَانَ كَثِيرَ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى التَّأْلِيفِ ، وَمِنْ جُمْلَةِ تَآلِيفِهِ كِتَابُ الْفِصَلِ بَيْنَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالنِّحَلِ ، وَكِتَابُ الصَّادِعِ وَالرَّادِعِ عَلَى مَنْ كَفَّرَ أَهْلَ التَّأْوِيلِ مِنْ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالرَّدِّ عَلَى فِرَقِ التَّقْلِيدِ . وَكِتَابُ شَرْحِ حَدِيثِ الْمُوَطَّإِ وَالْكَلَامِ عَلَى مَسَائِلِهِ . وَكِتَابُ الْجَامِعِ فِي صَحِيحِ الْحَدِيثِ بِاخْتِصَارِ الْأَسَانِيدِ وَالِاقْتِصَارِ عَلَى أَصَحِّهَا . وَكِتَابُ التَّلْخِيصِ وَالتَّخْلِيصِ فِي الْمَسَائِلِ النَّظَرِيَّةِ وَفُرُوعِهَا الَّتِي لَا نَصَّ عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ وَالْحَدِيثِ . وَكِتَابُ مُنْتَقَى الْإِجْمَاعِ وَبَيَانُهُ مِنْ جُمْلَةِ مَالَا يُعْرَفُ فِيهِ اخْتِلَافٌ . وَكِتَابُ الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ فِي سِيَرِ الْخُلَفَاءِ وَمَرَاتِبِهَا وَالنَّدْبِ وَالْوَاجِبِ مِنْهَا . وَكِتَابُ أَخْلَاقِ النَّفْسِ . وَكِتَابُ الْإِيصَالِ إِلَى فَهْمِ كِتَابِ الْخِصَالِ . وَكِتَابُ كَشْفِ الِالْتِبَاسِ ، مَا بَيْنَ أَصْحَابِ الظَّاهِرِ وَأَصْحَابِ الْقِيَاسِ . انْتَهَى .

وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي حَقِّ ابْنِ حَزْمٍ مَا مُلَخَّصُهُ : الْوَزِيرِ

ٱلْعَالِمُ ٱلْحَافِظُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ ٱلْوَزِيرِ أَبِي عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمٍ ٱلْفَارِسِيُّ، وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنْ وَصْفِهِ، وَتُوُفِّيَ مَنْفِيًّا بِقَرْيَةٍ مِنْ بَلَدِهِ لَبْلَةَ[١] . وَوَصَلَهُ مِنَ ٱبْنِ عَمِّهِ أَبِي ٱلْمُغِيرَةِ[٢] رِسَالَةٌ فِيهَا مَا أَوْجَبَ أَنْ جَاوَبَهُ بِهَذِهِ ٱلرِّسَالَةِ، وَهِيَ : سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى « وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَاهِلِينَ » وَأَسْلَمْتُ وَٱنْقَدْتُ لِقَوْلِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ « صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَٱعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » وَرَضِيتُ بِقَوْلِ ٱلْحُكَمَاءِ « كَفَاكَ ٱنْتِصَارًا مِمَّنْ تَعَرَّضَ لِأَذَاكَ إِعْرَاضُكَ عَنْهُ » وَأَقُولُ :

تَتَبَّعْ سِوَايَ ٱمْرَأً يَبْتَغِي سِبَابَكَ، إِنَّ هَوَاكَ ٱلسِّبَابُ
فَإِنِّي أَبَيْتُ طِلَابَ ٱلسَّفَاهِ وَنَزَّهْتُ عِرْضِيَ عَمَّا يُعَابُ

---

(١) لبلة : (Niebla) كانت قصبة كورة بالأندلس كبيرة غرب قرطبة برية بحرية غزيرة الفضائل والثمر والزرع والشجر، وسبق القول فيها، وكانت لبلة وطن بني الجد الفهريين « وتقدم التعريف بهم » ثم نزحوا الى مالقة فالى اشبيليه، ثم فارقوا الأندلس الى المغرب، فنزلوا بمدينة فاس وكان اسم « لبلة » عند الرومان « ايليبوله » وقد نطق العرب بها قريبا من النطق الروماني القديم (٢) سبق التعريف به وهو عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم وكان شاعرا أديبا بليغا توفى بعسكر ابن ذي النون صاحب طليطلة سنة ٤٣٨ . « أحمد يوسف نجاتي »

وَقُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ بَعْـدِ ذَا
وَأَ كْثِرْ، فَإِنَّ سُكُوتِى خِطَابُ (١)

وَأَقُولُ :

كَفَانِى بِذِكْرِ النَّاسِ لِى وَمَآ ثِرِى
وَمَالَكَ فِيهِمْ يَابْنَ عَمِّىَ ذَاكِرُ
عَدُوِّى وَأَشْيَاعِى كَثِيرٌ، كَذَاكَ مَنْ
غَدَا وَهْوَ نَفَّاعُ الْمَسَاعِى وَضَائِرُ
وَإِنِّى - وَإِنْ آذَيْتَنِى وَعَقَقْتَنِى -
لَمُحْتَمِلٌ مَا جَاءَنِى مِنْكَ صَابِرُ (٢)

(١) من أحسن ماقيل فى هذا المعنى :

انى ليهجرنى الصديق تجنبا ... فأريه أن لهجره أسبابا
وأراه ان عاتبته أغريته ... فيكون تركى للعتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متحكم ... يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته منى السكوت ، وربما ... كان السكوت عن الجواب جوابا

(٢) فى مثل ذلك يقول بعض الأدباء :

كم من عدو لم يراع قرابة ... تغلى مراجل صدره من حقده
أدنته أرحام إلى وشيجة ... فرصت أن يهدى السبيل لرشده
أغضيت جفنى من أذاه على قذى ... وتركت سيف عقابه فى غمده
وصفحت عنه أرتجى اصلاحه ... حتى استقام فنلت صافى وده

وكم يقاسى النابه من بعض قرابته . والحكيم يحسن مداراتهم
« أحمد يوسف نجاتى »

فَوَقَّعَ لَهُ أَبُو ٱلْمُغِيرَةِ عَلَى ظَهْرِ رُقْعَتِهِ : قَرَأْتُ هَـذِهِ ٱلرُّقْعَةَ ٱلْعَاقَّةَ، فَحِينَ ٱسْتَوْعَبْتُهَا أَنْشَدَتْنِي :

نَخْنَخَ زَيْدٌ وَسَعَلْ لَمَّا رَأَى وَقْعَ ٱلْأَسَلْ

فَأَرَدْتُ قَطْعَهَا، وَتَرْكَ ٱلْمُرَاجَعَةِ عَنْهَا، فَقَالَتْ لِي نَفْسٌ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهَا : بِاللهِ لَا قَطَعْتَهَا إِلَّا يَدُهُ ، فَأَثْبَتْ عَلَى ظَهْرِهَا مَا يَكُونُ سَبَبًا إِلَى صَوْنِهَا، فَقُلْتُ :

نَعَقْتَ وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ ٱلْجَوَابُ
وَأَخْطَأْتَ حَتَّى أَتَاكَ ٱلصَّوَابُ ؟
وَأَجْرَيْتَ وَحْدَكَ فِي حَلْبَةٍ
نَأَتْ عَنْكَ فِيهَا ٱلْجِيَادُ ٱلْعِرَابُ[1]
وَبِتَّ مِنَ ٱلْجَهْلِ مُسْتَصْحِبًا بِغَيْرِ قِرًى فَأَتَتْكَ ٱلذِّئَابُ[2]

---

(١) يشير الى المثل « كل مجر بالخلاء يسر » وقالوا خيل عراب : أى منسوبة إلى العرب « يعنى أنها كرام جياد » فرقوا بين الخيل والناس ، فقالوا فى الناس عرب وأعراب، وفى الخيل عراب (٢) ويروى :

وبت من الجهل مستنبحا بغير قرى ... الخ

يقال استنبح الكلب إذا كان فى مضلة فأخرج صوته على مثل نباح الكلب ليسمعه الكلب فيتوهمه كلبا فينبح مجيبا له فيستدل بنباحه فيهتدى . ومن المجاز نبحتنى كلابه إذا لحقتنى شتائمه ، ونبح الشاعر : إذا هجا . وقرى الضيف مايقدم له من طعام ، يقول انه عرض نفسه لألسنة من هم أقوى منه بدون سبب جهلا منه وقلة حزم « أحمد يوسف نجاتى »

فَكَيْفَ تَبَيَّنَتَ عُقْبَي الظُّلُوم
إِذَا مَاانْقَضَتْ بِالْخَمِيسِ الْعُقَابُ(١)؟!
لَعَمْرِىَ مَالِى طِبَاعٌ تُذَمُّ
وَلَا شِيمَةٌ يَوْمَ مَجْدٍ تُعَابُ
أَنِيلُ الْمُنَى وَالظُّبَا سُخَّطٌ
وَأُعْطِى الرِّضَاوَالْعَوَالِى غِضَابُ(٢)

وَأَقُولُ :

وَغَاصِبِ حَقٍّ أَوْبَقَتْهُ الْمَقَادِرُ
يُذَكِّرُنِى حَامِيمَ وَالرُّمْحُ شَاجِرُ(٣)

(١) الخميس : الجيش لأنه عندهم مركب من خمس فرق ، والعقاب: الطائر المعروف، وهو من عتاق الطير وجوارحه ، وهي تتبع القتلى كما هو معروف (٢) يريد بالظبا : السيوف، و بالعوالى الرماح (٣) أو بقه: أهلكه ، وشجر الشيء: إذا اشتبك واتصل. والبيت مأخوذ من قول شريح بن أوفى العبسى

يذكرنى حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم؟!

و ينسب البيت أيضا للأشتر النخعى، والضمير فى « يذكرنى » يعود على محمد بن طلحة بن عبيدالله قتل سنة ٣٦ قتله الأشتر أو شريح فى حرب سيدنا على ومعاوية رضى الله عنهما، ومر به على صريعا فنزل و نفض التراب عن وجهه وقال: هذا قتله بره بأبيه. وخلاصة حادثته هذه أنه أخذ بزمام الجمل وقال للسيدة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: ياأماه :مرينى بأمرك، قالت:آمرك أن تكون كخير بنى آدم ان تركت ، فحمل ، فجعل لايحمل عليه أحد

غَدَا يَسْتَعِيرُ ٱلْفَخْرَ مِنْ خِيمِ خَصْمِهِ
وَيَجْهَلُ أَنَّ ٱلْحَقَّ أَبْلَجُ ظَاهِرُ(١)

أَلَمْ تَتَعَلَّمْ يَا أَخَا ٱلظُّلْمِ أَنَّنِي
بِرَغْمِكَ نَاهٍ مُنْذُ عَشْرٍ وَآمِرُ(٢)؟!

تُذِلُّ لِيَ ٱلْأَمْلَاكُ حُرَّ نُفُوسِهَا
وَأَرْكَبُ ظَهْرَ ٱلنَّسْرِ وَٱلنَّسْرُ طَائِرُ

وَأَبْعَثُ فِي أَهْلِ ٱلزَّمَانِ شَوَارِدًا
تُلِينُهُمُ وَهْيَ ٱلصِّعَابُ ٱلنَّوَافِرُ

الا حمل عليه وهو يقول : حم لاينصرون ، واجتمع عليه نفر ، فكلهم ادعى قتله «المكعبر الأسدى،والمكعبر الضبي،ومعاوية بن شداد العبسى ، أو أوفى بن شريح العبسى ، وعفان بن الأشقر النصرى » فأنفذه بعضهم بالرمح،ففي ذلك يقول قاتله منهم :

وأشعث قوام بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
هتكت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعا لليدين وللفم
يذكرنى حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم ؟!
على غير شيء غير أن ليس تابعا عليا، ومن لايتبع الحق يندم

وكان محمد بن طلحة يلقب السجاد لكثرة عبادته «أحمد يوسف نجاتى»

(١) الخيم الطبيعة ، وأبلج:واضح (٢) ويروى :

ألم تعلم ياأخا الظلم أننى ابن عمك الخ .

فَإِنْ أَثْوِ فِى أَرْضٍ فَإِنِّى سَائِرٌ
وَإِنْ أَنْأَ عَنْ قَوْمٍ فَإِنِّى حَاضِرُ(١)

وَحَسْبُكَ أَنَّ الْأَرْضَ عِنْدَكَ خَاتَمٌ
وَأَنَّكَ فِى سَطْحِ السَّلَامَةِ عَاثِرُ

وَلَا لَوْمَ عِنْدِى فِى اسْتِرَاحَتِكَ الَّتِى
تَنَفَّسْتَ عَنْهَا وَالْخُطُوبُ فَوَاقِرُ(٢)

فَإِنِّى لِلْحِلْفِ الَّذِى مَرَّ حَافِظٌ
وَلِلنَّزْعَةِ الْأُولَى بِحَامِيمَ ذَاكِرُ

هَنِيئًا لِكُلٍّ مَا لَدَيْهِ ، فَإِنَّنَا
عَطِيَّةُ مَنْ تُبْلَى لَدَيْهِ السَّرَائِرُ(٣)

وَمِنْ شِعْرِ أَبِى مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ يُخَاطِبُ قَاضِىَ الْجَمَاعَةِ بِقُرْطُبَةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ بَشِيرٍ(٤) :

(١) ثوى : أقام، ونأى : غاب (٢) جمع فاقرة أى مهلكة قاصمة للظهر (٣) تبلى : تكشف أو تختبر . والسرائر : ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات ، وماأخفى من الأعمال ، وفى القرآن الكريم «يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر» الخ (٤) كذا بالأصل ولعله « بشر » فانى أظنه يريد أبا المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية ويعرف بابن الحصار ، كان قاضى الجماعة بقرطبة، وكان ذا منزلة سامية وجاه

أَنَا ٱلشَّمْسُ فِي جَوِّ ٱلْعُلُومِ مُنِيرَةً
وَلٰكِنَّ عَيْبِي أَنَّ مَطْلَعِيَ ٱلْغَرْبُ
وَلَوْ أَنَّنِي مِنْ جَانِبِ ٱلشَّرْقِ طَالِعٌ
لَجَدَّ عَلَى مَا ضَاعَ مِنْ ذِكْرِيَ ٱلنَّهْبُ
وَلِي نَحْوَ آفَاقِ ٱلْعِرَاقِ صَبَابَةٌ
وَلَا غَرْوَ أَنْ يَسْتَوْحِشَ ٱلْكَلِفُ ٱلصَّبُّ
فَإِنْ يُنْزِلِ ٱلرَّحْمٰنُ رَحْلِيَ بَيْنَهُمْ
فَحِينَئِذٍ يَبْدُو ٱلتَّأَسُّفُ وَٱلْكَرْبُ
فَكَمْ قَائِلٍ أَغْفَلْتُهُ وَهْوَ حَاضِرٌ
وَأَطْلُبُ مَا عَنْهُ تَجِيءُ بِهِ ٱلْكُتُبُ

عظيم وعلم بارع، مع الفضل والدين والذكاء واليقظة والافتنان فى العلوم. بل هو آخر القضاة والجلة من العلماء، ولاه على بن حمود القضاء سنة ٤٠٧ فسار أحسن سيرة وأقوم طريقة، ولم يزل قاضيا مدة امرة على بن حمود الى أن توفى، وولى بعده أخوه القاسم بن حمود فأقره على القضاء، وجمع له معه الصلاة والخطبة، فلم يزل على ذلك الى آخر سنة ٤١٩ فعزله المعتمد بسعايات ومطالبات. وكان مولده سنة ٣٦٤ وتوفى سنة ٤٢٢ وشهده الخليفة هشام بن محمد شانئه كالشامت بموته قبله، فقل متاعه بالحياة بعده، عفا الله عنهما « أحمد يوسف نجاتى »

هُنَالِكَ يُدْرَى أَنَّ لِلْبُعْدِ قِصَّةً
وَأَنَّ كَسَادَ الْعِلْمِ آفَتُهُ الْقُرْبُ

فَيَا عَجَباً مَنْ غَابَ عَنْهُمْ تَشَوَّقُوا(١)
لَهُ،وَدُنُوُّ الْمَرْءِ مِنْ دَارِهِمْ ذَنْبُ

وَإِنَّ مَكَانًا ضَاقَ عَنِّي لَضَيِّقٌ
عَلَى أَنَّهُ فِيحٌ مَهَامِهُهُ سُهْبُ(٢)

وَإِنَّ رِجَالًا ضَيَّعُونِي لَضُيَّعٌ
وَإِنَّ زَمَانًا لَمْ أَنَلْ خِصْبَهُ جَدْبُ(٣)

وَمِنْهَا فِي الِاعْتِذَارِ عَنْ مَدْحِهِ لِنَفْسِهِ(٤) :

(١) أو « تشوفوا » بالفاء أى تطلعوا (٢) فيح جمع أفيح : أي واسع ، والمهمه المفازة ، والسهب الفلاة ، وجمعه سهب ، والسهب : المستوى من الأرض فى سهولة وسعة ـ وفى الأصل « فسح » بدل « فيح » والمعنى واحد « أحمد يوسف نجاتى » (٣) فى معنى بعض الأبيات السابقة قول أبى بكر بن بقى الأندلسى :

أقمت فيكم على الاقتار والعدم ... لو كنت حرا أبى النفس لم أقم
فلا حديقتكم يجنى لها ثمر ... ولا سماؤكم تنهل بالديم
أنا امرؤان نبت بى أرض أندلس ... جئت العراق فقامت لى على قدم
ما العيش بالعلم الاحالة ضعفت ... وحرفة وكات بالقصد الهرم

وقديما قالوا : زامر الحى لايطرب « أحمد يوسف نجاتى » .

(٤) فى الأصل «فى مدحه لنفسه» وفى معنى اعتذاره قول من يرى رأيه:

وَلَـكِنَّ لِي فِي يُوسُفٍ خَيْرَ أُسْوَةٍ

وَلَيْسَ عَلَى مَنْ بِالنَّبِيِّ ائْتَسَى ذَنْبُ[1]

يَقُولُ ـ مَقَالَ الصِّدْقِ وَالْحَقِّ : إِنَّنِي

حَفِيظٌ عَلِيمٌ ، مَا عَلَى صَادِقٍ عَتْبُ

وَقَوْلُهُ :

لَا يَشْمَتَنْ حَاسِدِي إِنْ نَـكْبَةٌ عَرَضَتْ

فَالدَّهْرُ لَيْسَ عَلَى حَالٍ بِمُتَّرِكِ

ذُو الْفَضْلِ كَالتِّبْرِ ، يُلْقَى تَحْتَ مَتْرَبَةٍ

طَوْرًا ، وَطَوْرًا يُرَى تَاجًا عَلَى مَلِكِ[2]

وَقَوْلُهُ لَمَّا أَحْرَقَ الْمُعْتَضِدُ بْنُ عَبَّادٍ كُتُبَهُ بِإِشْبِيلِيَةَ :

دَعُونِيَ مِنْ إِحْرَاقِ رَقٍّ وَكَاغَدٍ

وَقُولُوا بِعِلْمٍ كَيْ يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدْرِي[3]

وماذا على الانسان فى مدح نفسه اذا لم يكن فى قوله بكذوب

و يريد ابن حزم قول سيدنا يوسف عليه السلام فيما حكى تعالى عنه «قال اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم « أحمد يوسف نجاتى »

(١) ائتسى : اقتدى (٢) ويروى :

ذو الفضل كالتبر طورا تحت ميفعة وتارة فى ذرا تاج عـلى ملك

(٣) الرق : بالفتح : مايكتب فيه وهو جلد رقيق ، ومنه قوله تعالى :

فَإِنْ تُحْرِقُوا الْقِرْطَاسَ لَمْ تُحْرِقُوا الَّذِى
تَضَمَّنَهُ الْقِرْطَاسُ ، بَلْ هُوَ فِى صَدْرِى
يَسِيرُ مَعِى حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ رَكَائِبِى
وَيَنْزِلُ إِنْ أَنْزِلْ ، وَيُدْفَنُ فِى قَبْرِى (١)

وَقَوْلُهُ :

لَئِنْ أَصْبَحْتُ مُرْتَحِلًا بِشَخْصِى
فَقَلْبِى عِنْدَكُمْ أَبَدًا مُقِيمُ
وَلَكِنْ لِلْعِيَانِ لَطِيفُ مَعْنًى
لِذَا سَأَلَ الْمُعَايَنَةَ الْكَلِيمُ (٢)

وَقَوْلُهُ :

(١) يقول : « فى رق منشور » والكاغد : الورق . ويروى : وقولوا بعلمى ..

ليس بعلم مايعى القمطر   ماالعلم الا ماحواه الصدر

(٢) الكليم : سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. وقد كرر ابن حزم هذا المعنى فى شعر آخر فقال :

يقول أخى : شجاك رحيل جسم   وروحك ماله عنا رحيل
فقلت له : المعاين مطمئن   لذا طلب المعاينة الخليل

يريد قول سيدنا الخليل : « رب أرنى كيف تحي الموتى » الآية « أحمد يوسف نجاتى » .

وَذِى عَذَلٍ فِيمَنْ سَبَانِى حُسْنُهُ
يُطِيلُ مَلَامِى فِى ٱلْهَوَى وَيَقُولُ :
أَمِنْ أَجْلِ وَجْهٍ لَاحَ لَمْ تَرَ غَيْرَهُ
وَلَمْ تَدْرِ كَيْفَ ٱلْجِسْمُ أَنْتَ عَلِيلُ[1] ؟
فَقُلْتُ لَهُ : أَسْرَفْتَ فِى ٱللَّوْمِ فَاتَّئِدْ[2]
فَعِنْدِىَ رَدٌّ لَوْ أَشَاءُ طَوِيلُ
أَلَمْ تَرَ أَنِّى ظَاهِرِىٌّ ، وَأَنَّنِى
عَلَى مَا أَرَى[3] حَتَّى يَقُومَ دَلِيلُ

وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَلِىُّ بْنُ أَبِى عُمَرَ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ حَزْمِ بْنِ غَالِبِ بْنِ مَزْيَدٍ ٱلْقُرْطُبِىُّ . قَالَ ٱبْنُهُ أَبُو رَافِعٍ ٱلْفَضْلُ : ٱجْتَمَعَ عِنْدِى بِخَطِّ أَبِى مِنْ تَوَالِيفِهِ نَحْوُ أَرْبَعِمِائَةِ مُجَلَّدٍ تَشْتَمِلُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ نَحْوِ ثَمَانِينَ أَلْفَ وَرَقَةٍ . ٱنْتَهَى . وَأَبُوهُ ٱلْوَزِيرُ أَبُو عُمَرَ ٱلْمَذْكُورُ[4] كَانَ مِنْ

(١) ويروى :

أمن حسن وجه ... ... أنت قتيل

(٢) تمهل وتأن (٣) ويروى « على مابدا » (٤) سبق التعريف به وكان من البلاغة بمكان « أحمد يوسف نجاتى »

وُزَرَاءِ الْمَنْصُورِ ابْنِ أَبِي عَامِرٍ ، وَتُوُفِّيَ كَمَا قَالَ ابْنُ حَيَّانَ بِذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ مَنْشَؤُهُ وَمَوْلِدُهُ بِقَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِالزَّاوِيَةِ (١) . وَحُكِيَ أَنَّ الْحَافِظَ أَبَا مُحَمَّدِ بْنَ حَزْمٍ قَصَدَ أَبَا عَامِرِ بْنَ شُهَيْدٍ فِي يَوْمٍ غَزِيرِ الْمَطَرِ وَالْوَحَلِ شَدِيدِ الرِّيحِ ، فَلَقِيَهُ أَبُو عَامِرٍ، وَأَعْظَمَ قَصْدَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي مِثْلُكَ يَقْصِدُنِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ؟! فَأَنْشَدَهُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ بَدِيهاً :

فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا دُوَيْنَكَ لُجَّةً
وَفِي الْجَوِّ صَعْقٌ دَائِمٌ وَحَرِيقُ
لَسَهَّلَ وُدِّي فِيكَ نَحْوَكَ مَسْلَكاً
وَلَمْ يَتَعَذَّرْ لِي إِلَيْكَ طَرِيقُ

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَزْمٍ أَنْشَدَنِي الْوَزِيرُ أَبِي فِي بَعْضِ وَصَايَاهُ لِي :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا فَلَا تَكُنْ
عَلَى حَالَةٍ إِلَّا رَضِيتَ بِدُونِهَا

(١) كانت من اقليم أكشونبة غرب قرطبة يتصل عملها بعمل أشبونة غربا

وَهَذَا كَافٍ فِي فَضْلِ ٱلْفَرْعِ وَٱلْأَصْلِ - رَحِمَ ٱللّٰهُ ٱلْجَمِيعَ . قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي « طَوْقِ ٱلْحَمَامَةِ » : إِنَّهُ مَرَّ يَوْمًا هُوَ وَأَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ ٱلْبَرِّ[1] صَاحِبُ ٱلِاسْتِيعَابِ بِسِكَّةِ ٱلْحَطَّابِينَ مِنْ مَدِينَةِ إِشْبِيلِيَةَ ، فَلَقِيَهُمَا شَابٌّ حَسَنُ ٱلْوَجْهِ فَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ : هَذِهِ صُورَةٌ حَسَنَةٌ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عُمَرَ لَمْ نَرَ إِلَّا ٱلْوَجْهَ ، فَلَعَلَّ مَا سَتَرَتْهُ ٱلثِّيَابُ لَيْسَ كَذَلِكَ ، فَقَالَ ٱبْنُ حَزْمٍ ٱرْتِجَالًا * وَذِي عَذَلٍ فِيمَنْ سَبَانِي حُسْنُهُ * ، ٱلْأَبْيَاتَ ٱلْمُتَقَدِّمَةَ . وَلِابْنِ حَزْمٍ أَيْضًا قَوْلُهُ :

لَا تَلُمْنِي لِأَنْ سُبِقَتُ لِحَظٍّ
فَاتَ إِدْرَاكُهُ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ[2]
يَسْبِقُ ٱلْكَلْبُ وَثْبَةَ ٱللَّيْثِ فِي ٱلْعَدْ
وِ ، وَيَعْلُو ٱلنُّخَالُ فَوْقَ ٱللُّبَابِ[3]

---

(١) سبق التعريف به ، وكتاب طوق الحمامة طبع بمصر (٢) كان صدر البيت فى الأصل « لاتلمنى لأن سبقة لحظ » وفى معنى البيتين :

ورب مليح لايحب ، وضده ... تقبل منه العين والخد والفم
هو الحظ خذه ان أردت مسلما ... ولا تطلب التعليل فالأمر مبهم

(٣) النخال : مايخرج من الدقيق عند غربلته ، واللباب : الخالص منه . وفى هذا المعنى يقول ابن الرومى :

وَلِأَبِي بَكْرِ بْنِ مُفَوِّزٍ (١) جُزْءٌ يَرُدُّ فِيهِ عَلَى أَبِي مُحَمَّدِ ابْنِ حَزْمٍ ، وَفِيهِ قَالَ مُعَرِّضًا :

يَا مَنْ تُعَانِي أُمُورًا لَنْ تُعَانِيَهَا
خَلِّ ٱلتَّعَانِي، وَأَعْطِ ٱلْقَوْسَ بَارِيَهَا
تَرْوِي ٱلْأَحَادِيثَ عَنْ كُلِّ مُسَامَحَةٍ
وَإِنَّمَا لِمَعَانِيهَا مَعَانِيهَا

وَقِيلَ إِنَّهُ خَاطَبَ بِهِمَا بَعْضَ أَصْحَابِ ٱبْنِ حَزْمٍ : « رَجَعَ إِلَى ٱلْقَاضِي أَبِي ٱلْوَلِيدِ ٱلْبَاجِيِّ » وَمِنْ نَظْمِهِ قَوْلُهُ فِي مَرْثِيَةٍ :

أَحِنُّ وَيَثْنِي ٱلْيَأْسُ نَفْسِي عَلَى ٱلْأَسَى
كَمَا ٱضْطُرَّ مَحْمُولٌ عَلَى ٱلْمَرْكَبِ ٱلصَّعْبِ

دهر علا قدر الوضيع به وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سفلا ، وتطفو فوقه جيفه

***

أما ترى البحر تعلو فوقه جيف وتستقر بأقصى قعره الدرر

(١) تقدم التعريف به، وأخذ بيته من قول الشاعر :

ياباري القوس بريا ليس يحسنه لاتظلم القوس، أعط القوس باريها

وَمِنْ جَيِّدِ نَظْمِهِ قَوْلُهُ :

أَسَرُّوا عَلَى ٱللَّيْلِ ٱلْبَهِيمِ سُرَاهُمُ
فَنَمَّتْ عَلَيْهِمْ فِي ٱلشَّمَالِ شَمَائِلُ (١)

---

(١) فى معناه :

وأخفوا على تلك المطايا مسيرهم ... فنم عليهم فى الظـلام التبسم

وأسروا : أخفواوكتموا، والبهيم :الشديدالظلام،والسرى:السيرليلا ، يريد أن ريح الشمال تضوعت طيبا من أخلاقهم وسجاياهم فوشت بهم ودلت عليهم ، ونحوه :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه ... وطيب تراب القبر دل على القبر

وقوله :

وحاولن كتمان الترحل فى الدجا ... فنم بهن المسك لما تضوعا

وقوله :

اذا أبصرتك العين من بعدغاية ... فأوقعت شكافيك أنبتك القلب
ولو أن ركبا يموك لقادهم ... نسيمك حتى يستدل بك الركب

وقال العرجى :

يوم يقول الرسول قد أذنت ... فأت على غير رقبة فلج
أقبلت أهوى الى رحالهم ... أهدى اليها بريحها الأرج

وقال ابن سكرة الهاشمى :

أهلا وسهلا بمن زارت بلا عدة ... تحت الظلام ولم تحذر من العسس
تسترت بالدجا عمدا فما استترت ... وناب اشراقها ليلا عن القبس
ولو طواها الدجا عنى لأظهرها ... برق اللثات وعطر النحر والنفس

والقول فى هذا المعنى كثير وتقدم شىء منه « أحمد يوسف نجاتى »

مَتَى نَزَلُوا ثَاوِينَ بِالْخَيْفِ مِنْ مِنًى
بَدَتْ لِلْهَوَى بِالْمَأْزِمَيْنِ مَخَايِلُ(١)
فَلِلَّهِ مَا ضَمَّتْ مِنًى وَشِعَابُهَا
وَمَا ضَمِنَتْ تِلْكَ الرُّبَا وَالْمَنَازِلُ
وَلَمَّا الْتَقَيْنَا لِلْجِمَارِ وَأُبْرِزَتْ
أَكُفٌّ لِتَقْبِيلِ الْحَصَى وَأَنَامِلُ
أَشَارَتْ إِلَيْنَا بِالْغَرَامِ مَحَاجِرٌ
وَبَاحَتْ بِهِ مِنَّا جُسُومٌ نَوَاحِلُ(٢)

وَقَالَ الْبَاجِيُّ أَبُو الْوَلِيدِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى(٣) ـ :

---

(١) الخيف والمأزمان من مواضع الحج وتقدم شرحهما «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) تقدم ذكر شيء مما قيل فى هذا المعنى ، ومنه :

هل تذكرين اذ الركاب مناخة   برحالها لوداع أهل الموسم
اذ نحن تخبرنا الحواجب بيننا   مافى النفوس ونحن لم نتكلم

(٣) ومن شعر الباجى أيضا :

تبلغ من الدنيا بأيسر زاد   فانك عنها راحل لمعاد
وغض عن الدنيا وزخرف أهلها   جفونك، واكحلها بطيب سهاد
وجاهد عن اللذات نفسك جاهدا   فان جهاد النفس خير جهاد
وما هى الا دار لهو وفتنة   وان قصارى أهلها لنفاد

مَضَى زَمَنُ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلْكِرَامِ
سَقَاهُ ٱللهُ مِنْ صَوْبِ ٱلْغَمَامِ
وَكَانَ ٱلْبِرُّ فِعْلًا دُونَ قَوْلٍ فَصَارَ ٱلْبِرُّ نُطْقًا بِالْكَلَامِ

وَذَيَّلَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ :

وَزَالَ ٱلنُّطْقُ حَتَّى لَسْتَ تَلْقَى
فَتًى يَسْخُو بِرَدٍّ لِلسَّلَامِ
وَزَادَ ٱلْأَمْرُ حَتَّى لَيْسَ إِلَّا
سَخِيٌّ بِالْأَذَى أَوْ بِالْمَلَامِ

***

محمد بن الوليد الفهري

« وَمِنْهُمُ ٱلْفَقِيهُ ٱلْعَالِمُ ٱلشَّهِيرُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَيُّوبَ ٱلْفِهْرِيُّ ٱلطُّرْطُوشِيُّ ، صَاحِبُ سِرَاجِ ٱلْمُلُوكِ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ أَبِي رَنْدَقَةَ - بِالرَّاءِ ٱلْمُهْمَلَةِ ٱلْمَفْتُوحَةِ وَسُكُونِ ٱلنُّونِ[1] - وَكَنَى

---

(١) فى ابن خلكان : رندقة لفظة فرنجية، سألت بعض الفرنج عليها فقال: معناها « ردتعال » . « أحمد يوسف نجاتى »

بِسِرَاجِ ٱلْمُلُوكِ دَلِيلًا عَلَى فَضْلِهِ . ذَكَرَهُ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ فِي ٱلصِّلَةِ ، وَتُوُفِّيَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ فِي شَعْبَانَ - وَقِيلَ جُمَادَى ٱلْأُولَى - سَنَةَ عِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ . وَزُرْتُ قَبْرَهُ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ . وَمِمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ ٱلْحَافِظُ ٱلْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ ٱلْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُ ، وَمِنْ نَظْمِ ٱلطَّرْطُوشِيِّ قَوْلُهُ مِنْ رِسَالَةٍ :

أُقَلِّبُ طَرْفِي فِي ٱلسَّمَاءِ تَرَدُّدًا
لَعَلِّي أَرَى ٱلنَّجْمَ ٱلَّذِي أَنْتَ تَنْظُرُ (١)
وَأَسْتَعْرِضُ ٱلرُّكْبَانَ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ
لَعَلِّي بِمَنْ قَدْ شَمَّ عَرْفَكَ أَظْفَرُ
وَأَسْتَقْبِلُ ٱلْأَرْوَاحَ عِنْدَ هُبُوبِهَا
لَعَلَّ نَسِيمَ ٱلرِّيحِ عَنْكَ يُخَبِّرُ
وَأَمْشِي وَمَالِي فِي ٱلطَّرِيقِ مَآرِبٌ
عَسَى نَغْمَةٌ بِاسْمِ ٱلْحَبِيبِ سَتُذْكَرُ

(١) هذا من قول الأول :

الى الكوكب النسرا نظرى كل ليلة   فانى اليه بالعشية ناظر
عسى يلتقى طرفى وطرفك عنده   ونشكو اليه ماتجن الضمائر

وَأَلْمَحُ مَنْ أَلْقَاهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ
عَسَى لَمْحَةٌ مِنْ نُورِ وَجْهِكَ تُسْفِرُ

وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا قَوْلُهُ :

يَقُولُونَ : ثُكْلَى، وَمَنْ لَمْ يَذُقْ
فِرَاقَ الْأَحِبَّةِ لَمْ يَثْكَلِ (١)

لَقَدْ جَرَّعَتْنِي لَيَالِي الْفِرَاقِ كُؤُوسًا أَمَرَّ مِنَ الْحَنْظَلِ

وَمِمَّا يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُهُ :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا وَأَنْتَ بِإِنْجَازِهَا مُغْرَمُ (٢)
فَأَرْسِلْ بِأَكْمَهَ خَلَّابَةٍ بِهِ صَمَمٌ أَغْطَشٌ أَبْكَمُ (٣)
وَدَعْ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سِوَى رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدِّرْهَمُ

وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ :

---

(١) الثكل فقد الوالد ومن يعز فراقه .

(٢) الأصل فى هذا قول الشاعر :

اذا كنت فى حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه
وان باب أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوى المتوفى سنة ٣٩٠ :

اذا كنت فى حاجة مرسلا وأنت بها كاف مغرم
فأرسل حكيما ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

(٣) الكمه فى الأصل: العمى الذى يولد به الانسان، أوهو عام فى العمى العارض، وفعله كفرح فهو أكمه وهى كمهاء ، وكمه أيضا اذا زال عقله

إِنَّ لِلّٰهِ عِبَادًا فُطُنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتَنَا
فَكَّرُوا فِيهَا ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً ، وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - كُنْتُ لَيْلَةً نَائِمًا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِذْ سَمِعْتُ فِي اللَّيْلِ صَوْتًا حَزِينًا يُنْشِدُ :

أَخَوْفٌ وَنَوْمٌ؟! إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ
ثَكِلْتُكَ مِنْ قَلْبٍ فَأَنْتَ كَذُوبُ
أَمَا وَجَلَالِ اللهِ لَوْ كُنْتَ صَادِقًا
لَمَا كَانَ لِلْإِغْمَاضِ فِيكَ نَصِيبُ (١)

وسلب. والخلابة مبالغةمن خلب المرأة عقلها اذا سلبها اياه ، وخلبت عقله كذلك أخذته وذهبت به ، وخلبه « كنصره » خلبا وخلابا وخلابة « بالكسر » اذا خادعه . والأغطش من غطش الليل اذا أظلم،وغطش الرجل « كضرب » اذا مشى رويدا من مرض بعينه أو كبر ، والغطش شبهالعمش، وفعله كفرح فهو أغطش وهي غطشاء ، وفلاة غطشى وغطشاء اذا عميت مسالكها فلم يهتد فيها لطريق ، والغطاش:ظلمة الليل واختلاطه ويروى « أفطس » بدل « أغطش » جمع فى البيت صفات تنافى الحكمة التى اشترطها غيره فى الرسول حتى ينجح فى رسالته ، ولكنه لما كان رسولا ذاخلابة كان أفصح من سواه مع بكمه الخ وذلك هو المال «أحمد يوسف نجاتى»

(١) وفى معنى هذا قول بعض الصوفية :

ومالى لا أبكى وأنثر مدمعى وقد نصبت للساهرين خيام
علامة طردى طول ليلى نائم وغيرى يرى أن المنام حرام

قَالَ : فَأَيْقَظَ ٱلنُّوَّامَ ، وَأَبْــكَى ٱلْعُيُونَ . وَكَانَ ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ زَاهِدًا عَابِدًا مُتَوَرِّعًا مُتَقَلِّلًا مِنَ ٱلدُّنْيَا قَوَّالا لِلْحَقِّ . وَكَانَ يَقُولُ: إِذَا عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ أَمْرُ دُنْيَا وَأُخْرَى فَبَادِرْ بِأَمْرِ ٱلْأُخْرَى يَحْصُلْ لَكَ أَمْرُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأُخْرَى . وَلَهُ طَرِيقَةٌ فِى ٱلْخِلَافِ . وَدَخَلَ مَرَّةً عَلَى ٱلْأَفْضَلِ بْنِ أَمِيرِ ٱلْجُيُوشِ(١) فَوَعَظَهُ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِى أَصْبَحْتَ فِيهِ مِنَ ٱلْمُلْكِ إِنَّمَا صَارَ إِلَيْكَ بِمَوْتِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنْ يَدِكَ بِمِثْلِ مَا صَارَ إِلَيْكَ ، فَاتَّقِ ٱللّٰهَ فِيمَا خَوَّلَكَ(٢) مِنْ هَذِهِ ٱلْأُمَّةِ ، فَإِنَّ ٱللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ سَائِلُكَ عَنِ ٱلنَّقِيرِ(٣) وَٱلْقِطْمِيرِ

---

(١) هو أبو القاسم شا هنشاه الملقب الملك الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى، وكان بدر هذا أرمنى الجنس اشتراه جمال الدولة بن عمار ، وتربى عنده، وتقدم بسببه، وكان ذا رأى وشهامة وعزيمة، فاستنابه الخليفة المستنصر الفاطمى بمدينة صور «أومدينة عكا» ثم استدعاه المستنصر سنة ٤٦٦ الى مصر فولاه تدبير أموره ، فأصلح حال الدولة ـ وتوفى سنة ٤٨٨ فوزر ولده الملك الأفضل موضعه ، وكان حسن التدبير سديد الرأى ، وقتل سنة ٥١٥ وهو والد أبى على أحمد بن شاهنشاه الذى غلب على الخليفة عبد المجيد الحافظ بن المستنصر الفاطمى ، واستقل بالأمر وأحسن القيام به حتى قتل سنة ٥٢٦ . « أحمد يوسف نجاتى » . (٢) خولك . أعطاك وملكك (٣) النقير : النقرة أو النكتة التى فى ظهر النواة كأن ذلك الموضع نقر منها . والقطمير : شق النواة ، أو القشرة الرقيقة التى عليها ، ويطلق كلاهما على الشىء الهين النزر الحقير

وَالْفَتِيلِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ آتَى سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ مُلْكَ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا(١)، فَسَخَّرَ لَهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ وَالطَّيْرَ وَالْوُحُوشَ وَالْبَهَائِمَ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً(٢) حَيْثُ أَصَابَ ، وَرَفَعَ عَنْهُ حِسَابَ ذَلِكَ أَجْمَعَ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » فَمَا عَدَّ ذَلِكَ نِعْمَةً كَمَا عَدَدْتُمُوهَا ، وَلَا حَسِبَهَا كَرَامَةً كَمَا حَسِبْتُمُوهَا ، بَلْ خَافَ أَنْ يَكُونَ اسْتِدْرَاجًا مِنَ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ » ؟ فَافْتَحِ الْبَابَ ، وَسَهِّلِ الْحِجَابَ ، وَانْصُرِ الْمَظْلُومَ — وَكَانَ إِلَى جَانِبِ الْأَفْضَلِ رَجُلٌ نَصْرَانِيٌّ — فَأَنْشَدَهُ :

يَاذَا الَّذِي طَاعَتُهُ قُرْبَةٌ ... وَحَقُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبُ
إِنَّ الَّذِي شُرِّفْتَ مِنْ أَجْلِهِ ... يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبُ

وَأَشَارَ إِلَى النَّصْرَانِيِّ — فَأَقَامَهُ الْأَفْضَلُ مِنْ مَكَانِهِ .

والفتيل ، هو مافى شق النواة ، وهو أيضا يضرب مثلا للشىء التافه الحقير القليل . والمعنى أن الله سائلك عن كل شىء صغر أو كبر ، عظم أو حقر

(١) جمع حذفور أو حذفار ، وهو فى الأصل بمعنى الجانب والناحية ، و يراد به معنى الجميع ، فيقال أخذه بحذافيره : أى جميعه أو بأسره ، أى بجميع جوانبه ونواحيه (٢) رخاء : سهلة لينة الهبوب طيبته « أحمد يوسف نجاتى »

وَالطُّرْطُوشِيُّ بِضَمِّ الطَّاءَيْنِ نِسْبَةٌ إِلَى طُرْطُوشَةَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ، وَقَدْ تُفْتَحُ الطَّاءُ الْأُولَى . وَعَبَّرَ عَنْهُ ابْنُ الْحَاجِبِ فِي مُخْتَصَرِهِ الْفِقْهِيِّ فِي بَابِ الْعِتْقِ بِ «الْأُسْتَاذِ» وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - صَحِبَ الْقَاضِيَ أَبَا الْوَلِيدِ الْبَاجِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِسَرَقُسْطَةَ ، وَأَخَذَ عَنْهُ مَسَائِلَ الْخِلَافِ ، وَسَمِعَ مِنْهُ وَأَجَازَهُ ، وَقَرَأَ الْفَرَائِضَ عَلَيْهِ وَالْحِسَابَ بِوَطَنِهِ ، وَقَرَأَ الْأَدَبَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ حَزْمٍ بِمَدِينَةِ إِشْبِيلِيَةَ . ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَالْبَصْرَةَ ، فَتَفَقَّهَ هُنَالِكَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ الشَّاشِيِّ(١) وَأَبِي مُحَمَّدٍ الْجُرْجَانِيِّ ، وَسَمِعَ بِالْبَصْرَةِ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ التُّسْتَرِيِّ(٢) وَسَكَنَ الشَّامَ مُدَّةً ، وَدَرَّسَ بِهَا . وَكَانَ رَاضِيًا بِالْيَسِيرِ . وَقَالَ الصَّفَدِيُّ فِي تَرْجَمَةِ الطُّرْطُوشِيِّ : إِنَّ الْأَفْضَلَ ابْنَ أَمِيرِ الْجُيُوشِ أَنْزَلَهُ فِي مَسْجِدِ شَقِيقِ الْمَلِكِ بِالْقُرْبِ

(١) هو الامام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الأصل الفارقي المولد الملقب فخر الاسلام الفقيه الشافعي، انتهت اليه رياسة الشافعية، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد سنة ٥٠٤ الى أن توفي سنة ٥٠٧ (٢) هو علي بن أحمد بن علي البصري السقطي المحدث . توفي سنة ٤٧٩ « أحمد يوسف نجاتي »

مِنَ ٱلرَّصَدِ(١) ـ وَكَانَ يَكْرَهُهُ ـ فَلَمَّا طَالَ مُقَامُهُ بِهِ ضَجِرَ، وَقَالَ لِخَادِمِهِ: إِلَى مَتَى نَصْبِرُ؟ اجْمَعْ لِي ٱلْمُبَاحَ، فَجمعهُ، وَأَكَلَهُ ثلاثة أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ صَلَاةِ ٱلْمَغْرِبِ قَالَ لِخَادِمِهِ: رَمَيْتُهُ ٱلسَّاعَةَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ رَكِبَ ٱلْأَفْضَلُ فَقُتِلَ، وَوُلِّيَ بَعْدَهُ ٱلْمَأْمُونُ بْنُ ٱلْبَطَائِحِيِّ(٢) فَأَكْرَمَ ٱلشَّيْخَ إِكْرَامًا كَثِيرًا، وَلَهُ أَلَّفَ ٱلشَّيْخُ سِرَاجَ ٱلْمُلُوكِ. ٱنْتَهَى.

ومَقَامُهُ ـ أَعْنِي ٱلطَّرْطُوشِيَّ ـ مَشْهُورٌ، وَهَذِهِ ٱلْحِكَايَةُ تَكْفِي فِي وِلَايَتِهِ. وَمِنْ تَآلِيفِهِ مُخْتَصَرُ تَفْسِيرِ ٱلثَّعَالِبِيِّ(٣)،

---

(١) مسجد شقيق الملك « كان بجوار مسجد الرصد » بناه شقيق الملك خسروان صاحب بيت المال أحد خدام القصر فى أيام الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٤١ ومسجد الرصد بناه الملك الأفضل المذكور لأجل رصد الكواكب بالآلة التى كان يقال لها ذات الحلق، وكان كلا المسجدين بالقرافة الكبيرة «أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو أبو عبد الله محمد بن مختار بن فاتك البطائحى « نسبة الى البطائح موضع بين واسط والبصرة » أقامه الآمر بأحكام الله الفاطمى فى الوزارة بعد قتل الأفضل، فلم ترض سيرته. وما زال حتى قبض عليه الآمر سنة ٥١٩ وصادره، ثم قتله سنة ٥٢٢ وصلبه، وقتل معه خمسة من اخوته، ونحو ثلاثين رجلا من خواصه وأهله. « أحمد يوسف نجاتى » .

(٣) يريد الامام الثعلبى « فقد يقال له الثعالبى أيضا » وهو الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى المفسر المشهور، وله التفسير العظيم الذى فاق غيره من التفاسير، توفى سنة ٤٢٧ وهو غير أبى منصور الثعلبى صاحب يتيمة الدهر وغيرها من كتب الأدب والتاريخ، وهو عبد الملك بن محمد بن اسمعيل « الثعالبى النيسابورى أيضا » وتوفى سنة ٤٢٩ فهذا مشهور بالأدب النظم والنثر لا بالتفسير « أحمد يوسف نجاتى»

وَالْكِتَابُ الْكَبِيرُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ ، وَكِتَابٌ فِي تَحْرِيمِ جُبْنِ الرُّومِ ، وَكِتَابُ بِدَعِ الْأُمُورِ وَمُحْدَثَاتِهَا ، وَكِتَابُ شَرْحِ رِسَالَةِ الشَّيْخِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ . وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ تَقْرِيباً. وَلَمَّا تُوُفِّيَ صَلَّى عَلَيْهِ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ، وَدُفِنَ — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى — قِبَلَ الْبَابِ الْأَخْضَرِ (١) بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ،وَزُرْتُ قَبْرَهُ مِرَارًا — رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَرَضِيَ عَنْهُ ، وَنَفَعَنَا بِهِ — . وَكَانَ الْقَاضِي عِيَاضٌ مِمَّنِ اسْتَجَازَهُ فَأَجَازَهُ وَلَمْ يَلْقَهُ . وَشُهْرَتُهُ — رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ — تُغْنِي عَنِ الْإِطْنَابِ فِيهِ . وَحُكِيَ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى سِرَاجِ الْمُلُوكِ الَّذِي أَهْدَاهُ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ بِمِصْرَ :

النَّاسُ يُهْدُونَ عَلَى قَدْرِهِمْ
لَكِنَّنِي (٢) أُهْدِي عَلَى قَدْرِي
يُهْدُونَ مَا يَفْنَى ، وَأُهْدِي الَّذِي
يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ وَالدَّهْرِ

---

(١) فى ابن خلكان «ودفن فى مقبرة وعلة قريبا من البرج الجديد قبلى الباب الأخضر » «أحمد يوسف نجاتى »(٢) ويروى «وأننى»

وَحُكِىَ أَنَّهُ سَمِعَ ـ رَضِىَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ مُنْشِدًا يُنْشِدُ لِلْوَأْوَاءِ(١) :

قَمَرٌ أَتَى مِنْ غَيْرِ وَعْدِ   فِى لَيْلَةٍ طَرَقَتْ بِسَعْدِ
بَاتَ ٱلصَّبَاحُ إِلَى ٱلصَّبَا   حِ مُعَانِقِى خَدًّا بِخَدِّ
يَمْتَارُ(٢) فِىَّ وَنَاظِرِى   مَا شِئْتُ مِنْ خَمْرٍ وَوَرْدِ

فَقَالَ : أَوَيَظُنُّ هَـذَا ٱلدِّمَشْقِىُّ أَنَّ أَحَدًا لَا يُحْسِنُ أَنْ يَنْظِمَ ٱلْكَذِبَ غَيْرَهُ ؟ ! لَوْ شِئْنَا لَكَذَبْنَا مِثْلَ هَـذَا ، ثُمَّ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ يُعَارِضُهُ :

قَمَرٌ أَتَى مِنْ غَيْرِ وَعْدِ   حُفَّتْ شَمَائِلُهُ بِسَعْدِ
قَبَّلْتُهُ وَرَشَفْتُ مَا   فِى فِيهِ مِنْ خَمْرٍ وَشُهْدِ
فَمَزَجْتُ مُزْنَ ٱلسَّلْسَبِيـ   ـلِ بِزَنْجَبِيلٍ مُسْتَعَدِّ

(١) الوأواء الدمشقى أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانى ، شاعر مطبوع ، منسجم الألفاظ ، عذب العبارة ، حسن الاستعارة ، جيد التشبيه توفى سنه ٣٢٠ « وهناك شاعر آخر يعرف بالوأواء » وهو أبو الفرج عبد القاهر بن عبد الله بن الحسين من حلب ، توفى سنة ٥٥١ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) أى يحصل على الميرة وهى الزاد والقوت والغذاء ، وفى البيت لف ونشر مرتب ، فان فاه يمتار خمرا ، وناظره يمتار وردا . وفى الأصل « وشهد » بدل « وورد » وفى معنى هذه الأبيات :

وَلَثِمْتُ فَاهُ مِنَ الْغُرُو ... بِ إِلَى الصَّبَاحِ الْمُسْتَجَدِّ
وَسَكِرْتُ مِنْ رَشْفِ الْعَتِيـــقَ عَلَى أَقَاحٍ تَحْتَ رَنْدِ(١)
فَنَزَعْتُ عَنْ فَمِهِ فَمِي ... وَوَضَعْتُ خَدًّا فَوْقَ خَدِّ
وَشَمَمْتُ عَرْفَ نَسِيمِهِ الْ ... جَارِي عَلَى مِسْكٍ وَنَدِّ
وَصَحَوْتُ مِنْ رَيَّا الْقَرَنْـــفُلِ بَيْنَ رَيْحَانٍ وَوَرْدِ
وَأَلَذُّ مِنْ وَصْلِي بِهِ ... شَكْوَاهُ وَجْدًا مِثْلَ وَجْدِي

وَمِنْ نَظْمِ الطُّرْطُوشِيِّ قَوْلُهُ أَيْضًا :

كَأَنَّ لِسَانِي وَالْمُشْكِلَاتِ ... سَنَى الصُّبْحِ يَنْحَرُ لَيْلًا بَهِيمَا
وَغَيْرِي إِنْ رَامَ مَا رُمْتُهُ ... خَصِيٌّ يُحَاوِلُ فَرْجًا عَقِيمَا(٢)

وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

سقاني خمرة من ريق فيه ... وحيا بالعذار وما يليه
وبات معا نقى خدا بخد ... غزال فى الأنام بلا شبيه
وبات البدر مطلعا علينا ... ساوه لاينم عـلى أخيه

(١) يريد بالعتيق الخمر « ويروى « العقيق » يريد به الشفة » وبالأقاحى الثغر ، والرند شجر طيب الرائحة (٢) يريد تعذر ذلك على غيره واستحالته ، وقال ابن المعتز :

تظـل الشمس ترمقنا بلحظ ... مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غـيم وهو يأبى ... كعنين يريد نـكاح بكر

وأراد الطرطوشى بالعقيم عدم الولادة أى البكارة «أحمد يوسف نجاتى»

أَعْمَلْ لِمَعَادِكَ يَارَجُلُ فَالنَّاسُ لِدُنْيَاهُمْ عَمِلُوا
وَأَذْخَرْ لِمَسِيرِكَ زَادَ تُقًى فَالْقَوْمُ بِلَا زَادٍ رَحَلُوا

***

محمد بن عبد الجبار الطرطوشي

« وَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الطَّرْطُوشِيُّ » وَفَدَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَذَكَرَهُ الْعِمَادُ فِي الْخَرِيدَةِ. وَلَهُ فِي الْأَمِيرِ الْعِجْلِيِّ(١) بِمِصْرَ - وَكَانَ يَخْضِبُ بِسَوَادِ الرُّمَّانِ - قَوْلُهُ :

أُخْلِطِ الْعَفْصَ فِيهِ يَا أَحْوَجَ النَّا
سِ إِلَى الْعَفْصِ حِينَ يُعْكَسُ عَفْصُ(٢)

***

حسين بن محمد المعروف بابن سكرة

«وَمِنْهُمُ الْقَاضِي الشَّهِيرُ الشَّهِيدُ أَبُو عَلِيٍّ الصَّدَفِيُّ(٣) وَهُوَ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فِيرُّهْ بْنِ حَيُّونَ ، وَيُعْرَفُ بِابْنِ سُكَّرَةَ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ سَرَقُسْطَةَ ، سَكَنَ مُرْسِيَةَ ، وَرَوَى بِسَرَقُسْطَةَ

(١) فى نسخة «الآمدى العلى» (٢) عكس عفص : صفع (٣) فى الأصل فى كل النسخ « الصيرفى » وهو تصحيف محرف، والصواب « الصدفى » نسبة الى الصدف بطن من كندة ، ومنهم يونس بن عبد الأعلى الصدفى وغيره ، وقد تقدم القول فى الصدفيين فى الجزء الأول وأبو على الصدفى هذا من أشهرهم وهو معروف «أحمد يوسف نجاتى»

عَنِ الْبَاجِيِّ ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ[١] وَغَيْرِهِمَا ، وَسَمِعَ بِبَلَنْسِيَةَ مِنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْعُذْرِيِّ[٢] ، وَسَمِعَ بِالْمَرِيَّةِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدُونَ الْقَرَوِيِّ[٣] ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُرَابِطِ[٤] وَغَيْرِهِمَا . وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ أَوَّلَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَحَجَّ مِنْ عَامِهِ ، وَلَقِيَ بِمَكَّةَ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْحَسَنَ[٥] بْنَ عَلِيٍّ الطَّبَرِيَّ

---

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن اسمعيل بن فورتش من أهل سرقسطة، روى عن أبيه وعن أبي الوليد الباجي ، وكان عالما جليلا مهيبا عاقلا فاضلا ، قال أبو علي بن سكرة : كان أفهم من يحضر عنده واستقضي ببلده ، وكان محمود السيرة في قضائه ، ولد سنة ٤٢٤ ، وتوفي سنة ٤٩٥ «أحمد يوسف نجاتي» (٢) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث بن أنس بن فلذان بن عمران بن منيب بن زغيبة بن قطبة العذري، و يعرف بابن الدلائي، من أهل المرية، رحل إلى المشرق مع أبويه سنة ٤٠٧، وكان مولده سنة ٣٩٣ وتوفي سنة ٤٧٨ بالمرية، وصلى عليه ابنه أنس بتقديم المعتصم بالله محمد بن معن بن صمادح « أحمد يوسف نجاتي »

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي بن بلال القروي، وأصله من القيروان، وجول بالمشرق، وسمع من علمائه، وكان ذا علم وفضل وجود، وسمع الناس منه بقرطبة و بلنسية والمرية وغيرها من البلاد. وتوفي بأغمات سنة ٤٨٥ « أحمد يوسف نجاتي » (٤) أبو عبد الله محمد بن خلف بن سعيد بن وهب يعرف بابن المرابط، من أهل المرية، كان من أهل العلم والرواية والفهم والتفنن في العلوم، وله شرح على البخاري توفي سنة ٤٨٥ « أحمد يوسف نجاتي» (٥) أظنه (الحسين) وهو أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين الفقيه

وَأَبَا بَكْرٍ ٱلطَّرْطُوشِيَّ وَغَيْرَهُمَا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ فَلَقِيَ بِهَا أَبَا يَعْلَى ٱلْمَالِكِيَّ ، وَأَبَا ٱلْعَبَّاسِ ٱلْجُرْجَانِيَّ ، وَأَبَا ٱلْقَاسِمِ بْنَ شُعْبَةَ[1] ، وَغَيْرَهُمْ . وَخَرَجَ إِلَى بَغْدَادَ ، فَسَمِعَ بِوَاسِطَ مِنْ أَبِي ٱلْمَعَالِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلسَّلَامِ ٱلْأَصْبَهَانِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ سَنَةَ ٱثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فَأَطَالَ ٱلْإِقَامَةَ بِهَا خَمْسَ سَنَوَاتٍ كَامِلَةً ، وَسَمِعَ بِهَا مِنْ أَبِي ٱلْفَضْلِ ٱبْنِ خَيْرُونَ[2] مُسْنِدِ بَغْدَادَ ، وَمِنْ أَبِي ٱلْحُسَيْنِ ٱلْمُبَارَكِ بْنِ عَبْدِ ٱلْجَبَّارِ ٱلصَّيْرَفِيِّ[3] ، وَطِرَادٍ ٱلزَّيْنَبِيِّ[4] وَٱلْحُمَيْدِيِّ[5] وَغَيْرِهِمْ ، وَتَفَقَّهَ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ ٱلشَّاشِيِّ وَغَيْرِهِ.

الشافعي ، محدث مكة ونزيلها ، وكان من أجلاء الفقهاء والمحدثين ، ودرس بالمدرسة النظامية ببغداد قبل الغزالي ، وكان يدعى امام الحرمين ، لأنه جاور بمكة نحو ثلاثين سنة يدرس و يفتي و يسمع ، وتوفى بهاسنة ٤٩٨ « أحمد يوسف نجاتي » (١) أبو القاسم عبد الملك بن علي بن شعبة الأنصاري البصري الحافظ الزاهد، استشهد بالبصرة سنة ٤٨٤ « أحمد يوسف نجاتي »

(٢) أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي الحافظ ، كان محدثا ثقة ثبتا ، توفى سنة ٤٨٨ « أحمد يوسف نجاتي »

(٣) أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن قاسم الصيرفي البغدادي المحدث، كان محدثا مكثرا صالحا أمينا صدوقا وقورا ذاديانة وصيانة، توفى سنة ٥٠٠ «أحمد يوسف نجاتي » (٤) أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي النقيب الكامل الهاشمي العباسي الزينبي البغدادي، نقيب النقباء ومسند العراق، كان إماما محدثا جليل القدر رفيع المنزلة ، توفى سنة ٤٩١ « أحمد يوسف نجاتي » (٥) تقدم التعريف بالحميدي والشاشي

ثُمَّ رَحَلَ مِنْهَا سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَسَمِعَ بِدِمَشْقَ مِنْ أَبِي الْفَتْحِ نَصْرٍ الْمَقْدِسِيِّ[(١)] ، وَأَبِي الْفَرَجِ الْإِسْفِرَايِينِيِّ[(٢)] وَغَيْرِهِمَا ، وَسَمِعَ بِمِصْرَ مِنَ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ الْخِلَعِيِّ[(٣)] ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّازِيِّ ، وَأَجَازَ لَهُ الْحَبَّالُ[(٤)] مُسْنِدُ مِصْرَ فِي وَقْتِهِ وَمُكْثِرُهَا ، وَسَمِعَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْوَرَّاقِ[(٥)] ، وَشُعَيْبِ بْنِ سَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا . وَوَصَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ تِسْعِينَ[(٦)] وَأَرْبَعِمِائَةٍ

(١) هو أبو الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر بن إبراهيم بن داود المقدسى النابلسى الزاهد شيخ الشافعية بالشام ، كان إماما علامة مفتيا حافظا محدثا زاهدا متبتلا ورعا ، كبير القدر عديم النظير ، وقد أخذ عنه كثير من أعلام الأئمة كالغزالى وغيره ، وله مؤلفات نافعة وتوفى سنة ٤٩٠ رحمه الله «أحمد يوسف نجاتى» (٢) أبو الفرج سهل بن بشر الاسفرايينى ثم الدمشقى الصوفى المحدث ، ولد سنة ٤٠٩ وتوفى بدمشق سنة ٤٩١ . « أحمد يوسف نجاتى » .
(٣) أبو الحسن على بن الحسن المصرى الفقيه الشافعى القاضى الخلعى انتهى اليه علو الاسناد بمصر ، كان إماما ذا دين وفضائل ، توفى سنة ٤٩٢ « أحمد يوسف نجاتى » (٤) أبو اسحق الحبال الحافظ ابراهيم بن سعيد النعمانى مولاهم المصرى ، وكان يتجر فى الكتب ، وكان خلفاء مصر قد منعوه من التحديث فى أواخر عمره ، وكان ثقة صالحا حجة ورعا رفيع القدر ، توفى سنة ٤٨٢ . « أحمد يوسف نجاتى » (٥) أبو القاسم مهدى ابن يوسف الوراق ، توفى حوالى سنة ٤٩٠ « أحمد يوسف نجاتى »
(٦) فى الأصل « سبعين » وهو تصحيف ظاهر من رحلة المترجم السابقة « أحمد يوسف نجاتى » .

وَقصدَ مُرْسيَةَ فَاسْتَوْطَنَهَا ، وَقَعَدَ يُحَدِّثُ ٱلنَّاسَ بِجَامِعِهَا ، وَرَحَلَ ٱلنَّاسُ مِنَ ٱلْبُلْدَانِ إِلَيْهِ ، وَكَثُرَ سَمَاعُهُمْ عَلَيْهِ . وَكَانَ عَالِمًا بِالْحَدِيثِ وَطُرُقِهِ، عَارِفًا بِعِلَلِهِ ، وَأَسْمَاءِ رِجَالِهِ وَنَقَلَتِهِ ، وَكَانَ حَسَنَ ٱلْخَطِّ ، جَيِّدَ ٱلضَّبْطِ ، وَكَتَبَ بِخَطِّهِ عِلْمًا كَثِيرًا وَقَيَّدَهُ . وَكَانَ حَافِظًا لِمُصَنَّفَاتِ ٱلْحَدِيثِ، قَائِمًا عَلَيْهَا ، ذَاكِرًا لِمُتُونِهَا وَأَسَانِيدِهَا وَرُوَاتِهَا ، وَكَتَبَ مِنْهَا صَحِيحَ ٱلْبُخَارِيِّ فِي سِفْرٍ ، وَصَحِيحَ مُسْلِمٍ فِي سِفْرٍ ، وَكَانَ قَائِمًا عَلَى ٱلْكِتَابَيْنِ ، مَعَ مُصَنَّفِ أَبِي عِيسَى ٱلتِّرْمِذِيِّ . وَكَانَ فَاضِلًا دَيِّنًا مُتَوَاضِعًا ، حَلُومًا وَقُورًا ، عَالِمًا عَامِلًا وَٱسْتُقْضِيَ بِمُرْسِيَةَ ، ثُمَّ ٱسْتَعْفَى، فَأُعْفِيَ ، وَأَقْبَلَ عَلَى نَشْرِ ٱلْعِلْمِ وَبَثِّهِ . وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو ٱلْقَاسِمِ بْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِهِ لِدُخُولِهِ ٱلشَّامَ ؛ قَالَ : وَبَعْدَ أَنِ ٱسْتَقَرَّتْ بِهِ ٱلنَّوَى ، وَٱسْتَمَرَّتْ إِفَادَتُهُ بِمَا قَيَّدَ وَرَوَى، رَفَعَتْهُ مُلُوكُ أَوَانِهِ ، وَشَفَعَتْهُ فِي مَطَالِبِ إِخْوَانِهِ ، فَأَوْسَعَتْهُ رَعْيًا ، وَأَحْسَنَتْ فِيهِ رَأْيًا ، وَمِنْ أَبْنَائِهِمْ مَنْ جَعَلَ يَقْصِدُهُ ، لِسَمَاعٍ يُسْنِدُهُ ، وَعَلَى وَقَارِهِ ٱلَّذِي كَانَ بِهِ يُعْرَفُ ، نَدَرَ لَهُ مَعَ بَعْضِهِمْ مَا يُسْتَطْرَفُ، وَهُوَ

أَنَّ فَتًى يُسَمَّى يُوسُفَ لَازَمَ مَجْلِسَهُ ، مُعَطِّرًا رَائِحَتَهُ وَمُنَظِّفًا مَلْبَسَهُ ، ثُمَّ غَابَ لِمَرَضٍ قَطَعَهُ ، أَوْ شُغْلٍ مَنَعَهُ ، وَلَمَّا فَرَغَ أَوْ أَبَلَّ ، عَاوَدَ ذَلِكَ النَّادِيَ الْمُبَارَكَ وَالْمَحَلَّ ، وَقَبْلَ إِفْضَائِهِ إِلَيْهِ ، دَلَّ طِيبُهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ ـ عَلَى سَلَامَتِهِ مِنَ الْمُجُونِ وَخَلَاصِهِ مِنَ الْفُتُونِ ـ : « إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ » وَهِيَ مِنْ طُرَفِ نَوَادِرِهِ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ . وَلَمَّا قُلِّدَ قَضَاءَ مُرْسِيَةَ وَعَزَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْأَمْرِ فِيهِ فَرَّ إِلَى الْمَرِيَّةِ ، فَأَقَامَ بِهَا سَنَةَ خَمْسٍ وَبَعْضَ سَنَةِ سِتٍّ وَخَمْسِمَائَةٍ ، وَفِي سَنَةِ سِتٍّ قَبِلَ قَضَاءَهَا عَلَى كُرْهٍ[1] إِلَى أَنِ اسْتَخْفَى آخِرَ سَنَةِ سَبْعٍ ـ فِي قِصَّةٍ يَطُولُ إِيرَادُهَا . وَلِطُولِ مُقَامِهِ بِالْمَرِيَّةِ أَخَذَ النَّاسُ عَنْهُ بِهَا ، فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ كُتُنْدَةَ[2] كَانَ

---

(١) أكرهه أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين، وألزمه أن يقلده القضاء بمرسيــة فى شرقى الأندلس ، فتقلده على كره منه، ثم استعفى من القضاء فلم يعفه ، فاختفى مدة، وخضع حتى أعفاه وهو مغضب عليه، فكتب اليه كتابا يعلمه فيه بعذره، فأجابه أمير المسلمين بما آنسه، وحضه على الرجوع الى افادة الناس ونشر العلم، فعاد مرضيا عنه . « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) كتندة، أوقتندة : ثغر سرقسطة بالأندلس، كانت بها وقعة بين المسلمين والفرنج سنة ٥١٤ ينسب اليها أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن خليفة بن أبى العافية الأزدى الكتندى الأديب اللغوى الكاتب

مِمَّنْ حَضَرَهَا ، فَفُقِدَ فِيهَا سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ـ وَقَالَ ٱلْقَاضِي عِيَاضٌ : وَلَقَدْ حَدَّثَنِي ٱلْفَقِيهُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَعْفَرٍ(١) أَنَّهُ قَالَ لَهُ : خُذِ ٱلصَّحِيحَ وَٱذْكُرْ أَيَّ مَتْنٍ شِئْتَ مِنْهُ أَذْكُرْ لَكَ سَنَدَهُ ، أَوْ أَيَّ سَنَدٍ شِئْتَ أَذْكُرْ لَكَ مَتْنَهُ . ٱنْتَهَى .

وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّهُ حَدَّثَ بِبَغْدَادَ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ وَٱللهُ أَعْلَمُ. وَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ ٱلسِّتِّينَ(٢) .

الشاعر المتوفى سنة ٥٨٣ وكان يسكن غرناطة ، أصله من كتندة أجلتهم عنها فتنتها (١) أبو اسحق ابراهيم بن جعفر بن أحمد اللواتى ، يعرف بابن الفاسى ، من أهل سبتة ، كان من أهل العلم والفضل والزهد والورع فقيها أديبا أثنى عليه القاضى عياض رحمهما الله . وتوفى سنة ٥١٣ «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) أقول وكان لأبى على الصدفى رحمه الله شعر ينحو فيه منحى الفقه والتزهد ، وله :

قل لمن أنكر الحديث وأضحى ... عائبا أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا ؟ أبن لى ! ... أم بجهل ؟ والجهل خلق السفيه
أيعاب الذين هم حفظوا الدين ... ن من الترهات والتمويه ؟!
والى قولهم وماقد رووه ... راجع كل عالم وفقيه

وابنته السيدة خديجة تركها ـ رحمه الله ـ عند خروجه غازيا الى كتندة فى سن الفطام ، ولكنه سأل ألا يجمع عليها بين فقده وفطامها ، فنشأت نشأة حميدة صالحة زاهدة ذات دين وفضل وعناية بالقرآن الكريم والحديث الشريف وقراءة مايفيدها من علوم عصرها ، وتزوجها صاحب الصلاة بمرسية عبد الله بن موسى بن سليمان بن على بن برطلة

***

ابن أبى روح الجزيرى

« وَمِنْهُمُ ٱبْنُ أَبِى رُوحٍ ٱلْجَزِيرِىُّ » وَمِنْ شِعْرِهِ لَمَّا تَغَرَّبَ بِالْمَشْرِقِ :

أَحِنُّ إِلَى ٱلْخَضْرَاءِ(١) فِى كُلِّ مَوْطِنٍ
حَنِينَ مَشُوقٍ لِلْعِنَاقِ وَلِلضَّمِّ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ جِسْمِى رَضِيعُهَا
وَلَا بُدَّ مِنْ شَوْقِ ٱلرَّضِيعِ إِلَى ٱلْأُمِّ

***

عمر بن الحسن الهوزنى

« وَمِنْهُمُ ٱلْعَالِمُ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ حَسَنٍ ٱلْهَوْزَنِىُّ ٱلْحَسِيبُ ٱلْعَالِمُ ٱلْمُحَدِّثُ » وَسَبَبُ رِحْلَتِهِ لِلْمَشْرِقِ أَنَّهُ لَمَّا تَوَلَّى ٱلْمُعْتَضِدُ بْنُ عَبَّادٍ خَافَ مِنْهُ ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِى ٱلْحَجِّ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ مَكَّةَ ، وَسَمِعَ فِى طَرِيقِهِ صَحِيحَ ٱلْبُخَارِىِّ ، وَعَنْهُ أَخَذَهُ أَهْلُ ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَرَجَعَ وَسَكَنَ

المتوفى سنة ٥٦٣ فولدت له ابنه أبا بكر عبد الرحمن بن عبد الله الفقيه الامام الصالح المحدث الأديب، ولد سنة ٥٤٧ وتوفى سنة ٥٩٩ وتوفيت والدته السيدة خديجة المذكورة حوالى سنة ٥٩٢ رحم الله الجميع . « أحمد يوسف نجاتى »

(١) يريد الجزيرة الخضراء ، وتقدم الكلام فيها

إِشْبِيلِيَةَ ، وَخَدَمَ ٱلْمُعْتَضِدَ،فَقَتَلَهُ سَنَةَ سِتِّينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ[1] ،
وَمِنْ شِعْرِهِ يحرِّضُهُ عَلَى ٱلْجِهَادِ :

أَعَبَّادُ حَلَّ ٱلرُّزْءُ، وَٱلْقَوْمُ هُجَّعُ   عَلَى حَالَةٍ مِنْ مِثْلِهَا يُتَوَقَّعُ[2]

فَلَقِّ كِتَابِي مِنْ فَرَاغِكَ سَاعَةً

وَإِنْ طَالَ، فَٱلْمَوْصُوفُ لِلطُّولِ مَوْضِعُ

إِذَا لَمْ أَبُثَّ ٱلدَّاءَ رَبَّ شِكَايَةٍ

أَضَعْتُ ، وَأَهْلٌ لِلْمَلَامِ ٱلْمُضَيِّعُ

وَمَا أَخْطَأَ ٱلسَّبِيلَ مَنْ أَتَى ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَلَا أَرْجَأَ[3] ٱلدَّلِيلَ مَنْ نَاطَ ٱلْأُمُورَ بِأَرْبَابِهَا ، وَلَرُبَّ أَمَلٍ بَيْنَ أَثْنَاءِ ٱلْمَحَاذِيرِ مُدْمَجٌ[4] ، وَمَحْبُوبٍ فِي طَيِّ ٱلْمَكَارِهِ مُدْرَجٌ،

---

(١) قتله المعتضد لغير جريرة ظاهرة معروفة « ومن خاف من شيء سلط عليه» بقصره باشبيلية ودفنه به، وتناول قتله بيده فى شهر ربيع الأول من سنة ٤٦٠ ودفنه بثيابه وقلنسوته،وهيل عليه التراب داخل القصر من غير غسل ولا صلاة رحمه الله تعالى . «أحمد يوسف نجاتى»
(٢) هجع جمع هاجع أى نائم غافل ساكن ، وقد يكون آخر البيت « يتوجع» (٣) أخر ، وناطه به: علقه به ووكله اليه (٤) أدمج كذا فى الشيء: اذا ضمنه اياه ، وأدرجه: لفه وطواه. وفى معنى العبارة قول الشاعر :

كم نعمة لايستقل بشكرها   لله فى طى المكاره كامنه

وقوله :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت   ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

فَانْتَهِزْ فُرْصَتَهَا فَقَدْ بَانَ لَكَ مِنْ غَيْرِكَ الْعَجْزُ، وَطَبِّقْ مَفَاصِلَهَا فَقَدْ أَمْكَنَكَ الْحَزُّ(١) ، وَلَا غَرْوَ أَنْ يُسْتَمْطَرَ الْغَمَامُ فِي الْجَدْبِ ، وَيُسْتَصْحَبَ الْحُسَامُ فِي الْحَرْبِ . وَلَهُ :

صَرَّحَ الشَّرُّ لَكُمْ لَا يُسْتَقَلْ
إِنْ نَهِلْتُمْ جَاءَكُمْ مِنْ بَعْدُ عَلّْ(٢)
بَدْءُ صَعْقِ الْأَرْضِ مِنْ رَشٍّ وَطَلّْ
وَرِيَاحٍ ثُمَّ غَيْمٍ قَدْ أَبَلّْ

(١) المطبق من السيوف: الذى يصيب المفصل فيبينه ، ومنه قولهم للرجل إذا أصاب الحجة : إنه يطبق المفصل « ويقال للبليغ من الرجال : قد طبق المفصل ورد قالب الكلام، ووضع الهناء مواضع النقب » وأصل التطبيق إصابة المفصل وهو طبق العظمين أى ملتقاهما فيفصل بينهما ، والمطبق من الرجال الذى يصيب الأمور برأيه ، والحز : قطع فى علاج، أو ما كان فى اللحم غير بائن ، ويقال لمن يصيب الحجة مع إيجاز : فلان يقلل الحز ويطبق المفصل— وغرض الكاتب الحث على انتهاز الفرصة فقد سنحت والانتفاع بها قبل فوتها، وفى الأصل «مضاربها» بدل « مفاصلها» «أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) صرح الشر: إذا بان وظهر ، والنهل : الشرب الأول، والعل والعلل : الشرب الثانى : يقول قد بان الشر ،و بدت طلائعه، وظهرت أماراته، ولا ينبغى أن يستهان به ، أو تعد قليلة، وان نالكم منه قليل تفاقم بعد فتجرعتم منه الكثير ، وضرب المثل فى البيت الثانى للخطب الجليل يأتى أولا يسيرا ثم يعظم شيئا فشيئا. ومعظم النار من مستصغر الشرر . هذا والأبيات هنا كما ترى من بحر الرمل،وينبغى قراءة القوافى ساكنة لأنها لو حركت اختلفت حركة الروى من رفع فى سائر الأبيات الى جر فى قوله :

خَفِّضُوا فَالدَّاءُ رُزْءٌ أَوْ أَجَلّْ

وَاغْمِدُوا سَيْفاً عَلَيْكُمْ قَدْ يُسَلّْ

وَابْنُهُ أَبُو الْقَاسِمِ هُوَ الَّذِى كَانَ سَبَبَ فَسَادِ دَوْلَةِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ بِسَبَبِ قَتْلِ الْمُعْتَضِدِ وَالِدَهُ كَمَا مَرَّ(٢)

« بدء صعق الأرض من رش وطل » ولكنى أعرف الأبيات برواية أخرى هكذا :

صرح الشر فلا يستقل ان نهلتم جاءكم بعد عل
بدء صعق الأرض رش وطل ورياح ثم غيم أبل
خفضوا فالداء رزء أجل واغمدوا سيفا عليكم يسل

فتكون من بحر المديد ، وتكون قوافيها كلها مرفوعة الروى — وأنا أختار هذه الرواية التى لاتختلف معها حركات حرف الروى ، والتى تحرك معها الكلمات المعربة المرفوعة كما لايخفى « ووزن المديد هنا : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن » وفى بعض الأبيات خبن بعض التفاعيل أى حذف ألف فاعلاتن أو فاعلن ، وهو سائغ كثير — وغيم « أبل » تفضيل من بل الشيء يبله ، كما قالوا : الجنوب أبل الرياح، أو من قولهم :رجل أبل إذا كان جدلا شديد الخصومة ، أو شديد اللؤم لايدرك ماعنده ، ورجل أبل : إذا كان حلافا ظلوما — وبل فى الأرض:اذا ذهب وأبعد ، فالغرض وصف الغيم بالشدة وكثرة الماء وهطله وقوة انهماره بعد أن كان قد بدأ رشا فطلا . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) فقد حرض عليه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب المغرب، حتى أزال ملكه، ونثر سلكه ، وسبب هلكه ، وقد تقدم تفصيل ذلك . وابنه هو أبو القاسم الحسن بن عمر ابن الحسن الهوزنى الاشبيلى ، روى عن أبيه وغيره، ورحل إلى المشرق

***

عثمان بن الحسين ابن دحية الكلبي

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ* أَخُو ٱلْحَافِظِ أَبِي ٱلْخَطَّابِ بْنِ دِحْيَةَ ٱلْآتِي » كَانَ أَسَنَّ مِنْ أَخِيهِ أَبِي ٱلْخَطَّابِ ، وَكَانَ حَافِظاً لِلُغَةِ ٱلْعَرَبِ قَيِّماً بِهَا . وَعَزَلَ ٱلْمَلِكُ ٱلْكَامِلُ أَبَا ٱلْخَطَّابِ عَنْ دَارِ ٱلْحَدِيثِ ٱلْكَامِلِيَّةِ(١)

وسمع بالمغرب ومصر وغيرها ، وكان فقيها مشاورا ببلده، عاليافي روايته، ذاكرا للأخبار والأحاديث ، حسن الايراد لها . ولد سنة ٤٣٥ ، وتوفى سنة ٥١٢ وبيت بنى الهوزنى كان بالأندلس بيتا كبيرا مشهورا ، ونبغ منهم عدة علماء وكبراء -رحمهم الله جميعا . « أحمد يوسف نجاتى » .

* ترجم له فى كتاب الأعلام « ج ٢ ص ٧١٣ » قال :

أديب ماهر ، عالم بارع ، حافظ للحديث ، رحالة ، من أهل بلنسية بالأندلس ، طاف الأندلس ، وجاب مراكش ، ومصر ، والشام ، والعراق وخراسان ، وتوفى بالقاهرة . من تصانيفه :

تنبيه البصائر فى أسماء الخمر ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ، والآيات البينات ، ونهاية السول فى خصائص الرسول ، والتنوير فى مولد السراج المنير

(١) دار الحديث الكاملية أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب سنة ٦٢٢ وكانت بخط بين القصرين من القاهرة، ولما بناها الملك الكامل وقفها على المشتغلين بالحديث النبوى الشريف، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية، ووقف عليها ريعا كان بجوارها . وأول من تولى تدريس الكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسين بن على بن دحية المتوفى سنة ٦٣٣ ثم أخوه هذا أبو عمرو عثمان ابن حسن بن على بن محمد بن فرج بن خلف الأندلسى السبتى البلنسى

ٱلَّتِي أَنْشَأَهَا بَيْنَ ٱلْقَصْرَيْنِ ، وَرَتَّبَ مَكَانَهُ أَخَاهُ أَبَا عَمْرٍو ٱلْمَذْكُورَ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ ٱلْمُقَطَّمِ كَأَخِيهِ . وَكَانَ مَوْتُ أَبِي عَمْرٍو بَعْدَ أَبِي ٱلْخَطَّابِ بِسَنَةٍ — رَحِمَهُمَا ٱللّٰهُ تَعَالَى — .

***

محمد بن القاسم المعروف باشكنهادة

« وَمِنْهُمُ ٱلْكَاتِبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْقَاسِمِ » مِنْ أَهْلِ وَادِي ٱلْحِجَارَةِ ، وَيُعْرَفُ بِاشْكَنْهَادَةَ . وَٱرْتَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ لَمَّا نَبَتْ بِهِ حَضْرَةُ قُرْطُبَةَ عِنْدَ تَقَلُّبِ دُوَلِهَا ، وَتَحَوُّلِ مُلُوكِهَا وَخَوَلِهَا ، فَجَالَ فِي ٱلْعِرَاقِ ، وَقَاسَى أَلَمَ ٱلْفِرَاقِ ، وَٱجْتَازَ بِحَلَبَ ، وَأَقَامَ بِهَا مُقَامَ غَرِيبٍ لَمْ يَصْفُ لَهُ حَلَبٌ ، وَقَالَ :

ثم الحافظ عبد العظيم المنذرى، ثم الرشيد العطار . وما برحت بيد أعيان الفقهاء الى أن كانت الحوادث والمحن منذ سنة ٨٠٦ فزالت كما زال غيرها . وقد جدد بعض هذه المدرسة الأمير حسن كتخدا مستحفظان الشعراوى سنة ١١٦٦ هـ كما يستفاد ذلك من الكتابة المنقوشة على بابها . ولا تزال هذه المدرسة موجودة الى اليوم بشارع بين القصرين بجوار جامع السلطان برقوق من الشمال ، وهى معروفة باسم جامع الكامل . وعند ترجمة أبى الخطاب بن دحية نبين سبب عزله ان شاء الله . « أحمد يوسف نجاتى »

أَيْنَ أَقْصَى ٱلْغَرْبِ مِنْ أَرْضِ حَلَبْ؟!
آمِلٌ فِي ٱلْغَرْبِ مَوْصُولُ ٱلتَّعَبْ
حَنَّ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَوْطَانِهِ
مُذْ[١] جَفَاهُ صَبْرُهُ لَمَّا ٱغْتَرَبْ
جَالَ فِي ٱلْأَرْضِ لَجَاجًا حَائِرًا
بَيْنَ شَوْقٍ وَعَنَاءٍ وَنَصَبْ[٢]
كُلُّ مَنْ يَلْقَاهُ لَا يَعْرِفُهُ مُسْتَغِيثًا بَيْنَ عُجْمٍ وَعَرَبْ
لَهْفَ نَفْسِي! أَيْنَ هَاتِيكَ ٱلْعُلَا؟!
وَاضَيَاعَاهُ! وَيَا غَبْنَ ٱلْحَسَبْ؟!
وَٱلَّذِي قَدْ كَانَ ذُخْرًا وَبِهِ
أَرْتَجِي ٱلْمَالَ وَإِدْرَاكَ ٱلرُّتَبْ
صَارَ لِي أَبْخَسَ مَا أَعْدَدْتُهُ
بَيْنَ قَوْمٍ مَا دَرَوْا طَعْمَ ٱلْأَدَبْ
يَا أَحِبَّائِي ٱسْمَعُوا بَعْضَ ٱلَّذِي
يَتَلَقَّاهُ ٱلطَّرِيدُ ٱلْمُغْتَرِبْ

(١) في الأصل «من جفاه» (٢) اللجاج : الاستمرار والدوام، والنصب: التعب

وَلْيَكُنْ زَجْرًا لَكُمْ عَنْ غُرْبَةٍ
يَرْجِعُ الرَّأْسُ لَدَيْهَا كَالذَّنَبْ(١)
وَاحْمِلُوا طَعْنًا وَضَرْبًا دَائِمًا
فَهُوَ عِنْدِي بَيْنَ قَوْمِي كَالضَّرَبْ(٢)

وَلَئِنْ قَاسَيْتُ مَا قَاسَيْتُهُ . فَبِمَا أَبْصَرَ لَحْظِي مِنْ عَجَبْ
وَلَقَدْ أُخْبِرُكُمْ أَنْ أَتَّقِي بِكُمُ حَتَّى تَقُولُوا قَدْ كَذَبْ

وَاجْتَازَ بِدِمَشْقَ فَقَالَ مِنْ أَبْيَاتٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - :

دِمَشْقُ جَنَّةُ الدُّنْيَا حَقِيقًا وَلَكِنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْغَرِيبِ
بِهَا قَوْمٌ لَهُمْ عَدَدٌ وَمَجْدٌ وَصُحْبَتُهُمْ تَئُولُ إِلَى حُرُوبِ

ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَ الشَّرْقَ بِلَا سَلَامٍ ، وَحَلَّ بِحَضْرَةِ دَانِيَةَ لَدَى مَلِكِهَا مُجَاهِدٍ الْعَامِرِيِّ(٣) فِي بُحْبُوحَةِ عِزٍّ لَا يُخْشَى

(١) هذا مثل قول الأول :

ومن يغترب عن قومه لايزل يرى مصارع مظلوم مجرا ومسحبا
وتدفن منه الصالحات،وان يسيء يكن ماأساء النار فى رأس كبكبا

وقال زهير :

خلى فى بلادك، ان قوما متى يدعوا ديارهم يهانوا

(٢) الضرب محركة : العسل الأبيض الغليظ (٣) أبو الجيش الموفق مجاهد ابن عبدالله العامرى مولى عبدالرحمن الناصر بن المنصور محمد بن أبي عامر

فِيهِ ٱلْمَلَامُ ، وَٱسْتَقْبَلَ ٱلْأَنْدَلُسَ بِخَاطِرٍ جَدِيدٍ ، وَنَالَ بِهَا بَعْدُ مِنْ بُلُوغِ ٱلْآمَالِ مَا لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِ مَزِيدٌ ، وَقَالَ :

وَكَمْ قَدْ لَقِيتُ ٱلْجَهْدَ قَبْلَ مُجَاهِدٍ
وَكَمْ أَبْصَرَتْ عَيْنِي، وَكَمْ سَمِعَتْ أُذْنِي
وَلَاقَيْتُ مِنْ دَهْرِي وَصَرْفِ خُطُوبِهِ
كَمَا جَرَتِ ٱلنَّكْبَاءُ(١) فِي مَعْطِفِ ٱلْغُصْنِ
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ فِرَاقِ جَهَنَّمٍ
وَلَـٰكِنْ سَلُونِي عَنْ دُخُولِي إِلَى عَدْنِ

كان من أهل الشجاعة والأدب، والمحبة للعلوم وأهلها، نشأ بقرطبة، وكانت له همة وجلادة وجرأة ، فلما جاءت أيام الفتنة، وتغلب الجيش ورجاله على النواحي بذهاب دولة ابن أبي عامر قصد هو فيمن تبعه الجزائر التي في شرق الأندلس – وهي جزائر ذات خصب وسعة – فغلب عليها وحماها، ثم قصد منها في السفن الى جزيرة سردانية سنة ٤٠٦ فغلب على أكثرها. ثم اختلفت عليه أهواء الجند ، ودهمته الروم فغلبت على أكثر سفنه، ونالوا من جيشه ومن المسلمين . ثم عاد مجاهد الى الجزائر الأندلسية التي كانت في طاعته، وتقلبت به الأحوال حتى غلب على مدينة دانية وما يليها، واستقرت به النوى فيها. وكان جوادا على ذوي العلم والأدب، يبذل لهم الرغائب، ويدني مجالسهم ، وتقدم شيء من سيرته وأخباره. وتوفي بدانية سنة ٤٣٦ . « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح القوم، ووقعت بين ريحين وهي ريح شديدة ، تهلك المال، وتحبس القطر « أحمد يوسف نجاتي »

« وَلَهُ مِنْ كِتَابٍ » وَحَامِلُ كِتَابِي - سَلَّمَهُ ٱللهُ تَعَالَى وَأَعَانَهُ - مِمَّنْ أَخنَى عَلَيْهِ ٱلزَّمَانُ ، وَأَدَارَ عَلَيْهِ - وَمَا صَحَا إِلَى ٱلْآنَ - كُؤُوسَ ٱلْهَوَانِ ، وَقَدْ قَصَدَ عَلَى بُعْدٍ جَنَابَكَ ٱلرَّحِيبَ ٱلْخَصِيبَ ، قَصْدَ ٱلْحَسَنِ مَحَلَّ ٱلْخَصِيبِ(١) وَيَمَّمَ جَنَابَ ٱبْنِ طَاهِرٍ حَبِيبٌ(٢) . وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَرْجِعَ مِنْكَ رُجُوعَ نُصَيْبٍ عَنْ سُلَيْمَانَ(٣) ، وَيَسْتَعِينَ فِي شُكْرِكَ

---

(١) يريد الحسن بن هانىء أبا نواس وقد قصد الخصيب صاحب خراج مصر زمن هرون الرشيد ومدحه بمدائح غراء، فأجزل صلته وأسنى عطاياه

(٢) يريد أبا تمام حبيب بن أوس وقد قصد عبد الله بن طاهر بن الحسين كذلك بخراسان، ومدحه بقصيدته الغراء التي مطلعها :

أهن عوادي يوسف وصواحبه؟! فعزما، فقدما أدرك السؤل طالبه

وقال فيه وقد خرج إليه :

يقول في قومس صحبي - وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القود:

أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا؟! فقلت: كلا، ولكن مطلع الجود؟

« قومس صقع كبير بين خراسان و بلاد الجبل، والسرى: سير الليل، والمهرية: الابل الكريمة ، والقود جمع أقود وقوداء : وهي طويلة العنق » فأسبغ عليه الأمير عبدالله نعمه وافضاله، وعاد وهو مورق العود، قد غمره الندى والجود « أحمد يوسف نجاتي » (٣) يريد نصيبا شاعر بني أمية المشهور ، وقد مدح الخليفة سليمان بن عبد الملك، وهو القائل فيه :

أقول لركب قافلين لقيتهم قفا ذات أوشال - ومولاك قارب:

قفوا خبروني عن سليمان ، إنني لمعروفه من أهل ودان راغب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

بِكُلِّ لِسَانٍ ، وَأَنْتَ عَلِيمٌ بِأَنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْفُ ، وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ :

أَرَى النَّاسَ أُحْدُوثَةً فَكُونِى حَدِيثًا حَسَنْ

وَأَنَا الْقَائِلُ :

فَلَا تَزْهَدَنْ فِى الْخَيْرِ ، قَدْ مَاتَ حَاتِمٌ
وَأَخْبَارُهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ تُذْكَرُ

وَمَعَ هَذَا فَهُوَ عَلِيمٌ[1] بِقَدْرِ مَا يُحْتَمَلُ مِنَ التَّكْلِيفِ هَذَا الْأَوَانَ ، عَارِفٌ وُجُوهَ الْأَعْذَارِ غَيْرُ ذِى عَجَلٍ فِى الْعَتْبِ قَبْلَ الْبَيَانِ ، وَعِنْدَ سَيِّدِى مِنَ التَّصَدِّى لِلْإِيفَاءِ[2] ،

« قفا اسم بمعنى ظهر أو خلف أو وراء ، فهو ظرف مكان مضاف إلى ذات أوشال ، يقال هم قفا الأكمة و بقفاها : أى بظهرها أو خلفها و وراءها ، و ركب قفا الجبل أو قافيته ، و وجدته بقفا سلع : أى وراءه وخلفه ، وأوشال جمع وشل : وهو الماء القليل ، والقارب : طالب الماء ليلا « أو طالب الماء مطلقا » و ودان موضع بين مكة والمدينة قرية جامعة قريبة من الجحفة ، وكانت مساكن بنى ضمرة وغفار وكنانة ، وقد أكثر نصيب من ذكرها فى شعره « أحمد يوسف نجاتى » (١) فى الأصل « عليه » وهو تصحيف مشوه « أحمد يوسف نجاتى » (٢) فى نسخة « من التهدى للإيصاء » والتهدى : الاهتداء ، والتصدى : التعرض « يريد أنه يهتدى الى عمل البر للموصى به ، و يتعرض لوفاء الحقوق و إيفاء النعم » « أحمد يوسف نجاتى »

مَا يُحَقِّقُ فِيهِ جَمِيلَ الرَّجَاءِ ، دَامَتْ أَرْجَاؤُهُ مُؤَمَّلَةً ، وَلَا بَرِحَتْ نِعَمُهُ سَابِغَةً مُكَمَّلَةً .

***

« وَمِنْهُمُ الْكَاتِبُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْمَالَقِيُّ » وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ ، لَهُ رِحْلَةٌ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ صَنَعَ فِيهَا مَقَامَةً يَقُولُ فِيهَا : محمد بن عبد ربه المالقي

وَفِي جَنَبَاتِ(١) الرَّوْضِ نَهْرٌ وَدَوْحَةٌ
يَرُوقُكَ مِنْهَا سُنْدُسٌ وَنُضَارُ
تَقُولُ وَضَوْءُ الْبَدْرِ فِيهِ مُغَرِّبٌ(٢)
ذِرَاعُ فَتَاةٍ دَارَ فِيهِ سِوَارُ

* ترجم له فى كتاب المغرب فى حلى المغرب « المجلد الأول من الأصل ص ٣٦ » بما يأتى :

أبو عبد الله محمد بن عبد ربه من ولد أبى عمر بن عبدربه صاحب كتاب العقد، رحل الى المشرق ، وله رسالة فى صقلية وذكر فيها ماجرى له بمصر ، وكان كاتبا لأبى الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن سلطان الغرب الأوسط ، ومن شعره قوله :

كأنما الشمس وقد قابلت بدر الدجى والأفق الأهيف
فان تقل مالونها واحد قلت وهذا سبع أخيف

وحذر فى رسالته من الأسفار لما لاقى فيها .

(١) جنبات: نواح ، جمع جنبة ، والدوحة : الشجرة العظيمة ذات الظل الوارف، وراقه: أعجبه وسره (٢) فى الأصل «مغربا» «أحمد يوسف نجاتى»

وَمِنْ شِعْرِهِ :

مَا كُلُّ إِنْسَانٍ أَخٌ مُنْصِفٌ وَلَا ٱللَّيَالِي أَبَدًا تُسْعِفُ

فَلَا تُضِعْ إِنْ أَمْكَنَتْ فُرْصَةٌ(١)

وَٱصْحَبْ مِنَ ٱلْإِخْوَانِ مَنْ يُنْصِفُ

وَٱنْتِفْ مِنَ ٱلدَّهْرِ وَلَوْ رِيشَةً فَإِنَّمَا حَظُّكَ مَا تَنْتِفُ

وَقَوْلُهُ يَرْثِي ٱلسَّيِّدَ أَبَا عِمْرَانَ ٱبْنَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يوسُفَ بْنِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ مَلِكِ ٱلْمَغْرِبِ وَٱلْأَنْدَلُسِ :

بِجِيدِ ٱلْمَعَالِي أَيُّ عِقْدٍ تَبَدَّدَا !

وَصَدْرِ ٱلْعَوَالِي أَيُّ رُمْحٍ تَقَصَّدَا(٢) !

وَلَمَّا دَهَتْ خَيْلُ ٱلشَّقِيِّ فُجَاءَةً

وَسَالَ ٱلْعِدَا بَحْرًا مِنَ ٱلْمَوْتِ مُزْبِدًا(٣)

---

(١) و يروى: فلا تضيع فرصة أمكنت (٢) الجيد العنق، والعوالي الرماح، وتقصد: تكسر (٣) يريد بالشقي ابن غانية المسوفي صاحب جزيرة ميورقة. وخلاصة هذه الحوادث أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المتوفى سنة ٥٣٧ كان قد ولى على جزائر الأندلس الشرقية « وهي ميورقة ومنورقة ويابسة » محمد بن إسحق بن محمد المسوفي المعروف بابن غانية « وهي أمهم » فتوارثها بنوه من بعده ، إلى أن كانت دولة الموحدين بني عبد المؤمن ، ففي سنة ٥٤٣

شهدْتَ بوَجْهٍ كَالْغَزَالَةِ مُشْرِقًا
وَإِنْ كَانَ وَجْهُ الشَّمْسِ بِالنَّقْعِ مُرْبَدَا(١)

ملك الموحدون قرطبة – وكان بها يحيى بن على المسوفى مقيما لدعوة المرابطين وفى أيام السلطان يوسف بن عبد المؤمن بن على كان بتلك الجزائر محمد ابن اسحق بن محمد المسوفى، وكان له عدة اخوة يساهمونه فى الرياسة؛ منهم على بن اسحق بن محمد، وهو الذى طرق مدينة بجاية على حين غفلة من أهلها سنة ٥٨١ «وعليها يومئذ السيد أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن» فاستولى عليها، ثم تغلب على بعض بلاد المغرب، فبعث اليه المنصور بالله يعقوب بن يوسف جيشا هزمه، ثم عاود ابن غانية الاجلاب على افريقية، واستمرت الحرب بينهم سجالا مدة قتل فى أثنائها جماعة من وجوه الموحدين. ولما توفى المنصور سنة ٥٩٥ قوى أمر يحيى بن إسحق المسوفى بافريقية، فافتتح تونس سنة ٥٩٩ واستولى على غيرها من البلاد وفرق فيها العمال، وخطب للخليفة العباسى، فسرح السلطان الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله أبا عبد الواحد بن أبى حفص الهنتانى جد الملوك الحفصيين لقتال ابن غانية سنة ٦٠٢ فأوقع به، وقتل أخاه جبارة ابن إسحق. وما زال بنو غانية كذلك يناوئون دولة الموحدين بافريقية حتى قتل فى بعض وقائعهم المرثى أبو عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، قتل بظاهر مدينة تاهرت، قتله العرب أصحاب الميورقى ابن غانية فى شهور سنة ٦٠٥ ثم وجه الناصر إلى ميورقة أسطولا مع عمه السيد أبى العلاء فقتل صاحبها عبد الله بن إسحق المسوفى، وولى الناصر على ميورقة عمه السيد أبا زيد، و بعد السيد أبى زيد وليها السيد أبو عبد الله بن أبى حفص بن عبد المؤمن، ثم أبو يحيى بن على بن أبى عمران التينمللى، ومن بعده أخذها الفرنج سنة ٦٢٧ وكان الحادث بها عظيما

« أحمد يوسف نجاتى » (١) الغزالة: الشمس، ومرمد: ذو رمد، ويروى «مربد» أى مغبر، والربدة والرمدة لون الى الغبرة كلون الرماد، ويظهر أن «مربدا» مصحف عن «أربدا» أو «أرمدا» « أحمد يوسف نجاتى »

عَزَائِمُ صِدْقٍ لَيْسَ تُصْرَفُ هَكَذَا
إِلَى ٱلْمَوْتِ تَسْعَى، أَوْ عَلَى ٱلْمَوْتِ يُغْتَدَى (١)

وَكَانَ ٱلسَّيِّدُ أَبُو عِمْرَانَ ٱلْمَرْئِيُّ قَتَلَهُ ٱلْمَيُورَقِيُّ صَاحِبُ فِتْنَةِ إِفْرِيقِيَّةَ فِي ٱلْهَزِيمَةِ ٱلْمَشْهُورَةِ عَلَى تَاهَرْتَ (٢). وَجَمَعَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ ٱلْمَذْكُورُ شِعْرَ ٱلسَّيِّدِ أَبِي ٱلرَّبِيعِ (٣) ٱبْنِ عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ. وَكَانَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ ٱلْمَذْكُورُ كَاتِبًا لِلسَّيِّدِ أَبِي ٱلرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ ٱلْمَذْكُورِ. وَلَمَّا أُنْشِدَ لِبَعْضِ ٱلشُّعَرَاءِ:

حَاكَتْ يَمِينُ ٱلرِّيَاحِ مُحْكَمَةً
فِي نَهَرٍ وَاضِحِ ٱلْأَسَارِيرِ (٤)

---

(١) أي يصار اليه، وفي الأصل «تعتدى» وهو تصحيف (٤) في الأصل «تاوت» وهو تصحيف مضلل. وقد عرفت حقيقة هذه الحوادث، وتقدم القول في بني غانية بأكثر من هذا. هذا وقد كان السيد أبو عمران موسى صاحب مدينة تلمسان في مدة أخيه يوسف بن عبد المؤمن، واستخلفه على مراكش سنة ٥٦٧ حين عبر إلى الأندلس. وتاهرت مدينة بالمغرب «أحمد يوسف نجاتى» (٢) قدمنا لك أنه كان عاملا للمنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على مدينة بجاية بافريقية سنة ٥٨١ «أحمد يوسف نجاتى» (٣) شبه ماتحدثه الريح فوق سطح الماء من الغضون والتجعد والحبك بالدرع المحكمة الصنع المضاعفة الحلق، المقدرة السرد، وجعل قطرات الغيث مسامير لحلق هذه الدرع،

فَكُلَّمَا ضَعَّفَتْ بِهِ حَلَقًا قَامَ لَهَا ٱلْقَطْرُ بِالْمَسَامِيرِ

أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ :

بَيْنَ ٱلرِّيَاضِ وَبَيْنَ ٱلْجَوِّ مُعْتَرَكٌ
بِيضٌ مِنَ ٱلْبَرْقِ أَوْسُمْرٌ مِنَ ٱلسَّمُرِ (١)
إِنْ أَوْتَرَتْ قَوْسَهَا كَفُّ ٱلسَّمَاءِ رَمَتْ
نَبْلًا مِنَ ٱلْمَاءِ فِي زَغْفٍ مِنَ ٱلْغُدُرِ (٢)

وهو تشبيه مألوف من قديم ، ومنه قول ابن المعتز :

غـدير ترجرج أمواجه هبوب الرياح ومر الصبـا
إذا الشمس من فوقه أشرقت توهمته جوشنا مذهبـا

ومن قصيدة البحترى فى البركة :

اذا زهتها الصبا أبدت لها حبكا مثل الجواشن مصقولا حواشيها

ولابن العطار :

مررنا بشاطى النهر بين حدائق بها حدق الأزهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة عليه، وما غير الحباب لها حلق

ولأبى فراس الحمدانى من أبيات :

واذا الرياح جرت عليـ ـه فى الذهاب وفى الرجوع
نثرت عـلى بيض الصفا ئح بيننا حلق الدروع

وقد سبق فى بعض الأجزاء السابقة شىء مما قيل فى ذلك أيضا « أحمد يوسف نجاتى » (١) البيض السيوف شبهت بالبرق، والسمر الرماح ، والسمر شجر صغار الورق قصار الشوك جيد الخشب قو يه «جعل البرق سيفا للجو، والسمر رماحا للرياض » (٢) أوتر القوس شد وترها ، والزغف الدرع الواسعة الطو يلة اللينة المحكمة ، والغدر : جمع غـدير ، وقد شبه بالدرع » أو

لِأَجْـلِ ذَاكَ إِذَا هَبَّتْ طَلَائِعُهَا

تَدَرَّعَ النَّهْرُ ، وَاهْتَزَّتْ قَنَا الشَّجَرِ (١)

وَاجْتَمَعَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ الْمَذْكُورُ فِي رِحْلَتِهِ بِالسَّعِيدِ ابْنِ سَنَاءِ الْمُلْكِ (٢) وَأَخَذَعَنْهُ شَيْئًامِنْ شِعْرِهِ ، وَرَوَاهُ بِالْمَغْرِبِ.

***

عبدالمنعم بن عمر بن حسان المالقى

« وَمِنْهُمُ الشَّاعِرُ الْأَدِيبُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْـدُ الْمُنْعِمِ ابْنُ عُمَرَ بْنِ حَسَّانَ الْمَالِقِيُّ (٣) » وَمِنْ نَظْمِهِ فِي السُّلْطَانِ

العكس شبهت الدرع بالغدير » و زغف الغدر أو درعها تتقى الرياض بها نبال السماء «أحمد يوسف نجاتى» (١) تدرع النهر علاه مثل الدرع من سير طلائع الريح فوقه ، وفى البيت حسن تعليل بديع يوضح البيتين قبله ، والأبيات الثلاثة وحدة متماسكة تمثل المعركة القائمة بين الجو والرياض ، وفيها التناسب البديع ، ولطف الخيال « أحمد يوسف نجاتى » (٢) هو القاضى السعيد بن سناء الملك هبة الله بن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبى عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدى الشاعر المصرى المشهور، صاحب الشعر البديع، والنظم الرائق، وأحد الفضلاء النبلاء الرؤساء ذوى النعمة والجاه والأدب والقدر ، وكان يجمع بين النظم والنثر ، وقد أجاد فيهما الأجادة التى كانت الغاية فى عصره ، وتوفى سنة ٦٠٨ بالقاهرة « أحمد يوسف نجاتى » (٣) عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الجليانى، حج وطوف ببلاد المشرق ، وكان شاعرا بليغا وحكيما أديبا ، وله النظم الفائق ، والنثر الرائق، ومن نظمه :

وهل ثم نفس لا تميل الى الهوى؟!   محال، ولكن ثم عزم على الصبر

سلالة هذا الخلق من ظهر واحد   وللكل شرب من قوى ذلك الظهر

ومن تشبيهاته :

صَلَاحِ ٱلدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ مِنْ قَصِيدَةٍ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى

وَفِي صَهَوَاتِ (١) ٱلْمُقْرَبَاتِ وَفِي ٱلْقَنَا
حُصُونُ حِمًى ، لَا فِي هِضَابِ ٱلْمَعَاقِلِ

وَمِنْهَا

وَلَا مَلِكٌ يَأْتِي كَيُوسُفَ آخِرًا
كَمَا لَمْ يَجِيء مِثْلٌ لَهُ فِي ٱلْأَوَائِلِ

ألا انما الدنيا بحار تلاطمت فما أكثر الغرقى على الجنبات!
وكان مجيدا فى عمل الأشعار التى تقرأ القطعة الواحدة منها بعدة قواف ويستخرج منها الرسائل والكلام الحكمى مكتوبا فى خلال الشعر ،وكان يعمل ذلك دوائر وأشجارا وصورا بديعة . وتوفى بدمشق سنة ٦٠٣
« أحمد يوسف نجاتى » (١) صهوات جمع صهوة : وهو من ظهر الجواد موضع جلوس الفارس فوق ظهره،والمقربة الفرس التى تدنى وتقرب وتكرم ولا تترك،فهى معدة ، قدضمرت للركوب، ولا تحبس فى المرعى، بل تكون قرب البيوت للمهمات والطوارىء يلجأ اليها اذا أريد الغزو وصد العدو ، لعتقها وكرمها ـ يريد أن ظهور الخيل عز، وأنها هى والسلاح حصون ذوى القوة والمنعة، يسلم بها شرفهم الرفيع من الأذى ، وليست المنعة فى معاقل البناء وحصون القلاع ان لم تكن لها من الخيل والسلاح حماية،قد أعد أصحابها ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل يرهبون بها أعداءهم . وفى الأصل « حصول » بدل « حصون » وهو تصحيف « أحمد يوسف نجاتى » .

***

عمر بن الحسين الظاهرى الاندلسى

« وَمِنْهُمُ الْحَافِظُ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ، وَهُوَ مَجْدُ الدِّينِ عُمَرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فَرْحِ بْنِ خَلَفٍ(١) الظَّاهِرِيُّ الْمَذْهَبِ الْأَنْدَلُسِيُّ » كَانَ مِنْ كِبَارِ الْمُحَدِّثِينَ وَمِنَ الْحُفَّاظِ الثِّقَاتِ الْأَثْبَاتِ الْمُحَصِّلِينَ، اسْتَوْطَنَ بِجَايَةَ(٢)

(١) وخلف هو ابن قومس بن مزلال بن ملال بن بدر بن أحمد بن دحية ابن خليفة بن فروة الكلبي - وفى الأصل « فرج » بدل « فرح » وهو تصحيف. هكذا كان يقول المترجم فى نسبه، فيقول انه من سلالة دحية بن خليفة الكلبي الصحابى رضى الله عنه، كما كان يذكر أن أمه هى أمة الرحمن بنت أبى عبد الله بن أبى البسام موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، فلهذا كان يكتب بخطه « ذو النسبين، دحية والحسين، رضى الله عنهما » وكان يكتب أيضا : سبط أبى البسام - إشارة الى ذلك . وجده دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ابن زيد بن امرىء القيس بن الخزرج بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر ابن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور ابن كاب بن وبرة الكلبي صاحب رسول الله صلى الله وسلم، أسلم قديما وشهد أحدا ومابعدها، وكان جبريل عليه السلام يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورته أحيانا، و بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الى عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل سنة ست ، وكان سيدنا دحية من أجمل الناس وأعفهم ، وشهد اليرموك، وسكن المزة القرية المعروفة بجنب دمشق، و بقى الى خلافة سيدنا معاوية - رضى الله عنهما « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) بجاية مدينة على ساحل البحر الأبيض معروفة ، اختطها الناصر بن

فِي مُدَّةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ تُومُورَ(١) ، وَرَوَى بِهَا وَأَسْمَعَ .

علناس بن حماد بن زيرى بن مناد بن بلكين الصنهاجي فى حدود سنة ٤٥٧ وكانت قاعدة ملك بنى حماد ، وتسمى الناصرية أيضا باسم الناصر بانيها وكانت السفن ترحل منها وتسافر الى جميع الجهات — وملك بجاية بعد الناصر ولده المنصور ، ثم ابنه باديس بن المنصور بن الناصر ، ثم أخوه العزيز ابن المنصور ، ثم ولده يحيى بن العزيز ، وهو آخر ملوك بنى حماد ، وانقرضت دولتهم ، وملك عبد المؤمن بن على ملك الموحدين دولتهم ، واستولى على جميع ما بأيديهم ، وكان استيلاؤه على مدينة بجاية سنة ٥٤٤ هـ « أحمد يوسف نجاتى » (١) كذا بالأصل ، وأنا أظن أن فى العبارة سقطا وتحريفا فقد يكون الأصل « فى مدة أبى عبد الله محمد الناصر من بنى عبد المؤمن » فيكون « ابن تومور » مصحفا عن « من بنى عبد المؤمن » ولبيان ذلك نقول — موجز من تاريخ بجاية واستيلاء الموحدين عليها : قد عرفت ملوك بنى حماد الذين ملكوا مدينة بجاية ، وفى سنة ٥٤٤ — وهى السنة التى ولد فيها صاحب الترجمة « عمر بن دحية » أو التى قبل مولده بقليل سنوات ان كان مولده سنة ٥٤٦ أو سنة ٥٤٧ أو سنة ٥٤٨ كما قيل بذلك — استولى أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن بن على على مدينة بجاية من صاحبها يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بانى مدينة بجاية ، فدخلت ضمن مملكة الموحدين الشاسعة ، وفى سنة ٥٤٩ عقد عبد المؤمن بن على لابنه السيد أبى محمد عبد الله بن عبد المؤمن على بجاية وأعمالها ، واستمر فيها الى وفاة والده سنة ٥٥٨ وكانت سن ابن دحية لاتتجاوز ١٤ عاما — فقام بالأمر بعد عبد المؤمن بن على ابنه أبو يعقوب يوسف ، وفى سنة ٥٦١ عقد على بجاية لأخيه السيد أبى زكريا يحيى بن عبد المؤمن ، وتوفى السلطان يوسف سنة ٥٨٠ فتولى الأمر بعده ولده يعقوب المنصور « وكان ابن دحية يبلغ حوالى ٣٥ عاما » ومن حينئذ يجوز أن يكون قد فارق الأندلس ، وقد عرفت أنه اشتغل بطلب الحديث فى أكثر مدنها ، ولقى بها

وَكَانَ مِنْ أَحْفَظِ أَهْلِ زَمَانِهِ لِلُّغَةِ وَأَعْرَفِهِمْ بِهَا حَتَّى صَارَ حُوشِيُّ اللُّغَةِ عِنْدَهُ مُسْتَعْمَلاً غَالِباً ، وَلَا يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ مِنَ اللُّغَةِ حُوشِيَّهَا إِلَّا وَذَلِكَ أَضْعَافُ أَضْعَافِ مَحْفُوظِهِ مِنْ مُسْتَعْمَلِهَا ، وَكَانَ قَصْدُهُ - وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ - أَنْ يَتَفَرَّدَ بِنَوْعٍ يَشْتَهِرُ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ ، كَمَا فَعَلَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُدَبَاءِ - حَيْثُ

علماءها ومشايخها ، وكان على بجاية فى سنة ٥٨١ السيد أبو الربيع سليمان ابن عبد الله بن عبد المؤمن ، ويصح أن تكون عبارة نفح الطيب «ابن تومور» مصحفة ومبتورة عن « السيد أبى الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن» وفى سنة ٥٨٤ عقد السلطان يعقوب على بجاية للسيد أبى الحسن ابن السيد أبى حفص بن عبد المؤمن ، وتوفى يعقوب سنة ٥٩٥ ، وقام بالأمر بعده أبو عبدالله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على حتى توفى سنة ٦١٠ وقد كان صاحب الترجمة يحدث بتونس سنة ٥٩٥ فلعله رحل الى بر العدوة قبيل ذلك ، ثم كان فى بجاية « فى مدة أبى عبد الله محمد الناصر من بنى عبد المؤمن » فنحن نعرف أن أبا الخطاب بن دحية لم يفارق الأندلس الا بعد أن طاف بأنحائها ، وروى عن أكثر الفضلاء من بلادها ، و بعد أن تولى قضاء مدينة دانية بالأندلس مرتين ، ثم صرف عن ذلك لسيرة نعيت - كما قيل - عليه ، فرحل بعد ذلك الى المغرب ، ودخل مراكش ، واجتمع بفضلائها ، ولقى بتلمسان قاضيها أبا الحسن بن أبى حيون ، ثم ارتحل إلى افريقية ، وحدث بتونس سنة ٥٩٥ كما تقدم » ومن تونس خرج الى مصر والشرق . ولذا ترجح أن تكون العبارة محرفة عن « أبى عبد الله الناصر من بنى عبد المؤمن » إن أريد الخليفة ، أو محرفة عن « أبى الحسن من بنى عبد المؤمن » الذى تولى بجاية سنة ٥٨٤ إن أريد والى الخليفة وعامله

تَرَكُوا طَرِيقَ ٱلْمعْرَبِ[1] وَأنفَرَدُوا بِالطَّرِيقِ ٱلْآخَرِ وَلَوْ سَلَكُوا طَرِيقَ ٱلْمُعْرِبِ لَكَانُوا فِيهِ كَآحَادِ ٱلنَّاسِ ـ وَكَذَا ٱلشَّيْخُ أَبُو ٱلْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ ؛ لَهُ رَسَائِلُ وَمُخَاطَبَاتٌ كُلُّهَا مُغْلَقَاتٌ مُقْفَلاتٌ[2] . وَكَانَ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ إِذَا كَتَبَ أَسْمَهُ فِيمَا يُجِيزُهُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ يَكْتُبُ أَبْنَ دِحْيَةَ وَدِحْيَةُ مَعًا ٱلْمُتَشَبِّهُ بِهِ جِبْرِيلُ[3] وَجَبْرَائِيلُ ـ وَيَذْكُرُ مَا يُنِيفُ عَلَى ثَلاثَ عَشْرَةَ لُغَةً مَذْكُورَةً فِي جِبْرِيلَ ـ وَيَقُولُ:عِنْدَ فَاطِرِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ . وَهَذَا فَرْعٌ أنفَرَدَ بِهِ عَمَّنْ عَدَاهُ مِنْ أَهْلِ ٱلعِلْمِ . قَالَ صَاحِبُ عُنْوَانِ ٱلدِّرَايَةِ : رَأَيْتُ لَهُ تَصْنِيفاً فِي رِجَالِ ٱلْحَدِيثِ لَا بَأْسَ بِهِ . وَأرْتَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ فِي دَوْلَةِ بَنِي أَيُّوبَ ، فَرَفَعُوا شَأْنَهُ ، وَقَرَّبُوا

على بجاية ، وقد طال القول هنا ولكنه لايخلو من تحقيق وفوائد «أحمد يوسف نجاتى » (١) من الاعراب وهو الابانة والافصاح عن الشيء يريد اللفظ الظاهر الفصيح كثير الاستعمال البعيد عن الغرابة (٢) فى ابن خلكان : وكان أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن أسن من أخيه أبى الخطاب،وكان حافظا للغة العرب قيما بها ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٤ ودفن بسفح المقطم ، وله رسائل استعمل فيها حوشى اللغة . اه (٣) تقدم بيان ذلك ، وأن جبريل كان يأتى صاحب الوحى ـصلى الله عليه وسلم ـ فى صورة دحية أحيانا . « أحمد يوسف نجاتى »

مَكَانَهُ، وَجَمَعُوا لَهُ عُلَمَاءَ الْحَدِيثِ، وَحَضَرُوا لَهُ مَجْلِسًا أَقَرُّوا لَهُ فِيهِ بِالتَّقَدُّمِ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ مِنْ أُولِي الضَّبْطِ وَالْإِتْقَانِ وَالتَّفَهُّمِ، وَذَكَرُوا أَحَادِيثَ بِأَسَانِيدَ حَوَّلُوا مُتُونَهَا، فَأَعَادَ الْمُتُونَ الْمُحَوَّلَةَ، وَعَرَّفَ عَنْ تَغْيِيرِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ الْأَحَادِيثَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ مُتُونِهَا الْأَصْلِيَّةِ. وَمِثْلُ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أُتِّفِقَ لِأَبِي عُمَرَ بْنِ عَاتٍ[1] فِي كِتَابِ مُسْلِمٍ بِمُرًّا كِشَ بَبَيْتِ الطَّلَبَةِ مِنْهَا. وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْخَطَّابِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى الْكَامِلِ بْنِ الْعَادِلِ[2] بْنِ أَيُّوبَ:

(١) هو أحمد بن هرون بن أحمد بن جعفر بن عات الشاطبي، توفى سنة ٦٠٩ وستأتى ترجمته (٢) السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب، قام بالأمر سنة ٥٩٦ خطب له بديار مصر وبلاد الشام وحران والرها وميافارقين، واستناب ابنه الكامل محمدا عنه، وعهد اليه بعده بالملك، وحلف له الأمراء، فسكن قلعة الجبل، واستمر أبوه فى دار الوزارة، وفى أيام الملك العادل عاود الفرنج الحرب سنة ٦٠٠ وعزموا على أخذ القدس، وكثر عيثهم وفسادهم، وكانت بينهم وبين المسلمين شؤون وحوادث انتهت بنزولهم على مدينة دمياط فى شهر ربيع الأول سنة ٦١٥ والعادل يومئذ بالشام — نخرج الملك الكامل لحاربتهم، فتوفى العادل بمرج الصفر بدمشق فى جمادى الآخرة سنة ٦١٥ — فقام من بعده ابنه السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالى محمد بعهد أبيه، فأقام فى الملك أكثر من عشرين سنة، وتوفى بدمشق سنة ٦٣٥ وكان مولده سنة ٥٧٣ وكان ملكا شجاعا عدلا فاضلا شهما مهيبا عاقلا حازما سديد الآراء حسن التدبير

مَالِي أُسَائِلُ بَرْقَ بَارِقَ عَنْــكُمُ ؟!
مِنْ بَعْدِمَا بَعُدَتْ دِيَارِيَ مِنْــكُمُ (١) ؟!
فَمَحَلُّــكُمْ قَلْبِي ، وَأَنْتُمْ بِالْحَشَا
لَا بِالْعَقِيقِ وَلَا بِرَامَةَ أَنْتُمُ (٢)
وَأَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْوَفَاءِ بِعَهْدِكُمْ
يَا مَالِــكِينَ ؛ وَفَيْتُمُ أَوْ خُنْتُمُ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، وَمِنْهَا :

لمالكه عفيفا حليما ذكيا فطنا، يحب العلماء والأماثل، ويلقى عليهم المشكلات وكان محبا للحديث وأهله، حريصا على حفظه ونقله، وللعلم عنده شرف منزلة وللعلماء أرفع مرتبة، وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها فمن أجابه حظى عنده. وله المواقف المشهودة فى الجهاد بدمياط المدة الطويلة، وأنفق الأموال الكثيرة، وكافح العدو المخذول برا وبحرا ليلا ونهارا. وقد مدحه شعراء عصره كصفى الدين الحلى وبهاء الدين زهير وكمال الدين ابن النبيه وغيرهم « أحمد يوسف نجاتى » (١) بارق : ماء بالعراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة، وكان من أعمال الكوفة، وقد ذكره الشعراء فأكثروا، وإياه عنى أبو الطيب المتنبي بقوله :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

وقد منعه الشاعر هنا من الصرف لارادة الجهة أو لضرورة الشعر، وهى ضرورة سهلة سائغة. « أحمد يوسف نجاتى » (٢) العقيق بناحية المدينة وهناك عقيق آخر ببطن وادى ذى الحليفة، وكان مهل أهل العراق من ذات عرق، وهناك أعقة غير هذين، والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل فى الأرض فأنهره ووسعه : عقيق. ورامة موضع بقرب البصرة بينها وبين مكة. « أحمد يوسف نجاتى ».

رَفَعَتْ لَهُ ٱلْأَفْلَاكُ[1] مِنْهُ سَجِيَّةً
مَلَكَ ٱلسِّمَاكُ ٱلرُّمْحَ وَهُوَ مُحَرَّمُ

وَمِنْهَا :

لَذَوِى ٱلنُّهَى وَٱلْفَهْمِ سِرُّ حُكُومَةٍ قَدْ حَارَ فِيهَا كَاهِنٌ وَمُنَجِّمٍ

فَاقْصِدْ مُرَادَكَ حَيْثُ سِرْتَ مُظَفَّرًا
وَٱللّٰهُ يَكْلَأُ، وَٱلْكَوَاكِبُ نُوَّمُ[2]

وَلْيَهْنِكَ ٱلشَّهْرُ ٱلسَّعِيدُ تَصُومُهُ
وَتَفُوزُ فِيهِ بِالثَّوَابِ وَتَغْنَمُ

فَلَأَنْتَ فِي ٱلدُّنْيَا كَلَيْلَةِ قَدْرِهِ
قَدْرًا ، فَقَدْرُكَ فِي ٱلْمُلُوكِ مُعَظَّمُ

فَأَجَابَهُ ٱلسُّلْطَانُ مُكَافَأَةً بِنَثْرٍ وَنَظْمٍ[3] ، فَمِنَ ٱلنَّظْمِ :

وَهَيَّجْنَ شَوْقِى لِلْأَجَارِعِ بِاللِّوَى
ـ وَأَيْنَ ٱللِّوَى مِنِّى ، وَأَيْنَ ٱلْأَجَارِعُ[4] ؟! ـ

---

(١) فى الأصل « الأملاك » وأرى السياق يقتضى أنها مصحفة عن « الأفلاك » وقد يكون أصل البيت « رفعت لها الأفلاك . . . » ويشير فى عجز البيت إلى السماك الرامح . «أحمد يوسف نجاتى» .

(٢) كلأه : حفظه ورعاه (٣) كان الملك الكامل يقول الشعر ويجيده .

(٤) الأجرع والجرعاء : الرملة لا تنبت شيئا ، والجرعاء والأجرعان مواضع بعينها

مَرَابِعُ لَوْ أَنَّ ٱلْمَرَابِعَ أَنْجُمٌ
لَكَانَ نُجُومَ ٱلْأَرْضِ تِلْكَ ٱلْمَرَابِعُ (١)
رَعَى ٱللهُ أَيَّامًا بِهَا ، وَلَوَ أَنَّهَا
إِلَيَّ ـ وَقَدْ وَلَّى ٱلشَّبَابُ ـ رَوَاجِعُ !
لَيَالِيَ لَا لَيْلَى إِذَا رُمْتُ وَصْلَهَا
يَلُوحُ لَهَا مِنْ صُبْحِ شَيْبِي مَوَاقِعُ (٢)

فِي جُمْلَةِ أَبْيَاتٍ « وَمِنَ ٱلنَّثْرِ » ٱلْحَمْدُ لِلهِ وَلِيِّ ٱلْحَمْدِ ، وَقَفَ وَلَدُهُ عَلَى ٱلْأَبْيَاتِ ٱلَّتِي حَسُنَ شِعْرُهَا ، وَصَفَا دُرُّهَا ، وَلَيْسَ مِنَ ٱلْبَدِيعِ (٣) أَنْ يَقْذِفَ ٱلْبَحْرُ دُرًّا ، أَوْ يَنْظِمَ ٱلْخَلِيلُ (٤) شِعْرًا ، وَقَدِ ٱتَّخَذْتُ ٱلْوَرَقَةَ لِأَتَنَزَّهَ فِي مَعَانِيهَا ، وَأَسْتَفِيدَ بِمَا أَوْدَعَهُ فِيهَا ، فَٱللهُ تَعَالَى لَا يُخْلِينَا مِنْ فَوَائِدِ فِكْرَتِهِ ، وَصَالِحِ أَدْعِيَتِهِ ، وَٱلسَّلَامُ . فَأَجَابَهُ ٱلْحَافِظُ

---

(١) يريد بالمرابع المنازل ، جمع مربع . وهو من قول الشاعر :
وجوه لوان الأرض فيها كواكب   توقد للسارين كانت كواكبا
(٢) لعلها « موانع » وفيه إشارة إلى قول الشاعر :
وجعلت أطلب وصلها بتذلل   والشيب يغمزها بأن لاتفعلى
وهذا هو الذى أراه وأرتضيه «أحمد يوسف نجاتى» (٣) أى العجيب والغريب
(٤) ورى باسم الخليل بن أحمد العالم اللغوى الأديب واضع العروض والشاعر المشهور تشبيها للمرسل اليه به ، وأراد هنا « الخليل » أى الصديق

أَبُو ٱلْخَطَّابِ عَنِ ٱلْأَبْيَاتِ بِقَوْلِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ :

شَجَتْنِي شَوَاجٍ فِي ٱلْغُصُونِ سَوَاجِعُ
فَفَاضَتْ هَوَامٍ لِلْجُفُونِ هَوَامِعُ (١)

وَأَكْثَرَ فِيهَا مِنَ ٱلتَّغَزُّلِ ـ إِلَى أَنْ قَالَ :

وَلَا حَاكِمٌ أَرْضَاهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
سِوَى حَاكِمٍ دَهْرِي لَهُ ٱلْيَوْمَ طَائِعُ

يُدَافِعُ عَنِّي ٱلضَّيْمَ قَائِمُ سَيْفِهِ
إِذَا عَزَّ مَنْ لِلضَّيْمِ عَنِّي يُدَافِعُ (٢)

هُوَ ٱلْكَامِلُ ٱلْأَوْصَافِ وَٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي
تُشِيرُ إِلَيْهِ بِالْكَمَالِ ٱلْأَصَابِعُ

وَبِيضُ أَيَادِيهِ ٱلْكَرِيمَةِ فِي ٱلْوَرَى
قَلَائِدُ فِي ٱلْأَعْنَاقِ ، وَهِيَ ٱلصَّنَائِعُ

وَيَوْمَاهُ يَوْمَاهُ ٱللَّذَانِ هُمَا هُمَا
إِذَا جَمَعَتْ غُلْبَ ٱلْمُلُوكِ ٱلْمَجَامِعُ (٣)

---

(١) شجاه أثار شجوه : أى همه أو طربه ، وسجع : غنى وغرد ، وهمى الدمع وهمع اذا سال منهمرا بكثرة (٢) قائم السيف مقبضه .

(٣) غلب جمع أغلب ، وهو فى الأصل الأسد العظيم الرقبة، يراد به هنا

وَمِنْهَا :

فَمَا رَوْضَةٌ غَنَّا بِهَا مَرَّتِ الصَّبَا
وَنَشْرُ شَذَاهَا الطَّيِّبُ النَّشْرِ ذَائِعُ [١]

لَهُ مِنْ شَذِيٍّ [٢] الزَّهْرِ بُرْدٌ مُفَوَّفٌ
أُتِيحَ لَهُ مِنْ أَرْضِ صَنْعَاءَ صَانِعُ

فَرَاقَكَ مِنْهَا أَخْضَرُ الثَّوْبِ نَاضِرٌ
وَشَاقَكَ مِنْهَا أَصْفَرُ اللَّوْنِ فَاقِعُ [٣]

وَأَحْمَرُ قَانٍ كَالْخُدُودِ [٤] مُوَرَّدٌ
وَأَبْيَضُ كَالثَّغْرِ الْمُفَلَّجِ نَاصِعُ

عظماء الملوك وصيدهم . وفى بعض النسخ « اذا جمعت فيه الملوك » وكأنه يشير الى قول الشاعر :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ... ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيقطر يوم الجود من كفه الندى ... ويقطر يوم البؤس من سيفه الدم

والى قول الفرزدق :

أولئك آبائى ، فجئنى بمثلهم ... اذا جمعتنا ياجرير المجامع

(١) غنا مخفف من غناء ، وهى التى قد كثفت أشجارها ، والنشر والشذى : الرائحة الذكية (٢) فى الأصل وغيره « شكى » وأراها مصحفة عن « شذى » أى ذى شذى وعرف طيب وأرج ذكى متضوع ، والمفوف المنقوش المزخرف ، وأتيح قدر وهيئ ، وتقدم أن صنعاء ينسب اليها الصنع الجيد (٣) راقه أعجبه وسره ، والفاقع شديد الصفرة (٤) فى الأصل « للخدود »

بِأَحْسَنَ مِنْ تَوْشِيعِ مَدْحِي الَّذِي لَهُ
بَدَائِعُ مِنْ وَشْيِ الْبَدِيعِ وَشَائِعُ(١)
وَمَا ضَائِعٌ مِنْ نَشْرِ شُكْرِي الَّذِي بِهِ
تَأَرَّجَتِ الْأَرْجَاءُ عِنْدَكَ ضَائِعُ(٢)
وَلَوْ لَمْ يُقَيِّدْنِي نَدَاكَ لَكَانَ لِي
مَجَالٌ فَسِيحٌ فِي الْبَسِيطَةِ وَاسِعُ(٣)
فَأَنْتَ الَّذِي لِي - وَالْأَعَادِي كَثِيرَةٌ -
فُوَيْقَ مَكَانِ النَّجْمِ فِي الْأُفْقِ دَافِعُ

وَمِنْهَا :

بَقِيتَ لِعَبْدٍ جَدُّهُ دِحْيَةُ الَّذِي يُشَابِهُ جِبْرِيلٌ لَهُ وَيُضَارِعُ

والقانى شديد الحمرة ، والناصع شديد البياض (١) توشيع الثوب أعلامه أى رقمه بعلم أو نحوه ، وبرد موشع أى موشى ذو رقوم وطرائق ، والوشيع علم الثوب ، والوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البرد ومايكسوه الغازل المغزول (٢) ضاع الطيب وتضوع اذا تأرجت رائحته ، والنشر الرائحة الذكية ، وفى البيت جناس تام بين « ضائع » فى أوله بالمعنى السابق ، و « ضائع » فى آخره من الضياع (٣) من قول أبى الطيب :

وقيدت نفسى فى ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

ومن قول الآخر فى المعنى :

أراشوا جناحى ثم بلوه بالندى فلم أستطع من أرضهم طيرانا

والبسيطة : الأرض الواسعة . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَجَدَّتُهُ ٱلزَّهْرَاءُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ
عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱلدَّائِمُ ٱلْمُتَتَابِعُ (١)
وَلَا عَدِمَتْ مِنْكَ ٱلْمَمَالِكُ مَالِكاً
يُقَرِّبُ لِلْآمَالِ مَا هُوَ شَاسِعُ (٢)
وَمِنْكَ عُيُونٌ لِلْمُهِمَّاتِ يُقَّظٌ
وَعَنْكَ عُيُونُ ٱلْحَادِثَاتِ هَوَاجِعُ (٣)

وَقَالَ ٱلْمَقْرِيزِيُّ فِي تَرْجَمَةِ ٱلْمَلِكِ ٱلْكَامِلِ: إِنَّهُ كَانَ مَشْغُوفاً بِسَمَاعِ ٱلْحَدِيثِ ٱلنَّبَوِيِّ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ أَبُو ٱلْخَطَّابِ ٱبْنُ دِحْيَةَ ، وَبَنَى لَهُ دَارَ ٱلْحَدِيثِ ٱلْكَامِلِيَّةَ بَيْنَ ٱلْقَصْرَيْنِ بِٱلْقَاهِرَةِ . ٱنْتَهَى . وَقَالَ أَبُو ٱلْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ : أَنْشَدَنِي أَبُو ٱلْقَاسِمِ ٱلسُّهَيْلِيُّ (٤) لِنَفْسِهِ ـ وَذَكَرَ أَنَّهُ مَا سَأَلَ ٱللهَ تَعَالَى بِهَا شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ :

(١) تقدم بيان ذلك فيما زدناه من أخبار صاحب الترجمة «أحمد يوسف نجاتى»
(٢) الشاسع البعيد (٣) هجع اذا سكن وقر ، أو نام ساكنا (٤) منسوب الى وادى سهيل من كورة مالقة بالأندلس ، والسهيلى من احدى هذه القرى ، وهو أبو زيد « وأبو القاسم وأبو الحسن » عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان ابن فتوح الخثعمى ، كان فقيها جليلا، وأديبا لغويا بليغا، عالما بالقراءات

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي ٱلضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ
أَنْتَ ٱلْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرَجَّى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا
يَا مَنْ إِلَيْهِ ٱلْمُشْتَكَى وَٱلْمَفْزَعُ(١)
يَامَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ « كُنْ »
أُمْنُنْ ، فَإِنَّ ٱلْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَالِى سِوَى فَقْرِى إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
فَبِالِافْتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِى أَدْفَعُ
مَالِى سِوَى قَرْعِى لِبَابِكَ حِيلَةٌ
فَلَئِنْ رُدِدْتُ فَأَىَّ بَابٍ أَقْرَعُ ؟

واللغات العربية وضروب الآداب، حافظا للسير والأخبار والأنساب، اماما فى الحفظ والذكر والادراك، مقدما فى الفهم والفطنة والذكاء ، له حظ وافر من قرض الشعر ،والتصرف فى فنون العلم، يغلب عليه علم العربية والغريب وتصدر للاقراء والتدريس واسماع الحديث، فبعد صيته، وجل قدره. وكان من أهل الرواية والدراية ، وله تآليف مفيدة، منها كتاب «الروض الأنف» فى شرح السيرة النبوية لابن اسحق، وهو من أجل تآليفه ، دل به على سعة حفظه، ومتانة علمه ، انتهى من تأليفه سنة ٥٦٩ ، واستدعى الى مراكش ليسمع منه بها، فتوفى هنا لك سنة ٥٨١ ، وكان مولده سنة ٥٠٩ أو قبيل ذلك «أحمد يوسف نجاتى» (١)فزع اليه اذا التجأ مستجيرا

وَمَنِ الَّذِى أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ
إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرِكَ يُمْنَعُ ؟!
حَاشَا لِجُودِكَ أَنْ يُقَنِّطَ عَاصِيًا
اَلْفَضْلُ أَجْزَلُ، وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ

وَمِنْ نَظْمِ الشُّهَيْلِيِّ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ :

أُسَائِلُ عَنْ جِيرَانِهِ مَنْ لَقِيتُهُ
وَأُعْرِضُ عَنْ ذِكْرَاهُ وَالْحَالُ تَنْطِقُ(١)
وَمَالِى إِلَى جِيرَانِهِ مِنْ صَبَابَةٍ
وَلٰكِنَّ نَفْسِى عَنْ صَبُوحٍ تُرَقِّقُ(٢)

---

(١) مما قيل فى معناه :

أصبو الى الشرق ان كانت منازلكم
من جانب الغرب خوف القيل والقال
أقول بالخد خال حين أذكره خوف الرقيب، ومابالخد من خال

ومنه :

أورى بسعدى والرباب وزينب وأنت الذى تعنى وأنت المؤمل

ومثله :

وأقول بعض الناس عنك كناية حذر الرقيب ، وأنت كل الناس

وتلك مغالطات شعرية تنم العيون على حقيقتها « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) «عن صبوح ترقق» هذا مثل ، والصبوح مايشرب صباحا، والغبوق مايشرب مساء ، وترقيق الكلام تزيينه وتحسينه وتلطيفه والكناية عنه

وَلَهُ :

لَمَّا أَجَابَ بِلَا طَمِعْتُ بِوَصْلِهِ

إِذْ حَرْفُ لَا حَرْفَانِ مُعْتَنِقَانِ(١)

وَكَذَا نَعَمْ بِنَعِيمِ وَصْلٍ آذَنَتْ

فَنَعَمْ وَلَافِي اللَّفْظِ مُتَّفِقَانِ

وُلِدَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ دِحْيَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ أَوْ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَتُوُفِّيَ انْفِجَارَ الْفَجْرِ لَيْـلَةَ

وأصله أن رجلا اسمه جابان نزل بقوم ليلا، فأضافوه وسقوه غبوقا مساء فلمافرغ قال: اذا صبحتمونى فكيف آخذ فى طريقى وحاجتى ؟ فقيل له: عن صبوح ترقق – أى أنت تعرض فى حديثك هذا بالصبوح، وتكنى بسؤالك عنه ، فكأنه قيل عن صبوح تكنى ، والكناية عن الشىء ألطف من التصريح به . يضرب لمن يكنى عن شىء وهو يريد غيره، كما أن الضيف أراد بهذه المقالة أن يوجب الصبوح عليهم . ويروى عن الشعبي أنه قال لرجل سأله عمن قبل أم امرأته فقال: أعن صبوح ترقق ؟ حرمت عليه امرأته . ولعل الشعبي ظن ماوراء القبلة «أحمد يوسف نجاتى»

(١) مثل هذا المعنى قول الشاعر :

انى لأحسد لافى أسطر الصحف ... اذا رأيت اعتناق اللام للألف

وما أظنهما طال اعتناقهما ... الا لما لقيا من شدة الشغف

ويقرب من معنى البيتين قول الشاعر :

قولى: نعم ، ونعم ان قلت واجبة ... قالت: عسى، وعسى جسر الى نعم

ويعجبنى عدم يأس السهيلى من محبوبه، وحسن خياله ، وبديع تصرفه « أحمد يوسف نجاتى » .

ٱلثُّلَاثَاءِ رَابِعَ عَشَرَ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ ٱلْمُقَطَّمِ. وَتَكَلَّمَ فِيهِ جَمَاعَةٌ فِيمَا ذَكَرَهُ ٱبْنُ ٱلنَّجَّارِ[1]، وَقَدْرُهُ أَجَلُّ مِمَّا ذَكَرُوهُ. وَقَدْ رَوَى — رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى — بِالْمَغْرِبِ وَمِصْرَ وَٱلشَّامِ وَٱلْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَعِرَاقِ ٱلْعَجَمِ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي طَلَبِ ٱلْحَدِيثِ. وَسَمِعَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ ٱبْنِ بَشْكُوَالَ[2] وَٱبْنِ زَرْقُونَ[3] فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَبِبَغْدَادَ مِنْ أَبِي ٱلْفَرَجِ بْنِ

(١) قالوا كان أبو الخطاب بن دحية فى المحدثين مثل ابن عنين فى الشعراء، يثلب علماء المسلمين، ويقع فيهم، وينال منهم بلسانه، ويتزيد فى كلامه فترك الناس لهذا الرواية عنه، ولم يثقوا به، وكان الملك الكامل مقبلا عليه، فلما انكشف له حاله أعرض عنه، وعزله عن دار الحديث، وترك اكرامه حتى توفى سنة ٦٣٣ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) سبقت ترجمة ابن بشكوال خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال المتوفى سنة ٥٧٨ (٣) أبو محمد عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب ابن أحمد بن زرقون القيسى من أهل الجزيرة الخضراء، كان له سلف عريق فى العلم، وهو من بيت دراية ورواية، وتوفى سنة ٦٣١، وأظنه يريد أبا عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد بن عبد البر بن مجاهد الأنصارى الاشبيلى المعروف بابن زرقون «وجده سعيد بن عبد البر هو الملقب بذلك لحمرة وجهه» كان أحد سراة الرجال، حافظا للفقه مبرزا فيه، مشهودا له مع البراعة فى الأدب، والمشاركة فى قرض الشعر، وحسن التصرف فى طرفى النظم والنثر. ولى قضاء مدينة شلب وقضاء سبتة، فحمدت سيرته، وعرفت

أُلْجَوْزِيِّ(١) ، وَبِأَصْبَهَانَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ الصَّيْدَلَانِيِّ(٢) مُعْجَمَ الطَّبَرَانِيِّ ، وَمِنْ غَيْرِهِ ، وَبِنَيْسَابُورَ مِنْ أَبِي سَعْدٍ(٣) بْنِ الصَّفَّارِ

نزاهته. وكان موطأ الكنف لين الجانب، حسن الشارة والهيئة ، وقورا ذا صبر على الجلوس للاسماع مع الكبرة ، يتكلف ذلك وان شق عليه ، رام يوما أن ينهض من مجلسه فلم يستطع مما يجر وراءه السنين كبرا ، فاعتمد على ما أعانه، ولما استوى قائما أنشد متمثلا :

أصبحت عند الحسان زيفا وغير الحادثات نقشى
وكنت أمشى ولست أعيا فصرت أعيا ولست أمشى

وله مؤلفات نافعة ، ولد بشريش سنة ٥٠١ وتوفى سنة ٥٨٦ باشبيلية « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو العالم الجليل المشهور أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، الشيخ الامام الحافظ الواعظ الورع المفسر العلامة جمال الدين الحنبلى البغدادى ، صاحب التصانيف المشهورة فى أنواع العلوم المختلفة، ولد ببغداد سنة ٥١٠ وفضله وحفظه وغزير علمه أشهر من أن يذكر هنا ، وكان أديبا رقيقا يقول الشعر المؤثر، ومن قوله :

رأيت خيال الظل أعظم عبرة لمن هو فى علم الحقيقة راقى
شخوص وأشكال تمر وتنقضى فتفنى جميعا والمحرك باقى

توفى سنة ٥٩٧ ببغداد رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى » (٢) أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصيدلانى الأصبهانى، ولد سنة ٥٠٩ ووصل فى العلم الى درجة عالية حتى انتهى اليه علو الأسناد فى الدنيا، ورحل الناس اليه من كل حدب، وتوفى سنة ٦٠٣ « أحمد يوسف نجاتى » (٣) فى الأصل «سعيد» وهو خطأ ، وهو أبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور النيسابورى الشافعى، كان فقيها متبحرا أصوليا عالما عاملا، ولد سنة ٥٠٨

وَمَنْصُورِ بْنِ الْفَرَاوِيِّ (١) وَالْمُؤَيَّدِ الطُّوسِيِّ (٢) . وَحَصَّلَ الْكُتُبَ وَالْأُصُولَ ، وَحَدَّثَ وَأَفَادَ . وَكَانَ مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ وَمَشَاهِيرِ الْفُضَلَاءِ ، مُتْقِنًا لِعِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ، عَارِفًا بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا . وَصَنَّفَ كُتُبًا كَثِيرَةً مُفِيدَةً جِدًّا ؛ مِنْهَا « كِتَابُ التَّنْوِيرِ ، فِي مَوْلِدِ السِّرَاجِ الْمُنِيرِ » صَنَّفَهُ عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى إِرْبِلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّمِائَةٍ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى خُرَاسَانَ لَمَّا رَأَى مَلِكَ إِرْبِلَ مُظَفَّرَ الدِّينِ كُوكُبُرِي (٣) مُعْتَنِيًا بِعَمَلِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ

وتوفى سنة ٦٠٠ رحمه الله «أحمد يوسف نجاتى» (١) أبو الفتح منصور ابن عبد المنعم بن أبى البركات عبد الله بن فقيه الحرم محمد بن الفضل الفراوى الفقيه المحدث ، ولد سنة ٥٢٢ وسمع من جده وجد أبيه وغيرهما ، وتوفى بنيسابور سنة ٦٠٨ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) المؤيد بن محمد ابن على بن حسن رضى الدين أبو الحسن الطوسى المقرى مسند خراسان ، ولد سنة ٥٢٤ وانتهى اليه علو الأسناد بنيسابور ، ورحل اليه الطلاب من الأقطار ، وتوفى سنة ٦١٧ « أحمد يوسف نجاتى » (٣) هو أبو سعيد مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين أبى الحسن على بن بكتكين بن محمد الملقب الملك المعظم صاحب اربل التركمانى ، وكان أبوه زين الدين على صاحب اربل والموصل ، وكان حسن السيرة عادلا فى الرعية ، وتوفى سنة ٥٦٣ فولى موضعه ولده مظفر الدين هذا ، ثم عزل عن عمله فاتصل بصاحب الموصل سيف الدين غازى بن مودود ، فأقطعه مدينة حران ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين فأقطعه مدينة الرها ، وزوجه السلطان

ٱلْأَوَّلِ كُلَّ عَامٍ ، مُهْتَمًّا بِهِ غَايَةَ ٱلِاهْتِمَامِ ، وَكَمَّلَهُ وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وَخَتَمَهُ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ[1] فَأَجَازَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَصَنَّفَ أَيْضًا « ٱلْعَلَمَ ٱلْمَشْهُورَ ، فِي فَضَائِلِ ٱلْأَيَّامِ وَٱلشُّهُورِ » وَ « ٱلْآيَاتِ ٱلْبَيِّنَاتِ ، فِي ذِكْرِ مَا فِي أَعْضَاءِ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ ٱلْمُعْجِزَاتِ » وَكِتَابَ « شَرْحِ أَسْمَاءِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَكِتَابَ « ٱلنِّبْرَاسِ ، فِي أَخْبَارِ خُلَفَاءِ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ » وَكِتَابَ « أَعْلَامِ ٱلنَّصِّ ٱلْمُبِينِ ، فِي ٱلْمُفَاضَلَةِ بَيْنَ أَهْلِ صِفِّينَ » وَوُلِّيَ قَضَاءَ بَلَدِ أُصُولِهِ دَانِيَةَ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ صُرِفَ عَنْ ذَلِكَ لِسِيرَةٍ نُعِيتْ عَلَيْهِ[2] ، فَرَحَلَ عَنْهَا . وَحَدَّثَ بِتُونُسَ سَنَةَ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، ثُمَّ حَجَّ ، وَكَتَبَ بِالْمَشْرِقِ

أخته ربيعة خاتون بعد وفاة زوجها سعد الدين مسعود بن معين الدين سنة ٥٨١ ، ثم تولى اربل بعد وفاة أخيه الأمير زين الدين يوسف بن على سنة ٥٨٦ تولاها بعده من قبل السلطان صلاح الدين ، وكان شهما شجاعا مقداما ذا نجـدة وعزة وقوة نفس وعمل بر ، وتوفى سنة ٦٣٠ « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) مطلعها :

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ماوهموا

ولـكن رجح ابن خلـكان وغيره أن هـذه القصيدة ليست من نظمه « أحمد يوسف نجاتى » . (٢) فى نسخة « نسبت اليه »

عَنْ جَمَاعَةٍ بِأَصْبَهَانَ وَنَيْسَابُورَ . وَعَادَ إِلَى مِصْرَ ، فَاسْتَأْدَبَهُ الْعَادِلُ لِوَلَدِهِ الْكَامِلِ، وَأَسْكَنَهُ الْقَاهِرَةَ ، فَنَالَ بِذَلِكَ دُنْيَا عَرِيضَةً ، ثُمَّ زَادَتْ حُظْوَتُهُ عِنْدَ الْكَامِلِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِقْبَالاً عَظِيمًا، وَكَانَ يُعَظِّمُهُ وَيَحْتَرِمُهُ، وَيَعْتَقِدُ فِيهِ الْخَيْرَ، وَيَتَبَرَّكُ بِهِ حَتَّى كَانَ يُسَوِّي لَهُ الْمَدَاسَ حِينَ يَقُومُ . وَهُوَ بَلَنْسِيٌّ - كَمَا قَالَهُ ابْنُ خِلِّكَانَ وَغَيْرُهُ - وَبَلَنْسِيَةُ مَشْهُورَةٌ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ « ثُلُثُ سَنَةٍ بِالتَّصْحِيفِ(١) » .

***

خلف بن القاسم ابن الدباغ

« وَمِنْهُمْ خَلَفُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ سَهْلٍ(٢) بْنِ الدَّبَّاغِ الْحَافِظُ الْأَنْدَلُسِيُّ(٣) » رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ ، وَكَانَ حَافِظًا فَهِمًا عَارِفًا بِالرِّجَالِ ، حَدَّثَ حَدِيثَ مَالِكٍ وَشُعْبَةَ(٤) وَأَشْيَاءَ فِي

(١) هذه العبارة غير موجودة فى بعض النسخ ، ومعناها أن لفظ « بلنسية » اذا صحف حرفا الباء والنون فيه بثاءين ، وصحفت ياؤه الى نون صار « ثلث سنة » ومثل هـذا التصحيف كثير فى الأصل ، ولكنه مفسد مشوه . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) سهل بن محمد بن يونس بن الأسود الأزدى (٣) من أهل قرطبة (٤) أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى الأزدى مولاهم الواسطى شيخ البصرة وأمير المؤمنين فى الحديث، روى عن كثير من التابعين، وفيه يقول الامام الشافعى : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. وكان رأسا فى العربية والشعر ،مع العلم والزهد والقناعة والورع

اَلزُّهْدِ. وَسَمِعَ بِمِصْرَ أَبَا ٱلْحَسَنِ بْنَ ٱلْوَرْدِ ٱلْبَغْدَادِيَّ[1] وَمُسْلِمَ ابْنَ ٱلْفَضْلِ، وَٱلْحَسَنَ بْنَ رَشِيقٍ[2] وَجَمَاعَةً . وَسَمِعَ بِدِمَشْقَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي ٱلْعَقِبِ[3] وَأَبَا ٱلْمَيْمُونِ بْنَ رَاشِدٍ[4]. وَبِمَكَّةَ مِنْ بَكِيرٍ ٱلْحَدَّادِ ، وَأَبِي ٱلْحَسَنِ ٱلْخُزَاعِيِّ ، وَٱلْآجُرِّيِّ[5] وَبِقُرْطُبَةَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ ٱلشَّامَةِ[6] وَمُحَمَّدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ[7]

والرحمة والخير ، وقال أبو عبد الرحمن النسائى : أمناء الله على علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة : شعبة بن الحجاج، ويحي بن سعيد القطان ومالك بن أنس ، توفى شعبة سنة ١٦٠ . والغرض هنا أن خلف بن قاسم كان حافظا مكثرا جمع مسند الامام مالك وحديث شعبة بن الحجاج وأسامى المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين، فقد كان من أعلم الناس برجال الحديث والتواريخ والتفسير « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن الورد البغدادى، توفى بمصر سنة ٣٥١ . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) أبو محمد الحسن بن رشيق العسكرى المصرى الحافظ العالم المحدث، توفى سنة ٣٧٠ «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) أبو القاسم على بن يعقوب بن أبى العقب الدمشقى المحدث المقرىء توفى سنة ٣٥٣ . « أحمد يوسف نجاتى » (٤) أبو الميمون عبد الرحمن ابن عبد الله بن عمر بن راشد البجلى توفى سنة ٣٤٧ «أحمد يوسف نجاتى»

(٥) الامام أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى المحدث الثقة الضابط صاحب التصانيف والسنة، جاور بمكة وتوفى بها ، والآجرى نسبة الى درب الآجر محلة كانت ببغداد من الجانب الغربى ، سكنها كثير من أهل العلم . « أحمد يوسف نجاتى » (٦) فى الأصل وغيره « الشاهد» وهو تصحيف ــ وهو أبو عمر أحمد بن يحي بن زكريا القرطبى، يعرف بابن الشامة ، كان عالما محدثا زاهدا متبتلا ناسكا ، سمع محمد بن وضاح وابن لبابة وغيرهما، وتوفى سنة ٣٤٣ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٧) أبو بكر محمد بن معاوية بن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحق بن

وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَٰثِمِائَةٍ[1] .

***

خلف بن سعيد ابن زراره

« وَمِنْهُمْ خَلَفُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ ٱللّٰهِ بْنِ زُرَارَةَ[2] أَبُو ٱلْقَاسِمِ بْنُ ٱلْمُرَابِطِ ٱلْكَلْبِيُّ ـ مِنْ ذُرِّيَّةِ ٱلْأَبْرَشِ ٱلْكَلْبِيِّ وَيُعْرَفُ بِالْمُبَرْقَعِ ـ ٱلْمُحْتَسِبُ ٱلْقُرْطُبِيُّ » رَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ مَرَّتَيْنِ ؛ أُولَاهُمَا سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَٰثِمِائَةٍ وَهُوَ ٱبْنُ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ـ وَسَمِعَ أَبَا سَعِيدِ بْنَ ٱلْأَعْرَابِيِّ[3]

عبد الله بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين المعروف بابن الأحمر، من أهل قرطبة. سمع بالأندلس من أصبغ بن مالك ومحمد بن عمر بن لبابه وغيرهما. ورحل الى المشرق سنة ٢٩٥ فسمع بمصر ومكة و بغداد والكوفة والبصرة والشام من أئمة العلم والحديث بها، وقدم الأندلس سنة ٣٢٥ و بدأ الناس القراءة عليه والسماع منه من سنة ٣٣٦ ، وكان شيخا جليلا ثقة حليما. وطال عمره فكثر أخذ الناس عنه ، وعلا قدره فى الاسناد، وتوفى سنة ٣٥٨ . « أحمد يوسف نجاتى » (١) وكان مولده سنة ٣٢٥ ورحل الى المشرق سنة ٣٤٥ فتردد به نحو ١٥ سنة . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) قال فى الصلة لابن بشكوال : خلف بن سعيد بن عبد الله بن عثمان بن زبارة بن عجلان الكلبى ـ من ذرية الأبرش الكلبى وزير عبدالملك بن مروان ـ السباك المحتسب، و يعرف بابن المرابط، و يعرف بالمبرقع، ولد سنة ٣٠٩ وحدث عنه أيضاً أبو حفص الزهراوى وقال يعرف بابن الصائغ الخ اهـ . « أحمد يوسف نجاتى » .

(٣) هو الامام أحمد بن محمد بن زياد العنوى البصرى أبو سعيد بن الأعرابى نزيل مكة. كان إماما حافظا ثبتا، سمع الكثير، وروى عنه العالم الكثير. وكان

وَأَبْنَ الْوَرْدِ ، وَأَبَا بَكْرٍ الْآجُرِّيَّ . وَرَوَى عَنْهُ أَبُو إِسْحٰقَ
أَبْنُ شِنْظِيرَ[1] وَأَبُو جَعْفَرٍ الزَّهْرَاوِيُّ[2] . وَقَالَ أَبْنُ شِنْظِيرَ
إِنَّهُ تُوُفِّيَ فِي نَحْوِ الْأَرْبَعِمِائَةِ . رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ

***

أبو الصلت أمية ابن عبد العزيز

« وَمِنْهُمْ سَابِقُ فُضَلَاءِ زَمَانِهِ أَبُو الصَّلْتِ أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الْإِشْبِيلِيُّ[3] » يُقَالُ إِنَّ عُمُرَهُ

كثير العبادة ، شيخ الحرم فى وقته علما و زهدا و إفادة . وتوفى سنة ٣٤٠ « أحمد يوسف نجاتى » (١) هو ابراهيم بن محمد بن حسين بن شنظير الأموى، من أهل طليطلة، كان عالما محدثا، ذا عناية عظيمة بالعلم والبحث والرواية والتحقيق ، ورحل الى المشرق فسمع به على جماعة من محدثيه ، وكان زاهدا فاضلا ناسكا كثير التلاوة للقرآن الكريم وقورا مهيبا، ولد سنة ٣٢٥ وتوفى سنة ٤٠٢ . وهناك ابراهيم بن محمد بن شنظير ، كانت له عناية وسماع ودين وفضل، وكان يبصر الحديث وعلله فقيها حافظا عالما زاهدا « أحمد يوسف نجاتى » (٢) فى الأصل « الزاهرى » وهو تصحيف ونقص، و « جعفر » أظنها مصحفة عن « حفص » وهو أبو حفص عمر ابن عبيد الله بن يوسف بن عبد الله بن يحيى بن حامد الذهلى القرطبى ويعرف بالزهراوى ، أخذ عن كثير من علماء الأندلس، وكان معتنيا بنقل الحديث ورواياته وسماعه، جامعا للكتب، خيرا ثقة ، ورعا ، ولد بالزهراء سنة ٣٦١ ، وتوفى بقرطبة سنة ٤٥٤ وصلى عليه محمد بن جهور . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) سيأتى له ذكر كثير وشعر فى أغراض مختلفة ، وهو من دانية من شرق الأندلس، وكان لطيف النادرة ، فصيح اللسان، جيد المعانى، ولشعره رونق وعليه طلاوة. ولد سنة ٤٦٠ وأخذ العلم

سِتُّونَ سَنَةً؛ مِنْهَا عِشْرُونَ فِي بَلَدِهِ إِشْبِيلِيَةَ، وَعِشْرُونَ فِي إِفْرِيقِيَّةَ عِنْدَ مُلُوكِهَا الصِّنْهَاجِيِّينَ، وَعِشْرُونَ فِي مِصْرَ مَحْبُوسًا فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ، وَكَانَ وَجَّهَهُ صَاحِبُ الْمَهْدِيَّةِ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ، فَسُجِنَ بِهَا طُولَ تِلْكَ الْمُدَّةِ فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ فَخَرَجَ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ إِمَامًا، وَأَمْتَنُ عُلُومِهِ الْفَلْسَفَةُ وَالطِّبُّ وَالتَّلْحِينُ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ تَوَالِيفُ تَشْهَدُ بِفَضْلِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَكَانَ يُكْنَى بِالْأَدِيبِ الْحَكِيمِ. وَهُوَ الَّذِي لَحَّنَ الْأَغَانِيَّ الْإِفْرِيقِيَّةَ. قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ إِلَى الْآنَ. وَذَكَرَهُ الْعِمَادُ فِي الْخَرِيدَةِ. وَلَهُ كِتَابُ الْحَدِيقَةِ - عَلَى أُسْلُوبِ يَتِيمَةِ الدَّهْرِ لِلثَّعَالِبِيِّ. وَتُوُفِّيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - وَقِيلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ - بِالْمَهْدِيَّةِ، وَقِيلَ مُسْتَهَلَّ السَّنَةِ بَعْدَهَا - وَدُفِنَ بِهَا. وَلَهُ فِيمَنْ اسْمُهُ وَاصِلٌ:

عن جماعة من أهل الأندلس، ودخل مصر ثم اعتقل بها مدة الى أن شفع فيه بعض الأعيان فأطلق، وكان ذلك فى خلافة الآمر بأحكام الله الفاطمى وانتقل فى آخر الوقت الى المهدية، وتوفى بها سنة ٥٢٩، وولد له بالمهدية ولد سماه عبد العزيز - وكان شاعرا ماهرا - وتوفى بمدينة بجاية سنة ٥٤٦ - «أحمد يوسف نجاتى».

يَاهَاجِرًا سَمَّوْهُ عَمْـدًا وَاصِلًا

وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الْأَشْـــيَاءُ

أَلْغَيْتَنِي حَتَّى كَأَنَّكَ وَاصِلٌ

وَكَأَنَّنِي مِنْ طُولِ هَجْرِي الرَّاءُ[1]

(١) يشير الى واصل بن عطاء المعتزلى المشهور، فقد كان يلثغ بالراء فيجعلها غينا، فألغى حرف الراء من كلامه، وخلصه منه، لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه، ففي ذلك يقول شاعر من المعتزلة « وهو أبو الطروق الضبي » يمدحه باطالة الخطب واجتنابه الراء — على كثرة ترددها فى الكلام حتى كأنها ليست فيه، ولا يفطن السامع لذلك لقدرة واصل — :

علیم بابدال الحروف وقامع   لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال آخر :

ويجعل البر قمحا فى تصرفه   وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطرا — والقول يعجله —   فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

وفى معنى بيتى أمية قول بعض الأدباء لمحبو به :

أجعلت وصلى الراء لم تنطق به   وقطعتنى حتى كأنك واصل؟!

فكان واصل بن عطاء يضرب به المثل فى اسقاطه حرف الراء من كلامه واستعمل الشعراء ذلك فى أشعارهم كثيرا، ومنه قول أبى عمر يوسف ابن هرون الكندى الأندلسى القرطبي الشاعر الرمادى المشهور المتوفى سنة ٤٠٣ :

لا الراء تطمع فى الوصال ولا أنا   الهجر يجمعنا فنحن سواء

فاذا خلوت كتبتها فى راحتى   وقعدت منتحبا أنا والراء

وقال أبو محمد الخازن من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عباد :

نعم تجنب لا يوم العطاء كما   تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وَقَوْلُهُ ـ وَهُوَ مِنْ بَدَائِعِهِ :

لَا غَرْوَ أَنْ سَبَقَتْ لُهَاكَ مَدَائِحِى
وَتَدَفَّقَتْ جَدْوَاكَ مِلْءَ إِنَائِهَا(١)
يُكْسَى الْقَضِيبُ وَلَمْ يَحِنْ إِثْمَارُهُ
وَتُطَوَّقُ الْوَرْقَاءُ قَبْلَ غِنَائِهَا

وَقَالَ فِي الْأَفْضَلِ(٢) :

تَرْدَى بِكُلِّ فَتًى إِذَا شَهِدَ الْوَغَى
نَثَرَ الرِّمَاحَ عَلَى الدُّرُوعِ كُعُوبًا

وقال آخر :

فلا تجعلنى مثل همزة واصل فتلحقنى حذفا، ولا راء واصل

وقال آخر فى محبوب له ألثغ :

أعد لثغة لو أن واصل حاضر ليسمعها ما أسقط الراء واصل

وقال أبو القاسم بن العريف :

أيها الألثغ الذى شف قلبي جد بحرف ولو نطقت بسبي
هجرك الراء مثل هجرى سواء فكلانا معذب دون ذنب
فاذا شئت أن أرى لى مثالا فى غرامى خططت راء بجنبي

وهـذا باب واسع، وحسبك منـه ماتفهم به غرض شاعرنا أمية . « أحمد يوسف نجاتى » (١) اللها : العطاء والصلات كالجدوى (٢) هو الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الدولة الفاطمية، وقد تقدم التعريف به . وقد نفى الأفضل هذا أمية بن أبى الصلت سنة ٥٠٥ وكان قد قدم الاسكندرية مع أمه فى الأضحى من سنة ٤٨٩ فتردد

قَدْ لَوَّحَتْهُ يَدُ الْهَوَاجِرِ فَاغْتَدَى
مِثْلَ الْقَنَاةِ قَضَافَةً وَشُحُوبَا(١)
تَخِذُوا الْقَنَا أَشْطَانَهُمْ ، وَاسْتَنْبَطُوا
فِي كُلِّ قَلْبٍ بِالطِّعَانِ قَلِيبَا

وَمِنْهَا :

تُعْطِي الَّذِي أَعْطَتْكَهُ سُمْرُ الْقَنَا
أَبَدًا ، فَتَغْدُو سَالِبًا مَسْلُوبَا(٢)

وَمِنْهَا :

وَأَنَا الْغَرِيبُ مَكَانُهُ وَبَيَانُهُ
فَاجْعَلْ صَنِيعَكَ فِي الْغَرِيبِ غَرِيبَا

بالاسكندرية الى أن سافر الى المهدية سنة ٥٠٦ ونزل من صاحبها على ابن يحيي بن تميم بن المعز بن باديس منزلة جليلة . «أحمد يوسف نجاتى»

(١) لوحته أى غيرت لونه ، والهواجر جمع هاجرة ، وهى شدة القيظ والحرارة ، والقضافة النحافة والهزال والدقة ، وقلة اللحم من هزال أيضا وفعله ككرم . والقليب البئر . وفى الأصل « الدروب » بدل الدروع ، وقصافة بدل « قضافة » ، و « استبطنوا » بدل « استنبطوا » ففى كل بيت تصحيف يشوك طريق المعنى «أحمد يوسف نجاتى» . (٢) هذا من قول أبى تمام :

اذا ماأغاروا فاحتووا مال معشر أغارت عليهم فاحتوته الصنائع

ومثله لأبى الطيب المتنبي :

وَلَهُ :

وَمُهَفْهَفٍ شَرِكَتْ(١) مَحَاسِنُ وَجْهِهِ
مَا مَجَّهُ فِي الْكَأْسِ مِنْ إِبْرِيقِهِ
فَفِعَالُهَا مِنْ مُقْلَتَيْهِ، وَلَوْنُهَا
مِنْ وَجْنَتَيْهِ، وَطَعْمُهَا مِنْ رِيقِهِ

أَخَذَهُ مِنَ ابْنِ حَيُّوس(٢) وَقَصَّرَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ :

وَمُهَفْهَفٍ يُغْنِي بِلَحْظِ جُفُونِهِ
عَنْ كَأْسِهِ الْمَلْأَى وَعَنْ إِبْرِيقِهِ

وتحيي له المال الصوارم والقنا ويقتل ماتحيي التبسم والجدا

والجدا : العطاء ، وسمر القنا : الرماح « أحمد يوسف نجاتي » (١) فى الأصل « شربت » ومجه : صبه (٢) ابن حيوس هو أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الملقب بمصطفى الدولة، أحد الشعراء الشاميين المشهورين المحسنين، وفحولهم المجيدين ، وكان منقطعا الى بنى مرداس أصحاب حلب، وله فيهم القصائد الفائقة، وكان مولده سنة ٣٩٤ بدمشق ، وتوفى سنة ٤٧٣ وهناك أيضا ابن حيوس الاشبيلى ذكره ابن فضل الله فقال : لا يخف له ضرع خاطر ، ولايجف له نوء سحاب ماطر ، لو مس بقريحته الصلد لتفجر ، والجهام لانعنجر ، وذكره ابن سعيد فى المرقص وأثنى عليه . وأبو عبد الله محمد بن الحسين ابن عبدالله بن حبوس من أهل فاس ، كان عالما محققا، وشاعرا مفلقا، يتقدم فى ذلك أهل زمانه، ويوقف على جودة شعره من ديوانه. امتدح الأمراء ونال إعجابهم وصلاتهم، وتوفى سنة ٥٧٠ عن ٧٠ سنة « أحمد يوسف نجاتى »

فِعْـلُ ٱلْمُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا

فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرِيقِهِ

وَلِأَبِي ٱلصَّلْتِ فِيمَنْ ٱسْمُهُ مُحْسِنٌ :

أَيُّهَا ٱلظَّالِمُ ٱلْمُسِي ءُ مَدَى دَهْرِهِ بِنَا

مَالَهُمْ أَخْطَأُوا ٱلصَّوَا بَ فَسَمَّوْكَ مُحْسِنَا ؟!

وَلَهُ فِي لَابِسِ قِرْمِزِيَّةٍ[1] حَمْرَاءَ :

أَقْبَـلَ يَسْعَى أَبُو ٱلْفَوَارِسِ فِي

مَرْأًى عَجِيبٍ وَمَنْظَرٍ أَنِقِ[2]

أَقْبَـلَ فِي قِرْمِزِيَّةٍ عَجَبٍ

قَدْ صَبَغَتْ لَوْنَ خَدِّهِ ٱلشَّرِقِ[3]

كَـأَنَّمَا جِيـدُهُ وَغُرَّتُهُ

مِنْ دُونِهَا إِذْ بَدَوْنَ فِي نَسَقِ[4]

---

(١) يريد قلنسوة حمراء ـ منسوبة الى القرمز ـ وهو صبغ أحمر، قال الشاعر:

خليت من خز وقز وقرمز ومن صنعة الدنيا عليك النقارس

النقارس حلية تتخذها المرأة على صفة الورد تغرزها في رأسها «أحمد يوسف نجاتى» (٢) أنيق معجب سار حسن (٣) المشرق المضيء (٤) بدون: أي ظهرن ، ونسق أي تتابع واتساق وحسن نظم « أحمد يوسف نجاتى»

عَمُودُ فَجْرٍ مِنْ فَوْقِهِ قَمَرٌ
دَارَتْ بِهِ قِطْعَةٌ مِنَ ٱلشَّفَقِ[(١)]

وَلَهُ فِى ثَقِيلٍ ـ وَقَدْ أَجَادَ :

لِى جَلِيسٌ عَجِبْتُ كَيْفَ ٱسْتَطَاعَتْ
هٰـذِهِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ تُقِلُّهْ[(٢)]

أَنَا أَرْعَاهُ مُـكْرَهًا ، وَبِقَلْبِي
مِنْـهُ مَا يُقْلِقُ[(٣)] ٱلْجِبَـالَ أَقَلُّهْ

فَهْوَ مِثْلُ ٱلْمَشِيبِ ؛ أَكْرَهُ مَرْآ
هُ ، وَلٰـكِنْ أَصُونُهُ وَأُجِلُّهْ[(٤)]

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِى ٱلْحَسَنِ جَعْفَرِ بْنِ ٱلْحَاجِّ ٱلْمَيُورَقِىِّ[(٥)]

---

(١) أراد بعمود الفجر :جيده ، وبالقمر وجهه وغرته ، و بقطعة الشفق قلنسوته القرمزية (٢) تقله أى تحمله ، ومثل هذا قول الآخر :

كيف لاتحمل الأمانة أرض حملت فوقها أبا عثمان؟!

(٣) ويروى « يتلف »

(٤) ذلك لأن مفارقة الشيب انما تكون إلى الموت : وقال مسلم بن الوليد:

الشيب كره، وكره أن يفارقنى فاعجب لشىء على البغضاء مودود
يمضى الشباب فيأتى بعده خلف والشيب يذهب مفقودا بمفقود

وقال آخر :

ولى صاحب ما كنت أهوى اقترابه فلما التقينا كان أكرم صاحب
عزيز علينا أن يفارق بعدما تمنيت دهرا أن يكون مجانبى

(٥) هو جعفر بن ابراهيم بن أحمد بن حسن بن سعيد بن أحمد بن

وَهُمَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ :

لِي صَاحِبٌ عَمِيَتْ عَلَيَّ شُئُونُهُ
حَرَكَاتُهُ مَجْهُولَةٌ وَسُكُونُهُ
يَرْتَابُ بِالْأَمْرِ الْجَلِيِّ تَوَهُّمًا
فَإِذَا تَيَقَّنَ نَازَعَتْهُ ظُنُونُهُ(١)
إِنِّي لَأَهْوَاهُ عَلَى شَرَقِي بِهِ
كَالشَّيْبِ تَكْرَهُهُ وَأَنْتَ تَصُونُهُ(٢)

وَأَوْصَى أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ - أَبُو الصَّلْتِ الْمَذْكُورُ - مِمَّا نَظَمَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ :

حسن، كان من أهل بيت نباهة ووزارة وفضل وكرم، وكان ممن نسك وعف وأمسك عن الشهوات وكف، وكان مقدما فى النظم والنثر، وزاد انطباعا فى طريقة الزهد، وكان قبل تركه الدنيا متصلا بالمعتمد بن عباد، وله فيه مدائح « أحمد يوسف نجاتى » .

(١) أصله من قول أبى الطيب المتنبي .

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق مايعتاده من توهم

وقال آخر :

ومافسدت لى - يشهد الله - نية   عليك، بل استفسدتنى فاتهمتنى

(٢) شرق بالأمر وغص به: اذا كرهه، وآلمه موقعه، ونال منه أثره - ولابن الحاج الميورقى أيضا :

كل من تهوى صديق ممحض   لك مالم تتقى أو ترتجى
فاذا حاولت نصرا أوجدا   لم تقف الابباب مرتج

سَكَنْتُكِ يَادَارَ الْفَنَاءِ مُصَدِّقًا
بِأَنِّى إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ أَصِيرُ
وَأَعْظَمُ مَا فِى الْأَمْرِ أَنِّى صَائِرٌ
إِلَى عَادِلٍ فِى الْحُكْمِ لَيْسَ يَجُورُ
فَيَالَيْتَ شِعْرِى كَيْفَ أَلْقَاهُ عِنْدَهَا
وَزَادِى قَلِيلٌ، وَالذُّنُوبُ كَثِيرُ؟!
فَإِنْ أَكُ مَجْزِيًّا بِذَنْبِى فَإِنَّنِى
بِشَرِّ عِقَابِ الْمُذْنِبِينَ جَدِيرُ
وَإِنْ يَكُ عَفْوٌ مِنْهُ عَنِّى وَرَحْمَةٌ
فَثَمَّ نَعِيمٌ دَائِمٌ وَسُرُورُ

وَلَهُ :

إِذَا كَانَ أَصْلِى مِنْ تُرَابٍ فَكُلُّهَا
بِلَادِى، وَكُلُّ الْعَالَمِينَ أَقَارِبِى
وَلَا بُدَّ لِى أَنْ أَسْأَلَ الْعِيسَ حَاجَةً
تَشُقُّ عَلَى شُمِّ الذُّرَا وَالْغَوَارِبِ(١)

(١) العيس: الابل تعد للسفر، يريد أن يكلف العيس بالسفر عليها قضاء

وَقَالَ :

دَبَّ ٱلْعِـذَارُ بِخَدِّهِ ، ثُمَّ ٱنْثَنَى
عَنْ لَثْمِ مَبْسِمِهِ ٱلْبَرُودِ ٱلْأَشْنَبِ (١)
لَا غَرْوَ أَنْ خَشِيَ ٱلرَّدَى فِي لَثْمِهِ
فَالرِّيقُ سُمٌّ قَاتِلٌ لِلْعَقْرَبِ (٢)

آماله، و يعتمد على سعيه فى نيل مآربه التى صدرت عن همة علية ، ونفس أبية ، لاتطمح الا الى معالى الأمور وما لاتسمو اليه الا العزائم القوية الماضية . والشم جمع أشم وهو العالى المرتفع ، والذرا جمع ذروة وهى أعلى الشيء ، والغوارب جمع غارب ، وهو هنا أيضا المكان الرفيع العالى من الجبل ونحوه « أحمد يوسف نجاتى » (١) الأشنب أى ذى الشنب وهو ماء ورقة تجرى على الثغر مع برد وعذوبة فى الفم « أحمد يوسف نجاتى » (٢) لاغرو أى لاعجب . و يقال صدغ معقرب أى معطوف ملتو ، لما شبه عذاره « أى الشعر المتدلى على صدغه » بالعقرب فى الالتواء والانعطاف علل على سبيل التخييل البديع عدم دنو عذاره من فمه و بعده عنه بأنه يخشى الهلاك من ريقه، لما زعموه أن الريق قاتل للعقرب ، وأمثال هذه الهوام وغيرها من أنواع الحيوان ينفر مما يؤذيه طبعا وفطرة. ومن محاسن أبى المحاسن يوسف بن الشواء فى مليح أرسل أحد صدغيه ولوى الآخر:

أرسل صدغا ، ولوى قاتلى صـدغا، فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا فى خـده حية تسعى، وهذا عقربا واقفه
ذا ألف ليست لوصل ، وذا واو ، ولـكن ليست العاطفه

توفى يوسف بن اسمعيل بن على الشواء الحلبى سنة ٦٣٥ بمدينة حلب « أحمد يوسف نجاتى »

وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ مِنْ خَوَاصِّ رِيقِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يَقْتُلُ الْعَقْرَبَ ـ وَهُوَ مُجَرَّبٌ ـ وَقَالَ :

لَا تَدْعُنِي ، وَلْتَدَعْ مَنْ شِئْتَهُ
إِلَيْكَ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
فَنَحْنُ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فِي ذَرَاكَ[1] سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ

وَقَالَ :

لَا تَسْأَلَنِّي عَنْ صَنِيعِ جُفُونِهَا
يَوْمَ الْوَدَاعِ ، وَسَلْ بِذَلِكَ مَنْ نَجَا
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ خَدَّهَا لَلَثَمْتُهُ
حَتَّى أُعِيدَ بِهِ الشَّقِيقَ بَنَفْسَجَا[2]
أَوْ كُنْتُ أَهْجَعُ لَاحْتَضَنْتُ خَيَالَهَا
وَمَنَعْتُ ضَوْءَ الصُّبْحِ أَنْ يَتَبَلَّجَا

(١) قد تكون مصحفة عن « دارك » بل هو أولى لأن البيتين هجاء لا يناسب فيهما استعمال « ذراك » الا على سبيل التهكم ـ ويجوز فى قافيتى البيتين « عَرَب » ، « كذبِ » أن يكون ماقبل الروى ساكنا « عُرْب ، كذْب » وأن يكون متحركا « عَرَبِ ، كذبِ » « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو من قول الآخر :

والله لولا أن يقال تغيرا وصبا ـ وان كان التصابى أجدرا ـ
لأعدت تفاح الخدود بنفسجا لثما ، وكافور الترائب عنبرا

يريد أنه يكثر تقبيلها حتى يصبغ حمرة خديها زرقة « أحمد يوسف نجاتى »

وَبَثَّتْ فِي ٱلظَّلْمَاءِ كُحْلَ جُفُونِهَا
وَعَقَدْتُهَا تِيكَ ٱلذَّوَائِبَ بِالدُّجَا(١)

وَقَالَ مُهَنِّئًا بِمَوْلُودٍ :

يَلُوحُ فِي ٱلْمَهْدِ عَلَى وَجْهِهِ   تَجَهُّمُ ٱلْبَأْسِ وَبُشْرَى ٱلنَّدَى
وَٱلشَّمْسُ وَٱلْبَدْرُ إِذَا ٱسْتَجْمَعَا
لَمْ يَلْبَثَا أَنْ يَلِدَا فَرْقَدَا(٢)
فَأَبْقِ لَهُ حَتَّى تَرَى نَجْلَهُ   وَإِنْ عَرَا خَطْبٌ فَنَحْنُ ٱلْفِدَا

وَقَالَ ٱبْنُ سَعِيدٍ : وَهَذَا ٱلْبَيْتُ ٱلْأَخِيرُ مِنْ أَثْقَلِ ٱلشِّعْرِ ، يُتَطَيَّرُ مِنْ سَمَاعِهِ ، وَتَرْكُهُ أَوْلَى . وَقَالَ ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ـ فِي ٱلرَّصَدِ :

---

(١) يعنى أنه لو تمكن من النوم لمع نفسه بطيف خيالها وقد حرم الوصول اليها، واحتال فى طول الليل فأمده بسواد يضاعفه من كحل جفونها وسواد ذوائبها ، وهو يشير الى قول أبى العلاء :

يود أن سواد الليل دام له   وزيد فيه سواد القلب والبصر

غير أن أمية قد أبدع فى الخيال، وأحسن التصرف، وأدمج شكوى الهجر والسهر فى الغزل، ودل من طرف خفى ظريف على شدة سواد جفونها وطول ذوائبها وشدة حلوكتها « أحمد يوسف نجاتى » (٢) من قول القائل :

شمس وبدر ولدا كوكبا   أقسمت بالله لقد أنجبا

وقول أبى الفرج الأصفهانى :

شمس الضحى قرنت الى بدر الدجا   حتى اذا اجتمعا أتت بالمشترى

فَذَا غَدِيرٌ ، وَذَا رَوْضٌ ، وَذَا جَبَلٌ
فَالضَّبُّ وَالنُّونُ وَالْمَلَّاحُ وَالْحَادِى(١)

***

عبد الله بن يحيى ابن بهلول

« وَمِنْهُمُ الْفَقِيهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَ بْنِ مُحَمَّدِ ابْنِ بُهْلُولٍ السَّرَقُسْطِىُّ » ذَكَرَهُ الْعِمَادُ الْأَصْبَهَانِىُّ فِى الْخَرِيدَةِ وَذَكَرَهُ السَّمْعَانِىُّ فِى الذَّيْلِ ، وَأَنَّهُ دَخَلَ بَغْدَادَ فِى حُدُودِ سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ(٢) ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

أَيَا شَمْسُ إِنِّى إِنْ أَتَتْكَ مَدَائِحِى — وَهُنَّ لَآلٍ نُظِّمَتْ وَقَلَائِدُ
فَلَسْتُ بِمَنْ يَبْغِى عَلَى الشِّعْرِ رُشْوَةً
أَبَى ذَاكَ لِى جَدٌّ كَرِيمٌ وَوَالِدُ(٣)

---

(١) هذا من قول ابن أبى عيينة المهلبى فى قصر عيسى بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس الذى كان بالبصرة :

ياوادى القصر نعم القصر والوادى — من منزل حاضر ان شئت أو بادى
ترى قراقيره والعيس واقفة — والضب والنون والملاح والحادى

القراقير سفن صغار، مفرده قرقور، والنون الحوت « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) قلت أظنه ورد العراق نحو سنة ٥٠٠ أو سنة ٥٠٦ فتكون «عشرة» فى الأصل زائدة. وله شعر حسن ومنه :

ومهفهف يختال فى أبراده — مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت فى مرآة فكرى خده — فحكيت فعل جفونه بجوارحى
ما كنت أحسب أن فعل توهمى — يقوى تعديه فيجرح جارحى
لاغر وأن جرح التوهم خده — فالسحر يعمل فى البعيد النازح

وسار إلى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها سنة ٥١٠ «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) من قول أبى الطيب :

وَإِنِّى مِنْ قَوْمٍ قَدِيمًا وَمُحْدَثًا
تُبَاعُ عَلَيْهِمْ بِالْأُلُوفِ ٱلْقَصَائِدُ (١)

***

أبو عامر التيارى

« وَمِنْهُمُ ٱلْفَقِيهُ ٱلْمُقْرِئُ أَبُو عَامِرٍ ٱلتَّيَّارِيُّ (٢) »

مِنْ رِجَالِ ٱلذَّخِيرَةِ ، رَحَلَ إِلَى ٱلْمَشْرِقِ ، وَقَرَأَ عَلَى أَبِى جَعْفَرٍ ٱلدِّيبَاجِيِّ كِتَابَهُ فِى ٱلْعَرُوضِ وَسَائِرَ كُتُبِهِ ، وَلَقِيَ شَيْخَ ٱلْقَيْرَوَانِ فِى ٱلْعَرَبِيَّةِ ٱبْنَ ٱلْقَزَّازِ ، وَأَدِيبَهَا ٱلْحُصْرِيَّ (٣) . وَأَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ تِلْمِيذٌ لَهُ وَسِيمٌ ، فَمَرَّ

وماأنا من يبغى على الحب رشوة ضعيف هوى يبغى عليه ثواب

(١) من قول الشاعر :

ان أكن مهديا لك الشعر انى لابن بيت تهدى له الأشعار
غير أنى أراك من أهل بيت ماعلى الناس أن يزوروه عار

(٢) فى نسخة « المتبارى » « أحمد يوسف نجاتى »

(٣) هو أبو اسحق ابراهيم بن على بن تميم الحصرى القيروانى الأديب الشاعر البليغ المشهور ، صاحب كتاب زهرالآداب وثمر الألباب، وهومن أنفس الكتب وأحسنها. توفى سنة ٤٥٣ وهو منسوب الىالحصر «قرية كانت قرب القيروان » وهو ابن خالة أبى الحسن على بن عبد الغنى الفهرى المقرىء الضرير الحصرى القيروانى الأديب البليغ الشاعر الرقيق صاحب القصيدة البديعة المشهورة :

ياليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده؟!

وكان عالما بالقراءات وطرقها ، ودخل الأندلس، وامتدح المعتمد بن عباد

بِهِ أَبُو جَعْفَرٍ ٱلتِّجَانِيُّ بِسَحَاءَةٍ[1] كَتَبَ لَهُ فِيهَا ـ وَخَلَّاهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُوَ قَدْ غَلَبَ ٱلنَّوْمُ عَلَيْهِ ـ :

يَا نَائِمًا مُتَعَمِّـدًا إِنْصَارَ طَيْفِ حَبِيبِهِ
هُوَ جَوْهَرٌ فَاثْقُبْهُ إِنَّ ٱلطِّيبَ فِي مَثْقُوبِهِ
أَوْ أَرْكِبَنِّي ظَهْرَهُ إِنْ لَمْ تَقُلْ بِرُكُوبِهِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلِمَ أَنَّهَا لِلتِّجَانِيِّ ، فَكَتَبَ تَحْتَهَا :

يَا طَالِبًا أَضْحَى حِجَا بٌ دُونَ مَا مَطْلُوبِهِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَاكَ إِثْـ مٌ لَمْ أَكُنْ أَسْخُو بِهِ
إِنِّي أَغَارُ عَلَيْـهِ مِنْ أَثْوَابِهِ وَرَقِيبِـهِ

وَأَنْشَدَ يَوْمًا فِي حَلْقَتِهِ لِابْنِ ٱلرُّومِيِّ فِي خَبَّازٍ :

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ خَبَّازًا مَرَرْتُ بِهِ
يَدْحُو ٱلرُّقَاقَةَ وَشْكَ ٱللَّمْحِ بِالْبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِّهِ كُرَةً
وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا قَوْرَاءَ كَالْقَمَرِ[2]

وغيره وتوفى سنة ٤٨٨ « أحمد يوسف نجاتى » (١) يريد قطعة صغيرة رقيقة من الورق ، وتقدم شرح السحاءة « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) قوراء : منبسطة مع استدارة وسعة ، ومنه القوراء وهى الدار الواسعة الجوف

إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا تَنْــدَاحُ دَائِرَةٌ

فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ(١)

فَقَالَ بَعْضُ تَلَامِذَتِهِ : أَمَا إِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الزِّيَادَةِ عَلَى هَذَا ، فَقَالَ :

فَــكَادَ يَضْرِطُ إِعْجَابًا بِرُؤْيَتِهَا

وَمَنْ رَأَى مِثْلَ مَا أَبْصَرْتُ مِنْهُ خَرِى

فَضَحِكَ مَنْ حَضَرَ وَقَالَ : الْبَيْتُ لَائِقٌ بِالْقِطْعَةِ لَوْلَا مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الرَّجِيعِ ، فَقَالَ :

إِنْ كَانَ بَيْتِيَ هَذَا لَيْسَ يُعْجِبُــكُمْ

فَعَجِّلُوا مَحْوَهُ ، أَوْ فَالْعَقُوهُ طَرِى

***

يوسف بن عتبة الاشبيلي

« وَمِنْهُمُ الْأَدِيبُ الطَّبِيبُ أَبُو الْحَجَّاجِ * يُوسُفُ بْنُ

(١) انداح : اتسع وانبسط مع استدارة ، وفى الأصل «تنزاح» مصحفة « أحمد يوسف نجاتى »

* ترجم له فى كتاب المغرب فى حلى المغرب « ج ١ ص ٧٦ » بما يأتى الطبيب الوشاح أبو الحجاج يوسف بن عتبة ، اجتمعت به فى اشبيلية وكان طبيبا أديبا وشاحا مطبوعا ، ثم سافر الى افريقيــة ، ثم الى مصر ، فمات فى مارستان القاهرة قبــل سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، ومن شعره قوله وقد شرب مع ندمانه تحت قصب فارسى :

عُتْبَةَ الْإِشْبِيلِيُّ » مَطْبُوعٌ فِي الشِّعْرِ وَالتَّوْشِيحِ ، قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : اجْتَمَعْتُ بِهِ فِي الْقَاهِرَةِ مِرَارًا بِمَجْلِسِ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْفَتْحِ مُوسَى بْنِ يَغْمُورَ بْنِ جَلْدَكَ(١) وَفِي غَيْرِهِ وَتُوُفِّيَ فِي مَارِسْتَانِ الْقَاهِرَةِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ :

انظر الى القصب الذى تهفو به ريح الصبا وعليه نحو الكؤوس
أو ما كفاه شربه من طله؟! أولا فلم جعلت ذوائبه تنوس
أسهمه من أكواسنا ولو انه سكران يطفح حق مالئم الرؤوس

(١) كان جمال الدين بن يغمور هذا قد استنابه السلطان صلاح الدين بمصر سنة ٦٣٨ لما بلغه وهو مريض أخذ مدينة حمص، فعظم عليه الأمر، وترحل الى القاهرة فاستناب بها ابن يغمور، و بعث الجيوش الى الشام لاستنقاذ حمص، وفى سنة ٦٤١ سطا ابن يغمور على مظفر الدين الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل بن أيوب - وكان قد قبض عليه عمه الملك الصالح اسمعيل واعتقله، فطلبه منه الفرنج لصحبة كانت بينهم - فخنقه ابن يغمور وقال انه مات، فأمر الملك الصالح بحبسه، فحبس بقلعة دمشق. وفى سنة ٦٤٧ عاد الملك الصالح من دمشق الى مصر مريضا « وكان قد قتل أخاه الملك العادل قبل خروجه من مصر » واستناب بدمشق الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، ثم انتهى أمره بأن شنقه الملك الصالح أيوب بمصر بعد أن ملك دمشق، حبسه بالجب، ثم شنقه بعد مدة على قلعة القاهرة. وجلدك هو أبو المظفر التقوى عتيق تقى الدين الملك المظفر أبى سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة وابن أخى السلطان صلاح الدين « وتوفى سنة ٥٨٧ » وكان جلدك والى دمياط دينا فاضلا، ذا ميل الى الأدب والشعر، ولشعراء عصره فيه مدائح جيدة، وتوفى سنة ٦٢٨. « أحمد يوسف نجاتى ».

أَمَّا ٱلْغُرَابُ فَإِنَّهُ سَبَبُ ٱلنَّوَى
لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَلِلنَّوَى أَسْبَابُ
يَدْعُو ٱلْغُرَابُ ، وَبَعْدَ ذَاكَ يُجِيبُهُ
جَمَلٌ ، وَتَعْوِى بَعْدَ ذَاكَ ذِئَابُ
لَا تُكْذَبَنَّ ، فَهَذِهِ أَسْبَابُهُ   لَكِنَّ مِنْهَا بَدْأَةٌ وَجَوَابُ(١)

***

أبو بكر محمد المعروف بابن مسدى

« وَمِنْهُمْ ٱلْإِمَامُ ٱلْمُحَدِّثُ ٱلْحَافِظُ جَمَالُ ٱلدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى ٱلْأَنْدَلُسِيُّ ٱلْمَعْرُوفُ بِابْنِ مُسْدِى(٢) » وَهُوَ مِنَ ٱلْأَئِمَّةِ ٱلْمَشْهُورِينَ بِالْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ

---

(١) فى معنى الأبيات قول القائل :

مافرق الألاف بعـ   ـد الله الا الابل
والناس يلحون غرا   ب البين لما جهلوا
وما غراب البين الا   لاناقـة أو جمـل

وقال الآخر :

نعب الغراب فقلت أكذب ناعق   ان لم يصدقه رغاء بعير

وانما تعوى الذئاب « فى البيت الثانى » لسكناها الديار بعد تفرق أهلها وتشتت شملهم ورحيلهم عنها ، واذا خلت الديار من ظباء الانس احتلها ذئاب الوحش . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) الأزدى الغرناطى المهلبى كان علامة حافظا ذا رحلة واسعة ودراية وجمع وتصنيف ، وشاع عنه التشيع ، جاور بمكة وقتل فيها غيلة سنة ٣٦٦ « أحمد يوسف نجاتى »

قَالَ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى : أَنْشَدَنِى رَئِيسُ ٱلْأَنْدَلُسِ وَأَدِيبُهَا أَبُو ٱلْحَسَنِ سَهْلُ[1] بْنُ مَالِكٍ ٱلْأَزْدِىُّ ٱلْغَرْنَاطِىُّ لِنَفْسِهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ فِى شَوَّالٍ بِدَارِهِ بِغَرْنَاطَةَ :

مُنَغَّصُ ٱلْعَيْشِ لَا يَأْوِى إِلَى دَعَةٍ
مَنْ كَانَ ذَا بَلَدٍ أَوْ كَانَ ذَا وَلَدِ
وَٱلسَّاكِنُ ٱلنَّفْسِ مَنْ لَمْ تَرْضَ هِمَّتُهُ
سُكْنَى مَكَانٍ وَلَمْ يَسْكُنْ إِلَى أَحَدِ

***

« وَمِنْهُمُ ٱلْإِمَامُ ٱلْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ ٱللّٰهِ مُحَمَّدُ بْنُ فَتُّوحِ بْنِ عَبْدِ ٱللّٰهِ ٱلْأَزْدِىُّ ٱلْحُمَيْدِىُّ ـ نِسْبَةً لِجَدِّهِ حُمَيْدٍ ـ ٱلْأَنْدَلُسِىُّ » وُلِدَ أَبُوهُ بِقُرْطُبَةَ ، وَوُلِدَ هُوَ بِالْجَزِيرَةِ : بُلَيْدَةٍ ـ بِالْأَنْدَلُسِ ـ قَبْلَ سَنَةِ عِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَكَانَ يُحْمَلُ عَلَى ٱلْكَتِفِ

محمد بن فتوح الازدى الحميدى

(١) أبو الحسن سهل بن محمد بن سهل بن محمد بن أحمد بن ابراهيم بن مالك الأزدى الغرناطى ، كان من خيرة العلماء الأدباء والأئمة الخطباء البلغاء مع الافتنان فى العلوم والمعارف ، وكان رئيسا فى بلده ، جوادا محبوبا مهيبا معظما ، ثم نالته محنة فى أيام الفتنة ، فغرب عن غرناطة الى مرسية وأسكنها مدة الى أن توفى محمد بن يوسف بن هود بالمرية سنة ٦٣٥ فسرح الى بلده وتوفى سنة ٦٤٠ « أحمد يوسف نجاتى » .

لِلسَّمَاعِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، فَأَوَّلُ مَا سَمِعَ مِنَ الْفَقِيهِ أَبِي الْقَاسِمِ أَصْبَغَ[(١)] قَالَ : وَكُنْتُ أَفْصَحَ مَنْ يَقْرَأُ عَلَيْهِ . وَكَانَ قَدْ لَقِيَ ابْنَ أَبِي زَيْدٍ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ، وَتَفَقَّهَ ، وَرَوَى عَنْهُ رِسَالَتَهُ وَمُخْتَصَرَ الْمُدَوَّنَةِ. وَرَحَلَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَقَدِمَ مِصْرَ، وَسَمِعَ بِهَا مِنَ الضَّرَّابِ وَالْقُضَاعِيِّ[(٢)] وَغَيْرِ وَاحِدٍ . وَكَانَ سَمِعَ بِالأَنْدَلُسِ مِنَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَابْنِ حَزْمٍ ، وَلَازَمَهُ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَأَكْثَرَ مِنَ الْأَخْذِ عَنْهُ ، وَشُهِرَ بِصُحْبَتِهِ ، وَصَارَ عَلَى مَذْهَبِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَظَاهَرُ بِهِ . وَسَمِعَ بِدِمَشْقَ وَغَيْرِهَا ، وَرَوَى عَنِ الْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ، وَكَتَبَ عَنْهُ أَكْثَرَ مُصَنَّفَاتِهِ ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ مِنَ الزَّنْجَانِيِّ[(٣)] وَأَقَامَ بِوَاسِطَ مُدَّةً بَعْدَ خُرُوجِهِ

(١) هو أبو القاسم أصبغ بن راشد بن أصبغ اللخمى الاشبيلى، رحل الى القيروان ، وتفقه على أبي محمد بن أبي زيد ، وغيره، وسمع منه الحميدى وكان فقيها محدثا ، توفى نحو سنة ٤٤٠ «أحمد يوسف نجاتى» (٢) فى الأصل «القراعى» وهو من عجائب تصحيفه ، وغرائب تحريفه_والقضاعى هو أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن على بن حكمون بن ابراهيم ابن محمد بن مسلم الفقيه الشافعي ، روى عنه أبو عبدالله الحميدى، وتولى القضاء بمصر، وله عدة تصانيف ممتعة. وتوفى سنة ٤٥٤ «أحمد يوسف نجاتى»

(٣) أبو القاسم سعد بن على بن محمد بن على بن الحسين، شيخ الحرم

مِنْ بَغْدَادَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ وَاسْتَوْطَنَهَا، وَكَتَبَ بِهَا كَثِيرًا مِنَ الْحَدِيثِ وَالْأَدَبِ وَسَائِرِ الْفُنُونِ. وَصَنَّفَ مُصَنَّفَاتٍ كَثِيرَةً، وَعَلَّقَ فَوَائِدَ، وَخَرَّجَ تَخَارِيجَ لِلْخَطِيبِ وَلِغَيْرِهِ وَرَوَى عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ أَكْثَرَ مُصَنَّفَاتِهِ، وَابْنُ مَاكُولَا. وَكَانَ إِمَامًا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي حِفْظِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَإِتْقَانِهِ وَثِقَتِهِ، وَصِدْقِهِ وَنُبْلِهِ وَدِيَانَتِهِ، وَوَرَعِهِ وَنَزَاهَتِهِ حَتَّى قَالَ بَعْضُ الْأَكَابِرِ مِمَّنْ لَقِيَ الْأَئِمَّةَ: لَمْ تَرَ عَيْنَايَ مِثْلَ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُمَيْدِيِّ؛ فِي فَضْلِهِ وَنُبْلِهِ، وَنَزَاهَةِ نَفْسِهِ وَغَزَارَةِ عِلْمِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ وَبَثِّهِ فِي أَهْلِهِ، وَكَانَ وَرِعًا ثِقَةً، إِمَامًا فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَعِلَلِهِ، وَمَعْرِفَةِ مُتُونِهِ وَرُوَاتِهِ، مُحَقِّقًا فِي عِلْمِ الْأُصُولِ عَلَى مَذْهَبِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مُتَبَحِّرًا فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ. وَمِنْ تَصَانِيفِهِ: كِتَابُ «جَذْوَةِ الْمُقْتَبِسِ فِي أَخْبَارِ عُلَمَاءِ الْأَنْدَلُسِ» وَكِتَابُ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ. وَكِتَابُ مَنِ ادَّعَى الْأَمَانَ، مِنْ أَهْلِ

والحفاظ كان قدوة عالما ثقة زاهدا محدثا جليلا، توفى سنة ٤٧١.
«أحمد يوسف نجاتى».

ٱلْإِيمَانِ . وَكِتَابُ ٱلذَّهَبِ ٱلْمَسْبُوكِ ، فِي وَعْظِ ٱلْمُلُوكِ . وَكِتَابُ تَسْهِيلِ ٱلسَّبِيلِ ، إِلَى عِلْمِ ٱلتَّرْسِيلِ . وَكِتَابُ مُخَاطَبَاتِ ٱلْأَصْدِقَاءِ ، فِي ٱلْمُكَاتَبَاتِ وَٱللِّقَاءِ . وَكِتَابُ مَا جَاءَ مِنَ ٱلنُّصُوصِ وَٱلْأَخْبَارِ ، فِي حِفْظِ ٱلْجَارِ . وَكِتَابُ ذَمِّ ٱلنَّمِيمَةِ وَكِتَابُ ٱلْأَمَانِي ٱلصَّادِقَةِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ ٱلْمُصَنَّفَاتِ وَٱلْأَشْعَارِ ٱلْحِسَانِ فِي ٱلْمَوَاعِظِ وَٱلْأَمْثَالِ . وَكَانَ مِنْ كَثْرَةِ ٱجْتِهَادِهِ يَنْسَخُ بِٱللَّيْلِ فِي ٱلْحَرِّ ، وَيَجْلِسُ فِي إِجَّانَةِ[1] مَاءٍ يَتَبَرَّدُ بِهِ . وَمِنْ مَشْهُورِ مُصَنَّفَاتِهِ كِتَابُ ٱلْجَمْعِ بَيْنَ ٱلصَّحِيحَيْنِ . وَذَكَرَهُ ٱلْحِجَارِيُّ فِي ٱلْمُسْهَبِ ، وَقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ أَظْهَرَ ٱلْعِلْمَ فِي طُرُقِ مَيُورَقَةَ بَعْدَ مَا كَانَتْ عَطْلَاءَ[2] مِنْ هَذَا ٱلشَّأْنِ ، وَتَرَكَ لَهَا فَخْرًا تُبَارِي بِهِ خَوَاصَّ ٱلْبُلْدَانِ . وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ أَئِمَّةِ ٱلْحَدِيثِ ، وَلَازَمَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ حَزْمٍ فِي ٱلْأَنْدَلُسِ ، وَٱسْتَفَادَ مِنْهُ ، وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَبِهَا أَلَّفَ كِتَابَ ٱلْجَذْوَةِ . وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ ـ رَضِيَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ـ :

أَلِفْتُ ٱلنَّوَى حَتَّى أَنِسْتُ بِوَحْشِهَا
وَصِرْتُ بِهَا لَا فِي ٱلصَّبَابَةِ مُولَعَا[3]

---

(١) الاجانه : الطست الصغير تغسل فيه الأيدى (٢) امرأة عطلاء وعطل « بضمتين » أى ليس عليها حلى ولم تلبس زينة « أحمد يوسف نجاتى » (٣) هذا قريب من

فَلَمْ أُحْصِ كَمْ رَافَقْتُهُ مِنْ مُرَافِقٍ
وَلَمْ أُحْصِ كَمْ خَيَّمْتُ فِي ٱلْأَرْضِ مَوْضِعَا
وَمِنْ بَعْدِ جَوْبِ ٱلْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
فَلَا بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أُوَافِيَ مَصْرَعَا

وَقَالَ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ :

لِقَاءُ ٱلنَّاسِ لَيْسَ يُفِيدُ شَيْئًا
سِوَى ٱلْهَذَيَانِ مِنْ قِيلٍ وَقَالِ
فَأَقْلِلْ مِنْ لِقَاءِ ٱلنَّاسِ إِلَّا
لِأَخْذِ ٱلْعِلْمِ أَوْ إِصْلَاحِ حَالِ

وَذَكَرَهُ ٱبْنُ بَشْكُوَالَ فِي ٱلصِّلَةِ . وَتُوُفِّيَ بِبَغْدَادَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى ـ . قَالَ ٱبْنُ مَاكُولَا : أَخْبَرَنَا صَدِيقُنَا أَبُو عَبْدِ ٱللهِ ٱلْحُمَيْدِيُّ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْفَضْلِ وَٱلتَّيَقُّظِ ، لَمْ أَرَ مِثْلَهُ فِي عِفَّتِهِ

قول الشاعر :

وفارقت حتى لا أبالى من انتوى — وان بان جيران على كرام

فقد جعلت نفسى على اليأس تنطوى — وعينى على بعد الحبيب تنام

والصبابة رقة الشوق والهوى . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَنَزَاهَتِهِ وَوَرَعِهِ وَتَشَاغُلِهِ بِالْعِلْمِ ، وَكَانَ أَوْصَى مُظَفَّرَ ابْنَ رَئِيسِ الرُّؤَساءِ[1] أَنْ يَدْفِنَهُ عِنْدَ قَبْرِ بِشْرٍ الْحَافِي فَخَالَفَ وَصِيَّتَهُ ، وَدَفَنَهُ فِي مَقْبُرَةِ بَابِ أَبْرَزَ[2]. فَلَمَّا كَانَتْ مُدَّةٌ رَآهُ مُظَفَّرٌ فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ يُعَاتِبُهُ عَلَى مُخَالَفَتِهِ ، فَنَقَلَ فِي صَفَرٍ سَنَةَ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعِمائَةٍ إِلَى مَقْبُرَةِ

(١) هو أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم على بن محمد ابن الحسن بن أبي الفرج أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبيد بن عمر المعروف بابن المسلمة . ولد جده أبو الفرج أحمد بن عمر سنة ٣٣٧ وتوفى سنة ٤١٥ وكان عالما ثقة فاضلا كثير البر والمعروف، وكانت داره مألفا لأهل العلم . أما أبوه على بن الحسن فقد خلع عليه الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٣٧ واستوزره ولقبه رئيس الرؤساء . وابنه أبو الفتح هذا كان ينوب عن أبيه فى الوزارة، وكان بيته مجمع الفضلاء وأهل العلم والدين ، توفى سنة ٤٩١ «ومن جملة من كان عنده الى أن توفى الشيخ أبو اسحق الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦» وأخوه جمال الدولة أبو نصر بن رئيس الرؤساء ابن المسلمة كان أستاذ دار الخليفة المستظهر بالله ، وتوفى سنة ٤٩٤ وابنه أبو الفضل عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء كان أديبا بليغا، وله شعر حسن ، فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير :

أمولانا جلال الدين يامن ... أذكره بخدمتى القديمه
ألم تك قد عزمت على اصطناعى ... فماذا صد عن تلك العزيمه ؟

وتوفى سنة ٥٢٦ وأبو محمد الحسين بن على بن الحسين بن هبة الله بن الوزير أبي القاسم رئيس الرؤساء الناسخ الصوفى ولد سنة ٥٥١ ، وتوفى سنة ٦٣٥ رحمهم الله تعالى «أحمد يوسف نجاتى» (٢) فى الأصل «البزر» وهو تصحيف . وباب أبرز «ويقال بيبرز ، بكسر ففتح فسكون ففتح» محلة كانت

بَابِ حَرْبٍ(١) وَدُفِنَ عِنْدَ قَبْرِ بِشْرٍ، وَكَانَ كَفَنُهُ جَدِيدًا وَبَدَنُهُ طَرِيًّا تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الطِّيبِ . وَوَقَفَ كُتُبَهُ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ ــ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ــ . وَمِنْ مَنَاقِبِهِ أَنَّهُ قَالَ لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فَوَجَدَهُ مَكْشُوفَ الْفَخِذِ : تَعَدَّيْتَ بِعَيْنٍ إِلَى مَوْضِعٍ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ مُنْذُ عَقَلْتُ . انْتَهَى . وَمِنْ شِعْرِ

ببغداد ، وفيها بنى تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز ـ المتولى تدبير دولة ملكشاه بعد الوزير نظام الملك ـ مدرسة ضاهى بها المدرسة النظامية ، سماها المدرسة التاجية سنة ٤٨٠ ، ومن باب أبرز هذا أصل بنى البارزى الذين كانوا كتابا بمصر فى عصر المماليك وقبله، كان جدهم مسلم يسكن فى بغداد بباب أبرز، ثم خرج من بغداد فى جفلة التتار الى حلب، فسمى الأبرزى، ثم خفف فقيل البارزى . ولنا مع بنى البارزى حديث مسهب فى كتابنا الجامع فى الأدب ـ ثم صارت هذه المحلة مقبرة بين عمارات البلد بها قبور جماعة من الأئمة ، منهم أبو اسحق ابراهيم بن على الفيروزبادى الشيرازى الامام الفقيه المحدث المتوفى سنة ٤٧٦ وغيره «أحمد يوسف نجاتى»

(١) مقبرة باب حرب خارج مدينة بغداد تنسب اليه الحربية ـ محلة كبيرة كانت مشهورة ببغداد ، ينسب الى حرب بن عبد الملك أو حرب بن عبد الله البلخى أحد قواد أبى جعفر المنصور ، ويعرف بالراوندى وكان يتولى شرطة بغداد ، وولى شرطة الموصل لجعفر بن أبى جعفر المنصور حين كان بالموصل ، وقتلت الترك حربا هذا فى أيام المنصور سنة ١٤٧ وفى مقبرة باب حرب دفن كثير من الأئمة والعلماء ، ومنهم الامام أحمد بن حنبل وأبو بكر الخطيب ، وشافع بن صالح بن حاتم الفقيه الامام الحنبلى المتوفى سنة ٤٨٠ وأبو على بن المهتدى الخطيب محمد بن محمد بن عبد العزيز وغيرهم ممن لا يحصون كثرة « أحمد يوسف نجاتى » .

اَلْحُمَيْدِيُّ أَيْضًا قَوْلُهُ :

طَرِيقُ ٱلزُّهْدِ أَفْضَلُ مَا طَرِيقٍ
وَتَقْوَى ٱللهِ تَالِيَـةُ ٱلْحُقُوقِ

فَثِـقْ بِٱللهِ يَكْفِكَ ، وَٱسْتَعِنْهُ
يُعِنْـكَ، وَدَعْ بُنَيَّاتِ ٱلطَّرِيقِ

وَقَوْلُهُ :

كَلَامُ ٱللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَوْلِي
وَمَا صَـحَّتْ بِهِ ٱلْآثَارُ دِينِي

وَمَا ٱتَّفَقَ ٱلْجَمِيعُ عَلَيْهِ بَدْءًا
وَعَوْدًا فَهْوَ عَنْ حَقٍّ مُبِـينِ

فَدَعْ مَا صَدَّ عَنْ هَذِي وَهَذَا
تَـكُنْ مِنْهَا عَلَى عَيْنِ ٱلْيَقِينِ

***

أبو العباس احمد الشريشى

« وَمِنْهُمُ ٱلْـكَمَالُ أَبُو ٱلْعَبَّاسِ أَحْمَدُ ٱلشَّرِيشِيُّ، وَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ بْنِ مُوسَى بْنِ عِيسَى بْنِ عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ ٱلْقَيْسِيُّ » مِنْ أَهْلِ شَرِيشَ[1] . وَرَوَى عَنْ أَبِي ٱلْحَسَنِ بْنِ

(١) Jeres و Jerez مدينة بالاندلس كانت من كورة شذونة أو

لَبَّالٍ(١) وَأَبِي بَكْرِ بْنِ أَزْهَرَ(٢) وَأَبِي عَبْدِ ٱللهِ بْنِ زَرْقُونَ(٣) وَأَبِي ٱلْحُسَيْنِ بْنِ جُبَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَقْرَأَ ٱلْعَرَبِيَّةَ ، وَلَهُ تَوَالِيفُ أَفَادَ بِمَا حَشَدَ فِيهَا ، مِنْهَا شَرْحُ ٱلْإِيضَاحِ لِلْفَارِسِيِّ وَٱلْجُمَلِ لِلزَّجَّاجِ ، وَلَهُ فِي ٱلْعَرُوضِ تَآلِيفُ ، وَجَمَعَ مَشَاهِيرَ

من أعمال اشبيلية، بينها وبين اشبيلية فوق مرحلتين، وكانت حصينة حسنة الجهات ذات حدائق و بساتين، تحيط بها الأشجار والكروم ، وكانت تسمى شريش الثغر لأنها ظلت حينا من الدهر فى أواخر مقام العرب بالأندلس هى الثغر الفاصل بين المسلمين الذين أووا الى مملكة غرناطة والاسبان الذين كانوا قد استولوا على مدينة اشبيلية . ولمدينة شريش الآن شهرة بين مدن اسبانية، وينسب اليها نوع من الخمر يسمى عند الانكليز Sherry وقد استردها الاسبانيون حوالى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى. و ينسب الى شريش كثير من العلماء منهم أبو القاسم عيسى بن ابراهيم بن عبد ربه بن جهور القيسى المتوفى سنة ٥٢٧ - وأبو بكر محمد بن أحمد بن خلف بن عبيد المعروف بابن خلاون المتوفى سنة ٥٩١ وأبو عبد الله محمد بن مالك بن يوسف بن مالك الفهرى الأديب المتوفى بها سنة ٥٩٢ ، و بها ولد أبو عبد الله بن زرقون المتقدم ذكره سنة ٥٠٢ «أحمد يوسف نجاتى» (١) هو على بن أحمد بن على أبو الحسن الشريشى روى عن أبى بكر بن العربى وغيره ، وولى قضاء بلدة شريش، وكان أديبا ناظما ناثرا ذا ورع وعدل ودين. وله شرح على مقامات الحريرى ، وتوفى سنة ٥٨٣ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن ابن أزهر الحجرى الشريشى، تولى قضاء بلده، أخذ عن أبيه وأبى القاسم ابن جهور وغيرهما ، وتوفى سنة ٥٨٤ «أحمد يوسف نجاتى» (٣) تقدم التعريف به وبابن جبير و بابن حريق « أحمد يوسف نجاتى » .

قَصَائِدِ ٱلْعَرَبِ ، وَٱخْتَصَرَ نَوَادِرَ أَبِي عَلِيٍّ ٱلْقَالِيِّ . قَالَ ٱبْنُ ٱلْأَبَّارِ : لَقِيتُهُ بِدَارِ شَيْخِنَا أَبِي ٱلْحَسَنِ ٱبْنِ حَرِيقٍ مِنْ بَلَنْسِيَةَ قَبْلَ تَوَجُّهِي إِلَى إِشْبِيلِيَةَ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ شَرْحَهُ لِلْمَقَامَاتِ، فَسَمِعْتُ عَلَيْهِ بَعْضَهُ ، وَأَجَازَ لِي سَائِرَهُ مَعَ رِوَايَاتِهِ وَتَوَالِيفِهِ ، وَأَخَذَ عَنْهُ أَصْحَابُنَا ، ثُمَّ لَقِيتُهُ ثَانِيَةً مَقْدَمَهُ مِنْ مُرْسِيَةَ . ٱنْتَهَى .

وَمِنْ بَدِيعِ نَظْمِهِ وَهُوَ بِمِصْرَ يَتَشَوَّقُ إِلَى ٱلشَّامِ :

يَا جِيرَةَ ٱلشَّامِ هَلْ مِنْ نَحْوِكُمْ خَبَرُ؟!
فَإِنَّ قَلْبِي بِنَارِ ٱلشَّوقِ يَسْتَعِرُ
بَعُدْتُ عَنْكُمْ فَلَا وَٱللهِ بَعْدَكُمُ
مَا لَذَّ لِلْعَيْنِ لَا نَوْمٌ وَلَا سَهَرُ
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَوْقَاتاً نَأَتْ وَمَضَتْ
بِقُرْبِكُمْ كَادَتِ ٱلْأَحْشَاءُ تَنْفَطِرُ
كَأَنَّنِي لَمْ أَكُنْ بِالنَّيْرَبَيْنِ(١) ضُحًى
وَٱلْغَيْمُ يَبْكِي وَمِنْهُ يَضْحَكُ ٱلزَّهَرُ

(١) فى الأصل « بالنيرين » وهو تحريف ، ونيرب قرية قريبة من

وَالْوُرْقُ تُنْشِدُ ، وَالْأَغْصَانُ رَاقِصَةٌ
وَالدَّوْحُ يَطْرَبُ بِالتَّصْفِيقِ وَالنَّهَرُ
وَالسَّفْحُ(١) أَيْنَ عَشِيَّاتِي الَّتِي سَلَفَتْ
لِي مِنْهُ؟! فَهْيَ لَعَمْرِي عِنْدِيَ الْعُمُرُ
سَقَاكَ يَا سَفْحُ سَفْحُ الدَّمْعِ مُنْهَمِلاً
وَقَلَّ ذَاكَ لَهُ إِنْ أَعْوَزَ الْمَطَرُ

وَلَهُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ شُرُوحٌ لِمَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ كَبِيرٌ وَوَسَطٌ وَصَغِيرٌ ، وَفِي الْكَبِيرِ مِنَ الْآدَابِ مَا لَا كِفَاءَ لَهُ . وَكَانَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ مُعْجَبًا بِالشَّامِ . وَقَالَ ابْنُ

دمشق فى وسط بساتين وحدائق ذات بهجة ،وقد ذكرها أبو المطاع وجيه الدولة بن حمدان فى شعر له وسماها النيربين بلفظ التثنية فقال :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها فلى بجنوب الغوطتين شجون
فما ذكرتها النفس الا استخفنى الى برد ماء النيربين حنين
وقد كان شكى فى الفراق يروعنى فكيف يكون اليوم وهو يقين؟!

وكذلك غيره من الشعراء ثنوا لفظها، وكأنهم فروا من لفظ « نيرب » لأن أصل معناه فى اللغة الحقد والحسد « أحمد يوسف نجاتى » (١) موضع يكثر الشعراء من ذكره والتغزل فيه والحنين اليه ، ووجدوا فى اسمه مع السفح مصدر ـ سفح الماء والدمع اذا أراقه وأساله ـ جناسا تاما فأغرموا به ، كما ترى هنا « أحمد يوسف نجاتى » .

الْأَبَّارِ عِنْدَ مَا ذَكَرَهُ: إِنَّهُ شَرَحَ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ فِي ثَلَاثِ نُسَخٍ : كُبْرَاهَا الْأَدَبِيَّةُ ، وَوُسْطَاهَا اللُّغَوِيَّةُ ، وَصُغْرَاهَا الْمُخْتَصَرَةُ . انْتَهَى . وَتُوُفِّيَ بِشَرِيشَ بَلَدِهِ سَنَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةٍ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - .

***

يحيى بن سعدون الأسدى

« وَمِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ يَحْيَى بْنُ سَعْدُونَ بْنِ تَمَّامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ الْقُرْطُبِيُّ الْمُلَقَّبُ بِضِيَاءِ الدِّينِ[1] » أَحَدُ الْأَئِمَّةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي الْقِرَاءَاتِ وَعُلُومِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . قَالَ الْقَاضِي الشَّمْسُ ابْنُ خِلِّكَانَ : إِنَّهُ رَحَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ فِي عُنْفُوَانِ شَبَابِهِ وَقَدِمَ مِصْرَ ؛ فَسَمِعَ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَبَا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّازِيَّ[2] وَبِمِصْرَ أَبَا صَادِقٍ مُرْشِدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ الْقَاسِمِ الْمَدِنِيَّ[3] الْمِصْرِيَّ ، وَأَبَا طَاهِرٍ أَحْمَدَ بْنَ

(١) فى ابن خلكان « صائن الدين » (٢) هو محمد بن أحمد بن ابراهيم الشاهد المعروف بابن الحطاب ، مسند الديار المصرية وأحد عدول ثغر الاسكندرية ، توفى سنة ٥٢٥ عن أكثر من تسعين سنة « أحمد يوسف نجاتى »
(٣) مرشد بن يحيى بن القاسم المدينى ثم المصرى ، وكان أسند من بقى

مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيَّ الْمَعْرُوفَ بِالسِّلَفِيِّ وَغَيْرَهُمْ ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقَرَأَ بِهَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيٍّ (١) الْمُقْرِىءِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ بِنْتِ الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورٍ الْخَيَّاطِ ، وَسَمِعَ عَلَيْهِ كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْهَا كِتَابُ سِيبَوَيْهِ . وَقَرَأَ الْحَدِيثَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي الْبَزَّارِ (٢) الْمَعْرُوفِ بِقَاضِي

بعصر مع الثقة والخير ، توفى سنة ٥١٧ عن سن عالية «أحمد يوسف نجاتى»

(١) هو الامام أبو محمد عبد الله بن على البغدادى المقرىء الفقيه الحنبلى النحوى، كان شيخ المقرئين بالعراق، ولد سنة ٤٦٤ وقرأ القرآن الكريم على جده «لأمه» الزاهد أبى منصور الخياط، وأخذ عنه وعن غيره، وكان من أندى الناس بالقرآن، وأطيبهم صوتا، مع الصلاح والعلم والتقوى وحسن الأخلاق والكياسة والظرف وجميل العشرة للناس على اختلاف طبقاتهم. ورأس أصحاب أحمد بن حنبل ، وصار واحد وقته ونسيج وحده، وكان فى عصره جمال العراق بأسره، وزينة الحياة فى دهره. وله شعر فى الورع ومكارم الأخلاق ، توفى سنة ٥٤١ رحمه الله « أحمد يوسف نجاتى »

(٢) هو محمد بن عبد الباقى بن محمد، يتصل نسبه بكعب بن مالك الأنصارى القاضى أبو بكر الأنصارى البغدادى الحنبلى البزار مسند العراق ، كان بارعا فى علوم كثيرة منها الحساب والهندسة والجبر وغيرها، وانتهى اليه علو الاسناد فى زمانه، ولد سنة ٤٤٢ وثقف ثقافة عالية، فألم بجميع العلوم والفنون التى كانت فى عصره، وكان عذب الحديث حلو المنطق، مليح المحاورة، دائم الاشتغال بالعلم ، كثير المناقب، جم المحاسن، توفى سنة ٥٣٥ « أحمد يوسف نجاتى »

ٱلْمَارَسْتَانِ، وَأَبِي ٱلْقَاسِمِ بْنِ ٱلْحُصَيْنِ[1] وَأَبِي ٱلْعِزِّ[2] وَغَيْرِهِمْ . وَكَانَ دَيِّنًا وَرِعًا، عَلَيْهِ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ ،وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا ثَبْتًا نَبِيلًا ، قَلِيلَ ٱلْكَلَامِ ، كَثِيرَ ٱلْخَيْرِ ، مُفِيدًا . أَقَامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً ، وَٱسْتَوْطَنَ ٱلْمَوْصِلَ، وَرَحَلَ مِنْهَا إِلَى أَصْبَهَانَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى ٱلْمَوْصِلِ ، وَأَخَذَ عَنْهُ شُيُوخُ ذَلِكَ ٱلْعَصْرِ . وَذَكَرَهُ ٱلْحَافِظُ ٱبْنُ ٱلسَّمْعَانِيِّ فِي كِتَابِ ٱلذَّيْلِ وَقَالَ إِنَّهُ ٱجْتَمَعَ بِهِ بِدِمَشْقَ ، وَسَمِعَ عَنْهُ مَشْيَخَةَ أَبِي عَبْدِ ٱللهِ ٱلرَّازِيِّ وَٱنْتَخَبَ عَلَيْهِ أَجْزَاءً ، وَسَأَلَهُ عَنْ مَوْلِدِهِ ، فَقَالَ : وُلِدْتُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ فِي مَدِينَةِ قُرْطُبَةَ ، وَرَأَيْتُ عَلَيْهِ فِي بَعْضِ ٱلْكُتُبِ أَنَّ مَوْلِدَهُ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةَ ، وَٱلْأَوَّلُ أَصَحُّ . وَكَانَ شَيْخُنَا ٱلْقَاضِي بَهَاءُ ٱلدِّينِ أَبُو ٱلْمَحَاسِنِ يُوسُفُ بْنُ رَافِعِ بْنِ تَمِيمٍ ٱلْمَعْرُوفُ بِابْنِ

(١) هو هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن العباس بن الحسين الشيباني البغدادي الكاتب مسند العراق، ولد سنة ٤٣٢ وتوفى سنة ٥٢٥ « أحمد يوسف نجاتى » (٢) أبو تمام أحمد بن أبى العز محمد بن المختار ابن المؤيد بالله الهاشمي العباسي البغدادي السفار نزيل خراسان ، توفى سنة ٥٤٣ عن بضع وتسعين سنة « أحمد يوسف نجاتى » .

شَدَّادٍ(١) قَاضِي حَلَبَ - رَحِمَهُ ٱللهُ تَعَالَى - يَفْتَخِرُ بِرِوَايَتِهِ وَقِرَاءَتِهِ عَلَيْهِ، وَقَالَ: كُنَّا نَقْرَأُ عَلَيْهِ بِالْمَوْصِلِ وَنَأْخُذُ عَنْهُ، وَكُنَّا نَرَى رَجُلًا يَأْتِي إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى ٱلشَّيْخِ بِشَيْءٍ مَلْفُوفٍ فَيَأْخُذُهُ ٱلشَّيْخُ مِنْ يَدِهِ، وَلَا نَعْلَمُ مَا هُوَ، وَيَتْرُكُهُ ذَلِكَ ٱلرَّجُلُ وَيَذْهَبُ، ثُمَّ تَقَفَّيْنَا ذَلِكَ فَعَلِمْنَا أَنَّهَا دَجَاجَةٌ مَسْمُوطَةٌ كَانَتْ تُرْسَمُ لِلشَّيْخِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، يَبْتَاعُهَا لَهُ ذَلِكَ ٱلرَّجُلُ وَيَسْمِطُهَا(٢) وَيُحْضِرُهَا، وَإِذَا دَخَلَ ٱلشَّيْخُ إِلَى مَنْزِلِهِ تَوَلَّى

(١) هو قاضى القضاة بهاء الدين أبو العز يوسف بن رافع بن تميم الأسدى الحلبي الشافعى، ولد سنة ٥٣٩ وقرأ القرآن والعربية على يحيى بن سعدون القرطبي بالموصل، وبرع فى الفقه والعلوم، وساد أهل زمانه، ونال رياسة الدين والدنيا وصنف التصانيف المفيدة، وحج سنة ٥٨٣ ثم اتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبى، وحظى عنده، وولاه قضاء العسكر وقضاء بيت المقدس، ولما توفى اتصل بولده الظاهر، وولاه قضاء حلب ونظر أوقافها وأجزل رزقه وعطاءه، وأقطعه اقطاعا عظيما، وكان ذا علم وخير واحسان، وقصده الطلبة للدين والدنيا، وارتفع قدر الفقهاء فى زمانه، وعظم شأنهم لجليل قدره وعلو درجته، وسار مسير الشمس ذكره، وجل فى الناس أثره وأجمعت القلوب على حبه، والألسنة على مدحه، وتوفى رحمه الله سنة ٦٣٢ بحلب، وله سيرة صلاح الدين الأيوبى أجاد فيها وأفاد «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) سمط الدجاجة والحمل وغيرهما «كضرب ونصر» اذا نتف عنها

طَبْخَهَا بِيَدِهِ . وَذَكَرَ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ الْأَحْكَامِ أَنَّهُ لَازَمَ الْقِرَاءَةَ عَلَيْهِ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً آخِرُهَا سَنَةُ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ الْقُرْطُبِيُّ الْمَذْكُورُ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ مُسْنِدًا إِلَى أَبِي الْخَيْرِ الْكَاتِبِ الْوَاسِطِيِّ(١) :

جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ
فَسِيَّانِ التَّحَرُّكُ وَالسُّكُونُ
جُنُونٌ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ
وَيُرْزَقُ فِي غِشَاوَتِهِ الْجَنِينُ

وَتُوُفِّيَ الْقُرْطُبِيُّ الْمَذْكُورُ بِالْمَوْصِلِ يَوْمَ عِيدِ الْفِطْرِ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ـ رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى ـ انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ خِلِّكَانَ بِبَعْضِ اخْتِصَارٍ .

ريشها أو صوفه ونظف عنه الشعر بالماء الحار ليشويه أو يطبخه « أحمد يوسف نجاتى » (١) لاأدرى أهو غير أبى الخير المبارك بن الحسين المقرئ الأديب البغدادى ، قرأ ببغداد وواسط ، وكان شيخ الاقراء فى عصره ، وتوفى سنة ٥١٠ أو أن كلمة « أبى الخير » محرفة عن « أبى الجوائز » فيكون المسند اليه الشعر هو الحسن بن على بن محمد بن بادى أبو الجوائز الكاتب الواسطى ، كان من الفضلاء ، وسكن بغداد دهرا طويلا ،وكان أديبا شاعرا حسن الشعر ، له تآليف حسان ، وخط جيد ، وأشعار رائقة أكثرها مقاطيع ، وتوفى سنة ٤٦٠ « أحمد يوسف نجاتى »

***

وَمِنْهُمُ ٱلْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ بْنُ ٱلشَّيْخِ ٱلْأَجَلِّ أَبِي ٱلْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ(١)، وَهُوَ مِنْ حُفَدَاءِ صَاحِبِ كِتَابِ ٱلْعِقْدِ ٱلْمَشْهُورِ. حَدَّثَ ٱلشَّيْخُ ٱلْأَجَلُّ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ مُحَمَّدُ

محمد بن أبي الحسن ابن عبد ربه

(١) هو وأبو عبدالله القرموني من أدباء الأندلس في القرن السادس وأوائل السابع، وقد جولا بالمشرق، ووفدا الى مصر، واجتمعا فيها بالمبرزين في حلبة الأدب والشعر في ذلك العصر؛ مثل القاضي الأعز ابن قلاقس الاسكندري المتوفى سنه ٦٠٧ — وصاحبه أبي الحسن وجيه الدين على بن الحسن ابن الذروي من مشهوري شعراء مصر له نظم فائق ونثر رائق، والقاضي السعيد ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨ — وكمال الدين على بن محمد بن النبيه المصري توفى سنة ٦١٩ — والقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني، توفى سنة ٥٩٦ وبهاء الدين على بن محمد بن رستم المصري المعروف بابن الساعاتي، توفى سنة ٦٠٤ — والأسعد بن مماتي المشهور الكاتب الشاعر المصري، توفى سنة ٦٠٦ — والقاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك، توفى سنة ٦٠٨ ونشو الملك أبو الحسن على بن مفرج المعروف بابن المنجم المغربي الأصل المصري الدار والوفاة، توفى سنة ٦١٦ — وأبو الفضل الأفضلي جعفر بن شمس الخلافة محمد بن مختار المصري، توفى سنة ٦٢٢ — وموفق الدين مظفر بن ابراهيم الشاعر المصري، توفى سنة ٦٢٣ — وأبو المحاسن شرف الدين محمد بن نصر المشهور بابن عنين الأنصاري الدمشقي، توفى سنة ٦٣٠ والأديب الشاعر الكاتب على بن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦٢٣ والشاعر الأديب النجيب ابن الدباغ المصري، وغير هؤلاء ممن أظلتهم مصر في عز الدولة الأيوبية أو أواخر الدولة الفاطمية. ولنا معهم أحاديث شائقة مسهبة في كتابنا الجامع في الأدب «أحمد يوسف نجاتي».

أَبُو عَلِيٍّ ٱلْيَحْصُبِيُّ ٱلْقَرْمُونِيُّ رَفِيقُهُ قَالَ : اُصْطَحَبْتُ مَعَهُ فِي ٱلْمَرْكَبِ مِنَ ٱلْمَغْرِبِ إِلَى ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَلَمَّا قَرُبْنَا مِنْهَا هَاجَ عَلَيْنَا ٱلْبَحْرُ ، وَأَشْفَيْنَا عَلَى ٱلْغَرَقِ ، فَلَاحَ لَنَا وَنَحْنُ عَلَى هَذِهِ ٱلْحَالِ مَنَارُ ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ (١) فَسُرِرْنَا بِرُؤْيَتِهِ

(١) منار الاسكندرية كانت من عجائب الأبنية وأبدعها، ولكن الناس رووا عن هذه المنارة أخبارا هائلة ، وادعوا لها دعاوى عن الصدق عادلة، وأحاديث عن الحق مائلة، وبالغوا فى وصفها ، وهولوا فى عظم شأنها ، وقد كانت بنية مربعة ، شبيهة بالصومعة ، أو هى حصن عال مربع البناء على سن جبل مشرف فى البحر فى طرف جزيرة بارزة فى الميناء ، ولها درج واسع يمكن الفارس أن يصعده بفرسه، وقد سقفت هذه الدرج بحجارة طوال مركبة على الحائطين المكتنفى الدرجة، فيرتقى الى طبقة عالية يشرف منها على البحر بشرافات محيطة بموضع آخر كأنه حصن آخر مربع يرتقى فيه بدرج أخرى الى درج آخر يشرف منه على السطح الأول بشرافات أخرى . وكان بها قوم يتولون وقود النار طول الليل، فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد ، فاذا رأى أهل النار ما يريبهم أشعلوا النار من جهة المدينة، فاذا رآها الحرس ضربوا الأجراس والأبواق، فيتحرك عند ذلك الناس لصد العدو ـ وفى سنة ١٨٠ فى خلافة هرون الرشيد كانت زلزلة عظيمة سقط منها رأس منارة الاسكندرية ، ثم ان أحمد بن طولون رم شيئا منها ، وجعل فى أعلاه قبة من الخشب نيصعد اليها من داخلها ، ثم أخذتها الرياح وهدمتها ـ وقال المسعودى : وطول المنارة فى وقتنا هذا وهو سنة ٣٣٢ مائتان وثلاثون ذراعا، وكان طولها قديما نحوا من أربعمائة ذراع وبناؤها فى عصرنا ثلاثة أشكال: فقريب من الثلث مربع مبنى بالحجارة، ثم بعد ذلك بناء مثمن الشكل انبنى بالآجر والجص نحو ستين ذراعا

وَطَمِعْنَا فِي ٱلسَّلَامَةِ . فَقَالَ لِي: لَا بُدَّ أَنْ أَعْمَلَ فِي ٱلْمَنَارِ شَيْئًا ، فَقُلْتُ لَهُ : أَعَلَى مِثْلِ هَذِهِ ٱلْحَالِ ٱلَّتِي نَحْنُ فِيهَا ؟ فَقَالَ : نَعَمْ فَقُلْتُ: فَاصْنَعْ ، فَأَطْرَقَ، ثُمَّ عَمِلَ بَدِيهًا:

وأعلاها مدور الشكل اه وفى شهر رمضان سنة ٣٤٤ كانت زلزلة هائلة سقط بها جزء عظيم من أعلى المنارة ، وفى العصر الفاطمى كان قد تهدم بعض أركانها فدعمه الملك الصالح رزيك أوغيره من وزراء الدولة الفاطمية فاستجده، فكان أحكم وأتقن وأحسن من الذى كان قبله ، وكان ظاهرا فيه كالشامة، لأن حجارة ذلك المستجد كانت أعظم وأحكم من القديم وأحسن وضعا ورصفا . وذكر ابن جبير فى رحلته أن منار الاسكندرية يظهر على أكثر من سبعين ميلا ، وأنه ذرع أحد جوانبه الأربعة فى سنة ٥٧٨ فأناف على خمسين ذراعا.وفى أيام الملك الكامل صاحب مصر بنى مسجد فى مكان القبة التى كان قد بناها ابن طولون ، ثم ان وجهها البحرى تداعى، وكذلك الرصيف الذى كان بين يديها من جهة البحر وكادا ينهدمان، وذلك فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، فرممه وأصلحه وأمر ببناء ماتهدم من أركان المنار سنة ٦٧٣ وكان بعضها قد تداعى وسقط ، وفى سنة ٧٠٢ هدم المسجد الذى بنى موضع القبة بتأثير الزلازل ثم بنى فى شهور سنة ٧٠٣ على يد الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير و بقى حينا ، وفى سنة ٧٧٧ سقط رأس المنارة من زلزلة عظيمة ، وذكر ابن فضل الله العمرى فى كتاب المسالك أن هذه المنارة قد خربت وبقيت أثرا بلا عين،وكان هذا فى أيام السلطان قلاوون أو ولده . ولله در الوجيه أبى الحسن الذروى اذ يقول فى منار الاسكندرية ــ وكان قد زاره هو وابن قلاقس الاسكندرى ــ :

وسامية الأرجاء تهدى أخا السرى ... ضياء اذا ماحندس الليل أظلما
لبست بها بردا من الأنس ضافيا ... فكان بتذكار الأحبة معلما

لِلّٰهِ دَرُّ مَنَارِ اُسْكَنْدِرِيَّةَ ! كَمْ
يَسْمُو إِلَيْهِ عَلَى بُعْدٍ مِنَ اُلْحَدَقِ
مِنْ شَامِخِ اُلْأَنْفِ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ
كَأَنَّهُ بَاهِتٌ فِي دَارَةِ اُلْأُفُقِ
يُكَسِّرُ اُلْمَوْجُ مِنْهُ جَانِبَيْ رَجُلٍ
مُشَمِّرِ اُلذَّيْلِ لَا يَخْشَى مِنَ اُلْغَرَقِ
لَا يَبْرَحُ اُلدَّهْرَ مَنْ وِرْدٍ عَلَى سُفُنٍ
مَا بَيْنَ مُصْطَبِحٍ مِنْهَا وَمُغْتَبِقِ

وقد ظللتنى من ذراها بقبة ألا حظ فيها من صحابىَ أنجما
خيلت أن البحر تحتى غمامة وأنى قد خيمت فى كبد السما

فقال ابن قلاقس يصفها و يمدح الوجيه الذروى «قبل أن تستحكم بينهما أسباب المهاجاة» :

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا كأنما فيه للنسرين أوكار
راسى القرارة، سامى الفرع، فى يده للنون والنور أخبار وآثار
أطلقت فيه عنان الفكر، فاطردت خيل لها فى بديع الشعر مضمار
ولم يدع حسنا فيه أبو حسن الا تحكم فيه كيف يختار
حلى المنارة لما حل ذروتها بجوهر الشعر بحر منه زخار
مازال يذكى بها نار الذكاء الى أن أصبحت علما فى رأسه نار

والذروى منسوب الى ذروة بلد باليمن «أحمد يوسف نجاتى»

لِلْمُنْشَآتِ ٱلْجَوَارِى عِنْدَ رُؤْيَتِهِ

كَمَوْقِعِ ٱلنَّوْمِ مِنْ أَجْفَانِ ذِى أَرَقِ(١)

وَتَقَدَّمَتْ تَرْجَمَةُ ٱلْكَاتِبِ أَبِي عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَأَظُنُّهُ هٰذَا ، فَلْيُتَنَبَّهْ لَهُ ، بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ هُوَ لَا غَيْرُهُ . وَٱللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

***

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلصَّفَّارِ ٱلْقُرْطُبِيُّ(٢) » محمد بن الصفار القرطبي

قَالَ فِي ٱلْقِدْحِ ٱلْمُعَلَّى : بَيْتُهُمْ مَشْهُورٌ بِقُرْطُبَةَ ، لَمْ يَزَلْ

---

(١) وأحفظ بعد ذلك بيتين آخرين :

تهوى اليه وعنه الفلك طائرة بمثل أجنحة صيغت من الحرق

كأنه وعليه الفلك حائمة برج الحمام فمن آت ومنطلق

العرنين الأنف كله أو ماصلب من عظمه أو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم — وهو ارتفاع قصبة الأنف وحسنها واستواء أعلاها — و يستعار شمم الأنف للعزة والأباء والأنفة ، والباهت المتحير رأى شيئا فبهت ينظر نظر المتعجب ، والجوارى المنشآت السفن العظام ، قال تعالى « وله الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام » « أحمد يوسف نجاتى » .

(٢) هو محمد بن عبدالله بن عمر بن على بن اسمعيل بن عمر الأنصارى الأوسى الضرير القرطبى ، سمع أباالقاسم بن بشكوال ، وأبا بكر بن الجد ، وأباعبد الله بن زرقون ، وغيرهم ، وكانت له رحلة الى المشرق لقى فيها كثيرا من علمائه ، وقفل بعد ذلك الى المغرب ، فسكن مراكش ، وأقرأ هنا لك ، وجول

يَتَوَارَثُ فِي الْعِلْمِ وَالْجَاهِ وَعُلُوِّ الْمَرْتَبَةِ ، وَنَشَأَ أَبُو عَبْدِ اللهِ هَذَا حَافِظاً لِلْآدَابِ ، إِمَامًا فِي عِلْمِ الْحِسَابِ ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ أَعْمَى مُقْعَدًا مُشَوَّهَ الْخِلْقَةِ ، وَلَكِنَّهُ إِذَا نَطَقَ عَلِمَ كُلُّ مُنْصِفٍ حَقَّهُ . وَمِنْ عَجَائِبِهِ أَنَّهُ سَافَرَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، حَتَّى غَدَتْ بَغْدَادُ لَهُ هَالَةً(١) ، اجْتَمَعْتُ بِهِ بِحَضْرَةِ تُونُسَ فَرَأَيْتُ بَحْرًا زَاخِرًا ، وَرَوْضًا نَاضِرًا ، إِلَّا أَنَّهُ حَاطِبُ لَيْلٍ(٢) ، وَسَاحِبُ ذَيْلٍ ، لَا يُبَالِي مَا أَوْرَدَهُ ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَا أَنْشَدَهُ ، جَامِعاً بَيْنَ السَّمِينِ وَالْغَثِّ ، حَافِظاً لِلْمَتِينِ وَالرَّثِّ . وَكَانَ يُقْرِئُ الْأَدَبَ بِمُرَّاكُش وَفَاسَ وَتُونِسَ

كثيرا فى الفتنة وقبلها ، واستقر أخيرا بمدينة تونس، وهناك لقيه العلامة ابن الأبار سنة ٦٣٦ وصحبه طويلا ، وكان يقرئ العربيــة والآداب و يسمع الحديث مع حظ من قرض الشعر ، وإدراك فى النثر ، وتوفى سنة ٦٣٩ بتونس وقد نيف على السبعين « أحمد يوسف نجاتى » (١) الهالة دارة القمر (٢) يقال هو حاطب ليل لمن يتــكلم بالغث والسمين ، و يخلط فى كلامه وأمره ، لايتفقد قوله ، ولا يفــكر فيما يأتى به ، كالحاطب « أى جامع الحطب » بالليل الذى يحطب كل ردى وجيد ، لأنه لايبصر مايجمع فى حبله ، و يشبه الجانى على نفسه بلسانه بحاطب الليل، لأنه اذا حطب ليلا فربما وقعت يده عــلى أفعى فنهشته، وكذلك الذى لايزم لسانه و يهجو الناس و يذمهم ربما كان ذلك سببا لحتفه ، ومن أمثالهم: المكثار حاطب ليل . وأول من قاله أكثم بن صيفى « أحمد يوسف نجاتى »

وَغَيْرِهَا . وَمِنْ مَشْهُورِ حِكَايَاتِهِ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ أَبُو زَيْدٍ[١] الْفَازَازِيُّ فِي أَبِي عَلِيٍّ[٢] الْمُسْتَنْصِرِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مَطْلَعُهَا :

(١) هو عبد الرحمن بن يَخْلَفْتَن بن أحمد اليجفشى الفازازى، ولد بقرطبة ونشأ بها ثم سكن تلمسان وغيرها وكان عالما بالحديث متصرفا فى فنونه ذا معرفة بالفقه وعلم الكلام وغيره شاعرا مجيدا وافر المادة قوى العارضة ، كتب للولاة زمنا طويلا ، وطوف ببلاد العدوة والأندلس كثيرا، وله فى الزهد أشعار سمعت منه وسارت عنه ، ومال الى التصوف وشهر به، وغلب عليه الأدب مع الميل الى علم التصوف وصحبة المريدين والسعى فى مطالبهم والتشدد على أهل البدع ، ثم أدركته جفوة من السلطان ألزمته داره وذلك فى سنة ٦٢٦ وفى آخرها ظعن الى العدوة فتوفى بمدينة مراكش سنة ٦٢٧ رحمه الله » وهو منسوب الى « فازاز » اسم قبيلة من قبائل البربر » « أحمد يوسف نجاتى » (٢) كذا بالأصل : وأراها مصحفة عن « أبى العلاء » أو « أبى العلى » يريد الأمير أبا العلاء بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن على ، وكان أبو العلى صاحب قرطبة فى مدة خلافة أخيه أمير المؤمنين محمد الناصر بن يعقوب المنصور الذى قام بالأمر بعد وفاة والده سنة ٥٩٥ وتوفى الناصر سنة ٦١٠ فبويع بعده ابنه أمير المؤمنين يوسف المنتصر بن محمد الناصر ، وتوفى سنة ٦٢٠ فقام بالأمر بعده أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، وكان صالحا متورعا، فاستقام له الأمر نحو شهرين، ثم اضطربت أحواله وقام عليه أبو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور وكان بمرسية فأخذ البيعة لنفسه ، وكتب لأخيه أبى العلا وكان باشبيلية يدعوه الى بيعته فأجابه، وكانت حوادث أدت الى خلع عبد الواحد والمبايعة لأبى محمد العادل أخى أبى العلى هذا سنة ٦٢١ وفوض أمر الأندلس الى أخيه أبى العلاء الملقب بالمأمون، ثم خلع المأمون طاعة أخيه ودعا لنفسه سنة ٦٢٤ وكانت فتن وثورات أدت الى قتل أخيه العادل فى شوال سنة ٦٢٤ وبويع لأبى

أَلْحَزْمُ وَالْعَزْمُ مَنْسُوبَانِ لِلْعَرَبِ عَارَضَهُ بِقَصِيدَةٍ ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ وَفِي ابْنِ أَخِيهِ يَحْيَى بْنِ النَّاصِرِ(١) الَّذِي نَازَعَهُ فِي ذَلِكَ الْأَوَانِ :

وَإِنْ يُنَازِعْكَ فِي الْمَنْصُورِ ذُو نَسَبٍ
فَنَجْلُ نُوحٍ ثَوَى فِي قِسْمَةِ الْعَطَبِ
وَإِنْ يَقُلْ : أَنَا عَمٌّ ، فَالْجَوَابُ لَهُ :
عَمُّ النَّبِيِّ بِلَا شَكٍّ أَبُو لَهَبِ

العلاء ادريس المأمون وهو هذا، ثم ندم الثائرون على ذلك، وخافوا من أبي العلى لما يعرفون من شهامته، فرجعوا وبايعوا يحيى بن الناصر كما سيأتي «أحمد يوسف نجاتي» (١) هو يحيى بن محمد الناصر بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، ولقبه المعتصم بالله، بويع في شوال سنة ٦٢٤ وامتنع من مبايعته كثير من الناس لمبايعتهم عمه المأمون أبا العلى ادريس، ووقع لذلك فتن فى البلاد ، واضطربت الأحوال وكثرت المحن، وفشا الخوف، واتصل الخبر أن المأمون بويع له بالأندلس، وأنه جاز البحر الى مدينة سبتة، فلما علم يحيى بذلك ورأى اختلاف الناس عليه فر هاربا ، وكانت بينه و بين المأمون حروب انهزم فيها يحيى ، ولم يزل شريدا الى أن توفى سنة ٦٣٣ فى أيام الرشيد عبد الواحد بن ادريس بن يعقوب المنصور . وجدد الموحدون البيعة لأبى العلى المأمون ادريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ابن على فى جمادى الآخرة سنة ٦٢٦ وكان فصيح اللسان، ضابطا للحديث الشريف ، حسن الصوت والتلاوة، عالما باللغة العربية وآدابها وأيام الناس وأخبارها ، حازما شجاعا ذا دين وشهامة ، ثم قام عليه أخوه بالأندلس وتوالت عليه المحن والهموم فتوفى سنة ٦٢٧ وفى أيامه استولى الروم على

وَشَاعَتْ ٱلْقَصِيدَةُ ، فَبَلَغَتْ أَبَا ٱلْعَلَاءِ ، فَحَرَصَ(١) عَلَى قَتْلِهِ، وَسَلَّمَهُ ٱللهُ تَعَالَى مِنْهُ . وَمَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ . وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

لَا تَحْسَبِ ٱلنَّاسَ سَوَاءً مَتَى
تَشَابَهُوا ، فَٱلنَّاسُ أَطْوَارُ(٢)
وَٱنْظُرْ إِلَى ٱلْأَحْجَارِ ، فِي بَعْضِهَا
مَاءٌ ، وَبَعْضٌ ضِمْنَهَا نَارُ

وَقَوْلُهُ :

يَا طَالِعًا فِي جُفُونِي وَغَائِبًا فِي ضُلُوعِي
بَالَغْتَ فِي ٱلسُّخْطِ ظُلْمًا وَمَا رَحِمْتَ خُضُوعِي
إِذَا نَوَيْتَ ٱنْقِطَاعًا فَٱحْسِبْ حِسَابَ ٱلرُّجُوعِ

ٱنْتَهَى بِٱخْتِصَارٍ يَسِيرٍ .

جزيرة ميورقة ، وبويع بعده ابنه عبد الواحد، وتلقب بالرشيد ، وتوفى سنة ٦٤٠ « أحمد يوسف نجاتى » (١) فى الأصل « لحرض » (٢) يقال : الناس أطوار، أى أصناف مختلفة وأحوال شتى، قال تعالى : « وقد خلقكم أطوارا » أى ضروبا مختلفة وعلى حالات متفاوتة وأخلاق متغايرة، أو خلقة مختلفة كل واحد على حدة « أحمد يوسف نجاتى » .

***

محمد بن المشرف أبو الوليد ابن الجنان

« وَمِنْهُمْ أَبُو ٱلْوَلِيـدِ بْنُ ٱلْجَنَّانِ * مُحَمَّدُ بْنُ ٱلْمُشَرَّفِ أَبِي عَمْرِو بْنِ ٱلْـكَاتِبِ أَبِي بَكْرِ بْنِ ٱلْعَالِمِ ٱلْجَلِيلِ أَبِي ٱلْعَلَاءِ بْنِ ٱلْجَنَّانِ ٱلْـكِنَانِيُّ ٱلشَّاطِبِيُّ »

---

* ترجم له فى كتاب الوافى بالوفيات للصفدى « ج ١ ص ١٧٥ » بما يأتى :

« ابن الجنان الشاطبى محمد بن محمد » كذا قرأته على الشيخ أثير الدين أبى حيان ، وأخبرنى الشيخ شمس الدين الذهبى — ومن خطه نقلت — أنه محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن الجنان بتشديد النون ، الشيخ فخر الدين أبو الوليد الـكنانى الشاطبى الحنفى ، ولد سنة خمس عشرة وستمائة بشاطبة ، وقدم الشأم ، وصحب الصاحب كمال الدين ابن العديم وولده ، فاجتذباه باحسانهما ، ونقلاه من مذهب مالك الى مذهب أبى حنيفة ، ودرس بالاقبالية ، وكان أديبا فاضـلا ، وشاعرا محسنا ، وكان يخالط الأكابر ، وفيه حسن العشرة والمزاح . توفى سنة خمس وسبعين وستمائة. أخبرنى الشيخ فتح الدين بن سيد الناس (١) : قال أخبرنى والدى قال:

---

(١) هو أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ابن يحيى بن محمد بن محمد بن أبى القاسم بن عبد الله بن عبد العزيز ابن سيد الناس بن أبى الوليد بن منذر بن عبد الجبار بن سليمان أبو الفتح فتح الدين اليعمرى الامام الحافظ العلامة الأديب، ولد سنة ٦٧١ وهو من بيت رياسة بأشبيلية، وكان أبوه قد قدم الى الديار المصرية ومعه أمهات من الـكتب القيمة، وحضر مع أبيه، فتلقى عن أفاضل عصره بمصر والشام حتى صار عالما أديبا صدوقا حجة طيب الأخلاق ذا بصر ناقد بالفن

كنا عند القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان وهو ينوب فى الحكم بالقاهرة - والشيخ فخر الدين بن الجنان حاضر وهو الى جانبي - فأنشد أبياتا له منها :

عرف النسيم بعرفكم يتعرف | وأخو الغرام بحبهم يتشرف
شرف المتيم فى هواهم إنه | طورا يبوح وتارة يتلهف
لطفت معانيه فهب مع الصبا | فرقيبه يهبو به لايعرف
واذا الرقيب درى به فلأنه | أخفى لديه من النسيم وألطف
ولأنه يعدو النسيم ديارهم | ولها على تلك الربوع توقف

فقال القاضي شمس الدين : ياشيخ فخر الدين لطفته لطفته الى أن عاد لاشيء ! فالتفت الي وقال بلسانه: « الكاضي حمار هوس مالو ذوك شي » يعني القاضي حمار ، ماله ذوق . وأنشدني له الشيخ أثير الدين أبوحيان :

أفناني القبض عني | حتى تلاشى وجودي
وجاءني البسط يحيي | روحي بفضل وجودي
فقلت للنفس شكرا | لذاك بالنفس جودي
وقمت أشطح سكرا | فغبت عن ذا الوجود

وقال ابن الجنان :

ذكر العذيب فمال من سكر الهوى | صب على صحف الغرام قد انطوى
يبكي على وادي العقيق بمثله | ويميل من طرب بمنعطف اللوى
وجهت وجهي نحوهم ، فوحقهم | لا أبتغي غيرا ولا أرجو سوى
وبهجتي معبود حسن منهم | فلذا على عرش القلوب قد استوى
أوحى الى قلبي الذي أوحى له | فعجبت كيف نطقت فيه عن الهوى

وخبرة بالرجال ، ويدطولى فى علوم اللسان، ومحاسن جمة، وله الشعر الرائق والنثر الفائق ، وله مؤلفات ممتعة فى الحديث والتاريخ والأدب. وكان رفيع المنزلة لدى أمراء مصر وذوى رياستها ، وتوفى فى شعبان سنة ٧٣٤ . «أحمد يوسف نجاتى» وأبو بكر الخطيب الحافظ محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد اليعمري الأشبيلي المعروف بابن سيد الناس ، ولد سنة ٥٩٧ بتونس فى شهر رجب سنة ٦٥٩ « أحمد يوسف نجاتى » .

قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: تَوَارَثُوا بِشَاطِبَةَ ، مَرَاتِبَ تَحْسُدُهَا النُّجُومُ الثَّاقِبَةُ (١) ، وَأَبُو الْوَلِيدِ أَشْعَرُهُمْ ، وَقَدْ تَجَدَّدَ بِهِ فِي أَقْطَارِ الْمَشْرِقِ مَفْخَرُهُمْ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ هُنَاكَ بِفَخْرِ الدِّينِ ، وَمُتَصَدِّرٌ فِي أَئِمَّةِ النَّحْوِيِّينَ ، وَمُرَتَّبٌ فِي شُعَرَاءِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَاحِبِ الشَّامِ (٢) ، وَمُقَطَّعَاتُهُ الْغَرَامِيَّةُ قَلَائِدُ أَهْلِ الْغَرَامِ ، صَحِبْتُهُ بِمِصْرَ وَدِمَشْقَ وَحَلَبَ ،

(١) التي يثقب نورها الظلام وينفذ فيه ضياؤها (٢) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد صاحب حلب ابن الظاهر غازى ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب الشام، ولد سنة ٦٢٧ وتولى الملك بعد أبيه سنة ٦٣٤ ودبر المملكة شمس الدين لؤلؤ الأرمنى، وعز الدين عمر بن مجلى، وجمال الدولة أقبال الخاتونى الأسود الخصى وكان الأمر كله راجعا الى جدته الصاحبة صفية ابنة العادل، ولهذا سكت الملك الكامل لأنها أخته، فلما توفيت سنة ٦٤٠ اشتد الناصر واشتغل عنه الكامل بعمه الصالح، ثم فتح عسكره له حمص سنة ٦٤٦، ثم سار هو وتملك دمشق بلاقتال سنة ٦٤٨ فوليها عشر سنين، وفى سنة ٦٤٢ دخل بابنة السلطان علاء الدين صاحب الروم وهى ابنة خالة أبيه العزيز ، وكان ملكا سريا حليما جوادا موطأ الأكناف حسن الأخلاق كريما جوادا محببا الى الرعية ذا عدل وصفح، وكان الناس معه فى رغد عيش وصفاء ، وكان للشعراء دولة فى أيامه وللأدب مكانة ، ثم خدع حتى وقع فى قبضة التتار فذهبوا به الى هولاكو فأكرمه، ولما بلغه هزيمة جيشه على عين جالوت غضب وتنمر وأمر بقتله، فتضرع اليه قائلا لاماذنبي؟! فأمسك عن قتله، فلما بلغه الهزيمة بحمص استشاط غضبا وأمر بقتله وقتل أخيه الملك الظاهر

وَجَرَيْتُ مَعَهُ طَلْقَ الْجَمُوحِ (١) فِي مَيَادِينِ الْأَدَب ،
وَأَنْشَدَنِي بِدِمَشْقَ :

غازي سنة ٦٥٩ وولده العزيز ، وقتل معه جميع أتباعه وأقاربه، فكان الملك الناصر آخر ملوك بني أيوب ، وله مآثر: منها أنه بنى بدمشق داخل باب الفراديس مدرسة كانت في غاية من الحسن، ووقف عليها أوقافا جليلة، وبنى بجبل الصالحية رباطا وتربة، وكانت عمارة عظيمة ما عمر مثلها، أحضر لها من حلب كثير من الرخام والأحجار ،وأنفق عليها أموالا عظيمة، وكان نهر يزيد جاريا فيها ، وكان ملكه قد زاد على ملك أبيه وجده، فانه ملك مثل حران والرها والرقة ورأس عين ومامع ذلك من البلاد، وملك حمص ودمشق و بعلبك والأغوار والسواحل الى غزة، وعظم شأنه، وخطب له بمصر ، ولكن تجاوز حلمه الحد، فأضر ذلك بالمملكة، وعاث المفسدون فيها فلم يستتب بها أمن، وكان يقول الشعر ، وله :

فوالله لو قطعت قلبي تأسفا وجرعتني كاسات دمعي دما صرفا
لما زادني الا هوى ومحبة ولا اتخذت روحي سواك لها إلفا

وهذا يدل على رقة عاطفته . وقتل غدرا شابا عن ٣٢ سنة رحمه الله « أحمد يوسف نجاتي » (١) يريد أنه أجر حبل خليع في الصبا غزل، وسار في ميدان اللهو مطلق العنان، يجري في غيه رسنه، لايكبح جماحه ، ولا يثني عنانه ولا يصدعن غرضه ، وهو من قول أبي نواس :

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان على مأثور القبيح
وجدت ألذ عارية الليالي قران النغم بالوتر الفصيح
تمتع من شباب ليس يبقى وصل بعرا الغبوق عرا الصبوح

وجمح الفرس كمنع جمحا وجموحا وجماحا : اذا ذهب يجري واعتز فارسه وغلبه ، لسرعته ونشاطه ومرحه، والجموح: الرجل يركب هواه فلا يمكن رده ، لشبهه بالجموح من الخيل الذي لايرده لجام، ولا يثنيه عن مضيه على وجهه عنان « أحمد يوسف نجاتي»

أَنَا مِنْ سُكْرِ هَوَاهُمْ ثَمِلُ ... لَا أُبَالِي هَجَرُوا أَمْ وَصَلُوا(١)
فَبِشِعْرِي وَحَدِيثِي فِيهِمُ ... زَمْزَمَ الْحَادِي وَسَارَ الْمَثَلُ(٢)
إِنَّ عُشَّاقَ الْحِمَى تَعْرِفُنِي ... وَالْحِمَى يَعْرِفُنِي وَالطَّلَلُ(٣)
رَحَلُوا عَنْ رَبْعِ عَيْنِي ، فَلِذَا ... أَدْمُعِي عَنْ مُقْلَتِي تَرْتَحِلُ
مَا لَهَا قَدْ فَارَقَتْ أَوْطَانَهَا ... وَهْيَ لَيْسَتْ لِحِمَاهُمْ تَصِلُ؟!
لَا تَظُنُّوا أَنَّنِي أَسْلُو ، فَمَا ... مَذْهَبِي عَنْ حُبِّكُمْ يَنْتَقِلُ

وَقَوْلُهُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : -

بِاللهِ يَا بَانَةَ الْوَادِي إِذَا خَطَرَتْ
تِلْكَ الْمَعَاطِفُ حَيْثُ الشِّيحُ وَالْغَارُ(٤)
فَمَا نَقِيهَا عَنِ الصَّبِّ الْكَئِيبِ ، فَمَا
عَلَى مُعَانَقَةِ الْأَغْصَانِ إِنْكَارُ

---

(١) ثمل الرجل «كفرح» فهو ثمل اذا أخذ فيه الشراب، فهو نشوان

(٢) أراد بزمزمة الحادى غناءه وتطريبه، وفرس مزمزم فى صوته اذا كان يطرب فيه، وفى البيت لف ونشر مرتب، فزمزم الحادى يعود على الشعر، وسير المثل عائد على حديثه فيهم (٣) الطلل: الشاخص من آثار الدار، وطلل الدار أيضا موضع من صحنها يهيأ لمجلس أهلها «أحمد يوسف نجاتى»

(٤) الشيح نبات معروف سهلى له رائحة طيبة وطعمه مر، وهو مرعى للخيل والنعم، ومنابته القيعان والرياض - وفى الأصل «الشيخ» وهو تصحيف فاسد، والغار شجر عظيم له ورق طوال أطول من ورق الخلاف

وَعَرِّفِيهَا بِأَنِّى فِيكِ مُكْتَئِبٌ
فَبَعْضُ هَذَا [1] لَهُ بِالْحُبِّ إِخْبَارُ
وَأَنْتُمُ جِيرَةُ الْجَرْعَاءِ مِنْ إِضَمٍ
لِى فِى حِمَاكُمْ أَحَادِيثٌ وَأَسْمَارُ [2]
وَأَنْتُمُو أَنْتُمُو فِى كُلِّ آوِنَةٍ
وَإِنَّمَا حُبُّكُمْ فِى الْكَوْنِ أَطْوَارُ
وَيَا نَسِيماً سَرَى يَحْدُو رَكَائِبَهُ
لِى بِالْغُوَيْرِ لُبَانَاتٌ وَأَوْطَارُ [3]

وحمل أصغر من البندق، وورقه طيب الريح يقع فى العطر (١) فى الأصل « هذى » ورأيت أن « هذا » أولى يعود على ماتقدم من تكليف البانة معانقة من يهوى لمشابهتهاله فى اللين والاعتدال والتثنى ومن رجائها أن تعرفها أنه مغرم بها، فان ذلك بمنزلة اخبار الحبيبة بحبه اياها « اياك أعنى واسمعى ياجارة » ويصح « فبعض هذى له بالحب أخبار » بفتح الهمزة جمع خبر

(٢) أصل الجرعاء والأجرع : الرملة لاتنبت شيئا ، وهى هنا مكان بعينه ، وإضم ماء على الطريق بين مكة واليمامة، له ذكر فى سرايا النبى صلى الله عليه وسلم ، ويذكره الشعراء كثيرا فى تغزلهم بهذه الأماكن — أو إضم واد بجبال تهامة، وهو الوادى الذى فيه المدينة، أو هو واد يشق الحجاز حتى يفرغ فى البحر ، ومن قصيدة البردة :

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة   وأومض البرق فى الظلماء من إضم

(٣) الغوير موضع بعينه، وهو ماء بأرض السماوة بين العراق والشام ، وماء بين العقبة والقاع فى طريق مكة ، واللبانة الحاجة والغرض كالوطر ، وفى الأصل « تحدو » بدل « يحدو » وأراها مصحفة . «أحمد يوسف نجاتى»

وَلَهُ :

يَا رَعَى اللهُ أُنْسَنَا بَيْنَ رَوْضٍ ... حَيْثُ مَاءُ السُّرُورِ فِيهِ يَجُولُ
تَحْسَبُ الزَّهْرَ عِنْدَهُ يَتَثَنَّى ... وَتَخَالُ الْغُصُونَ فِيهِ تَمِيلُ

وَلَهُ :

هَاتِ الْمُدَامَ ، فَقَدْ نَاحَ الْحَمَامُ عَلَى
فَقْدِ الظَّلَامِ ، وَجَيْشُ الصُّبْحِ فِي غَلَبِ
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ مِنْ طُولِ الْبُكَا رَمِدَتْ
فَكَحَّلَتْهَا يَمِينُ الشَّمْسِ بِالذَّهَبِ
وَالْكَاسُ حُلَّتُهَا حَمْرَاءُ مُذْهَبَةٌ
لَكِنْ أَزِرَّتُهَا مِنْ لُؤْلُؤِ الْحَبَبِ :
كَمْ قُلْتُ لِلْأُفْقِ لَمَّا أَنْ بَدَا صَلِفًا(١)
بِشَمْسِهِ عِنْدَمَا لَاحَتْ مِنَ الْحُجُبِ
إِنْ تُهْتَ(٢) بِالشَّمْسِ يَا أُفْقَ السَّمَاءِ فَلِي
شَمْسَانِ : وَجْهُ نَدِيمِي وَابْنَةُ الْعِنَبِ

(١) الصلف : الكبر والاعجاب بالنفس، وأن يتمدح المرء بماليس عنده ومجاوزة قدر الظرف والبراعة، والادعاء فوق ذلك تكبرا (٢) التيه : الصلف والكبر ، تاه يتيه و يتوه ، وابنة العنب : الخمر . «أحمد يوسف نجاتى»

قُمِ اسْقِنِيهَا وَثَغْرُ الصُّبْحِ مُبْتَسِمٌ
وَاللَّيْلُ تَبْكِيهِ عَيْنُ الْبَدْرِ بِالشُّهُبِ
وَالسُّحْبُ قَدْ لَبِسَتْ سُودَ الثِّيَابِ، وَقَدْ
قَامَتْ لِتَرْثِيَهُ الْأَطْيَارُ فِي الْقُضُبِ

وَلَهُ:

عَلَيْكَ مِنْ ذَاكَ الْحِمَى يَا رَسُولْ
بُشْرَى عَلَامَاتِ الرِّضَا وَالْقَبُولْ
جِئْتَ وَفِي عِطْفَيْكَ مِنْهُمْ شَذًى
يَسْكَرُ مِنْ خَمْرِ هَوَاهُ الْعَذُولْ

وَمِنْهَا:

أَحْبَابَنَا وَدَّعْتُمُ نَاظِرِي وَأَنْتُمُ بَيْنَ ضُلُوعِي نُزُولْ
حَلَلْتُمُ قَلْبِيَ وَهْوَ الَّذِي يَقُولُ فِي دِينِ الْهَوَى بِالْحُلُولْ
أَنَا الَّذِي حَدَّثَ عَنِّي الْهَوَى بِأَنَّنِي عَنْ حُبِّكُمْ لَا أَحُولْ
فَلْيَزِدِ الْعَاذِلُ فِي عَذْلِهِ وَلْيَقُلِ الْوَاشِي لَكُمْ مَا يَقُولْ

انْتَهَى كَلَامُ النُّورِ ابْنِ سَعِيدٍ. وَقَالَ غَيْرُهُ: وُلِدَ الْمَذْكُورُ بِشَاطِبَةَ مُنْتَصَفَ شَوَّالٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ

وَستِّمِائَةٍ ، وَمَاتَ بِدِمَشْقَ ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ قَاسِيُونَ[١] . وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا ، دَمِثَ ٱلْأَخْلَاقِ، كَرِيمَ ٱلشَّمَائِلِ، كَثِيرَ ٱلِاحْتِمَالِ وَاسِعَ ٱلصَّدْرِ ، صَحِبَ ٱلشَّيْخَ كَمَالَ ٱلدِّينِ بْنَ ٱلْعَدِيمِ[٢] وَوَلَدَهُ قَاضِيَ ٱلْقُضَاةِ مَجْدَ ٱلدِّينِ ، فَاجْتَذَبُوهُ إِلَيْهِمْ، وَصَارَ حَنَفِيَّ ٱلْمَذْهَبِ ، وَدَرَسَ بِالْمَدْرَسَةِ ٱلْإِقْبَالِيَّةِ[٣] ٱلْحَنَفِيَّةِ بِدِمَشْقَ وَلَهُ مُشَارَكَةٌ فِي عُلُومٍ كَثِيرَةٍ، وَلَهُ يَدٌ فِي ٱلنَّظْمِ ، وَمِنْ شِعْرِهِ:

لِلّٰهِ قَوْمٌ يَعْشَقُونَ ذَوِي ٱللِّحَى ... لَا يَسْأَلُونَ عَنِ ٱلسَّوَادِ ٱلْمُقْبِلِ

---

(١) اسم للجبل المشرف على مدينة دمشق ، وفى سفحه مقابر دفن فيها كثير من ذوى الخير والصلاح (٢) هوالصاحب العلامة كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبى جرادة العقيلى الحلبى، من بيت القضاء والنباهة والعلم، كان فى زمنه قليل المثل عديم النظير فضلا ونبلا ورأيا وحزما وذكاء وبهاء وكتابة و بلاغة، درس وأفتى وصنف، وجمع تاريخا لحلب فى نحو ثلاثين مجلدا ، وكان عظيم المنزلة عند الملك الناصر يوسف المتقدم ، وانتهت اليه رياسة أصحاب أبى حنيفة. توفى سنة ٦٦٠ـ وولده الصاحب قاضى القضاة مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن كان صدرا مهيبا وافر الحشمة عالى الهمة والرتبة أديبا بليغا مبالغا فى التجمل والترفع مع دين تام وتعبد وصيانة وتواضع للصالحين وأولى العلم والعمل ، توفى سنة ٦٧٧ ـ وولده الآخر الصاحب جمال الدين أبو غانم محمد توفى بحماة سنة ٦٩٤ . « أحمد يوسف نجاتى » (٣) نسبة الى واقفها وهو جمال الدولة اقبال الخادم توفى بالقدس سنة ٦٠٣ بعد أن وقف داره بدمشق مدرستين شافعية وحنفية ، ووقف عليهما مواضع ذات غلة . « أحمد يوسف نجاتى » .

وَبِمُهْجَتِي قَوْمٌ - وَإِنِّي مِنْهُمُ -
جُبِلُوا عَلَى حُبِّ الطِّرَازِ الْأَوَّلِ[1]

وَلَهُ أَيْضًا :

قُمِ اسْقِنِيهَا وَلَيْلُ الْهَمِّ مُنْهَزِمٌ
وَالصُّبْحُ أَعْلَامُهُ مُحْمَرَّةُ الْعَذَبِ[2]
وَالسُّحْبُ قَدْ نَثَرَتْ فِي الْأَرْضِ لُؤْلُؤَهَا
تَضُمُّهُ الشَّمْسُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الذَّهَبِ

انْتَهَى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ عَنِ ابْنِ سَعِيدٍ لَهُ مَا يُقَارِبُ هَذَا . وَلَهُ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فِي كَاتِبٍ :

وَلِي كَاتِبٌ أَضْمَرْتُ فِي الْقَلْبِ حُبَّهُ
مَخَافَةَ حُسَّادِي عَلَيْهِ وَعُذَّالِي
لَهُ صَنْعَةٌ فِي خَطِّ لَامِ عِذَارِهِ
وَلَكِنْ سَهَا إِذْ نَقَّطَ اللَّامَ بِالْخَالِ

(١) فى كلا البيتين تصرف لابأس به فى كلام حسان بن ثابت ونقله من معنى الى آخر ، وذلك ظاهر . « أحمد يوسف نجاتى » (٢) جمع عذبة وهى فى الأصل طرف الثوب وهدبه ، ومن العمامة مايسدل على الكتفين منها ، أو طرف كل شيء كعلاقة السوط وطرفه . « أحمد يوسف نجاتى »

***

أبو محمد القرطبي

« وَمِنْهُمْ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقُرْطُبِيُّ » قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : لَقِيتُهُ بِالْقَاهِرَةِ ، وَكَأَنَّهُ لَا خَبَرَ عِنْدَهُ مِنَ الْآخِرَةِ ، وَقَدْ طَالَ عُمْرُهُ فِي أَكْلِ الْأَعْرَاضِ ، وَفَسَادِ الْأَغْرَاضِ ، وَمِمَّا بَقِيَ فِي أُذُنِي مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

رَحِمَ اللهُ مَنْ لَقِيتُ قَدِيمًا ... فَلَقَدْ كَانَ بِي رَءُوفًا رَحِيمًا

أَتَمَنَّى لِقَاءَ حُرٍّ وَقَدْ أَعْ ... وَزَ بَخْتِي(١) كَمَا عَدِمْتُ الْكَرِيمَا

وَتُوُفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ .

***

علي بن أحمد القادسي

« وَمِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْقَادِسِيُّ(٢) الْكِنَانِيُّ » قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ : لَقِيتُهُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى زِيِّ الْفُقَرَاءِ ، وَحَصَّلْتُ مِنْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَنَدِمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى مَا فَاتَ ، وَهِيَ :

ذَاكَ الْعِذَارُ الْمُطِلُّ ... دَمِي عَلَيْهِ يُطَلُّ

كَأَنَّمَا الْخَدُّ مَاءٌ ... وَقَدْ جَرَى فِيهِ ظِلُّ

عُقُودُ صَبْرِي عَلَيْهِ ... مُذْ حَلَّ قَلْبِي تُحَلُّ

جَرَتْ دُمُوعِي عَلَيْهِ ... فَقُلْتُ آسٍ وَطَلُّ

---

(١) أو « بخثي » (٢) لعله ابن أحمد بن محمد القادسي الضرير الحنبلي كان ملازما

***

« وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ ٱللهِ بْنُ ٱلْعَطَّارِ ٱلْقُرْطُبِيُّ(١) » قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ: هُوَ حُلْوُ ٱلْمَنَازِعِ ،طَرِيفُ ٱلْمَقَاطِعِ وَٱلْمَطَالِعِ ، مَطْبُوعُ ٱلنَّوَادِرِ ، مَوْصُوفٌ بِالْأَدِيبِ ٱلشَّاعِرِ ،مَا زَجْتُهُ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَبِهَذِهِ ٱلْحَضْرَةِ ٱلْعَلِيَّةِ ، وَمَا زَالَ يَدِينُ بِالِانْفِرَادِ ،وَٱلتَّجَوُّلِ فِي ٱلْبِلَادِ، حَتَّى قَضَى مُنَاهُ ، وَأَلْقَى بِهَذِهِ ٱلْمَدِينَةِ عَصَاهُ، لَا يَخْطُرُ ٱلْهَمُّ لَهُ بِبَالٍ، وَلَا يَبِيتُ إِلَّا عَلَى وَعْدٍ مِنْ وِصَالٍ(٢) . وَلَهُ ـ حِينَ سَمِعَ مَا أَرْتَجَلْتُهُ فِي ٱلسِّكِّينِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ حِينَ دَاعَبَنِي بِاخْتِلَاسِهَا ٱلْقَاضِي زَيْنُ ٱلْقُضَاةِ ٱبْنُ ٱلرِّيغِيِّ(٣) وَقَالَ:مَالِي إِلَيْهِ سَبِيلٌ ،حَتَّى يَحْضُرَ مُضَرِيٌّ(٤) نَبِيلٌ ـ

أَيَا سَارِقًا مِلْكًا مَصُونًا وَلَمْ يَجِبْ
عَلَى يَدِهِ قَطْعٌ وَفِيهِ نِصَابُ(٥)

لابن الجوزى ببغداد ، وتوفى سنة ٦٢١ . «أحمد يوسف نجاتى »(١) سيأتى له ذكر فى الأجزاء التالية . (٢) أخذه من قول الشاعر :

رعى الله عيشا لم أبت فيه ليلة   من الدهر الا من حبيب على وعد

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن ابراهيم المغربى الريغى قاضى الاسكندرية عمر دهرا طويلا وتوفى سنة ٦٤٥ ـ وذريته بعده وأقار به محدثون متأخرون «أحمد يوسف نجاتى » (٤) وفى بعض النسخ « مصرى » (٥) فى كلمة « نصاب » تورية ، نصاب السكين

سَتَنْدُبُهُ الْأَقْلَامُ عِنْدَ عِثَارِهَا
وَيَبْكِيهِ إِنْ يَعْدُ الصَّوَابَ كِتَابُ[١]

فَقَالَ :

أُحَاجِيكَ : مَا شَيْءٌ إِذَا مَا سَرَقْتَهُ
وَفِيهِ نِصَابٌ لَيْسَ يَلْزَمُكَ الْقَطْعُ؟!
عَلَى أَنَّ فِيهِ الْقَطْعَ وَالْحَدَّ ثَابِتٌ
وَلَا حَدَّ فِيهِ، هَكَذَا حُكْمُ الشَّرْعِ[٢]؟!

انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ سَعِيدٍ مِنْ كِتَابِهِ «الْقِدْحِ الْمُعَلَّى» فِيمَا أَظُنُّ. وَيَعْنِي -وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ- بِقَوْلِهِ:

«وَبِهَذِهِ الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ» حَضْرَةَ تُونُسَ الْمَحْرُوسَةَ فَإِنَّهَا كَانَتْ مَحَطَّ رِحَالِ الْأَفَاضِلِ، مِنَ الْأَوَاخِرِ وَالْأَوَائِلِ، حَتَّى إِنَّ قَاضِيَ الْقُضَاةِ ابْنَ خَلْدُونَ أَقَامَ بِهَا مُدَّةً، وَمِنْهَا ارْتَحَلَ إِلَى مِصْرَ، وَكَذَلِكَ الْخَطِيبُ الْجَلِيلُ سَيِّدِي أَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ مَرْزُوقٍ[٣] أعلام تونس الأفاضل

مقبضها، والنصاب فى حد السرقة معروف (١) يشير الى برى السكين الأقلام واصلاح أخطاء الكتابة بها (٢) فى كلمتى القطع والحد تورية غير خافية (٣) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسى الخطيب التلمسانى، كان رفيع المنزلة لدى سلطان المغرب أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المرينى الذى تولى الخلافة من « سنة ٧٣١ - سنة ٧٥٢»

ـ رَحِمَهُ ٱللّٰهُ تَعَالَى ـ ، وَمِنْهَا خَاطَبَ ٱلْوَزِيرُ لِسَانُ ٱلدِّينِ ٱبْنُ ٱلْخَطِيبِ وَسُلْطَانُهُ فِي ٱلشَّفَاعَةِ لَهُ عِنْدَ سُلْطَانِ ٱلْمَغْرِبِ

وله ألف كتابه «المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن» في سيرته وأخبار دولته ، وأحله بنوه من بعده هذه المنزلة، فكذلك كان لدى ابنه السلطان المستعين بالله أبي سالم ابراهيم بن الحسن المريني ٧٦٠ فقد اصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه ابن مرزوق المذكور ، فكان صدور دولته، وخالصة مملكته، كما كان من قبل لدى والده السلطان أبي الحسن. وكان فقيها خطيبا أديبا حسن التدبير والسياسة شاعرا مجيدا ، وكان لسان الدين ابن الخطيب قد أوفده سلطانه أبو الحجاج يوسف ابن الأحمر على السلطان أبي عنان فارس بن السلطان أبي الحسن المريني «٧٥٢ ـ ٧٥٩» اثر وفاة والده سنة ٧٥٢ معزياله، فأدى الرسالة أحسن أداء وعاد الى غرناطة ، وتوفى السلطان أبو الحجاج بن الأحمر سنة ٧٥٥ فقام بالأمر بعده ابنه محمد بن يوسف الغني بالله، وانفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه من قبل ، فبعثه سلطانه الغني بالله سفيرا عنه الى السلطان أبي عنان مستمدا له على عدوه الطاغية ، على عادة سلفه في ذلك، فلما أشرف على مدينة فاس خاطبه الخطيب الرئيس أبو عبد الله بن مرزوق برسالة طويلة جمعت بين النظم والنثر أولها :

ياقادما وافى بكل نجاح	أبشر بما تلقاه من أفراح
هذى ذرا ملك الملوك فلذبها	تنل المنى وتفز بكل سماح
مغنى الامام أبى عنان يممن	تظفر ببحر فى الندى طفاح
من قاس جود أبى عنان فى الندى	بسواه قاس البحر بالضحضاح

الى آخر الأبيات ، و بعد ذلك نثر وشعر آخر ، ولما كان ابن مرزوق من أعيان وزراء السلطان أبى سالم المرينى كما تقدم غلب على هواه ، وألقى زمام الدولة بيده ، فنقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك عليه، فتربصوا بالدولة الدوائر، ثم ثاروا عليه فى خبر طويل فى أواخر سنة ٧٦٢ حتى قتل واستراح

فَكَتَبَ لِسَانُ ٱلدِّينِ عَنْ سُلْطَانِهِ فِي ذٰلِكَ مَا نَصُّهُ : ٱلْمَقَامُ ٱلَّذِي نُؤَكِّدُ إِلَيْهِ بِبِرِّ سَلَفِهِ ٱلْوِدَادَ، وَنُغْرِي بِتَخْلِيدِ فَخْرِهِ وَأَمْرِهِ ٱلْقَلَمَ وَٱلْمِدَادَ، وَنَصِلُ بِهِ ٱلِاسْتِظْهَارَ عَلَى عَدُوِّ ٱللّٰهِ تَعَالَى وَٱلِاعْتِدَادَ(١) وَنَخْطُبُ لَهُ مِنَ ٱللّٰهِ بِهَزِّ أَعْطَافِهِ(٢) لِلْخَيْرِ وَٱلتَّوْفِيقِ وَٱلسَّدَادِ، وَٱلْإِعَانَةِ مِنْهُ وَٱلْإِمْدَادِ، مَقَامُ مَحَلِّ أَخِينَا ٱلَّذِي ٱشْتَهَرَ فَضْلُهُ وَدِينُهُ، وَوَضَحَ سَعْدُهُ مُتَأَلِّقَةً(٣) بَرَاهِينُهُ، وَحَيَّاهُ ٱلصُّنْعُ ٱلْجَمِيلُ وَبَيَّاهُ مُشْرِقًا جَبِينُهُ، ٱلسُّلْطَانُ ٱلْكَذَا ٱبْنُ ٱلسُّلْطَانِ ٱلْكَذَا ٱبْنِ ٱلسُّلْطَانِ ٱلْكَذَا - أَبْقَاهُ ٱللّٰهُ يَرْعَى ٱلذِّمَمَ، وَيَسْلُكُ مِنَ ٱلْفَضَائِلِ ٱلْمَنْهَجَ ٱلْأَمَمَ(٤) وَيُغْلِي ٱلْبَضَائِعَ ٱلنَّافِقَةَ(٥) عِنْدَ ٱللّٰهِ تَعَالَى وَيُعْلِي ٱلْهِمَمَ . مُعَظِّمُ قَدْرِهِ، وَمُلْتَزِمُ بِرِّهِ، ٱلْحَرِيصُ عَلَى تَوْفِيرِ أَجْرِهِ، وَتَخْلِيدِ فَخْرِهِ، فُلَانٌ . . .

أعداء ابن مرزوق منه، وأمكن الوزير عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الفودودي أحد كبراء الدولة ووزرائها أن يستبد بالأمر كما سيأتي « أحمد يوسف نجاتي » (١) الاستظهار الاستعانة، والاعتداد : الاهتمام والاعتناء واتخاذ الشيء عدة (٢) هز العطف للشيء كناية عن السرور به والارتياح إليه (٣) مشرقة مضيئة ولامعة واضحة (٤) في الأصل « الأهم » وأرى أنها محرفة عن « الأمم » وهو البين الواضح، والقصد والقريب، والمنهج الطريق الواضح « أحمد يوسف نجاتي » (٥) الرائجة ضد الكاسدة

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللهِ تَعَالَى نَاصِرِ الْإِمْرَةِ الْمُطَاعَةِ ، الْمُحَافِظَةِ عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَحَافِظِهَا مِنَ الْإِضَاعَةِ، إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، الَّذِى جَعَلَ الْمَوَدَّةَ فِيهِ أَنْفَعَ الْوَسَائِلِ النَّفَّاعَةِ . وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ الْمَخْصُوصِ بِمَقَامِ الشَّفَاعَةِ ، عَلَى الْعُمُومِ وَالْإِشَاعَةِ ، مُتَمِّمِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْبَذْلِ وَالْحَيَاءِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالرِّضَا عَنْ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اقْتَدَوْا بِهَدْيِهِ بِحَسَبِ الاسْتِطَاعَةِ ، وَزَرَعُوا الْخَيْرَ فِى الْعَاجِلَةِ فَفَازُوا فِى الْآجِلَةِ بِفَائِدَةِ تِلْكَ الزِّرَاعَةِ ، وَالدُّعَاءِ لِمَقَامِكُمُ الْأَعْلَى بِصُنْعٍ يَرْوِى فِيهِ عَنِ الْأَشْمَطِ الْبَاتِرِ(١) خَبَرَ النَّصْرِ الْمُتَوَاتِرِ لِسَانُ الْبَرَاعَةِ ، وَتَأْيِيدٍ لَا تَرْضَى فِيهِ الْقَنَا بِمَقَامِ تِلْكَ الْقَنَاعَةِ ، فَإِنَّا كَتَبْنَاهُ إِلَيْكُمْ - كَتَبَ اللهُ تَعَالَى لِثَنَائِكُمُ

(١) الأشمط : الباتر كناية عن السيف القاطع الماضى ، والعبارة من قول ابن هانئ الأندلسى :

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الأخضر

وأصل الشمط بياض شعر الرأس يخالطه سواد ، وإنما شمط بياض السيف لما يخالطه من النجيع والدماء، ولما جعله أشمط صحت الرواية عنه ، وكان موثوقا بها « أحمد يوسف نجاتى » .

اَلْعَاطِرِ بِتَخْلِيدِ اَلْمَفَاخِرِ مَنْشُورَ اَلْإِذَاعَةِ، فِي أَيْدِي اَلنَّوَاسِمِ (١) اَلضَّوَّاعَةِ - مِنْ حَمْرَاءِ غَرْنَاطَةَ - حَرَسَهَا اَللّٰهُ تَعَالَى - عَنْ خَيْرٍ هَامِي (٢) اَلسَّحَابِ، وَبِشْرٍ مُفَتَّحِ اَلْأَبْوَابِ، وَعِزٍّ لِلْإِسْلَامِ بِبَرَكَةِ اَلِاعْتِدَادِ بِمُلْكِكُمُ اَلْمَنْصُورِ اَلْأَعْلَامِ مُقْتَبَلِ اَلشَّبَابِ، وَيُمْنٍ ضَافِي (٣) اَلْجِلْبَابِ، وَاَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى تَضَافُرِ (٤) اَلْأَيْدِي فِي ذَاتِهِ وَتَوَفُّرِ اَلْأَسْبَابِ، وَجَانِبُكُمُ اَلرَّفِيعُ اَلْأَمَلِ لِلْمُنْتَابِ (٥)، إِذَا حَدَتِ اَلْحُدَاةُ ذَوَاتِ اَلْأَقْتَابِ (٦)، وَمَطْمَحُ اَلْوَسَائِلِ اَلْمُطَرَّزَةِ اَلْمَسَائِلِ بِتَصْحِيحِ اَلْوُدِّ اَللُّبَابِ (٧)، وَإِلَى هَذَا وَصَلَ اَللّٰهُ تَعَالَى سَعْيَكُمْ بِسَوَابِغِ نِعَمِهِ وَآلَائِهِ دَائِمَةَ اَلِانْسِكَابِ، وَجَعَلَ مَا عَجَّلَ لَكُمْ مِنْ نِعَمِهِ وَآلَائِهِ كَفِيلَةً بِالزُّلْفَى وَحُسْنِ اَلْمَآبِ (٨)، وَأَلْهَمَكُمْ تَقْيِيدَ شَوَارِدِهَا

---

(١) النواسم يريد بها الرياح، جمع ناسمة، من نسمت الريح اذا هبت، وضاع يضوع وتضوع اذا انتشرت رائحته وتأرج عرفه وطاب شذاه (٢) همى السحاب والغيث اذا توالى هطله وتتابع سيله وهملانه (٣) اليمن الخير، والبركة والضافى: الطويل السابغ (٤) تعاون واجتماع (٥) أو «المنتاب» وانتابه اذا قصده واختلف اليه وتردد عليه (٦) ذوات الأقتاب كناية عن الابل جمع قتب وهو الرحل (٧) الخالص: الصافى المحض (٨) فى الأصل «المتاب» وأرى أنها مصحفة عن المآب، اقتباسا من الآية الكريمة «وان له عندنا لزلفى وحسن مآب» والزلفى: القربة ودنو المنزلة «أحمد يوسف نجاتى»

بِالشُّكْرِ قَوْلًا وَعَمَلًا فَالشُّكْرُ مُسْتَدْعِي الْمَزِيدِ كَمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ[1]، فَإِنَّ مِنَ الْمَنْقُولِ الَّذِي اشْتَهَرَ وَرَاقَ فَضْلُهُ، وَبَهَرَ قَوْلُهُ: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ الْمُعْتَبَرِ فِي الْخَبَرِ وَتَنْفِيسِ كُرْبَةٍ عَنْ مُسْلِمٍ، وَسَمَاعِ شَكْوَى مِنْ مُتَظَلِّمٍ، وَلَوْلَا أَنَّ مَقَامَكُمُ السَّنِيَّ[2] أَغْنَى، لَجَلَبْنَا الْكَثِيرَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى. وَلَمَّا تَحَقَّقَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ سُلُوكِ (سَبِيلِ وَالِدِكُمُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ قَدَّسَ اللَّهُ تُرْبَتَهُ، وَضَاعَفَ قُرْبَتَهُ، مِنْ يُمْنِ الظَّفَرِ، وَسُلُوكِ)[3] سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَإِقَامَةِ رُسُومِ الدِّينِ، وَالِاهْتِدَاءِ مِنْ هَدْيِهِ[4] بِالنُّورِ الْمُبِينِ، خَفَّ عَلَيْنَا أَنْ نَقْصِدَكُمْ بِالشَّفَاعَاتِ، مَعَ السَّاعَاتِ، وَنَتَّجِرَ لَكُمْ مَعَ اللَّهِ بِأَنْفَسِ الْبِضَاعَاتِ، فَمَا أَثْمَرَ مِنْ ذَلِكَ شَكَرْنَا اللَّهَ تَعَالَى

---

(١) يشير الى قوله تعالى « لئن شكرتم لأزيدنكم » ومن المأثور: قيدوا أوابد النعم بالشكر، أى أن النعمان لم تستدم بالشكر عليها، و يتألف شاردها بالقيام بحقوق الله فيها نفر شاردها وفر آبدها «أحمد يوسف نجاتى»

(٢) الرفيع العالى القدر (٣) مابين القوسين ساقط من نسخة الأصل، ولكنه ثابت فى المأثور من رسائل لسان الدين ابن الخطيب، فأثبتناه، لأن المعنى الآتى يستدعيه، وسياق الحديث يقتضيه « أحمد يوسف نجاتى »

(٤) فى الأصل « بمن هديه »

عَلَيْهِ حَقِيقَةً وَشَكَرْنَا كُمْ عَلَيْهِ شَرِيعَةً[1] وَمَا تَأَخَّرَ أَوْسَعْنَا كُمْ فِيهِ عُذْرًا يَسُدُّ ذَرِيعَةً ، وَعَلِمْنَا أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى لَمْ يَأْذَنْ فِي تَعْجِيلِهِ ، وَسَأَلْنَاهُ فِي تَيْسِيرِهِ وَتَسْهِيلِهِ ، سَوَاءٌ لَدَيْنَا فِي ذَلِكَ مَا عَادَ بِإِعَانَةٍ عَامَّةٍ وَإِمْدَادٍ ، وَسَاهَمَ فِي قَصْدِ جِهَادٍ ، وَمَا لَمْ يَعُدْ عَلَيْنَا خُصُوصًا وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ عُمُومًا بِإِعَانَةٍ وَلَا إِرْفَادٍ[2] ، إِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَجْلُبَ الْخَيْرَ الْبَاقِيَ وَالْأَجْرَ الرَّاقِيَ إِلَى بَابِكُمْ ، وَنَدُلَّ عَلَيْهِ كَرِيمَ جَنَابِكُمْ ، بِمُقْتَضَى وِدَادٍ صُبْحُهُ بَادٍ ، وَجَمِيلِ ظَنٍّ فِي دِينِكُمُ الْمَتِينِ وَاعْتِقَادٍ ، سَلِمَ مُجْمَلُهُ وَمُفَصَّلُهُ مِنَ انْتِقَادٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْخَ الْخَطِيبَ الْفَقِيهَ الْكَبِيرَ الشَّهِيرَ الصَّدْرَ الْأَوْحَدَ الْعَلَّامَةَ سُلَالَةَ الصَّالِحِينَ وَخَطِيبَ وَالِدِكُمْ كَبِيرِ الْخُلَفَاءِ وَالسَّلَاطِينِ - وَيَا لَهَا مِنْ مَزِيَّةِ دُنْيَا وَدِينٍ - أَبَا عَبْدِ اللّٰهِ بْنَ مَرْزُوقٍ - جَبَرَ اللّٰهُ تَعَالَى عَلَى يَدِكُمُ الْبَرَّةِ حَالَهُ ، وَسَنَّى مِنْ مَقَامِكُمُ السَّنِيِّ آمَالَهُ - جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْمِحَنِ ، وَتَبَارِيحِ الْإِحَنِ[3] ، مَا يَعْلَمُ كُلُّ ذِي مُرُوءَةٍ

(١) يشير إلى المأثور: لا يشكر الله من لا يشكر الناس (٢) الرفد والإرفاد: الإعانة والإعطاء (٣) التباريح: الشدائد والآلام . والإحن جمع إحنة وهي الحقد والعداوة ، والغضب الطارئ من الحقد «أحمد يوسف نجاتي»

وَعَقْلٍ ، وَاجْتِهَادٍ وَنَقْلٍ ، أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْجِنَايَاتِ عَلَى وَالِدِكُمُ السُّلْطَانِ مَحْسُوبٌ ، وَإِلَى معقَّاتِهِ[1] مَنْسُوبٌ ، وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ رَضْوَى وَثَبِيرًا[2] لَاسْتَدْعَتْ إِلَى تَغَمُّدِهَا[3] عَفْوًا كَبِيرًا ، رَعْياً لِذَلِكَ الْإِمَامِ الصَّالِحِ الَّذِي كَبَّرَ خَلْفَهُ[4] وَأَحْرَمَ ، وَتَشَهَّدَ وَسَلَّمَ ، وَأَمَّنَ عَقِبَ دُعَائِهِ ، وَنَصَبَ كَفَّهُ[5] لِمَوَاهِبِ اللهِ تَعَالَى وَآلَائِهِ ، وَأَنْصَتَ لِخُطْبَتِهِ وَوَعْظِهِ ، وَأَوْجَبَ الْمَزِيَّةَ لِسَعَةِ حِفْظِهِ ، وَعُذُوبَةِ لَفْظِهِ ، فَأَحْبَطَ ذَلِكَ مَنْ أَحْبَطَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ[6] ، وَعَطَّلَ الْمَتَاجِرَ الرَّابِحَةَ ،

---

(١) عقوقه وخلافه للسير بما يضاد سيره ، فقد كان مكرما لابن مرزوق ، وصديق والدك صديق لك ، ومن البر بالوالد اكرام من كان يكرمه « أحمد يوسف نجاتي » (٢) رضوى جبل بالمدينة على نحو ٧ مراحل منها ميامنه طريق مكة ، وهو قرب ينبع ، وكان لقبيلة جهينة ، وهو الجبل الذي يقول الكيسانية ان الامام محمد بن الحنفية عليه السلام مقيم به حيا يرزق . وثبير جبل مشرف بمكة من أعظم جبالها بينها و بين عرفة «أحمد يوسف نجاتي» (٣) في الأصل «تعمدها» وهو تصحيف ، وتغمد ذنبه اذا ستره بالعفو عنه ، وغطى عليه بستر المغفرة (٤) يريد أن السلطان والده كان يصلي خلف الامام ابن مرزوق ، وتلك درجة ينبغي مراعاتها « أحمد يوسف نجاتي » (٥) يريد بسط كف الضراعة داعيا الله تعالى عقب الصلاة « أحمد يوسف نجاتي » (٦) يريد به من نصب شرك المكايد لابن مرزوق من أعدائه ، وتقدم شرح ذلك في تعليقنا ، وتأتي تتمة له . وأحبطه : أي أبطله وأضاع ثمرته . «أحمد يوسف نجاتي»

وَأَسِفَ[1] ٱلْمَلِكُ ٱلْمَذْكُورُ بِدَمِ وَلَدِهِ[2] ، وَإِحْرَاقِ خَزَائِنِهِ وَعُدَدِهِ، وَتَغْيِيرِ رُسُومِهِ وَحُدُودِهِ، وَإِسْخَاطِهِ وَإِسْخَاطِ ٱللهِ مَعْبُودِهِ، إِلَى أَنْ طَهَّرَ سَيْفُكُمُ ٱلْمُلْكَ[3] مِنْ عَارِهِ، وَأَخَذَ مِنْهُ بِثَارِهِ ، وَتَقَرَّبَ إِلَى ٱللهِ وَإِلَى ٱلسَّلَفِ ٱلْكَرِيمِ بِمَحْوِ آثَارِهِ، وَٱلْحَمْدُ لِلهِ عَلَى مَا خَصَّهُ مِنْ إِيثَارِهِ، وَتَدَارَكَ ٱلْإِسْلَامَ بِإِقَالَةِ عِثَارِهِ . وَإِنَّهُ خَاطَبَنَا ٱلْآنَ مِنْ حَضْرَةِ تُونُسَ يُقَرِّرُ مِنْ حَالِهِ مَا يَفُتُّ ٱلْفُؤَادَ، وَيُوجِبُ ٱلِامْتِعَاضَ لَهُ وَٱلِاجْتِهَادَ ، يَطْلُبُ مِنَّا ٱلْإِعَانَةَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَٱلْإِنْجَادَ، وَيَشْكُو ٱلْعَيْلَةَ[4]

(١) أو « آسف » يعني أغضب (٢) قد عرفت من تعليقنا السابق أن تلك الثورة الجامحة انتهت بقتل السلطان أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني أخي السلطان المخاطب بهذه الرسالة أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن، وأن ذلك كان سنة ٧٦٢ «أحمد يوسف نجاتي» (٣) في الأصل « المليك » وأرى أنها مصحفة عن « الملك » فان السلطان أبا فارس هو الذي أنمش دولة بني مرين، وأعاد اليها شبابها بعد هرمها، وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد ، ورفع من شأنها ، وبث مهابتها في الصدور ، بويع بالخلافة في أواخر سنة ٧٦٧ وأراد الوزير عمر بن عبد الله أن يجري معه على عادته من الاستبداد ومنع التصرف في شيء من أمور الملك ، فأنف السلطان عبد العزيز من ذلك ودارت بينه وبين الوزير أمور انتهت الى أن ثأر منه للملك ولأخيه، ثم تتبع حاشيته بالاعتقال والقتل ، فصفا السلطان الملك ، واضطلع به، وأحسن القيام عليه، وساسه خير سياسة ، حتى قضى نحبه سنة ٧٧٤ رحمه الله . « أحمد يوسف نجاتي » (٤) الفقر والحاجة وسوء الحال

وَالْأَوْلَادَ، وَالْغُرْبَةَ الَّتِي أَحَلَّتْهُ الْأَقْطَارَ النَّازِحَةَ(١) وَالْبِلَادَ، وَالْحَوَادِثَ الَّتِي سَلَبَتْهُ الطَّارِفَ وَالتِّلَادَ(٢)، وَأَنْ نُذَكِّرَكُمْ بِوَسِيلَتِهِ، وَضَعْفِ حِيلَتِهِ، فَبَادَرْنَا لِذَلِكَ عَمَلًا بِالْوَاجِبِ، وَسُلُوكًا مِنْ بِرِّهِ وَرَعْيِ حَقِّهِ عَلَى السَّنَنِ(٣) اللَّاحِبْ، وَإِنْ كُنَّا نُطَوِّقُهُ فِي أَمْرِنَا عِنْدَ الْحَادِثَةِ عَلَيْنَا تَقْصِيرًا، وَلَا نَشْكُرُ إِلَّا اللهَ وَلِيًّا وَنَصِيرًا، فَحَقُّهُ عَلَيْنَا أَوْجَبُ، فَهُوَ الَّذِي لَا يُجْحَدُ وَلَا يُحْجَبُ، وَلَا يَلْتَبِسُ مِنْهُ الْمَذْهَبُ(٤). وَكَيْفَ لَا يُشْفَعُ فِيمَنْ جَعَلَهُ السَّلَفُ إِلَى اللهِ تَعَالَى شَفِيعاً؟! وَأَحَلَّهُ مَحَلًّا مَنِيعاً رَفِيعاً، إِلَى وَلِيِّهِ الَّذِي جَبَرَ مُلْكَهُ سَرِيعًا؟! وَصَيَّرَ جَنَابَهُ بَعْدَ الْمُحُولِ(٥) مَرِيعًا، وَجَدَّدَ رُسُومَهُ تَأْصِيلًا لَهَا وَتَفْرِيعًا ؟! وَمِثْلُكُمْ مَنِ اغْتَنَمَ بِرَّهُ فِي نَصْرِ مَظْلُومٍ، وَسَبْرِ مَكْلُومٍ(٦) وَإِعْدَاءِ كَرَمٍ عَلَى لُومٍ(٧)، وَهِيَ مِنَّا ذِكْرَى تَنْفَعُ(٨)، وَحِرْصٌ

---

(١) البعيدة النائية. (٢) الجديد والقديم: أى ذهبت بكل ماله (٣) السنن: الطريق، واللاحب: الواضح المستقيم (٤) التبس: أبهم وأشكل ولم يتضح، والمذهب الطريق (٥) المحل: الجدب والقحط. والمريع: الخصب (٦) يريد أن مثل السلطان من أبرأ جراح الحاجة، وأسا كلام الفاقة وسبر الجرح اذا قاسه ليعرف عمقه فيعالجه على حسب مايبدوله. والمكلوم الجريح (٧) أعداه عليه: اذا نصره وأعانه، واللوم مخفف من اللؤم يريد بالكرم ابن مرزوق، وباللوم أعداءه وسوء أعمالهم «أحمد يوسف نجاتى» (٨) يشير الى قوله تعالى: «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين»

عَلَى أَجْرِ مَنْ يَشْفَعُ، وَإِسْعَافٌ لِمَنْ سَأَلَ مَا يُعْلِي مِنْ قَدْرِكُمْ وَيَرْفَعُ ، وَتَأْدِيَةٌ لِحَقٍّ سَلَفِكُمُ الَّذِي تَوَفَّرَتْ حُقُوقُهُ ، وَإِبْلَاغُ نَصِيحَةٍ دِينِيَّةٍ إِلَى مَجْدِكُمُ الَّذِي لَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْمَجْدِ مَانِعٌ وَلَا يَعُوقُهُ، وَمَطْلَبُهُ فِي جَنْبِ مُلْكِكُمُ الْكَبِيرِ حَقِيرٌ . وَهُوَ(١) إِلَى مَا يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى يَدِ صَدَقَتِكُمْ فَقِيرٌ ، وَمَنْهَلُكُمُ الْأَرْوَى(٢) ، وَبَاعُكُمْ فِي الْخَيْرِ أَطْوَلُ وَسَاعِدُكُمْ أَقْوَى « وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْلُكُ بِكُمُ الْمَسَالِكَ الَّتِي تُخَلِّدُ بِالْجَمِيلِ ذِكْرَكُمْ، وَتُعْظِمُ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرَكُمْ ، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ، وَالدُّنْيَا دَارُ الْغُرُورِ وَالْآخِرَةُ دَارُ الْقَرَارِ ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . انْتَهَى .

وَالسُّلْطَانُ الْمُخَاطَبُ بِهَذَا هُوَ أَبُو فَارِسٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ ابْنُ السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ، وَكَانَ

---

(١) فى الأصل « وهو به الى مايفتح الله تعالى به الخ » ، ونرى أن « به » الأولى زائدة لامحل لها كما فى بعض النسخ (٢) اسم تفضيل من روى

أَبْنُ مَرْزُوقٍ غَالِباً عَلَى دَوْلَةِ ٱلسُّلْطَانِ أَبِي سَالِمٍ أَخِي أَبِي فَارِسٍ ٱلْمَذْكُورِ، فَقَتَلَهُ ٱلْوَزِيرُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْفُودُودِيُّ (١) وَتَغَلَّبَ عَلَى ٱلْمُلْكِ، وَنَصَبَ أَخًا لِأَبِي سَالِمٍ

(١) أسرة الفودودى من الأسر البربرية التى توارثت الوزارة فى دولة بنى مرين، فقد كان عبد الله بن ابراهيم الفودودى وزير السلطان أبى الحسن وكان الحسن بن عمر الفودودى وزيرا للسلطان المتوكل على الله أبى عنان فارس بن أبى الحسن القائم بالأمر بعد وفاة والده، وتوفى قتيلا خنقه وزيره المذكور آخر سنة ٧٥٩ ولما قام بالأمر بعده ابنه السلطان السعيد بالله أبو بكر بن أبى عنان بن أبى الحسن المرينى كان هو أول من استبد عليه من ملوك بنى مرين، فقد كان محجوبا بوزيره هذا حسن بن عمر الفودودى، لا يملك معه ضراولا نفعا، واعتقل بعض اخوته، حتى ضجر منه بنو مرين الذين كانوا بمدينة تلمسان لقسوته فى معاملة أسرتهم المالكة واستبداده بهم وحجره لسلطانهم. فلما استولى السلطان أبو سالم على ملك فاس والمغرب سنة ٧٦٠ عقد للحسن بن عمر على مراكش تخففا منه وريبة بمكانه من الدولة، فاستقر بها، وتأثلت له بها رياسة نفسها عليه أهل مجلس السلطان، وسعوا فيه عنده، حتى تنكرله، وأظلم الجو بالشر بينهما، وشعر الحسن بن عمر بذلك فخشى على نفسه، وخرج من مراكش فى شهر صفر سنة ٧٦١ منحرفا عن السلطان، ومرتكبا الخلاف، وشاقا عصا الطاعة، فأرسل اليه السلطان من جاربه، وقبضوا عليه، فشهر به هو ومن انضم اليه، حتى صار واعبرة لمن اعتبر، فقد وبخ وأهين وضرب ثم قتل بعد ذلك، ونصب شلوه بباب المحروق بمدينة فاس، فاستوسق للسلطان أبى سالم ملك المغرب، ومحى أثر الخوارج منه. ثم توفى السلطان أبو سالم كما تقدم سنة ٧٦٢ واستولى عمر بن عبد الله بن على بن سعيد الفودودى « وهو هذا » أحد كبراء الدولة ووزرائها على دار الملك إذ كان السلطان أبو

مَعْتُوهًا ، وَسَجَنَ[1] ٱبْنَ مَرْزُوقٍ وَرَامَ قَتْلَهُ ، فَخَلَّصَهُ ٱللهُ تَعَالَى مِنْهُ . ثُمَّ إِنَّ ٱلسُّلْطَانَ أَبَا فَارِسٍ ثَارَ عَلَى ٱلْوَزِيرِ ٱلْمُتَغَلِّبِ وَقَتَلَهُ ، وَٱسْتَقَلَّ بِالْمُلْكِ ، فَخُوطِبَ فِي شَأْنِ ٱبْنِ مَرْزُوقٍ بِمَا ذُكِرَ .

سالم قد خلفه عليها قبل مقتله، فحدثته نفسه بالتوثب، وساعده على ذلك ما كان قد عرفه من مرض القلوب على السلطان لمكان ابن مرزوق منه، وانتهى الأمر بما تقدم شرحه من قتل السلطان أبي سالم ، وأقيم السلطان أبو عمر تاشفين الموسوس بن أبي الحسن المريني، فكان محجوبا بالوزير عمر بن عبيد الله أيضا ليس له معه من الأمر شيء ، وكذا كان معه السلطان المتوكل على الله أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن القائم بالأمر سنة ٧٦٣ . « أحمد يوسف نجاتي » .

(١) عرفت أن هـذا المعتوه هو أبو عمر تاشفين الموسوس، وأمه أم ولد اسمها ميمونة، وكان فارسا بطلا قوي الساعد، غير أنه كان ناقص العقل فاستبد عمر بن عبد الله الفودودي بأمر الدولة بعد أن قتل السلطان أبي سالم ، ونصب هذا الموسوس يموه به على الناس، فبويع له في ١٩ من ذي القعدة سنة ٧٦٢ وكان نقص عقل تاشفين هذا من أجل الأسر الذي أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبي الحسن الى أن افتدى ، وبقي كذلك ضعيف العقل مختل المزاج الى أن كان من أمره ما كان ، وحصل في الدولة اضطراب وثورات وفتن وخطوب، حتى راجع الوزير عمر بن عبدالله نفسه، وعلم أن الأمر لا يستقيم له مع هذا الموسوس، فبادر باستقدام أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبي الحسن -وكان عند الطاغية بدار الحرب بالأندلس، فر اليه خوفا على نفسه- فقدم وخلع الوزير المذكور سلطانه المعتوه في صفر سنة ٧٦٣ وبويع لأبي زيان كما تقدم. واستبد الوزير عمر بالأمر ، غير أن عزة نفس السلطان أبي زيان مكنته

أن يغض من شأن وزيره عمر بن عبد الله بعد أن رأى نفسه فى رقابة شديدة منه ، ولكن القادير أعانت الوزير على سلطانه لما رآه قد أخذ يتنكر له، فتمكن بدهائه وعيونه وأرصاده أن يقتل السلطان أبا زيان فى أواخر سنة ٧٦٧ فقام بالأمر بعده شهم بنى مرين السلطان أبو فارس عبد العزيز وكان منه ما شرحناه لك آنفا من قتله الوزير عمر بن عبد الله سنة ٧٦٨ وكانت وفاة السلطان عبد العزيز سنة ٧٧٤ رحمه الله، وكان شهما شجاعا أبى النفس أديبا . « أحمد يوسف نجاتى » .



﴿ انتهى الجزء السادس من كتاب نفح الطيب ﴾
ويليه الجزء السابع إن شاء الله تعالى وأوله

﴿ رجع الى ما كنا فيه ﴾
من ذكر الراحلين من أعلام الأندلسيين

فهرست

الجزء السادس من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب


Bibliotheca Alexandrina
0419399
